مـــــرقس
رسالة الفكر المسيحي
للشباب والخُدّام
يناير ٢٠٢٦



العذراء والدة الإله
وأُم ينبوع الحياة

صورة بيزنطيَّة للقدِّيسة مريم العذراء حاملة الطفل يسوع، وكأنها في جرن المعمودية الذي يتفجَّر منه ماء الحياة لتجديد الخليقة والميلاد الجديد لكلِّ مَنْ يؤمن بابن الله

مرقس

رسالة الفكر المسيحي للشباب والخُدَّام

السنة ٧٠ — **يناير ٢٠٢٦م.**

العدد ٦٧٠ — **كيهك / طوبة ١٧٤٢ش.**

المحتويات

تهنئة قداسة البابا بعيد الميلاد المجيد ١

الافتتاحية: كلمة قداسة البابا تواضروس الثاني:

«تمسَّكوا بالحَسَن» (أ) ٢

مقال للأب متى المسكين:

البشارة المُفرحة ٨

عظة آبائيَّة: تجسُّد كلمة الله ١٢

من أقوال الآباء:

في يوم الأنوار المقدَّس – "الإبيفانيا" ١٥

بمناسبة شهر كيهك المبارك:

فوائد قراءات شهر كيهك المبارك (٢) ٢٠

ادخل إلى العمق (٥٨): التَّجسُّد الإلهي ٢٥

تأملات في سرِّ التَّجسُّد الإلهي:

المسيح شجرة الحياة في عالم الإنسان ٣١

بمناسبة عيد الظهور الإلهي:

معموديَّة ربنا يسوع ٣٥

من التراث الكنسي: الغطاس وتبريك المياه ٣٨

بحث تاريخي:

أهم أديرة وكنائس القدِّيس مار جرجس القبطيَّة (٣)... ٤٢

تقديم كتاب: الأدلَّة على وجود الله وظهوره (٢) ٤٦

مقال بالإنجليزية:

LIVING WITH CHRIST, Vol. 4, 71 - 73 ..... ٥٢

من تعليم آباء الكنيسة

للقدِّيس أثناسيوس الرسولي

تجسُّد المسيح رفعنا إلى نعمةٍ أعظم مِمَّا كان لآدم قبل المعصية

(ترجمة النص اليوناني الآبائي المنشور في باطن الغلاف الأخير)

✠

[حينئذ لمَّا صار الذين عملهم ناقصين
بل ومشوَّهين بسبب المعصية،
قيل عنه إنه "خُلِقَ" من جهة الجسد،
حتى يستطيع أن يُقوِّمهم ويجعلهم كاملين،
فيُقدِّم الكنيسة لأبيه، كما يقول الرسول:
«لَا دَنَسَ فِيهَا وَلَا غَضْنَ أَوْ شَيْءٌ مِنْ مِثْلِ ذلِكَ»[1].
فالبشريَّة تصير، إذن، كاملةً فيه
وتستعيد وضعها الذي خُلقت عليه منذ البدء،
بل وتصير لها نعمةً أعظم!...
فلو كان الله بحسب قدرته،
قد أبطل اللعنة، بمجرد نُطْق منه،
لظهرت حقًّا قدرة ذاك الذي أعطى الأمر،
ولكن الإنسان كان سيظل
كما كان آدم قبل المعصية،
نائلًا النعمة من الخارج ἐξωθεν
كما كان ينالها لمَّا وُضِعَ في الفردوس،
دون أن يقتني النعمة متَّحدةً بجسده].

(ضد الأريوسيين ٢: ٦٧ – ٦٨)

---

(١) أف ٥: ٢٧

مرقس: يصدرها ديـر القديس أنبا مقار ـ برية شيهيت

مكتب التوزيع والاشتراكات
القاهرة: ٢٨ شارع شبرا
تليفون: ٢٥٧٧٠٦١٤
٠١٢٨٢٧٥٢٣٢٤
٠١٠٢٣٨٢١٣٨١
الإسكندرية: ٨ شارع جرين - محرم بك
تليفون: ٠٣٤٩٥٢٧٤٠
تصفَّح مجلة مرقس في موقع الدير على الإنترنت:
www.stmacariusmonastery.org
عنوان البريد الإلكتروني:
stmarkcare@gmail.com

رئيس التحرير: الأب سرجيوس المقاري
تسديد الاشتراكات:
عن طريق خدمة أورانج كاش
وفودافون كاش
الخاصة بأرقام تليفون المجلة
وهي:
٠١٢٨٢٧٥٢٣٢٤
٠١٠٢٣٨٢١٣٨١
وتبدأ سنة الاشتراك
في يناير من كل عام
مطبعة دير القديس أنبا مقار

ثمن النسخة ٢٠ جنيهًا
الاشتراك السنوي: حدُّه الأدنى:
٢٠٠ جنيه: داخل مصر (تسليم باليد)
٣٥٠ جنيهًا: في حالة الدفع عن طريق المُحصِّل
٣٠٠ جنيه: في حالة الدفع عن طريق:
خدمة أورانج كاش وفودافون كاش
١٥٠ دولارًا أمريكيًّا: في البلاد الأخرى
عنوان المراسلات:
ص. ب ٣١ شبرا ـ القاهرة
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢١٧ / ٢٠٢٦
الترقيم الدولي: ISSN 2805-2382



تهنئة بعيد الميلاد المجيد لعام ٢٠٢٦م

يتقدَّم مجمع رهبان دير القدِّيس أنبا مقار ببريَّة شيهيت

وأسرة تحرير مجلة مرقس

بخالص التهنئة إلى

صاحب القداسة والغبطة البابا أنبا تواضروس الثاني

بمناسبة حلول عيد ميلاد مُخلِّصنا الصالح

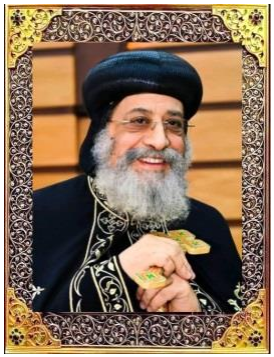
وندعو إلهنا الصالح أن يُديم رئاسته للكنيسة

سنين عديدة وأزمنة سلاميَّة مديدة

كما نتقدَّم بالتهنئة إلى أصحاب النيافة آبائنا المطارنة والأساقفة الأجلَّاء

وجميع الإكليروس وشعب الكنيسة المقدَّسة

في بلادنا العزيزة وكلِّ بلاد المهجر



«تَمَسَّكُوا بِالْحَسَنِ»

(١تس ٥: ٢١)

لصاحب القداسة

البابا تواضروس الثاني



وصايا قصيرة جدًّا

(أ)

● **«تَمَسَّكُوا بِالْحَسَنِ» (١تس ٥: ٢١):**

كلمة "حسن" تُذكِّرنا بخِلْقَة الله للكون والإنسان، فعندما خَلَقَ الله النور قال: «... أَنَّهُ حَسَنٌ» (تك ١: ٤)، وعندما خَلَقَ الزرع قال: «... أَنَّهُ حَسَنٌ» (تك ١: ١٢)، **وهكذا في خِلْقة كلِّ هذا الكون.**

ولكن عندما خَلَقَ الله الإنسان قال عنه: إنه حسنٌ جدًّا «وَرَأَى اللهُ كُلَّ مَا عَمِلَهُ فَإِذَا هُوَ حَسَنٌ جِدًّا» (تك ١: ٣١). فتمسَّكوا بالحَسَن، وليس المقصود بالحَسَن هنا أي الجميل والرديء، ولكن المقصود الجيِّد والمُمتاز.

فمثلًا الإنسان يُمكنه أن يقول كلمة جيِّدة في مناسبةٍ ما، ولكن قد يكون هناك الأفضل مِن هذه الكلمة. وقد يقوم الإنسان بعمل ما، لكن كان يُمكنه أن يقوم بأفضل منه وهكذا ... لذلك تُوجد في حياتنا الاجتماعيَّة كلمة تُسمَّى "المُجاملة"، بمعنى أن يذهب شخصٌ لمُجاملة شخصٍ آخر.

وكلمة "مُجاملة" تعني أنك بحضورك تجعل الموقف جميلًا، حتى في مواقف الحزن. فمُجاملتك وذهابك إلى شخص ما في حالة حزن، يعني أنك تذهب لكي ما تُقاسِمَه هذا الحُزن، وبذلك يصير هذا الحُزن أقل ألمًا وحِدَّة، ويصير الموقف أكثر جمالًا. إذًا، هذه الوصية مهمة جدًّا لأنها تجعل الإنسان يُفكِّر كيف يجعل حياته جميلة.

قصة:

تحكي القصة عن إنسان ضرير كان جالسًا على الأرض لكي ما يستعطي، وقد وضع بجانبه لوحةً وكتب عليها: "أنا إنسانٌ ضرير ساعدوني". ومرَّت عليه شابة وقرأت هذه اللوحة، فأخذتها وكتبت عليها: "هذا النهار جميل، ولكنني لا أستطيع أن أراه" وأعادتها مرَّةً أُخرى

بجانب هذا الضرير، وبدأت تُلاحظ الموقف. فوجدت أن العطايا بدأت تتدفَّق على هذا الضرير أكثر بكثير من الأول، وذلك بسبب أن الجملة التي كتبتها كانت أفضل من الجملة الأولى وأكثر تأثيرًا في الناس، رغم بساطة كلماتها.

لا تتكلَّم إلَّا إذا كان فكرك في هذا المُثلَّث: ضلع الروحانيَّة، وضلع الموضوعيَّة، والضلع الثالث هو ضلع الإبداعيَّة، وبهذا ترتقي الأُمم والخدمة والمجتمع والأسرة.

● **ما هو الحَسَن؟**

الحَسَن هو الشيء الصادق أو الصحيح أو الجميل، وفي حياتنا ثلاثة مواقف رئيسيَّة تجعلنا نتمسَّك بالحَسَن وهم:

أولًا: الفِكْر الحَسَن، كما نقول في التعبير الشعبي: "فلان مُخُّه نظيف"، بمعنى أنه يُفكِّر بطريقة سليمة

ثانيًا: النُّطْق الحَسَن كما يقول المثل الشعبي: "المَلَافِظ سَعْد". مثال لذلك: عندما شَفَى السيِّد المسيح المُقعَد مُنذ ٣٨ عامًا، لم يسأله عن قصة مرضه أو عن الأدوية التي يأخذها، لكنه قال له: «أَتُرِيدُ أَنْ تَبْرَأَ» (يو ٥: ٦)؟ بمعنى أنه تكلَّم عن الشفاء وليس عن المرض، وقيسوا على هذا مواقف كثيرة في حياة الإنسان.

ثالثًا: العمل الحَسَن، وسنتكلَّم عن كلِّ نقطة بالتفصيل.

أولًا: الفكر الحَسَن:

الفكر الحَسَن يمكن ضبطه عن طريق ثلاثة معايير هامة جدًّا وأساسيَّة هي:

١. الفكر الروحاني:

فالإنسان يتميَّز عن باقي المخلوقات بوجود الروح والنَّفخة الإلهيَّة. فالله عندما خَلَقَ الإنسان خَلَقه على قمة الخليقة فوق المياه والزروع والأشجار والنباتات والحيوانات ... إلخ، وبعد أن أكمل خلقة الخليقة كلها توَّج الإنسان عليها كملك، وكأنه أصبح مَلِكًا على مملكة.

فمثلًا: نستمع أحيانًا لبرامج "التّوك شو" (برامج الحوارات)، ونجد شخصًا قد يتحدَّث لوقت طويل جدًّا، ومع هذا لا يؤثِّر في الناس.

وقد نجد شخصًا آخر يتحدَّث بكلمات قليلة جدًّا، ومع هذا يؤثِّر في الجميع. ويقول القدِّيس بولس الرسول: «فَلْيَكُنْ فِيكُمْ هذَا الْفِكْرُ الَّذِي فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ أَيْضًا» (في ٢: ٥)،

فهو فكرٌ مُستمَدٌّ من شخص المسيح.

يقول القدِّيس مكاريوس الكبير: "أفكارنا ليست خارجيَّة بالنسبة لنا، بل هي تأتي وتنبع من القلب في الداخل"، أي من فضلة القلب يتكلَّم اللسان، فلا يمكن منطقيًّا أنَّ قلبًا طاهرًا، تخرج منه أفكارٌ شريرة، لأن «مِنْ ثِمَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ ... كُلُّ شَجَرَةٍ جَيِّدَةٍ تَصْنَعُ أَثْمَارًا جَيِّدَةً، وَأَمَّا الشَّجَرَةُ الرَّدِيَّةُ فَتَصْنَعُ أَثْمَارًا رَدِيَّةً» (مت ٧: ١٦ – ١٧). لذلك فالأفكار الشريرة لا تأتي إلَّا من قلبٍ مريض، حيث إنه بإهماله وصايا الرب ينحرف وراء الشهوات وآراء إبليس.

أمَّا عن الفكر الروحاني يقول عنه القدِّيس بولس الرسول: «مُسْتَأْسِرِينَ كُلَّ فِكْرٍ إِلَى طَاعَةِ الْمَسِيحِ» (٢كو ١٠: ٥). فنجده يَقِظًا حارسًا لأفكاره، ضابطًا لحواسه، منتبهًا لكلِّ ما يدخل قلبه من أفكار، ويسعى لتنمية فكره بالمعرفة الروحيَّة والثقافيَّة.

ولذلك حدَّده لنا السيِّد المسيح وقال: «اَلإِنْسَانُ الصَّالِحُ مِنْ كَنْزِ قَلْبِهِ الصَّالِحِ يُخْرِجُ الصَّلاَحَ، وَالإِنْسَانُ الشِّرِّيرُ مِنْ كَنْزِ قَلْبِهِ الشِّرِّيرِ يُخْرِجُ الشَّرَّ. فَإِنَّهُ مِنْ فَضْلَةِ الْقَلْبِ يَتَكَلَّمُ فَمُهُ» (لو ٦: ٤٥). قد نجد أحيانًا شخصًا يبعث برأيه في موضوع مُعيَّن، ولكن بشكل غير لائق وبألفاظ غير مُناسبة؛ ونجد آخر يبعث برأيه أيضًا، ولكن بمعيار وفكر روحاني. فلا مانع من أن يُعبِّر الإنسان عن رأيه أو عن شكوى مُعيَّنة أو تقصير مُعيَّن، ما دام سيكون ذلك بطريقة لائقة وبفكر روحاني.

٢. الفكر الموضوعي:

الموضوعيَّة هي أسلوب تفكير يتدرَّب عليه الإنسان حتى يصبح جزءًا منه. وداخل الإنسان قد يحدث صراعٌ بين رؤية الإنسان لموقف معيَّن، إمَّا بنظرة موضوعيَّة أو ذاتيَّة. فهناك شخصٌ يتحدَّث في أمر ما، ولكن بفكر غير موضوعي وبطريقة ذاتيَّة بحيث إنه يقصد شيئًا ما في داخله، مثل مصلحة شخصيَّة أو هدف خاص أو تغطية على خطإٍ ما.

ولكن هناك آخر يتحدَّث، وكأنه يتحدَّث أمام الله نفسه.

فمثلًا، قد نتقابل مع شخص يكون كبيرًا في السِّنِّ، لكننا لا نستطيع أن نحترم الكلمة التي يقولها؛ لأنها تكون غير موضوعيَّة، وذاتيَّة، وبها رياء والتواء وخِداع وغموض وعدم وضوح. وعلى العكس من ذلك، قد نتقابل مع شخص آخر يكون صغيرًا في السِّنِّ، ومع هذا نسمع لرأيه، لأننا نجده رأيًا سديدًا وصحيحًا، ورأيًا يُفضِّل المصلحة العامة عن المصلحة الشخصيَّة،

سواء كان ذلك على مستوى الأسرة أو الخدمة أو المجتمع ... إلخ. وهذا أمرٌ هامٌّ جدًّا في جميع الأحاديث والحوارات، ولذلك الكلمة مسؤولية وهي تُعبِّر عن الفكر.

إنَّ الموضوعي يتَّسِم بالقُدرة على تحديد الصواب والخطإ، وتحديد المصيب والمُخطئ، ويُعبِّر عن فكره ورأيه رغم الضغوط التي توضَع عليه.

مثال: بناء الهيكل:

كانت تتبع الإمبراطوريَّة الفارسيَّة ٢٠ ولاية، إحداها هي ولاية تضمُّ سوريا وفلسطين، وكان "تتناي" واليًا على هذه الولاية، وقد وصلته شكاوى من بعض الأُمم أو المُراقبين التابعين له أنَّ اليهود يبنون هيكلًا بدون تصريح. فأتى "تتناي" ومساعدوه إلى أورشليم ليتحقَّقوا من الأمر، وتحقَّق من الأمر من زرُبابل.

لم يوقفهم من استكمال بناء الهيكل، ولكن أخبرهم أنه سيُرسل للملك "داريوس" ليتأكَّد من كلامهم، لأن زرُبابل أخبره أن "كورش" هو الذي أصدر أمرًا بالبناء.

أخبر "تتناي" الملك "داريوس" في رسالة بكلِّ شيء بتدقيق ووصف البناء، وأنَّ العمل يتمُّ بسرعة وبنجاح كبير، وطلب "تتناي" من الملك "داريوس" أن يبحث عن أمر كورش المحفوظ في خزائن المملكة التي في بابل لتأكيد صِدْق اليهود.

هذا يُظهِر لنا أن "تتناي" رجل موضوعي مُحايد ودقيق، رغم أنه كان وثنيًّا، فلم يرضخ للشكاوى، بل بحث الأمر بتدقيق (عزرا ٥: ٣ – ١٨).

٣. الفكر المُبدِع:

الفكر الحَسَن هو أيضًا فكرٌ مُبدعٌ لديه فكرٌ جديد، وليس كما قال البابا شنوده الثالث في أحد أشعاره "ملينا الهوا كلامًا". فلا تتكلَّم إلَّا إذا كان لديك الجديد، وإلَّا أصبح الكلام مضيعة للوقت. لذلك فالفكر الحَسَن هو الذي يحمل جديدًا.

والتفكير المُبدع يختلف تمامًا عن التفكير العادي، فهو تفكيرٌ مُنطلق يبحث عن أفكار غير مألوفة،كما أنه يصل إلى حلول غير تقليديَّة للمشكلات.

وكما يقول سِفْر الأمثال: «أَفْكَارُ الْمُجْتَهِدِ إِنَّمَا هِيَ لِلْخِصْبِ» (أم ٢١: ٥).

التفكير المُبدع هو التركيز المُستمر لجعل الفكرة واقعًا، والمرحلة الأولى من مراحل التفكير المُبدع هو "التخيُّل".

الفكر المُبدع وسيلته الوحيدة، هي الارتقاء بالعقل وتقوية قدراته على التفكير الإبداعي.

ابتعد عن النمطيَّة والجمود وكُنْ يَقِظًا، فتصل إلى الفكر المُبدع.

قصة:

يُحكَى أنَّ رجلًا يمتلك طائرًا "عصفور الكناريا"، وكان هذا العصفور من فصيلة نادرة وغالي الثمن جدًّا، وفي أحد الأيام سقط هذا العصفور من شُرفة المنزل في حفرة عمقها ما يقرب من ثمانية أمتار، وكان قُطْر هذه الحُفرة صغيرًا جدًا، وفشلت جميع المحاولات التي تمَّت لإنقاذ هذا العصفور. فأعلن صاحب العصفور عن مُكافأة مالية كبيرة لمَنْ يجد فكرة يستطيع بها إنقاذ هذا العصفور. فتقدَّم طفلٌ صغيرٌ وأعلن استعداده لإنقاذ العصفور، وكلُّ ما طلبه هو أنبوبة رفيعة جدًّا طولها يصل لعمق الحفرة. وبدأ يضع حبَّات الرمل في هذه الأنبوبة بالتدريج، وكلما ملأت الرملة الحفرة كلما ارتفع العصفور إلى أعلى، واستمر الطفل يُمرِّر الرمل في الأنبوبة حوالي سبع ساعات حتى طفى العصفور على سطح الحفرة، وبذلك استطاع أن يُنقذ العصفور.

إنها فكرةٌ مُبدعة رسمها خيال الطفل وصمَّم على تنفيذها.

الفكر المُبدع يستطيع أن يُقدِّم الجديد دائمًا، وإن كان الجديد أحيانًا يكون موضع سخرية. فأتذكَّر أننا في إحدى المرات كنتُ في دولة أوروبية، وسمعتُ أن طالبًا عمره ١٨ عامًا حصل على جائزة بسبب اختراعه لملعقة، فتعجَّبتُ جدًّا! وعندما سألتُ، علمتُ أن هذه الدولة من البلاد التي يستمتع أهلها بأكل الآيس كريم كثيرًا جدًّا. فقام هذا الطالب باختراع ملعقة تتمشَّى مع منحنيات أيَّة علبة آيس كريم، وبذلك يتمتع الناس بأكله. وكانت فكرة مُبدعة وبسيطة جدًّا.

وأيضًا من الأفكار المُبدعة، أنه قامت إحدى الطالبات باختراع تركيبة جديدة لحبر لا يسيل عند الكتابة، حيث بدأت تُراسِل كبرى شركات صناعة الأقلام في العالم، حتى استطاعت أن تتواصل مع إحدى هذه الشركات.

وبالفعل سافرت إليهم وقدَّمت اختراعها ورؤيتها. فوافقت الشركة على شراء حقِّ اختراع هذه التركيبة بمبلغ مالي كبير.

المشكلة السُّكَّانيَّة:

اختلاف النظرة بين اثنين حول المشكلة السُّكَّانيَّة:

- **الرأي الأول يقول:** "إنَّ المشكلة السُّكَّانيَّة خطيرة جدًّا ويجب بَذْل كلِّ الجهود للحدِّ من هذا الانفجار السُّكَّاني لرفع رفاهية الإنسان، وأن الازدحام يؤدِّي للتلوث والحروب والبغضاء بين البشر بسبب المُنافسة على امتلاك الموارد المحدودة".
- **الرأي الثاني يقول:** "إنَّ البحث العلمي قادرٌ على أن يزوِّد سكَّان الأرض بما يكفيهم من الطعام والرفاهية لمدَّة طويلة".

لذلك، لا تتكلَّم إلَّا إذا كان فكرك في هذا المُثلَّث: ضلع الروحانيَّة، وضلع الموضوعيَّة، والضلع الثالث هو ضلع الإبداعيَّة. وبهذا ترتقي الأُمم والخدمة والمجتمع والأسرة.

ليكُن شعارنا في العام الجديد: **"تمسَّكوا بالحَسَن".**

وكل عام وأنتم بخير. **(يتبع)**

البابا تواضروس الثاني

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

****

ميلاد المسيح سلامُنا

للقدِّيس كيرلس الكبير

[ما أسماها تسبحة: «الْمَجْدُ للهِ فِي الأَعَالِي، وَعَلَى الأَرْضِ السَّلاَمُ، وَبِالنَّاسِ الْمَسَرَّةُ» (لو ٢: ١٤). فإننا نحن الأشقياء لمَّا فضَّلنا شهواتنا على إرادة الرب، قد صرنا في وضع الأعداء بالنسبة له؛ ولكن هذه (العداوة) قد نُقِضَت بواسطة المسيح، فإنه هو سلامُنا (أف ٢: ١٥). وقد وحَّدنا بواسطة نفسه مع الله الآب، ورفع من الوسط الخطية المُنشئة العداوة، وبرَّرنا بالإيمان، ودعا الذين كانوا بعيدين ليصيروا قريبين. وبالإضافة إلى ذلك، قد خلق الشعبين ليصيرا إنسانًا واحدًا جديدًا، وصَنَعَ السلام وصالَح الاثنين في جسدٍ واحد مع الآب (أف٢: ١٤ – ١٦). فإنَّ الله الآب قد سُرَّ أن يجمع فيه الجميع (أف ١: ١٠)، ويربط معًا العلويين مع السُّفليين، ويجعل الذين في السماء مع الذين على الأرض قطيعًا واحدًا. **فالمسيح قد صار لنا سلامًا ومسرَّة].** **(تفسير إنجيل لوقا ٢: ٨ – ١٨)**

****

مقال للأب متى المسكين

البشارة المُفرحة[١]



الإخوة الأعزَّاء ...

سلامٌ من الله لأرواحكم ودعاء خالص لدى المسيح الرب، ليؤازركم بنعمته في حياتكم ويُكمِل جهادكم وصبركم وإيمانكم.

في ذِكْرى الميلاد، أُقدِّم لكم كلمةً أستمدّها من سرِّ المسيح الذي يدفعني معكم لحياة التكريس والفقر بمعناه الكُلّي، بقوَّةٍ مُتجدِّدة فوق ما يُدركه أو يتصوَّره العقل.

وكلُّ ما نستخلصه من حياتنا حتى الآن، هو أن الدَّعوة للسيْر وراء المسيح تتطلَّب يقظةً في المسير لمُتابعة صوت الراعي، لأن الارتقاء في الطريق يحدث فجأةً. فالذي لا يتنبَّه، يرتطم في صخرة الصعود فيسقط عِوَض أن يرتقي؛ إذ لمَّا يواجه الإنسان تجربة توضيعه الموضوعة لارتقائه، وهو لاهٍ عن اتِّباع الرب باتِّباع أهوية نفسه وجسده، تصبح له سبب عثرة وتذمُّر وهروب ونكوص.

إنني أتنسَّم من وراء هذه الجبال والسنين رائحة محبتكم التي وُلدت في وسط المِحَن، وأنضَجَتْها التجارب لتكون عيِّنة للمحبة الروحانيَّة غير العاطفيَّة، وشهادة جديدة من نوعها لنوع الرباط والأُلفة الكنسيَّة، الذي ينبغي أن يعيشه المُكرَّسون لله.

حينما أُقدِّم لكم الميلاد في هذه الكلمات، أُقدِّمه لكم سرًّا من أسرار المسيح والسماء والعذراء والملائكة، لا يمكن أن يُنقَل للآخرين قبل أن يُعاش.

السماء ابتهجت بالميلاد، هذا كان أوضح انطباعات الميلاد، فلأول مرَّة في عُمر الخليقة

(١) الرسالة (٧٩) من كتاب: "رسائل القمص متى المسكين"، الطبعة الأُولى: ٢٠٠٧م، ص ٣٠٢ – ٣٠٦.

كلها تصبح حوادث الأرض بهجةً للسمائيين. ولِعِظَم السبب ولعموميته، خرج الملائكة عن صمتهم الأبدي وأشركونا في فرحهم وكَشْف هذه البُشرَى العجيبة: «فَهَا أَنَا أُبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ» (لو ٢: ١٠).

ولقوَّة تأثير هذه البشارة وعُمقها، اشتقَّ الإنجيل منها اسْمه ومعناه: **"البشارة المُفرحة".** وصار كلُّ مَنْ ينقل هذه البشارة عينها، بشارة الميلاد بالخلاص، هو "كملاك" الله، أي "أنجيلوس" أو "إنجيلي" سيَّان: «اُكْتُبْ إِلَى مَلَاكِ كَنِيسَةِ (...)» (سِفْر الرؤيا).

من هنا، يا إخوة، نصل إلى صميم الرسالة التي دعاكم الله إليها، كمُكرَّسين للإنجيل أو كملائكة الله المُبشِّرين ببُشرَى الخلاص والفرح.

فاعلموا أنَّ الحزين لا يستطيع أن ينقُل الآخرين إلى الفرح، والذي ليس له أسباب الفرح الحقيقي لا يستطيع أن ينقل بعواطفه البُشْرَى المُخلِّصة. فالإنجيل قوَّة فرح تسمو فوق الخوف وعلى العواطف جميعها: «لَا تَخَافُوا. فَهَا أَنَا أُبَشِّرُكُمْ ...» (لو ٢: ١٠).

الميلاد قوَّة فرح، وعيد الفرحين بالإنجيل، فهو بذلك نقطة حرجة في حياة المُكرَّسين، لأنه يتطلَّب فرحًا سمائيًّا يخرج بالإنسان عن صمته وعن رزانته؛ بل وعن عواطفه، كما خرج بالملائكة، فيصير بشيرًا للسرور.

لذلك، فكلُّ ذِكْرَى للميلاد تضعكم في سؤال: ماذا صنعتم بالذِّكْرَى؟ وكيف انفعلتم بخبرها؟

حقًّا إنَّ الميلاد ليس ذِكْرى؛ إذ لا يمكن أن يحصر الفرحَ الإلهيَّ يومٌ من أيام الإنسان!! ولا الكلام يستطيع أن يُكمِل البُشرَى.

فحقيقة الميلاد تعيش في القلب الملائكي، أي الإنجيلي أو المُبشِّر، كنبعٍ أبديٍّ للفرح والبهجة، كلما نأخذ منها تزداد، وكلما نُعطي نمتلئ.

فالإنسان الذي يعيش في مواجهة الإنجيل والمسيح، يعيش يوم الميلاد. فيوم الميلاد، وإن كان قد تسجَّل في الزمن بيومٍ محدود، فهو في إنجيل الفرح والخلاص لا يُحَدُّ، لأنه يوم الله على كلِّ حال وليس يوم بشرٍ، الذي يفوق في عُمق قوَّاته ومعناه ألفًا من السنين ويزيد. وكأنما فرح يوم الميلاد يُساوي فرح ألف سنة من أفراح الإنسان لو أمكن جمعها معًا خُلوًا من حزن!

الإنسان المُكرَّس لله، يتكرَّس للميلاد أول ما يتكرَّس، بل وآخر ما يتكرَّس؛ لأن المسيح

وإن كان قد وُلِدَ ليموت، فالمسيحي ينبغي أن يموت ليُولَد!!

فالميلاد للمُكرَّسين نهاية وبدء حياةٍ معًا، بمعنى أنَّ الذي يُريد أن يُولَد روحانيًّا يلزمه أن يبلغ أولًا الإماتة الكُلِّيَّة. أليس في ميلاد المسيح تنازُلًا وإخلاءً عاليًا مُسْبَقًا يبلغ في تصوُّرنا الإماتة الكلِّيَّة!!؟

هنا مصدر الفرح الكامل! ألم يبلغنا هذا الخلاص المُبهِج من خلال هذا الفقر الكُلِّي والإخلاء الذي باشره الرب؟

هنا نبع السرور الأبدي الفائض الذي أذهل الملائكة وأمرهم بقوَّة البشارة المُفرِحة! «هَا أَنَا أُبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ». إذًا، ففي بلوغ الفقر الكُلِّي والإماتة والتنازُل عن كلِّ مجد، بلوغ لسرِّ الفرح الأبدي الذي لا يمكن أن يُنْزَع منَّا!!

فكلُّ فرحٍ يقوم على عطايا ومجد هذا الزمان يُنْزَع من الإنسان؛ أمَّا فرح التنازُل عن كلِّ عطايا ومجد هذا الزمان، فماذا ينْزعه؟ حينما يبلغ الإنسان حدَّ الفرح الكامل الذي لا يُنْزَع منه، يكون قد بلغ البشارة بالميلاد أو يكون قد صار كملائكة الله المسرورين، حينئذٍ يُعطى ويفيض ولا يكون لفيضه نهاية.

هذا هو سرُّ البشارة المُفرحة، وهذه هي قوَّة الميلاد النابعة أصلًا من سرِّ الإخلاء وقوَّة التنازُل.

ومَنْ هو المولود؟

هذا هو المولود: الغَنيُّ الذي افتقر لكي نستغني نحن بفقره. هذه هي طبيعة المسيح الفائقة في مجدها، الفائقة في اتِّضاعها، الفائضة فرحًا وبهجةً وسرورًا.

حينما يُدرِك الإنسان قوَّة الفقر الكُلِّي والإماتة، حينئذ يُدرك مجد طبيعة المسيح واتِّضاعها، ويرتوي من الفرح النابع من فقرها، ويسقي جميع الناس بالبُشرَى!!

هذا هو سرُّ الفرح الملائكي المُعطَى للناس يوم الميلاد، وهو عينه نقطة الحرج العظمى في حياة المُكرَّسين، لأن سرَّ الفرح الكامل لا ينبع إلَّا من سرِّ الفقر الكامل. فلهذا يُوضَع المُكرَّسون في اختبار لا يُطاق إنْ هُم تنحّوا عن سرِّ الفقر، بمعنى أن يكونوا في تطلُّعٍ نحو مجدٍ بشري أو تأمينٍ لمُستقبَل أو راحة جسد.

لقد أدركت العذراء عُمق هذا الاختبار حينما قَبِلَت بوادر سرِّ الميلاد في أحشائها: «فَقَالَتْ مَرْيَمُ: تُعَظِّمُ نَفْسِي الرَّبَّ، وَتَبْتَهِجُ رُوحِي بِاللهِ مُخَلِّصِي، لأَنَّهُ نَظَرَ إِلَى اتِّضَاعِ أَمَتِهِ» (لو ١: ٤٦ – ٤٨). انظر كيف ربطت هذه القدِّيسة الحاذقة بين القدرة على تعظيم الله بابتهاج وبين الاتِّضاع!! أمَّا سرُّ هذه الرؤية الجديدة الإنجيليَّة في الصميم، فلأنها امتلأت اتِّضاعًا حقيقيًّا أَهَّلها بالفعل للامتلاء بالمسيح!!

فَسِرُّ التسبيح لله ببهجة القلب والروح، لا يؤتَى للإنسان إلَّا من اتِّضاعٍ يختم عليه الله بنفسه!!

ثُمَّ اسْمعها تقول: «أَنْزَلَ الأَعِزَّاءَ عَنِ الْكَرَاسِيِّ وَرَفَعَ الْمُتَّضِعِينَ. أَشْبَعَ الْجِيَاعَ خَيْرَاتٍ وَصَرَفَ الأَغْنِيَاءَ فَارِغِينَ» (لو ١: ٥٢ – ٥٣).

هنا تعود مريم **"الحاملة لمجد الله واتِّضاعه معًا"**، فتُعلِن عن سرِّ الاتِّضاع وسرِّ الشِّبع اللذيْن صارا لها، وانحصار مَعْنيْهما في قبولها المسيح شخصيًّا؛ بمعنى أنَّ حضور المسيح في الإنسان، هو سرُّ الارتفاع وسرُّ الشِّبع!! والذي ليس له المسيح يُنْزَل عن كرسيِّه ويُصرَف فارغًا!!

هنا تُشير مريم العذراء إلى البتوليَّة بلمْحةٍ خفيَّةٍ كحالة جوع مُكرَّس لله لا يلهيه شِبَع جسدي بأيِّ نوع، ولا يصدُّه ألم حتى ينال شِبَعه من الله رأسًا!! فالبتولية جوعٌ حقيقيٌّ دائمٌ نحو الله لا يُشبعه إلَّا حضور الله!!

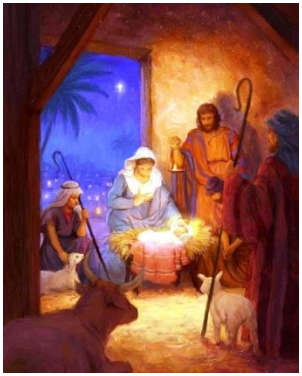
لهذا أحسَّت القدِّيسة مريم البتول، في حلول المسيح في أحشائها، بشِبَع خيراتٍ وجلوسٍ حقيقيٍّ في السماويَّات!! فمريم كملكة ارتفعت بفقرها لتُعيِّر الذين اعتزُّوا بكراسيهم وتعالوا بغِناهم!

هنا إشارةٌ إلى أنَّ ميلاد المسيح هو سرٌّ لا يقبله إلَّا المُنسحقون؛ أمَّا العيون المُتطلِّعة إلى المناصب والكراسي فتُهلِّل للميلاد (في الظاهر والطقس)، ولكن لا تتهلَّل به (في قلوبها).

فالفقير الحقيقي هو فقط مَنْ يفرح للفقر الحقيقي ويُبشِّر به. مَنْ سمع قطُّ أن الغَنِيَّ يفرح بالفقر؟ أو يُبشِّر به؟ فالذين يعظون ويُبشِّرون ويخدمون الميلاد باجتهادٍ، وهم يتطلَّعون في قلوبهم نحو شُهْرةٍ تُؤهِّلهم للكراسي والرئاسات والكرامات والأمجاد الدنيويَّة، هم يُتاجرون بالميلاد كمَنْ يكتب رسالةً عن الفقراء لينال بها الدكتوراه وعلاوة ماليَّة!!

كونوا مُعافين باسم الثالوث الأقدس.

٧ يناير ١٩٦٧م **القمص متى المسكين**



عظة آبائيَّة

تجسُّد كلمة الله

العظة الثانية[1]

للقدِّيس كيرلس الكبير

(٣٧٥ – ٤٤٤م)

النور الحقيقيُّ أشرق علينا:

إنَّ كلَّ قولٍ هو أقلُّ من مجد القدِّيسين وبهائهم، فإنَّهم قد صاروا أنوارًا في العالم، متمسِّكين بكلمة الحياة (في ٢: ١٥، ١٦)، كما هو مكتوب. وعندما يتكلَّمون بالأسرار الإلهيَّة، فليكن من اللَّائق أنْ يُقال لهم من الجميع: «لَسْتُمْ أَنْتُمُ الْمُتَكَلِّمِينَ بَلْ رُوحُ أَبِيكُمُ الَّذِي يَتَكَلَّمُ فِيكُمْ» (مت ١٠: ٢٠). لقد بشَّرونا بيسوع، النُّور الحقيقيّ (يو١: ٩)، والحياة الأبديَّة (١يو٥: ٢٠)، الَّذي نقول له نحن أيضًا، بحسب صوت داود المُبارك: «فَلْتَسْجُدْ لَكَ كُلُّ الأَرْضِ، وَلْيُرَتِّلُوا لَكَ، فَلْيُرَتِّلُوا لِاسْمِكَ، أَيُّهَا الْعَلِيُّ» (مز ٦٥: ٤ س). لأنَّه حين كانت الوصيَّة السَّائدة بواسطة موسى، قبل أن تدخل بشائر الإنجيل، كان الله معروفًا فقط في اليهوديَّة، وفي إسرائيل كان اسمُه عظيمًا (مز ٧٥: ٢). لأنَّ موسى كان ضعيف النُّطق وثقيل اللِّسان (خر ٤: ١٠). فلهذا السَّبب، كان النَّاموس يُسمَع في اليهوديَّة وحدها. ولكن لمَّا أشرق علينا النُّور الحقيقيُّ، الَّذي شاركنا مشاركةً كاملة في الدَّم واللَّحم (عب ٢: ١٤)، بينما هو الله الكلمة، امتلأ كلُّ شيء منه: ففي كلِّ مكان هناك هياكل ومذابح، في كلِّ مكان يوجد مُسبِّحون وساجدون ورعاة صالحون، وقطعان من الخراف العاقلة، تضيق بهم المعابد المقدَّسة بسبب كثرتهم. فقبل ظهور مخلِّصنا على الأرض، كان جنسنا في ضلال، وكانوا يعبدون المخلوق دون الخالق (رو ١: ٢٥)، وكانوا يسجدون لأعمال أيديهم، وكان لكلِّ واحدٍ من

---

(١) العظتان الثَّانية والثَّالثة هما ضمن ٢٢ عظة للقدِّيس كيرلُّس الكبير موضوعة في PG تحت عنوان: Homiliae Diversae (عظات متفرِّقة). وهذه العظة الثانية عنوانها في المخطوطات اليونانية: "عظة قيلت في يوم عيد القدِّيس يوحنا الإنجيلي"، وقد تُرجمت عن النَّصِّ اليوناني المنشور في:

Homilia ii. *Ephesi dicta, in die S. Ioannis Evangelistae*, PG 77, 985-989; CPG 5246; ACO I, 1, 2, p. 94-96, A.J. Festugière, *Ephèse et Chalcédoine, Actes des Conciles*, p. 302-303.

الضِّالّين إلهٌ بحسب تصوُّره.

لكن ظهر لنا، كما قلتُ، الابن الوحيد، كلمة الله، الرَّاعي الصَّالح والحَمَل الحقيقيُّ، الَّذي أنبتته لنا القدِّيسة مريم والدة الإله من أحشاء عذراويَّة، وهو الغصن المُحيي، الإله المتأنِّس، الحرُّ الَّذي أَخَذَ شكل العبد، الَّذي صار مثلنا من أجلنا، بينما هو بحسب ذاته فوق كلِّ الخليقة؛ الَّذي صار في الوضاعة الَّتي لنا، بينما له المجد اللَّائق بالله؛ الَّذي وضع نفسه، بينما هو الجالس مع الآب على العرش؛ الَّذي أخلى ذاته وأفرغها، حتَّى يُضفي من ملئه الخيرات على خاصَّته؛ الذي يَسجُد معنا إنسانيًّا (يو ٤: ٢٢)، بينما يُسجَد له كإله، ليس فقط في الأرض، بل وأيضًا في السَّماوات.

فإنَّه «مَتَى أَدْخَلَ الْبِكْرَ إِلَى الْعَالَمِ يَقُولُ: "وَلْتَسْجُدْ لَهُ كُلُّ مَلاَئِكَةِ اللهِ"» (عب ١: ٦). فمَنْ هو، إذًا، الَّذي أُدخل إلى العالم؟ وبأيِّ طريقة دخل؟ اكشف لنا السِّرَّ، أيُّها الإنجيليُّ، وقُل لنا الآن أيضًا، أيُّها الطُّوباويُّ يوحنا. فقد دُعيتَ ابنَ الرَّعد (مت ٣: ١٧)، صوتك العظيم والعجيب دوَّى في كلِّ ما تحت السَّماء، كلماتك خالدة، والزَّمن والنِّسيان لا يقدران عليها.

الكلمة الَّذي هو الله صار إنسانًا:

ها قد جاءت إليك هذه الجموع الغفيرة من الرُّعاة؛ فدَحْرِجْ لنا الحجر، كما فعل الطُّوباوي يعقوب للرُّعاة (تك ٢٩: ١٠)، واكشفْ لنا بئر الحياة. امنحنا أنْ نستقي الآن من ينابيع الخلاص، بل بالأحرى، قدِّم لنا بئرك الخاصَّ. أمَا سمعناك (يا يوحنَّا الإنجيليُّ) تقول: «فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ. هذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ عِنْدَ اللهِ» (يو ١: ١، ٢). فإنَّنا قد آمنَّا بأنَّ الابن الوحيد، كلمة الله، يستمدُّ من الآب كيانه غير المنطوق به. فأَضِف إلينا الآن، أيُّها الإنجيليُّ، لنسمعك تقول من جديد: «وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا» (يو ١: ١٤).

لم يَصِر "في إنسان"، بل صار جسدًا، أيْ إنسانًا. لقد صار الابن الوحيد كلمة الله إنسانًا، دون أنْ يتخلَّى عن كونه إلهًا، بل في قبوله للجسد بَقِيَ على ما كان عليه. فإنَّ طبيعة الكلمة غير متغيِّرة أو متبدِّلة، ولا تعرف أنْ تتأثَّر بظلِّ دورانٍ (يع ١: ١٧). هذا ما علَّمنا الإنجيليُّ الطُّوباوي أنْ نفتكره، وهو نجمٌ عظيمٌ حقًّا، وساطعٌ جدًّا، نجمٌ نافعٌ للغاية، لا لأولئك الَّذين يعبرون البحر الحسيَّ، بل لتجَّار التَّقوى، عُشَّاق الحقِّ، الَّذين يرغبون في اقتناء إيمانٍ مستقيم لا يضلُّ.

فإنْ أراد أحدٌ أنْ يسير على هذا النَّهج، فليحفظ في ذهنه كلمات اللَّاهوتيِّ الإلهيِّ، كالنَّجم، وهكذا سيتجاوز أمواج الهراطقة المُرَّة. وهكذا سيبلغ ميناءً هادئًا، ويصل إلى الحقِّ، أيْ إلى المسيح، الَّذي له المجد والسُّلطان مع الآب والرُّوح القدس، إلى دهر الدُّهور. آمين.

✠✠✠

الابن الوحيد صار بكرًا لنا

العظة الثَّالثة[٢]

إنَّ النَّبيَّ الطُّوباويَّ إشعياء، أعلن مُسْبقًا بلاغة المعلِّمين المسيحيِّين، قائلًا: «تَسْتَقُونَ مِيَاهًا بِفَرَحٍ مِنْ يَنَابِيعِ الْخَلَاصِ» (إش ١٢: ٣). وها نحن قد استقينا لكم ماءً من ينبوعٍ مُقدَّس، من المعلِّم الَّذي سبقنا (بولس أسقف حمص)، الَّذي باستنارته بمصابيح الرُّوح، كشف لنا السِّرَّ العظيم المهيب، سرَّ مُخلِّصنا، الَّذي به نلنا الخلاص بإيماننا به، والَّذي به تخلَّصنا من عبء الخطيَّة الثَّقيل المُرهق. بل والأكثر من ذلك، به قد كُسرت قيود الموت، فنقول ما ورد في النُّبوَّة: «أَيْنَ أَوْبَاؤُكَ يَا مَوْتُ؟ أَيْنَ شَوْكَتُكِ يَا هَاوِيَةُ؟» (هو ١٣: ١٤؛ ١كو ١٥: ٥٥). وهكذا، فإنَّ الكلمة، الَّذي كان في البدء إلهًا، في حضن الآب، الَّذي به كان كلُّ شيء، وفيه كلُّ شيء كائن، قد احتمل الإخلاء بإرادته من أجلنا، وصار جسدًا، أيْ إنسانًا (في ٢: ٦، ٧).

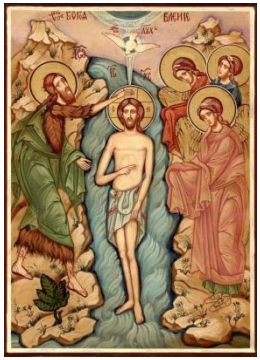
ابن الله الحقيقيُّ صار ابن الإنسان، لنصير نحن أبناء الله بنعمة التَّبنِّي:

لقد «وَضَعَ نَفْسَهُ» من أجلنا، وصار ابن الإنسان، لكي نغتني نحن بأُبوَّة الله الآب بواسطته (٢كو ٨: ٩). فقد تعلَّمنا أنْ نقول في صلواتنا: «أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ» (مت ٦: ٩). وبهذا صار الابن الوحيد بكرًا لنا، لكي نغتني نحن بالَّذي له، كما قلتُ. إنَّه احتمل الصَّليب، مُستهينًا بالخِزي (عب ١٢: ٢)، وأَسلم جسده الخاصَّ للموت طوعًا، ليس لكي يبقى ميِّتًا معنا، نحن الخاضعين للموت، بل لكي يُقيمنا معه، بعد أنْ داس سلطان الموت. فلنشكر، إذًا، الكلمة الَّذي تجسَّد من أجلنا، الآن وكلَّ أوان، وإلى دهر الدُّهور. آمين.

---

(٢) هذه العظة عنوانها في المخطوطات اليونانية: "عظة في شرح ما قيل سابقًا وعن تجسُّد الرَّبِّ، تعقيبًا على ما قاله بولس أسقف حمص". وهذا الأسقف كان قد أُرسِل من قِبَل الأنطاكيين سنة ٤٣٣م للقدِّيس كيرلس، طالبين التصالُح معه. فكرَّمه القدِّيس كيرلس وجعله يعظ قبلًا منه، ثم عقَّب على ما قاله بالعظة الحاليَّة.

Homilia iii. *De Paulo Emeseno* PG 77, 989-992; CPG 5247; ACO I, 1, 4, p. 14sq. A.J. Festugière, op. cit., p. 484-485.





في يوم الأنوار المقدَّس "الإبيفانيا"(١)

العظة التاسعة والثلاثون

للقدِّيس غريغوريوس النِّزينزي

(٣٢٩ – ٣٩٠ م)

✠

المسيح نور العالم، ومعموديَّته سرٌّ إلهيٌّ يبدِّد الظُّلمة:

١ – مرَّةً أخرى سأتكلَّم عن ربِّي يسوع، ومرَّةً أخرى عن أحد أسراره، وهذا السرُّ ليس خداعًا، ولا غير لائق، ولا من ضلال اليونانيِّين وعربدتهم؛ لأنِّي هكذا أدعو أسرارهم، ولستُ أنا وحدي بل أظنُّ أنَّ كلَّ عاقل يشترك معي في ذلك. لكنِّي أتكلَّم عن سرٍّ عالٍ وإلهيٍّ، يرفعنا إلى البهاء الأسمى. فإنَّ **يوم الأنوار المقدَّس**، الَّذي أتينا إليه، واستحقَقْنا أن نُعيِّد له اليوم، يستمدُّ أهمِّيَّته من معموديَّة ربِّي يسوع، الَّذي هو «النُّورُ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي يُنِيرُ كُلَّ إِنْسَانٍ آتِيًا إِلَى الْعَالَمِ» (يو ١: ٩). واليوم هو يصنع فيَّ تطهيرًا، ويُجدِّد ذاك النُّور الَّذي نلناه منه منذ البدء (في المعموديَّة)، إذ أنَّنا طمسناه وشوَّهناه بالخطيَّة.

الصَّوت الإلهيُّ يُعلن الولادة الجديدة واستعادة صورة آدم الأوَّل:

٢ – لذلك أنصتوا إلى الصَّوت الإلهيِّ، الَّذي يُدوِّي فيَّ بقوَّةٍ عظيمة، أنا الَّذي أتعلَّم وأُعلِّم بمثل هذه الأسرار، لعلَّه يُدوِّي فيكم أنتم أيضًا قائلًا: «أَنَا هُوَ نُورُ الْعَالَمِ» (يو ٨: ١٢). ولهذا «تقدَّموا إليه واستنيروا، ووجوهكم لن تخزى» (مز ٣٣: ٦ س)، لأنَّه «قد ارتسم علينا النُّورُ الحقيقيُّ (مز ٤: ٧ س). إنَّه وقت الولادة الجديدة، فلنولَد من فوق. إنَّه وقت تجديد جُبلتنا،

---

(١) العظة التَّاسعة والثَّلاثون، هي ضمن ٤٥ عظة للقدِّيس غريغوريوس النِّزينزي، وترجع أغلبها إلى سنة ٣٧٩ – ٣٨١م حين كان أسقفًا للقسطنطينيَّة. وقد أظهر فيها مهارته الخطابية، إذ نجد فيها كلَّ أدوات البلاغة اليونانيَّة القديمة، ويُعتبر الإيقاع الشِّعري لنثر القدِّيس غريغوريوس هو السَّبب في استخدام فقرات من عظاته في وقتٍ لاحق كأساس لألحان وأشعار كنسيَّة. ونُقدِّم هنا ترجمة الفقرات ١، ٢، ١٤، ١٥، ١٦، ١٧، ٢٠ من هذه العظة عن النَّصِّ اليونانيِّ المنشور في:

PG 36, 336-360, *In sancta lumina (orat. 39)*, CPG 3010. See also, SC 358, p. 150-197, NPNF 2nd Series, Vol. VII.

فلنسترِدَّ صورة آدم الأوَّل من جديد (١كو ١٥: ٤٥). لا نبقَ كما نحن، بل لنعُد إلى ما كنَّا عليه. فالنُّور يُضيء في الظُّلمة (يو ١: ٥)، في ظلمة هذه الحياة وهذا الجسد، والظُّلمة تُطارد النُّور، لكنَّها لا تَقْوَى عليه؛ أقصد القوَّة المُضادة الَّتي تواجه آدم المنظور بوقاحة، لكنَّها سقطت أمام الله وغُلبت. فلنخلع نحن (أعمال) الظُّلمة (رو ١٣: ١٢) ونقترب من النُّور (يو ٣: ٢١)، ثمَّ نصير نحن أنفسنا نورًا كاملًا، أبناءً للنُّور الكامل. أرأيتم نعمة هذا اليوم؟ أرأيتم قوَّة هذا السِّرِّ؟ أَلَا يرفعكم عن الأرض؟ أَلَا يُصيِّركم بوضوح فيما فوق، مرفوعين بصوتنا وندائنا؟ بل وستُرفعون بالأكثر حين يُعضِّد اللوغوسُ نفسُه بقيَّةَ كلامنا.

من الميلاد إلى المعموديَّة، دعوة إلى الطَّهارة والتَّواضع:

١٤ – لقد عيَّدنا للميلاد كما يليق، أنا الَّذي بدأتُ بالعيد، وأنتم أيضًا، مع كلِّ الأرضيِّين وكل ما يفوق الأرض. مع النَّجم أسرعنا (مت ٢: ٨ – ١٠)، ومع المجوس سجدنا (مت ٢: ١١)، ومع الرُّعاة استنرنا (لو ٢: ٩)، ومع الملائكة مجَّدنا (لو ٢: ١٣، ١٤)، ومع سمعان حملناه على أذرعنا (لو ٢: ٢٨)، ومع حنَّة، تلك العجوز الحكيمة، اعترفنا بالتَّمجيد والشُّكر (لو ٢: ٣٨)، لمَنْ جاء إلى خاصَّته كأنَّه غريبٌ (يو ١: ١١)، فإنَّه بهذا قد مجَّد كلَّ غريب. أمَّا الآن فنواجه عملًا آخر للمسيح، وسرًّا آخر، لا أستطيع إزاءه أنْ أضبط فرحي، فالله يُلهمني حتَّى أُبشِّر ولو قليلًا مثل يوحنَّا (مت ٣: ١)، وإنْ لم أكن مثله "السَّابق"، لكنِّي مثله من البرِّيَّة. المسيح يستنير[٢]، فلنستنر معه؛ المسيح يعتمد (مت ٣: ١٦)، فلننزل معه إلى الماء لكي نصعد معه أيضًا. هو ذا يسوع يعتمد، هل نتوقَّف عند هذا؟ أمْ ينبغي أنْ نتفحَّص أيضًا سائر الاعتبارات؟

مَنْ هو الَّذي يعتمد؟ وبواسطة مَنْ يعتمد؟ وفي أيِّ وقت يعتمد؟ الَّذي يعتمد هو كُلِّيُّ الطَّهارة، وهو يعتمد بواسطة يوحنَّا، ويعتمد عند بدء إجرائه الآيات (يو ٢: ١١). فما هي الدُّروس الَّتي نتعلَّمها ونتحكَّم بها مِن هذا؟ أوَّلًا أنْ نُطهِّر أنفسنا، ثمَّ أنْ نتواضع، وأخيرًا أنْ نكرز فقط عند بلوغنا كمال القامة الرُّوحيَّة والجسديَّة. فهنا درسٌ موجَّه إلى الَّذين يتقدَّمون للمعموديَّة بعَجَلَة، دون أنْ يستعدُّوا لها، ودون أنْ يستوثقوا من ثبات فدائهم باتِّجاههم إلى الصَّلاح. فإنْ كانت هذه الهبة (المعموديَّة) – وهي هبة حقًّا – تَمْنَح غفرانًا لِمَا مضى، فإنَّها في الوقت نفسه تستوجب مزيدًا من التَّقوى، لئلَّا نعود إلى القيء ذاته (أم ٢٦: ١١؛ ٢بط ٢: ٢٢). ثمَّ يوجد درسٌ موجَّه إلى الَّذين يرفعون أنفسهم على مدبِّري السِّرِّ، كأنَّ لهم امتيازًا خاصًّا. وثالثًا،

(٢) "الاستنارة" من مُرادفات المعموديَّة منذ عصر الرُّسُل (انظر: عب ٦: ٤؛ ١٠: ٣٢).

درسٌ إلى الَّذين يجرؤون وهم بعد أحداث، فيظنُّون أنَّ كلَّ وقت يليق للتَّعليم أو للرِّئاسة.

يسوع تطهَّر، فهل أنت تحتقر التَّطهير؟ على يد يوحنَّا، فهل أنت تستخفُّ بكارزك؟ وهو ابن الثَّلاثين سنة (لو ٣: ٢٣)، فهل أنت قبل أنْ تنضج تُعلِّم الشُّيوخ، أو تظنُّ أنَّ لكَ القدرة على التَّعليم، وأنت غير مؤهَّل لا من جهة سنِّك ولا من جهة سيرتك؟ قد يقول أحد: هو ذا دانيال (دا ١٣: ٤٥)، أو فلان أو علَّان صاروا قضاة في شبابهم، فهذه الأمثلة على ألسنتكم، لأنَّ الأثيم دائمًا مستعدٌّ للدِّفاع عن نفسه. لكن ليس الاستثناء هو قانون الكنيسة، فإنَّ عصفورًا واحدًا لا يصنع الرَّبيع، كذلك خطٌّ واحدٌ لا يصنع رسمًا هندسيًّا، ولا رحلةٌ واحدةٌ تجعل الرَّجل بحَّارًا.

يوحنا المعمدان أمام المسيح:

١٥ – كان يوحنَّا يُعمِّد، فإذَا بيسوع يتقدَّم إليه ليُقدِّس رُبَّما المعمدان، ولكن الأوضح آدم القديم كلَّه (١كو ١٥: ٤٥) ليدفنه في الماء؛ وقبل ذلك ومن أجل ذلك، ليُقدِّس الأردنَّ نفسه. فكما أنَّه هو روحٌ وجسدٌ، هكذا أيضًا يُقدِّسنا بالرُّوح والماء. لكن المعمدان لم يقبل، وإذ كان يسوع يلحُّ يُجيبه المعمدان: «أَنَا مُحْتَاجٌ أَنْ أَعْتَمِدَ مِنْكَ» (مت ٣: ١٤)، هذا ما يقوله السِّراجُ (يو ٥: ٣٥) للشَّمس (ملا ٣: ٢٠)، الصَّوتُ (مر ١: ٣) للُّوغوس، الصَّديقُ للعريس (يو ٣: ٢٩)، أعظم كلِّ مواليد النِّساء (مت ١١: ١١) لبِكْر كلِّ خليقة (كو ١: ١٥)، الَّذي ارتكض في بطن أمِّه للمسجود له وهو في البطن (لو ١: ٤١)، السَّابق وسيسبق[٣] للآتي وسيأتي: «أَنَا مُحْتَاجٌ أَنْ أَعْتَمِدَ مِنْكَ» (مت ٣: ١٤)؛ ويضيف أيضًا: "من أجلك". فقد كان يعرف أنَّه سيعتمد بالاستشهاد، أو مثل بطرس أنَّه لن يتطهَّر فقط بقدميه (يو ١٣: ٦ – ٨). «وَأَنْتَ تَأْتِي إِلَيَّ؟» (مت ٣: ١٤). قال هذا كنبوَّة، فقد كان يعرف أنَّ بَغْيَ هيرودس (الَّذي قَتَلَ المعمدان: مت ١٤: ٣ – ٥) سيتبعه بَغْي بيلاطس (الَّذي قَتَلَ المسيح)، وهكذا بعد أنْ يسبق وينطلق (المعمدان) سيتبعه المسيح وينطلق. فماذا قال يسوع؟ «اسْمَحِ الآنَ» (مت ٣: ١٥)، فهذا هو التَّدبير. فقد كان يعرف أنَّه بعد قليل سيُعمِّد هو نفسه المعمدان.

لكن ما هو الرَّفش الَّذي في يده (مت ٣: ١٢)؟ إنَّه التَّطهير. وما هي النَّار (مت ٣: ١١)؟ إنَّها إفناء التِّبن، وهي حرارة الرُّوح. وما هي الفأس (مت ٣: ١٠)؟ إنها قطع النفس عديمة الشفاء، حتى بعد أن يوضع لها الزبل (لو ١٣: ٨). وما هو السَّيف (مت ١٠: ٣٤)؟ إنَّه سيف

(٣) المعمدان سبق المسيح في مجيئه إلى العالم، وسيسبقه في الانتقال من هذا العالم.

الكلمة القاطع، الَّذي يُفرِّق الجيِّد من الرَّديء، ويفصل المؤمن من غير المؤمن، ويُثير الابن ضدَّ أبيه، والابنة ضدَّ أُمِّها، والعروس ضدَّ حماتها (مت ١٠: ٣٥)، الجديد والحديث ضدَّ القديم والبالي. وما هي سيور الحذاء الَّتي لا تحلُّها يا مَنْ تُعمِّد يسوع (مر ١: ٧)؟ يا مَنْ تسكن البرِّيَّة، يا غير المُتنعِّم (مر ١: ٦)، يا إيليَّا الجديد (مت ١١: ١٤)، أيُّها الأفضل من نبيٍّ (مت ١١: ٩)، يا مَنْ رأيتَ الَّذي تنبَّأتَ به، أيُّها المتوسِّط بين العهدَيْن القديم والجديد؟ ما هي هذه السُّيور؟ رُبَّما هي موضوع مجيء المسيح في الجسد، وهو قمَّة ما يصعب حلُّه ليس فقط لمَن هم جسديُّون وأطفال في المسيح، بل ولا حتَّى للَّذين هم في الرُّوح مثل يوحنَّا.

يسوع يصعد من الماء، انفتاح السَّماوات وشهادة الآب وحلول الرُّوح القدس:

١٦ – ثمَّ إنَّ يسوع يصعد من الماء (مت ٣: ١٦)، إنَّه يرفع العالم معه. وينظر السَّماوات تنشقُّ (مر ١: ١٠)، تلك الَّتي كان آدم قد أَغْلَقها على نفسه وعلى الَّذين بعدَه، فقد أُغْلِق الفردوس محروسًا بسيفٍ ملتهب (تك ٣: ٢٤). وقد شهد الرُّوح لألوهيَّته (مت ٣: ١٦)، لأنَّ الشَّبيه يندفع نحو شبيهه. ويأتي صوتٌ أيضًا من السَّماوات (مت ٣: ١٧)، فمن هناك كان الشَّاهد. والرُّوح يُرى «بِهَيْئَةٍ جِسْمِيَّةٍ مِثْلِ حَمَامَةٍ» (لو ٣: ٢٢)، فإنَّه يُكرِّم هذا الجسد (جسد المسيح) مُعتبرًا إيَّاه متَّحدًا بالله بالتَّأله. وأيضًا لأنَّ الحمامة معتادة منذ القديم أنْ تُبشِّر بانحلال الطُّوفان (تك ٨: ١١).

أمَّا إنْ كنتَ تقيس الألوهيَّة بالأحجام والمقادير، ولأجل هذا تستصغر الرُّوح لأنَّه ظهر في هيئة حمامة[٤]، أيُّها الصَّغير في حديثك عن أعظم الأمور، فعليك بالتَّالي أن تستصغر أيضًا ملكوت السَّماوات لأنَّه شُبِّه بحبَّة خردل (مت ١٣: ٣١)، وعليك أيضًا أن ترفع العدوَّ أكثر من عظمة يسوع، لأنَّ الأوَّل يُدعى جبلًا عظيمًا (زك ٤: ٧)، ولوياثان (أي ٣: ٨)، ومَلِكًا لكلِّ ما في المياه؛ بينما يُدعى الثَّاني حَمَلًا (يو ١: ٢٩)، ولؤلؤةً (مت ١٣: ٤٦)، وقطرةً (مز ٧١: ٦ س)، وأشياءَ أخرى مثل هذه.

أنواع المعموديَّات، من موسى ويوحنَّا إلى المسيح، ومعموديَّة الدَّم، ومعموديَّة الدُّموع:

١٧ – ولأنَّ عيد المعموديَّة حاضرٌ، ويليق بنا أنْ نُشارك قليلًا في آلام ذاك الَّذي من أجلنا اتَّخذ شكلنا، واعتمد، وصُلب، تعالَوْا لنتأمَّل قليلًا في أنواع المعموديَّات، لكي نخرج مِن هنا

(٤) الكلام هنا موجَّه إلى ناكري أُلوهيَّة الرُّوح القدس، أيْ إلى هرطقة مقدونيوس الَّتي ظهرت في القسطنطينيَّة عندما كان القدِّيس غريغوريوس بطريركًا عليها.

مُطهَّرين. فقد عمَّد موسى، ولكن في الماء (خر ١٧: ٦)؛ وقبل ذلك، في السَّحابة وفي البحر (١كو ١٠: ١، ٢). وكان هذا رمزيًّا، كما يرى القدِّيس بولس: فالبحر رمزٌ للماء، والسَّحابة رمزٌ للرُّوح، والمنُّ رمزٌ لخبز الحياة (اكو ١٠: ٣؛ يو٦: ٣٥)، والشَّراب رمزٌ للشَّراب الإلهيِّ (١كو ١٠: ٤؛ يو٦: ٥٦). وقد عمَّد أيضًا يوحنا، لا على الطَّريقة اليهوديَّة بعدُ، إذْ لم يكن بالماء فقط، بل أيضًا للتَّوبة: «أَنَا أُعَمِّدُكُمْ بِمَاءٍ لِلتَّوْبَةِ» (مت ٣: ١١)؛ لكنَّها لم تكن بعد روحيَّةً تمامًا، لأنَّه لم يُضِف عبارة: "بالرُّوح". وقد عمَّد يسوع أيضًا، ولكن في "الرُّوح" (مت ٣: ١١). وهذا هو الكمال. فكيف لا يكون (الرُّوح) إلهًا – لأجرؤ قليلًا – إذ منه تصير أنت أيضًا مؤلَّهًا؟

وأعرف أيضًا معموديَّة رابعة، هي معموديَّة الشَّهادة والدَّم، الَّتي اعتمد بها المسيح نفسه[٥]، وهي أكرم بكثير من سائر المعموديَّات، لأنَّها لا تتلوَّث بالأوساخ ثانية. وأعرف أيضًا معموديَّة خامسة، هي معموديَّة الدُّموع؛ لكنَّها أشقُّ بكثير، كذاك الَّذي يغسل كلَّ ليلة سريره وفراشه بدموعه (مز٦: ٧)، لأنَّ جراحاته أنتنت بسبب الخطيَّة (مز٣٧: ٦ س). فهو يسير نائحًا، مقتديًا بتوبة منسَّى، واتِّضاع أهل نينوى الَّذين نالوا الرَّحمة (يون ٣: ٥ – ١٠)؛ هو الَّذي ينطق بقول العشَّار في الهيكل، فيُبرَّر أكثر من الفرِّيسيِّ المُتفاخر (لو١٨: ١٣، ١٤)؛ هو الَّذي ينحني مثل الكنعانيَّة، ويطلب الإحسان والفتات، طعام الكلب الجائع جدًّا (مت ١٥: ٢٢ – ٢٧).

معموديَّة المسيح فرحٌ روحيٌّ يقود إلى أنوار الثَّالوث القدُّوس:

٢٠ - فلنُكرِّم نحن اليومَ معموديَّة المسيح، ولنُعيِّد بها حسنًا، لا بتنعيم البطن، بل بأنْ نَفْرَحَ فرحًا روحيًّا. فكيف نتنعَّم؟ «اغتسلوا، كونوا أطهارًا» (إش ١: ١٦ س). «إنْ كانت خطاياكم حمراء كالأرجوان، أُبيِّضها كالثَّلج. وإنْ كانت كالقرمز» (إش ١: ١٨ س)، أو كنتم رجالًا كاملين في سفك الدِّماء (مز ٥: ٧)، فلتبلغوا إلى بياض الصُّوف (إش ١: ١٨). على كلِّ حال، كونوا طاهرين وازدادوا طُهرًا أيضًا. لأنَّه لا شيءَ يُفرِّح الله بقدر ما يفرح بتقويم الإنسان وخلاصه، الأمر الَّذي هو هدف كلِّ حديثنا وهدف كلِّ سرٍّ. لكي تصيروا أنتم «كَأَنْوَارٍ فِي الْعَالَمِ» (في ٢: ١٥)، وقوَّةَ حياةٍ للآخرين من البشر، لكي تظهروا كأنوارٍ كاملة في حضرة النُّور الأعظم، حتَّى تنالوا منه تلقين الاستنارة، مستنيرين بالثَّالوث بصفاءٍ ووضوح أعظم، بعد ما قبلتم الآن بقدر ما تحتملون شعاعًا واحدًا من الألوهيَّة الواحدة، في المسيح يسوع ربِّنا، الَّذي له المجد والسُّلطان إلى دهر الدُّهور. آمين.

---

(٥) «لِي صِبْغَةٌ (βάπτισμα معموديَّة) أَصْطَبِغُهَا (βαπτισθῆναι أيْ أعتمد بها) وَكَيْفَ أَنْحَصِرُ حَتَّى تُكَمَلَ» (لو ١٢: ٥٠).





فوائد قراءات
شهر كيهك المبارك
(٢)

◆✚◆

الأحد الثالث: زيارة القدِّيسة مريم للمُباركة أليصابات (لو ١: ٣٩ – ٥٦):

١ – «لَمَّا سَمِعَتْ أَلِيصَابَاتُ سَلاَمَ مَرْيَمَ ارْتَكَضَ الْجَنِينُ فِي بَطْنِهَا، وَامْتَلأَتْ أَلِيصَابَاتُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ». هذه اللُّقيا عبَّر عنها داود النبي في مزمور القدَّاس: «الرَّحْمَةُ وَالْحَقُّ الْتَقَيَا، وَالعَدْلُ والسَّلاَمَةُ تَلاَثَمَا، الْحَقُّ مِنَ الأَرْضِ أَشْرَقَ وَالعَدْلُ مِنَ السَّمَاءِ تَطَلَّعُ»، لأن الحقَّ الذي في يوحنا المعمدان، الذي به كشف للناس أخطاءهم لكي يتوبوا، ومنهم هيرودس؛ تلاقَى بالرحمة التي في المسيح التي بها افتقدنا المُشرَق من العلاء. كما إنَّ الرحمة التي في يوحنا التي بها فَتَحَ للناس باب التوبة لكي يلتقوا بالمسيح ويخلصوا، تلاقت بالحقِّ الذي في المسيح: "أنا هو الحقُّ"، و"الحقُّ يُحرِّركم".

٢ – «مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ وَمُبَارَكَةٌ هِيَ ثَمَرَةُ بَطْنِكِ! فَمِنْ أَيْنَ لِي هذَا أَنْ تَأْتِيَ أُمُّ رَبِّي إِلَيَّ؟ فَهُوَذَا ... ارْتَكَضَ الْجَنِينُ بِابْتِهَاجٍ فِي بَطْنِي، فَطُوبَى لِلَّتِي آمَنَتْ أَنْ يَتِمَّ مَا قِيلَ لَهَا مِنْ قِبَلِ الرَّبِّ». فثمرة بطن العذراء التي صارت "أُمَّ ربِّي" تُرتِّل لها الكنيسة على فم داود النبي في مزمور عشيَّة قائلة: «الربُّ اختار صهيون ورضيها مسكنًا له. ههنا أسكن لأني أردته، لصيدها أُبارك تبريكًا». وصارت مريم العذراء أول كنيسة على الأرض، أول مسكن لله مع الناس، وقد رمزت إليها خيمة الشهادة التي ذَكَرَها الشهيد استفانوس في فصل الإبركسيس (أع ٧: ٣٥ – ٥٠)، التي كان يتكلَّم فيها الله مع موسى لأجل شعبه في القديم.

كما إنَّ عقدة لسان أليصابات الروحي، هكذا انفكَّت وصارت تقول هذا الكلام بالروح القدس الذي ملأها وذلك لأول مرَّة في التاريخ، تمامًا مثل حماة بطرس حسب إنجيل عشيَّة (مر ١: ٢٣ – ٣١) التي بمجرد أن شفاها الرب «تَرَكَتْهَا الْحُمَّى، فَقَامَتْ وَخَدَمَتْهُمْ». وهو ما يحدث مع كلِّ نفس يشفيها الرب من أمراض خطاياها إن أرادت هي ذلك.

ثم إنَّ إيمان مريم العذراء يتحدَّث عنه فصل البولس (رو ٤: ٤ – ٢٤) قائلًا: «الَّذِي يُؤْمِنُ بِالَّذِي يُبَرِّرُ الْفَاجِرَ، فَإِيمَانُهُ يُحْسَبُ لَهُ بِرًّا»، وأن إبراهيم «أَخَذَ عَلَامَةَ الْخِتَانِ، خَتْمًا لِبِرِّ الإِيْمَانِ ... لِيَكُونَ أَبًا لِجَمِيعِ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ ... وَأَبًا لِلْخِتَانِ لِلَّذِينَ ... يَسْلُكُونَ فِي خُطُوَاتِ إِيمَانِ أَبِينَا إِبْرَاهِيمَ، فَإِنَّهُ لَيْسَ بِالنَّامُوسِ كَانَ الْوَعْدُ لإِبْرَاهِيمَ ... أَنْ يَكُونَ وَارِثًا لِلْعَالَمِ بَلْ بِبِرِّ الإِيْمَانِ».

٣ – **تسبحة مريم:** «تُعَظِّمُ نَفْسِي الرَّبَّ، وَتَبْتَهِجُ رُوحِي بِاللهِ مُخَلِّصِي». فمخلِّص العذراء وإيَّانا، نجده في الإبركسيس مرموزًا إليه بموسى الذي كان مثالًا لعمل الله في ابنه الذي أرسله مُنقِذًا ومُخلِّصًا لنا. والآيات التي أجراها الله بواسطة موسى لأجل شعبه في مصر والبحر الأحمر والبريَّة لمدَّة أربعين سنة، والتي نصوم على غرارها ٤٠ يومًا في صوم الميلاد[1]، منتظرين في نهايتها أن نصل في المسيح إلى كنعان السماويَّة وطننا الحقيقي.

كما إنَّ سعادة العذراء التي عبَّرت عنها بروحها بالله مُخلِّصها، تكشف عن أنَّ ظلمة الخطية والأحزان البشريَّة قد مضت، والنور الحقيقي الآن يُضيء كما يقول الكاثوليكون (١يو ٢: ٧ – ١٧)، وأيَّة بشارة مُفرحة أحلى من هذه؟ لذلك يأمرنا يوحنا الرسول أن لا نحبَّ العالم المُظلم بالخطية، بل بالحري أن نحبَّ الله ونثبت فيه ونحبَّ إخوتنا الذين خلقهم الله على صورته ومثاله.

٤ – «نَظَرَ إِلَى اتِّضَاعِ أَمَتِهِ»: وأيُّ اتضاع أعجب من اتِّضاع المرأة الكنعانية الذي يذكره إنجيل باكر (مت ١٥: ٢١ – ٣١). امرأة غريبة عن رعويَّة شعب الله، ومع هذا فإنَّ إيمانها ولجاجتها واتِّضاعها تُوبِّخنا نحن المؤمنين باسم ابن الله. فقد ظهر إيمانها في طلبها شفاء ابنتها في ثقةٍ عجيبة وفي تكرار طلبها بحرارة، فقد أجبرت بها المسيح الحَمَل الوديع الطَّيِّب الشفوق على إجابة طلبها. وقد وضح اتِّضاعها جدًّا كالشمس عندما كلَّمها الرب بحِدَّةٍ ظاهرية، لكي يكشف لتلاميذه عن عُمق اتِّضاعها: «لَيْسَ حَسَنًا أَنْ يُؤْخَذَ خُبْزُ الْبَنِينَ وَيُطْرَحَ لِلْكِلَابِ، فَقَالَتْ: "نَعَمْ يَا سَيِّدُ. وَالْكِلَابُ أَيْضًا تَأْكُلُ مِنَ الْفُتَاتِ الَّذِي يَسْقُطُ مِنْ مَائِدَةِ أَرْبَابِهَا". حِينَئِذٍ أَجَابَ يَسُوعُ وَقَالَ لَهَا: "يَا امْرَأَةُ، عَظِيمٌ إِيمَانُكِ! لِيَكُنْ لَكِ كَمَا تُرِيدِينَ". فَشُفِيَتِ ابْنَتُهَا مِنْ تِلْكَ السَّاعَةِ». لذلك تقول أيضًا القدِّيسة العذراء مريم: «شَتَّتَ الْمُسْتَكْبِرِينَ بِفِكْرِ قُلُوبِهِمْ. أَنْزَلَ الأَعِزَّاءَ عَنِ

(١) أُضيف إليها في عصر متأخِّر ٣ أيام، وهي الخاصَّة بتذكار معجزة نقل جبل المقطم وفكِّ ضيقة المسيحيِّين في مصر أيام البابا أبرآم بن زرعة (البطريرك الـ ٦٢).

الْكَرَاسِيِّ وَرَفَعَ الْمُتَّضِعِينَ». ولا تحتاج هذه القصة إلى تعليقٍ أو شرح للنَّفْس الجائعة العطشانة إلى أن تتزيَّن بالفضائل لحبيبها ومخلِّصها.

٥ – «وَرَحْمَتُهُ إِلَى جِيلِ الأَجْيَالِ لِلَّذِينَ يَتَّقُونَهُ»: وقد ذَكَرَ هذه الرحمة مزمور باكر: «أَرِنَا يَا رَبُّ رَحْمَتَكَ، وَأَعْطِنَا خَلَاصَكَ، إِنِي أَسْمَعُ مَا يَتَكَلَّمُ بِهِ فِيَّ الربُّ الإِلَهُ، لأَنَّهُ يَتَكَلَّمُ بِالسَّلَامِ لِشَعْبِهِ وَلِقِدِّيسِيهِ».

٦ – «أَشْبَعَ الْجِيَاعَ خَيْرَاتٍ وَصَرَفَ الأَغْنِيَاءَ فَارِغِينَ»، لذلك يقول لنا فصل الكاثوليكون: «لَا تُحِبُّوا الْعَالَمَ وَلَا الأَشْيَاءَ الَّتِي فِي الْعَالَمِ ... لأَنَّ كُلَّ مَا فِي الْعَالَمِ: شَهْوَةَ الْجَسَدِ، وَشَهْوَةَ الْعُيُونِ وَتَعَظُّمَ الْمَعِيشَةِ، لَيْسَ مِنَ الآبِ بَلْ مِنَ الْعَالَمِ. وَالْعَالَمُ يَمْضِي وَشَهْوَتُهُ، وَأَمَّا الَّذِي يَصْنَعُ مَشِيئَةَ اللهِ فَيَثْبُتُ إِلَى الأَبَدِ».

٧ – «عَضَدَ إِسْرَائِيلَ فَتَاهُ لِيَذْكُرَ رَحْمَةً، كَمَا كَلَّمَ آبَاءَنَا. لإِبْرَاهِيمَ وَنَسْلِهِ إِلَى الأَبَدِ». هذه الكلمات تُشير إلى تحقيق النبوَّات بمجيء المسيح. لذلك يذكر فصل الإبركسيس نبوَّة أول الأنبياء موسى: «نَبِيًّا مِثْلِي سَيُقِيمُ لَكُمُ الرَّبُّ إِلهُكُمْ مِنْ إِخْوَتِكُمْ. لَهُ تَسْمَعُونَ».

الأحد الرابع: ولادة يوحنا المعمدان وتسبحة زكريا الكاهن (لو ١: ٥٧ – ٨٠):

١ – سمع الناس أنَّ الربَّ «عَظَّمَ رَحْمَتَهُ لَهَا (لأليصابات)، فَفَرِحُوا مَعَهَا». كما إنَّ المعمدان كان هو ابن موعد، هكذا يذكر فصل البولس (رو ٩: ٦ – ٣٣) أنَّ إسحق كان ابن الموعد: «لأَنَّ كَلِمَةَ الْمَوْعِدِ هِيَ هذِهِ: أَنَا آتِي نَحْوَ هذَا الْوَقْتِ وَيَكُونُ لِسَارَةَ ابْنٌ ... لِكَيْ يَثْبُتَ قَصْدُ اللهِ حَسَبَ الاِخْتِيَارِ لَيْسَ مِنَ الأَعْمَالِ بَلْ مِنَ الَّذِي يَدْعُو». وهذا يُعلِّمنا في حياتنا العمليَّة أن نترك كلَّ أمورنا للربِّ، لأنه «لَيْسَ لِمَنْ يَشَاءُ وَلَا لِمَنْ يَسْعَى، بَلْ للهِ الَّذِي يَرْحَمُ». ولنذكُر هنا أنَّ إنجيل عشيَّة (لو ٨: ١ – ٣) يتكلَّم عن النساء اللائي تبعن الرب وكُنَّ يخدمنه من أموالهن، لنكون مشتاقين أن يُدخِلنا نحن أيضًا في صُحبة هذه النفوس مع أليصابات، ومع النساء اللائي كُنَّ مُخلِصات للربِّ. وفي إنجيل باكر (مر ٣: ٢٨ – ٣٥) نجد أنَّ أليصابات دخلت ضمن عائلة المسيح: «هَا أُمِّي وَإِخْوَتِي، لأَنَّ مَنْ يَصْنَعُ مَشِيئَةَ اللهِ هُوَ أَخِي وَأُخْتِي وَأُمِّي»!

٢ – كان اتفاق أليصابات وزكريا على اسم "يوحنا" دليلًا على أنَّ الذي أملاه عليهما كان هو روح الله، كما إنَّ زكريا امتلأ من الروح القدس فـ «انْفَتَحَ فَمُهُ وَلِسَانُهُ وَتَكَلَّمَ وَبَارَكَ اللهَ ... وَتَنَبَّأَ». لذلك يقول فصل الكاثوليكون (١يو ٢: ٢٤ – ٣: ٣): «وَأَمَّا أَنْتُمْ فَالْمَسْحَةُ الَّتِي

أَخَذْتُمُوهَا مِنْهُ ثَابِتَةٌ فِيكُمْ ... كَمَا تُعَلِّمُكُمْ هذِهِ الْمَسْحَةُ عَيْنُهَا عَنْ كُلِّ شَيْءٍ، وَهِيَ حَقٌّ وَلَيْسَتْ كَذِبًا. كَمَا عَلَّمَتْكُمْ تَثْبُتُونَ فِيهِ».

٣ – **تسبحة زكريا**: «مُبَارَكٌ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ لأَنَّهُ افْتَقَدَ وَصَنَعَ فِدَاءً لِشَعْبِهِ، وَأَقَامَ لَنَا قَرْنَ خَلاَصٍ فِي بَيْتِ دَاوُدَ فَتَاهُ. كَمَا تَكَلَّمَ بِفَمِ أَنْبِيَائِهِ الْقِدِّيسِينَ». هنا يتكلَّم زكريا الكاهن عن مجيء المسيح وحلول الله وسط شعبه الذي مهَّد له يوحنا، وقد التقط هذا المعنى وأبرزه مزمور عشيَّة قائلًا: «الأُمُّ صهيون تقول إن إنسانًا وإنسان صار فيها، وهو العلي الذي أسَّسها إلى الأبد». كذلك مزمور باكر: «فلتفرح السموات ولتبتهج الأرض ... من قدام الربِّ لأنه يأتي».

٤ – «... خَلاَصٍ مِنْ أَعْدَائِنَا وَمِنْ أَيْدِي جَمِيعِ مُبْغِضِينَا. لِيَصْنَعَ رَحْمَةً مَعَ آبَائِنَا وَيَذْكُرَ عَهْدَهُ الْمُقَدَّسَ»، لذلك يقول فصل البولس: «أَمْ لَيْسَ لِلْخَزَّافِ سُلْطَانٌ عَلَى الطِّينِ، أَنْ يَصْنَعَ مِنْ كُتْلَةٍ وَاحِدَةٍ إِنَاءً لِلْكَرَامَةِ وَآخَرَ لِلْهَوَانِ؟ ... لِكَيْ يُبَيِّنَ غِنَى مَجْدِهِ عَلَى آنِيَةِ رَحْمَةٍ قَدْ سَبَقَ فَأَعَدَّهَا لِلْمَجْدِ، الَّتِي أَيْضًا دَعَانَا نَحْنُ إِيَّاهَا». وهكذا صنع لنا خلاصًا هذا مقداره!

٥ – «أَنْ يُعْطِيَنَا إِنَّنَا ... نَعْبُدُهُ بِقَدَاسَةٍ وَبِرٍّ ... وَأَنْتَ أَيُّهَا الصَّبِيُّ نَبِيَّ الْعَلِيِّ تُدْعَى، لأَنَّكَ تَتَقَدَّمُ أَمَامَ وَجْهِ الرَّبِّ لِتُعِدَّ طُرُقَهُ لِتُعْطِيَ شَعْبَهُ مَعْرِفَةَ الْخَلاَصِ بِمَغْفِرَةِ خَطَايَاهُمْ، بِأَحْشَاءِ رَحْمَةِ إِلهِنَا الَّتِي بِهَا افْتَقَدَنَا». فيُذكِّرنا القدِّيس بولس بكلام إشعياء النبي (١٠: ٢٢ و٢٣): «إِنْ كَانَ عَدَدُ بَنِي إِسْرَائِيلَ كَرَمْلِ الْبَحْرِ، فَالْبَقِيَّةُ سَتَخْلُصُ، لأَنَّهُ مُتَمِّمُ أَمَرٍ وَقَاضٍ بَالْبِرِّ».

٦ – «افْتَقَدَنَا الْمُشْرَقُ مِنَ الْعَلاَءِ. لِيُضِيءَ عَلَى الْجَالِسِينَ فِي الظُّلْمَةِ وَظِلاَلِ الْمَوْتِ، لِكَيْ يَهْدِيَ أَقْدَامَنَا فِي طَرِيقِ السَّلاَمِ». وهؤلاء الجالسون في الظلمة كان بعضهم من الأُمم والآخرون من شعب الله. فالأُمم الذين بلا ناموس إلهي أدركوا برَّ الله بإيمانهم بالإله المُتجسِّد لأجلهم، وشعب الله إسرائيل لم يُدرك الله لأنه رفض الإيمان بابنه وافتخر بأعماله الناموسيَّة؛ لذلك فقد اصطدم بحجر الصَّدمة الذي تجسَّد بينهم (أي الرب يسوع): «هَا أَنَا أَضَعُ فِي صِهْيَوْنَ حَجَرَ صَدْمَةٍ وَصَخْرَةَ عَثْرَةٍ، وَكُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ لاَ يُخْزَى» (البولس).

كما يوضِّح الرسول لبني إسرائيل أنَّ أولاد الله – أي المؤمنون به – هم أولاد الموعد الحقيقيُّون، أي النَّسل الروحي لإبراهيم كما يقول الله في هوشع: «سَأَدْعُو الَّذِي لَيْسَ شَعْبِي شَعْبِي، وَالَّتِي لَيْسَتْ مَحْبُوبَةً مَحْبُوبَةً. وَيَكُونُ فِي الْمَوْضِعِ الَّذِي قِيلَ لَهُمْ فِيهِ: لَسْتُمْ شَعْبِي، أَنَّهُ هُنَاكَ يُدْعَوْنَ أَبْنَاءَ اللهِ الْحَيِّ (بحلول ابن الله في وسطهم مُتجسِّدًا)» (رو ٩: ٢٥ – ٢٦؛

هو ١: ١٠؛ ٢: ٢٣).

٧ – «أَمَّا الصَّبِيُّ فَكَانَ يَنْمُو وَيَتَقَوَّى بِالرُّوحِ». هذا الكلام قيل مثله عن الربِّ يسوع (لو ٢: ٥٢)، لأنه كما ذكر فصل الكاثوليكون: «أَنَّ كُلَّ مَنْ يَصْنَعُ الْبِرَّ مَوْلُودٌ مِنْهُ (الله)، اُنْظُرُوا أَيَّةَ مَحَبَّةٍ أَعْطَانَا الآبُ حَتَّى نُدْعَى أَوْلَادَ اللهِ!»، لأنه أمكن ليوحنا المعمدان أن يُشابه مُخلِّصه، لأننا في المسيح صرنا أولادًا لله بمحبة أبيه الصالح لنا، لأنه «إِذَا أُظْهِرَ نَكُونُ مِثْلَهُ» أبناءً ومقبولين ومُخلَّصين ومفديين.

كما يُعطينا فصل الإبركسيس (أع ٧: ٨ – ٢٢) مَثَلَيْن لشخصَيْن بارَّيْن في القديم كانا رمزَيْن للمُخلِّص: يوسف الصِّدِّيق وموسى النبي. فيوسف دبَّر الله أن يكون مُنقِذًا لأهل بيته الذين باعوه بالفضة ولشعبٍ كثير من المجاعة المُهلكة، حتى «دَعَا فِرْعَوْنُ اسْمَ يُوسُفَ "صَفْنَاتَ فَعْنِيحَ" (أي مُخلِّص العالم)» (تك ٤١: ٤٥)، وهكذا صار يسوع (أي المُخلِّص) الذي باعه أحد تلاميذه بالفضة مُنقِذًا ومُخلِّصًا للعالم كلِّه.

أمَّا عن موسى فيقول عنه: «وَكَمَا كَانَ يَقْرُبُ وَقْتُ الْمَوْعِدِ ... كَانَ يَنْمُو الشَّعْبُ وَيَكْثُرُ فِي مِصْرَ، إِلَى أَنْ قَامَ مَلِكٌ آخَرُ لَمْ يَكُنْ يَعْرِفُ يُوسُفَ فَاحْتَالَ هذَا عَلَى جِنْسِنَا وَأَسَاءَ إِلَى آبَائِنَا، حَتَّى جَعَلُوا أَطْفَالَهُمْ مَنْبُوذِينَ لِكَيْ لَا يَعِيشُوا ... وَفِي ذلِكَ الْوَقْتِ وُلِدَ مُوسَى وَكَانَ جَمِيلًا جِدًّا (لأن المسيح كان أبرع جمالًا من بني البشر) ... فَتَهَذَّبَ مُوسَى بِكُلِّ حِكْمَةِ الْمِصْرِيِّينَ، وَكَانَ مُقْتَدِرًا فِي الأَقْوَالِ وَالأَعْمَالِ»، وذلك لكي تكون الآنية صالحةً ومهيَّأةً لأن يستخدمها الله في خلاص وقيادة شعبه الخاص. لله أعدَّه الله ٤٠ سنة في مصر، و٤٠ سنة في البريَّة لإنقاذهم؛ كما أعدَّ الروح القدس ابن الله في البريَّة ٤٠ يومًا ليُنقِذ شعوبًا بأكملها من نِير العبودية الحقيقيَّة!

الختام: أيها الرب «الْمُشْرَقُ مِنَ الْعَلَاءِ»، نُناديك نحن أبناء كنيستك بلسان داود النبي (مزمور القدَّاس) قائلين: "يا جالس على الشيروبيم، اظهر قدَّام أفرايم وبنيامين ومنسَّى، لخلاصك يا الله اردنا، وليُنر وجهك علينا فنخلُص» ... وارضَ، يا رب، على كنيستك في هذه الأيام من أجل أُمِّنا القدِّيسة العذراء مريم في هذا الشهر المُبارك، ومن أجل تسابيح أولادك التي يُقدِّمونها بقلوبٍ بسيطة ونفوسٍ خاشعة.

ملحوظة: هذه القراءات هي ينبوع تعاليم وتأمُّلات عديدة. وهذا المقال ما هو إلَّا توجيهٌ بسيط لنفسك المُشتاقة إلى الشِّبَع من دَسَم هذه المائدة الغنيَّة التي لن تنتهي.



التَّجسُّد الإلهي

المجيء الأول وأزمنة الخلاص

● «وَبِالإِجْمَاعِ عَظِيمٌ هُوَ سِرُّ التَّقْوَى، اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ» (١تي ٣: ١٦).

تمهيد:

كانت البشريَّة كلُّها تَئِنُّ وتتمخَّض، مُترَجِّية ظهور ذلك المُخلِّص، القادر أنْ يَردَّ لها كرامتها ومكانتها ووجودها في حضرة الله، كخليقةٍ مُكرَّمة ومحبوبة عند الله، قد سَبَقَ ونفخ فيها مِن روحه نَسمَة الحياة، ووهبها نِعمة الحياة والخلود؛ لولا عِصيانها لوصيَّته الإلهيَّة وسقوطها، الذي نزع عنها نِعمة الحياة مع الله، واستنشاق روح الحياة الأبديَّة معه.

وطال الزمان، وتَردَّدَ صوت أنين البشريَّة الدائم والمكتوم، برجاء الرجوع والخلاص، وذلك على فم أنبياء الله وعبيده وأتقيائه، على مدى العصور؛ مُتدرِّجًا مِنْ وَمضاتٍ وإعلاناتٍ ونبوَّات، بَدَت أوَّلًا غامضةً، ثمَّ أخذت تُستَعلَن باضطرادٍ وسُرعةٍ وترقُّب، وبرمزيَّاتٍ مُبدِعة لصورة هذا المُخلِّص. ورغم أنَّها كانت على المستوى الزمني والأرضي في بداياتها، إلَّا أنَّها وصلت إلى صورتها الكاملة والإلهيَّة والمُبهِرة، في النهاية، لتُقدِّم لنا أجمل صورة عن ذاك المُخلِّص، القادر أنْ يصنع خلاصًا أبديًّا لكلِّ مُختاريه: «نُورُ إِعْلاَنٍ لِلأُمَمِ، وَمَجْدًا لِشَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ» (لو ٢: ٣٢).

وأخيرًا، كَمَلَ الزمان، وانتهى وقت التَّرقُّب والانتظار لمجيء الرَّبِّ الأوَّل، والذي تحقَّق **بتجسُّده الإلهي**، وولادته في بيت لحم أفراتة. وصار التجسُّد مُفتاحًا لتَدَفُّق كلِّ أسرار خلاص الله، ووعوده الموهوبة للإنسان، واستعلانًا للسرِّ المكتوم عند الآب لخلاص الإنسان من قبل الدهور، وتعبيرًا عن سرِّ محبَّة الآب المكنونة للبشر. بل صار التجسُّد أيضًا، هو العنوان المنظور والمُعلَن أمامنا عن أوَّل مُصالحة ولقاء مُفرِح يحدث بين السماء والأرض.

غاية تجسُّد الرَّب (المجيء الأوَّل):

يُعدُّ التجسُّد الإلهي عنوانًا للمراحم الأبويَّة، والنَّبْعُ المُتدفِّق بكلِّ النِّعَم الإلهيَّة لبني البشر. فبواسطته انفتح لنا باب الخلاص والمُصالحة والحياة الأبديَّة، وتأهَّلنا لحلول الروح القدس، والتَّقَدُّم للاتِّحاد السرِّي بالمسيح في حياتنا.

ويُمكننا إيجاز أهم غايات التجسُّد الإلهي المُتعدِّدة فيما يلي:

١ – مِنْ أجل خلاصنا:

فقد جاء الربُّ يسوع إلى العالم، وتجسَّد في مِلء الزمان، وبُشِّر به فاديًا ومُخلِّصًا على فم الآباء والأنبياء قديمًا، وبواسطة الملائكة؛ كما حدث في بشارة ميلاده. فَبَعد بشارة الملاك للسيِّدة العذراء بميلاد عمانوئيل (الله معنا)، بشَّر الملاك أيضًا يوسف البارَّ بحَبَل العذراء من الروح القدس، لكي يُطمئِن قلبه من جهتها، فقال له عنها: «... فَسَتَلِدُ ابْنًا وَتَدْعُو اسْمَهُ يَسُوعَ. لأَنَّهُ **يُخَلِّصُ شَعْبَهُ مِنْ خَطَايَاهُمْ**. وَهذَا كُلُّهُ كَانَ لِكَيْ يَتِمَّ مَا قِيلَ مِنَ الرَّبِّ بِالنَّبِيِّ الْقَائِلِ: هَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْنًا...» (مت ١: ٢١، ٢٢).

ويكتب القدِّيس لوقا البشير، عن فم الربِّ يسوع قوله: «لأَنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ لَمْ يَأْتِ لِيُهْلِكَ أَنْفُسَ النَّاسِ، بَلْ **لِيُخَلِّصَ**» (لو ٩: ٥٦).

ولذلك يكتب يوحنا البشير قول الربِّ يسوع: «لأَنِّي لَمْ آتِ لأَدِينَ الْعَالَمَ. بَلْ **لأُخَلِّصَ الْعَالَمَ**» (يو ١٢: ٤٧)، والقدِّيس بولس الرسول يشهد عن غاية مجيء الكلمة وتجسُّده، فيقول بالروح: «صَادِقَةٌ هِيَ الْكَلِمَةُ وَمُسْتَحِقَّةٌ كُلَّ قُبُولٍ: أَنَّ الْمَسِيحَ يَسُوعَ جَاءَ إِلَى الْعَالَمِ **لِيُخَلِّصَ الْخُطَاةَ الَّذِينَ أَوَّلُهُمْ أَنَا**» (١تي ١: ١٥).

وفي لقاء سمعان الشيخ مع القدِّيسة مريم ويوسف البار، حَمَلَ سمعان الطفل الإلهي يسوع على ذراعيه وهتف بصوت النُّبوَّة عن **المُخلِّص** قائلًا: «الآنَ تُطْلِقُ عَبْدَكَ يَاسَيِّدُ حَسَبَ قَوْلِكَ بِسَلامٍ، لأَنَّ عَيْنَيَّ قَد **أَبْصَرَتَا خَلَاصِكَ**» (لو ٢: ٢٩، ٣٠).

إذن، فتجسُّد الربِّ كان من **أجل خلاصَنا**[١]، لكي يُحرِّرنا من حُكم الموت وسلطانه، ويُقيمنا خليقةً جديدة مُبرَّرة أمام وجهه مرَّةً أخرى.

---

(١) نحن نُردِّد في قانون الإيمان المسيحي القول: [هذا الذي من أجلنا نحن البشر، **ومن أجل خلاصنا**؛ نزل من السماء، وتجسَّد من الروح القدس، ومن مريم العذراء] (قانون الإيمان).

٢ – من أجل تجديد طبيعتنا، ونَيْل الحياة والخلود:

اتَّضَعَ الربُّ، وأخلى ذاته وتنازل، واشترك معنا في طبيعتنا الضعيفة والفاسدة – ما خلا الخطيَّة وحدها – لكي يُحيينا بروحه المُحيي، ويُقيم طبيعتنا الفاسدة من موت الخطيَّة إلى حياة الروح. فهو قد صار لنا بمثابة "آدم الثاني"، الذي وَلَدَنا بالروح كخليقةٍ جديدة مُؤهَّلة للحياة الأبديَّة، والسُّكنى مع الله. وفَتَحَ لنا – من قِبَل تجسُّده الطاهر وموته وقيامته من أجلنا بهذا الجسد – باب الخلود والحياة الأبديَّة مع الله، وكرَّس لنا بدمه طريقًا نحو السماء، بعد ما حَمَلَ عنَّا في جسده حُكم موتنا، وأقامنا معه بقوَّة لاهوته؛ لأنَّه أَخَذَ الذي لنا وأعطانا الذي له، من جهة الخلود والحياة الأبديَّة، ولم يَعُد للفساد أو الموت أو الخطيَّة سلطانٌ علينا فيما بعد.

٣ – لكي يُعطينا روح البُنوَّة، وميراث البنين:

يشهد يوحنا البشير عن نِعْمة البُنوَّة لله، التي وهبها الربُّ للذين قبلوه وآمنوا به وبتجسُّده الطاهر من أجل خلاصنا، فيقول بالروح: «وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُم سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللهِ، أَيِ الْمُؤْمِنُونَ باسْمِهِ ...» (يو ١: ١٢)، ويقول أيضًا بالروح: «انْظُرُوا أَيَّةَ مَحَبَّةٍ أَعْطَانَا الآبُ حَتَّى نُدْعَى أَوْلاَدَ اللهِ!» (١يو ٣: ١)، وأيضًا: «أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، الآنَ نَحْنُ أَوْلاَدُ اللهِ» (١يو ٣: ٢).

فكلُّ مَنْ قَبِل الربَّ يسوع وآمن بتجسُّده من أجل خلاصنا، فقد نال سُلطانًا ونِعمةً لاستعلانه كابنٍ لله، مُؤهَّلٍ لميراث البنين والحياة الأبديَّة؛ بحسب ما يشهد القدِّيس بولس الرسول بالروح: «فَإِنْ كُنَّا أَوْلاَدًا فَإِنَّنَا وَرَثَةٌ أَيضًا، وَرَثَةُ اللهِ، وَوَارِثُونَ مَعَ الْمَسِيحِ» (رو ٨: ١٧). وبهذه العطيَّة – عطيَّة البنوَّة – التي وهبها لنا المسيح بتجسُّده، يَحِقُّ لنا أن ندعو الله الآب السماوي، بالروح، أبًا لنا قائلين: «يَا أَبَا الآبُ» (رو ٨: ١٥)! وتكون لنا دالَّة عنده، بشفاعة دم ابنه ونِعمة روحه القدوس الساكن فينا.

٤ – استنارة حياتنا وإعدادنا لسُكنى الروح القدس فينا:

صيَّرنا المسيح بتجسُّده واحدًا معه، ورَفَعَ من قدر طبيعتنا الفاسدة، وولدنا بالروح خليقةً جديدة مُقدَّسة، وصيَّرنا أطهارًا بروحه القدوس، وجعلنا هيكلًا مُقدَّسًا لله أبيه، وهيَّأنا لقبول وسُكنى الروح القدس (المُحيي) داخلنا؛ وبذلك فَتَحَ لنا طريقًا مُقدَّسًا نحو السماء، حيث هو جالسٌ بطبيعتنا الجديدة عن يمين عرش الله. وأنار لنا مسيرة حياتنا بنور وصاياه الإلهيَّة، وحوَّل اتِّجاه رجائنا نحوه في السماء كلَّ حين.

فالمسيح بتجسُّده قد أنار لنا طريق الملكوت، حيث يقول: «أَنَا جِئْتُ نُورًا إِلَى الْعَالَمِ، حَتَّى كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِي لا يَمْكُثْ فِي الظُّلْمَةِ» (يو ١٢: ٤٦)، وأيضًا يقول الربُّ يسوع: «أَنَا هَوَ نُورُ الْعَالَمِ، مَنْ يَتْبَعْنِي فَلَا يَمْشِي فِي الظُّلْمَةِ، بَل يَكُونُ لَهُ نُورُ الْحَياةِ» (يو ٨: ١٢)، ويقول الربُّ أيضًا: «مَا دُمْتُ فِي الْعَالَمِ فَأَنَا نُورُ الْعَالَمِ» (يو ٩: ٥). والقدِّيس يوحنا البشير يكتب بالروح: «كَانَ النُّورُ الحَقِيقِي الّذِي يُنِيرُ كُلَّ إِنْسَانٍ آتِيًا إِلَى الْعَالَمِ. كَانَ فِي الْعَالَمِ. وَكُوِّنَ الْعَالَمُ بِهِ، وَلَمْ يَعْرِفهُ العَالَمُ» (يو ١: ٩، ١٠). فالحياة قد أُظهِرت لنا، والنور الحقيقي أضاء علينا من قِبَل مجيء ابن الله الوحيد إلى العالم متجسِّدًا. وصار كلُّ مَن يقبله يكون مُهيّأً لسُكنى الروح القدس بداخله، وإتمام حضور الله الدائم فيه – حسب وعده الصادق – من بعد قيامته وصعوده إلى السموات.

خطورة إنكار الإيمان بتجسُّد الكلمة:

إنْ كان الوعد الكتابي الذي قرَّره لنا الإنجيل، بأنَّ كلَّ الذين قبلوا الكلمة، وآمنوا بتجسُّده، قد أُعطوا سُلطانًا أنْ يصيروا أولاد الله، وأصحاب ميراث البنين؛ فإنَّ هناك فريقًا آخر لا يؤمن أو يُصدِّق هذه النِّعمة والعطيّة التي وهبها الآب لنا، بتجسُّد ابنه. وهؤلاء هم الذين أشار إليهم سمعان الشيخ بروح النُّبوَّة، عندما تكلَّم مع السيِّدة العذراء ومع يوسف في الهيكل قائلًا: «هَا إِنَّ هَذَا قَد وُضِعَ لِسقُوطِ وَقِيَامِ كَثِيرِينَ فِي إِسْرَائِيلَ. وَلِعَلامَةٍ تُقَاوَمُ» (لو ٢: ٣٤). والمعنى السِّرِّي الكامن وراء هذه الكلمات النَّبويَّة، يَتَّضح لنا حينما نُدرِك أنَّ قبول الإيمان بتجسُّد الربِّ قد تباين بين فريقين:

الفريق الأوَّل:

هم مَن هيَّأوا قلوبهم واستعدُّوا لاستقباله، وآمنوا بمجيئه وقبلوه، فاستحقُّوا أنْ يُدعوا أولاد الله – كما سبق ذِكْره – وصاروا مُستحقِّين لنعمته: «أَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللهِ، أَيِ الْمُؤْمِنُونَ باسْمِهِ» (يو ١: ١٢).

والفريق الثاني:

هم مَن أنكروا مجيئه في الجسد، ولم يقبلوا الابن كمُخلِّصٍ وفادٍ لهم، أولئك الذين كتب عنهم يوحنا البشير: «إِلَى خَاصَّتِهِ جَاءَ وَخَاصَّتَهُ لَمْ تَقْبَلهُ» (يو ١: ١١). وهؤلاء قد صار التجسُّد لهم شهادة سقوطٍ ودينونة عليهم؛ لأنَّهم أنكروا مُخلِّصَهم، وأحبُّوا الظُّلمة أكثر من النور. وبسبب كبرياء قلوبهم، انطمست أعينهم عن رؤية طريق خلاصهم، وانطبق عليهم

قول الكتاب: «هذِهِ هِيَ الدَّيْنُونَةُ: إِنَّ النُّورَ قَدْ جَاءَ إِلَى العَالَمِ، وَأَحَبَّ النَّاسُ الظُّلْمَةَ أَكْثَرَ مِنَ النُّورِ» (يو ٣: ١٩).

وعن مثل هؤلاء يُشير يوحنا البشير ويُحذِّر بقوله بالروح: «كُلُّ رُوحٍ لا يَعْتَرِف بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ أَنَّهُ قَد جَاءَ فِي الْجَسَدِ، فَلَيسَ مِنَ اللهِ. وَهَذَا هُوَ رُوحُ ضِدَّ الْمَسِيحِ ... وَمَنْ لَيسَ مِنَ اللهِ لا يَسْمَعْ لَنَا، مِنْ هَذَا نَعْرِفُ رُوحَ الْحَقِّ وَرُوحَ الضَّلَالِ» (١يو ٤: ٣، ٦). ومِنْ كلِّ هؤلاء يُحذِّرنا الربُّ يسوع، ويُلمِّح لعلامات دينونتهم، ويُشير إليهم بقوله: «مَنْ رَذَلَنِي وَلَمْ يَقْبَلْ كَلاَمِي فَلَهُ مَنْ يُدِينُهُ. الْكَلاَمُ الَّذِي تَكَلَّمْتُ بِهِ هُوَ يَدِينُهُ فِي الْيَومِ الأَخِيرِ» (يو ١٢: ٤٨).

كيف نتهيَّأ لاستقبال ميلاد المسيح وقبوله في حياتنا:

١ – بالاتِّضاع:

الإيمان بتجسُّد الكلمة وقبوله يعني الإيمان بسرٍّ عظيم فائق للعقول، هو سرُّ إخلاء الربِّ لذاته، وقبوله الاتِّحاد بطبيعتنا البشريَّة المخلوقة، وهو ما دُعِيَ بـ **"سِرِّ التَّقْوى"**. لذلك فنحن لا نقدر أنْ نقترب مِن إدراك أعماق هذا السرِّ الإلهي العجيب، بدون معونة الروح القدس، وبإخضاع عقلنا البشري – بالاتِّضاع اللائق – برهبة هذا الإخلاء الإلهي المُذهِل، ولنأخذ مثال القدِّيسة العذراء مريم في قبولها لبشارة الحَمْل الإلهي بكلِّ اتِّضاع ونقاوة قلب.

فالمسيح لم يُمسِك بالملائكة، بل بنَسل إبراهيم، ليصنع لهم خلاصًا إلهيًّا. وعليه، فإنَّه بغير اتِّضاع الفكر وقوَّة الإيمان والثقة في الله؛ فإنَّه سيكون من العسير على أيِّ إنسان أنْ يُدرك عظمة سِرِّ التجسُّد العظيم، الموهوب لنا مِن الله، بسبب محبَّته للبشر.

٢ – بالسَّهر والاشتياق والصلاة:

جاءت بشارة جبرائيل الملاك بالحَبَل الإلهي إلى العذراء المُصلِّية في بيتها، فاستقبلتها بروح الاتِّضاع وقوَّة الإيمان وبروح الصلاة والتَّخشُّع والقبول لهذا الإعلان الفائق للعقول، والذي يصعُب على أيِّ إنسانٍ أنْ يقبله ببساطة، فكم بالحري لفتاةٍ صغيرة مثل مريم، ما لم تكن هذه الفتاة قد امتلأت نِعمةً وقداسةً وطُهرًا، بسبب استعداد قلبها وطهارتها، وحياة الصلاة والخشوع والاتِّضاع التي غلَّفت سلوكها وسيرتها، وفي استعدادها القلبي لسماع صوت بشارة الفرح الآتية إليها من السماء وتصديقها! «هُوَذَا أَنَا أَمَةُ الرَّبِّ. لِيَكُنْ لِي كَقَوْلِكَ» (لو ١: ٣٨).

وكذلك استحَقَّ الرُّعاة البسطاء أنْ يفرحوا بظهور الملائكة وبشارتهم لهم، وسماع

تسبيحهم الرائع، لِكَونهم كانوا ساهرين بكلِّ يقظةٍ وإخلاص لحراسة أغنامهم، لذلك صاروا مثالًا لكلِّ راعٍ ساهر في أنَّه سوف يكون على موعد للفرح بمُعاينة ميلاد راعي الخراف العظيم. وأيضًا حَنَّة ابنة فنوئيل مع سمعان الشيخ والآخرين السَّاهرين والعابدين والمُصلّين كلَّ حين في الهيكل بأصوام وتسابيح على الدوام، مُنتظرين ظهور رجاء إسرائيل وتعزيته. هؤلاء نالوا فرح البشارة بميلاد المُخلِّص المُنتَظَر.

ولا ننسى أيضًا المجوس حكماء المشرق الساهرين، والمُطالعين بشغفٍ واجتهاد لذلك النجم المُتعالي في المشرق، بعد ما أَلْهَبَ قلوبهم، وشَغَلَ عقولهم بتذكار نُبوَّة كبيرهم بلعام بن بعور عنه في القديم (العدد ٢٤: ١٧)، فاشتاقوا أنْ يعرفوه وينظروه ويُكرِّموه ويسجدوا له؛ فأسرعوا مُتكبِّدين مَشَاقَّ السَّفَر الطويل لمُعاينة بهاء صاحب هذا النجم، فكان لهم ما أرادوا.

وهكذا كلُّ مَن يشتاق ويسهر ويُصلِّي وينتظر حضور الربِّ واستعلانه بالفرح والتسبيح، لا بدَّ وأنْ يحظى بنصيب الشَّركة ومُعاينة المسيح المُخلِّص في قلبه وحياته.

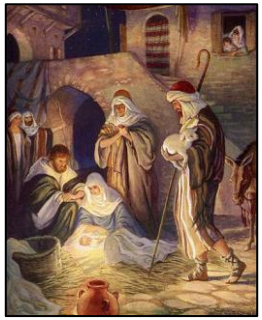
٣ – بالشُّكر والفرح والتسبيح:

قابلت العذراء مريم بشارة حَبَلها بمُخلِّص العالم، وبعطيَّة الله واختياره لها، بكلِّ فرح القلب ورزانة الكلمات، وهتفت بالتَّعظيم والتمجيد لله، ونطقت بترنيمة البهجة والشُّكر والفرح والتَّسبيح، أمام أليصابات نسيبتها؛ مُعطية لنا مثالًا في كيفيَّة قبول نِعَم الله المُتدفِّقة علينا، وبالأكثر نِعمة تجسُّده الطاهر مِنْ أجلنا.

وهذا أيضًا أمرٌ يليق بنا أمام كلِّ عطايا الله وإحساناته علينا، مثل حلول روحه القدُّوس فينا، واتِّحادنا به في سرِّ الإفخارستيَّا المقدَّس، وخلافه.

٤ – بالطهارة ونقاوة القلب:

قال الربُّ يسوع: «طُوبَى لِلأَنْقِيَاءِ الْقَلْبِ لأَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اللهَ» (مت ٥: ٨)، وهكذا استحقَّت العذراء القدِّيسة مريم الطُّوبى، بسبب نقاوة قلبها، بالطهارة والسَّهر والصلاة والإيمان. وصارت هيكلًا مُقدَّسًا مُعَدًّا لحلول كلمة الله بذاته في أحشائها، وأنْ تصير أُمًّا لِمَن أنشأها. وبالمثل نحن أيضًا، عندما نتقدَّم بكلِّ نقاوة القلب والتَّوبة والإيمان والصلاة والاتِّضاع، لنتناول مِن الأسرار المُقدَّسة؛ حينئذٍ، نتأهَّل للاتِّحاد بالمسيح والثبات فيه، ولإضطرام روحه القدُّوس فينا، وسُكناه داخلنا كلَّ حين.



المسيح

شجرة الحياة في عالم الإنسان

تأملات في
سرِّ التَّجسُّد الإلهي

- **من شجرة المعرفة إلى شجرة الحياة:**

في البدء ثبَّت الله السماوات، ورسم دائرة على وجه الغمر. ثبَّت السُّحب من فوق، وشدَّد بكلمته ينابيع الغمر. وضع للبحر حدَّه، فلم تتعدَّ المياه تُخُمه. وفتح ينابيعَ كثيرةَ المياهِ، ورسم أُسس الأرض. وعندما أسَّس الله الأرض، والبراري، وأول أعفار المسكونة (راجع: أم ٨: ٢٢ – ٢٩)، كانت هناك جنَّة، وهناك شجرتان. وفي وسط الجنة كان طريقان، تتقاطع عندهما الحياة بالموت، والطاعة بالعصيان، والمحبة بالاختيار.

غرس الله في وسط الفردوس "شجرة الحياة"، رمزًا للشركة معه، وكانت هناك أيضًا "شجرة معرفة الخير والشر"، رمزًا للحريَّة التي بها يمكن للإنسان أن يحبَّ أو يرفض. لم يُخطئ الإنسان لأنه أراد المعرفة، بل لأنه أرادها دون الله. لقد صدَّق همس الحيَّة القديمة: «**تَكُونَانِ كَاللهِ**» (تك ٣: ٥). ومنذ أن مدَّ يده إلى الثمرة المُحرَّمة، تغيَّر كلُّ شيء. انفتحت عيناه، لا على النور، بل على الظلمة. لا على الله، بل على ذاته العارية. أدرك فجأة أنه تعرَّى من الشركة الإلهيَّة، واكتشف أنه منفصلٌ عن ينبوع النعمة الذي منه كان يستمدُّ وجوده. ومنذ تلك اللحظة، صار يحمل في أعماقه جوعًا لا يُشبع، وعطشًا لا يُروى. جوعًا إلى شجرة الحياة التي فَقَدَها، ومذئذ تدارك أن في داخله فراغًا لا يمتلئ.

ومع أنَّ الإنسان غادر الجنَّة، فإن خالق الجنَّة لم يغادر الإنسان. ومع أنَّ الكاروبيم وقف بسيفه لحراسة طريق شجرة الحياة، إلَّا أن الله كان لديه للإنسان خطة أخرى. قد يظهر أن الحضور الإلهي توارى خلف التاريخ، لكنه لم يختفِ. احتجب الله كثيرًا، لكنه مرارًا وتكرارًا استعلن نفسه بأنواعٍ وطُرُقٍ كثيرة. وفي ملء الزمان، في الأيام الأخيرة، حين صار الصمت البشري صرخةً، تكلَّم الله، لا بحروفٍ منقوشةٍ على حجرٍ، ولا بحبرٍ وقلمٍ على ورقٍ، بل كلَّمنا في ابنه. جَاءَ الْمِيعَادُ، وحان وَقْتُ الرَّأْفَةِ، أَشْرَفَ الله مِنْ عُلوِ قُدْسِهِ. مِن السَّمَاءِ إِلَى الأَرْضِ

نَظَرَ، سمِعَ أَنِينَ الأَسِيرِ، قام ليرحم صِهْيَوْنَ، (راجع: مز ١٠٢: ١٣ – ٢٠). صار الكلمة جسدًا وحلَّ فينا. دقَّ أوتاد خيمته في جذور الطبيعة البشريَّة، وجعل من إنسانيتنا موطنًا لحضوره.

• **كلمة الحياة أُظهرت:**

وهكذا، ظهرت لنا الحياة الأبديَّة، جاء ينبوع الحياة "لِتَكُونَ لَنا حَيَاةٌ وَلِيَكُونَ لَنا أَفْضَلُ" (راجع: يو ١٠: ١٠). بالتّجسُّد ظهرت الحياة الأبديَّة للذين هم **«عَلَى رَجَاءِ الْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ»** (تي ١: ٢). تمَّ الوعد الإلهي، **«وَعْدِ الْحَيَاةِ الَّتِي فِي يَسُوعَ الْمَسِيحِ»** (٢تي ١: ١)، الحياة **«الَّتِي وَعَدَ بِهَا اللهُ الْمُنَزَّهُ عَنِ الْكَذِبِ، قَبْلَ الأَزْمِنَةِ الأَزَلِيَّةِ»** (تي ١: ٢). حياة الله الأزليَّة الأبديَّة، الكائنة في قلب الله قبل تأسيس العالم، كمثال شجرة الحياة التي في وسط فردوسه. هنا دبَّر الله لا في ضعفٍ بل في محبةٍ، ونقل شجرة الحياة نقلًا سرِّيًّا روحيًّا محسوسًا وملموسًا من جنَّة الخلود إلى عالم شقاء الإنسان. "تجسَّدَ الكلمة"، زرع الله شجرة الحياة جديدًا في تربة العالم الساقط. سقاها ورواها بدمه لكي يأكل منها الإنسان ولا يموت.

فبعد ما كان يأكل آدم من ضريبة ثمرة معرفة الخير والشرِّ، كان يفعل الشرَّ الذي لا يريده، واستعصى عليه أن يفعل الخير الذي يريده. لكن في المسيح يسوع، تجدَّدت الخليقة. فالكلمة الذي كان عند الله، والذي به كان كلُّ شيء، صار فينا ينبوع حياة. صار في داخل التاريخ شجرةً جديدة، تنمو لا في أرض عَدْن، بل في أرض الألم، غير مرويَّة بماء الفرات، بل تحمل في جذورها دم الحَمَل، وفي أغصانها ثمار النعمة. هكذا أُعيد فتح الطريق إلى شجرة الحياة. الآن صار الإنسان مدعوًّا لا إلى الهرب من الله، بل إلى الاقتراب منه بثقة.

• **من حواء إلى يوحنا الإنجيلي:**

يفتتح يوحنا الرسول رسالته الأولى بهذه الكلمات: **«الَّذِي كَانَ مِنَ الْبَدْءِ، الَّذِي سَمِعْنَاهُ، الَّذِي رَأَيْنَاهُ بِعُيُونِنَا، الَّذِي شَاهَدْنَاهُ وَلَمَسَتْهُ أَيْدِينَا، مِنْ جِهَةِ كَلِمَةِ الْحَيَاةِ ... ونُخْبِرُكُمْ بِالْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَ الآبِ وَأُظْهِرَتْ لَنَا ...»** (١يو ١: ١ – ٤). بهذا النَّصِّ، يُعيدنا يوحنا إلى بداية القصة. فكلماته تُذكِّر بحوار حواء مع المُضلِّل حين: **«رَأَتِ الْمَرْأَةُ أَنَّ الشَّجَرَةَ جَيِّدَةٌ لِلأَكْلِ، وَأَنَّهَا بَهِجَةٌ لِلْعُيُونِ، وَأَنَّهَا شَهِيَّةٌ لِلنَّظَرِ»** (تك ٣: ٦). يا للمُفارقة! يُوجِّه يوحنا ذهننا الروحي نحو شجرةٍ جديدةٍ – شجرة الحياة التي هي المسيح – ويستعمل نفس المفردات القديمة التي انقلبت معانيها:

يقول: **«الَّذِي سَمِعْنَاهُ»**، بدلًا من سماع حواء لصوت الحيَّة.

يقول: **«الَّذِي رَأَيْنَاهُ»**، فهو أبرع جمالًا من كلِّ شجرةٍ "بَهِجَةٍ لِلْعُيُونِ".
يقول: **«الَّذِي شَاهَدْنَاهُ»**، عِوَضًا عن "شَهِيَّةٍ لِلنَّظَرِ".
يقول: **«الذي لمسناه»**، بدلًا من يد حواء التي امتدَّت إلى الثمرة المُحرَّمة.

لقد لمس يوحنا كلمة الحياة نفسه، واتَّكأ على صدر المُخلِّص في الليلة التي أَسلَم فيها ذاته، لكي يُعيد للإنسان ما فُقِد عند الشجرة الأولى، أي شركة الحياة الأبديَّة مع الله.

الحيَّة زعزعت الإيمان بالكلمة، وأدخلت الإنسان في الشَّكِّ والخوف، أمَّا يوحنا فيُعيده إلى الثقة واليقين، إلى تجربةٍ شخصيَّة حيَّة للكلمة، حيث يصبح السَّمع رؤيةً، والنظر لمسًا، واللمس معرفةً مُحيية. حواء أكلت فأدخلت الموت إلى العالم، أمَّا يوحنا فلم يمدَّ يده إلى ثمرةٍ مُميتة، بل إلى جسدٍ مُحيي. يوحنا اتَّكأ على ينبوع الحياة ذاته.

هناك، في الفردوس، كان الأكل انفصالًا عن الله؛ وهنا، في العشاء الأخير، صار الأكل اتِّحادًا بالله. تبدَّلت الرموز، لكنَّ القصة واحدة. في الفردوس الأول، كان اللمس والرؤية سبب السقوط؛ وفي التَّجسُّد، صار اللمس والرؤية سبيل الخلاص. فجميع الذين لمسوه نالوا الخلاص (راجع: مت ١٤: ٣٦). الإنسان الذي مُنع أن يلمس شجرة الحياة، صار الآن يلمس كلمة الحياة، ويرى المجد الإلهي مُتجسِّدًا في وجه عمانوئيل.

- **من الهروب إلى الشركة:**

بعد السقوط، يقول سِفْر التكوين: **«وَسَمِعَا** (آدم وامرأته) **صَوْتَ الرَّبِّ الإِلهِ مَاشِيًا فِي الْجَنَّةِ عِنْدَ هُبُوبِ رِيحِ النَّهَارِ، فَاخْتَبَأَ آدَمُ وَامْرَأَتُهُ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ الإِلهِ فِي وَسَطِ شَجَرِ الْجَنَّةِ»** (تك ٣: ٨). الخطيئة ولَّدت الخوف والانفصال. الإنسان الذي خُلق للحوار، صار يفرُّ من الصوت الذي كان يملأ قلبه بالطمأنينة، ويختبئ عن وجه المحبة التي كانت تشعل قلبه. أمَّا يوحنا فيكتب: **«لِكَيْ يَكُونَ لَكُمْ أَيْضًا شَرِكَةٌ مَعَنَا. وَأَمَّا شَرِكَتُنَا نَحْنُ فَهِيَ مَعَ الآبِ وَمَعَ ابْنِهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ»** (١يو ١: ٣). ما فُقد في الفردوس من حوارٍ ووجهٍ مكشوف، يُستعاد هنا في الشركة. الإنسان يعود ليمشي مع الله من جديد، لا في رعب، بل في رحب نور المحبة، ويُعانق الله حضورًا حيًّا وشخصيًّا، حيث الكلام والصمت واللمس يصبحون جسورًا للشركة الأبديَّة.

آدم وحواء **«انْفَتَحَتْ أَعْيُنُهُمَا وَعَلِمَا أَنَّهُمَا عُرْيَانَانِ. فَخَاطَا أَوْرَاقَ تِينٍ وَصَنَعَا لأَنْفُسِهِمَا مَآزِرَ»** (تك ٣: ٧). كان هذا رمزًا لستر الإنسان لنفسه، ومحاولته إصلاح ما انكسر بطريقته

الخاصَّة، محاولة ضعيفة لا تمسُّ أصل النعمة ولا تُشبع فراغ القلب. لكن **«صَنَعَ الرَّبُّ الإِلهُ لآدَمَ وَامْرَأَتِهِ أَقْمِصَةً مِنْ جِلْدٍ وَأَلْبَسَهُمَا»** (تك ٣: ٢١)، إشارة إلى النعمة الإلهيَّة التي تأتي من خارج الذات، نعمة تتجاوز جهد الإنسان المحدود وجهاده، نعمة تغطِّي العُري، وتحفظ العلاقة مع الخالق.

- **من الظلمة إلى النور :**

«إِنَّ اللهَ نُورٌ وَلَيْسَ فِيهِ ظُلْمَةٌ الْبَتَّةَ ... وَلكِنْ إِنْ سَلَكْنَا فِي النُّورِ كَمَا هُوَ فِي النُّورِ، فَلَنَا شَرِكَةٌ بَعْضِنَا مَعَ بَعْضٍ، وَدَمُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِهِ يُطَهِّرُنَا مِنْ كُلِّ خَطِيَّةٍ» (١يو ١: ٥، ٧). الإنسان القديم اختبأ من النور، أمَّا الإنسان الجديد فيسكن في النور نفسه. خاط آدم لنفسه أوراق تينٍ ضعيفة، ولكن التَّطهير لا يكتفي بالسَّتر الرمزي، بل بدم ابن الله، فهو الذبيحة التي تُعيد الإنسان إلى حضرة الله دون خوف، وتفتح له طريق الحياة الأبديَّة والطمأنينة الحقيقيَّة، وتجعله يدخل إلى عرش النعمة.

- **من الألم إلى الفرح:**

في سِفْر التكوين **«قَالَ** (الله) **لِلْمَرْأَةِ: "تَكْثِيرًا أُكَثِّرُ أَتْعَابَ حَبَلِكِ، بِالْوَجَعِ تَلِدِينَ أَوْلاَدًا. وَإِلَى رَجُلِكِ يَكُونُ اشْتِيَاقُكِ وَهُوَ يَسُودُ عَلَيْكِ" وَقَالَ لآدَمَ: "لأَنَّكَ سَمِعْتَ لِقَوْلِ امْرَأَتِكَ وَأَكَلْتَ مِنَ الشَّجَرَةِ ... مَلْعُونَةٌ الأَرْضُ بِسَبَبِكَ. بِالتَّعَبِ تَأْكُلُ مِنْهَا كُلَّ أَيَّامِ حَيَاتِكَ ... بِعَرَقِ وَجْهِكَ تَأْكُلُ خُبْزًا حَتَّى تَعُودَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُخِذْتَ مِنْهَا. لأَنَّكَ تُرَابٌ، وَإِلَى تُرَابٍ تَعُودُ"»** (تك ٣: ١٦ – ١٩). دخلت اللعنة، والألم، والعَرَق، والدموع، وأتعاب الحَبَل والوجع. المرأة تتألَّم في الولادة، والرجل يُكافح ليكسب خبزه، والأرض نفسها تحمل لعنة الإنسان، وتنتج له شوكًا وحسكًا. الحياة تصبح معركة، والوجود مشوب بالمُعاناة، والموت يُلوِّح في الأُفق كحقيقةٍ حتميَّة.

أمَّا في الرسالة الأولى ليوحنا الرسول، فيختم الكاتب مقطعه قائلًا: **«وَنَكْتُبُ إِلَيْكُمْ هذَا لِكَيْ يَكُونَ فَرَحُكُمْ كَامِلًا»** (١يو ١: ٤). هنا يتحوَّل الألم إلى فرح، والموت إلى حياة، ويُستعاد الفردوس المفقود ليس في مكان، بل في القلب الذي يسكنه "كلمة الحياة". فما ضاع في البدء من نعيم وسكينة، يُخلَق من جديد في شركةٍ حيَّةٍ مع الله.

يا للمجد!

هنا يظهر سرُّ الله: ما أُغلِق بالسقوط، يُفتح بالنعمة؛ وما خَرَّبه الإنسان بيده، جدَّده المسيح بدمه.



بمناسبة
عيد الظهور الإلهي

معموديَّة ربنا يسوع[1]

مسْحَة المسيح بالروح القدس: بعد معموديَّة الربِّ يسوع، بدأت خدمة التعليم والشفاء، إذ قد كان الربُّ يسوع قد مُسِحَ بالروح القدس: **«رُوحُ الرَّبِّ عَلَيَّ، لأَنَّهُ مَسَحَنِي لأُبَشِّرَ الْمَسَاكِينَ، أَرْسَلَنِي لأَشْفِيَ الْمُنكَسِرِي الْقُلُوبِ، لأُنَادِيَ لِلْمَأْسُورِينَ بِالإِطْلاَقِ ...»** (لو ٤: ١٨ – وقد كان هذا القول مُقتَبَسًا من نبوَّة إشعياء ٦١: ١). معموديَّة الربِّ يسوع كانت مسحة، وبمثابة تكريس للقيام بعمل "مسيَّا، الخادم المُتألِّم".

الشهادة على بُنوَّته لله: يوحنا السابق والصابغ صدَّق على بنوَّة المسيح لله وشهد قائلًا: «أَنَا أُعَمِّدُ بِمَاءٍ، وَلكِنْ فِي وَسَطِكُمْ قَائِمٌ الَّذِي لَسْتُمْ تَعْرِفُونَهُ. هُوَ الَّذِي يَأْتِي بَعْدِي، الَّذِي صَارَ قُدَّامِي، الَّذِي لَسْتُ بِمُسْتَحِقٍّ أَنْ أَحُلَّ سُيُورَ حِذَائِهِ ... هذَا هُوَ الَّذِي يُعَمِّدُ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ» (يو ١: ٢٦، ٢٧، ٣٣). وقال أيضًا شاهدًا: «وَأَنَا قَدْ رَأَيْتُ وَشَهِدْتُ أَنَّ هذَا هُوَ ابْنُ اللهِ» (يو ١: ٣٤). لكن النبي إشعياء نظر من بعيد بعين النبوَّة، فقال عن هذا الممسوح بالروح القدس: «هُوَذَا عَبْدِي الَّذِي أَعْضُدُهُ، مُخْتَارِي الَّذِي سُرَّتْ بِهِ نَفْسِي. وَضَعْتُ (أو سأضع) رُوحِي عَلَيْهِ فَيُخْرِجُ (يُعلِن) الْحَقَّ (أو البرَّ) لِلأُمَمِ» (إش ٤٢: ١).

حضور الله الثالوث: وإذا **بصوتٍ من السماء** يؤكِّد على هذا الحَدَث الفائق على كلِّ ما هو اعتيادي، وفوق كلِّ حَدَثٍ عادي: **«هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ»** (مت ٣: ١٧؛ مر ١: ١١). وهنا كان حضور الله الثالوث: الله بكلمته ابنه الحبيب، وبروحه المُنسكب. وقد أجمعت شهادة البشيرين على الاحتفال بإعلان الثالوث: «فَلَمَّا اعْتَمَدَ يَسُوعُ صَعِدَ لِلْوَقْتِ مِنَ الْمَاءِ، وَإِذَا السَّمَوَاتُ قَدِ انْفَتَحَتْ لَهُ، فَرَأَى رُوحَ اللهِ نَازِلًا مِثْلَ حَمَامَةٍ وَآتِيًا عَلَيْهِ، وَصَوْتٌ مِنَ السَّمَوَاتِ قَائِلًا: "هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ"» (مت ٣: ١٦، ١٧).

❖ وكما استُعلِن الله الثالوث مُعلِنًا ومؤكِّدًا على معموديَّة الربِّ يسوع؛ هكذا صار – فيما بعد –

---

(١) عن كتاب: "تأملات في شخص المسيح الحي"، للمُتنيِّح الأب باسيليوس المقاري (تذكار نياحته ١ يناير)، الطبعة الأولى: ٢٠٢١، من ص ١٩٧ – ٢٠٠.

في إجراء سرِّ المعموديَّة أن يكون باسم الله الآب والابن والروح القدس. وصارت هذه الصيغة المُثلثة التي تُتلَى على المُعمَّد ثلاث مرات، هي علامة وختم شرعيَّة المعموديَّة لكلِّ مُعمَّد.

الروح القدس هو الذي سانَد خدمة الربِّ يسوع:

إنَّ معموديَّة الرب يسوع هي التي أَعلنت أنه "مسيَّا" الموعود به في أنبياء العهد القديم، بالصوت الذي سُمِعَ من السماء: «هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ»، وبالروح القدس الذي استُعلِن عندما نزل مثل حمامة على الابن المُتجسِّد. وبهذا الروح القدس أَكْمَل الربُّ يسوع خدمته بمواهب الروح.

مواهب الروح السَّبع: إنَّ المواهب السَّبع للروح القدس بحسب النبوَّات، كانت مع الربِّ يسوع منذ حلول الروح القدس عليه في معموديته. وهكذا يتنبَّأ النبي إشعياء في العهد القديم: «يَخرج فرعٌ من جذع يسَّى، وينمو غُصنٌ من أُصوله. **روح الرب ينزل عليه،** روح الحكمة والفهم والمشورة، روح القوَّة والمعرفة والتَّقوى، ويبتهج بمخافة الربِّ» (إش ١١: ١، ٢ – الترجمة العربية الجديدة). هذه المواهب: "الحكمة، والفهم، والمشورة، والقوَّة، والمعرفة، والتَّقوى، ومخافة الربِّ"، كانت هي سَنَد الرب يسوع في خدمته. وقد انسكبت هذه المواهب على الكنيسة وتوزَّعت بحسب ما قَسَمَه الروح القدس لكلِّ مؤمن. وفي يوم الخمسين تحقَّق حلول الروح القدس على المؤمنين، ونال المؤمنون بعد حلول الروح المواهبَ النابعة من الروح القدس الحالِّ فيهم (١ يو ٢: ٢٠؛ أع ٢: ١ – ١٣). **ولا يمكن حلول المواهب إلَّا بعد حلول الروح القدس.**

مادة السرِّ وعلامته: "الماء":

الماء هو مادة سرِّ المعموديَّة، كمثل الخمر والخبز اللذين هما مادة سرِّ الإفخارستيا؛ والزيت مادة سرِّ مسحة الميرون وسرِّ مسحة المرضى. ومعموديَّة الربِّ يسوع كانت ضرورية للرب، ليس لكي يتطهَّر من أيِّ شيء لأنه كان بلا خطية؛ بل هي تُقدِّس مياه المعموديَّة للمؤمنين على مدى الأجيال، وكذلك كل الأسرار الكنسيَّة، وهكذا يقول **القدِّيس غريغوريوس اللاهوتي:**

[لقد تعمَّد (الربُّ يسوع) كإنسانٍ، لكنه كان يغفر الخطايا كإلهٍ، ليس لأنه كان مُحتاجًا لتطهير نفسه، بل لكي يُقدِّس مياه المعموديَّة][٢].

هل كانت (المعموديَّة) **ليتطهَّر يسوع أو ليُطهِّر؟** في معموديَّة الربِّ يسوع وحده (لتمييزها

(2) Gregory Nazianzen, *Orat.*, XXXIX; NPNF, 2nd Ser., Vol. VII, p. 308.

عن معموديتنا نحن وكل المؤمنين في كلِّ الأجيال)، كانت مياه معموديته تُشير، لا إلى احتياجه هو للتطهير من الخطية (فقد كان هو بلا خطية)؛ بل بالحري كانت طهارته هو، هي التي تُطهِّرنا نحن من كلِّ خطية.

وهكذا كانت معموديَّة الربِّ يسوع بواسطة يوحنا المعمدان ، ليس للولادة الجديدة له؛ بل كانت للولادة الجديدة للمؤمنين الآتين بعده كل مَنْ يتعمَّد. كما كانت ليشترك مع الخطاة القادمين للمعموديَّة، لينالوا طهارة الربِّ يسوع التي قدَّس بها مياه المعموديَّة وجعلها – بسبب معموديته أولًا – نبعًا للتطهير من كلِّ خطية؛ تمامًا كما كان موته، ليس كعقوبةٍ لخطيةٍ شخصيَّة له؛ **بل أَخضع نفسه للموت ليرفع خطايا العالم، لكي يُميت ويُبيد الموت بموته.**

ويشرح ذلك **القدِّيس أُغسطينوس،** قائلًا:

[كانت المعموديَّة بالنسبة للمسيح، ليست للتطهير من شيء، كما كان موته ليس لأيَّة عقوبة عن شيء ... بل كانت المعموديَّة والموت كلاهما بالنسبة له، ليس كضرورةٍ للرحمة عليه، بل لإظهار رحمته المجَّانية علينا][٣].

❖ وهكذا صارت مياه المعموديَّة لكلِّ الأجيال اللاحقة على معموديَّة الربِّ يسوع، صارت مُقدَّسة بقصد تقديم قوَّة الروح القدس لكلِّ البشريَّة التي تؤمن. والماء، لأنه في الحياة البشريَّة عمومًا، هو ضروريٌّ للنظافة؛ هكذا صار – وبصفةٍ فائقة للطبيعة – أداة للتقديس والبركة والتطهير في سرِّ المعموديَّة، ذا صفةٍ تطهيريَّة للنفس والروح، وكأداةٍ لتوصيل نعمة البنوَّة لله والولادة الروحيَّة الجديدة، ما لم يكن معروفًا في الطقوس اليهوديَّة القديمة. ففي صلوات سرِّ المعموديَّة المقدَّسة، يُصلِّي الكاهن لله أن يجعل المُعمَّد **"حَمَلًا في القطيع المقدَّس للمسيح، عضوًا مُكرَّمًا في الكنيسة الجامعة، إناءً طاهرًا، ابنًا للنور، وارثًا للملكوت. حتى إذا جاهَد كوصايا المسيح، وحَرَس خاتم الروح القدس من أيِّ سارق، وحفظ اللِّباس غير المُضمحل؛ يفوز بطوباويَّة أصفيائك بالمسيح يسوع ربِّنا"**[٤].

■ **تنبيه:** ليس في طقوس وصلوات سرِّ المعموديَّة، في طقس الكنيسة القبطيَّة الأرثوذكسيَّة وسائر الكنائس الأرثوذكسيَّة، أيُّ ذِكْر لِمَا يُسمَّى في الكنائس الغربية (كاثوليكيَّة وبروتستانتيَّة): "الخطيئة الأصليَّة"، والتي نشأت عند هذه الكنائس منذ القرن السادس عشر فقط.

---

(3) Augustine, *Enchiridion* 49; NPNF, 1st Ser., Vol. III, p. 253.

(٤) صلوات سرِّ المعموديَّة، صلوات الخدمات في الكنيسة القبطيَّة الأرثوذكسيَّة، مكتبة المحبة، ص ٣٦.

من
التراث الكنسي



الغطاس
وتبريك المياه[١]

✣✣✣

عنصُرٌ بدائي:

يتحدَّث العلَّامة ترتليان Tertullian عن الماء على أنَّه العنصر البدائي الذي بدأت وظهرت منه الحياة فيقول:

"عليك، أيُّها الإنسان، أوَّل كلِّ شيء أن تُوقِّر وتُبجِّل الآثار القديمة للمياه كعُنصرٍ بدائي ... فعندما بدأت عناصر العالم أن تنتظم، وعندما بدأت في أن تُعطي سُكَّانًا، كانت المياه القديمة هي التي أُمِرَت أن تُخرِج الكائنات الحيَّة. إنَّ المياه القديمة هي التي بعثت الحياة، لذلك لا يجب على أحدٍ أنْ يندهش مِن أنَّ مياه المعموديَّة قادرةٌ أن تهب الحياة" (العظة الثانية على المعموديَّة).

لماذا الماء واسطة للنِّعمة؟

يتكلَّم القدِّيس كيرلس الأُورشليمي عن استخدام الماء كواسطة للنِّعمة فيقول:

"إن كنتَ تريد أن تعرف، لماذا بواسطة المياه وليس عن طريقٍ آخَر تُعطَى النِّعمة؟ فستجد السبب واضحًا من خلال الكُتُب المُقدَّسة. الماء شيءٌ مُدهِش، وهو الأكثر جمالًا في الأربعة عناصر الكونيَّة. السماء مسكن الملائكة، ولكن السموات تكوَّنت من الماء. الأرض مسكن البشر، والأرض أيضًا أتت من الماء. ومِن قَبل الخليقة التي تمَّت في ستَّة أيَّام، كان روح الله يرفُّ على وجه المياه. الماء هو أصل الخليقة، وهو أُردن الكتاب المُقدَّس"

(عظات للموعوظين - PG 33, 433A).

مِن ثمَّ فقد أصبح واضحًا: لماذا أوصى الربُّ أن تستخدم الكنيسة الماء كعلامةٍ للحياة

---

(١) عن كتاب بعنوان:

Homilies from an Orthodox Pulpit, Anthony M. Coniaris.

الإلهيَّة للنِّعمة؟ نحن نخرج من مياه المعموديَّة إلى حياةٍ جديدة، مولودين من الماء والرُّوح. وفي هذه المياه عينها تغرق الطبيعة القديمة وتموت. العنصر الخلَّاق، وأيضًا العنصر الهدَّام في المعموديَّة، يُعبِّران بقوَّةٍ عمَّا يعمله الله لأجلنا في مياه المعموديَّة.

يتكلَّم القدِّيس كيرلس الأُورشليمي في عظاته عن تقديس كلِّ شيء بعماد المسيح، ويقول إنَّ الخليقة كلَّها قد تقدَّسَت بحقيقة أنَّ المسيح نزل إلى مياه الأُردن، وأنَّ الرُّوح القُدُس نزل عليه وعلى المياه في نفس الوقت؛ حيث طرد الشيطان وأبعده، واستخدم المياه كأداةٍ وآلة، والتي من خلالها تولَد الخليقة الجديدة، أي الإنسان الجديد في المسيح.

يكتب القدِّيس يوحنا الأُورشليمي فيقول:

"لذلك، عندما جاء الزمان ليسحق (الربُّ) رأس التِّنِّين، نزل المسيح إلى المياه وربط القوي، لكي ننال نحن السُّلطان أن ندوس الحيَّات والعقارب. لم يكن هذا حيوانًا هيِّنًا، بل كان مُرعِبًا، فقد كان يجلب الموت لكلِّ مَن يُقابله. أمَّا الحياة فقد أتت لتُنقذنا ولكي يُغلَق على الموت في السِّجن إلى الأبد، ولكي نهتف جميعًا قائلين: "أين شوكتُكَ يا موت؟". فبالمعموديَّة انتُزِعَت شوكة الموت".

الخليقة الأولى والخليقة الثانية:

كما أنَّ الرُّوح نزل على المياه في البدء وأنتج الخليقة الأُولى؛ هكذا أيضًا لحظة عماد المسيح في نهر الأُردن، نزل الرُّوح القُدُس في شكل حمامةٍ ورفَّ على المياه ليلِد منها الخليقة الجديدة؛ حيث تجدَّدَت صورة الإنسان على صورة الله. ففي هذه الخلقة الجديدة الثانية، يولَد الشَّخص المُعمَّد جديدًا في المياه التي تقدَّسَت بصلاة الاستدعاء، والنتيجة هي خليقةٌ جديدة وتجديدٌ للخلقة الأُولى.

عيد الإبيفانيا Epiphany أو عيد الثيئوفانيا Theophany:

معنى كلمة: "إبيفانيا" اليونانيَّة يُعبَّر عنه بـ: "عرض أو إعلان" عن الله. أمَّا كلمة: "ثيئوفانيا" فلها تعبيرٌ أقوى يعني: "ظهور الله". إنَّ معموديَّة المسيح في نهر الأردن هي إعلان الله المُثلَّث الأقانيم للعالم، حيث أعلن الله عن ذاته أنَّه: "آب وابن وروح قُدُس". في العماد أُظهِر الثالوث القدُّوس واضحًا: فالآب يشهد من الأعالي لبنوَّة الابن بقوله: «هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ»، كما أن الرُّوح القُدُس يظهر بهيئة حمامة نازلة

من عند الآب ومُستقرَّة على الابن. ومِن ثمَّ، ففي عيد الظهور الإلهي يُعلِن الله عن ذاته في كماله: **"الآب في محبَّته، والابن في فدائه، والروح القدس في حياته داخلنا".**

تقول إحدى الصلوات في هذا العيد مُعبِّرة عن الثالوث القدُّوس:

"أيُّها الابن الوحيد عندما اعتمدتَ في الأردن، أُظهِر سرُّ الثالوث.
فصوتُ الآب شهد لك، ودعاك ابنه الحبيب.
والرُّوح القُدُس في شكل حمامة، صدَّق على كلامه أنَّه أكيدٌ وثابت.
أيُّها المسيح إلهنا،
يا مَنْ ظهرتَ وأنرتَ العالم،
المجدُ لك".

تجديد المعموديَّة:

نحن مدعوُّون في عيد الظهور الإلهي أن نُؤكِّد ثانيةً معموديَّتنا الخاصَّة، لأنَّه توجد علاقةٌ وثيقة مُحكَمَة بين عماد الرَّبِّ يسوع في عيد الظهور الإلهي وبين عمادنا. وبهذا الصَّدد يكتب الأسقف كاليستوس وير فيقول:

"في معموديَّة المسيح على يدَي يوحنا المعمدان، تمَّ مُسْبَقًا تجديد عمادنا سَلَفًا. إنَّ الاحتفال المُتكرِّر بالإفخارستيَّا هو اشتراكٌ في ذبيحة المسيح الواحدة الوحيدة الفريدة التي قدَّمها في العشاء الأخير، وبالمثل تمامًا تكون معموديَّتنا الشخصيَّة شركة في معموديَّة المسيح. إنَّها الواسطة التي بها: "نعمة الأردن" تمتدُّ، حتى يمكن لكلِّ واحدٍ أنْ ينال نصيبه منها شخصيًّا، وكدليلٍ على أن معموديَّة المسيح لها علاقةٌ وثيقة بمعموديَّتنا. فعلينا أنْ نُلاحِظ أنَّ الصلوات التي تُتلَى على سرِّ تبريك المياه في عيد الثيئوفانيا، هي مُطابقة بالأكثر لصلوات البَرَكة التي تُقال على جُرْن المعموديَّة عند العماد".

عيد الميلاد وعيد الغطاس في الكنيسة الأُولى:

إلى نهاية القرن الرابع الميلادي تقريبًا، كانت أغلب الكنائس تُعيِّد عيد ميلاد المسيح ومعموديَّته في نفس اليوم، وكان العيد الواحد يُسمَّى "عيد الإبيفانيا"، وكان التَّعليل المنطقي وراء هذا، هو أنَّ كِلَا العيدَيْن يُعلِنان أُلوهيَّة المسيح للعالم. ميلاد الابن يُبيِّن أن الكلمة صار جسدًا، بينما العماد يُظهِر الثالوث القدُّوس.

حدث أيَّام القدِّيس يوحنا ذهبي الفم أن انفصلت المناسبتان من أجل تقوية المفهوم الخاص لكلٍّ من العيدَيْن.

ففي إحدى عظات القدِّيس يوحنا ذهبي الفم التي علَّم بها في مساء عيد الميلاد عام ٣٨٦م، يذكر أنَّه منذ سنواتٍ قليلة مضت، بل وفي حياته أيضًا،كان يُعيَّد بالعيدَيْن معًا.

ويذكر القدِّيس ذهبي الفم أنَّ مِن ضِمن أسباب فصل العيدَيْن حقيقة أنَّ المسيح أثناء معموديَّته، قد أعلَن نفسه لكلِّ إنسان؛ بينما في ميلاده ظهر في صورةٍ مخفيَّة.

فيقول القدِّيس يوحنا ذهبي الفم:

"ليس يوم ميلاد المسيح هو الذي يجب أن يُسمَّى الإبيفانيا، ولكن هو يوم عماده الذي يجب أن يُسمَّى هكذا. لم يُعرَف المسيح عند ميلاده للجميع، ولكن عند عماده صار معروفًا من الجميع، فقبل عماده لم يكن معروفًا للشعب".

(Orat. XV - ١٥ عظة)

الحمامة كرمز:

يتكلَّم القدِّيس يوحنا ذهبي الفم عن الحمامة فيقول:

"لذلك ظهرت الحمامة أيضًا، لا حاملة غُصْن زيتون، ولكن لتُشير لنا إلى مُخلِّصنا الذي يُنْقذنا مِن كلِّ الشرور، وموعزةً لنا بالرجاء الثمين، لأنَّها لم تُخلِّص كما في الطوفان ثمانية أنفس فقط، ولكنَّها توجِّه العالم كلَّه إلى السماء عند ظهورها؛ وعِوَضًا عن غُصْن سلام من زيتون، تُوَصِّل نعمة التَّبنِّي لكلِّ ذُرِّيَّة البشريَّة على العموم".

****

صَدَرَ حديثًا

مُجلَّد

مجلة مرقس ٢٠٢٥م

(عن الشهور من يناير – ديسمبر ٢٠٢٥م؛

ما عدا شهرَي يوليو وأغسطس ٢٠٢٥م، وهما العطلة السنويَّة للمجلة)

****

بحث تاريخي

أهم أديرة وكنائس القدِّيس مار جرجس القبطيَّة الأثريَّة

(٣)

الأستاذة الدكتورة/ شيرين صادق الجندي
أستاذ الإرشاد السياحي والآثار والفنون القبطيَّة
بكلية الآداب – جامعة عين شمس

١٦ – دير القدِّيس مار جرجس بطره:

بُنِيَ هذا الدير القديم على ضفة شاطئ نهر النيل في كوتسيكا بطره[١]. وهُدِمَت كنيسة الدير بعد إنشاء كورنيش النيل. ثم شُيِّدت كنيسة حديثة في شرق الكورنيش يوجد بها حاليًّا حامل أيقونات أثري وأيقونات ومخطوطات من القرنين الثامن عشر والتاسع عشر الميلاديَّين. ويُعتَقَد أنه تمَّ العثور عليها في الكنيسة القديمة التي كانت موجودة في نفس المكان، والتي وَرَدَ ذِكْرها في مؤلَّفات كلٍّ من أبي المكارم والمقريزي، كما ذكرها بعض علماء الحملة الفرنسيَّة الذين كتبوا عنها في كتاب Description de l'Égypte (وصف مصر). وكلُّ هذه التُّحَف الأثريَّة محفوظة حاليًّا في الدور الأرضي بالكنيسة الحديثة.

١٧ – كنيسة القدِّيس مار جرجس بأبي صير الملق:



(الشكل رقم ٨) كنيسة القدِّيس مار جرجس بأبي صير الملق. نقلًا عن: http://www.facebook.com/RemonElcomosTomaTomas/

شُيِّدت هذه الكنيسة على بُعْد ما يقرب من ستة عشر كيلومترًا في الناحية الشمالية الشرقية من الموقع الأثري اللاهون بالفيوم على حدود القرية، وبالقرب من بعض المواقع الأثريَّة المصريَّة القديمة، والتي أعاد الأقباط استعمال بعض مقابرها ككنائس وكجبَّانات[٢] **(الشكل رقم ٨)**. ويرجع مبنى كنيسة القدِّيس مار جرجس بأبي صير الملق إلى القرن التاسع عشر الميلادي. وهي تتكوَّن من ثلاثة هياكل شرقية تعلوها

(١) الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٢٢.
(٢) الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٣٦.

قبابًا ترتكز على كوابيل. ويحتوي صحن الكنيسة أيضًا على دعامتَين، وهو مُغطًّى بسقف مُسطَّح. كما توجد قبَّة أعلى الخورس أمام الهيكل. وبداخل الكنيسة مجموعة متنوعة من الأيقونات لبعض القدِّيسين والشهداء الأقباط، وكذلك مجموعة هامة من المخطوطات التي تتنوَّع أحجامها وزخارفها.

١٨ – دير القدِّيس مار جرجس بسدمنت الفيوم:



(الشكل رقم ٩) دير القدِّيس مار جرجس بسدمنت الفيوم. نقلًا عن: https://www.facebook.com/100063595185682/posts

على الحدود بين محافظتَي بني سويف والفيوم، تمَّ تشييد دير القدِّيس مار جرجس بين الأراضي الزراعية الخضراء والصحراء الواسعة في قرية سدمنت الجبل التي تتبع مركز إهناسيا المدينة في محافظة بني سويف[٣]، وبالتحديد على الضفة الغربية والشاطئ الغربي لبحر يوسف الذي يبعد عن بندر بني سويف بحوالي ثلاثة وعشرين كيلومترًا **(الشكل رقم ٩).** وفيما سبق، كان هذا الدير تابعًا لإيبارشية كرسي الفيوم. وَرَدَ ذِكْر دير القدِّيس مار جرجس بسدمنت الفيوم في كثير من المصادر التاريخية، لعلَّ أقدمها يرجع إلى النصف الأول من القرن الثالث عشر الميلادي. وكان هذا الدير عامرًا بالرهبان الذين يرجع الفضل إليهم في ترتيب كتاب البصخة وترتيب فصوله المختلفة. ومن أهم رهبان هذا الدير القدِّيس الأنبا بطرس السدمنتي الذي كتب كثيرًا من المؤلَّفات في العلوم اللاهوتية. وبالدير الذي يتوسَّط المدافن كنيسة واحدة لها مدخلان في الناحية الغربية، وبها صحن وثلاثة هياكل دائرية الحنايا. ويعلو الكنيسة قباب وأنصاف قباب ترتكز على حنايا ركنية وكوابيل ودعامات. وفي البطريركية القبطيَّة بالقاهرة، يوجد مخطوط عربى Theology 13 نَسَخَه في عام ١٨٤٩م إسحق الكاهن، وكان من دير القدِّيس

(3) J.M. Vansleb, *Histoire de l'Église d'Alexandrie*, Paris, 1677; E. Amélineau, *La géographie de l'Égypte à l'époque copte*, Paris, 1893; G. Salmon, «Répertoire géographique de la province du Fayyoûm d'après le Kitâb Târikh al–Fayyoûm d'an–Nâboulsi», *Bulletin de l'Institut français d'archéologie orientale* 1, 1901, pp. 29–70; L. Villecourt, «Les observances liturgiques et la discipline du jeûne dans l'Église copte », *Le Muséon* 37, 1924, 232; N. Abbot, *The Monasteries of the Fayyum, Studies in Ancient Oriental Civilization 16*, Chicago, 1937; P. Van den Acker, *Butrus as–Sadamenti. Introduction sur l'herméneutique*, Recherches, n. s., fasc. B1, Beirut, 1972; J. Muyser & G. Viaud, *Les pèlerinages coptes en Égypte*, Bibliothèque d'études coptes 15, Le Caire, 1979, 43–44; R.G. Coquin & *Maurice Martin S.J*, «Dayr Mar Jirjis (Sadamant–Fayyum)», *CoptEnc*., vol.3, New York, 1991, 831a–831b.

مار جرجس بسدمنت.

١٩ – كنيسة القدِّيس مار جرجس بإشنين النَّصارى:

شُيِّدت هذه الكنيسة في قرية إشنين النَّصارى في محافظة المنيا على بُعْد تسعة كيلومترات في الناحية الغربية من مغاغة **(الشكل رقم ١٠/أ – ب)**[٤]. وتخطيط الكنيسة مستطيل الشكل. وفي الناحية الشرقية منها، توجد الثلاثة هياكل التقليدية ويعلوها ثلاث قباب. كما توجد تسع قباب أخرى تغطي صحن الكنيسة التي تُعدُّ واحدة من أقدم الكنائس في مركز مغاغة. وعُثِر على بئر قديم في شمال فناء كنيسة القدِّيس مار جرجس بإشنين النَّصارى، حيث يعتقد البعض أنَّ العائلة المقدَّسة قد ارتوت منه قبل أن تتوجَّه إلى الدير المحرق بأسيوط.



(أ)



(ب)

(الشكل رقم ١٠/أ - ب) كنيسة القدِّيس مار جرجس بإشنين النَّصارى من الداخل ومن الخارج. نقلًا عن:
https://www.facebook.com/karas2022karas/posts

٢٠ – كنيسة القدِّيس مار جرجس بصنبو:

على بُعْد ما يقرب من ثمانية كيلومترات في جنوب ديروط بأسيوط[٥] **(الشكل رقم ١١)**، بُنِيَت كنيسة القدِّيس مار جرجس داخل أحد الشوارع الضيِّقة في بلدة صنبو في نفس موقع الكنيسة القديمة لهذا القدِّيس وبنفس التخطيط المعماري. وبداخل الكنيسة التي أشار إليها كلٌّ من أبي المكارم والمقريزي، بعض الأيقونات الأثريَّة وكذلك حامل أيقونات خشبي قديم ومُطعَّم.



(الشكل رقم ١١) كنيسة القدِّيس مار جرجس بصنبو. نقلًا عن:
https://www.facebook.com/100066535285996/posts

(٤) الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٣٨.
(٥) الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٥٩.

٢١ – كنيسة القدِّيس مار جرجس ببني مُر بأسيوط:

توجد هذه الكنيسة صغيرة الحجم على بُعد ثمانية كيلومترات في الناحية الشمالية لمحافظة أسيوط، حيث بُنِيَت في قرية بني مُر شرق النيل على الطريق المؤدِّي إلى أبنوب[٦] **(الشكل رقم ١٢/أ – ب).** ويبدأ تخطيط هذه الكنيسة مربعة الشكل تقريبًا في الناحية الغربية بصالة مُستعرضة narthex بها باب خاص بالسيِّدات، ويليها صحن به عمودان ودعامة ثم ثلاثة هياكل شرقية، كما هو الحال في أغلب الكنائس القبطيَّة المؤرَّخة من هذه الفترة التاريخية. وعُثِر داخل كنيسة القدِّيس مار جرجس ببني مُر على حامل أيقونات خشبي مُطَعَّم وقديم، بالإضافة إلى بعض الأيقونات البديعة. وفي يوم ٢٣ من شهر برمودة / الأول من شهر مايو من كلِّ عام، يتمُّ الاحتفال في هذه الكنيسة بعيد القدِّيس مار جرجس، وكذلك في يوم الأول من هاتور / ١٦ نوفمبر.



(ب)



(أ)

(الشكل رقم ١٢/أ - ب). كنيسة القدِّيس مار جرجس ببني مُر بأسيوط من الداخل ومن الخارج. نقلًا عن: https://copticabnoub-stmina.org/2022/01/27

٢٢ – كنيسة القدِّيس مار جرجس بالصوامعة شرق أخميم:

بُنِيَت كنيسة القدِّيس مار جرجس في جنوب كنيسة القدِّيس الأنبا باخوم وأخته ضالوشام. وهي واحدة من الكنائس الحديثة في مدينة أخميم. وتؤرَّخ هذه الكنيسة من القرن التاسع عشر الميلادي، ومثلها مثل كنائس مدينة أخميم[٧] حيث يوجد بها قبَّة أمام هيكلها الأوسط ذي التخطيط نصف الدائري. واكتُشِف بداخل هذه الكنيسة حامل أيقونات خشبي أثري، وكذلك بعض الأيقونات النادرة. **(يتبع)**

---

(٦) الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٦٧.

(٧) الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٨٢؛ شيرين صادق الجندى، "أديرة وكنائس أخميم الأثريَّة (١–٢)"، مجلة مار مرقس، العدد (٦٤٤)، مطبوعات دير الأنبا مقار، وادى النطرون (مايو ٢٠٢٣)، ص ٣٩–٤٢؛ والعدد (٦٤٦)، (سبتمبر ٢٠٢٣)، ص ٤٦–٥٠.



الأدلَّة
على وجودِ الله وظهورهِ[١]
تأليف: د. سهيل مدانات
(٢)



تناولنا في العدد السابق (ديسمبر ٢٠٢٥، صفحة ٤٦) ما يقوله هذا الكتاب عن النظرات الكونيَّة المختلفة للحياة. وهل يوجد إلهٌ خلفَ هذا الكون يراني ويرعاني؟ أم أنا أهيم وحدي في هذا الكونِ الأصمِّ؟ وإن وُجِدَ إله؛ فما طبيعته؟ هل حياتنا تنتهي بموتنا؟ أسئلة كثيرة ناقشها الكاتب في الجزء الأول من هذا الكتاب. وفي الجزء الثاني من الكتاب، وهو عن الأدلَّة على وجود الله، يُبحر الكاتب بنا في بحار ما لها شطآن في مجالاتٍ مختلفة لتأكيد هذا الوجود.

دليلٌ منطقيٌّ: يأخذ هذا الدليل التَّسلسُل المنطقي الآتي:

١) **هناك مُسبِّب لكلِّ ما له بداية.** هذه فرضيَّة بديهيَّة، وذلك بالحدس والمنطق والتجربة العلميَّة. فهناك مُسبِّب لكلِّ شيء يحدث أو يبدأ. لا شيء يأتي من لا شيء، أي من العدم.

٢) **للكون بداية، بدليل استحالة أزليَّته.** فلو كان الكون أزليًّا لوجب أنْ يكون قد استنفد طاقته منذ زمان. فها نحن نرى ملايين النجوم التي ما زالت تحترق وتملأ أرضنا بطاقةٍ هائلة من حرارة وضوء. معنى هذا أنَّ ما مرَّ من زمنٍ لم يستنفد كلَّ طاقته، أي إنَّ الكون ذو عمرٍ محدود.

٣) **إذًا، يوجد مُسبِّب للكون.** لا يمكن أن يكون الكون أزليًّا، **للكون بداية، ما له بدايةٌ له مُبدِئ.**

توكيدٌ إلهيٌّ:

+ «لأَنَّ أُمُورَهُ غَيْرَ الْمَنْظُورَةِ تُرَى مُنْذُ خَلْقِ الْعَالَمِ مُدْرَكَةً بِالْمَصْنُوعَاتِ» (رو ١: ٢٠).
+ «ارْفَعُوا إِلَى الْعَلاَءِ عُيُونَكُمْ وَانْظُرُوا، مَنْ خَلَقَ هذِهِ؟ مَنِ الَّذِي يُخْرِجُ بِعَدَدٍ جُنْدَهَا، يَدْعُو كُلَّهَا بِأَسْمَاءٍ؟ لِكَثْرَةِ الْقُوَّةِ وَكَوْنِهِ شَدِيدَ الْقُدْرَةِ لاَ يُفْقَدُ أَحَدٌ» (إش ٤٠: ٢٦).
+ «وحَامِلٌ كُلَّ الأَشْيَاءِ بِكَلِمَةِ قُدْرَتِهِ» (عب ١: ٣).

نستنتج من هذا بأنَّ هذا المُبدِئ هو كيانٌ شخصيٌّ، ذو عقل يُفكِّر ويُخطِّط ويقصدُ ويحسُّ ويشعرُ ويُقيم علاقة شخصيَّة بغيره. وهو خلق الإنسان ليكونَ هو أيضًا كيانًا شخصيًّا ذا عقلٍ يُفكِّر ويُخطِّط ويحسُّ ويشعر ويُقيم علاقة اجتماعيَّة بغيره: «وَقَالَ اللهُ: "نَعْمَلُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِنَا كَشَبَهِنَا" ... فخَلَقَ اللهُ الإِنْسَانَ عَلَى صُورَتِهِ. عَلَى صُورَةِ اللهِ خَلَقَهُ» (تك ١: ٢٦، ٢٧).

---

(١) الكتاب صادر عن دار منهل الحياة بالشراكة مع دار الثقافة، طبعة أولى: بيروت ٢٠٢٥. يقع الكتاب في ٥٤١ صفحة من القَطْع الكبير.

دليلٌ تصميميٌّ:

عندما ترى كومة حجارة مُلقاةً دون أيِّ ترتيب أو هيكليَّة منظَّمة، تستنتج أنَّها بفعلٍ عشوائيٍّ. أمَّا عندما ترى الحجارة منحوتةً برسومٍ جميلة ومبنيَّة بعنايةٍ وتصميمٍ هندسيٍّ لِتُكوِّن قصرًا للسَّكن، فإنَّك تستنتج حالًا، ودون أيِّ خطأ، بأنَّها ناتجة عن فِعلِ شخصٍ، فِعلِ عقلٍ مُصمِّم لهدفٍ مُحدَّد.

يفوقُ تصميمُ الكون أيَّ شيءٍ نراه من تصميم بشرٍ أضعافًا لا تُحصى في الدقَّة والتعقيد والجمال. فعندما نحكم أنَّ ذاك القصر هو من فِعل مُصمِّمٍ ذكي؛ فبالأولى جدًّا نحكم على الكون بأنَّه من فِعلِ عقلٍ يفوق عقول المُصمِّمين من بني البشر أضعافًا لا نهائيَّة في الدقَّة والتعقيد والجمال والروعة.

فعن طريق التلسكوب، استطاع علماء الفَلَك اكتشاف الدرجة اللانهائية لدقَّة تصميم الكون لتكون أرضنا وحدها صالحة، لتسمح بالحياة فيها، وذلك عن سائر الكواكب والمجموعات الشمسيَّة الأخرى.

وعن طريق الميكروسكوب تمَّ تمييز روعة تصميم أعضاء الجسم في الإنسان والحيوان. وكانت قمة الاكتشافات هي في فكِّ أسرار ومُكوِّنات الخلية الحيَّة.

يحاول أصحاب النظرة الإلحاديَّة تفسير الإنسان على أنَّه آلةٌ صمَّاء كغيره مِن الآلات المُصنَّعة؛ ولكن الحقيقة، أنَّ الإنسان هو ذلك الكائن الفريد المخلوق على صورة خالقه، بما فيه من وعيٍ ومشاعر ومعرفة. جسم الإنسان ليس تركيبة من أشياء، هو جوهرٌ مُتفرِّد مستقل عن كلِّ ما سواه.

دليلٌ أخلاقيٌّ:

في داخل كلِّ إنسان قانونٌ أخلاقيٌّ طبيعيٌّ موجود بالطبيعة وينمو معه، حتَّى لو لم يُعلِّمه إيَّاه أحد، وحتَّى لو رفض المرء الاستجابة لندائه الداخليِّ وأنكره وطمَسَه مع مرور الزمن.

الأخلاقيَّات أمرٌ مشتركٌ للبشريَّة كلِّها. فليس من دينٍ أو ثقافة بلدٍ أو فرد عاقل إلَّا ويُنادي بها أو يُشير لها أو يقيس عليها أو يدَّعيها، بدرجةٍ أو بأخرى. هذا القانون الأخلاقي الطبيعي المغروس في كلِّ البشر باختلاف ثقافاتهم في كلِّ العصور والأزمنة، هو من مصدرٍ يسمو على البشر، هو من لَدُن الله.

وجود الله وحدَه يوفِّر الأساس الموضوعيَّ للأخلاقيَّات، لأنَّ إنسانًا لم يضعها، بل خالق الكل؛ فهي لذلك تُمثِّل الأساس الأخلاقيَّ المُلزِم لكلِّ البشر في كلِّ زمانٍ ومكان. ولكن، من دون الله، لا يبقى مصدرٌ للأخلاقيَّات، سوى هذا أو ذاك من البشر. فكلُّ إنسانٍ يعمل ما يحلو له، فلماذا تكون أخلاقيَّات الآخر مُلزِمة لي وواجبة عليَّ؟!

دليلُ المعجزات:

عدا الأدلَّة الفلسفيَّة والمنطقيَّة والعلميَّة، التي تؤكِّد دون أدني شكٍّ وجود الله، هناك أحداثٌ حقيقيَّة فائقة للطبيعة تجري أمامنا اليوم وكلَّ يوم، تُبيِّن وجود عالمٍ روحاني في حيِّزنا المُباشر. هناك قصص وحوادث شفاء معجزيَّة موثَّقة في كلِّ بلدان العالم. **(يتبع)**

LIVING WITH CHRIST

Articles of Comfort and Blessings Offered to the Reader

Here Father Matta strengthens the readers in the time of tribulation and gives them power to live strongly. As if he is living with us today, we feel his writings are suitable for us now. Enjoy! Note: *All quotations are taken from the* ***New King James Version,*** *if not otherwise mentioned.*

Volume Four

Chapter 71

"For there is no other name under heaven given among men by which we must be saved" (Acts 4:12).

CHRIST put in His name the secret to all His power so that His name may be with the people like Christ Himself. Indeed, there is and will be no other name under heaven that would save man. For God revealed all the prophets' weaknesses since they were unable to save even their own selves, for most of them died defeated. For any man can barely preach and speak about righteousness; however, throughout all the ages, there was none righteous before God. The apostle Paul says that "all have sinned and fall short of the glory of God," there is none who has not sinned, "[t]here is non righteous, no, not one."[1] For sin and man were one thing, until Christ came and His name rang under heaven, that with it you would be saved and without it there would be no salvation.

For the name of Christ has saved many and will save many. It is the treasure that came down from heaven bearing the mystery of the forgiveness of every sin, and the sole agent for the salvation of all who believe and take refuge in it. Thus, the name of Christ became in and of itself a Redeemer and Savior. For Christ to offer us His name to live by and be saved, is the basis of God's new covenant which He granted us just as granting Christ Himself. For the name in its core bears the person along with his power and features. So, if this name belongs to the Son of God, who is in the bosom of His Father and intercedes for us to strengthen us, then our help today comes to us from heaven above at the right time. This is why Paul the apostle tells us to raise our eyes "above, where Christ is, sitting at the right hand of God" for He is "at the right hand of God…making intercession for us."[2]

[1] Romans 3:23, 10.
[2] Colossians 3:1; Romans 8:34.

Christ left for us His name bearing all His works, attributes, and His faithful promises. Therefore, whoever holds fast to the name holds on to Christ, and whoever proclaims the Name, receives the reward of one who preaches Christ Himself. The name of Christ is unlike any other name, for it possesses works that no one else has ever done, and it is an expression of His person, His being, His work, and His promise. For Christ, even though ascended to heaven, fills the whole earth and all of heaven through the power of His divinity. Thus, His name, even though uttered by the mouth, fills the human entity of him who utters it, just as it fills all of the existence. So, it is a name that functions through the power of its Owner, carrying all His promises, whether that be salvation, redemption, strength, or enlightenment of the eyes and heart. He, who the world cannot contain, is contained by the heart of the one preaching Him.

We, Christians, are called bearers of the Name. For the Name's sake we are either accepted or humiliated. We are accepted by those who bear the Name and are humiliated by those who do not bear the Name or tolerate it.

For in the name of Christ a door will be opened to us, while other doors are shut in our faces. But it makes no difference to us, for we became accustomed to the shutting of the doors, hearts, and minds. We live by the Name, breathing from it God's favor and the help of the Almighty. Even though there is nothing in the world for us, since the doors have been shut in our face, we have an open door in heaven that will welcome us. For even though on earth we tasted humiliation and shame, our food above will be the new manna and the water of life springing before the throne of God.

Through the Name here on earth, the way of heaven is opened to us, which rises from earth to heaven. And by the Name there in heaven, we will be fed the food of God, which is sweeter than honey.

December 21, 2005

Chapter 72

"But Peter and John answered and said to them, 'Whether it is right in the sight of God to listen to you more than to God, you judge. For we cannot but speak the things which we have seen and heard.' So when they had further threatened them, they let them go, finding no way of punishing them, because of the people, since they all glorified God for what had been done"

(Acts 4:19-21).

THE TWO DISCIPLES, John and Peter were interrogated about their healing of a sick man, who was paralyzed since birth. Peter answered declaring that this sick was healed by the Name of Jesus Christ. Thus, the priests and the Sadducees were extremely indignant; nevertheless, the miracle and the sick man were standing among them, so they commanded them not to make mention of that Name. Therefore, Peter replied, "Whether it is right…to listen to you, [you judge], nevertheless, we must confess that by the Name of Jesus did the healing occur, and we must witness to what we have done." Thus, they commanded them not to speak in that Name and expelled them from before the council. But Peter and John went out and were proclaiming

salvation that was fulfilled by the Name of Christ. So, the priests brought them a second time, beat them and cast them out. Yet, these two disciples held on all the more to the name of Christ and His power.

When they came to their companions, they raised a long prayer saying, "'Now, Lord, look on their threats, and grant to Your servants that with all boldness they may speak Your word, by stretching out Your hand to heal, and that signs and wonders may be done through the name of Your holy Servant Jesus.' And when they had prayed, the place where they were assembled was shaken; and they were all filled with the Holy Spirit."[3]

This was the beginning of the disciples' preaching, established by God and the Holy Spirit. All the faithful became of "one heart and one soul…and with great power the apostles gave witness to the resurrection of the Lord Jesus. And great grace was upon them all."[4]

This was the most beautiful picture of the beginning of the apostolic service. It was fiery, supported by the Spirit and Christ, and many signs were following them. All the Christians at that time united to sell their belongings and put them at the disciples' feet. They would all meet in the temple, to praise in Solomon's porch. Thus, the priests were outraged and so they laid their hands on the disciples and put them in prison. But at night an angel of the Lord opened the prison doors and brought them out and pushed them to speak to the people and reveal this miracle. Then, in the morning, the priests sent to have the disciples brought from prison, but the prison was found to be shut securely and the guards standing yet with no one inside. They found the disciples in the temple teaching the people. Thus, they sent and brought them, and asked them, saying, "Did we not strictly command you not to teach in this name? And look, you have filled Jerusalem with your doctrine and intend to bring this Man's blood on us!" But the apostles answered and said: "We ought to obey God rather than men."[5] And so, they decided to kill them, if it was not for Gamaliel the Pharisee who defended them, saying: "Keep away from these men and let them alone; for if this plan or this work is of men, it will come to nothing; but if it is of God, you cannot overthrow it—lest you even be found to fight against God." And when they had brought the disciples "and beaten them, they commanded that they should not speak in the name of Jesus."[6]

As for the disciples, when they were let go, they were rejoicing "that they were counted worthy to suffer shame for His name."[7]

In this fashion did the church start, with their whole reliance being on the Name of Christ who never let them down. Thus, they evangelized and preached, and the church increased in numbers and strength. And the church stood again with the apostles in her

[3]Acts 4:29–31.
[4]Acts 4:32–33.
[5] Acts 5:28–29.
[6]Acts 5:38–40.
[7]Acts 5:41.

before the world, exchanging blows with the world, until the church became extremely strengthened and invincible.

January 1, 2006

Chapter 73
St Stephen the protomartyr of the church

WHEN a complaint arose by the Greek widows inside the early church, the disciples met and chose seven brethren reputed for love, mercy, and service. The first of whom was Stephen the protomartyr of the church, and with him six others, all of whom were of good reputation and filled with the Holy Spirit. So, the apostles prayed and laid hands on them. Then the word of God spread, the number of the disciples multiplied greatly, and many of the priests were obedient to the faith. Stephen, full of faith and power, did great wonders and signs among the people. Then, some who resented him tried to frame him for speaking against Moses and God. "And they were not able to resist the wisdom and the Spirit by which he spoke."[1]

So, they held a false council, and they stirred up the people and the council against Stephen, so they seized him, "and brought him to the council." They also set up false witnesses who said that he speaks blasphemous words "against this holy place and the law; for we have heard him say that this Jesus of Nazareth will destroy this place [the temple] and change the customs which Moses delivered to us."[2]

Amazingly, the gospel witnesses to this first righteous deacon that "his face [was] as the face of an angel."[3]When they set Stephen in the middle to defend himself, he presented a narrative of the faith, beginning from Abraham to Jesus, with powerful and composed sentences. He expressed everything, as if inspired by the Holy Spirit, that was done before Moses up until Jacob going to Egypt, and the welcoming of the king of Egypt as he made Joseph the second man after him to rule all of Egypt, that he may pass over the painful years of hunger with the Egyptians and the Jews. However, things overturned for the children of Israel after Joseph's death when another Pharaoh ruled. Then was the birth of beautiful Moses, and his estrangement in Median. Now, when the estrangement of the children of Israel was fulfilled, four hundred years in Egypt, Moses freed them. And the tabernacle of witness which Moses raised remained with them, which they carried with them on their sojourning until it entered the Promised Land. Then, Moses preached the people and was extremely harsh with them due to their disobedience and their worship of a golden calf made by Aaron under threat.

Then, Stephen addressed the Jews, "You always resist the Holy Spirit; as your fathers did, so do you. Which of the prophets did your fathers not persecute? And they

[1]Acts 6:10
[2]Acts 6:12-14.
[3]Acts 6:15.

killed those who foretold the coming of [Christ] the Just One."[4] He rebuked them that they had the law but did not keep it. So, when they heard his rebuke, and listened to him up to that point, they rose and seized him. Then, during this trial and right before his stoning, he saw the heavens opened, and Jesus standing on the right hand of God in glory. When he cried out joyfully that he sees Christ at the right hand of God, they stopped their ears and cried out with a loud voice, and they cast him out of the city and stoned him. Paul, who was called Saul, was guarding the clothes of Stephen's witnesses, being his successor in the Spirit afterward to become the greatest witness to Christ and to Stephen's martyrdom. Now, before Stephen fell and died, he cried out seeking forgiveness for his enemies that killed him.

In this manner was the church adorned with her first medal for the first martyr. And the blood of Stephen became a seed on which the greatest cathedrals were erected. For the name of Stephen scented the entire world as the greatest witness and martyr for Christ.

And on the blood of the martyrs the churches have been built and are still being built until this day.

January 1, 2006

[4]Acts 7:51–52.

****

Father Matta El-Meskeen

The Birth of Christ is our Life

[Today we celebrate the Feast of the Nativity, but our feast, beloved, is not a commemoration or a memorial. We have joined together today in prayer and a Eucharistic liturgy in order to meet with the Lord Jesus Christ personally in Bethlehem. We have an appointment with Him, for the Lord's nativity is a great event that continues to live in our lives. We do not read of it simply as a story narrated by the evangelist; rather we are in the presence of a heavenly event, and the angels attend to bear witness.

On this day God made a revelation that history could not contain. The nativity, beloved, is the incarnation, and the meaning of the incarnation is that "God appeared in the flesh" (1 Tim 3:16). Now the appearance of God cannot be encompassed or contained in history, so the Gospel is here not merely relating the story of the birth of Jesus Christ; it is recording a heavenly event which took place in history and thus brought history to an end, or rather fulfilled it, for it is unmistakably clear in all the prophecies that the birth of the Lord is the declaration of the fullness of time.

This is why I have said and continue to say that the nativity is incarnation, and the incarnation is now our life, our faith and all the hope in which we live, through it overcoming every human weakness, and all the shortcomings of temporal life with all its cares and burdens, as if they were nothing at all. And today we are present together at the heart of this heavenly event, the day of the nativity, in the fullness of time in Bethlehem, at the revelation of the incarnation.]

Excerpt from: *"The Birth of Christ is our Life," St Mark Monthly Review, Jan 2005, p 1.*

****

The Incarnation Lifted Us to a State Better than Adam's before the Fall

Because the works were become imperfect and mutilated from the transgression, He is said in respect to the body to be created; that by perfecting them and making them whole, He might present the Church unto the Father, as the Apostle says, ''not having spot or wrinkle or any such thing, but holy and without blemish." Mankind then is perfected in Him and restored, as it was made at the beginning, nay, with greater grace [...] If God had but spoken, because it was in His power, and so the curse had been undone, the power had been shewn of Him who gave the word, but man had become such as Adam was before the transgression, having received grace from without (for he was such when he was placed in Paradise), and not having it united to his body.

Against the Arians, II, 67-68, NPNF, ser. II, Vol. IV, p. 385

****

ἐκ τοῦ ἁγίου Ἀθανασίου ἐπισκόπου Ἀλεξανδρείας

Τότε γὰρ διὰ τὸ γεγενῆσθαι ἀπὸ τῆς παραβάσεως ἀτελῆ καὶ χωλὰ τὰ ἔργα, λέγεται σωματικῶς, ὅτι κτίζεται, ἵνα, τελειώσας αὐτὰ καὶ ὁλόκληρα ποιήσας, παραστήσῃ τῷ Πατρὶ τὴν Ἐκκλησίαν, ὡς εἶπεν ὁ Ἀπόστολος· Μὴ ἔχουσαν σπῖλον ἢ ῥυτίδα, ἤ τι τῶν τοιούτων, ἀλλ᾽ ἵνα ᾖ ἁγία καὶ ἄμωμος. Τετελείωται οὖν ἐν αὐτῷ καὶ ἀποκατεστάθη, ὥσπερ ἦν καὶ κατὰ τὴν ἀρχὴν γεγονὸς, τὸ ἀνθρώπινον γένος, καὶ μείζονι μᾶλλον χάριτι[...] Εἰ διὰ τὸ δυνατὸν εἰρήκει, καὶ ἐλέλυτο ἡ κατάρα· τοῦ μὲν κελεύσαντος ἡ δύναμις ἐπεδείκνυτο, ὁ μέντοι ἄνθρωπος τοιοῦτος ἐγίνετο, οἷος ἦν καὶ ὁ Ἀδὰμ πρὸ τῆς παραβάσεως, ἔξωθεν λαβὼν τὴν χάριν, καὶ μὴ συνηρμοσμένην ἔχων αὐτὴν τῷ σώματι·

PG 26, 289, 292.

St. Mark *Monthly Review*
Published by: The Monastery of St. Macarius the Great, Wadi El-Natrun.
ANNUAL SUBSCRIPTIONS (10 issues a year, July& August excluded, sent by Int. Courier):
U.S. $150.00
Subscriptions to be paid through our Website as mentioned below, or sent by a check to:
"St Macarius Printing House", P.O. Box 1574, Centreville, VA 20122, USA.
No materials may be reproduced in whole or in part without written permission from the publisher.
© 2026
by the Monastery of St. Macarius the Great.
Library of Congress Catalogue Card Number: 80–960629. ISSN 2805-2382
VISIT THE WEBSITE OF THE MONASTERY: WWW.STMACARIUSMONASTERY.ORG

ST. MARK January 2026

Monthly Review



Baptism of Christ in the River Jordan
Ukrainian icon from the 17th century



عيد دخول المسيح الهيكل
وهو ابن أربعين يومًا
٨ أمشير / ١٥ فبراير

(أيقونة من القرن السابع عشر)

«وَعِنْدَمَا دَخَلَ بِالصَّبِيِّ يَسُوعَ أَبَوَاهُ، لِيَصْنَعَا لَهُ حَسَبَ عَادَةِ النَّامُوسِ، أَخَذَهُ (سمعان الشيخ) عَلَى ذِرَاعَيْهِ وَبَارَكَ اللهَ وَقَالَ: "الآنَ تُطْلِقُ عَبْدَكَ يَا سَيِّدُ حَسَبَ قَوْلِكَ بِسَلاَمٍ، لأَنَّ عَيْنَيَّ قَدْ أَبْصَرَتَا خَلاَصَكَ"» (لو ٢: ٢٧ – ٣٠).

مرقس

رسالة الفكر المسيحي للشباب والخُدَّام

السنة ٧٠ فبراير ٢٠٢٦م.

العدد ٦٧١ طوبة / أمشير ١٧٤٢ش.

المحتويات

الافتتاحية: كلمة قداسة البابا تواضروس الثاني:

«تمسَّكوا بالحَسَن» (ب) ١

مقال للأب متى المسكين:

الصوم والمحبَّة ٨

انتقال راهب فاضل:

العملاق الروحي

الراهب القمص مينا المقاري ١٣

من أقوال الآباء:

الصَّوم الطَّاهر أساسٌ لكلِّ فضيلة ٢١

بمناسبة الصوم المقدَّس:

الصوم الكبير المقدَّس ٢٦

ادخل إلى العمق (٥٩):

التوبة

شجرة الرُّوح المُثمِرة ٣٣

من التراث الكنسي:

أحد التجربة على الجبل ٣٩

بحث تاريخي:

أهم أديرة وكنائس القدِّيس مار جرجس القبطيَّة (٤)... ٤٦

مقال بالإنجليزية:

LIVING WITH CHRIST, Vol. 4, 74 - 75 ..... ٥٦

من تعليم آباء الكنيسة

للقدِّيس كيرلس الكبير

اشتياقات الروح تُميت ناموس الجسد

(ترجمة النص اليوناني الآبائي المنشور في باطن الغلاف الأخير)

✠

[لذلك، طالما يَقوَى فينا مثل هذا الناموس (ناموس الجسد)،

ويُقاوم بوقاحة اشتياقات الروح، ويُضادُّها برغباته الخاصَّة،

بل ويُجبرنا على القيام بما يطيب له،

فإنه يجعلنا أعدى أعداء الله ...

أمَّا إذا ضَعُفَ وصَغُرَ أمام حماسنا نحو التَّقوى ...

فإنَّ (هذا) يجعل طريق المحبة نحو الله طريقًا رَحْبًا،

لأولئك الذين يختارون العيش باستقامةٍ ووفقًا للناموس الإلهيِّ ...

«فَلْنُمِتِ الأَعْضَاءَ الَّتِي عَلَى الأَرْضِ: الزِّنَا، النَّجَاسَةَ،

الهَوَى، الشَّهْوَةَ الرَّدِيئَةَ، وَفَوْقَ الكُلِّ: الطَّمَعَ» (كو ٣: ٥).

فَلْيَمُتْ ناموسُ الجسد بالاشتياقات نحو الصلاح،

كما لو كان يُضرَب بحديدٍ مسنون.

فليسقط فينا الاهتمامُ الأرضيُّ والنَّجِس،

ولْيَتَسَلَّطْ ناموسُ الله.

لأنَّه عندما تكون له اليد العُليا،

ويوجد أقوى من القوَّة المُحارِبة،

فإنه يؤصِّل فينا كلَّ فضيلة،

ويجعل من الفارِّين في الماضي أَعَزَّ أحبَّاء السيِّد،

ويمنح رجاء القدِّيسين المُشتهى جدًّا

لأولئك الذين لا يمتلكونه].

(الرسالة الفصحيَّة ٦: ٢)

مرقس: يصدرها دير القديس أنبا مقار – برية شيهيت

مكتب التوزيع والاشتراكات

القاهرة: ٢٨ شارع شبرا

تليفون: ٢٥٧٧٠٦١٤

٠١٢٨٢٧٥٢٣٢٤

٠١٠٢٣٨٢١٣٨١

الإسكندرية: ٨ شارع جرين - محرم بك

تليفون: ٠٣٤٩٥٢٧٤٠

تصفَّح مجلة مرقس في موقع الدير على الإنترنت:

www.stmacariusmonastery.org

عنوان البريد الإلكتروني:

stmarkcare@gmail.com

رئيس التحرير: الأب سرجيوس المقاري

تسديد الاشتراكات:

عن طريق خدمة أورانج كاش

وفودافون كاش

الخاصة بأرقام تليفون المجلة

وهي:

٠١٢٨٢٧٥٢٣٢٤

٠١٠٢٣٨٢١٣٨١

وتبدأ سنة الاشتراك

في يناير من كل عام

مطبعة دير القديس أنبا مقار

ثمن النسخة ٢٠ جنيهًا

الاشتراك السنوي: حرٌّ ... حدُّه الأدنى:

٢٠٠ جنيه: داخل مصر (تسليم باليد)

٣٥٠ جنيهًا: في حالة الدفع عن طريق المُحصِّل

٣٠٠ جنيه: في حالة الدفع عن طريق:

خدمة أورانج كاش وفودافون كاش

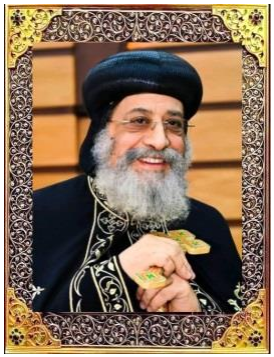
١٥٠ دولارًا أمريكيًّا: في البلاد الأخرى

عنوان المراسلات:

ص. ب ٣١ شبرا ـ القاهرة

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢١٧ / ٢٠٢٦

الترقيم الدولي: ISSN 2805-2382



«تَمَسَّكُوا بِالْحَسَنِ»[1]

(١تس ٥: ٢١)



لصاحب القداسة
البابا تواضروس الثاني

وصايا قصيرة جدًّا
(ب)

نستكمل الحديث عن الكلام الحَسَن والأعمال الحسنة:

ثانيًا: الكلام الحَسَن:

الكلام من أكثر الأشياء التي نستخدمها في حياتنا اليوميَّة، فهو مقياسٌ لدرجة كمال الإنسان، ويُعلِّمنا سِفْر الأمثال: «اَلْكَلاَمُ الْحَسَنُ شَهْدُ عَسَل، حُلْوٌ لِلنَّفْسِ وَشِفَاءٌ لِلْعِظَامِ» (أم ١٦: ٢٤)، بمعنى أنَّ الكلام الحَسَن له تأثيرٌ صحِّيٌّ على الإنسان. ويقول معلِّمنا يعقوب الرسول: «إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يَعْثُرُ فِي الْكَلاَمِ فَذَاكَ رَجُلٌ كَامِلٌ، قَادِرٌ أَنْ يُلْجِمَ كُلَّ الْجَسَدِ أَيْضًا» (يع ٣: ٢).

وهناك ثلاثة مبادئ تحكم الكلام الحَسَن، فنستطيع أن نقول عنه:

١. كلام الصِّدْق:

كلام الصِّدْق، بمعنى أنه يكون كلامًا واضحًا بدون التواء، كما يقول المزمور: «فَمُ الصِّدِّيقِ يَلْهَجُ بِالْحِكْمَةِ، وَلِسَانُهُ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ» (مز ٣٧: ٣٠).

فمثلًا: نستمع أحيانًا لبرامج "التُّوك شو" (برامج الحوارات)، ونجد شخصًا قد يتحدَّث لوقت طويل جدًّا، ومع هذا لا يؤثِّر في الناس.

هناك إنسانٌ يتكلَّم بالأكاذيب، وآخر يكون كلامه غير واضح، وآخر يتكلَّم لمجرَّد الكلام؛ ولكن يوجد شخصٌ كلماته تكون محسوبة وموزونة وصادقة. فإن كانت كلمتك صادقة ستصل إلى القلب، أمَّا إن كانت غير صادقة فستدخل من أُذُن وتخرج من الأُذُن الأخرى.

ويقول معلِّمنا بولس الرسول: «وَتَكَلَّمُوا بِالصِّدْقِ كُلُّ وَاحِدٍ مَعَ قَرِيبِهِ» (أف ٤: ٢٥).

---

(١) يواصل قداسة البابا في هذا العدد (فبراير ٢٠٢٦م) حديثه عن هذه الآية: «تَمَسَّكُوا بِالْحَسَنِ». وقد حدَّثنا قداسته في العدد الماضي (يناير ٢٠٢٦م) عن: "أولًا: الفكر الحَسَن"، وفي العدد الحالي يُحدِّثنا قداسته عن: "ثانيًا: الكلام الحَسَن" "وثالثًا: الأعمال الحَسَنة".

وعندما نتأمَّل في قصة المرأة السامريَّة، نجد أنه في بداية حديثها مع السيِّد المسيح كان كلامها غير واضح.

ولكن عندما بدأ السيِّد المسيح يدفعها برقَّة للكلام الصادق عندما قال لها: «حَسَنًا قُلْتِ» (يو ٤: ١٧)، هُنا بدأت تتحدَّث معه بالصِّدْق، وليس هذا فقط بل آمنت وبشَّرت أهل مدينتها.

الإنسان الواضح والصادق كل أموره تسير بالصِّدْق، فالبقاء والدوام للصِّدْق؛ أمَّا الكذب فحباله قصيرة، فلا بدَّ أن ينكشف كذب الكذَّاب إن عاجلًا أو آجلًا.

تأمَّلنا سابقًا في اللسان الكاذب، فيقول سِفْر الأمثال: «هذِهِ السِّتَّةُ يُبْغِضُهَا الرَّبُّ، وَسَبْعَةٌ هِيَ مَكْرَهَةُ نَفْسِهِ: عُيُونٌ مُتَعَالِيَةٌ، لِسَانٌ كَاذِبٌ ...» (أم ٦: ١٦، ١٧). الله القدُّوس هو الحق، فإنه يُبغِض اللسان الكاذب ويحب اللسان الصَّادق. الذي يتكلَّم بالصِّدْق والحقِّ يتشبَّه بالله الذي قال عن نفسه إنه "هو الحق".

أمَّا الكذَّاب فيُشبه إبليس الذي وصفه السيِّد المسيح أنه: «كَذَّابٌ وَأَبُو الْكَذَّابِ».

قد يكون للكذب مذاقٌ وقتيٌّ حلوٌ، إلَّا أن عاقبته صعبة مُرَّة المذاق، والناس عندما يكتشفون الإنسان الكذَّاب ينفرون منه ولا يُصدِّقونه في شيء.

٢. الكلام الحلو:

أتذكَّر أنه في إحدى المرات كنتُ أزور عمدة فاليتا عاصمة مالطة في مكتبه، فأراد أن يُعرِّفني على هيئة مكتبه وهي تتكون من ثلاث شخصيَّات: رجلٌ كبير في العمر، وشابٌّ وشابة. فأشار إلى الرجل الكبير وقال لي: "هذا مرجعي"، ثم أشار إلى الشاب وقال: "هذا ذراعي الأيمن"، ثم ابتسم للشابة وقال: "هذه زهرتي".

نُلاحظ هُنا أنَّ هذا العمدة لم يذكر أسماءهم، ولكنه ذَكَرَ صفاتٍ جميلة لكلٍّ واحدٍ منهم، وهذا بالطبع أشعرهم بالسعادة، وكان دافعًا وحافزًا للعمل والإنجاز.

فيجب أن يكون الكلام حلوًا، كما يقول سِفْر النشيد: «شَفَتَاكِ يَا عَرُوسُ تَقْطُرَانِ شَهْدًا» (نش ٤: ١١)، وكما يقول مُعلِّمنا بولس الرسول: «لِيَكُنْ كَلاَمُكُمْ كُلَّ حِينٍ بِنِعْمَةٍ، مُصْلَحًا بِمِلْحٍ، لِتَعْلَمُوا كَيْفَ يَجِبُ أَنْ تُجَاوِبُوا كُلَّ وَاحِدٍ» (كو ٤: ٦).

من التعابير الخطأ التي من المُمكن أن نتحدَّث بها، قولنا مثلًا: "الجو وِحِش اليوم، أو غدًا

الجو جميل"، لأنه من الخطإ القول إنَّ الجوَّ جميلٌ أو رديءٌ، لأن الله أوجد عدَّة أنواع من الطقس، لكي ما تتناسب مع كلِّ شخص منَّا. فهناك إنسانٌ يحب البرد، وآخر يحب الحر، وهكذا ... فكلمة الطقس اليوم رديء كلمةٌ غير مناسبة.

ومن الأمور اللطيفة في تربية أولادنا، أننا نُناديهم بأسماء دلع غير أسمائهم الرسميَّة، لأن هذا يجعلهم أكثر راحة وسعادة. فمثلًا أُمٌّ تُلاطِف طفلها فتقول له: "أنت سكر"، أو "أنت عسل" أو "شاطر" ... إلخ.

فهذه الكلمات تجعل الأطفال أكثر راحةً نفسيَّة؛ وهكذا فإنَّ كلماتٍ صغيرة من المُمكن قولها فتكون سببًا في نجاح الإنسان وسعادته، فابتعد عن الكلمات المُحبِطَة والتي من المُمكن أن تؤثِّر على نفسيَّة مَنْ أمامك.

والكلام الحلو مطلوبٌ في أحاديثنا مع الجميع، والأمثلة كثيرة في الكتاب المقدَّس عن الكلام الحلو:

يعقوب وعيسو:

عندما تقابل يعقوب مع أخيه عيسو بعد سنواتٍ طويلة، وكان يعقوب خائفًا من أن أخاه يقتله، «فَقَالَ يَعْقُوبُ: "لَا. إِنْ وَجَدْتُ نِعْمَةً فِي عَيْنَيْكَ تَأْخُذْ هَدِيَّتِي مِنْ يَدِي، لأَنِّي رَأَيْتُ وَجْهَكَ كَمَا يُرَى وَجْهُ اللهِ، فَرَضِيتَ عَلَيَّ"» (تك ٣٣: ١٠).

السيِّد المسيح:

في قصة عماد ربِّنا يسوع المسيح، نجد أنَّ القدِّيس يوحنا المعمدان يقول للربِّ: «أَنَا مُحْتَاجٌ أَنْ أَعْتَمِدَ مِنْكَ» (مت ٣: ١٤)، ويُجيبه الربُّ يسوع: «اسْمَحِ الآنَ» (مت ٣: ١٥)، فما أجمل وأعذب وأرق هذه الكلمات!

وأيضًا الكلمات البسيطة، مثل: شكرًا، ومن فضلك، وشاطر ... إلخ، يكون لها وقعٌ نفسيٌّ خطير ورائع على أيِّ إنسان، سواء كان صغيرًا أو كبيرًا، رجلًا أو امرأة، لأن الجميع يحتاج إلى مثل هذه الكلمات المُشجِّعة واللَّطيفة.

والسيِّد المسيح عندما أتى إليه يهوذا الخائن لكي ما يُرشد الجنود للقبض على الربِّ، عامله الربُّ بكل رِقَّة، فقال له: «يَا صَاحِبُ، لِمَاذَا جِئْتَ؟» (مت ٢٦: ٥٠). وكأنَّ السيِّد المسيح يُعطيه فرصةً أخيرة للتوبة.

٣. كلام الحكمة:

يجب أن يعرف الإنسان متى يتكلَّم؟ ومتى يسكت؟ «لِلسُّكُوتِ وَقْتٌ وَلِلتَّكَلُّمِ وَقْتٌ» (جا ٣: ٧). وأن يحترس أيضًا من طبيعة هذا الكلام. فهناك شخصٌ يتكلَّم بدون حساب؛ ولكن يوجد آخر ينتبه لكلامه دائمًا، فيكون كلامه بحساب.

قصة:

هناك قصةٌ لطيفة في بستان الرهبان عن زيارة ثلاثة رهبان للقدِّيس الأنبا أنطونيوس، فاثنان من هؤلاء الرهبان سألوا القدِّيس عن أمورٍ كثيرة تشغلهم، أمَّا الراهب الثالث فقد ظلَّ صامتًا طوال الزيارة!

وهُنا سأله القدِّيس: إن كان لديه سؤال، فأجابه هذا الراهب قائلًا: يكفيني النظر إلى وجهك يا أبي! فقد آثَرَ الصَّمت، وعندما تحدَّث كانت كلماته كلها عذوبة. ويقول سِفْر الأمثال: «فِي فَمِ الْجَاهِلِ قَضِيبٌ لِكِبْرِيَائِهِ، أَمَّا شِفَاهُ الْحُكَمَاءِ فَتَحْفَظُهُمْ» (أم ١٤: ٣).

فالإنسان يجب أن يكون كلامه صادقًا وحلوًا، وأيضًا حكيمًا، فأحيانًا نجد موضوعًا يشغل الشارع المصري، فتقوم بعض برامج "التُّوك شو" (برامج الحوارات)، باستضافة بعض الأشخاص، ولكن قد تكون آراؤهم غير حكيمة. وللأسف هذه الآراء قد تكون سببًا في تشتُّت البعض.

+ «لِيَكُنْ كَلاَمُكُمْ كُلَّ حِينٍ بِنِعْمَةٍ، مُصْلَحًا بِمِلْحٍ، لِتَعْلَمُوا كَيْفَ يَجِبُ أَنْ تُجَاوِبُوا كُلَّ وَاحِدٍ» (كو ٤: ٦).

وأيضًا يقول سِفْر الأمثال:

+ «تُفَّاحٌ مِنْ ذَهَبٍ فِي مَصُوغٍ مِنْ فِضَّةٍ، كَلِمَةٌ مَقُولَةٌ فِي مَحَلِّهَا» (أم ٢٥: ١١).

التفاح من أفيد الفواكه، والذهب من أغلى المعادن، فما أجمل هذا المنظر! تفاحة مصنوعة من الذهب موضوعة في طبق مشغول من الفضَّة. وهكذا تكون الكلمة التي تُقال في موضعها.

لذلك، من الهام في الأحاديث والحوارات أن تُقال الكلمات بحساب وفي مكانها المُناسب، وإلَّا ستكون هذه الكلمات لها أثر عكسي وسيِّئ على مجريات الأحداث، ولا عذر لمَنْ يقول عن نفسه: "أنا صريحٌ ولا أستطيع تجميل الكلمات"، لأن هذه لا تكون صراحةً بل عدم لياقة.

السيِّد المسيح:

كانت كلمات الرب كلها بحكمة، وحاول اليهود كثيرًا أن يصطادوه بكلمةٍ، ولكنه تكلَّم في حكمة، ففوَّت عليهم سوء نيَّتهم.

بولس الرسول:

القدِّيس بولس الرسول عندما دخل إلى مدينة أثينا الوثنيَّة والمُمتلئة مذابح للأوثان، تعامَل معهم بكلِّ لُطف وحكمة، وهذا ما جعله يكسب أهل أثينا للإيمان. ففي أثناء تجواله وسط المعابد، وجد مذبحًا مكتوبًا عليه: "لإلهٍ مجهول"، ومن هنا بدأ كرازته. فهو لم يوبِّخهم على عبادتهم للأوثان، بل اتَّخذ من هذا المذبح للإله المجهول بداية لانطلاق الكرازة: «لأَنِّي بَيْنَمَا كُنْتُ أَجْتَازُ وَأَنْظُرُ إِلَى مَعْبُودَاتِكُمْ، وَجَدْتُ أَيْضًا مَذْبَحًا مَكْتُوبًا عَلَيْهِ: "لإِلهٍ مَجْهُولٍ" فَالَّذِي تَتَّقُونَهُ وَأَنْتُمْ تَجْهَلُونَهُ هذَا أَنَا أُنَادِي لَكُمْ بِهِ» (أع ١٧: ٢٣). وقد آمن على يديه: «دِيُونِيسِيُوسُ الأَرِيُوبَاغِيُّ، وَامْرَأَةٌ اسْمُهَا دَامَرِسُ وَآخَرُونَ مَعَهُمَا» (أع ١٧: ٣٤). وكانوا هم بداية المسيحيَّة في أثينا، إلى أن أصبحت أثينا الآن كلها تدين بالديانة المسيحيَّة، وذلك بسبب هذا الكلام الرقيق: «فوقف بُولُسُ فِي وَسَطِ أَرِيُوسَ بَاغُوسَ وَقَالَ: "أَيُّهَا الرِّجَالُ الأَثِينَوِيُّونَ! أَرَاكُمْ مِنْ كُلِّ وَجْهٍ كَأَنَّكُمْ مُتَدَيِّنُونَ كَثِيرًا ..." (أع ١٧: ٢٢).

لم يستخدم بولس الرسول عبارات للهجوم بسبب عبادتهم للأصنام، وإنما ربحهم بكلام الحكمة.

وأيضًا يقول بولس الرسول: «فَصِرْتُ لِلْيَهُودِ كَيَهُودِيٍّ لأَرْبَحَ الْيَهُودَ. وَلِلَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ كَأَنِّي تَحْتَ النَّامُوسِ لأَرْبَحَ الَّذِينَ تَحْتَ النَّامُوسِ. وَلِلَّذِينَ بِلَا نَامُوسٍ كَأَنِّي بِلَا نَامُوسٍ – مَعَ أَنِّي لَسْتُ بِلَا نَامُوسٍ للهِ، بَلْ تَحْتَ نَامُوسٍ لِلْمَسِيحِ – لأَرْبَحَ الَّذِينَ بِلَا نَامُوسٍ. صِرْتُ لِلضُّعَفَاءِ كَضَعِيفٍ لأَرْبَحَ الضُّعَفَاءَ» (١كو ٩: ٢٠ – ٢٢).

القدِّيس بولس خادمٌ حكيمٌ صاحب كلماتٍ حكيمة، استطاع أن يربح الكلَّ ويُقنعهم بالأسلوب الذي يُلائم كلًّا منهم.

ثالثًا: الأعمال الحَسَنة:

أيّ دولة تسِنُّ قوانين وتطلب من الشعب العمل بها، ومَنْ يُخالفها يُعاقَب، هذه القوانين هي من وَضْع البشر.

إنَّ التصرُّفات يحكمها قوانين، وهذه القوانين يُمكن تشبيهها بضفَّتَي النهر، فالنهر تحكمه ضفَّتان: الأولى: نُسمِّيها الوصيَّة الإلهيَّة أو القانون الإلهي وهي تحكمنا من الداخل، والضَّفَّة الثانية: نُسمِّيها الوصية الوضعيَّة أو القانون الاجتماعي. فنحن نعيش في مجتمع تحكمه الوصيَّة الإلهيَّة من ناحيةٍ، وقانون البلد من ناحيةٍ أُخرى.

فماذا نقول عن قوانين ووصايا وضعها رب المجد؟ إنَّ المسيحيَّة ليست مجرَّد وصايا نؤمن بها، إنها عملٌ، إنها حياةٌ تُعاش.

وعلينا أن نُترجم الإيمان بهذه الوصايا إلى أعمال. إنَّ الإيمان والأعمال يسيران معًا، فلا معنى لإيمان بدون أعمال حَسَنة، فإيمان بلا عمل كشجرة بلا ثمر، وكجسد بلا روح.

تخيَّل لو لم تكن هناك أهمية للأعمال الحَسَنَة، ولو أن خلاص الإنسان بالإيمان وحده، فيكون بذلك الله أرهق الأنبياء والرُّسُل من غير داع، لأنهم لم يدعوا الناس للإيمان بالله فقط؛ بل قاوموا الشرور، ووبَّخوا المُخطئين، ووقفوا في وجوه الظالمين، ونهوا عن الفساد، ودعوا إلى الصلاح.

إذا كانت الأعمال الحسنة ليست لها أهمية، حينئذ يتساوى عند الله الشر والخير، وهذا ضد عدل الله. فقد استمرَّ إبراهيم يتكلَّم مع الله، ويُحنِّن قلبه حتى يستطيع أن يُنقِذ سدوم وعمورة من الدمار، فما أجمل عملك يا أبانا إبراهيم! فكان يقول: « حَاشَا لَكَ أَن تَفْعَلَ مِثْلَ هذَا الأَمْرِ، أَنْ تُمِيتَ الْبَارَّ مَعَ الأَثِيمِ، فَيَكُونُ الْبَارُّ كَالأَثِيمِ. حَاشَا لَكَ! أَدَيَّانُ كُلِّ الأَرْضِ لَا يَصْنَعُ عَدْلًا؟» (تك ١٨: ٢٥).

إنه العمل الحَسَن، ويقول الكتاب: «فَإِنَّ ابْنَ الإِنْسَانِ سَوْفَ يَأْتِي فِي مَجْدِ أَبِيهِ مَعَ مَلَائِكَتِهِ، وَحِينَئِذٍ يُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ عَمَلِهِ» (مت ١٦: ٢٧)، فقد تجد إنسانًا يفتخر بعمل شيء خاطئ، وأنَّ المسؤول لم ينتبه لهذا ولم يُحاسبه، وينسى أنَّ عين الله ترى وتُسجِّل كلَّ صغيرة وكبيرة. ويقول الربُّ يسوع: «فَكُلُّ مَنْ يَسْمَعُ أَقْوَالِي هذِهِ وَيَعْمَلُ بِهَا، أُشَبِّهُهُ بِرَجُل عَاقِل، بَنَى بَيْتَهُ عَلَى الصَّخْرِ» (مت ٧: ٣٤). ويعقوب الرسول يقول: «وَلكِنْ كُونُوا عَامِلِينَ بِالْكَلِمَةِ لَا سَامِعِينَ فَقَطْ خَادِعِينَ نُفُوسَكُمْ» (يع ١: ٢٢)، وأيضًا يقول: «فَمَنْ يَعْرِفُ أَنْ يَعْمَلَ حَسَنًا وَلَا يَعْمَلُ، فَذلِكَ خَطِيَّةٌ لَهُ» (يع ٤: ١٧).

إذا كان الإيمان حقًّا في القلب، فلا بدَّ أن يؤثِّر على الفكر واللسان والسلوك.

نقول ذلك لأن كثيرين يؤمنون بالمسيح ويتبعونه وينتسبون إليه بأسمائهم وألقابهم،

ولكنهم يتصرَّفون في حياتهم وسلوكهم تصرُّفًا لا يتَّفق مع وصايا المسيح، فهل يتمتَّع هؤلاء مع المؤمنين الحقيقيِّين المُجاهدين بملكوت السموات؟

المشكلة أن هناك مَنْ يقبلون المسيحيَّة كعقيدة، ولكنهم يرفضونها كطريقة حياة. هناك مَنْ يرفض المسيحيَّة بسبب سلوكيات المسيحيِّين. فالشخص الذي يعيش في الخطية يجد الإلحاد بالنسبة له أفضل من أن يؤمن بإله تهمُّه السلوكيَّات (الأعمال) ويُعاقِب على الخطية.

إنَّ الهدف الذي ترمي إليه العقيدة، هو أن تُترجَم إلى حياة. وهذا ما تجده في حياة الأنبا موسى الأسود (مثلًا). هذا الإنسان القاتل الزاني السارق، بمجرَّد أن صار مسيحيًّا، تغيَّرت سلوكيَّاته وطِباعه من أعمال شريرة إلى أعمال حسنة، ليصير القدِّيس القوي الأنبا موسى الأسود، ويؤتمن على جماعةٍ كبيرة من الرهبان ويصير قسًّا عليهم.

إنَّ الأعمال الحَسَنة هي:

- التي يُمارسها المؤمن في علاقته بالله، وهي: "الصلاة والصوم وعطاء من عشور ونذور وبكور ... وغيرها من واجبات روحيَّة".
- هي التي يُمارسها الإنسان مع غيره من أفراد أسرته ومع الناس الآخرين، كبارًا وصغارًا. هي كلُّ عطاء مادي أو معنوي يُعطيه الإنسان لغيره، مِمَّا عبَّر عنه السيِّد المسيح: «لأَنِّي جُعْتُ فَأَطْعَمْتُمُونِي. عَطِشْتُ فَسَقَيْتُمُونِي. كُنْتُ غَرِيبًا فَآوَيْتُمُونِي. عُرْيَانًا فَكَسَوْتُمُونِي. مَرِيضًا فَزُرْتُمُونِي. مَحْبُوسًا فَأَتَيْتُمْ إِلَيَّ» (مت ٢٥: ٣٥ – ٣٦).

+ «مَا الْمَنْفَعَةُ يَا إِخْوَتِي إِنْ قَالَ أَحَدٌ إِنَّ لَهُ إِيمَانًا وَلكِنْ لَيْسَ لَهُ أَعْمَالٌ، هَلْ يَقْدِرُ الإِيْمَانُ أَنْ يُخَلِّصَهُ؟» (يع ٢: ١٤).

والقدِّيس بولس الرسول يقول: «الإِيمَانُ الْعَامِلُ بِالْمَحَبَّةِ» (غل ٥: ٦)، بمعنى أنَّ الإيمان يكون عاملًا، أي مُتحرِّكًا dynamic، وليس ساكنًا static. فالإيمان يجب أن يكون إيمانًا حيًّا وفعَّالًا.

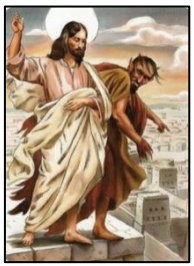
وأهم عمل لهذا الإيمان هو **"المحبة"**. فإن تخيَّلنا الإيمان إنسانًا، فعمل ذلك الإنسان يكون المحبة. فإيمان الإنسان يتحوَّل إلى محبة محسوبة أمام الله، والأعمال الحَسَنة تكون نتيجة للفكر الحَسَن والكلام الحَسَن. ولذلك قبل أن تأتي بأيِّ فعل، فكِّر جيِّدًا، خُذْ فرصتك ووقتك وتمسَّك بالحَسَن.

البابا تواضروس الثاني

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

مقال للأب متى المسكين

الصوم والمحبَّة[1]



بسم الآب والابن والروح القدس، الإله الواحد. آمين.

الآباء الأعزَّاء بالربِّ، رهبان دير أنبا مقار...

مضت مدَّة طويلة تزيد على السنة لم أسعد بالكتابة إليكم بسبب مرضي، والآن إذ عزَّاني الرب، أكتب إليكم في هذا الموسم المقدَّس، أي صوم الأربعين المقدَّسة. وتُلاحظون أن الكنيسة المرتشدة بالروح القدس، ضمَّت على الأربعين المقدَّسة التي افتتح بها المسيح حياته المُباركة، أسبوع الآلام المقدَّسة تلك التي انتهى بها عمله وتوَّجها بالموت ثم بالقيامة. وهكذا جمعت الكنيسة حياة الربِّ كلّها ونهايتها معًا في هذا الموسم المقدَّس.

لذلك أصبحت هذه الأيام التي نعيشها الآن هي أعزّ وأقدس أيام السنة كلها. فإنْ كانت الأربعون المقدَّسة قد اتَّسمت بالصراع مع عدوِّ البشريَّة، فقد اتَّسمت أيام آلام الرب الأخيرة بصَرْعه لهذا العدو.

والذي أُلفت نظركم إليه في هذا الصوم المقدَّس أنَّ صراع المسيح ضد العدوِّ أوضحه المسيح أخيرًا لمَّا جاع، إذ تلخَّص فيه سلاح العدو أنه أراد أن يُجبر المسيح في الإعلان عن ذاته والاعتداد بها، خصوصًا في التجربة الأولى عندما تحدَّاه إن كان هو ابن الله فليجعل الحجارة خبزًا، مُنتهزًا فرصة جوع المسيح، فكانت نصرة المسيح قائمةً على إخلاء الذات بقبول جوع الجسد، على أساس أن مصدر حياة الإنسان ليس في الخبز بل بكلمة الله. وهكذا هزم المسيح مشورة العدو بأنْ أخلى ذاته كإنسانٍ، وبآنٍ واحد، أعلن عن لاهوته باعتبار أنه هو كلمة الله! على هذا الأساس أصبح الصوم وجوع الجسد عندنا فرصةً أساسيَّةً في حياتنا لإنكار سلطان الجسد وإخلاء الذات.

---

(١) رسالة أُرسلت إلى الرهبان في الأحد الأول من الصوم الأربعيني المقدَّس – ١٧ مارس ٢٠٠٢.

وبتكميل الأربعين المقدَّسة، ودخولنا في أسبوع الآلام الذي انتهى بصَلْب جسد الرب (المُتَّحد بلاهوته) وقبول الموت كمشيئة الآب، نكون قد بلغنا الذروة في إخلاء الذات في نزاع الرب الأخير في جثسيماني: «لِتَكُنْ لَا إِرَادَتِي بَلْ إِرَادَتُكَ» (لو ٢٢: ٤٢)، وتسليمه هذا الجسد لحَمْل خطايا البشريَّة على الخشبة ثم قبول الموت: «فِي يَدَيْكَ أَسْتَوْدِعُ رُوحِي» (لو ٢٣: ٤٦) كآخر صورة لإخلاء الذات.

والآن بعودتنا إلى صوم الأربعين المقدَّسة، نجدها أهم وأخطر فترة في حياة المسيح وحياتنا في المسيح، التي أعدَّته وتعدُّنا لقبول الآلام والموت، والتي أَهَّلته وتؤهِّلنا لقيامة النصرة بالروح، وخلقة الإنسان الجديد غالب العالم والآلام والموت، ووريث الحياة الأبديَّة مع الآب والابن والرُّسُل القدِّيسين؛ كدعوة القدِّيس يوحنا الرسول (١يو ١: ١ – ٤).

هكذا يقف الصوم الأربعيني المقدَّس في ترتيب الكنيسة وتقويم الإنسان المؤمن لطريق الحياة الأبديَّة وتأهيل الإنسان للخلقة الجديدة والبنوَّة لله.

ما معنى هذا في مفهوم الطقس الكنسي والتدبير الإلهي؟

معناه أن إتقان الصوم الأربعيني المقدَّس، هو أول خطوة للمؤمن المسيحي للتأهيل لميراث البنوَّة لله وشركة الحياة الأبديَّة.

وعلى أيِّ أساس؟

على أساس البدء بتدريب الإنسان على إنكار شهوات الجسد وبَذْل الذات؛ لأن غلبة العالم تقوم على هاتين الفضيلتين: إنكار شهوة العالم، وبَذْل الجسد الذي يُمثِّل الذات البشريَّة في أقوى صِلاتها بالعالم: «ثِقُوا: أَنَا قَدْ غَلَبْتُ الْعَالَمَ» (يو ١٦: ٣٣)، «لَيْسُوا مِنَ الْعَالَمِ، كَمَا أَنِّي أَنَا لَسْتُ مِنَ الْعَالَمِ» (يو ١٧: ١٦). وهذا قمة الاستنارة في اللاهوت الخلاصي: «هذِهِ هِيَ الْغَلَبَةُ الَّتِي تَغْلِبُ الْعَالَمَ: إِيمَانُنَا» (١يو ٥: ٤)، لأن غلبة العالم هي: "إيماننا المسيحي".

ولكن ...

ولكن، الجسد وشهوات الجسد في العالم لا يُمثِّل كلَّ الذات البشريَّة. فـ «اَلْمَوْلُودُ مِنَ الْجَسَدِ جَسَدٌ هُوَ، وَالْمَوْلُودُ مِنَ الرُّوحِ (القدس) هُوَ رُوحٌ» (يو ٣: ٦). ونحن وُلدنا بالجسد في الخطية: «بِالْخَطِيَّةِ وَلَدَتنِي (حَبِلَتْ بِي) أُمِّي» (مز ٥١: ٥)، ووُلدنا في الروح في المسيح بإيماننا بالمسيح أنه ابن الله وأن الله الآب أرسله إلى العالم لمحو خطايانا بموته وفدائنا من

الموت بقيامته: «وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلَادَ اللهِ» (يو ١: ١٢). فـ «الرُّوحُ (القدس) نَفْسُهُ أَيْضًا يَشْهَدُ لأَرْوَاحِنَا أَنَّنَا أَوْلَادُ اللهِ» (رو ٨: ١٦). بهذا الميلاد الروحي الجديد وتجديد الخلقة لميراث الحياة الأبديَّة، نكون قد خلعنا الإنسان العتيق بكلِّ أعماله الميتة، واغتسل ضميرنا بدم المسيح، ودخلنا في صميم شركة الروح بالآب والابن.

ما معنى هذا؟

معناه أننا أكملنا إنكار الذات وبَذْلها، وأكملنا عمل الصوم الأربعيني والموت مع المسيح واستحققنا شركة الحياة الأبديَّة؛ لأن بَذْل الجسد وإنكار شهواته لا يؤهِّل وحده لشركة الحياة الأبديَّة التي إليها دُعينا، إذ لا بدَّ من شركة جسد المسيح بالروح لقبول **شركة البنوَّة للآب.**

وشركة البنوَّة هي شركة ليست فردية، أي لا تُعطَى لأيِّ فرد مهما كانت قداسته، إذ هي شركة الابن الوحيد وتُعطَى للجميع في المسيح: «كَأْسُ الْبَرَكَةِ الَّتِي نُبَارِكُهَا، أَلَيْسَتْ هِيَ شَرِكَةَ دَمِ الْمَسِيحِ؟ الْخُبْزُ الَّذِي نَكْسِرُهُ، أَلَيْسَ هُوَ شَرِكَةَ جَسَدِ الْمَسِيحِ؟ فَإِنَّنَا نَحْنُ الْكَثِيرِينَ خُبْزٌ وَاحِدٌ، جَسَدٌ وَاحِدٌ، لأَنَّنَا جَمِيعَنَا نَشْتَرِكُ فِي الْخُبْزِ الْوَاحِدِ» (١كو ١٠: ١٦، ١٧).

كيف يكون هذا؟

هذا يكشف سرَّه القدِّيس بولس الرسول في قوله عن عدم نفع أعمال الجسد من صوم ووعظ ونبوَّة وإيمان – حتى لو كان الإنسان قادرًا أن ينقل الجبال – بدون محبة، فإنه يكون لا قيمة له ولا يصلح لميراث الحياة الأبديَّة: «إِنْ كُنْتُ أَتَكَلَّمُ بِأَلْسِنَةِ النَّاسِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَلكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ، فَقَدْ صِرْتُ نُحَاسًا يَطِنُّ أَوْ صَنْجًا يَرِنُّ. وَإِنْ كَانَتْ لِي نُبُوَّةٌ، وَأَعْلَمُ جَمِيعَ الأَسْرَارِ وَكُلَّ عِلْمٍ، وَإِنْ كَانَ لِي كُلُّ الإِيْمَانِ حَتَّى أَنْقُلَ الْجِبَالَ، وَلكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ، فَلَسْتُ شَيْئًا. وَإِنْ أَطْعَمْتُ كُلَّ أَمْوَالِي، وَإِنْ سَلَّمْتُ جَسَدِي حَتَّى أَحْتَرِقَ، وَلكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ، فَلاَ أَنْتَفِعُ شَيْئًا» (١كو ١٣: ١ – ٣).

وبدأ بولس الرسول الموهوب بالنعمة الفائقة يشرح ما هي المحبة حتى لا يكون لدينا عذر أو مُماحكة:

+ «الْمَحَبَّةُ تَتَأَنَّى وَتَرْفُقُ. الْمَحَبَّةُ لَا تَحْسِدُ. الْمَحَبَّةُ لَا تَتَفَاخَرُ، وَلَا تَنْتَفِخُ، وَلَا تُقَبِّحُ (النزول بالمحبة إلى مستوى الشهوة القبيحة)، وَلَا تَطْلُبُ مَا لِنَفْسِهَا (محبة من أجل المنفعة الذاتيَّة)، وَلَا تَحْتَدُّ (أي لا تظلِم وتضطهِد وتُسيء بدعوى التأديب)، وَلَا تَظُنُّ السُّوءَ (كل بُغضة وكراهية سببها الظن بالسوء)، وَلَا تَفْرَحُ بِالإِثْمِ (الشماتة) بَلْ تَفْرَحُ

بِالْحَقِّ (= فرح إلهي)، وَتَحْتَمِلُ كُلَّ شَيْءٍ (الصبر الطويل)، وَتُصَدِّقُ كُلَّ شَيْءٍ (في بساطة إلهيَّة)، وَتَرْجُو كُلَّ شَيْءٍ (في المسيح)، وَتَصْبِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ. (وأخيرًا) الْمَحَبَّةُ لَا تَسْقُطُ أَبَدًا (عن مستوى الصليب)» (١كو ١٣: ٤ – ٨).

ويزيد بولس الرسول في تأكيد قدرة المحبة على غلبة العالم والزوال والفناء!

أمَّا القدِّيس يوحنا، فقد أنار عيون قلوبنا بمعاني المحبة وقدرتها وسلطانها وأرعبنا من نقصها أو غيابها. وقد احتوى المحبة في إنجيله كبداية كلِّ شيء ونهاية كلِّ شيء: «فِيهِ كَانَتِ الْحَيَاةُ، وَالْحَيَاةُ كَانَتْ نُورَ النَّاسِ» (يو ١: ٤).

وابتدأ رسالته الأولى: «اللهَ نُورٌ وَلَيْسَ فِيهِ ظُلْمَةٌ الْبَتَّةَ» (١يو ١:٥). والنور عند القدِّيس يوحنا هو الله وهو الحقُّ وهو المحبة. ثم يقيس حياة الإنسان وعمله على ضوء هذه الحقائق: «إِنْ قُلْنَا: إِنَّ لَنَا شَرِكَةً مَعَهُ وَسَلَكْنَا فِي الظُّلْمَةِ، نَكْذِبُ وَلَسْنَا نَعْمَلُ الْحَقَّ» (١يو ١: ٦)، حيث الظلمة هي الشيطان وكل أعماله وأخطرها بالنسبة لله هي العداوة والبُغضة والكذب. فأيُّ ميل في ضمير الإنسان نحو العداوة والبُغضة (حتى ولو كانت ضد الأعداء) يفصلنا مباشرة عن الشركة مع الله: «إِنْ سَلَكْنَا فِي النُّورِ كَمَا هُوَ فِي النُّورِ، فَلَنَا شَرِكَةٌ بَعْضِنَا مَعَ بَعْضٍ، وَدَمُ يَسُوعَ الْمَسِيحِ ابْنِهِ يُطَهِّرُنَا مِنْ كُلِّ خَطِيَّةٍ» (١يو ١:٧)، «مَنْ قَالَ: إِنَّهُ فِي النُّورِ وَهُوَ يُبْغِضُ أَخَاهُ، فَهُوَ إِلَى الآنَ فِي الظُّلْمَةِ ... مَنْ يُبْغِضُ أَخَاهُ فَهُوَ فِي الظُّلْمَةِ، وَفِي الظُّلْمَةِ يَسْلُكُ، وَلَا يَعْلَمُ أَيْنَ يَمْضِي (يختفي طريق الله من قلبه ومن أمام عينيه)، لأَنَّ الظُّلْمَةَ (الشيطان) أَعْمَتْ عَيْنَيْهِ» (١يو ٢: ٩، ١١).

وهكذا يرى القدِّيس يوحنا أن طريق الحياة الأبديَّة في المسيح منيرٌ ويُضيء للسالكين فيه بالمحبة الأخويَّة الصادقة عديمة الغشّ والرياء (١بط ١: ٢٢)، وكأنَّ محبة الجماعة المسيحيَّة بعضها لبعض، كمصباح يُضيء أمامهم الطريق، ويرفع من قلوبهم محبة الذات ومن طريقهم العثرات المؤدِّية للهلاك وأخطرها بُغضة الأخ لأخيه.

والقدِّيس يوحنا الرسول يُعرِّف المحبة أنها الحياة الأبديَّة التي كانت مخفيَّة في الآب وأُظهِرَت لنا بظهور المسيح: «فَإِنَّ الْحَيَاةَ أُظْهِرَتْ، وَقَدْ رَأَيْنَا وَنَشْهَدُ وَنُخْبِرُكُمْ بِالْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَ الآبِ وَأُظْهِرَتْ لَنَا» (١يو ١: ٢)، وأن البُغضة، هي الشيطان وهي الموت وهي القتل، وقد ظهرت في قايين لمَّا قام على أخيه وذبحه لأنه حسده وأبغضه، لأن الله قَبِلَه وقَبِل قرابينه. لذلك عبَّر القدِّيس يوحنا الرسول عن البغضة بأنها هي القتل: «مَنْ يُبْغِضُ أَخَاهُ فَهُوَ قَاتِلُ نَفْسٍ» (١يو ٣: ١٥)، وهو تعبيرٌ مُخيف ومُرعب لكلِّ إنسان يعيش في حياة الحسد والبُغضة.

وقد أوضحها الرب يسوع في عظته على الجبل: «سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لَا تَقْتُلْ، وَمَنْ قَتَلَ يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَغْضَبُ عَلَى أَخِيهِ بَاطِلًا (أي من أجل أمور العالم الباطلة) يَكُونُ مُسْتَوجِبَ الْحُكْمِ (بالقتل)» (مت ٥: ٢١، ٢٢).

هنا كَشفٌ خطير لعمل الشيطان بإذكاء روح الحسد والبُغضة بين الإخوة من أجل أمور العالم الباطلة، وهو أيضًا كَشفٌ خطيرٌ للذات المريضة التي أفسدتها القدوة الرديئة والتعاليم الباطلة ومشورة الشيطان المؤدِّية إلى الهلاك.

وهكذا إن كان الصوم الأربعيني المقدَّس هو الفرصة الذهبية لقمع الجسد وضبط الشهوات وإخماد الانحراف نحو ملذَّات العالم؛ فهو، بآنٍ واحد، فرصةٌ إلهيَّة لكشف أيَّة ميول ذاتيَّة نحو الحسد والغيرة والبُغضة؛ وفي المقابل إذكاء روح المحبة والمودَّة الإلهيَّتين بالصِّدق والتضحية وبَذْل الذات من أجل حبِّ القريب بكلِّ تضحية مهما كانت غالية. فنهاية العالم وكل شيء هو المسيح أمامكم مصلوبًا مُمزَّق الجسد من أجل طاعته لأبيه ومحبَّته للبشر: «هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ» (يو ٣: ١٦). **القمص متى المسكين**

****

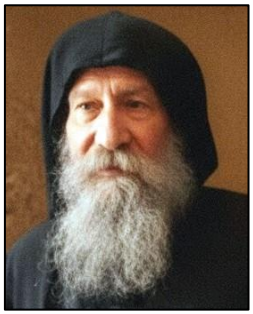
"هوذا أعظم من يونان ههنا"

للقدِّيس يوحنا ذهبي الفم

[فإنه هو (أي يونان النبي) كان مجرد عبدٍ؛ وأمَّا أنا (الرب يسوع) فإني السيِّد. هو خرج من بطن الحوت؛ وأمَّا أنا فقمتُ من بعد الموت. هو كَرَزَ بالهلاك؛ وأمَّا أنا فجئتُ مُبشِّرًا بالملكوت. إنهم (أهل نينوى) آمنوا به دون أن يصنع آية؛ وأمَّا أنا فأظهرتُ آياتٍ بلا عدد. إنهم لم يسمعوا منه أكثر من ذلك الكلام (التهديد بالهلاك)؛ وأمَّا أنا فحرَّكتُ فيكم جميع المُثُل العُليا. إنه جاء كمجرد خادم؛ أمَّا أنا فأتيتُ كربٍّ وسيِّد الجميع، ليس لأُهدِّد أو أُحاسب من جهة الاستقامة، بل لأُقدِّم لكم الصَّفْح ... لم يتنبَّأ أحدٌ عنه؛ وأمَّا عنِّي فالجميع تنبَّأوا. ثم جاءت الأحداث مُطابقة للنبوَّات. هو عند ذهابه إليهم هرب لئلا يسخروا به؛ وأمَّا أنا فجئتُ عالمًا أني سأُصلب ويُستهزأ بي. **هو لم يحتمل مجرد التعيير من أجل الذين سيخلصون؛ وأمَّا أنا فاحتملتُ الموت، بل وأشنع موت لأجلكم!**].

(تفسير مت ١٢: ٤١)

****



انتقال
راهب فاضل

العملاق الروحي

الراهب القمص مينا المقاري

وُلدَ في: ١٩٢٨/٢/٢٤م
ترهَّب في: ١٩٥٢/٨/٢٨م
رُسِم كاهنًا في: ١٩٥٥/١١/٢٠م
تنيَّح في: ٢٠٢٥/١٢/١٣م

البدايات الأولى

الأسرة والتَّنشئة:

لا نعرف الكثير عن طفولة الطفل جوزيف، سوى أنه وُلد في ١٩٢٨/٢/٢٤م من أسرة مسيحيَّة بسيطة في محافظة الفيوم. كانوا أربعة إخوة، له أخ أكبر منه بـ ١٥ سنة، وأختان أصغر. توفِّي والده في ضربة القطن الشهيرة سنة ١٩٢٩م، وكان جوزيف يبلغ من العمر سنتين. وتولَّت الأُم التَّقيَّة الاهتمام بالأولاد[٢]، وتولَّى أخوه الكبير (الأستاذ شوقي) الصرف عليهم[٣]. ويذكر جيِّدًا أنَّهم كانوا يجتمعون يوميًّا، بعد رجوعهم من جمعيَّة الكتاب المقدَّس في المساء، ويرنِّمون ويصلُّون. وبالرغم من أن هذه الفترة في حياته لم تستمرَّ أكثر من ثمانية عشر عامًا، إلَّا أنها تركت أثرًا كبيرًا في حياته الطويلة بعد ذلك. وظلَّت الترانيم التي كانوا يتلونها في جلستهم المسائيَّة اليوميَّة محفوظة في ذاكرته، يُردِّدها بتلقائيَّة وسهولة دون أن ينساها وحتى طريقة لحنها[٤].

بعد أن أنهي الطالب جوزيف التوجيهيَّة (الثانوية العامة) بمدارس الفيوم، انتقل للدراسة في كليَّة العلوم جامعة فاروق الأول (جامعة القاهرة).

الاشتياق للرهبنة:

كانت اتِّجاهات الشاب جوزيف منذ البداية لتكريس نفسه، ويقول إنَّه فكَّر وهو في الكليَّة أن

---

(٢) يحكي أبونا مينا، أنَّه وهو صغير لاحظ مرةً أنَّ والدته تذهب وتختبئ خلف الدولاب كلَّ يوم لفترة من الوقت، فأراد أن يعرف ماذا تفعل! فسمعها تصلِّي وتقول: "أنا فِداهم يا رب، أنا فِداهم يا رب". ويقول إنَّه لم يفهم شيئًا وقتها، وعندما كبر فَهِم أنها كانت تصلِّي من أجل أولادها.

(٣) كان أخو الطفل جوزيف هو أمين الخدمة في مدارس أحد الأصدقاء، وقد أخذه معه في الخدمة وكان عمره عشر سنوات.

(٤) انظر مقاطع من بعض هذه الترانيم في الكتاب التذكاري المنشور بنفس عنوان هذا المقال: "العملاق الروحي" الراهب القمص مينا المقاري. في باب: "أبونا مينا وحياة التسبيح".

يدخل الدير ويترهَّب. ولكن نصحه أب اعترافه أن يُكمِّل دراسته أوَّلًا لئلا يدخل الجيش (فالإعفاء من الجيش بسبب الرهبنة كان وقتها فقط لمَنْ أكمل دراسته الجامعية). لكن من شدَّة تَمَلُّك هذه الرغبة عليه، ذهب وهو ما زال في الكلية ليترهَّب عند القمص مينا المتوحِّد (وهناك التقى مع الأب متى والذي كان ما زال علمانيًّا)، وعندما علم الأهل بذلك جاءوا إليه وأجبروه على الرجوع معهم، فرضخ لهم، وإنْ بقيت الرغبة كامنة في قلبه. وتكررت المحاولة مرةً ثانية، فذهب لدير الأنبا بولا، إلَّا أنَّ أسقف الدير أشار عليه بالحصول على البدليَّة أوَّلًا (والتي هي مقابل مادي للإعفاء من الجيش). فيعود أدراجه، ولكن العجيب أنه يُفاجأ بعد رجوعه مباشرة للقاهرة بإلغاء البدليَّة، وكأنَّ الله أراده أنْ لا يترهَّب إلَّا بعد الحصول على البكالوريوس.

انتهت السنة الدراسيَّة أواخر مايو سنة ١٩٥١، وتم تعيينه للعمل في دمياط كمدرس للعلوم في مدرسة دمياط الثانوية الصناعية، ووصل إليها في أواخر ديسمبر سنة ١٩٥١م. وفي هذا المكان الجديد، كان يخدم أيضًا في مدارس الأحد، وفي خدمة الشباب. وكانت تلك الفترة مُثمرة جدًّا، بالرغم من أنَّها لم تتعدَّ الـ ٦ أشهر، وقد انتشرت الخدمة في كافة أنحاء المدينة، وفي كافة المراحل السِّنِّيَّة. وعندما علم زملاؤه في الخدمة برغبته في الرهبنة، كانت القصة المُكرَّرة والمُعادة مع كلِّ طالب رهبنة له خدمة ناجحة في الكنيسة، فحاولوا بشتَّى الطُّرُق أنْ يثنوه عن سعيه، فهُمْ قد أحبُّوه، وأثمرت خدمته في بلدهم. وأحد زملائه من المدرِّسين قال له: "ماذا ستُقدِّم في الدير؟ أنت هنا لك ثمر ونشاط، وخدمتك ستتوقَّف برحيلك". فردَّ عليه الأخ جوزيف: "أنت هنا مدرس في مدرسة، ولكن هل فكَّرتَ أنَّه توجد خلفك إدارة تعليميَّة ضخمة في القاهرة، تُدير العمل وتُنظِّمه وتوجِّه المدرِّسين وتدفع المرتبات، وأنَّه لولاها لَمَا كنتَ أنت هنا! هكذا لولا أن كثيرين مُختفين يسندون الخدمة في الخفاء كالرهبان، ما كان للخدمة ثمرٌ أو نتيجة". وسكتَ هذا الزميل، ولم يُحِر جوابًا. وفي يونية ١٩٥٢م، قدَّم الأخ جوزيف استقالته وأعطاها لأحد زملائه لتقديمها.

الطريق للرهبنة:

ذهب جوزيف لمُقابلة رئيس دير الأنبا بولا في مقرِّ الدير بالقاهرة، وعرض عليه رغبته في الرهبنة، فرحَّب به جدًّا، وقال له إنَّ ميعاد القافلة التي تنزل الدير ستكون في أغسطس؛ فعليه أنْ يأتي قبلها، ويكون جاهزًا لينزل معها. وفي رجوعه عرَجَ على الأب مينا المتوحِّد في كنيسته بمصر القديمة، وعندما أبلغه أنَّه سوف يترهَّب في دير الأنبا بولا، ثار جدًّا، ورفض بشدَّة، وقال له: "إنَّ

عليه أن يترهَّب مثل إخوته الذين سبقوه: الراهب متى (الأب متى المسكين) والراهب مكاري (الأنبا صموئيل) في دير الأنبا صموئيل"[٥]. ولمَّا لم يستطع إقناعه، قال له: "حاضر"، وعاد إلى بيته.

كان الوقت لا يزال مُبكِّرًا على قافلة شهر أغسطس لدير الأنبا بولا، فقرر الذهاب لدير السُّريان ليقضي فيه فترة يتعرَّف هناك على حياة الأديرة قبل رهبنته. وهناك تقابل مع الأب متى المسكين في مغارته، الذي رحَّب به ولمَّا عرف منه أنَّه سوف يذهب ليترهَّب في دير الأنبا بولا، عرض أبونا متى عليه أن يترهَّب في دير السُّريان! ولكن الأخ جوزيف، وبحسٍّ رهباني، وهو ما يزال علمانيًّا، يقول له: "إنَّ الرهبنة هي طاعة، والدير هنا بدأ ينفتح على العالم والخدمة، فهو لا يقدر أنْ يرفض طاعة الرؤساء إنْ هم طالبوه بالنزول والخدمة في العالم"! ففهم أبونا متى وجهة نظره، وقال له: "إنَّه إذا ترهَّب في الدير، سيضمن له البقاء بالدير، وتهيئة حياة الوحدة له، وباختصار: إنَّه في عهدته (كان أبونا متى في ذلك الوقت قد صار رُئِّيتة الدير)". وفعلًا قُبِلَ الأخ جوزيف كأخ جديد في دير السُّريان.

الرهبنة:

في أحد الأيام، استدعي أبونا متى المسكين الأخ جوزيف، وقال له : "غدًا سوف تُرسم راهبًا". ويحاول الأخ جوزيف أن يقول له: "لماذا الاستعجال؟ أنا فرحان بوضعي ولا يهمُّني الشكل". لكن الأب متى أقنعه بأنَّ الظروف صعبة، وهي التي أجبرتهم على هذا. وفعلًا، وفي ليلة ٢٨ أغسطس، في تذكار نياحة ميخا النبي، وثالث يوم وصول جسد أنبا مقار لديره، تمَّت رسامته باسم: "الراهب مينا السُّرياني" في ليلة صلاة بالكنيسة حتى الصباح، أي بعد أقل من شهرين لدخوله الدير في ٣٠ يونية ١٩٥٢.

وقد أصرَّ أبونا مينا أنْ يكون الأب متى المسكين هو أب اعترافه، برغم أنَّ الفارق الزمني والرهباني بينهما ليس كبيرًا، ولكنه كان قد وضع في نفسه منذ أنْ صار راهبًا أنْ يكون ابنًا له مدى الحياة، لأن الرهبنة قائمة على الأبوَّة والبنوَّة. وبنى هذا الراهب الجديد مغارةً لنفسه في الجبل، فكان يعتكف فيها فترةً، وينزل للعمل فترةً أخرى.

الكهنوت:

في دير السُّريان، نال أبونا مينا درجة الكهنوت، وكان ذلك بخدعة من الأنبا ثيئوفيلس.

---

(٥) كانا قد انتقلا في ذلك الوقت إلى دير السُّريان.

يقول عنها أبونا مينا: [عَرَضَ عليَّ الأسقف الكهنوت كثيرًا، وأنا كنتُ أرفض باستمرار، لدرجة أنَّه في مرَّةٍ تركتُ الدير، وذهبتُ لأعيش مع الراهب عبد المسيح الحبشي، وسكنتُ بقرب مغارته. وكانت المعيشة صعبة جدًّا، ولكنني كنتُ في منتهى السعادة. كنتُ أنوي أن أُقيم معه، ولا أتركه. وتعلَّمتُ منه الكثير من المفاهيم الرهبانيَّة. ولكن الأسقف أرسل لي بعد أسبوعين الأب متياس (الأنبا دوماديوس المُتنيِّح)، وقال لي: "سيِّدنا يُسلِّم عليك، ويقول لك: لا تزعل، وأنَّ العذراء ظهرت له، وطلبت منه أنْ يترك الراهب مينا في حاله. لذلك هو (أي الأسقف) يقول لك تعالَ، وهو لن يغصب عليك. أنت حُرٌّ في اختيارك"].

وفعلًا رجع أبونا مينا إلى الدير وهو مُطمئن. ويحكي أنه [في مرة، بعد شهرين، كانت العادة أنَّه عند دخول الأسقف الكنيسة، يمرُّ على الرهبان واحدًا واحدًا، وهم يسجدون ويُقبِّلون صليبه، وعندما جاء دوري، إذا به يرفع الصليب فوق رأسي، ويقول: "مينا بريسفيتيروس على مذبح دير السُّريان". وإذ براهب بجانبي اسمه مرقوريوس يقول: "آمين". وأنا في مُنتهى الذهول. وأخذني الأنبا ثيئوفيلس بيده وجرَّني وراءه للهيكل، وبدأ الرسامة[٦]. وطوال الرسامة كان كلانا: أنا والأسقف نبكي]. وكان ذلك يوم الأحد ٢٠ نوفمبر ١٩٥٥.

ملحوظة

ترهَّب أبونا مينا في دير السُّريان في أغسطس ١٩٥٢، وانتقل إلى دير الأنبا صموئيل سنة ١٩٥٦. وفي سنة ١٩٦١، ذهب إلى وادي الريان، وبَقِيَ هناك حوالي ٩ سنوات، تخلَّلتها بضعة شهور قضاها في دير الأنبا صموئيل للمُساعدة في تعميره (مع الأب إرميا والأب أليشع)، وكان ذلك بدءًا من ١٢ فبراير ١٩٦٦، بناءً على دعوة وجَّهها قداسة البابا كيرلس السادس للأب متى المسكين الذي لبَّاها للفور. وأخيرًا جاء أبونا مينا مع مجموعة رهبان وادي الريان إلى دير الأنبا مقار سنة ١٩٦٩، لتبدأ بعدها ملحمة خالدة في البناء والتعمير.

هذه الثلاث عشرة سنة (١٩٥٦ إلى ١٩٦٩) من التنقُّل من مكانٍ لمكان والجولان في

---

(٦) حفظ أبونا مينا ألحان القدَّاس من الأب يوسف السُّرياني. وكان الأنبا ثيئوفيلس يرتاح لوجود الأب مينا معه في صلاة القدَّاس، لأنه كان يقول له الألحان الكبيرة مثل: طفه هينا، أسباذيستي.

وبالرغم من أنَّه لم يصلِّ قدَّاسًا منذ سنوات طويلة، إلَّا أنَّ ألحان القدَّاس كانت ما زالت في ذهنه لم ينسها. فكان يُدندن جزءًا من القدَّاس الغريغوري: "أتيتَ إلى الذبح مثل حَمَلٍ حتى إلى الصليب" باللغة القبطيَّة بلحنها الطويل! وكان يعرف أنَّها على وزن لحن التسبحة المعروف: "هوس إيروف".

البراري، لا شكَّ أنها أنضجت وبَنَت نفس هذا الراهب الصغير المُبتدئ.

لمحات من حياته الخاصة

الأب مينا هو أبٌ للجميع، يحتضن الكل، يستر على الخاطئ منهم ويُدافع حتى عن المُذنب.

كان صديقًا لكُتُب الآباء، وبالأخصِّ آباء الرهبنة، مثل نُسكيَّات مار إسحق، وهو قد تشبَّع به تمامًا ونَسَخَه كثيرًا، وأهداه لكثير من أولاده. ومن نساخته تلك كنَّا نُصوِّر عدَّة نُسَخ. انتشرت كُتُب مار إسحق، ليس في ديرنا فقط، بل في كلِّ الأديرة. ولا زالت مكتبة دير أنبا مقار محتفظة بنُسخة خطيَّة أصليَّة بيده. وكان يقول إنه نقلها عن نُسخة أبونا مينا البراموسي (المُتنيِّح البابا كيرلس السادس).

امتلك أبونا مينا العديد من المواهب والمهارات الحِرَفيَّة والفنيَّة واليدويَّة. كان يُجيد صناعة صلبان الجلد، وضَفْر الخوص لعمل سلال، وتجليد الكُتُب. كما أنَّه كان يُزيِّن مقدِّمات الكُتُب بصليب مُزخرف رائع.

لا شكَّ أنَّ حياة الصحراء علَّمته الكثير. ثم إنَّ الحاجة وصعوبة الحصول على ضروريات الحياة، خصوصًا في الأيام الأولى لإقامتهم في وادي الريان، جعلته يتفنَّن في إيجاد واختراع البديل. على سبيل المثال، اشتكى الآباء في وادي الريان من ملوحة الماء الشديدة، واخترع أبونا مينا جهازًا لتقطير الماء يكفي لاستخدامهم اليومي. وغير ذلك الكثير.

هو رجل النظام والترتيب، يتميَّز بالدقَّة في عمله. فعندما كان مسؤولًا عن العمل بالدير، كان في الصباح يُجهِّز لكلِّ راهب وعامل يعمل معه ورقة بها ترتيب العمل، وما هو مطلوب منه.

بالرغم من أنَّ الأب مينا كان المسؤول الأول عن الأعمال وحركة التعمير بالدير وعن كلِّ تكليفات الأب متى المسكين؛ ولكنه كان يستثمر الدقائق القليلة الباقية من يومه في حياته الخاصَّة داخل القلاية، فهو الراهب العَمَّال المُلتزم. فكان الإنجيل أمامه مفتوحًا دائمًا أمامه. ثم هناك أيضًا كتاب يُترجمه أو ينسخه. وما أكثر ما نسخ ونقَّح من كُتُب آباء الرهبنة. وفي سنواته الأخيرة، كان الآباء يُطلعونه على تأملاتهم وعلى ما يكتبونه أو يُترجمونه؛ فكان يُراجعها ويُقيِّمها، ويُصحِّح ما فيها من أخطاء لغوية.

وقد ترجم من الإنجليزيَّة (التي كان يُجيدها) عشرات الكُتُب، وأيضًا ترجم عن الفرنسيَّة.

والعجيب أنَّه تعلَّم اللغة الإيطاليَّة خصيصًا لكي تُساعده في بعض كُتُبه (تعلَّمها بينما كان عمره تخطَّى السبعين عامًا)! وبالإضافة إلى اللغة القبطيَّة باللهجة البحيريَّة، تعلَّم القبطيَّة الصعيديَّة التي ساعدته على ترجمة سِفْر المزامير.

وكان كلَّما ترجم كتابًا أو حقَّق مخطوطًا، كان يطبع منه نُسَخًا كثيرة، ويوزِّع على الرهبان. وعندما كانوا يُعيدونها إليه، كان يُراجعهم فيما قرأوه واستفادوه. وكان الرهبان ينتظرون دورهم ليستعيروا منه الكتاب (في زمنٍ لم يكن فيه تصوير الكُتُب متوفِّرًا بكثرة).

أبونا مينا عاش طيلة حياته في بَذْل وتعب مستمرَّين، لم يتوقَّف لحظةً واحدة عن الجهاد سواء في حياته الشخصيَّة أو من أجل الآخرين. وعندما ضعفت قوَّته الجسديَّة في السنين الأخيرة، وصعب عليه النِّساخة والترجمة ومراجعة كتابات الآباء، ولئلَّا يُصاب بالخمول وتبلُّد العقل؛ كان يُنشِّط ذاكرته بالجلوس على المكتب ويكتب بخطِّه النَّسخ العربي الجميل آياتٍ إنجيليَّة تأثَّر بها ورأى أنها لازمة وأساسيَّة لحياتنا.

وبالرغم مِن أنَّ الأب مينا هو راهبٌ منذ أكثر من ٧٠ سنة، أضنكته حياة الصحراء ونُسك المغائر، ولكن العجب أنَّك تُفاجأ بنفسٍ رقيقة تتذوَّق الفن، وتشعر بجمال الطبيعة، يُبهرها منظر الغروب، يُفرِّحها تفتُّح زهرة حيَّة نَمَتْ مُفردة على باب قلايته.

كثيرًا ما كان يرى زائره عنده لوحةً فنيَّة لها معانٍ رمزيَّة روحيَّة اقتطعها من جريدة أو صوَّرها من كتاب، كان هو قد رآها، فأعجبته، فقام بتعليقها أمامه، ثم يُريها لزوَّاره ليُشاركوه رؤيته ليأخذوا منها درسًا روحيًّا.

كما أنَّه هو الشاعر شديد الإحساس، الذي يُترجم مشاعره وأحاسيسه في لغةٍ شاعريَّة رقيقة وكلماتٍ مُقفَّاة، قريبة من الشِّعر العربي العمودي.

كان أبونا مينا يحتفظ بعقلٍ يَقِظ وذاكرة قويَّة، ويستطيع أنْ يسترجع بكلِّ دقَّة حوادث مرَّت عليها عشرات السنين. وأثناء كلامه الروحي معنا يتذكَّر ترنيمةً قديمة مناسبة تمامًا لموضوع الحديث، كان قد حفظها ربما منذ أكثر من ٨٠ سنة! يقول بيتًا أو أكثر منها باللحن، بصوته الأجش، ويسألنا: "هل تعرفونها؟!"، وعندما نُجيبه بالنفي، يقول لنا: "ما ذا تعرفون إذن؟!".

وهو رجل الدُّعابة الوقورة الهادفة، والمُتطابقة مع الموقف. ولكنه أبدًا لا يميل للهَزْل، والخروج عن الوقار الرهباني. حدث أن رأى مرةً أحد الآباء يبدو عليه الحزن، ووجهه مُطرقٌ

لأسفل وعليه كآبة، فسأله فجأة: "مستعدٌّ يا أخ"؟ وكأن الأب قد لُدِغ، وباغته شعور أنَّ المسيح بنفسه هو الذي سأله هذا السؤال، فماذا يكون حاله، وهل هو فعلًا مستعدٌّ؟[٧]!

كنا نزوره، ولا سيَّما في الأعياد، لنأخذ بركته، وكلمة منفعة. وهو دائمًا يكون مُستعدًّا لهذه المناسبة، فيُهادينا بتهنئة منه، في ورقة قد طبعها، بها معنى العيد، وتمنياته لنا.

في الحقيقة، كان أبونا مينا يُنادي ويوصي بما هو يحياه بالفعل. فهو يحيا حياةً واحدة.

نعم، بالحقيقة، كان أبونا مينا شخصيَّة جامعة متكاملة، حَوَت داخلها أُبوَّة روحيَّة، وفضائل إنجيليَّة، وحياة نُسكيَّة تقشفيَّة، وقُدرات عقليَّة، وحِرَفًا فنيَّة ... كلُّ هذه كانت مُجتمعة ومُؤتلفة معًا فيه.

وفي يوم السبت ١٣ ديسمبر ٢٠٢٥م (من صوم الميلاد المجيد)، انطلقت هذه النَّفْس الطَّاهرة إلى الفردوس لتلتقي بعريسها السماوي الرب يسوع الذي أحبَّته من كلِّ القلب ومن كلِّ النفس ومن كلِّ القدرة.

كلمة قداسة البابا تواضروس الثاني

تعزياتي الحارَّة في رحيل هذا الشيخ الوقور والراهب الأصيل (القمص مينا المقاري)، صاحب الجهاد الرهباني والروحاني.

على مدى حياته و نُسكه كان نورًا مستقيمًا في إرشاد و تلمذة وتعليم ونقل خبرة البريَّة الثمينة إلى كلِّ المُشتاقين لهذه الحياة السماويَّة بحسب الإنجيل المقدَّس ...

لقد كان صورةً حقيقيَّة مِن مُعلِّمه المسيح يسوع في الفضيلة والمحبة وأمانة الطريق وبَذْل الذات، حتى صارت حياته والتزامه بالدير وقانونه الرهباني مثالًا وقدوةً ونموذجًا لنا جميعًا ... وها هي رائحة المسيح الذكيَّة تفوح مِن سيرته الطاهرة وحياته المُطوَّبة.

التعزيات السماويَّة لكلِّ آباء الدير العامر، وللرهبنة القبطيَّة، ولكلِّ مُحبيه وتلاميذه.

على رجاء القيامة نودِّعه، طالبين صلواته حتى يُكمِّل الربُّ حياتنا بسلام.

---

(٧) بعدها أراد أبونا مينا أن يُلطِّف من هذه المفاجأة؛ فحكى قصة الحلَّاق الذي قَبِلَ المسيح، وكان يُريد أن يُشرِك معه آخرين في اختباره؛ فانتظر الحلَّاق أول زبون مسيحي يدخل عنده، وما إن بدأ حلاقة ذقنه، وبدأ يسنُّ السلاح، سأل الزبون فجأة ودون مقدِّمات: "مستعدٌّ يا أخ؟". فانتفض الرجل من على الكرسي والصابون على وجهه، وخرج من الدُّكان مُرتعبًا. وبالطبع نَسِيَ هذا الأب خضَّته هو، وأخذ يضحك على هذا الموقف ...

كلمة نيافة الأنبا متَّاؤس أسقف دير السُّريان[٨]

يعزُّ علينا جدًّا أنْ نودِّع أبانا ومُرشدنا القمص مينا المقاري.

أبونا مينا كان بالنسبة لنا المرجع والمُعزِّي في كلِّ الأديرة، وليس في دير أنبا مقار فقط.

كان رهبان دير السُّريان يحبُّونه جدًّا، ومَنْ كان منهم مُتضايقًا، كان يزور الأب مينا ويقول: "يكفينا النظر إلى وجهك يا أبانا".

نحن عندما نذكُر أبانا مينا، فنحن نذكُر الرهبنة الحقيقيَّة وسُكَّان المغاير. نتذكَّر آباء أوائل القرن الرابع الذين أسَّسوا الرهبنة.

تساءل المُرتِّل مرة قائلًا: «مَنْ هذِهِ الطَّالِعَةُ مِنَ الْبَرِّيَّةِ كَأَعْمِدَةٍ مِنْ دُخَانٍ مُعَطَّرَةً بِالْمُرِّ وَاللُّبَانِ وَبِكُلِّ أَذِرَّةِ التَّاجِرِ؟» (نش ٣: ٦). خمسة وسبعون عامًا عاشها أبونا مينا تعطَّرت نفسه وجسده ببخور المذبح، وصلوات المزامير، وحياة الصوم الكثير، وبأذرَّة التَّاجر أي بكلِّ الفضائل.

بفهمنا البسيط نقول: "سقط عمودٌ عظيم في البريَّة"، ولكننا نُراجع أنفسنا حالًا ونقول: "بل قام وصَعِدَ لينال أجر تعبه وجهاده لهذه السنوات الطوال".

من كلِّ قلوبنا، باسمي وباسم مجمع رهبان دير السُّريان، نُقدِّم خالص العزاء لمجمع رهبان دير الأنبا مقار راهبًا راهبًا.

ربنا يُعزِّيكم ويُعزِّينا جميعًا. ونطلب أنَّ الربَّ يُكمِّل جهادنا كما جاهد هو، ويُساعدنا لنلتقي كلُّنا معه في السماء.



(٨) الكلمة التي ألقاها نيافته أثناء صلاة الجنَّاز.
يُذكر أنَّ نيافة الأنبا متَّاؤس كان يُكِنُّ محبةً خاصَّة لأبينا مينا، وفي كلِّ مرة كان يأتي فيها إلى الدير، كان يزوره سواء كان في قلايته بالدير أو في المغارة في الجبل، وعادةً كان يصطحبه رهبان كثيرون من ديره.



الصَّوم الطَّاهر
أساسٌ لكلِّ فضيلة

مختارات من الرسالة الفصحيَّة الأولى
للقدِّيس كيرلس الكبير[1]

(٣٧٥ – ٤٤٤م)

✠



الصَّوم الطَّاهر النَّقي:

٣ – فلْيأتِ، إذًا، إلى وسطنا تلميذُ المسيح، وَلْيُعلِّمنا منهجَ الصَّوم، ولنُصغِ إليه إذ هو نفسه يقول: «الصَّوم الطَّاهر والنَّقيُّ عند الله الآب هو هذا: افتقاد الأيتام والأرامل في ضيقتهم، وحفظ النَّفس بلا دنسٍ من العالم» (يع ١: ٢٧ حسب النَّصِّ). وأمَّا كيف وبأيِّ أسلوب نبلغ ما قد قيل؟ فالأمر يسيرُ العثور عليه. فإنِّي أرى أنَّ ناموس الطَّبيعة نفسَه يكفي لذوي الفكر السليم، إذ يُعلِّمنا أنْ نُبغض كلَّ ما يبدو مُخالفًا للوصايا الإلهيَّة، ويُقنعنا أنْ نجعل إرادة واضع النَّاموس تسود علينا. وإنْ كان أحدٌ يظنُّ أنَّنا بحاجة إلى أوامر أوضح من ذلك، فَلْيسمع بولس الرَّسول وهو يقول: «أَمِيتُوا أَعْضَاءَكُمْ الَّتِي عَلَى الأَرْضِ: الزِّنَا، النَّجَاسَةِ، الْهَوَى، الشَّهْوَةَ الرَّدِيَّةَ» (كو ٣: ٥).

فليس أبدًا بمجرد التَّقشُّف، ولا بالامتناع عن بعض الأطعمة، نجد أصدق ما في نعمة الصَّوم، ولا بالانفصال عن هذه الأشياء وحدها، نكون أطهارًا وقدِّيسين بالكلِّيَّة، بل إنَّما بطرد تلك الأفكار من أنفسنا، الَّتي لأجلها وُجد دواء الصَّوم. فلنُصغِ، إذًا، للقدِّيس القائل: «نَقُّوا أَيْدِيَكُمْ أَيُّهَا الْخُطَاةُ، وَطَهِّرُوا قُلُوبَكُمْ يَا ذَوِي الرَّأْيَيْنِ» (يع ٤: ٨). هذا حقًّا هو منهج الصَّوم؛ فبهذه تظهر أفضل الأعمال. فلا تُغذِّ عقلك باللَّذَّات المُشينة؛ وَلْتُبْطَلْ عنك شوكة الزِّنى؛ اجعلْ فكرَك حُرًّا من الأهواء؛ اهربْ من شركة النَّجاسات، لكي تُزكِّي نفسَك بذلك أمام الله؛

---

(١) كُتبتْ هذه الرِّسالة الفصحيَّة عام ٤١٤ م؛ وقد تُرجمت الفقرات ٣، ٤، ٥ من اليونانيَّة عن النَّصِّ اليونانيِّ المنشور في:

Epistulae paschales sive Homiliae paschales. PG 77.409-417. CPG, 5240. See also: Cyrille d'Alexandrie, *Lettres Festales* I-VI, SC. 372, pp. 158-173.

فهذه الأمور ستجلب لك إكليلَ البرِّ. فحَسَنٌ، إذًا، في حينه الامتناع عن الأطعمة الزَّائدة، والانصراف عن أيِّ مائدةٍ مسرفةٍ، لئلَّا إذَا تنعَّمْنا بالأطعمة الَّتي تفوق حاجتنا، نوقِظ في أنفسنا خطيَّةً كانت نائمةً. فإنَّ الجسد إذَا امتلأَ وترفَّهَ بهذه، صار جامحًا، ومُقاوِمًا لشهوات الرُّوح؛ وأمَّا إذَا ضَعُفَ ولم يُعَنْ بما هو زائدٌ، فبالضَّرورة يتركُ الغلبةَ للرُّوح.

وهذا أيضًا يُعلِّمنا به الطُّوباوي بولس، إذْ يقول هكذا: «وَإِنْ كَانَ إِنْسَانُنَا الْخَارِجُ يَفْنَى، فَالدَّاخِلُ يَتَجَدَّدُ يَوْمًا فَيَوْمًا» (٢كو ٤: ١٦). فإنْ رُفِعَت الأُلْفَة بين طرفَيْنِ بسبب التَّضادِّ في الرَّأي، وعدم التَّوافُق في المنهج، فالطَّرف الَّذي له القدرة على إخضاع الآخر هو الَّذي ينال السِّيادة. وأمَّا أنَّ الغلبة تكون للأقوى، فأظنُّ أنَّ الجميع يوافقون معًا على ذلك. فبقدر ما يكون لنا ربحٌ من هذا الأخير (الإنسان الدَّاخليِّ)، فمن المتوقَّع أنْ يكون لنا ضررٌ من الأوَّل (الإنسان الخارجيِّ)، إذَا ما نال التَّفوُّقَ على الذي هو أفضل منه.

الصَّوم هو مثال السِّيرة الملائكيَّة:

٤ – فَلْيخمدْ، إذًا، الشَّرُّ فينا، وَلْتُبطلْ كلُّ لذَّةِ الأطعمة، وَلْيدخلْ إلينا الصَّوم الحكيم، عدوُّ كلِّ خطيَّة؛ وقد رأيتُ، أيُّها الأحبَّاء، أنَّه يجب أنْ أُظهِر لكم محاسن الصَّوم من أمثلةٍ قديمة، وإنْ كنتم تعرفونها. فقل لي: ما هو الَّذي جعل الطُّوباويَّ يوحنا المعمدانَ رجلًا عظيمًا بهذا المقدار وبهذا المقام؟ ومن أين نال تلك الشَّهادة السَّامية، إذْ قال عنه مخلِّصُنا المسيح: «لم يقُمْ بين مواليد النِّساء أعظم من يوحنَّا المعمدان» (لو ٧: ٢٨)؟ وما هو الَّذي أعدَّ موسى ليدخلَ إلى الغمام ويَمثُل وكأنَّه كاهنٌ عظيمٌ أمام الله؟ أليس هو الصَّوم، الَّذي يُولِّد فينا صورةَ كلِّ فضيلة؟ الصَّوم هو مثال السِّيرة الملائكيَّة، وهو ينبوع التَّعقُّل، وأساس ضبط النَّفس وإزالة الشَّهوة.

قوَّة الصَّوم في حياة الفتية الثَّلاثة وأهل نينوى:

الصَّوم هو الَّذي جعل الفتية الثَّلاثة مُهابين وغير مقهورين أمام البابليِّين، هؤلاء الفتية الَّذين، مع أنَّ لهم الحقَّ في المُشاركة في مائدة الملك وولائمه الفاخرة، التمسوا أنْ لا يأكلوا إلَّا من حبوب الأرض؛ تاركين للبابليِّين كثرة اللَّحم وشهوة الجسد، وجاعلين إيَّاهم يتفوَّقون عليهم في مجالٍ يحسنُ للإنسان أنْ يكون فيه مغلوبًا، إذْ أحبُّوا طعامًا بسيطًا غير مُتكلَّف. ولكن انظر إلى الثَّمر النَّاتج من ذلك: فقد استحقُّوا رؤًى إلهيَّة، وظهروا أقوى من النَّار، ووبَّخوا تهديد الملك، وتسلَّطوا على الأسود، محوِّلينها إلى وداعةٍ مُخالفة لطبيعتها. وما

الَّذي أنقذ أهل نينوى من ذلك التَّهديد العظيم؟ فقد كان النَّبيُّ (يونان) يُنادي: «ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ بَعْدُ، وَتَنْقَلِبُ نِينَوَى» (يون ٣: ٤). أمَّا هم، فباتِّخاذهم الصَّوم حصنًا منيعًا، قد هدَّأوا الغضب الإلهيَّ، وتخلَّصوا من الشُّرور المُنتظرة.

مخاطر التَّرف في الأطعمة:

ويمكن أنْ يُقال كثيرًا عن فوائد الصَّوم. غير أنَّه أمرٌ واضحٌ ومعروفٌ عند الجميع أنَّ الصَّوم صالحٌ، ومحاولة إثبات ذلك بكثرة الأمثلة أرَاهُ زائدًا وباطلًا، إذْ إنَّ الصَّوم يحمل في ذاته دلائل الحقِّ. ولمَّا كان جماله يتجلَّى أكثر بالمقابلة مع نقيضه؛ فَلْنُظهرْ، إذًا، الزَّلَّات الَّتي تنشأ من التَّرف في الأطعمة؛ ونكشف ما أصاب البعض بسببه، وندعو ضحاياه أنفسهم شهودًا على ما نقول. لقد كان شعب العبرانيِّين يُخيِّم مرَّةً في البرِّيَّة؛ بينما موسى كان قد دُعي إلى جبل سيناء، حيث تقبَّل من الله النَّاموس. وأمَّا هم، فانتهزوا فرصة غياب معلِّمهم ليسلكوا بلا مشورة، ويُهملوا انضباطهم الحسن السَّابق، فانصرفوا إلى شهواتٍ غريبة. حيث قِيل: «جَلَسَ الشَّعْبُ لِلْأَكْلِ وَالشُّرْبِ ثُمَّ قَامُوا لِلَّعِبِ» (خر ٣٢: ٦). أمَّا اللَّعِب هنا، فهو الزِّنى، وقد سَتَرَهُ النَّصُّ الإلهيُّ تحت اسم "اللَّعِب" على سبيل التَّأدُّب. وما الشَّرُّ الَّذي أصاب أولئك الَّذين زَنَوْا؟ اسمعْ بولس الرَّسول يقول: «وَلَا نَزْنِ كَمَا زَنَى أُنَاسٌ مِنْهُمْ، فَأَهْلَكَتْهُمُ الْحَيَّاتُ» (١كو ١٠: ٨، ٩). وما أعظم الضَّرر الَّذي أصابهم، حين لم يُقدِّروا غذاء المَنِّ السَّماويِّ، بل تذكَّروا طعام مِصر قائلين: «لَيْتَنَا مُتْنَا مَضْرُوبِينَ (بِيَدِ) الرَّبِّ فِي أَرْضِ مِصْرَ، عِنْدَمَا جَلَسْنَا عِنْدَ قُدُورِ اللَّحْمِ وَكُنَّا نَأْكُلُ لِلشَّبَعِ!» (خر ١٦: ٣).

فوائد أتعاب الصَّوم:

إذًا، من خلال هذه الأمثلة أظنُّ أنَّه قد ظهرت لكم بوضوح منافع الصَّوم. وقد يقول أحدٌ: أعلمُ أنَّ الصَّوم ليس عديمَ الفائدة، لكن تعبُه ليس بلا ضرر، بل هو أشدُّ ما يكون تعارُضًا للطَّبيعة. يا للعار ويا للتَّناقض الكُلِّيِّ! فمن جهةٍ، يشتهي الإنسان الأمور الفُضلَى، ويُقدِّر عِظَم قيمة اقتنائها؛ ومن جهةٍ أخرى، حين يحين وقت الحصول على فائدتها، إمَّا لا يفعل شيئًا مطلقًا منذ البداية، أو يَظهر متهاونًا جدًّا تجاهها. فكيف يقول إنَّ الصَّوم ليس بدون فائدة، بينما يهرب من الأتعاب الَّتي بها سينال هذه الفائدة؟ فإنَّه كما أنَّ النَّباتات الَّتي تنمو من الأرض لها جذر، ولا يمكن أن يكون لها بداية أخرى لوجودها؛ هكذا فإنَّ أصل الفرح نحصل عليه بالأتعاب، وبواسطتها ينبت ويظهر. لذلك ينبغي لنا أنْ نختار أحدَ أمرَيْن: فإمَّا أنْ نقرِّر رفض التَّعب كلِّيًّا،

فَنَفْقِدُ بذلك كلَّ مجدٍ وكرامةٍ، ونصير أشبه بالأموات، غير مُبالين البتَّة بخلاص أنفسنا؛ وإمَّا أنْ نحبَّ تعب الصَّوم، فنربح بحقٍّ تلك الخيرات الَّتي بدون هذا التَّعب نخسرُها. فإنْ كنَّا نُفضِّل ما يعود علينا بالنَّفع على ما هو عديمُ النَّفع، سيكون واضحًا لكلِّ أحدٍ أنَّنا قد اخترنا بالصَّواب.

لو كان اجتناب أفضل أعمال البشر، بسبب ما تطلبه من أتعابٍ يسيرة، لا يجلب ضررًا على مَن يسلكون هكذا، بل يجعلهم خارج كلِّ خَسارة وخطر، فمع ذلك أنا أعدُّ مثل هؤلاء من أجهل النَّاس.

أمَّا إنْ كان الاستعفاء عن احتمال الآلام الصَّغيرة، سوف يوقعُنا في آلامٍ أعظم وأفظع، فكيف لا يكون مِن المنطقيِّ أنْ نختار بالأحرى احتمال ما هو أقلُّ في الأتعاب، ويتبعه أيضًا ما هو أفضل؟ إنِّي أودُّ أنْ أسأل أولئك الَّذين على هذه الحال: أيعتبرون الصَّوم أصعب، أمِ العقاب الأبديَّ؟ أظنُّ أنَّهم، رغمًا عنهم، سيعترفون بأنَّ الأصعب هو أنْ نُطرح في العذاب الأبديِّ. وإنْ كنَّا مضطرين أنْ نختار أحدَ الأمرَيْن، فلماذا لا نتمسَّك بالأفضل، ونتَّخذ لأنفسنا أحسن الاختيارَيْن؟ فيجب، إذًا، علينا: إمَّا أنْ نحتمل التَّعب، لنتفادى الشُّرور الأعظم؛ أو إذًا توانينا عن فعل هذا، أنْ نحتمل الحُكْم علينا بالنَّار الَّتي لا تُطفأ.

الصَّوم أساس كلِّ فضيلة:

٥ – فَلْنحبَّ، إذًا، الصَّوم، لأنَّه أصل كلِّ خير وكلِّ بهجة. هذا الصَّوم يزدري به أبناء اليونان، الَّذين يتوهَّمون أنَّهم حكماء. وأمَّا اليهود، فمع أنَّهم يتفوَّقون على جميع النَّاس بحداثة انحرافاتهم، فإنَّهم لا يُنكرون معرفته، لكنَّهم يتصرَّفون بخِزيٍ من نحوه، حتَّى ليبدو أنَّهم أفضل حالًا حين يُوجدون غير عاملين به. فبينما هم يمتلئون بكلِّ شرٍّ، إنْ جاز القول، ويحتضنون في ذواتهم كلَّ نجاسة، يتظاهرون بالوقار باسم الصَّوم وحده، ويجعلون الفضيلة في كثيرٍ من الأحيان سببًا للتَّكبُّر. فماذا نقول عن ذلك الفرِّيسيِّ شديد الجهل وعديم الأدب، الَّذي يصفه ربُّنا يسوع المسيح في الإنجيل وهو يُصلِّي في الهيكل صارخًا: «اللَّهُمَّ أَنَا أَشْكُرُكَ أَنِّي لَسْتُ مِثْلَ بَاقِي النَّاسِ الْخَاطِفِينَ الظَّالِمِينَ الزُّنَاةِ، وَلاَ مِثْلَ هذَا الْعَشَّارِ. أَصُومُ مَرَّتَيْنِ فِي الأُسْبُوعِ، وَأُعَشِّرُ كُلَّ مَا أَقْتَنِيهِ» (لو ١٨: ١١، ١٢)؟ ما هذا الَّذي تقول، أيُّها المُتبجِّح بالصَّوم؟ أمَا تشعر بعدُ بمرض كبريائك، وأنت تُدقِّق في أمورٍ صغيرة كهذه؟ أمَا ترى بعدُ ضخامة غرورك؟ أمَا تكفُّ عن تصفية البعوضة وابتلاع الجمل، كما يقول المخلِّص؟ وتزعم أنَّك معلِّم النَّاموس، بينما تجهل ما هو مكتوبٌ: «لِيَمْدَحْكَ الْقَرِيبُ لَا فَمُكَ، الْأَجْنَبِيُّ لَا

شَفَتَاكَ» (أم ٢٧: ٢). «وَيْلٌ لَكُمْ أَيُّهَا الْكَتَبَةُ وَالْفَرِّيسِيُّونَ الْمُرَاؤُونَ! لأَنَّكُمْ تُشْبِهُونَ قُبُورًا مُبَيَّضَةً تَظْهَرُ مِنْ خَارِجٍ جَمِيلَةً، وَهِيَ مِنْ دَاخِلٍ مَمْلُوءَةٌ عِظَامَ أَمْوَاتٍ وَكُلَّ نَجَاسَةٍ» (مت ٢٣: ٢٧). فإنَّ ذِهْنَ اليهود قد امتلأ حقًّا بكلِّ نجاسة.

فليس من رذيلةٍ إلَّا وهي مُكرَّمة عندهم؛ لم يريدوا أنْ يعرفوا النَّاموس الإلهيَّ، بل والوصية الَّتي أُعطيتْ لهم ازدرَوْا بها، وظلُّوا في حالة عصيان وتمرُّد. ولهذا يتَّهِمُهم الله بواسطة النَّبيِّ صارخًا: «لِمَنْ سَأَتَكَلَّمُ وَأَشْهَدُ فَيَسْمَعَ؟ هَا إِنَّ آذَانَهُمْ غَلْفَاءُ، فَلاَ يَسْتَطِيعُونَ أَنْ يَسْمَعُوا. هَا إِنَّ قَوْلَ الرَّبِّ صَارَ لَهُم عَارًا، وَلاَ يُرِيدُونَ أَنْ يَسْمَعُوهُ» (إر ٦: ١٠). فإنَّ النَّصيحة بما هو نافعٌ ثقيلة على الَّذين اعتادوا أنْ يُخطئوا، والَّذين يريدون أنْ يعيشوا في الفجور لا يكون لهم التَّعقُّل أمرًا لذيذًا. وكما أنَّ الَّذين سكروا بالخمر قد غاص عقلُهم في البلاهة، وفُقد منهم التَّفكير المستقيم، حتَّى أنَّهم لا يشعرون بأنَّ مُخالطة الشُّرور مضرَّة؛ هكذا أيضًا الَّذين غلبتهم محبَّة اللَّذَّة، وسقطوا في مستنقع عميق من الخطيَّة، وغرسوا عقلَهم الحكيم في أهواء نجسة، صار الشَّرُّ ثابتًا فيهم لا يتزعزع، وصاروا مُنجذبين إليه بكلِّيَّتِهم، مُحدِّقين فيه، ومُقيَّدين بهذا المرض.

****

دير القدِّيس أنبا مقار

صَدَرَ حديثًا **من إعداد: رهبان دير القدِّيس أنبا مقار**

الإبصلمودية المقدَّسة السنوية

[كلُّ مَنْ يشترك في العبادة داخل الكنيسة بالتسبيح أو الصلاة، ينبغي أن يَعتبر نفسَه مكانًا لحلول الله وإعلان مشيئته. فالروح حينما يحلُّ في الكنيسة لا يحلُّ على "المنجليَّة"، وإنما يحلُّ في الإنسان الواقف على "المنجليَّة"، وفي كلِّ إنسانٍ مُستعدٍّ لحضوره: «سَأَسْكُنُ فِيهِمْ وَأَسِيرُ بَيْنَهُمْ» (٢كو ٦: ١٦)].

(مقدِّمة مأخوذة من كتاب: "التسبحة اليوميَّة ومزامير السواعي"، للأب متَّى المسكين)

والكتاب ٧١٤ صفحة (من القَطْع الكبير – تجليد فاخر)

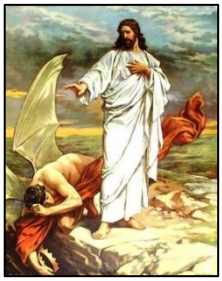
****



الصوم الكبير المقدَّس

للقدِّيس باسيليوس الكبير[1]

(٣٣٠ – ٣٧٩م)



الصوم الحقيقي:

يوصينا النبي قائلًا: «انْفُخُوا فِي رَأْسِ الشَّهْرِ بِالْبُوقِ، عِنْدَ الْهِلَالِ لِيَوْمِ عِيدِنَا» (مز ٨١: ٣). إنَّ الكلمات تُعلِن لنا بحسب (إش ٥٨: ٤ – ٦)، والتي هى أعظم من الأبواق وأجدر من كلِّ الآلات الموسيقية، عن مجيء عيد الأعياد (أي عيد القيامة). فلقد عرفنا من إشعياء النبي نعمة الصوم، فهو الذي استنكر طريقة اليهود في مُمارسة الصوم وأَظهَر لنا الصوم الحقيقي عندما قال: «هَا إِنَّكُمْ لِلْخُصُومَةِ وَالنِّزَاعِ تَصُومُونَ ... أَلَيْسَ هذَا صَوْمًا أَخْتَارُهُ: حَلَّ قُيُودِ الشَّرِّ» (إش ٥٨: ٤ – ٦). والربُّ يقول: «وَمَتَى صُمْتُمْ فَلَا تَكُونُوا عَابِسِينَ كَالْمُرَائِينَ، فَإِنَّهُمْ يُغَيِّرُونَ وُجُوهَهُمْ لِكَيْ يَظْهَرُوا لِلنَّاسِ صَائِمِينَ. اَلْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: إِنَّهُمْ قَدِ اسْتَوْفَوْا أَجْرَهُمْ. وَأَمَّا أَنْتَ فَمَتَى صُمْتَ فَادْهُنْ رَأْسَكَ وَاغْسِلْ وَجْهَكَ» (مت ٦: ١٦، ١٧).

دعونا نتصرَّف كما تعلَّمنا، فلا نظهر عابسي الوجه في أيام الصوم، لكن علينا أن نظهر بوجهٍ بشوش كما يليق بالقدِّيسين. فعديم الشفقة لا يُتوَّج، ولا عابس الوجه يحتفل بالنُّصرة. فلا يليق أن أفرح وأسعى إلى صحة النفس، بينما ينتابني حزنٌ بسبب تغيير الأطعمة في فترة الصوم. لماذا أفرح وأهتم براحة الجسد، في الوقت الذي لا أُبالى فيه براحة النفس؟! فالحقيقة إنَّ الرفاهية تعني استمتاع البطن بالمأكولات؛ أمَّا الصوم فيجلب فائدة للنفس. لهذا ينبغي عليك أن تفرح، إذ قد أُعطِيَ لك دَوَاءٌ فعَّالٌ من الطبيب، دواءٌ يمحو الخطية. لأنه كما تموت الديدان التي تعيش في الأمعاء بدواءٍ فعَّال؛ هكذا الصوم عندما يدخل إلى عمق النفس، فإنه يُميت الخطية التي تسكن فيها.

إنَّ كلمات الربِّ: "ادهن رأسك واغسل وجهك" (مت ٦: ١٧)، تدعوك إلى مُمارسة السرائر. فالذي يُدهَن يُمسح، والذي يغتسل يتطهَّر. ونحن نتكلَّم عن الإنسان الداخلي، فهيَّا

(1) The Fathers of the Church, vol. 16, p. 403.

طَهِّر نفسك من الخطايا، ولتمسح رأسك بالمسحة المقدَّسة لتصير شريكًا للمسيح، وهكذا تأتي إلى الصوم. فلا تكتئب وتكسو وجهك بالعبوسة مثل المُرائين. فالوجه يكسوه العبوس عندما يتلوَّن الإنسان الداخلي بالرياء، فيتغطَّى الشكل الخارجي بقناعٍ كاذب مُزيَّف. فالمُمثل هو الذي يلبس قناعًا على وجهه وهو على المسرح. كما أن العبد – مراتٍ كثيرة – يلبس قناعًا ليتشبَّه بالسيِّد؛ هكذا في هذه الحياة نجد الأغلبية من البشر كأنهم على مسرح، يلعبون أدوارًا تمثيليَّة، فهم يحملون في القلب أمورًا دفينة، بينما يُظهِرون للناس أمورًا أخرى مُغايرة. إذًا، لا تضع قناعًا على وجهك، بل عِشْ على حقيقتك (كما أنت).

لا تتملَّق وتظهر بوجهٍ عابس، لتقتنص مجدًا ليس لك. فبالإحسان الذي تفعله علنًا وبالصوم الذي لا تتوانى في إعلانه جهارًا، لن تستفيد شيئًا، لأن أمور النفاق والتملُّق التي تُمارسها بطريقةٍ ظاهرة لا تُثمر ثمارًا للحياة الأبديَّة، فأنت تُفسِد الثمار بقبولك لمديح الناس. أَسْرِع، إذًا، بفرح إلى نعمة الصوم. فالصوم هو عطية وُهبت لنا منذ القِدَم وهو لا يَهْرَم ولا يشيخ، بل يتجدَّد دائمًا وينمو ويُزهِر لكي يأتي بثمارٍ ناضجة.

أقدميَّة الصوم:

نعم، إنَّ الصوم هو أقدم من الناموس. انتظر قليلًا وتمهَّل وسوف تتحقَّق من صدق كلامي. لا تظن أنَّ بداية التشريع بمُمارسة الصوم بالنسبة لإسرائيل كان في اليوم العاشر من الشهر السابع (لا ١٦: ٢٩؛ ٢٣: ٢٧). بل تعالَ نغوص داخل التاريخ لنجد بداية للصوم. فالصوم جوهرةٌ غالية ورثناها من الأجداد، وكلُّ شيء قديم جديرٌ بالوقار. ليتك تُقدِّر معي أقدميَّة الصوم. فالصوم قديمٌ قِدَم البشريَّة. لقد شُرِّع الصوم في الفردوس. فالوصيَّة الأولى التي أعطاها الله لآدم كانت: «مِنْ جَمِيعِ شَجَرِ الْجَنَّةِ تَأْكُلُ أَكْلًا، وَأَمَّا شَجَرَةُ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ فَلَا تَأْكُلْ مِنْهَا» (تك ٢: ١٦، ١٧).

فعبارة: «لَا تَأْكُلْ»، هي تشريعٌ للصوم والانضباط. فلو مارست حواء الصوم وتجنَّبت الأكل من ثمر هذه الشجرة (المُحرَّمة)، ما كُنَّا في حاجةٍ إلى هذا الصوم، لأنه «لَا يَحْتَاجُ الأَصِحَّاءُ إِلَى طَبِيبٍ بَلِ الْمَرْضَى» (مت ٩: ١٢). فخطيَّتنا هي التي جلبت علينا المرض. فدعونا، إذًا، نُشفَى بالتوبة، غير أنَّ التوبة بدون مُمارسة الصوم هي باطلة: «مَلْعُونَةٌ الأَرْضُ بِسَبَبِكَ ... وَشَوْكًا وَحَسَكًا تُنْبِتُ لَكَ، وَتَأْكُلُ عُشْبَ الْحَقْلِ» (تك ٣: ١٧، ١٨).

إنَّ الوصية قد أُعطيت لك لكي تعيش وتحيا حياة الاختبار، لا لكي تعيش حياةً سهلة،

حياة الرفاهية بدون اختبار. هيَّا تحدَّث مع الله وتعرَّف على أهميَّة الصوم. الحياة في الفردوس كانت مثالًا للإنسان الصائم.

خطورة عدم الصوم:

ولأننا لم نَصُم، فقد تعرَّضنا للسقوط من الفردوس. إذًا، علينا أن نصوم لكي نأتي إليه (أي إلى الفردوس) مرةً ثانية. ألم ترى كيف أن لعازر دخل إلى الفردوس بواسطة الصوم؟ (انظر: لو ١٦: ٢٠ – ٣١). وليتك لا تجعل قصة مُخالفة حواء لوصية الصوم مثالًا تحتذيه وتقبل مرةً أخرى نصيحة الحيَّة. لا تتعلَّل بالمرض والضعف الجسدي وترفض مُمارسة الصوم (إلَّا إذا كان العلاج يتطلَّب ذلك). ولا تصنع أمامي مُبرِّرات لعدم صومك، بل اعترف بها للذي يعرف كلَّ الخبايا. فأخبرني إن كنتَ لا تستطيع أن تصوم، ودعني أسألك: "أَلَا تسعى لإشباع جسدك طوال حياتك وتسحقه تحت وطأة الانسياق وراء شهوة الأكل والشُّرب". إنني أعرف جيِّدًا أن الأطباء يفرضون على المرضى الانقطاع عن الأكل (أحيانًا)، أو تناول أطعمة خفيفة ويمنعون عنهم الأطعمة الدسمة. لذلك أقول لك: كيف أنك تقدر على فعل كلِّ ما يوصيك به الأطباء، بينما تتعلَّل الآن بأنك لا تَقْوَى على مُمارسة الصوم؟!

هلُمَّ نتحاجج معًا: ما هو الأكثر سهولةً على الإنسان، أن ينام طوال الليل بعد أن يتناول أطعمة خفيفة أم بعد أن تمتلئ معدته بأطعمة دسمة؟ ماذا تقول؟ فأجساد البشر عندما تُثقَّل بالتُّخمة المستمرة، فإنها تُصاب بسهولة بأمراضٍ كثيرة. لكن عندما تصير هذه الأجساد منضبطة، بتناولها أطعمة خفيفة، فإنها تتجنَّب الإصابة بالأمراض، ولا تعتريها العلل. والإنسان الذي له قوَّة إرادة إيجابية، من السهل أن يشعر بالكفاية والقناعة أمام ملذَّات العالم، بينما عندما يترك الإنسان الضعيف نفسه، فيتناول أطعمةً كثيرة ومتنوِّعة وفاخرة وشهيَّة، فإنه لا يبلغ حدَّ الكفاية ويُسبِّب لنفسه أنواعًا كثيرة من الأمراض.

الصـــوم تقليدٌ آبائي:

ليت حديثنا يمضي نحو فحص أقدميَّة الصوم، وكيف أن كلَّ القدِّيسين حافظوا على هذا التقليد الآبائي الذي استلموه وسلَّموه إلينا!

موسى النبي يقترب إلى الله بالصوم، بينما الشعب يحتقر الصوم:

لقد اقترب موسى من الجبل بعد أن صام (خر ٢٤: ٨)، إذ لم تكن له الجرأة لأن يقترب

من قمة الجبل الذي كان يُدخِّن، ولم تكن له الشجاعة أن يأتي إلى الضباب إن لم يكن قد تسلَّح بسلاح الصوم. لقد قَبِل موسى الناموسَ بعد أن صام، ذلك الناموس الذي كُتب على لوحَي الشريعة بإصبع الله. وبينما صار الصوم أعلى الجبل سببًا لإعطاء الشريعة، تسبَّبت شراهة الشعب الواقف أسفل الجبل في الوقوع في عبادة الأصنام، إذ «جَلَسَ الشَّعْبُ لِلأَكْلِ وَالشُّرْبِ ثُمَّ قَامُوا لِلَّعِبِ» (خر ٣٢: ٦). قارن، إذًا، بين الحالتين: كيف أن الصوم يقود إلى الله! وكيف أن الشراهة تقود إلى الهلاك!

فاعليَّة الصوم:

ما الذي أبعد عيسو وجعله عبدًا لأخيه؟ ألم يكن طعامٌ بسيط هو الذي تسبَّب في أن يبيع بكوريته؟ (انظر: تك ٢٥: ٣٠ – ٣٤). وصموئيل النبي ألم يُمسَح بفضل صلاة وصوم أُمِّه؟ (انظر: ١صم ١: ١٣ – ١٦). ما الذي جعل شمشون مُحارِبًا وبطلًا شُجاعًا؟ ألم تنجبه أُمُّه بفضل الصوم؟ (انظر: قض ١٣: ٤). إنَّ الصوم هو الذي أنجبه فهو قد أتى بإرادة الصوم، والصوم صنع منه رجلًا. الصوم هو الموضوع الذي تحدَّث عنه الملاك لأُمِّ شمشون وأخبر رجلها قائلًا: «مِنْ كُلِّ مَا يَخْرُجُ مِنْ جَفْنَةِ الْخَمْرِ لَا تَأْكُلْ، وَخَمْرًا وَمُسْكِرًا لَا تَشْرَبْ، وَكُلَّ نَجِسٍ لَا تَأْكُلْ. لِتَحْذَرْ مِنْ كُلِّ مَا أَوْصَيْتُهَا» (قض ١٣: ١٤).

أنشـودة الصـوم:

الصوم حارسٌ للنفس، ورفيقٌ أمينٌ للجسد،
الصوم سلاح الشُّجعان، ومدرِّب النُّسَّاك،
الصوم يصدُّ التجارب، ويُمهِّد الطريق للتقوى،
إنه رفيق الهدوء وصانع العفَّة.
الصوم يعمل أعمالًا باهرة في الحروب،
ويهب السَّكينة في وقت السلام.
الصوم يُقدِّس النَّذير، ويجعل الكاهن كاملًا.
الصوم يجعل العاقر تلد أبناءً،
ويصنع الأقوياء، ويجعل المُشرِّعين حكماء.

لأنه كيف يمكن للكاهن أن يُصلِّي بدون صوم؟ لقد كانت مُمارسة الصوم أمرًا ضروريًّا، ليس فقط في عبادة العهد الجديد السرائريَّة، ولكن أيضًا بالنسبة للعبادة الناموسيَّة.

الصوم وإيليا النبي وأليشع النبي:

الصوم هو الذي جعل إيليا النبي يُشاهد رؤًى إلهيَّة. إذ إنه صام مدة أربعين يومًا وتنقَّت نفسه واستحقَّ أن يرى الربَّ على جبل حوريب (١مل ١٩: ٨ – ٢٣)، الأمر الذي هو صعب الحدوث لأيِّ إنسان. بالصوم أعاد إيليا الحياة إلى ابن الأرملة، فأقامه وسلَّمه إليها، إذ بواسطة الصوم قد برهن على أنه أقوى من الموت.

وما السبب في أنَّ حياة أليشع النبي كانت مثالًا للسيرة الحسنة؟ تأمَّل كيف أن المرأة الشونمية استضافته، وكيف أنه هو نفسه كان يستضيف بني الأنبياء؟ انظر معي: هل قدَّم أليشع النبي لبني الأنبياء قليلًا من الخبز مع نباتات بريَّة سامَّة؟ بالطبع لا، لأن واحدًا من هؤلاء خرج إلى الحقل وجمع يقطينًا بريًّا سامًّا ووضعه مع السليقة في القِدْر، ولكن بفضل صلوات هذا النبي الصائم، إذ كان الموت مُتربِّصًا بمَنْ يأكل ما هو موجود في القِدْر، اختفى السُّمُّ من الطعام (٢مل ٤: ٣٩ – ٤١).

الصوم والفتية الثلاثة:

من السهل أن ترى، وبشكلٍ عام، الصوم وهو يقود كلَّ القدِّيسين إلى مدينة الله. كانت أجساد الثلاثة فتية في أتون النار ولم تَمسَّهم النار بأذيَّة، وذلك من جراء الصوم (انظر: دا ١: ٨ – ١٦). إذ إنهم برهنوا، وهم في أتون النار، أنهم أقوى من النار، كما لو كانت طبيعتهم من الذهب (الذي ينجلي وهو في النار).

والحقُّ يُقال إنهم أظهروا أنفسهم أنهم أقوى حتى من الذهب. إذ لا أحد وقتذاك كان قادرًا على منع تلك النار التي امتدَّت لارتفاع تسعة وأربعين ذراعًا، وأكلت كلَّ ما هو موجود حولها. هذه النار المُتَّقِدة تمشَّى في وسطها الثلاثة فتية بعد أن صاموا، لقد تنسَّموا نسيمًا لطيفًا وهواءً باردًا عليلًا في وسط هذه النيران الشديدة، لأن الكتاب يقول: «لَمْ تَكُنْ لِلنَّارِ قُوَّةٌ عَلَى أَجْسَامِهِمْ، وَشَعْرَةٌ مِنْ رُؤُوسِهِمْ لَمْ تَحْتَرِقْ، وَسَرَاوِيلُهُمْ لَمْ تَتَغَيَّرْ، وَرَائِحَةُ النَّارِ لَمْ تَأْتِ عَلَيْهِمْ» (دا ٣: ٩٤).

الصوم ودانيال النبي:

ودانيال الرجل الذي لم يأكل خبزًا ولم يشرب ماءً لمدة ثلاثة أسابيع (انظر: دا ١٠: ٢ – ٣)، علَّم الأسود أن تصوم عندما ألقوه في جُبِّ الأسود (انظر: دا ٦: ١٦ – ٢٢). والأسود لم تستطع أن تلتهمه بأسنانها وكأنَّ جسده مصنوعٌ من الحجر الصَّوَّان أو النُّحاس أو من أيِّ معدنٍ آخر.

هكذا يُقوِّي الصومُ الجسدَ ليصير مثل الحديد، مِمَّا يجعل الأسود لا تَقوَى عليه. لأنها لم تستطع أن تفتح أفواهها أمام النبيِّ البار. فالصوم "أطفأ قوَّة النار، وسدَّ أفواه الأسود".

الصـوم والحيـاة العمليَّة:

الصوم يُصعِد الصلاة إلى السماء. الصوم هو سبب رُقيٍّ وتقدُّم الشعوب. الصوم هو أصل الصحة. الصوم مُربِّي الشباب، وزينة الشيوخ، والرفيق الصالح للمُسافرين. الصوم هو خيمة آمنة للذين يطلبون مأوى. هل تسبَّب الصوم في ضررٍ لأحد؟ طبعًا لا، لأن ربَّ البيت الصائم لن يستدين أبدًا.

إنَّ الصوم يصير دافعًا للابتهاج والسرور، لأنه مثل العطش الذي يجعل كأس الماء حلوًا، وكذلك الجوع الذي يجعل المائدة شهيَّة؛ هكذا الصوم يجعل الصائم عندما يأكل، يكون مُبتهجًا شاكرًا الرب. وإذا أردتَ أن تتحقَّق من هذا الأمر، عليك أن تخضع للصوم، لكن للأسف، وأنت محاطٌ بشدَّة بالتُّخمة قد نسيتَ نفسَك بانكبابك على الأطعمة. لقد أبطلتَ لذة الأكل بمحبتك وانسياقك الدائم للأكل والشُّرب. عليك أن ترى الشيء ونقيضه حتى تشعر بنعمة هذا الشيء الذي تحصل عليه. هكذا الخالق قَصَدَ أن توجد أمورٌ متنوِّعة في الحياة لكي نشعر ونُقدِّر الأشياء التي أُعطيت لنا.

الغَـني ولعـازر الصائم:

عليك أن تتَّعظ من مَثَل الغَني، فالرفاهية المستمرة في الحياة سلَّمت ذاك الغَني المُتنعِّم إلى النار. لأن الغَني لم يُدَن لأنه كان ظالمًا، بل لأنه كان يعيش حياة الرفاهية دون الإحساس بالمحرومين. فوجه الصائم لا يعتريه أيُّ احمرار من الخجل. إنه مزيَّنٌ بالوقار والأدب، فعيناه وديعتان، وتصرُّفاته حكيمة، ووجهه مُشرق. ابتسامته رزينة، كلامه موزون، قلبه طاهر ونقي.

الاقتداء بالقدِّيسين في صومهم، والمسيح هو أساس الصوم:

لذلك عليك أن تتذكَّر القدِّيسين في كلِّ العصور، هؤلاء الذين «لَمْ يَكُنِ الْعَالَمُ مُسْتَحِقًّا لَهُمْ» (عب ١١: ٣٧ – ٣٨). عليك أن تقتدى بهم في تربيتهم وسلوكهم، إن كنتَ تريد أن يكون لك نصيبٌ معهم. وأنا أسألك: ما الذي أراح لعازر في أحضان إبراهيم (انظر: لو ١٦: ٢٣)؟ أليس هو الصوم؟ كما أن حياة يوحنا المعمدان كانت صومًا مستمرًّا (انظر: مت ٣: ٤). فلم يكن ليوحنا المعمدان سريرٌ ولا مائدةُ طعامٍ ولا حقولٌ ولا أبقارٌ ومحراثٌ ولا فرن

لعمل الخبز، ولا شيء من الأشياء اللازمة للمعيشة؛ لذلك قيل عنه: «لَمْ يَقُمْ بَيْنَ الْمَوْلُودِينَ مِنَ النِّسَاءِ أَعْظَمُ مِنْ يُوحَنَّا الْمَعْمَدَانِ» (مت ١١: ١١).

الصوم الذي افتخر به القدِّيس بولس هو الذي أصعده إلى السماء الثالثة (انظر: ٢كو ١١: ٢٧؛ ١٢: ٢). لكن أساس كلِّ شيء هو ربنا يسوع المسيح الذي صام، إذ اتَّخذ جسدًا لأجلنا وانتصر على الشيطان لكي يُعلِّمنا أنه بالصوم نجهِّز أنفسنا لمواجهة مُحاربات الشيطان، لأنك عندما تسمو بالصوم لا يستطيع العدو أن يقترب منك.

وإن كان المسيح بعد قيامته قد أكل: «فَأَخَذَ وَأَكَلَ قُدَّامَهُمْ» (أنظر: لو ٢٤:٤٣)، فإنه فعل ذلك لكي يؤكِّد على حقيقة قيامته بنفس الجسد الذي صُلِب. وأنا أسألك: أيُّ شيء فعلتَه بخصوص الوصايا الخلاصيَّة والمُحيية وأنت تحرم ذهنك من الأطعمة الروحيَّة؟ ربما تجهل أنَّ النُّظم الحربية تعترف بأن الانحياز إلى طرفٍ في الحرب، يجعل هزيمة الطرف الآخر مضمونة؟ أقول لك ذلك، لأن هذا هو ما يحدث عندما تتعاون مع شهوات الجسد وتنحاز لها، فتصير بذلك مُحارِبًا ضد الروح.

والعكس يحدث عندما تنحاز للروح، فتستطيع بسهولة هزيمة شهوات الجسد. لأنك تعرف أن الاثنين، أي الروح والجسد «يُقَاوِمُ أَحَدُهُمَا الآخَرَ» (غل ٥: ١٧)، لدرجة أنك إذا أردتَ أن تُقوِّي الذهن، فعليك أن تُقمِع جسدك بالصوم. وهذا هو ما يقوله الرسول بولس، أي بقدر ما يَفْنَى الإنسان الخارجي، بقدر ما يتجدَّد الإنسان الداخلي أيضًا (٢كو ٤: ١٦).

تذكَّر أن الصوم هو سلاحٌ لمُحاربة الشياطين، لأن «هذَا الْجِنْسُ لَا يُمْكِنُ أَنْ يَخْرُجَ بِشَيْءٍ إِلَّا بِالصَّلَاةِ وَالصَّوْمِ» (مر ٩: ٢٨).

عرفتَ، إذًا، مَن هو الذي عليك أن تقبله؟ إنه ذاك الذي كرز قائلًا: «إِنْ أَحَبَّنِي أَحَدٌ يَحْفَظْ كَلاَمِي، وَيُحِبُّهُ أَبِي، وَإِلَيْهِ نَأْتِي، وَعِنْدَهُ نَصْنَعُ مَنْزِلًا» (يو ١٤: ٢٣).

بالصوم يعضدنا الرب:

هل تريد أن ترى عظمة الصوم؟ فإنَّ الربَّ الذي قادنا إلى هذه الفترة من السنة (أي الصوم) ليته يعضدنا، كما لو كنَّا مُصارعين قد أظهرنا ثباتًا وقوَّةً وصبرًا لكي نصل إلى يوم البرِّ، يوم الأكاليل، من الآن حيث ذكرى آلام المُخلِّص، إلى يوم المُجازاة العتيد للذين عاشوا منَّا في برِّ المسيح الذي له المجد الدائم إلى الأبد، آمين.



التَّوبة

شجرة الرُّوح المُثمِرة

● «فَاصْنَعُوا أَثْمَارًا تَلِيقُ بِالتَّوْبَةِ» (مت ٣: ٨).

تمهيد:

التَّوبة هي عنوان الحياة المسيحيَّة وأيقونتها المُقدَّسة، وهي والدة النِّعَم المُتدفِّقة منها، ومبدأ كلِّ صلاحٍ وبرٍّ في الحياة الروحيَّة؛ إضافةً لِكَوْنها أيضًا، هي الطريق المُؤهِّلة لعمل الروح القدس في النَّفس التائبة، والقوَّة الفاعلة لإظهار ثمارها المُقدَّسة فيها.

كذلك، فالتَّوبة هي مسيرةٌ مُستمرَّةٌ وحيَّة لحياة الإنسان، مُعَضِّدُها هو الروح القدس نفسه، ومبدأُها الاتِّضاع والرجوع وضبط النَّفْس والجهاد. وبقدر أمانة الإنسان في مُمَارستها، وقوَّة إرادته وجهاده وتواضُعه في الحياة بها، ومُلازمته لها كلَّ أيام حياته؛ فإنَّها لا بدَّ أنْ تُؤتي ثمارها. حيث إنَّها وحدها هي القادرة على تغيير مسار حياة الإنسان السابقة، نحو حياةٍ جديدة، صحيحة ونَقيَّة، ومُغتَسِلة بدم المسيح، وبدموع صاحبها الأمينة والحقيقيَّة.

وكلُّ مَنْ يفشل في اجتياز حياة التَّوبة، واكتساب البرِّ وعمل الصلاح، بتوبته الصادقة؛ فإنَّه سوف يفشل أيضًا، في إعطاء الثمار الصالحة اللائقة بها. لأنَّه حينما يترك الإنسان خطاياه السالفة، وينبذ كلَّ الشرور التي كان يُمارسها، ويبتعد عنها بالتَّوبة؛ حينئذٍ، يُؤهَّل لحياة الإيمان المُقدَّسة، التي تقوده لعمل برِّ الله وإتمام وصاياه، والحياة المُقدَّسة المُثمِرة بالروح القدس.

إذن، فالتَّوبة شرطٌ أساسيٌّ للإيمان العامل بالمحبَّة، وكلُّ مَن يسمع وصايا الإنجيل، عليه أنْ يُغيِّر سلوكه وحياته الخاطئة. وحينئذٍ، لا بدَّ أنْ يُثمر أثمارًا تليق بالتَّوبة، تتمثَّل في سلوكٍ وأفعالٍ مُقدَّسةٍ ومرئيَّة تشهد لها؛ وذلك كما يشرحه القدِّيس يوحنا المعمدان لسائليه، عن أمثلة هذه الأفعال المطلوب عملها، لإظهار توبتهم وإعلان تمامها (انظر: لو ٣: ١٠-١٤).

ما هي غايات التَّوبة في حياتنا؟

كما سبق القول، فإنَّ التَّوبة هي مسيرة ديناميكيَّة للحياة المقدَّسة، فيها يُعلن الإنسان عن طاعته وإيمانه وخضوعه لإرادة الآب السماوي؛ وذلك بِتَرك خطاياه السالفة، والسَّعي لعمل وصايا الله وإتمامها بكلِّ إخلاص، بمعونة الروح القدس، شهادة على صِدق هذا الإيمان. كما يشهد يعقوب الرسول بالروح عن الإيمان: «الإِيمَانُ أَيْضًا، إِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ **أَعْمَالٌ مَيِّتٌ فِي ذَاتِهِ**» (يع ٢: ١٧)، وأيضًا، بحسب ما كتب الرسول نفسه، حيث يقول بالروح: «أَرِنِي إِيمَانَكَ بِدُونِ أَعْمَالِكَ، وَأَنَا أُرِيكَ بِأَعْمَالِي إِيمَانِي» (يع ٢: ١٨).

ويمكن تلخيص أهم غايات وأهداف حياة التَّوبة فيما يلي:

١ – **غفران الخطايا**: وهي الغاية الأهَم، والثَّمرة الأولى والبهيَّة لشجرة التَّوبة، وعنها يقول بطرس الرسول بالروح: «**تُوبُوا** وَلْيَعْتَمِدْ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْكُمْ عَلَى اسْمِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ **لِغُفْرَانِ الْخَطَايَا، فَتَقْبَلُوا عَطِيَّةَ الرُّوحِ الْقُدُسِ**» (أع ٢: ٣٨). وأيضًا يقول بالروح: «**فَتُوبُوا** وَارْجِعُوا **لِتُمْحَى خَطَايَاكُمْ**» (أع ٣: ١٩). فمغفرة الخطايا هي نتيجة مباشرة لتوبة الإنسان ورجوعه واعترافه؛ فهو، حينئذٍ، ينال الغُفران ويكون أهلاً لسُكنى الروح القدس، واضطرام عمله في داخله، ومِنْ ثمَّ، قيادته بنعمة الله لإظهار ثمر الروح القدس في حياته.

٢ – **النَّجاة من الهلاك وحُكم الموت**: يُحذِّرنا الربُّ يسوع بقوله: «بَلْ **إِنْ لَمْ تَتُوبُوا** فَجَمِيعِكُمْ كَذَلِكَ **تَهْلِكُونَ**» (لو ١٣: ٣)، وكذلك يأمر الربُّ بالتَّوبة قائلاً: «**فَتُوبُوا** وَآمِنُوا بِالإِنْجِيلِ» (مر ١: ١٥)، ويُلحُّ أيضًا في طلب التَّوبة بقوله: «**تُوبُوا**، لأَنَّهُ قَدْ اقْتَرَبَ مِنْكُمْ مَلَكُوتُ السَّمَوَاتِ» (مت ٤: ١٧)، وهو ما سبق أن كرَّره القدِّيس يوحنا المعمدان في دعوته لمعموديَّة التَّوبة (انظر: مت ٣: ٢).

٣ – **التَّغاضي عن أزمنه الجهل، وحلول أزمنة الفَرَج**: يقول الرسول بولس في عظته للجموع: «فَاللهُ الآنَ يَأْمُرُ جَمِيعَ النَّاسِ فِي كُلِّ مَكَانٍ **أَنْ يَتُوبُوا، مُتَغَاضِيًا عَنْ أَزْمِنَةِ الْجَهْلِ**» (أع ١٧: ٣٠)، وأيضًا يكتب القدِّيس بطرس الرسول بالروح: «فَتُوبُوا وَارْجِعُوا لِتُمْحَى خَطَايَاكُمْ، لِكَيْ **تَأْتِيَ أَوْقَاتُ الْفَرَجِ مِنْ وَجْهِ الرَّبِّ**» (أع ٣: ١٩). وهذه كلُّها تتحقَّق بالنَّدَم والتَّوبة والاتِّضاع، والرجوع عن الطُّرُق الشرِّيرة، وطلب وجه الربِّ، وعمل مرضاته.

٤ – **إعداد القلب لعمل النِّعمة، وإظهار ثمر الروح:** وذلك بتغيير الذِّهن (الميطانيا)، والبدء في مسيرة النور، بمُؤازرة الروح القدس، فتتحوَّل دَفَّة حياة الإنسان مِن حياةٍ حسب

الجَسَد، تؤول إلى موتٍ وفساد، إلى حياةٍ حسب الروح، تؤول إلى حياةٍ أبديَّة، تُثمر فيها النَّفس ثمار الروح الشَّهيَّة: محبة، فرح، سلام، طول أناة، لُطف، صلاح، إيمان، وداعة، تَعفُّف (انظر: غل ٥: ٢٢).

ثمر الأرض وثمر الروح:

بارك الربُّ الإله آدم وحواء قديمًا قائلًا لهما: «أَثْمِرُوا وَأَكْثِرُوا وَامْلَأُوا الأَرْضَ...» (تك ١: ٢٨)، فصارت البَرَكَة والخَيْر والكَثْرة، وكلُّ فيضٍ أو زيادة، هي البرهان الملموس لحلول النِّعَم الموهوبة من الله على الإنسان، وهي الشَّاهد على رضى الله عليه. ولكن هل يمكن أنْ تقتصر بركات الله ونِعَمه على الإنسان في الأمور الماديَّة، مِن امتلاك أرضٍ تفيض لبنًا وعسلًا، وكَثْرَة بنين، ومِن أمورٍ أخرى، أفخر ثمارها هو لتَنَعُّم الجسد وإشباعه، مثلما حدث مع أبوينا الأوَّلين، اللذين نظرا واشتهيا ثمرة الشَّجرة، فأكلا وسقطا؟ وما حدث مع شعب إسرائيل، الذي كان منتهى غايته الوصول لأرض الموعد الأرضيَّة، للراحة والتَّنعُّم الجسدي، ومِنْ ثمَّ الشِّبع والابتعاد عن الله؟ بالقطع: **لا**، بل إنَّ الله يُريد أنْ يُنبِّهنا إلى الثَّمر الباقي والأَهم في حياتنا، الذي هو ثمر الروح، لأنَّ «مَنْ يَزْرَعُ لِجَسَدِهِ فَمِنَ الْجَسَدِ يَحْصُد فَسَادًا، ومَنْ يَزْرَعُ للرُّوح فَمِنَ الرُّوحِ يَحْصُدُ حَيَاةً أَبَدِيَّة» (غل ٦: ٨). فليس المُهم عند الربِّ ثمر الأرض، رغم أنَّه يُحسَب واحدًا من مظاهر بركات الربِّ وعطاياه للإنسان؛ ولكن الأَهَمُّ هو ثمر الروح، وهذا لن يظهر سوى بأنْ يُخضِع الإنسان نفسه بالتَّوبة لله، وأنْ يُطيع وصاياه ويعمل إرادته، ويرجع عن كلِّ خطيَّةٍ وسلوكٍ رديء كان يصنعه سابقًا؛ وذلك بتغيير ذهنه وحياته، بالمِيطانيا الصادقة، والتَّوبة الحقيقيَّة، لتُصبح وفق مشيئة الله وإرادته، فيكون ابنًا حقيقيًّا لله.

أمَّا عن ثمار الروح فهي عديدةٌ ومُبهِجة، وقد أسَهَبَ الكتاب المُقدس في سردها لنا، كما يكتبها لنا القدِّيس بولس الرسول بالروح: «وَأَمَّا ثَمَرُ الرُّوحِ فَهُو: مَحَبَّةٌ، فَرَحٌ، سَلاَمٌ، طُولُ أَنَاةٍ، لُطْفٌ، صَلاَحٌ، إِيمَانٌ، وَدَاعَةٌ، تَعَفُّفٌ» (غل ٥: ٢٢).

ويُوضِّح لنا بولس الرسول، أنَّ ثمر الروح لا بدَّ أنْ يكون ظاهرًا أمام الجميع، ومُعضَّدًا بالسلوك اللائق بأبناء النور؛ أي السلوك بتدقيق في كلِّ صلاحٍ وبرٍّ وحقٍّ، مُختبرين ما هو مرضيٌّ أمام الله (انظر: أف ٥: ٨ – ١٠)، ومُتمِّمين دعوة الربِّ يسوع: «فَلْيُضِئْ نُورُكُمْ هَكَذَا قُدَّامَ النَّاس، لِكَيْ يَرُوا أَعْمَالَكُمُ الْحَسَنَةَ، وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ» (مت ٥: ١٦).

ويُشير القدِّيس يعقوب الرسول إلى ثمار الروح، بصفتها **الحِكمة النَّازلة مِن فوق،**

الحاملة أثمارًا صالحة، وهي **ثمر البرِّ الذي يُزرع في السلام** (انظر: يع ٣: ١٧، ١٨). كما يُلفِتُ الربُّ يسوع أنظارنا إلى ضرورة الشَّركة معه في موته (بالتَّوبة)، لكي نَنعم بثمرة هذه الشَّركة بقيامته، إذ يقول عن حبَّة الحِنطة: «وَلَكِنْ إِنْ مَاتَتْ تَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ» (يو ١٢: ٢٤)؛ كما يُنبِّهنا السيِّد أيضًا لضرورة الجهاد والصَّبر وطاعة الكلمة، وهذه كلُّها من **سلوكيَّات التَّوبة**، لكي تظهر ثمارها الروحيَّة في حياتنا، حيث يقول: «وَالَّذِي يَقَعُ عَلَى الأَرْضِ الْجَيِّدَةِ، هُمُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ الْكَلِمَةَ وَيَحْفَظُونَهَا فِي قَلْبٍ جَيِّدٍ صَالِحٍ، **وَيُثْمِرُونَ بِالْصَّبرِ**» (لو ٨: ٥).

ومِن ناحيةٍ أخرى، يُشير بولس الرسول إلى نوعٍ آخر مِن ثمار الروح، هو **ذبيحة التَّسبيح لله**، أي ثمر شفاه مُعترِفة باسم الربِّ، فيقول: «فَنُقَدِّمُ بِهِ فِي كُلِّ حِينٍ للهِ ذَبِيحَةَ التَّسْبِيحِ، **أَيِ ثَمَرَ شِفَاهٍ مُعْتَرِفَةٍ** باسْمِهِ» (عب ١٣: ١٥).

فكلُّ ثمار الروح العديدة والمُباركة، هي نتاجٌ طبيعيٌّ للشَّجرة الجيِّدة التي ارتَوَت بدموع التَّوبة، وانصلحت بالانسكاب والخضوع وطاعة مشيئة الله، وأزالت عنها كلَّ زوانٍ وشوائب خطاياها السالفة، وجاهدت لترجع إلى طريق خلاصنا، لتَعمل البرَّ أمام وجه الربِّ.

خداع النَّظر، وحُكم الشَّجرة غير المُثمرة:

حذَّرنا الربُّ يسوع مِن خطورة الرياء والخِداع والنِّفاق في حياتنا، والظهور بشكلٍ مُغاير لِمَا هو بداخل نفوسنا وضمائرنا، لئلَّا نكون كالأنبياء الكَذَبة. كما كرَّر السيِّد ويلاته للكَتَبَة والفرِّيسيِّين المُرائين بسبب هذا الأمر، ونبَّهنا مِنْ مَغبَّة السقوط في ادِّعاء الصلاح والتَّقوى بخلاف حياتنا الحقيقيَّة غير التَّائبة أو المُتخَشِّعة، كما في مَثَل الفرِّيسي والعشَّار (انظر: مت ٧: ١٥؛ لو ١٨: ٩ – ١٤). ولكن تظهر حادثة لَعنْ شجرة التين غير المُثمِرة، كمثالٍ حيٍّ وصارخ يكشف لنا عن موقف الربِّ يسوع من الشَّجرة الخادعة للنَّاظرين، والكاذبة على كلِّ مَنْ يراها ويترجَّى منها ثمرًا، بسبب ورقها الأخضر والعريض، الذي يُوحي بوجود ثمارٍ في ظِلِّها؛ بينما هي خالية ومُجدبة مِن الثَّمر، مثلما وجدها الربُّ يسوع. فحينئذٍ، حَكَم عليها بقوله: «لَا يَأْكُلْ أَحَدٌ مِنْكِ ثَمَرًا إِلَى الأَبَدِ» (مر ١١: ١٤).

فهذه الشَّجرة تُشبه إنسانًا يبدو للناس أنَّه بارٌّ وتائب – كما بَدَا الفرِّيسي – بينما هو بلا ثمر، ولا يحيا ببرِّ الله ومخافته، ولا بتَوبة حقيقيَّة، كمثل القَبر المُبيَّض من خارج، وأمَّا مِن داخل، فهو مملوء عظام أمواتٍ وكلِّ نجاسة. وهؤلاء ينطبق عليهم قول بولس الرسول بالروح: «يَعْتَرِفُونَ بِأَنَّهُمْ يَعْرِفُونَ اللهَ وَلَكِنَّهُمْ بِالأَفْعَالِ يُنْكِرُونَهُ» (تي ١: ١٦). فمصير شجرة

مثل هذه، غير مُثمرة وخادعة للنَّظر، هو الخَلْع والقَطْع ثمَّ النار والحريق؛ وهذا هو حال كلِّ مُراءٍ وخادعٍ للناس، وغير جادٍّ في توبته لله، وبالتالي غير مُثمرٍ لمجد الله: «فَكُلُّ شَجَرَةٍ لا تَصْنَعُ ثَمَرًا جَيِّدًا تُقْطَعُ وَتُلْقَى فِي النَّارِ» (لو ٣: ٩).

أمَّا المُثمرون، فهم التَّائبون الحقيقيُّون الحاملون أغمارهم وأثمارهم، المرويَّة بدموعهم وأتعابهم، ثلاثين وستين ومئة، ليَفرحوا بها أمام أبيهم الذي في السموات.

التَّوبة حركة تغييرٍ فعليٍّ في السلوك:

تطابقت دعوة يوحنا المعمدان في كرازته للجموع، مع مشيئة الربِّ يسوع وكرازته أيضًا، بأنْ يصنعوا أثمارًا تليق بالتَّوبة (قارن: لو ٣: ٨؛ مت ٣: ٨)، فالتَّوبة كانت هي المحور الأوَّل والرئيسي لدعوة الخلاص والرجوع إلى الله والنجاة، وهي منبع القوَّة والنموِّ لشجرة حياة الإنسان، وتجديدها بعُصارة الروح القدس، وإعدادها للإثمار. وبينما تركَّزت دعوة يوحنا المعمدان للتَّوبة، على الاعتراف ونَبْذ الخطايا السالفة كَخِتمٍ لها، وذلك لمغفرة الخطايا؛ فقد كرَّست لنا دعوة التَّوبة، بمعموديَّة الربِّ يسوع والروح القدس، نِعمة نَيْل الولادة الجديدة بالمعموديَّة المُقدَّسة من الماء والروح، والاغتسال مِن خطايانا، وشركة الموت والقيامة مع المسيح، ونَيْل ميراث البنين. كما صارت التَّوبة لنا بمثابة الجُرن الدائم والمُحرِّك لمفاعيل المعموديَّة المُقدَّسة، من غفرانٍ للخطايا وإعادة الاغتسال والتجديد بالروح؛ وذلك بمقدار تمسُّكنا بالتَّوبة، وأمانتنا في الحياة بها، بكلِّ يَقَظَةٍ وصدقٍ ودموعٍ وجهادٍ حقيقيين.

وحينما سُئل يوحنا النَّبيُّ العظيم عن كيفيَّة تحقيق هذه التَّوبة وجَنْي أثمارها؛ أجاب ببعض الوصايا والسلوكيَّات الحياتيَّة الهامَّة، كمثالٍ لأعمال التَّوبة، نوجزها فيما يلي:

١ – **عمل الرَّحمة**: الرَّحمة تفتخر على الحُكم (انظر: يع ٢: ١٣)، لذلك أجاب النَّبيُّ المُبارك سائله عن ما هيَّة سلوكه في توبته، فقال له: «مَنْ لَهُ ثَوْبَانِ فَلْيُعطِ مَنْ لَيْسَ لَهُ، وَمَنْ لَه طَعَامٌ فَلْيَفْعَلْ هَكَذَا» (لو ٣: ١١).

٢ – **الأمانة**: عندما سأل العشَّارون يوحنا المعمدان عمَّا يجب عليهم فعله لإتمام توبتهم، أشار عليهم بألَّا يستوفوا أكثر مِمَّا فُرض لهم، أي أنْ يكونوا أُمناء في عملهم (انظر: لو ٣: ١٣). ولا ننسى هنا ما صنعه زكَّا العشَّار حينما دعاه الربُّ يسوع، حيث استجاب لدعوة التَّوبة، وقال للربِّ يسوع: «هَا أَنَا يَا رَبُّ أُعْطِي نِصْفَ أَمْوَالِي لِلمَسَاكِينِ، وَإِنْ كُنْتُ قَدْ وَشَيْتُ بِأَحَدٍ أَرُدُّ أَرْبَعَةَ أَضْعَافٍ» (لو ١٩: ٨).

٣ – **عدم الظُّلم أو الوشاية**: هذه الوصيَّة قدَّمها يوحنا المعمدان للجُندِ السائلين إيَّاه، وهي صالحة لكلِّ مَن يملك سلطان القوَّة والبَطش، لكي يسلك بمخافة الله، ولا يَظلِم إنسانًا أو يَشي به، لتَستقيم تَوبته وتُقبَل أمام الله العادل.

٤ – **الرِّضى والشُّكر**: حياة التَّقْوى والقناعة هي كنزٌ وتجارةٌ عظيمة: «فَإِنْ كَانَ لَنَا قُوتٌ وَكِسْوَةٌ، فَلنَكْتَفِ بِهِمَا» (١تي ٦: ٨). فحياة الشُّكر قادرةٌ أنْ تُنجِّينا مِن تجربة الحَسَد والشَّرِّ، مثل إخوة يوسف، وأيضًا فإنَّه ليست عطيَّة بلا زيادة، إلَّا التي بلا شُكر.

٥ – **عدم الاتِّكال على البرِّ الذاتي**: حذَّر النَّبيُّ الجليل سامعيه مِن خطورة الافتخار بالبرِّ الذاتي، وبكَونهم أبناء إبراهيم، لأنَّ الله قادرٌ أنْ يُقيم مِن الحجارة أولادًا لإبراهيم، بل الأَوْلَى لهم ولنا، هو إصلاح أنفسنا والاتِّضاع ونَبْذ طُرُقِنا الشرِّيرة، والافتخار بالربِّ ومراحمه علينا، لنُكمِّل تَوبتنا المقبولة أمام الله.

وبهذا نَقدر أنْ نشهد على توبتنا المُقدَّسة في حياتنا، بجهادنا الصادق والأمين، لنُعطي لروح الربِّ المجال لكي يُثمر هو فينا بنِعمته، ثمر الروح القدس؛ وعندها سنجد لدينا ما نستطيع تقديمه لله، ثلاثين وستين ومئة، شهادةً لأرواحنا أنَّنا أولاد الله، المُغتَسلون بنِعمته، والمُستحِقُّون رحمته.

****

دير القدِّيس أنبا مقار

صَدَرَ حديثًا **من إعداد: رهبان دير القدِّيس أنبا مقار**

العملاق الروحي

الراهب القمص مينا المقاري

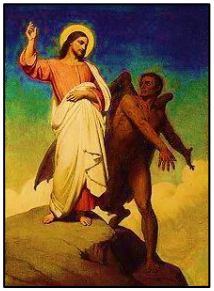
شيخ شيوخ بريَّة الإسقيط

(١٩٢٨/٢/٢٤م – ٢٠٢٥/١٢/١٣م)

والكتاب ١٥٢ صفحة (من القَطْع الكبير – ورق كوشيه)

****

من
التراث الكنسي



أحد التجربة على الجبل

(مر ١: ١٢، ١٣)[١]

✣✝✣

يقول إنجيل مرقس: **«وَلِلْوَقْتِ أَخْرَجَهُ الرُّوحُ إِلَى الْبَرِّيَّةِ، وَكَانَ هُنَاكَ فِي الْبَرِّيَّةِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا يُجَرَّبُ مِنَ الشَّيْطَانِ. وَكَانَ مَعَ الْوُحُوشِ. وَصَارَتِ الْمَلاَئِكَةُ تَخْدِمُهُ»**.

الشيطان عدوٌّ للإنسان، مُخادِعٌ مُحتال، يلعب دائمًا دور الثَّعلب الماكِر ليوقع الفريسة في شِباكه. وكثيرون لم ينتبهوا لخداعه، فراحوا في سُبَاتٍ عميق. وفي سُباتهم وعدم يقظتهم على خلاص نفوسهم، وفيما هم نيام؛ ألقى العدُوُّ بذور زوانه في قلوبهم، فأثمر الزوان ثمارًا مُرَّة، مَرمَرَت حياتهم، وانتزعت الفرحة مِن نفوسهم، وهَدَمَت سلامهم وعفَّتهم.

وهكذا الحال مع جميع الذين تجاهلوا حروب العدو، وأغمضوا عيونهم عن خططه الماكرة، وأهملوا كلمة الله، ووسائط النِّعمة، واستهانوا بروح الجديَّة في حياتهم الروحيَّة. لم ينتبهوا لِمَا يحدث مِن حولهم، وتغافلوا عن مُخطَّطات العدُوِّ الخبيث لإسقاطهم، وأخيرًا لم يستفيقوا لأنفسهم إلَّا بعد أنْ تجرَّعوا مرارة السقوط، وذاقوا علقم الشُّعور بالذَّنب.

طريق الغلبة:

هنا في تجارب الشيطان للسيِّد المسيح على الجبل، أوضح لنا الربُّ يسوع أنَّ الشيطان شخصيَّة حقيقيَّة؛ يُحارِب ويُراوِغ ويُحاوِر ويُداوِر، لعلَّه يظفر بالنفس التي يُخطِّط لإسقاطها في فخاخه.

ومِن تلك الحادثة نستمدُّ خبرةً جديدة في طُرُق النصرة على العدو وأفكاره بكلمة الله. والربُّ في غلبته على العدوِّ قد رسم لنا طريق الغلبة على حِيَل المُخادِع، كما أنَّ الإنجيل يحثُّنا على الدوام أنْ نكون في حالة صحو ويقظة وانتباه وسهر روحي، حتى لا نُؤخَذ على حين غرَّة مِن العدوِّ الذي يرغب في تضليل الغافلين وإفساد أذهان المؤمنين: **«وَلكِنَّنِي**

---

(١) عن كتاب بعنوان:

This is My Beloved Son By Anthony M. Coniaris.

أَخَافُ أَنَّهُ كَمَا خَدَعَتِ الْحَيَّةُ (الشيطان) حَوَّاءَ بِمَكْرِهَا، هكَذَا تُفْسَدُ أَذْهَانُكُمْ عَنِ الْبَسَاطَةِ الَّتِي فِي الْمَسِيحِ» (٢كو ١١: ٣).

الربُّ يسوع نفسه صارع الشيطان أثناء صومه خلال الأربعين يومًا في البريَّة، ولذلك فالربُّ علَّمنا أنْ نقول في الصلاة الربَّانيَّة: **«لكِنْ نَجِّنَا مِنَ الشِّرِّيرِ» (مت ٦: ١٣)**. والشيطان وقف ضدَّ إسرائيل في القديم (١أخ ٢١: ١)، والربُّ كان ينتهر الشيطان، والربُّ رأى الشيطان ساقطًا مثل البرق مِن السماء (لو ١٠: ١٨). والشيطان كائنٌ عنيف، فعندما يتسلَّط على إنسان، يجعل مسكنه في القبور، حتى إنَّه لا يقدر أحدٌ أنْ يقف في طريقه (راجع: مر ٥: ١ – ٢٠).

ما يفعله الشَّيطان بنا؟

ما يفعله بنا الشيطان المُحتال أنَّه يُلذِّذ لنا حلاوة الخطيَّة مِن الخارج، وهي مِن داخلها تحمل سُمَّ الحيَّات: **«أَنْعَمُ مِنَ الزُّبْدَةِ فَمُهُ، وَقَلْبُهُ قِتَالٌ. أَلْيَنُ مِنَ الزَّيْتِ كَلِمَاتُهُ، وَهِيَ سُيُوفٌ مَسْلُولَةٌ» (مز ٥٥: ٢١).**

نعم، هذا ما يفعله العدو مع النفس المخدوعة بلذَّة الخطيَّة، إذْ بينما تكون النفس مُنغمِسة في اللَّهو، مُتلذِّذة بشهوات الجسد؛ تكون في ذات الوقت، واقعة في قبضة إبليس، الذي بسهامه الحادَّة يُدمي قلب ضحاياه، ويستنزف طاقتهم الروحيَّة والجسديَّة ... ومع الأيَّام، ومع استمرار الخاطئ في السقوط، يتحوَّل إلى شخصٍ مُحطَّم يائس بائس، فاقد الأمل في الحياة، وروحه المعنويَّة في الحضيض؛ وعندئذٍ يُحكِم إبليس قبضته على الإنسان ليملك عليه بالكامل، وأخيرًا يستولي على النفس روح القلق والإحباط والإحساس بالضياع.

وفي كلِّ ذلك لا تدري النفس أنَّها ساذجة مخدوعة ساقطة فريسة في يد العدو، وأنَّ هذا السقوط لا بدَّ أن يكون مُدمِّرًا للحياة، إذ يُدمِّر في الداخل روح النقاوة والتعفُّف، ويهدم البنيان الرُّوحي، مع خسران المجد الأبدي وميراث البنين؛ هذا بجانب الانفصال عن الله الذي يُؤدِّي إلى الموت الرُّوحي والهلاك الأبدي.

سقوط الشَّيطان:

سقط الشيطان مع جنوده في معركتهم مع خُدَّام الله: **«وَحَدَثَتْ حَرْبٌ فِي السَّمَاءِ: مِيخَائِيلُ وَمَلاَئِكَتُهُ حَارَبُوا التِّنِّينَ، وَحَارَبَ التِّنِّينُ وَمَلاَئِكَتُهُ وَلَمْ يَقْوَوْا، فَلَمْ يُوجَدْ مَكَانُهُمْ بَعْدَ ذلِكَ فِي السَّمَاءِ. فَطُرِحَ التِّنِّينُ الْعَظِيمُ، الْحَيَّةُ الْقَدِيمَةُ الْمَدْعُوُّ إِبْلِيسَ وَالشَّيْطَانَ،**

الَّذِي يُضِلُّ الْعَالَمَ كُلَّهُ، طُرِحَ إِلَى الأَرْضِ، وَطُرِحَتْ مَعَهُ مَلاَئِكَتُهُ» (رؤ ١٢: ٧ – ٩).

«كَيْفَ سَقَطْتِ مِنَ السَّمَاءِ يَا زُهَرَةُ بِنْتَ الصُّبْحِ؟ كَيْفَ قُطِعْتَ إِلَى الأَرْضِ يَا قَاهِرَ الأُمَمِ؟ وَأَنْتَ قُلْتَ ... أَصْعَدُ فَوْقَ مُرْتَفَعَاتِ السَّحَابِ. أَصِيرُ مِثْلَ الْعَلِيِّ، لكِنَّكَ انْحَدَرْتَ إِلَى الْهَاوِيَةِ، إِلَى أَسَافِلِ الْجُبِّ» (إش ١٤: ١٢ – ١٥).

يقول القدِّيس كليمندس الإسكندري St. Clement of Alexandria:

[الله خلق رؤساء الملائكة، ورئيسٌ مِنهم سقط عندما تعظَّم على الله].

لا يستطيع الشيطان الآن أنْ يُحارِب الله، لذلك فهو يُحاول أنْ يُضايِق الله بأنْ يؤذي أولاده ويضُرَّهم، أليس هذا هو الذي دَخَل في يهوذا الإسخريوطي ليُسلِّم سيِّده إلى الموت (يو ١٣: ٢)؟ وأليس هو الذي يقول عنه القدِّيس بطرس في رسالته: **«لأَنَّ إِبْلِيسَ خَصْمَكُمْ كَأَسَدٍ زَائِرٍ، يَجُولُ مُلْتَمِسًا مَنْ يَبْتَلِعُهُ هُوَ، فَقَاوِمُوهُ» (١بط ٥: ٨، ٩)؟**

طُرُقَ الشيطان المُخاتِلة لم تتغيَّر:

كان سؤالاً كاذبًا ذاك الذي سأله الشيطان لحواء وهو يندسُّ خِفيَة مُتظاهرًا بأنَّه هو النَّصوح الحكيم. قال لها: **«أَحَقًّا قَالَ اللهُ لَا تَأْكُلَا مِنْ كُلِّ شَجَرِ الْجَنَّةِ»؟** فأجابته حواء: **«مِنْ ثَمَرِ شَجَرِ الْجَنَّةِ نَأْكُلُ، وَأَمَّا ثَمَرُ الشَّجَرَةِ الَّتِي فِي وَسْطِ الْجَنَّةِ فَقَالَ اللهُ: "لَا تَأْكُلَا مِنْهُ وَلَا تَمَسَّاهُ لِئَلَّا تَمُوتَا"».**

عندئذ كذَّبَت الحيَّة قول الله وأنكرته وقالت: "الله لم يقصُد هذا"، بل: **«اللهُ عَالِمٌ أَنَّهُ يَوْمَ تَأْكُلَانِ مِنْهُ تَنْفَتِحُ أَعْيُنُكُمَا وَتَكُونَانِ كَاللهِ» (تك ٣: ١ - ٥).**

ماذا تقصُد الحيَّة بالقول: "تكونان كالله"؟ تعني أنَّكما تقدران أنْ تضبطا كلَّ شيء بمُفردكما، وتتعهَّدان حياتكما وأنتما مُستقلَّان، وأنْ تصنعا قراراتكما بمعزلٍ عن الله، وتعرفا الشرَّ والخير، وهذا بالتأكيد شيءٌ جيِّدٌ ونافع لكما.

هذا ما يقوله لنا الشيطان: لستُم في حاجة إلى الله ليقول لكم ما تفعلون، أنتُم لستم دُمًى (جمع دُميَة)، يُمكنكم أنْ تفعلوا أيَّ شيء كما تُريدون، تصرَّفوا بحريَّة كاملة، وسِنُّوا لأنفسكم ما تشاءون مِن قوانين، وهنا تُصيبون الهدف تمامًا.

نتيجة هذا الفكر المُخادِع صار هذا هو حال العالَم، عالَم سبق أنْ تنبَّأ عنه أورويل Orwell في

روايته: "١٩٨٤" عندما كَتَب: "هنا فقط يستطيع الناس أنْ يقولوا عن الشيء الأسود إنَّه أبيض؛ والأبيض إنَّه أسود. الجيِّد يقولون عنه إنه رديء، والرديء يقولون عنْه إنَّه جيِّد؛ النافع يقولون عنه إنه ضارٌّ، والضار يقولون عنه إنَّه مُفيد؛ الصواب يقولون عنه خطأً، والخطأ يقولون عنه صوابًا؛ الخطيَّة يقولون عنها دُعابة، والصلاح لا مُجازاة له؛ الله غفورٌ ولا يحسب لنا خطايانا، بل نحن الذين نحسبها لأنفسنا".

لستُ أنا السبب:

الكلام السَّابق هو نوعٌ مِن أكاذيب الشيطان التي يُضلِّل بها الناس، فالشيطان هو الكذَّاب وأبو الكذَّاب والضَّليع في الخداع. بعد ذلك يتقدَّم الشيطان إلى كذبةٍ أُخرى، وهي أنَّه يُحاول أنْ يجعلنا نتملَّص مِن مسؤوليَّتنا تجاه الأخطاء والخطايا التي نفعلها ونقول: "الشيطان هو الذي جعلني أعمل هذا"؛ أو أقول: "أصلها كانت ساعة شيطان!".

> مِن قرونٍ طويلة مضت اهتمَّ القدِّيس كيرلس الإسكندري بهذا النوع مِن الكذب عندما قال: [الشيطان ليست له قوَّة إلَّا في عرض الأفكار واقتراحها، ولكن ليس له القُدرة أنْ يُجبِر أحدًا ضدَّ رغبته، فالاختيار مُتوقِّفٌ علينا].

الخطيَّة تنبع مِن داخلنا، والشيطان يتَّخذ مِن موقفنا ذريعة لتدخُّله. تذكَّر أنَّ الربَّ في التجربة على الجبل، رفض مشورة الشيطان وانتهره ولم يخضع له، لا بالفكر ولا بالفعل.

ليس للشيطان سُلطانٌ أكثر مِن عرض أفكار شرِّيرة داخل قلوبنا، لذلك أوصانا الرب يسوع: **«اِسْهَرُوا وَصَلُّوا لِئَلَّا تَدْخُلُوا فِي تَجْرِبَةٍ»**. اِعلَم أنَّ أفكار الشيطان التي يبثُّها لنا لا تصبح أفكارًا شرِّيرة إلى أنْ نُرحِّب بها داخل قلوبنا، ثمَّ نأخذ في التلذُّذ بها. يُمكن للطيور أنْ تحوم حول رؤوسنا، ولكن علينا ألَّا نسمح لها أنْ تبني عشًّا فوق رؤوسنا.

تشويه الصُّورة الحسنة:

مِن الهام جدًّا أنْ نعرف عدوَّنا؛ وأنْ نعرف أنَّه في تجاربه لنا يأخذ الأشياء الجيِّدة التي خلقها الله لنا لنسعد بها، ويُحاول أنْ يجعلنا نُشوِّهها ونُسيء استعمالها. وعلى سبيل المثال، فشيطان المال اسمه الطَّمَع؛ وشيطان الجنس اسمه الشَّهوة؛ وشيطان التَّباهي بالذات اسمه الكبرياء. المال ليس شرًّا؛ ولكن محبَّة المال هي الشر. الجنس ليس شرًّا؛ ولكن استخدام الجنس لإشباع الشَّهوة خارج سرِّ الزيجة، هو زنا. أنْ تتفكَّر حسنًا في ذاتك، وأنْ

تحترمها، وأنْ تُحبَّها لأنَّها على صورة الله، ليس شرًّا؛ ولكن الكبرياء شر. يُحاول الشيطان باستمرار أنْ يُشوِّه صورة الله الحسنة والبهيَّة.

كيف نُقاوِم الشيطان؟

نعم، حقًّا وبالتأكيد، نستطيع أنْ نُقاوم الشيطان وأنْ ننتصِر عليه. اِقرأ أولًا هذه الكلمات للقدِّيس أنبا مقار الكبير:

> [أكثر الأعمال أهميَّة في الحرب الرُّوحيَّة هي أنْ تدخُل إلى القلب، وهناك تشنُّ الحرب على الشيطان، وذلك بأنْ تكرهه، وبأنْ تُحاربه برفض الأفكار التي يبثُّها لك. إنْ كان الإنسان يحفظ جسده مِن الخارج حُرًّا مِن الشَّهوة والفساد، ولكنَّه يرتكب الزنا في داخله أمام الله، وذلك بالزنا بأفكاره، فلن تُجدِي أيَّ فائدة لحفظ جسده نقيًّا، لأنَّ الكتاب يقول: إنَّ **«كُلَّ مَنْ يَنْظُرُ إِلَى امْرَأَةٍ لِيَشْتَهِيَهَا، فَقَدْ زَنَى بِهَا فِي قَلْبِهِ» (مت ٥: ٢٨)**. هناك، إذًا، زنا يُرتكَب عن طريق الجسد، وهناك أيضًا زنا الرُّوح بالتخاطُب مع الشيطان].

بعض المعارك الضارية على الأرض هي تلك التي توجد داخل أنفسنا، وساحة الحرب هي الفكر والقلب، ونحن نشنُّ الحرب وننقضُّ على الشرِّير والأفكار الشرِّيرة، وذلك لأنه يوجد ينبوعٌ فائض داخلنا، ومعونة عظيمة في ملكوت الله الذي هو أيضًا داخلنا. يقول القدِّيس يوحنا الإنجيلي: **«أَنْتُمْ مِنَ اللهِ أَيُّهَا الأَوْلاَدُ، وَقَدْ غَلَبْتُمُوهُمْ لأَنَّ الَّذِي فِيكُمْ أَعْظَمُ مِنَ الَّذِي فِي الْعَالَمِ» (١يو ٤: ٤)**. مَنْ هو هذا الذي فينا الذي هو أعظم مِن العالم؟ مَنْ يكون غير الله! الآب والابن والرُّوح القُدُس: **«حِينَمَا يَحْفَظُ الْقَوِيُّ (الشيطان) دَارَهُ مُتَسَلِّحًا، تَكُونُ أَمْوَالُهُ (النفوس التي أَسَرها وقيَّدها بسلطانه) فِي أَمَانٍ؛ وَلكِنْ مَتَى جَاءَ مَنْ هُوَ أَقْوَى مِنْهُ (الرب يسوع) فَإِنَّهُ يَغْلِبُهُ وَيَنْزِعُ سِلاَحَهُ الْكَامِلَ الَّذِي اتَّكَلَ عَلَيْهِ وَيُوَزِّعُ غَنَائِمَهُ» (لو ١١: ٢١، ٢٢)**.

نحن أتباع المسيح وخاصَّته، وهذا مِن خلال سرِّ التناول الذي بواسطته يسري دم المسيح الخلاصي في عروقنا، وبحضور الربِّ القوي والفعلي داخلنا، تصير لنا القوَّة والسلطان أنْ نأمر الشيطان أنْ يذهب عنَّا بالخلاص القوي الذي لاسم ربِّنا يسوع المسيح، هذا الذي يُرعب الشياطين: "اِذهب عنِّي يا شيطان، أنا أجحدك وأتبرَّأ منك وأكرهك وأرفُضك. اِرفَع يدك عنِّي فأنا لا أخصُّك وأنتَ لستَ لي، إنَّني لفاديَّ ومُخلِّصي الرب يسوع".

يُعبِّر القدِّيس غريغوريوس النَّزينزي عن ذلك ويقول:

[إنْ جرَّبَك الشيطان بالطُّموح وأراك ممالك العالَم وغِنَى الأرض في لمحة عين وطرف البَصَر، وإنِ ادَّعى عليك أنَّك مِن خاصَّته؛ فلا تُصدِّقه لأنَّه فقير وبائس ومثواه النار التي لا تُطفأ والدود الذي لا يموت، لأنَّه حقًّا لا يملك شيئًا. إنَّك مُتقوٍّ ومصون بختم المعموديَّة المقدَّس وتستطيع أنْ تقول له: "أنا على صورة الله، ولم أُطرَح ولم أُرفَض مثلك مِن المجد السماوي؛ فأنا قد لبستُ المسيح لي رداءً وصرتُ مِن خاصَّته، ودائمًا أنا في معيَّته بالإفخارستيَّا. أنتَ الذي عليكَ أنْ تحسدني وتحسد المجد الذي أنا فيه!"].

أقوى سلاح ضدَّ الشيطان:

أقوى سلاح علينا أنْ نلبسه هو الصلاة، وعندما نتوقَّف عن الصلاة، فنحن – بالحرف الواحد – نُفسِح مجالًا للشيطان، ونفتح له الأبواب ليدخل. ولكن عندما نُصلِّي، فإنَّ الشيطان يلوذ بالفرار مثلما يهرب اللِّص مِن المنزل عندما يسمع الأصوات مِن الداخل. **ما أحلى أصوات الصلاة والترانيم والتسابيح!** إنَّها تُرهب الشياطين.

بقيَّة الأسلحة الروحيَّة:

الربُّ أعطانا الدِّروع والسلاح الكامل الذي به نُحارب الشيطان: «الْبَسُوا سِلَاحَ اللهِ الْكَامِلَ لِكَيْ تَقْدِرُوا أَنْ تَثْبُتُوا ضِدَّ مَكَايِدِ إِبْلِيسَ. فَإِنَّ مُصَارَعَتَنَا لَيْسَتْ مَعَ دَمٍ وَلَحْمٍ، بَلْ مَعَ الرُّؤَسَاءِ، مَعَ السَّلَاطِينِ، مَعَ وُلَاةِ الْعَالَمِ عَلَى ظُلْمَةِ هذَا الدَّهْرِ، مَعَ أَجْنَادِ الشَّرِّ الرُّوحِيَّةِ فِي السَّمَاوِيَّاتِ ...» (أف ٦: ١١ – ٢٠).

هزيمة الشيطان:

الله لم يقتل الشيطان ولكن هزمه. توجد صورة توضيحيَّة منذ الكنيسة الأُولى تُحاول أنْ تشرح كيف حدث هذا! يُصوَّر فيها الشيطان بشكل سمكة هائلة تلتهم كلَّ إنسان ابتداءً مِن آدم، وعندما أرادت السمكة أنْ تلتهم المسيح كإنسانٍ مائت على الصليب، كان قد خَفِيَ عن السمكة أنَّ هذه الطبيعة البشريَّة التي للمسيح كانت مُتَّحدة بطبيعة اللاهوت.

لذلك عندما أراد الشيطان أنْ يلتهم تلك الطبيعة الإنسانيَّة التي ليسوع المسيح (المُتَّحدة بلاهوته) عند موته على الصليب، فإنَّ الطبيعة الإلهيَّة المُتَّحدة بالناسوت ظَفَرَت بالشيطان وهزمته شرَّ هزيمة.

وعلى ذلك، فإنَّ الموت والشيطان اللذين ابتلعا الجنس البشري، هما أنفسهما قد هُزما بواسطة موت المسيح وقيامته الظافرة المجيدة، التي انتصر فيها انتصارًا عظيمًا على الشيطان. إلَّا أنَّ الشيطان، مع ضعفه وهزيمته، لم يستسلم بعد. وفي الواقع، وبحسب الإنجيل، فعندما ينتهي الزمان ويأتي يوم الدينونة، فإنَّ الشيطان يلفظ أنفاسه الأخيرة في المعركة النهائيَّة، ويُسلَّم بعد ذلك ليُعذَّب في بحيرة النار والكبريت.

لذلك فالنصرة تبقى نصرتنا إنْ التصقنا بمصدر القُوَّة: **المسيح الظافِر القائم مِن بين الأموات**. وفي كلِّ يوم يُعطينا المسيح القوَّة لنقهر هجمات الشرِّير، ويومًا فيومًا يُمنطِقنا بسلاح البرِّ، وفي كلِّ تجربة نجد الرَّبَّ يمدُّنا بالطريق الصالح والوسيلة الناجعة، ويُؤكِّد لنا أنَّه لا يُمكن أنْ نُجرَّب فوق ما نحتمل (انظر: ١كو ١٠: ١٣).

وختام الأمر كلّه: لا بدَّ مِن الالتصاق بالله في الصلاة، لا تُفارقك قراءة كلمة الله، تناوَل باستمرار، والتصق بالمسيح واحفظ وصاياه، وتعلَّق به **«لأَنَّهُ يُوصِي مَلَائِكَتَهُ بِكَ لِكَيْ يَحْفَظُوكَ فِي كُلِّ طُرُقِكَ، عَلَى الأَيْدِي يَحْمِلُونَكَ ... لأَنَّهُ تَعَلَّقَ بِي أُنَجِّيهِ»** (مز ٦١: ١١ – ١٤)؛ هذا الذي أعطانا السلطان أنْ نُخرِج الشياطين باسمه (مر ٣: ١٥؛ ١٦: ١٧). تأكَّد أنَّك إنْ كنتَ معه، فلن يقدر لصٌّ أنْ يخطفكَ مِن يد راعيكَ الصالِح والأمين.

ولكن اِحذر، فالشيطان كائنٌ روحيٌّ، ووجوده أمرٌ مُحقَّق: **«فَاخْضَعُوا للهِ. قَاوِمُوا إِبْلِيسَ فَيَهْرُبَ مِنْكُمْ. اِقْتَرِبُوا إِلَى اللهِ فَيَقْتَرِبَ إِلَيْكُمْ» (يع ٤: ٧، ٨).**

صلاة

أشكرك أيُّها الآب بسبب النصرة على الشيطان التي صارت لنا مِن خلال نصرة ابنك على جبل التجربة وموته المُحيي وقيامته الظافرة المجيدة.

شكرًا لك، يا رب، يا مَن أعطيتنا ألَّا نرهب أو نجزع خوفًا مِن العدو، لأنَّنا فيك قد وجدنا القوَّة والسُّلطان أن نطرحه خارجًا بالصلاة، وبكلمتكَ المُحييَّة، ومِن خلال تناولنا مِن جسدك ودمكَ الأقدَسَيْن.

حقًّا، يا رب، إنَّ الذي فينا أعظم مِن الذي في العالم.

لك كلُّ المجد الآن وإلى الأبد. آمين.

بحث تاريخي

أهم أديرة وكنائس القدِّيس مار جرجس القبطيَّة الأثريَّة

(٤)

الأستاذة الدكتورة/ شيرين صادق الجندي
أستاذ الإرشاد السياحي والآثار والفنون القبطيَّة
بكلية الآداب – جامعة عين شمس

٢٣ – دير القدِّيس مار جرجس الحديدي بأخميم:

شُيِّد هذا الدير القبطي على طريق أخميم – نجع حمادي في الناحية الجنوبية من أخميم بحوالي خمسة عشر كيلومترًا **(الشكل رقم ١٣)**. وأُطلِق عليه أيضًا اسم: "دير الحديد للقدِّيسَيْن أولوجيوس وأرسانيوس"[١]، ثم عُرِف بعد ذلك باسم: "دير مار جرجس" القدِّيس المعروف. ويُحيط بكنيسة الدير مستطيلة الشكل والمُشيَّدة على تلٍّ عالٍ سور مرتفع، وهي من نفس طراز كنائس أخميم[٢]. وهي ترجع إلى القرن السادس عشر الميلادي – السابع عشر الميلادي. ويوجد مدخلها الرئيسي في الناحية الغربية مثل أغلب الكنائس الأثريَّة القبطيَّة. كما إنَّ بها ثلاثة هياكل شرقية تخطيطها نصف دائري. ويمينًا ويسارًا من هذه الهياكل، توجد حجرتان



(الشكل رقم ١٣) دير القدِّيس مار جرجس الحديدي بأخميم. نقلًا عن: بوابة أخبار اليوم ٢٠٢١/١٠/٢٥.
https://akhbarelyom.com/news/newdetails

(١) الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٨٨.

(2) G. Steindorff, *In Ägypten und der Sudan*, 2nd ed., ed. Baedeker, Leipzig, 1902, p. 220; M. Jullien, "Quelques anciens couvents de l'Égypte", *Missions Catholiques* 35, 1903, pp. 188–190, 198–202, 212–214; S. Clarke, *Christian Antiquities in the Nile Valley*, Oxford, 1912; H. Munier, «Les monuments coptes d'après l'exploration de Père Michel Jullien», *Bulletin de la société d'archéologie copte 6*, 1940, 141–168; Otto F. Meinardus, *Christian Egypt, Ancient and Modern*, Cairo, 1965, pp. 298–299; 2nd edition, Cairo, 1977, 410–411; J. Muyser & G. Viaud, Les *pèlerinages coptes en Égypte*, Bibliothèque d'études coptes 15, Le Caire, 1979, pp. 58–59; P. *Grossmann, Langhauskuppelkirchen und verwandte Typen in Oberägypten*, Gluckstadt, 1982; R.G. Coquin & Maurice Martin S.J, «Dayr Mar Jirjis al–Hadidi (History)», *CoptEnc*., vol.3, New York, 1991, 831b–833a; Sh. Mcnally, Dayr Mar Jirjis al–Hadidi (Architecture)», *CoptEnc*., vol.3, New York, 1991, 831b–833a.

جانبيتان. وتعلو الصحن الأوسط قبَّة رئيسيَّة أمام الهيكل الأوسط. ويُلاحظ أن باقي قباب الكنيسة منخفضة. وخلف الهياكل الثلاثة، يوجد ما يُسمَّى بالضفير، وهو بمثابة ممرٍّ خلفي يربط بين كلِّ هذه الهياكل. وعُثِر على تاج عمود قديم بداخل أحد الجدران في الساحة الموجودة أمام الكنيسة، وربما كان جزءًا من أجزاء الكنيسة القديمة التي بُنِيَت من قبل في نفس المكان. وفي شمال شرق دير القدِّيس مار جرجس الحديدي بأخميم من الناحية الخلفية، اكتُشِفَت منشوبيات قديمة بداخلها رسومات جدارية مُماثلة لِمَا عُثِر عليه في الموقع الأثري "القلالي" في محافظة البحيرة.

٢٤ – دير القدِّيس مار جرجس المحروسة:

بُنِي هذا الدير الهام على بُعْد كيلومترين من قرية المحروسة أو البلاص الموجودة جنوب قنا بحوالي ثمانية عشر كيلومترًا في الطريق المؤدِّي إلى نقادة[٣] **(الشكل رقم ١٤).** ويوجد دير القدِّيس مار جرجس بالمحروسة بالقرب من مكانٍ مُخصَّص لتصنيع البلاليص. وكلُّ ما تبقَّى من هذا الدير هو الكنيسة القديمة، بالإضافة إلى بعض الحجرات المجاورة والتي تُغطِّيها القباب. وترجع هذه الكنيسة التي تحتوي على ثلاثة هياكل شرقيَّة إلى القرن الثامن عشر الميلادي – التاسع عشر الميلادي، وبها اثنتا عشرة قبَّة. وفي حائطها الجنوبي باب يُفتح على الصحن الذي تعلوه قبَّة ترتكز على أربع دعامات. كما يوجد مغطس كبير مربع الشكل في وسط الكنيسة. وفي الركن الشمالي الغربي منها، توجد أيضًا معموديَّة.



(الشكل رقم ١٤) دير القدِّيس مار جرجس المحروسة. نقلًا عن: https://www.chjoy.com/vb/showthread.php?t=672507

٢٥ – دير القدِّيس مار جرجس المجمع بنقادة:

سبقت الإشارة إلى دير القدِّيس مار جرجس المعروف بدير المجمع في نقادة في مقالتنا المنشورة في عامَي ٢٠١٩ و٢٠٢٠[٤].

(٣) الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٩٦.

(٤) شيرين صادق الجندي، "أهم الأديرة القبطيَّة بنقادة" (١–٢)، مجلة مرقس، العدد (٦٠٩)، مطبوعات دير

٢٦ – دير القدِّيس مار جرجس المجمع بالرزيقات:



(الشكل رقم ١٥). دير القدِّيس مار جرجس المجمع بالرزيقات. نقلًا عن: https://www.youm7.com/story/2022/12/5

وَرَدَ ذِكْر هذا الدير الأثري المُندثِر للقدِّيس مار جرجس بالرزيقات في مخطوط يرجع إلى القرن العاشر الميلادي، وبالتحديد إلى سنة ٩٦٠م. وقد تمَّت هجرة موقع الدير الأثري القديم لصعوبة الوصول إليه. وعلى بُعْد ثلاثة عشر كيلومترًا في جنوب أرمنت، وما يقرب من خمسة كيلومترات في الناحية الغربية لجبل الرزيقات التابعة لقرية الديميقراط[٥] أو نجع الديميقرية al–Dimiqriyyah في الناحية الغربية لمدينة الأقصر وإسنا[٦]، شُيِّد الدير الجديد للقدِّيس مار جرجس الذي ترجع كنيسته الحاليَّة، التي تحتوي على ستة هياكل، إلى القرن الثامن عشر الميلادي – التاسع عشر الميلادي **(الشكل رقم ١٥)**. وقد بُنِيَت في نفس مكان الكنيسة القديمة، ويُحيط بها مباني أحدث كالمضيفة، بالإضافة إلى قلالي الرهبان. وفي داخل هذه الكنيسة، صحن كبير إلى جانب ثلاثة خوارس وكلها تعلوها قبابٌ من الطوب اللَّبن. وللكنيسة ثلاثة مداخل شمالية وجنوبية وغربية. وتوجد معموديتها في الركن الشمالي الغربي منها. وعلى بُعْد حوالي كيلومترًا من دير القدِّيس مار جرجس المجمع بالرزيقات وفي شماله، تمَّ العثور على بقايا كنيسة أثريَّة تُعرَف باسم: "دير العذراء"، وربما كانت جزءًا من مباني الدير الأثري المُندثر. وحاليًا، يتوافد الزائرون على دير القدِّيس مار جرجس بالرزيقات للاحتفال سنويًّا بعيده ولنَيْل بركته.

الأنبا مقار، وادى النطرون (ديسمبر ٢٠١٩)، ص١١–١٤؛ والعدد (٦١٠)، (يناير ٢٠٢٠)، ص١٤–١٦.

(٥) الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٢٠٧–٢٠٨.

(6) H.E. Winlock & W.E. Crum, *The Monastery of Epiphanius at Thebes*, 2 vols., New York, 1926, p. 122; A. Van Lantschoot, *Recueil des colophons des manuscrits chrétiens*, vol.1: *Les colophons coptes des manuscrits sahidiques*, Bibliothèque du Muséon 1, Louvain, 1929, p. 122; H. Munier, *Bulletin de la société d'archéologie copte* 5, 1939, 201–243; Otto F. Meinardus, *Christian Egypt, Ancient and Modern*, Cairo, 1965; 2nd edition, Cairo, 1977; J. Muyser & G. Viaud, *Les pèlerinages coptes en Égypte*, Bibliothèque d'études coptes 15, Le Caire, 1979; R.G. Coquin & Maurice Martin S.J, «Dayr Mar Jirjis (Dimiqraṭ)», *CoptEnc.*, vol.3, New York, 1991, 830b–831a.

٢٧ – دير القدِّيس مار جرجس بقبَّة الهوا:

يُعتَبَر هذا الدير من أهم معالم مدينة أسوان السياحيَّة. وعُثِر على بقاياه الأثريَّة على الضفة الغربية من نهر النيل بالقُرب من مقابر النُّبلاء وتحت قبَّة الهواء. ومباني الدير من الطوب اللَّبن، وبداخلها رسومات جدارية وكتابات قبطيَّة للقدِّيس مار جرجس، وربما كان هذا هو السبب في تسمية الدير باسم: "دير مار جرجس". واكتُشِف بالقُرب من هذه المباني بعض المغارات والمقابر المصريَّة القديمة[٧].

وتجدر الإشارة إلى أنه في سائر المحافظات المصريَّة، توجد أديرة وكنائس أخرى تُعرف باسم: "القدِّيس مار جرجس القبطي"، بالإضافة إلى أديرة وكنائس أخرى باسم: "القدِّيس مار جرجس الروماني"، وكذلك باسم: "القدِّيس مار جرجس المزاحم" مثل كنيسته المُشيَّدة في بساط النَّصارى. وهي من الكنائس القبطيَّة المُشيَّدة على بعد أربعة عشر كيلومترًا تقريبًا شمال مدينة المنصورة في قرية بساط النَّصارى[٨]. ويُؤدِّي مدخل الكنيسة الشمالي إلى صالة مدخل، ثم إلى صحن يعلوه سقف خشبي مُسطَّح في منتصفه قبَّة مُثمَّنة الشكل من الداخل وهي مُضلَّعة من الخارج. وهيكل الكنيسة مُغطَّى بقبَّة مُدبَّبة ترتكز على مُثمَّن. وطبقًا لِمَا أشار إليه أبو المكارم في القرن الثالث عشر الميلادي، كان في هذه الكنيسة بيعتان لكلٍّ من القدِّيس مار جرجس والقدِّيس بيمن. كما عُثِر في هذه الكنيسة على كثيرٍ من المخطوطات والأيقونات التي تتميَّز زخارفها بتنوُّع عناصرها وثرائها.



(الشكل رقم ١٦) دير القدِّيس مار جرجس الروماني بمصر القديمة.

كما تجدر بنا الإشارة إلى دير القدِّيس مار جرجس الروماني رغم كونه دير غير قبطي، فهو دير تحت إشراف طائفة اليونانيين الأرثوذكس، غير أنه من أهم المزارات السياحيَّة في منطقة مصر القديمة، نظرًا للطراز المعماري الفريد المُشيَّدة به مباني الدير المختلفة. كما إنه دير للرهبان تم تشييده على أحد أبراج حصن بابليون الروماني الغربي **(الشكل رقم ١٦)**[٩].

---

(٧) الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٢١٣.

(٨) الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٦٠.

(٩) الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٩١.

وكلُّ مباني الدير تمَّ تجديدها في القرن العشرين، ويُحيط بها سور خارجي كبير وحديث. ويُؤدِّي المدخل إلى حديقة كبيرة. وفي مواجهة المدخل، يوجد مبنى كبير هو بمثابة سكن للرهبان. وعلى يسار المدخل حديقة كبيرة بها نماذج حديثة لقلالي صغيرة، ثم بعد ذلك تبدأ جبَّانة الروم الأرثوذكس، وفي نهايتها كنيسة حديثة بازيليكية التخطيط. وأسفلها بئر يُعتَقَد أنه أثري شرب منه أفراد العائلة المقدَّسة أثناء رحلتهم إلى أرض مصر في القرن الأول الميلادي طبقًا للتقليد القبطي الأرثوذكسي. وعلى يمين مدخل الدير، توجد ثلاثة مستويات يتمُّ الصعود إليها من خلال مجموعة سلالم.

وتوجد الكنيسة الأثريَّة في الطابق السُّفلي، وهي مُغلقة في الوقت الراهن. ثم يوجد مستوى أعلى وهو طابق يُعرف باسم الميزانين، يحتوي على حجرة مستطيلة بها أيقونات للقدِّيس مار جرجس كقدِّيس فارس. ومنها أيقونات قوام زخرفتها مراحل من تعذيب واضطهاد هذا القدِّيس بواسطة الجنود الرومان وفي حضور الإمبراطور الروماني. كما توجد سلسلة معدنية وعَجَلَة وعمود استُعملت كلها في تعذيب القدِّيس مار جرجس.

وفي نفس الطابق، يوجد مكان يُعتَقَد أنه سُجِنَ فيه القدِّيس مار جرجس إلى جانب وجود كنيسة صغيرة أو مقصورة مستطيلة الشكل يُقام فيها القُدَّاس حاليًّا من وقتٍ إلى آخر. ويتمُّ الصعود بعد ذلك إلى المستوى الأعلى والأخير، حيث توجد كنيسة أُخرى كبيرة المساحة ودائرية التصميم على غرار كثير من الكاتدرائيات المُشيَّدة حاليًّا في كثير من الدول الأوروبية، لا سيَّما في انجلترا وفرنسا وإيطاليا. وتمَّ تجديد هذه الكنيسة الكبيرة مؤخَّرًا. وتعكس كلُّ زخارفها الداخلية تأثير الفن البيزنطي، لا سيَّما في رَسْم الأشكال الآدميَّة للسيِّد المسيح وتلاميذه الاثني عشر ورؤساء الملائكة والملائكة والأربعة أحياء غير المُتجسِّدين، بالإضافة إلى قدِّيسين وشهداء آخرين.

الخاتمة:

مِمَّا سبق، يتبيَّن أنَّ القدِّيس مار جرجس واحدٌ من أهم القدِّيسين والشهداء الأقباط الذي كُرِّس له عددٌ كبير من الأديرة والكنائس في أغلب المحافظات المصريَّة في كلٍّ من الوجهين القبلي والبحري. وقد تنوَّعت هذه المنشآت الدينية في طُرُزها المعماريَّة وأساليبها الزُّخرفيَّة وفي أشكالها ومساحاتها. ومنها ما هو مُشيَّدٌ للرهبان ومنها ما بُني للراهبات وهو الأقل في العدد. ومنها ما يحتفظ بنسبة كبيرة من عمارته الأولى، ومنها ما فَقَدَ تخطيطه

المعماري الأصلي وأُعيد بناؤه من جديد في نفس مكان المباني القديمة الأصليَّة، لا سيَّما في القرن الثامن عشر الميلادي – التاسع عشر الميلادي.

وتفتَح أغلب هذه الأديرة والكنائس القبطيَّة أبوابها على مدار العام لاستقبال الزائرين الوافدين عليها للاحتفال بأعياد القدِّيس مار جرجس وللتشفُّع به ولنَيْل بركته. كما تزخر هذه الأديرة والكنائس الهامة بمجموعاتٍ نادرة وفريدة من الأثاث الكنسي والتُّحف الفخارية والخشبية والمعدنية والزجاجية، بالإضافة إلى المخطوطات والرسومات الجدارية والأيقونات الجميلة مختلفة الأشكال والأحجام والأساليب الصناعية والفنية، والتي تُبرِز أهم سمات الفن القبطي إلى جانب تأثيرات مدارس فنية أُخرى. وقد تمَّ نقل البعض من هذه الكنوز التراثيَّة إلى المتحف القبطي بالقاهرة وإلى غيره من المتاحف القومية، وكذلك إلى بعض المتاحف الأثريَّة العالمية.

وتشهد كلُّ هذه التُّحف الأثريَّة البديعة على مهارة الصُّنَّاع والفنانين الذين أبدعوا في تشكيلها وتزيينها بمختلف الموضوعات الزُّخرفية المُقتبسة من العهدَيْن القديم والجديد، أو تلك التي تُعبِّر عن المناظر الاجتماعية والنيلية، إلى جانب ما تحويه من زخارف نباتية وهندسيَّة ورموز مسيحيَّة وكتابات يونانية وقبطية وعربية، تضمَّنت أسماء بعض القدِّيسين والشهداء وكذلك الفنانين الذين رسموها.

وفي حقيقة الأمر، تُعتبَر كلُّ هذه الأديرة والكنائس الأثريَّة والحديثة للشهيد مار جرجس بكلِّ ما تحويه من كنوزٍ فنية، تعبيرًا عن أهم مظاهر التراث الثقافي القبطي منذ أقدم العصور المسيحيَّة في مصر حتى الوقت الراهن.

****

دير القدِّيس أنبا مقار

صَدَرَ حديثًا **من إعداد: الراهب أندرياس المقاري**

مدخل إلى قواعد اللغة السريانية
مع قاموس للأفعال السريانية
وطرس البركة لقداسة البابا تواضروس الثاني في تقديم الكتاب

والكتاب ٣٥٢ صفحة (من القَطْع الكبير)

****

LIVING WITH CHRIST

Articles of Comfort and Blessings Offered to the Reader

Other spiritual chapters from the hand of our spiritual father, with an addition from his golden words you will remember! Enjoy! Note: *All quotations are taken from the* ***New King James Version,*** *unless otherwise mentioned.*

Volume Four

Chapter 74

The Entry of the Ethiopians to the Christian Faith

THE worship of the Jews required to visit Jerusalem and the temple. During the Feast of the Harvest thousands of thousands of the Jews living all over the world would gather in Jerusalem. The Bible mentioned some of them: "Parthians and Medes and Elamites, those dwelling in Mesopotamia, Judea and Cappadocia, Pontus and Asia, Phrygia and Pamphylia, Egypt and parts of Libya adjoining Cyrene, visitors from Rome, both Jews and proselytes, Cretans and Arabs."[1] And of course, Ethiopia, that is Abyssinia.

The one who represented Ethiopia at that time was a eunuch who had charge of all the treasury of their queen. After fulfilling his customary visit, he sat in his chariot that carried him from Ethiopia to Jerusalem, and now from Palestine back to Ethiopia. While he was on the road in his chariot, he was reading and meditating from the book of Isaiah the prophet: "He was led as a sheep to the slaughter; and as a lamb before its shearer is silent, so He opened not His mouth."[2]In that very moment, Philip, who was called the preacher and one of the seven deacons, arrived at the chariot filled with the Holy Spirit, accompanying the chariot while it was moving. When he heard the eunuch reading that passage, Philip asked him, "Do you understand what you are reading?" He answered him, "How can I, unless someone guides me?" And he asked Philip to come up on the chariot and sit with him and explain to him the mystery of the Bible and who the silent lamb was. And so, Philip began with the story of Jesus Christ who was slaughtered yet did not open His mouth. Thus, the eunuch believed in the words and his heart rejoiced, and he sought to be baptized. So, the eunuch and Philip went down into the nearest pool of water, and he baptized him per his request. The amazing thing was that as soon as Philip came up out of the water, the Spirit of the Lord caught Philip away

[1] Acts 2:9-11.
[2] Isa 53:7.

and he was found at Azotus. The eunuch's chariot moved and crossed all of Egypt, and from there to Sudan and Ethiopia. What patience is this that this eunuch had! Nevertheless, this is the work of God from the beginning; He subjects circumstances, people, and time to serve the faith. Blessed is Ethiopia which received the faith very early on, and this people ended up having the strongest faith in Jesus Christ. This story sustained Ethiopia throughout its history with fiery faith in Christ, supported by the extremely tough nature of this people. I was a contemporary of many of them, and an Ethiopian monk sought me and wanted to dig a cave by mine. Due to the very kind nature of this man's heart, who was originally Amharic, one of the purest races in Ethiopia, he was a good companion and accompanied me for many years. And I was quiet, not speaking, to keep my silence and my peace.

Ethiopia is one of the countries that are holding fast to the Christian faith, and its Emperor was kind and faithful, loving to Egypt and Jerusalem, and so we were as if one country. Ethiopia also houses some of the earliest manuscripts that have the biographies of our fathers the saints, and there were many of the Ethiopian pious monks in Egypt and its monasteries.

January 1, 2006

Chapter 75

"Then He called His twelve disciples together and gave them power and authority over all demons, and to cure diseases. He sent them to preach the kingdom of God and to heal the sick" (Luke 9:1, 2).

THE disciples are now mature and have become prepared to carry the call with Christ. This is why Christ called them and gave them power and authority over all demons and to cure diseases during their preaching of the kingdom of God. It is clear that the power of Christ is drawn from God, thus it was prepared for Christ to give it to His special disciples. This is the first test that Christ used to assess if His disciples were fit for this calling. He thus gave them its weapons, which are power and authority over the enemy who used to be lying in ambush to ruin the mission of Christ after Christ had removed him from the circle of His being and service. The strange thing is that the devil remained hostile to Christ while being broken and powerless. This is why the authority and power, which Christ gave to His disciples, were able to counteract his menace after his authority used to be unconquered. Thus, this was the first sign in the Bible for fortifying those who work in the name of the Lord. So, the enemy kept on battling while broken, "I saw Satan fall like lightning from heaven."[1] That work of Christ preceded the cross; nevertheless, after the cross the era of the devil ended forever so that the Holy Spirit may dwell as the undefeated power of God.

The amazing thing is that after Christ bound Satan with His power and authority, the door opened before the disciples to start healing the sick and performing miracles in the

[1] Luke 10:18.

name of the Lord. They clearly prospered, thus rejoicing for what happened to them and by their hands.

That was the first day of evangelization by the mouths of the disciples. It was indeed a remarkable day which records for God His first mercy that saved the world from the authority of the devil who had been undefeated. Rejoice O humanity and be glad, for Christ entered the domain of man's work to turn it into an act toward the devil's defeat and the surrender of his power and authority by the authority and power of God. The work of Satan was extremely fierce and profane from the time he caused man's fall, Adam and Eve, from before the face of God and His mercy, and he took over him and started ruining all of his abilities and traits.

The day Christ bestowed power upon His disciples is the first day for man, after ages of sadness and misery, to enter the circle of God's covenant by his victory over the power of the devil and subjection of his authority. Thus, this day is the beginning of the free man's history when he was freed from the chains of the enemy, his power, and authority through the grace of Christ's power. He descended from heaven especially to harness the devil and lock him up with chains from which he cannot escape while awaiting his final punishment. The devil used to be God's enemy before he became man's enemy. Blessed be the name of God who freed us from his strength and authority and gave us the freedom of the children of God. Before God calls for us not to surrender to this enemy, He gave us the authority and power over him. Thus, no man has an excuse in following the temptations of the devil and delighting in his pleasures.

We now live in the days of the glory of Christ and the Father, days that are feasts and living memories to the glories of Christ and the Father. Oh, that the church would dedicate this day as "the Feast of the Gospel," for the joy of the children of God with the word of God which shackled Satan through his awaiting of his punishment in the lake of fire which is about to swallow up the enemy and everyone who fell under his dominion. May Christ be glorified in His victory over the world and the prince of this world, that we may live with Him, victorious, and greater than conquerors.

January 1, 2006

****

Father Matta El-Meskeen

Repentance is but a Second Victory of Faith, and is itself a New Testimony.

HUMANITY has enjoyed the early eras of faith and has been revived by martyrdom as a seal of faith. **Yet there still waits for it an age of repentance, which will be one of its most flourishing spiritual ages. It will be by no means less enjoyable or less flourishing than the early eras on condition that repentance be practiced correctly.**

For repentance is but a second victory of faith and is itself a new testimony. Returning to the faith formerly held is almost a greater joy than embracing it for the first time. Look at the widow's joy after finding the lost penny or at the shepherd whose joy

over finding his one lost sheep was greater than the knowledge that he had ninety-nine more abiding in the sheepfold (Luke 15:7). Thus, the Lord teaches us that the pleasure of the returning penitent to the bosom of Christ is equal in its power and honor to a whole sheepfold (i.e. the whole church).

Hence, God—blessed be His name—desired to endow repentance with double honor, happiness, pleasure and joy so that the sinner might not be despondent or bashful at coming to the bosom of Christ; and so that the glory of the cross might prevail instead of the ignominy of sin, that the meek God who is ready to justify the ungodly might be glorified. Although a repenting sinner could hardly be noticed by the world or by people, the Bible says that the whole heaven welcomes his repentance and rejoices at his justification. It is as if repentance is the greatest of works wherein humanity takes pride; and this is true, for a penitent is that man who has responded to God's power of forgiveness and justification, and has thus gained by means of anguish the fruit of the cross and the sanctification of God. Look how the penitent by means of his communion can give joy to the entire heaven and to the heart of God!

Hence, when saints perceived the honor pertaining to repentance and remorse—an honor originally belonging to sinners, adulterers and to the slothful—they snatched it for their own. They subdued themselves craftily and shrewdly to the severe disciplines of repentance, as though they themselves were slothful, in such a manner that people thought repentance to be the work of saints, and contrition that of the righteous!

As for our wretched selves, we think that it is our righteousness which introduces us to God, and that our virtue, piety, learning, service, and zeal qualify us for communion with heavenly beings. We do not realize that "all things are naked and opened unto the eyes of Him with whom we have to do" (Heb 4:13), and that we have nothing good whereby to approach God; "There is none righteous, no not one" (Rom 3:12), and that "all our righteousnesses are like filthy rags" (Is 64:6).

If only we had known that Christ came to "justify the ungodly" (Rom 4:5) and to "call her beloved which was not beloved" (Rom 9:25), if we could be sure of this, we would immediately renounce all our righteousness, all our false piety, and all artificial ostentation, and would pose at once as ungodly, not deeming our sin as too great to be washed away by His blood, nor our uncleanliness as too great a burden for His love.

It is no business of man to justify the ungodly, for he cannot. This is a divine action, a supernatural ability incomprehensible to man. It is the richness of heaven which has been poured out with the blood of Christ into our hearts. It is the richness of offering and total bountifulness; it is the kindness of God mixed with overwhelming compassion and with love to such an extent that it has been overcome by its own affection, so much so that it could not have mercy on its own self one day, but slew it on the Cross for the misery of sinners.

Justifying the ungodly is a divine mystery, one of the profoundest mysteries of divine economy concerning the concept of salvation. For it would be sufficient for man to believe only that God is able to justify the ungodly and this self-same faith of his would be considered as righteousness on its own, let alone if man approached God as an

ungodly person believing that he is to be justified by means of God's ability to justify and sanctify, which if done would bring him at once to the depth of the incomprehensible mystery of salvation.

Jesus Christ came to the world to save sinners!

The sinner—yes, the sinner who is but a quantity of filth mixed with lusts, evil, vanity and the painful experience of wantonness. The sinner who is loathsome both to people and to himself, is himself the cause of Christ's coming to the world.

The sinner who feels within himself a total deprivation of all that is holy, pure and solemn because of sin; the sinner who in his own eyes is in utter darkness, severed from the hope of salvation, from the light of life and from the communion of saints; is himself the friend whom Jesus invited to dinner, the one who was asked to come out from behind the hedges—the one asked to be a partner in his wedding and an heir to God. God has promised not to remember any of his sins but to drop them into oblivion as a summer cloud that is swallowed up by the glare of the sun.

Is it not for him that he has crucified himself and has borne misery and dereliction?

The wonderful power of Christ as a God who redeems and loves even to death can by no means be conceived or experienced except in the person of the sinner who is cast on the ground and repudiated by all people!

Without the sinner we are able neither to comprehend the love of Christ, nor measure its depth, nor can it show itself in an action which reveals the superlative quality of the divine love. Divine love appears as most dignified in the sight of man when he comes to know it in its condescension to him while he is fallen into his state of misery.

For the sake of the sinner the mysteries of God's love to man have been unveiled, and the richness of Christ has been opened to us; that richness which is offered for nothing, neither for gold nor silver. Oh, how great is the poverty of the sinner; for it is solely the extreme destination of the sinner which draws out the richness of Christ with a confidence similar to that of a hungry child when it draws milk out of its mother's breast!!

Christ never enriches the one who is rich, nor does he feed the one who is satisfied, nor justify the one who is righteous, nor redeem one who relies on his own power, not teach a scholar!

For his richness is only for the poor and needy, to those who are cast away, the contemptible and wretched in their own eyes; his rich food is for the hungry, his righteousness for sinners, his right arm for the fallen, his knowledge for the children and those belittled in their own eyes!

For whosoever is poor, hungry, sinful, fallen or ignorant, he is the guest of Christ.

Father Matta El-Meskeen, *Repentance*, 1970.

✝✝✝

The Desires of the Spirit put to Death the Law of the Flesh

As long, then, as this law prevails in us and acts boldly against the desires of the Spirit, marshals against them its own will, and even in fact forces us to act as it likes, it renders [us] completely hostile to God […]. But when it grows weary, and is overcome by the energy devoted to piety, […], then it makes the road to friendship with God a highway for those who choose to live rightly and according to the divine law […]. 'Let us put to death what is earthly in us: fornication, impurity, passion, evil desire, and, above all, covetousness.' Let the law of the flesh die to the desires for what is good, as though it had been pierced with sharp iron. Let the earthly and unclean mentality in us fall. Let God's law dominate. […]. For when it prevails, and shows itself superior to its opponent's power, it causes every virtue to take root in us, makes those who were once runaways to be the closest friends of their Master, and procures for those not having it the hope of the saints which is so deeply desired."

Festal Letters 1-12, VI, 2, FC 118, tr. Philip Amidon, 2009, p. 102-103.

****

ἐκ τοῦ ἁγίου Κυρίλλου

Ἕως ἂν οὖν ἐν ἡμῖν ὁ τοιοῦτος ἰσχύῃ νόμος, καὶ τῶν τοῦ Πνεύματος ἐπιθυμιῶν καταθρασύνηται, ἀντεξάγῃ δὲ τὸ οἰκεῖον θέλημα, καὶ δὴ καὶ πράττειν ἡμᾶς τὸ αὐτῷ δοκοῦν ἐκβιάζηται, πολεμιωτάτους ἀπεργάζεται τῷ Θεῷ […]. Ἀτονήσας δὲ, καὶ τῷ πρὸς εὐσέβειαν τόνῳ πλεονεκτούμενος, […] τοῖς ὀρθῶς καὶ κατὰ νόμον τὸν θεῖον ἑλομένοις βιοῦν, τῆς πρὸς Θεὸν φιλίας τὴν ὁδὸν ἱππήλατον ἀπεργάζεται. […]. "Νεκρώσωμεν τὰ μέλη τὰ ἐπὶ τῆς γῆς, πορνείαν, ἀκαθαρσίαν, πάθος, ἐπιθυμίαν κακὴν, καὶ προσεπιτούτοις τὴν πλεονεξίαν." Τεθνάτω ταῖς εἰς τὸ ἀγαθὸν ἐπιθυμίαις, ὥσπερ ὀξεῖ σιδήρῳ βαλλόμενος ὁ τῆς σαρκὸς νόμος. Πιπτέτω τὸ ἐν ἡμῖν γεῶδές τε καὶ ἀκάθαρτον φρόνημα. Κατακρατείτω δὲ ὁ τοῦ Θεοῦ νόμος·[…]. Ἀριστεύων μὲν γὰρ, καὶ τῆς τοῦ πολεμοῦντος ἰσχύος ὅτε κρείττων εὑρίσκεται, ῥιζοῖ μὲν ἅπασαν ἡμῖν ἀρετήν· φιλαιτάτους δὲ τῷ Δεσπότῃ τοὺς πάλαι δραπέτας ἀποτελεῖ, καὶ τὴν τριπόθητον τῶν ἁγίων ἐλπίδα τοῖς οὐκ ἔχουσι πραγματεύεται.

SC 372, pp. 340-3

St. Mark *Monthly Review*
Published by: The Monastery of St. Macarius the Great, Wadi El-Natrun.
ANNUAL SUBSCRIPTIONS (10 issues a year, July& August excluded, sent by Int. Courier):
U.S. $150.00
Subscriptions to be paid through our Website as mentioned below, or sent by a check to:
"St Macarius Printing House", P.O. Box 1574, Centreville, VA 20122, USA.
No materials may be reproduced in whole or in part without written permission from the publisher.
© 2026
by the Monastery of St. Macarius the Great.
Library of Congress Catalogue Card Number: 80–960629. ISSN 2805-2382
VISIT THE WEBSITE OF THE MONASTERY: WWW.STMACARIUSMONASTERY.ORG

ST. MARK February 2026

Monthly Review



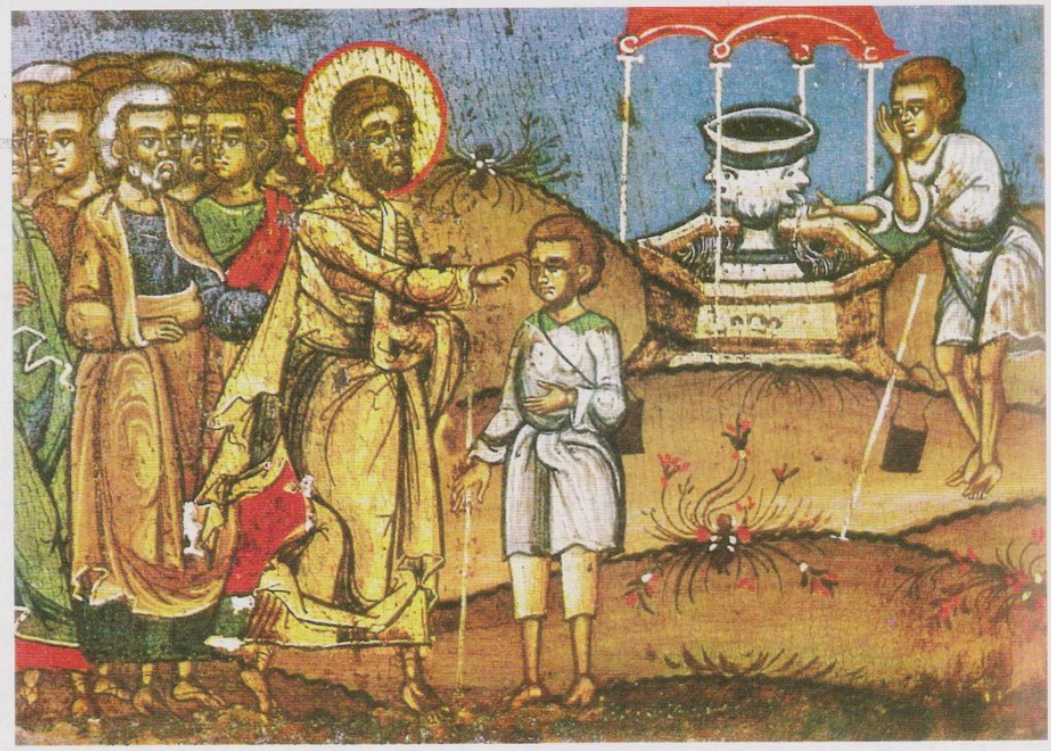
The 49 Martyrs Elders of Shihet, Egypt (444 AD)

Commemoration of their martyrdom 3rd of February in their church, Monastery of St Macarius the Great, the above newly painted icon behind their tomb.

مـــــرقس

رسالة الفكر المسيحي
للشباب والخدام

مارس ٢٠٢٦



شفاء المولود أعمى

«أَعْلَمُ شَيْئًا وَاحِدًا: أَنِّي كُنْتُ أَعْمَى وَالآنَ أُبْصِرُ»

(يو ٩: ٢٥)

(أيقونة رومانيَّة من القرن الثامن عشر)

مرقس

رسالة الفكر المسيحي للشباب والخُدَّام

السنة ٧٠ **مارس ٢٠٢٦م.**

العدد ٦٧٢ **أمشير / برمهات ١٧٤٢ش.**

المحتويات

الافتتاحية: كلمة قداسة البابا تواضروس الثاني:

«امْتَنِعُوا عَنْ كُلِّ شِبْهِ شَرٍّ» (١) ١

مقال للأب متى المسكين:

توجيهات عن الصوم الأربعيني المقدَّس..... ٥

انتقال راهب فاضل:

شُعلة من الأمانة والجهاد

الراهب باخوم المقاري ٨

من أقوال الآباء:

الصَّوم سلاحٌ عظيمٌ ضد مكائد إبليس ١١

بمناسبة الصوم المقدَّس: الصلاة الربَّانيَّة ١٩

من التراث الكنسي: أحد الابن الضال ٢٢

بمناسبة أحد السامريَّة: "لِكَيْ لَا أَعْطَشَ" ٢٩

بمناسبة تذكار الصليب المقدَّس:

الصَّليب شجرة الحياة..... ٣٤

ادخل إلى العمق (٦٠): «لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ» ٣٨

بحث تاريخي:

أهم أديرة وكنائس القدِّيس يحنس القصير في مصر (١) . ٤٤

تقديم كتاب: الأدلَّة على وجود الله وظهوره (٣)..... ٤٨

مقال بالإنجليزية:

LIVING WITH CHRIST, Vol. 4, 76 , 77 ..... ٥٦

من تعليم آباء الكنيسة — للقدِّيس كيرلس الأورشليمي

حيث تكون المعونة، يُعطي الربُّ قوَّته

(ترجمة النص اليوناني الآبائي المنشور في باطن الغلاف الأخير)

[– "أريد أن أبرأ، ولكن ليس لي إنسان".
لاحظ أنه حيث كانت المعونة منعدمة،
قد أعطى الربُّ قوَّته.
فعموم المرضى لهم بيوت، ولهم أيضًا معارفُ،
وربَّما مُعينون آخرون أيضًا.
أمَّا هذا، فكان حقًّا في شدَّة العوز،
لا تُسعفه أيَّةُ معونةٍ خارجيَّة، وقد تُرِك وحدَه تمامًا،
فكان له ابنُ الله الوحيد مُعينًا.
– "أتريد أنْ تبرأ"؟
– "نعم، يا سيِّد، ولكن ليس لي إنسانٌ
يُلقيني في البِركة متَى تحرَّك الماء".
– "بل لديك الينبوع، ينبوع الحياة، ينبوعًا نابِعًا.
ومَنْ يشرب من مائه، تجري أنهارٌ من بطنه".
ليس هو ماءً ينحدر إلى أسفل، بل هو ماءٌ نابعٌ إلى فوق،
لأنَّ ماء يسوع لا يجعلنا ننحدر من فوق إلى أسفل،
بل يرفعنا من الأمور الأرضيَّة إلى السماويَّة،
لأنه ماءٌ ينبع إلى حياةٍ أبديَّة.
لأنَّ يسوع هو ينبوع الخيرات].

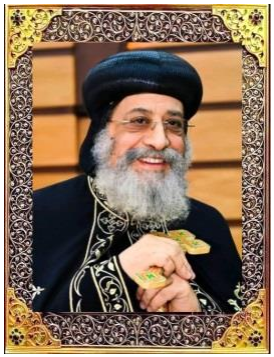
(عظة عن المفلوج عند البِركة: ٧)

مرقس: يصدرها دير القديس أنبا مقار – برية شيهيت

مكتب التوزيع والاشتراكات
القاهرة: ٢٨ شارع شبرا
تليفون: ٢٥٧٧٠٦١٤
٠١٢٨٢٧٥٢٣٢٤
٠١٠٢٣٨٢١٣٨١
الإسكندرية: ٨ شارع جرين - محرم بك
تليفون: ٠٣٤٩٥٢٧٤٠
تصفَّح مجلة مرقس في موقع الدير على الإنترنت:
www.stmacariusmonastery.org
عنوان البريد الإلكتروني:
stmarkcare@gmail.com

رئيس التحرير: الأب سرجيوس المقاري
تسديد الاشتراكات:
عن طريق خدمة أورانج كاش
وفودافون كاش
الخاصة بأرقام تليفون المجلة
وهي:
٠١٢٨٢٧٥٢٣٢٤
٠١٠٢٣٨٢١٣٨١
وتبدأ سنة الاشتراك
في يناير من كل عام
مطبعة دير القديس أنبا مقار

ثمن النسخة ٢٠ جنيهًا
الاشتراك السنوي: حرٌّ ... حدُّه الأدنى:
٢٠٠ جنيه: داخل مصر (تسليم باليد)
٣٥٠ جنيهًا: في حالة الدفع عن طريق المُحصِّل
٣٠٠ جنيه: في حالة الدفع عن طريق:
خدمة أورانج كاش وفودافون كاش
١٥٠ دولارًا أمريكيًّا: في البلاد الأخرى
عنوان المراسلات:
ص. ب ٣١ شبرا ـ القاهرة
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢١٧ / ٢٠٢٦
الترقيم الدولي: ISSN 2805-2382



«امْتَنِعُوا عَنْ كُلِّ شِبْهِ شَرٍّ»

(١تس ٥: ٢٢)

(أ)



وصايا قصيرة جدًّا

لصاحب القداسة

البابا تواضروس الثاني



إنَّ المسيحيَّة سقفها عالٍ؛ لأن المسيحيَّة سماويَّة، ويُقصَد بالسقف "مسيرة الكمال". فالإنسان في كمال مسيرته يكون أمامه الارتفاع بين الأرض والسماء، ولذلك تتميَّز هذه الفضائل بأنها سامية أي فيها السمو، فهي ليست فضائل إنسانيَّة ولا اجتماعيَّة.

فالشعوب الوثنية لديها فضائل مثل: فضيلة احترام الآخر، فعندما يَرَوْنَ شخصًا ينحنون أمامه بكلِّ احترام، وهذه تُسمَّى: فضائل إنسانيَّة؛ أمَّا ما ذَكَرَه القدِّيس بولس الرسول من لآلئ، فهي فضائل مسيحيَّة سامية تُعَبِّر عن سُموِّ الحياة المسيحيَّة.

وآخِر فضيلة في عُقد اللؤلؤ هي فضيلة: «امْتَنِعُوا عَنْ كُلِّ شِبْهِ شَرٍّ» (١تس ٥: ٢٢). فقد تكون الفضيلة الإنسانيَّة "امتنعوا عن كلِّ شرٍّ"؛ أمَّا الفضيلة المسيحيَّة فتقول: «امْتَنِعُوا عَنْ كُلِّ شِبْهِ شَرٍّ». وهذا هو سموُّ المسيحيَّة.

فمثلًا في العهد القديم نجد وصيَّة: «لَا تَقْتُلْ»؛ أمَّا في العهد الجديد فقال الربُّ لا تغضَب: «قَدْ سَمِعْتُمْ أَنَّهُ قِيلَ لِلْقُدَمَاءِ: لَا تَقْتُلْ، وَمَنْ قَتَلَ يَكُونُ مُسْتَوْجِبَ الْحُكْمِ. وَأَمَّا أَنَا فَأَقُولُ لَكُمْ: إِنَّ كُلَّ مَنْ يَغْضَبُ عَلَى أَخِيهِ بَاطِلًا يَكُونُ مُسْتَوجِبَ الْحُكْمِ» (مت ٥: ٢١ – ٢٢). حيث إنَّ الغضب يؤدِّي إلى خطية القتل، لذلك قال ربنا يسوع المسيح: «مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ بَلْ لأُكَمِّلَ» (مت ٥: ١٧). فالوصية لها أبعاد، وقد جاء المسيح لكي ما يُكمِّل لنا فَهم الوصية، تمامًا مثل الطفل عند دخوله إلى المدرسة يبدأ بالمرحلة الابتدائية، ثم الإعدادية، حتى يلتحق بالمرحلة الجامعية، وهكذا يتقدَّم في التعليم.

ما هو شِبْه الشر؟

إنَّ "شِبْهَ الشرِّ" هو الشيء الذي يؤدِّي إلى الشرِّ والخطية والجريمة والانحراف ... إلخ. فهو

شيء يؤدِّي إلى شيء. فانتبه لأن هناك أشياء في حياتك قد تؤدِّي إلى الخطية، وإن كانت في حدِّ ذاتها ليست خطية، وسنذكر هُنا بعض نماذج لشِبْهِ الشر:

أولًا: التردُّد:

الإنسان المُتردِّد يصفه مُعلِّمنا يعقوب بقوله: «رَجُلٌ ذُو رَأْيَيْنِ هُوَ مُتَقَلْقِلٌ فِي جَمِيعِ طُرُقِهِ» (يع ١: ٨). وكلمة "مُتقلقل" تعني أنَّ خطواته غير ثابتة، وكأنه يسير على حجارة أو أرض غير مستوية، وهذا يؤدِّي إلى سقوطه.

فالإنسان المُتقلقل، شخصية غير مُناسبة لأيِّ منصب قيادي أو مسؤولية، لأن رأيه يكون مُتغيِّرًا.

كما تجده يُصدر قرارًا يُناقِض ما سبق أن اتَّخذه، فيأخذ قرارًا وربما بعد دقائق يتراجع فيه ويرفضه، وتجده في قلق وعدم سلام وفي نزاع مع نفسه، لأنه في حالة عدم ثبات.

في حين نجد أنَّ الإنسان الثابت إنْ تعرَّض لأَخْذ قرار في موضوع ما، يأخذ وقته ويُصلِّي ويُفكِّر، ويأخذ مشورة من أصحاب المشورة، ثم يأخذ قراره.

مثال: إبراهيم أبو الآباء:

لم يتردَّد ولم يتراجع في قراره عندما أمره الله ونصحه أن يترك أرضه وعشيرته وبيت أبيه: «اذْهَبْ مِنْ أَرْضِكَ وَمِنْ عَشِيرَتِكَ وَمِنْ بَيْتِ أَبِيكَ إِلَى الأَرْضِ الَّتِي أُرِيكَ» (تك ١٢: ١)، فنفَّذ دعوة الله فورًا وبدون أيِّ تردُّد: «فَذَهَبَ أَبْرَامُ كَمَا قَالَ لَهُ الرَّبُّ» (تك ١٢: ٤).

مثال: نحميا وبناء السور:

عندما عَلِمَ بهَدْم أسوار أورشليم، بدأ يُصلِّي إلى الله، وقد ظهر مُكمَّدَ الوجه أمام الملك الذي كان يعمل ساقيًا لديه. فسأله الملك عن السبب، فصلَّى إلى الله، ثم قال له ما أصاب أورشليم: «كَيْفَ لَا يَكْمَدُّ وَجْهِي وَالْمَدِينَةُ بَيْتُ مَقَابِرِ آبَائِي خَرَابٌ، وَأَبْوَابُهَا قَدِ أَكَلَتْهَا النَّارُ؟» (نح ٢: ٣). فأَمَر الملك في الحال بتقديم المساعدة لنحميا، وبالفعل سافر نحميا إلى أورشليم ومعه خطابات للولاة للمساعدة في بناء السور.

وفي أورشليم بدأ يظهر له بعض الأشخاص الذين يُحبطونه هو ومَنْ معه، فقالوا: «إِنَّ مَا يَبْنُونَهُ إِذَا صَعِدَ ثَعْلَبٌ فَإِنَّهُ يَهْدِمُ حِجَارَةَ حَائِطِهِمِ» (نح ٤: ٣). ولكن نحميا لم يتردَّد ولم يضعف ولم يتراجع عن بناء سور أورشليم رغم تشكيك الأعداء، بل استمرَّ في البناء بكلِّ جدِّيَّة،

وقال عبارته المشهورة: «إِنَّ إِلهَ السَّمَاءِ يُعْطِينَا النَّجَاحَ، وَنَحْنُ عَبِيدُهُ نَقُومُ وَنَبْنِي» (نح ٢: ٢٠).

لقد كان نحميا قلبًا شُجاعًا لا يخاف وعزيمة قويَّة لا تتزعزع. فلكي تتخلَّص من هذا العيب – التردُّد – الذي هو "شِبْه شر" فعليك بالصلاة، وقُل للربِّ: "ماذا تُريد يا رب أن أفعل، اصنع معي حسب مشيئتك".

وأيضًا لا تتسرَّع في كلامك وفي قراراتك، ولتكن إرادتك قويَّة.

ثانيًا: الإهدار:

"الإهدار" هو أن يُضيِّع الإنسان شيئًا، ومن أكثر الأشياء التي يُضيِّعها الإنسان هي:

١. إهدار الوقت:

الوقت عطية إلهيَّة لا تتوالد ولا تتمدَّد ولا تتوقَّف ولا تتراجع إلى الوراء إلَّا في ذهن الإنسان وفكره فقط.

وهُناك مَثَل مصري يقول: "اللي فات مات"، فإحدى خطايا شِبْه الشر، والتي تؤدِّي إلى خطايا أكبر هي خطية "إهدار الوقت"، أو "إضاعة الوقت". فعطية الوقت مهما زادت فهي محدودة بعُمْرِ الإنسان.

وطبيعة الوقت تختلف باختلاف طبيعة كلِّ شخص. فالاستفادة من الوقت تختلف بين ما إذا كان هذا الإنسان شابًّا أو مُسِنًّا أو طفلًا.

فمثلًا القدِّيس أُغسطينوس في نهاية أيامه كان لا يستطيع الوقوف أو الجلوس. لذلك طلب من تلاميذه أن يكتبوا له المزامير على حائط الغرفة، لكي ما يستطيع أن يُصلِّي حيث لم يكن يوجد في هذا الوقت وسائل مثل تلك المُتاحة الآن، مثل كتاب الأجبية، أو مُسجِّل لسماع المزامير.

القضاء على ظاهرة إضاعة الوقت، يعود عليك بالمنفعة أولًا. فأنت تستطيع أن تُنجز عملًا أكبر، وعندما تُنجز أعمالًا أكثر ستشعر بأنك أكثر ثقة في نفسك وأكثر قدرة على العمل.

❖ إنَّ أكثر الأمور التي تؤدِّي إلى إهدار الوقت هي:

- الاتصالات الهاتفيَّة.
- الاجتماعات.
- الزيارات.

فالاتصالات الهاتفيَّة يمكن أن تكون وسيلة لاستثمار الوقت لا لإضاعته، إذا استُخدِمَت لصالح العمل والإنجاز.

❖ إنَّ الإنسان الذي يعرف ويُتقن مهارة معرفة الوقت المناسب سيجد السعادة والنجاح، واستثمار الوقت واختيار الوقت المناسب، ويستطيع الإنسان أن يكتسبها ما دام راغبًا في النجاح والتميُّز.

أتذكَّر أنني كنتُ في خدمة، في أحد البلاد الغربيَّة، واستدعى الأمر سفري بين بلدين، المسافة بينهما حوالي خمس ساعات، وكان معي في هذه الرحلة مُرافق من أهل البلد، وفوجئتُ أنه مع بداية الرحلة أخرج كتابًا من حقيبته، واستمرَّ يقرأ فيه طوال الخمس ساعات.

يستطيع الإنسان أن يكتسب فضيلة عدم إهدار الوقت ما دام راغبًا في النجاح والتميُّز، فإهدار الوقت هو "شِبْه شر". فالوقت وزنة أعطاها لنا الله لنستخدمه في كلِّ ما هو خير لنفسك ولغيرك.

اهتمَّ بقيمة الوقت وقدِّر هذه العطية التي يُقدِّمها الله لك، فاستخدم الوقت لفائدة نفسك وفائدة الآخرين.

فلا تُضيِّع وقتك في أمور لا فائدة منها، تمامًا مثلما يجلس شخص ساعات طويلة أمام برامج "التُّوك شو" (برامج الحوارات)، ولا يستفيد شيئًا مِمَّا يسمعه ولا يُضيف جديدًا إلى معرفته أو عِلمه.

وأتذكَّر أن أحد شبابنا أرسلته الشركة التي يعمل بها إلى دولة الصين لمدَّة عشرة أيام، حيث كان يعمل مُهندسًا للاتصالات. وعندما عاد من رحلته، سألتُه ما الذي أعجبك هناك؟

فأجاب: لقد فوجئتُ أنَّ إرسال التليفزيون هناك يُغلَق في الساعة التاسعة مساءً، وفي يوم الإجازة الأسبوعيَّة يُغلَق في الساعة العاشرة مساءً.

فإهدار الوقت يندرج تحت هذه الوصية، وهي "الامتناع عن شِبْه الشر". **(يتبع)**

البابا تواضروس الثاني
بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

مقال للأب متى المسكين

توجيهات عن الصوم الأربعيني المقدَّس[1]



إخوتي المحبوبون في الربِّ يسوع

نعمة لكم وسلام من الله أبي ربنا ومُخلّصنا يسوع المسيح، الذي قد صارت لنا معه المُصالحة بدم ابنه المحبوب بقوَّة المحبة التي أظهرها لنا نحن غير المُستحقِّين لشيء من هذا، من أجل كثرة الخطية المعمولة منَّا بإهمال التوبة والازدراء بالدموع وقَرْع الصدر.

أكتب إليكم لأني قصَّرتُ في المجيء، وقد منعتني ظروف خاصة كثيرة أودُّ أن أتغلَّب عليها في المستقبل، حتى أستطيع أن أتمتَّع بالوجود معكم كلَّ يوم سبت حسب عادة الآباء المفروزين للعبادة الحقَّة بتوجيه وإرشاد الروح القدس.

لقد مضى جزءٌ كبير من الصيام، ولكن أودُّ أن تكونوا قد أخذتُم شيئًا من بركاته التي لا تُحصَى.

وإن كنتُ قد كتبتُ كلامًا كثيرًا عن الصوم في كتاب "حياة الصلاة"، إلَّا أنِّي أشتاق أن أوجِّه روحكم المقدَّسة الطاهرة لأمورٍ روحيَّة أخرى أعلى قليلًا حسب قياس النعمة التي صارت لكم من مُمارسة أعمال القدِّيسين في هذه البريَّة المقدَّسة.

أودُّ أن أقول إنه سلوكٌ حسب الروح، كل مَنْ سلك فيه (في الصوم) حسب الروح يعرف هذا الكلام جيِّدًا، لأنه يكون قد ذاق كلمة "حياة وسلام" حسب وصية بولس الرسول: «لِكِنَّ اهْتِمَامَ الْجَسَدِ هُوَ مَوْتٌ، وَلكِنَّ اهْتِمَامَ الرُّوحِ هُوَ حَيَاةٌ وَسَلاَمٌ» (رو ٨: ٦).

أمَّا كيف أذوق الحياة، وكيف أذوق السلام؟ فلا تسألني لأنها أمورٌ لا تُفهم بالعقل إذ إنها من جوهر أعلى من العقل. وكل ما نستطيع أن نأخذه من الوصية، هو أننا نفهمها أولًا ثم نعمل بها؛ وأمَّا الحقُّ الذي فيها، فإنه يتحوَّل فينا إلى روح غبطة وسعادة، بها نتذوَّق الحياة ونتذوَّق السلام وكل ثمار الروح.

---

(١) الرسالة (٤) من كتاب: "رسائل القمص متى المسكين"، الطبعة الأولى: ٢٠٠٧م، ص ٣٦ – ٣٩.

كلُّ مَنْ فطم نفسه من أهواء الجسد، ولجَّم شهوات نفسه من الداخل ومن الخارج، يستطيع أن يسلك حسب الروح. وكلُّ مَنْ لا يزال يُجاهد ضدَّ الجسد فلا يتسرَّع ليطلب القيامة، لئلَّا يُوبَّخ من الملائكة وأرواح القدِّيسين الذين أكملوا البر. مَنْ هو مثل ذلك لا يحزن، ولكن عليه أن يفرح بحزنه ويجتهد بالأكثر أن يستعدَّ للصَّلْب والقبر؛ وحينئذ يفرح بالفرح. ولكن مَنْ يستهين بكلامي، فهو سيحتاج إلى أتعابٍ كثيرة ليُكمِل ما أكمله غيره بلا تعب.

الصوم هو الدخول بالوصية إلى حدود الطاعة المحبوبة بلا تململُ أو ضيق، لأن الطاعة بفرح لها إكليلها. أمَّا طاعة الحزن والاضطرار فهي طاعة العبيد، وهذه ليست لها أجرة بل تُحسب كأنها دَيْن واجب تسديده.

والذي يتعبَّد للطاعة من أجل البر، فهذا قد قَطَعَ شوطًا كبيرًا للتحرُّر من عبودية الجسد وشهواته العاملة فيه بسلطان الخطية.

طوبى للإنسان الذي يصوم بفرح، فهذا قد أَخَذَ معونةً خفيَّة من الحق: «وَالْحَقُّ يُحَرِّرُكُمْ»؛ لأن مَنْ يفرح بضيقات الجسد، فهذا يكون قد بدأ السلوك حسب الروح.

افتح أُذُن قلبك لتسمع طلبات الروح حينما تكون قد تحرَّرتَ من شهوات الجسد المُفسدة للأُذُن الروحيَّة. في هذا الوقت، افتح قلبك لترى ما هي نقائصك الذي يلزم تكميلها للدخول في النور! وما هي أنواع الأسلحة اللازمة لغلبة قوات الظلمة العاملة في الجسد وبالجسد! إنها أوقاتٌ مُباركة جدًّا، لأننا نكون فيها مكشوفين أمام الحقِّ ولو أننا لا نراه؛ ولكن نرى على ضوئه عيوب أنفسنا، وما يلزمنا من تطهير في حواسنا حتى نستطيع أن نشترك في بهجة القائمين هناك.

إذا كُنَّا بعد لم نعرف ما يلزمنا للدخول في زُمرة القدِّيسين، فنحن نحتاج إلى بكاءٍ كثير ونوح قلب، لأن هذا يكون معناه أننا لا زلنا واقفين على الباب ولا نعرف هل يُفتَح أم لا!

لنا عزاءٌ عظيم في صيام السيِّد المسيح الأربعين يومًا المقدَّسة على الجبل وحده، لأننا بذلك نحن نُقدِّم صومنا للآب مُكمَّلًا في المسيح. وما كان عاجزًا عنه الإنسان قبلًا حتى بالصوم من أجل ضعف الجسد أمام مطالب الوصيَّة؛ قد صار لنا الآن – بصوم المسيح – قوَّة روحيَّة فعَّالة لتجديد الحياة، وغَسْل أوساخ الجسد، وتهذيب شهواته الوحشيَّة، وإعداد الإنسان العتيق للصَّلب الكامل مع المصلوب في الجلجثة، لنوال العِتْق الكامل من سلطان الخطية والموت العامل فيها: «أَيْنَ شَوْكَتُكَ يَا مَوْتُ»؟! نعم، "أين سلطانكِ يا خطية"؟! هكذا نصرخ الآن في

صومنا مستمدِّين قوَّةً إلهيَّة من السيِّد المسيح الذي أعان جسدنا بجسده وأكمل صومنا بصومه.

يا أحبَّائي، استعدُّوا فنحن قادمون على الصليب، هيِّئوا النفس لغلبة سلطان الخطية، تشجَّعوا لتصلبوا الجسد العتيق على الصليب صلبًا كاملًا حتى الموت؛ أي حتى لا يعود للجسد سلطان علينا في شيء. وأظنُّكم لا تجهلون سلطان الجسد، ولستُ أقصد به الأكل والشُّرب أو الزنا فحسب؛ بل ضبط النفس تجاه الخطايا التي تلوِّث الحياة الروحيَّة: كالحسد والحقد والبُغضة والدينونة وطلب الظهور والشهرة والتفوُّق على الآخرين ... إلخ.

نعم، استعدُّوا للصَّلب لتُقدِّموا الجسد بشجاعة مُهملين كلَّ طلباته وصراخه. أميتوا كلَّ أعضائه التي على الأرض حتى الموت الكامل.

وهذه هي العلامة خذوها، فإنها حقٌّ ومن الحقِّ: الذي مات لا يفرح ولا يحزن بشيء جسداني أرضي ترابي. أيُّ شعور بالفرح والحزن إذا كان مصدره التراب، فالجسد العتيق حيٌّ.

«الَّذِي مَاتَ قَدْ تَبَرَّأَ مِنَ الْخَطِيَّةِ» (رو ٦: ٧). مُباركةٌ وحقٌّ وعادلةٌ هي هذه الكلمات التي لمعلِّمنا بولس الرسول ذي الذهن المُستنير، الذي رأى الربَّ ورأى أمجاد السماء بالروح.

نحن قادمون على الصليب، فلا ترتاعوا ولا تجبنوا، وتقدَّموا بشجاعة الحقِّ، وحرِّروا هذه النفس المُستعبَدَة لأباطيل الجسد، مزِّقوا الحجاب وادخلوا إلى القُدْس لتحيوا.

كلُّ مَنْ يستطيع أن يُميت الجسد العتيق، سيأخذ جسدًا روحانيًّا حيًّا. وبعد أن كان هذا الجسد عدوًّا له يُحارب روحه ويسبيه إلى ناموس الخطية الكائن في أعضائه، فإنه يصير له عصا يتوكَّأ عليها؛ بل أقول: يصير له وقودًا يُشعِل به ذبيحة حيَّة إلى الأبد.

لا تخافوا، لقد مات الذي كُنَّا مُمسَكين فيه! نعم، لقد مات الجسد لمَّا مات المسيح، فلم يَعُد للخطية سلطانٌ علينا، إلَّا إذا ملَّكناها نحن في أجسادنا المائتة، فنُطيعها في شهواته.

لقد أُعطي لنا صكُّ الحريَّة، فعلينا التنفيذ لو أردنا الحريَّة. كلُّ خطية هي ميِّتة، لأن ليس لها سلطان الموت الأول الذي كُنَّا مُستعبدين له؛ ولكن إذا ملَّكناها نحن في أجسادنا، نكون قد فقدنا نحن سلطاننا عليها، فتعمل هي لتُثمر للموت، لأن «اهْتِمَامَ الْجَسَدِ هُوَ عَدَاوَةٌ للهِ» (رو ٨: ٧). لماذا؟ لأن الجسد ليس خاضعًا لناموس الله.

بريَّة شيهيت في أبريل ١٩٥٦م



انتقال
راهب فاضل

شُعلة من الأمانة والجهاد

الراهب باخوم المقاري

وُلِدَ في: ١٩٤٦/٨/٢٧م

ترهَّب في: ١٩٧٣/٨/٢٥م

تنيَّح في: ٢٠٢٦/٢/٥م

في تذكار التسعة والأربعين شهيدًا شيوخ بريَّة شيهيت، وفي عشيَّة فصح يونان، ودَّع مجمع دير القدِّيس أنبا مقار الأب المُجاهد والراهب الأمين باخوم المقاري.

هذا الشيخ المُبارك، رَقَدَ بعد أنْ استوفى أيامه التي كرَّسها بكاملها ليخدم بكلِّ طاقته سيِّده يسوع المسيح منذ أكثر من خمسين سنة. فقد عاش راهبًا بالحق. لم يُفارق ديره، لم يَسعَ لمُقابلة ضيوف ولا حتى أُسرته إلَّا في أضيق الحدود. لم يتطلَّع إلى أيَّة مناصب أو رُتَب كهنوتيَّة. لم نَرَه – ولو مرة واحدة – يخدم شمَّاسًا، فقد قنع بكونه راهبًا، أحبَّ دعوته، وكان أمينًا لها لأقصى الحدود. تميَّز بالالتزام الحرفي في حياته الروحيَّة والرهبانيَّة والكنسيَّة، ومِن ثمَّ انعكس هذا على نجاحه في حياته العمليَّة.

يُعتَبَر من الرعيل الأول لأبناء الأب متَّى المسكين، هؤلاء الذين وقع عليهم العبء الأكبر في وضع اللَّبنات الأساسيَّة الأولى في نهضة دير القدِّيس أنبا مقار في عصرها الحديث.

أحبَّه الأب متَّى ووَثَقَ به؛ وفي المقابل، كانت محبة الأب باخوم وطاعته للأب متى يُضرب بها المَثَل[١]. أبونا باخوم صاحب فضل كبير على كثير مِن الأجيال الرهبانيَّة التي تلته، فكثيرًا ما كان أبونا متَّى يُرسِل الراهب الجديد في بداية حياته ليعمل معه في الحظيرة، ومع أنَّ العمل كان ماديًّا بحتًا، إلَّا أنَّ الراهب كان يستلم منه – بالإضافة إلى فنِّيَّات العمل الجديد، الذي بالتأكيد يجهله الراهب – المبادئ الرهبانيَّة الأصيلة وأصول الحياة الديريَّة.

---

(١) يحكي أبونا متَّى المسكين بنفسه قصة رهبنة الأخ كمال (أبونا باخوم)، فيقول: [كان في إجازة من الجيش لمدة يومين، فقابلني، وقال لي: "أريد أنْ أترهَّب". فقلتُ له: "وما السبب"؟ فقال كلمة واحدة: "الكنعانيَّة". ففهمتُ أنَّه سمع عظة الكنعانيَّة، وتأثَّر ونذر نفسه. فأخبرته بصعوبات الطريق، فلم يهتزَّ. وحاولتُ أنْ أثنيه، فلم ينثنِ، فقبلتُه بإحساس أنَّه شخصٌ مُكافح، وقد أثبت هذا].

أبونا باخوم هو بالأساس طبيب بيطري، فكان هذا هو عمله أيضًا طوال خدمته في الدير. وبسبب طاعته للأب متّى المسكين، ومجهوداته ودأبه الذي لا يكلُّ، تمَّ تأسيس حظيرتين كبيرتين: إحداهما للبهائم، والأخرى للأغنام. كما أشرَفَ على مشروع دواجن بيَّاضة. وفي الحقيقة لقد نجح نجاحًا مُبهرًا في كلِّ ما امتدَّت إليه يده. وشهد لهذا النجاح كثيرٌ من أجهزة الدولة. وكثيرًا ما كنَّا نرى أساتذة وطلاب من الجامعات المصرية يأتون الدير ليتعلَّموا منه التلقيح الصناعي للأبقار، والذي كان هو أول مَنْ أدخله في البلاد.

وبالطبع لم تكن هذه النجاحات من فراغ، بل كان وراءها جهدٌ جبَّار متواصل ليلًا ونهارًا. كان أبونا باخوم كالجبل الراسخ، يعمل في صمت ومُتابعة مستمرة دقيقة لكلِّ تفاصيل العمل.

ولكن الأكيد والأهم أنَّ وراء هذا كلّه حياة روحيَّة داخليَّة قويَّة وعلاقة شخصيَّة أمينة بالرب، وتستطيع أنْ تُلاحظ هذا مثلًا في التزامه الصارم في حضور الكنيسة قبل الجرس بمدَّة.

وأثناء مبيت الأب باخوم في قلايته بالحظيرة التي تبعد عن الدير حوالي كيلومترين، كان يواظب على حضور صلاة التسبحة في الكنيسة فجر كلِّ يوم مشيًا على الأقدام. وعندما طلب منه أبونا متّى أنْ يأخذ عربة لتوصيله، قال إنَّه يتعزَّى بهذا المشوار.

وبعد سنواتٍ طويلة من الخدمة والبذل والعطاء، آن لأبينا باخوم أن يُسلِّم الشُّعلة لجيلٍ آخر، وفعلًا تمَّ ذلك في يُسرٍ وسلام، وتفرَّغ هو لحياةٍ داخليَّة مُثمرة في القلاية.

وكما كان ناجحًا في عمله في تربية البهائم، هكذا أيضًا يرجع لأبينا باخوم الفضل في تحويل مئات من عظات الأب متى المسكين من شرائط كاسيت إلى أقراص مُدمجة (CD)؛ ومِن ثمَّ تجميع وتبويب وتنظيم هذه العظات حسب المواسم والمواضيع والتواريخ.

كان شغوفًا بسماع عظات الأب متى ويحفظ مقاطع منها، فإذا سألته: أين قال أبونا كذا وكذا، فهو يُجيبك بسهولة ودقَّة.

كانت لأبينا باخوم عقليَّة مُرتَّبة مُنظَّمة، ولم تكن تفوته شاردة ولا واردة في تاريخ وأحداث الدير إلَّا ويُسجِّلها بتفاصيلها، فكان بالحقِّ هو أرشيف الدير.

وفي سنواته الأخيرة حين استقرَّ في قلايته بسبب أمراضه الكثيرة، صار مُبشِّرًا بالمسيح ومُرشدًا روحيًّا لكثيرين مِمَّن كانوا يتواصلون معه ويسألونه أسئلة روحيَّة، فكان يُجيبهم على

تساؤلاتهم ويُعزِّيهم ويُرشدهم إلى ما ينفعهم من كُتُبٍ وعظات.

وكان لا بدَّ أنْ تأتي النهاية، فأصيب أبونا باخوم بما يُطلَق عليه الآن مرض الفردوس، وعانى كثيرًا، ولكنه لم يتذمَّر، بل تحامل على نفسه شاكرًا الرب. أراد قدر المُستطاع أنْ لا يتباعد عن الكنيسة حتى حين استحال عليه الانتقال إليها، فكان أنْ طلب منَّا أنْ نتصل به تليفونيًّا يوميًّا في ميعاد التسبحة ويسمعها عَبْر الموبايل ويقولها مع المُسبِّحين.

ومع تطوُّر المرض، احتمل في صمتٍ ورِضى آلامًا مُبرِّحة في كلِّ أجزاء جسمه. ومهما اشتدَّ به الألم كان يُجيب مَنْ يسأله عن حاله قائلًا: "نشكر الله".

وأخيرًا، نظر الربُّ إلى تعبه وصبره واحتماله، فلم يسمح له أنْ تطول فترة مُعاناته، وصَدَرَ الأمر: "كفاك تعبًا يا حبيبي باخوم"، وخلع هذه الخيمة الترابيَّة لكي يلبس ثوبًا سماويًّا، ويسكن في أورشليم العُليا، حيث لا يوجد مرض ولا ألم فيما بعد.

هنيئًا لك يا أبانا بالنَّصيب الصالح، ويُعيننا الربُّ كما أعانك.

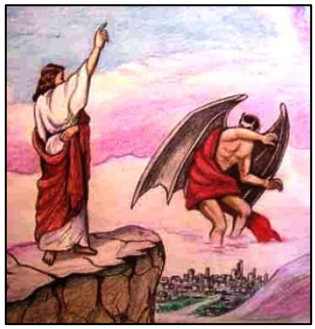
◆ **رسالة تعزية من قداسة البابا تواضروس الثاني:**

على رجاء القيامة نودِّعه

صلواته من أجلنا ليُكمِّل المسيح حياتنا بسلام

طالبين العزاء لكلِّ آباء الدير العامر وأُسرته المُباركة.





الصَّوم سلاحٌ عظيمٌ ضدَّ مكائد إبليس

للقدِّيس يوحنا ذهبي الفم

(٣٥٤ – ٤٠٧م)

العظة الثالثة عشرة[1]،

في شرح إنجيل متَّى ٤: ١ – ١١

✠

«ثُمَّ أُصْعِدَ يَسُوعُ إِلَى الْبَرِّيَّةِ مِنَ الرُّوحِ لِيُجَرَّبَ مِنْ إِبْلِيسَ» (مت ٤: ١):

١. "ثمَّ" – متَى؟ بعد نزول الرُّوح عليه، وبعد الصَّوت الَّذي أتى من فوق قائلًا: «هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ» (مت ٣: ١٧). والعجيب حقًّا قوله إنَّه أُصعِدَ "من الرُّوح"؛ فيقول إنَّ هذا هو الَّذي اقتاده إلى هناك. فلأنَّه كان يفعل ويحتمل كلَّ شيء لأجل تعليمنا، احتمل أيضًا أنْ يُقاد إلى هناك، وأنْ يدخل في صراع مع إبليس، لكي إذَا ما احتمل كلُّ واحدٍ من المُعتمدين تجاربَ أعظم بعد المعموديَّة، لا يضطرب كأنَّ أمرًا غير متوَقَّع قد حدث، بل يثبت بشجاعة محتملًا كلَّ شيء، باعتبار أنَّ هذا يحدث بحسب التَّرتيب.

فلهذا السَّبب قد تلقَّيتَ الأسلحة، ليس لكي تبقى عاطلًا، بل لكي تُحارب. ولهذا أيضًا لا يمنع الله التَّجارب حين تأتي: أوَّلًا، لكي تتعلَّم أنَّك قد ازددتَ قوَّةً جدًّا. وثانيًا، لكي تلزم حدودك، فلا ترتفِّع بعِظَم المواهب، إذْ إنَّ التَّجارب قادرةٌ أنْ تضبطك. وثالثًا، لأجل أنَّ ذلك الشَّيطان الشِّرِّير، الَّذي كان إلى حين يشكُّ في جحدك إيَّاه، يتأكَّد من خلال قسوة التَّجارب أنَّك قد تركته تمامًا وانفصلتَ عنه. ورابعًا، لكي تصير بهذه الطَّريقة أقوى من الحديد وأكثر صلابة منه. وخامسًا، لكي تنال برهانًا واضحًا على الكنوز الَّتي اؤْتُمِنْتَ عليها.

---

(١) العظة الثَّالثة عشرة للقدِّيس يوحنَّا ذهبيِّ الفم هي ضمن تسعين عظة عن شرح إنجيل متَّى؛ وقد تُرجمت (الفقرات من ١-٥ من العظة الثالثة عشرة) عن النَّصِّ اليونانيِّ المنشور في:

In Matthaeum PG 57,207-214. CPG 4424. See also: NPNF 1, 10, pp. 77-83.

انظر أيضًا: مخطوطات دير القدِّيس أنبا مقار (ت ٧: تفسير بشارة متَّى لذهبيِّ الفم، الجزء الأوَّل، عظة ١-٤٥، ص ١٢٤-١٣٣، القرن الثَّالث عشر)؛ (ت ٩: تفسير بشارة متَّى لذهبيِّ الفم، الجزء الأوَّل، عظة ١-٣٠، ص ٢٤٢-٢٥٩، القرن التَّاسع عشر).

فإنَّ إبليس ما كان ليهجم، لو لم يكن رآك قد صرتَ في كرامةٍ أعظم. ولهذا أيضًا قام منذ البدء ضدَّ آدم، إذ رآه قد نال نصيبًا عظيمًا من التَّكريم. ولهذا أيضًا قد اصطفَّ ضدَّ أيُّوب، إذ أبصره متوَّجًا ومشهودًا له من قِبَل إله الكلِّ. فكيف إذًا يقول (الربُّ): «صَلُّوا لِئَلَّا تَدْخُلُوا فِي تَجْرِبَةٍ» (مت ٢٦: ٤١)؟ لهذا لا يظهر لك يسوع صاعدًا من نفسه إلى جبل التَّجربة، بل مُنقادًا إلى ذلك بحسب التَّدبير، قاصدًا بذلك أنَّنا لا ينبغي أن نُقبِل بأنفسنا على التَّجارب، بل إذَا جُذِبْنَا إليها، نقف بشجاعة. وانظر إلى أين أخذه الرُّوح واقتاده؟ لم يأخذْه إلى مدينة ولا إلى سوق، بل إلى البرِّيَّة. فلأنَّه كان يريد أن يستدرج إبليس، لم يُعطِه فرصة من الجوع فقط، بل أيضًا من الموضع. فإنَّ إبليس يُهاجم بالأكثر، حين يرى النَّاس منفردين وبعيدين عن الآخرين. وهكذا أيضًا في البدء هاجم المرأة، لمَّا انفرد بها وحدها، ووجدها منفصلة عن رجلها. فإنَّه حين يرى الإنسان مع آخرين ومجتمعًا بهم، لا يجرؤ بالثِّقة نفسها، ولا يقترب. لذلك ينبغي، ولا سيَّما لهذا السَّبب، أن نكون دائمًا مُتضامنين مع بعضنا البعض، لكي لا نكون غنيمةً سهلة لإبليس.

ولمَّا وجده في البرِّيَّة، وفي برِّيَّة قفرة، جرَّبه؛ إذْ إنَّ هذه البرِّيَّة كانت كذلك، كما أوضح القدِّيس مرقس بقوله: «وَكَانَ مَعَ الْوُحُوشِ» (مر ١: ١٣)، فانظر بأيِّ مكرٍ وشرٍّ يقترب، وبأيِّ وقتٍ يتربَّص.

ولم يقترب منه وهو صائم، بل وهو جائع؛ لكي تتعلَّم أنت ما أعظم محاسن الصَّوم، وكيف أنَّه **سلاحٌ عظيمٌ ضدُّ إبليس،** وأنَّه بعد الاغتسال (المعموديَّة) لا ينبغي الانشغال بالتَّنعُّم والسُّكر والمائدة المُترفة، بل الانتباه إلى الصَّوم. ولهذا أيضًا صام هو نفسُه، لا لأنَّه محتاجٌ إلى ذلك، بل ليُعلِّمنا. إذْ إنَّ الخطايا الَّتي قبل الاغتسال (المعمودية) أَدخلت عبوديَّةَ البطن؛ وكما لو أنَّ أحدًا جعل المريض صحيحًا، ثمَّ أمَرَه ألَّا يفعل تلك الأمور الَّتي منها صار المرض؛ هكذا أيضًا هنا، بعد الاغتسال (المعموديَّة) أَدخل هو الصَّوم. فإنَّ شَرَهَ البطن هو الَّذي أخرج آدم من الفردَوس، وهو نفسُه الَّذي جلب الطُّوفان في أيَّام نوح، وهو نفسُه الَّذي أنزل الصَّواعق على سدوم. فإنْ كان عندهم أيضًا جُرْم الزِّنى، إلَّا أنَّ جَذْرَ الشَّرَّيْنِ نبت من ههنا (أيْ من شَرَه البطن)؛ وهذا ما أشار إليه حزقيال بقوله: «لَكِنْ هَذَا هُوَ إِثْمُ سَدُومَ: الْكِبْرِيَاءُ؛ كَانَتْ تَتَنَعَّمُ بِشِبَعِ الْخُبْزِ وَبِالرَّخَاءِ» (حز ١٦: ٤٩). وهكذا أيضًا اليهود ارتكبوا أعظم الشُّرور، لمَّا انحرفوا من السُّكر والتَّرف إلى الإثم.

٢. ولهذا أيضًا صام هو نفسُه أربعين يومًا، مُظهِرًا لنا أدوية الخلاص، ولم يتقدَّم في الصَّوم أكثر من ذلك.، لئلَّا يصير بالتَّالي عِظَم الأعجوبة سببًا للتَّشكيك في حقيقة تدبير تجسُّده. وأمَّا الآن (وقد صام أربعين يومًا فقط) فينتفي هذا التَّشكيك، إذْ إنَّ موسى وإيليا سَبَقَاه وقدرا أن يبلغا هذا المقدار، متقوَّيْن بقوَّة الله. ولكن لو كان (الرب قد) ازداد في الصَّوم إلى ما هو أبعد من هذا، لَكان يتراءى لكثيرين أنَّ تجسُّده أمرٌ غير قابل للتَّصديق.

«فَبَعْدَ مَا صَامَ أَرْبَعِينَ نَهَارًا وَأَرْبَعِينَ لَيْلَةً، جَاعَ أَخِيرًا» (مت ٤: ٢):

وهكذا منح (الربُّ) العدوَّ مدخلًا للاقتراب، لكي حينما يشتبك معه يُظهِر كيف ينبغي أنْ يُغلَب (العدو) ويُنتَصَر عليه. وهكذا يفعل الرِّياضيُّون أيضًا: فلكي يُعلِّموا تلاميذهم كيف يغلبون وينتصرون، يدخلون طوعًا في المُصارعة مع آخرين، ويقدِّمون بالانتصار على أجساد خصومهم مثالًا منظورًا ليُعلِّموا تلاميذهم طريقة النَّصر. وهذا ما حدث حينئذٍ أيضًا. لأنَّه لمَّا أراد (الرَّبُّ) أنْ يستدرج العدوَّ إلى الاشتباك، أظهر له بوضوح أنَّه جائع، ولمَّا اقترب ذاك، واجهه، ولمَّا واجهه، صرعه مرَّة ومرَّتَيْن وثلاثًا بسهولة تليق بقدرته. ولكن لكي لا نتجاوز هذه الانتصارات سريعًا، فنُضيِّع منفعتكم، فَلْنفحص كلَّ واحدة منها بتدقيق، مُبتدئين من الهجمة الأولى. فيقول إنَّه لمَّا جاع:

«تَقَدَّمَ إِلَيْهِ الْمُجَرِّبُ وَقَالَ لَهُ:
إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ فَقُلْ أَنْ تَصِيرَ هذِهِ الْحِجَارَةُ خُبْزًا» (مت ٤: ٣):

لأنَّ العدوَّ لمَّا سمع صوتًا آتيًا من فوق يقول: **«هذَا هُوَ ابْنِي الْحَبِيبُ»** (مت ٣: ١٧)، وسمع أيضًا يوحنَّا (المعمدان) يشهد عنه بهذا المقدار، ثمَّ رآه جائعًا، صار حينئذٍ في حيرة، فلم يستطع أنْ يُصدِّق أنَّه مجرَّد إنسان بسبب ما قيل عنه، ولا أنْ يقبل أنَّه ابن الله بسبب رؤيته جائعًا. ومن ثمَّ لمَّا صار في حيرة، تقدَّم بكلماتٍ متردِّدة. وكما حين اقترب من آدم في البدء، اخترع أمورًا غير موجودة لكي يتعلَّم ما هو موجود؛ هكذا أيضًا هنا، حيث لم يكن يعرف بوضوح سرَّ التَّدبير الَّذي لا يُنطق به، ولا مَنْ هو هذا الحاضر، فحاول أن ينسج شِبَاكًا أخرى، بها كان يظنُّ أنَّه سيعرف ما هو مخفيٌّ وغير واضح.

وماذا يقول: **«إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ فَقُلْ أَنْ تَصِيرَ هذِهِ الْحِجَارَةُ خُبْزًا»** (مت ٤: ٣)؟ لم يقل: بما أنَّك جائع، بل: **«إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ»**، ظانًّا أنَّه يخدعه بالمديح. ولذلك تغافل ذِكْر الجوع، لكي لا يبدو أنَّه يُذكِّره به أو يُعيِّره به. فلأنَّه لم يكن يعرف عظمة التَّدبير، كان يظنُّ أنَّ

هذا أمرٌ مخزيٌّ له. لذلك وهو يتملَّقه بخُبث، ذَكَر فقط الكرامة. فما الَّذي فعله المسيح؟ لكي يُحطِّم كبرياءه، ويُظهر أنَّ الجوع الَّذي حدث ليس أمرًا مخزيًّا، ولا غير لائق بحكمته، فإنَّ ما أخفاه ذاك مُتملِّقًا، يُقدِّمه هو علنًا ويضعه في الوسط قائلًا: «**لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الْإِنْسَانُ**» (مت ٤: ٤). وبذلك يُرجع بداية التَّجربة إلى احتياج البطن.

فتأمَّل معي مكرَ ذلك الشَّيطان الشِّرِّير، ومِن أين يبدأ مُصارعاته، وكيف لا ينسى دهاءه القديم. فإنَّه بنفس الحجج الَّتي بها أخرج الإنسان الأوَّل، وغمر الآخرين بالشُّرور، بها هنا أيضًا ينسج مكره، أعني بِشَرَهِ البطن. فإلى الآن يُمكنك أنْ تسمع كثيرين من الجُهَّال يُصدرون ربوات من الشُّرور بسبب البطن. أمَّا المسيح فيُظهر أنَّ الإنسان الفاضل لا يُجبره هذا الطُّغيان على أن يفعل شيئًا غير لائق، فهو يجوع، ولكنْ لا يُذْعِن لإلحاح الحاجة، مُعلِّمًا إيَّانا ألَّا نطيع إبليس في شيء. لأنَّ الإنسان الأوَّل من هنا أيضًا أخطأ إلى الله، وتعدَّى النَّاموس، فالمسيح يُعلِّمك بوفرة أنَّه حتَّى إنْ لم يكن ما يأمرك به الشَّيطان معصية، فلا ينبغي مع ذلك أنْ تُطاع أوامره. ولماذا أقول "معصية"؟ بل وحتَّى إنْ قالت الشَّياطين شيئًا نافعًا، فلا ينبغي أنْ تُصغِيَ إليهم. وهكذا أيضًا أسكت الرَّبُّ أولئك الشَّياطين الَّذين كانوا يُعلنون أنَّه «ابن الله» (لو٤: ٤١). وكذلك بولُس أيضًا وبَّخهم حين كانوا يصرخون بهذا، مع أنَّ ما قالوه كان نافعًا، أيْ: «هؤُلاَءِ النَّاسُ هُمْ عَبِيدُ اللهِ الْعَلِيِّ، الَّذِينَ يُنَادُونَ لَكُمْ بِطَرِيقِ الْخَلاَصِ» (أع ١٦: ١٧)؛ لكنَّه كان يُخزيهم أكثر، ويعترض مؤامراتهم ضدَّنا، كان يطردهم حتَّى وهم يُعلنون تعاليم خلاصيَّة، مغلقًا أفواههم، وآمرًا إيَّاهم بالصَّمت. ولهذا أيضًا هنا لم يوافق الرَّبُّ على ما قاله الشَّيطان، بل ماذا قال؟ **«لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الإِنْسَانُ».** وما يقوله يعني أنَّ الله قادرٌ أن يُطعم الجائع بكلمة، مُستشهدًا في ذلك بالعهد القديم (تث ٨: ٣)، ومُعلِّمًا إيَّانا أنَّه وإن جُعنا أو تألَّمنا بأيِّ أمر، فلا ينبغي أبدًا أن ننفصل عن السَّيِّد.

٣. وإن قال أحدٌ إنَّه كان ينبغي أن يُظهر (المعجزة)، فسأسأله: من أجل أيِّ هدف، ولأيِّ سبب؟ فإنَّ الشَّيطان لم يقل ذلك لكي يؤمن؛ بل لكي، بحسب ظنِّه، يشمت بعدم الإيمان. إذْ إنَّه هكذا خدع أبوَيْنا الأوَّلَين ووبَّخهما، لأنَّهما لم يكونا يؤمنان بالله بشدَّة. فإنَّه وعدهما بعكس ما قاله الله، ونفخ فيهما آمالًا فارغة، وأوقعهما في عدم الإيمان، وهكذا أخرجهما ممَّا كانا يملكان من الخيرات. أمَّا المسيح فيَظْهر غير موافق للشَّيطان، ليس في ذلك الوقت فقط، بل وفيما بعدُ أيضًا لم يكن موافقًا لليهود الَّذين كانوا يُفكِّرون مثل الشَّيطان ويطلبون

آيات، بل في كلِّ موضع يُعلّمنا أنَّه وإنْ كان مَسْمُوحًا لنا أنْ نفعل شيئًا، فلا نفعله باطلًا أو عبثًا، ولا نطيع إبليس حتَّى وإنْ ضغط علينا بالضَّرورة المُلِحَّة.

فما الَّذي فعله هذا النَّجس؟ لمَّا انهزم ولم يستطع أنْ يقنع الرَّبَّ أنْ يفعل ما أَمره به، مع أنَّ الجوع كان شديدًا، انتقل إلى تجربة أخرى قائلًا:

«إِنْ كُنْتَ ابْنَ اللهِ فَاطْرَحْ نَفْسَكَ إِلَى أَسْفَلُ، لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: أَنَّهُ يُوصِي مَلاَئِكَتَهُ بِكَ، فَعَلَى أَيَادِيهِمْ يَحْمِلُونَكَ» (مت ٤: ٦):

ولماذا في كلِّ تجربة يُضيف هذه العبارة: «**إن كنتَ ابن الله**»؟ لأنَّه كما فعل مع الأوَّلين، هكذا يفعل الآن أيضًا. فكما افترى آنذاك على الله قائلًا: «**يَوْمَ تَأْكُلاَنِ مِنْهُ تَنْفَتِحُ أَعْيُنُكُمَا**» (تك ٣: ٥)، قاصدًا أنْ يجعلهما ينخدعان ويضلَّان ولا يحصلان على شيءٍ صالحٍ؛ هكذا هنا أيضًا يُشير بالأمر نفسه قائلًا: "عبثًا دعاك ابنًا، وخدعك بالعطيَّة؛ فإن لم يكن ذلك عبثًا، فأعطنا برهانًا أنَّك تملك تلك القدرة". ثمَّ، إذْ كان المسيح قد ردَّ عليه في المرَّة السَّابقة من الكُتُب، لجأ الشَّيطان أيضًا إلى الاستشهاد بما قاله النَّبيُّ. فماذا كان من المسيح؟ لم يغضب، ولم ينفعل، بل بكثير من اللُّطف عاد يُخاطبه من الكُتُب قائلًا: «**لَا تُجَرِّبِ الرَّبَّ إِلهَكَ**» (مت ٤: ٧)، مُعلِّمًا إيَّانا أنَّه ينبغي أنْ يُغلَب إبليس لا بإجراء الآيات، بل بالاحتمال وطول الأناة، وألَّا نفعل شيئًا لمجرَّد الظُّهور أو حُبِّ الكرامة. ثمَّ انظر إلى حماقة الشَّيطان أيضًا من نفس الشَّهادة الَّتي أوردها؛ فإنَّ الشَّهادتَين اللَّتين أوردهما الرَّبُّ قد قيلت كلتاهما بغاية الإحكام، أمَّا تلك الَّتي قدَّمها الشَّيطان فكانت عشوائيَّة وجُزافيَّة، ولم تنطبق على واقع الأمر كما ينبغي. فالمكتوب: «أَنَّهُ يُوصِي مَلاَئِكَتَهُ بِكَ» (مت ٤: ٦)، لا يُقصد به أن يُلقي الإنسان نفسه أو أنْ يندفع من علوٍّ؛ بل وعلى أيِّ حال لا ينطبق هذا القول على الرَّبِّ نفسه.

ولكنْ هذا لم يوبِّخه المسيح عليه في الحال، مع أنَّ كلامه كان فيه إهانة للرَّبِّ ومنتهى عدم اللِّياقة. إذْ لا أحد يطلب مثل هذا من ابن الله، بل إنَّ إلقاء الإنسان نفسه إلى أسفل هو من إبليس والشَّياطين؛ أمَّا الله فهو الَّذي يُقيم السَّاقطين. فإنْ كان ينبغي إظهار القدرة، فليس بأنْ يُلقي الإنسان نفسه عبثًا ويندفع من علوٍّ، بل بأنْ يُخلِّص الآخرين. أمَّا أنْ يُلقي الإنسان نفسه في هوَّة أو جُرف، فهذا من عمل جنود الشَّيطان. وهكذا يفعل المُضلُّ في الَّذين له في كلِّ مكان. لكن المسيح، حتَّى بعد أن قيلت هذه الأمور، لم يكشف نفسه بعد، بل كان يُخاطبه إلى حين كإنسان. فإنَّ قوله: «**لَيْسَ بِالْخُبْزِ وَحْدَهُ يَحْيَا الإِنْسَانُ**»، وقوله: «**لَا تُجَرِّبِ الرَّبَّ إِلهَكَ**»، لم

يكونا كشفًا صريحًا عن ذاته، بل إظهارًا أنَّه واحدٌ من بين البشر الكثيرين.

فلا تتعجَّب إنْ بدا الشَّيطان وهو يحاور المسيح كأنَّه يتخبَّط كثيرًا. فكما أنَّ المُلاكِمين، عندما يتلقَّوْن ضربات نافذة، تسيل منهم دماء كثيرة ويترنَّحون ويكسوهم الظَّلام؛ هكذا أيضًا هو (الشَّيطان)، إذ أُظلم من الضَّربة الأولى والثَّانية، صار ينطق بما يأتيه دون تمييز، ويتقدَّم إلى الهجمة الثَّالثة.

«ثُمَّ أَخَذَهُ أَيْضًا إِبْلِيسُ إِلَى جَبَلٍ عَالٍ جِدًّا، وَأَرَاهُ جَمِيعَ مَمَالِكِ الْعَالَمِ وَمَجْدَهَا، وَقَالَ لَهُ: "أُعْطِيكَ هذِهِ جَمِيعَهَا إِنْ خَرَرْتَ وَسَجَدْتَ لِي". حِينَئِذٍ قَالَ لَهُ يَسُوعُ: "اذْهَبْ يَا شَيْطَانُ! لأَنَّهُ مَكْتُوبٌ: لِلرَّبِّ إِلهِكَ تَسْجُدُ وَإِيَّاهُ وَحْدَهُ تَعْبُدُ"» (مت ٤: ٨ – ١٠):

لقد أخطأ الشَّيطان أخيرًا ضدَّ الله الآب، مدَّعيًا أنَّ كلَّ ما للآب هو له، وساعيًا أن يُظهِر نفسه إلهًا وخالقًا للكلِّ، عندئذٍ انتهره الرَّبُّ، ومع ذلك لم يكن التَّوبيخ بعنف، بل ببساطة: **«اذْهَبْ عَنِّي يَا شَيْطَانُ!»** (مت ٤: ٨ – ١٠). وهذا كان أمرًا يحمل أكثر من التَّوبيخ. لأنَّه لمَّا قال (الرَّبُّ) له: «**اذْهَبْ**»، جعله يهرب في الحال، فلم يُقدِّم له أيَّ تجارب أخرى.

٤. فكيف إذًا يقول لوقا إنَّه **«أَكْمَلَ إِبْلِيسُ كُلَّ تَجْرِبَةٍ»** (لو ٤: ١٣)؟ يبدو لي أنَّه بذِكره رؤوس التَّجارب، يقصد التَّجارب «**كلَّها**»، لأنَّ سائر التَّجارب كانت متضمَّنة في هذه. فإنَّ شرورًا لا تُحصى متضمَّنة في هذه الثَّلاث: أن يُستعبَد الإنسان لبطنه، وأنْ يفعل أيَّ شيءٍ من أجل المجد الباطل، وأنْ يكون خاضعًا لجنون القنية. ولأنَّ الخبيث أدرك ذلك، وضع التَّجربة الأقوى في النِّهاية، أيْ شهوة الامتلاك المُفرط. فإنَّه منذ البدء كان ينوي أنْ يصل إلى هذه، لكنَّه حفظها أخيرًا، لأنَّها أقوى من البقيَّة. لأنَّ هذا هو أسلوب مصارعته: أنْ يقدِّم في النهاية ما يظنُّه أكثر قدرة على إسقاط الإنسان. وهذا ما فعله أيضًا مع أيُّوب. لذلك هنا أيضًا، بدأ بما يُعتَبَر أهون وأضعف، ثمَّ تقدَّم إلى ما هو أقوى.

فكيف إذًا ينبغي أنْ نغلب الشَّيطان؟ كما علَّمنا المسيح: باللُّجوء إلى الله، وألَّا ننصاع للجوع، بل نؤمن بالَّذي يقدر أن يُطعمنا بالكلمة؛ وألَّا نُجرِّب المُعطي فيما نناله من الخيرات، بل نكتفي بالمجد العلوي؛ ولا نجعل حسابًا للمجد البشريِّ، وفي كلِّ أمر نزدري بالفائض عن الحاجة. إذْ لا شيء يجعلنا نقع تحت (سلطان) إبليس مثل الرَّغبة في المزيد، وحبِّ الطَّمع.

وهذا يمكن أن نراه أيضًا في الأمور الحاصلة الآن. فإنَّه حتَّى الآن يوجد مَن يقولون: كلُّ

هذا نُعطيك إنْ خررتَ وسجدتَ لنا، وهم بشرٌ بالطَّبيعة، لكنَّهم صاروا أدواتٍ لذلك (الشَّيطان). إذْ إنَّه حينذاك أيضًا لم يأتِ وحده فقط، بل أيضًا بواسطة عملائه. وهذا ما أوضحه القدِّيس لوقا بقوله: **«فَارَقَهُ إِلَى حِينٍ»** (لو ٤: ١٣)، مُشيرًا إلى أنَّه بعد ذلك كان يأتيه بواسطة عملائه الأخصَّاء.

«وَإِذَا مَلاَئِكَةٌ قَدْ جَاءَتْ فَصَارَتْ تَخْدِمُهُ» (مت ٤: ١١):

حين كانت التَّجربة جارية، لم يسمح (الرَّبُّ) لهم بأنْ يظهروا، لئلَّا يتعطَّل ذلك الصَّيد؛ ولكنْ بعد ما وبَّخ العدوَّ في كلِّ شيء، وأجبره على الهروب؛ حينئذ ظهرت تلك الملائكة، لكي تتعلَّم أنت أيضًا أنَّه بعد الانتصارات على مثاله، ستستقبلك الملائكة، مُهلِّلين ومُحيطين بك في كلِّ شيء. وهكذا أيضًا لعازر (لو ١٦: ٢٢)، بعد أن دخل أتُّون الفقر والجوع وكلِّ ضيقة، جاءت إليه الملائكة وأخذوه ومضَوْا به.

فكما قلتُ سابقًا إنَّ المسيح يُظهِر في هذه المناسبة أمورًا كثيرة، نحن مُزمعون أنْ ننالها أيضًا. فإنْ كان كلُّ هذا قد صار من أجلك، فكُن غيُّورًا واقتدِ بهذه الغلبة. وإن اقترب إليك أحدٌ من خدَّام ذلك الشَّيطان، ومَنْ يفكِّرون أفكاره، مُعيِّرًا وقائلًا: "إنْ كنتَ عجيبًا وعظيمًا، فانقل هذا الجبل"، فلا تضطرب ولا ترتبك، بل أَجب بوداعة، وقل ما سمعتَه من سيِّدك إذْ قال: **«لَا تُجَرِّبِ الرَّبَّ إِلهَكَ»** (مت ٤: ٧).

وإن عرض عليك (الشيطان) ذلك المجدَ والسُّلطانَ، ووفرةً لا تُحصى من الأموال، وأمرك بالسُّجود له، فاثبت أيضًا بشجاعة. فإنَّ إبليس لم يفعل هذا فقط مع سيِّدنا جميعِنا، بل في كلِّ يوم يُقدِّم هذه الحِيَل لكلِّ واحد من خدَّام سيِّدنا؛ لا في الجبال والبراري فقط، ولا بنفسه وحده، بل أيضًا في المدن، وفي الأسواق، وفي المحاكم، وحتَّى بواسطة أقرب النَّاس إلينا. فما الَّذي ينبغي أنْ نفعله؟ ألَّا نُصدِّقه البتَّة، وأنْ نسدَّ مسامعنا عنه، وأنْ نُبغضه وهو يمدحنا، وأنَّه حين يَعِدُ بوعودٍ أعظم، حينئذ يجب أنْ نبتعد عنه بالأكثر. إذْ إنَّه حتَّى حوَّاء، حين رفعها أكثر ما يكون بالآمال، عندئذ أسقطها، وأحدث الشُّرور العظمى. فهو عدوٌّ لا عهدَ له، وقد أعلن ضدَّنا حربًا بلا إنذارٍ.

فإنَّنا لا نجتهد من أجل خلاصنا بقدر ما يجتهد هو (أي الشَّيطان) من أجل هلاكنا. فلنجحدْه، إذًا، لا بالكلام فقط، بل أيضًا بالأعمال؛ لا بالنِّيَّة فقط، بل أيضًا بالأفعال؛ ولا

نفعل شيئًا من الأمور المحسوبة له، لأنَّنا هكذا سنفعل كلَّ ما يحسبه الله أنَّه حسن. فإنَّ الشَّيطان يَعِدُ بالكثير، لا لكي يُعطي، بل لكي يأخذ. يَعِدُ بالنَّهب، لكي يسلب الملكوت والبرَّ؛ ويضع الكنوزَ في الأرض كشِراكٍ وفخاخٍ، لكي يسلبنا بها كنوز السَّماء أيضًا؛ ويريد أنْ نغتني هنا، لكي لا نغتني هناك.

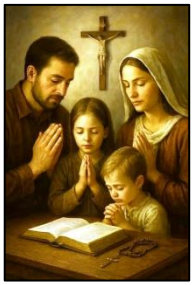
وإنْ لم يستطع أنْ يُخرجنا من نصيبنا بواسطة الغِنَى، يأتينا بطريقٍ آخر هو طريق الفقر؛ وهذا ما فعله مع أيُّوب. لأنَّه لمَّا رأى أنَّ الغِنَى لم يضرَّه في شيء، نسج شِباكه بواسطة الفقر، متوقِّعًا أن يُسقطه من هناك. وهل يوجد شيء أكثر حماقة من هذا؟ فإنَّ مَن استطاع أنْ يحمل الغِنَى بحكمةٍ، فبالأكثر سيحتمل الفقر بشجاعة؛ والَّذي لا يشتهي الأموال المتوفِّرة له، لن يطلب الغائبة عنه. وهكذا كان ذلك الطُّوباويُّ حتَّى صار أكثر إشراقًا في الفقر. فإنَّ ذلك الشَّيطان الشِّرِّير استطاع أنْ يسلب منه الأموال، أمَّا المحبَّة الَّتي نحو الله، ليس فقط لم يستطع أنْ ينزعها، بل تسبَّب في أنْ تصير أقوى؛ وبقدر ما جرَّده من كلِّ شيء، جعله يفيض صلاحًا أكثر. ولذلك صار في حيرة، لأنَّه كلَّما زاد عليه الضَّربات، كلَّما رآه يصير أقوى.

لذلك، بعد ما جرَّب كلَّ شيء وأَكْثَرَ في الضَّربات، دون أنْ يجنيَ شيئًا، لجأ إلى سلاحه القديم: المرأة. فتظاهر بواسطتها بالعطف عليه، وجعل مصائبه تُروى على نحوٍ مأساوي يُثير الإشفاق، وتظاهر بأنَّه يُقدِّم بفمها نصيحة للخلاص من تلك الشُّرور، مُعطيًا تلك المشورة المُهلكة (أي ٢: ٩: «قلْ كلمةَ ضدَّ الرَّبِّ ومُتْ»[٢]). لكنَّه لم يسيطر عليه حتَّى بهذه الطَّريقة؛ لأنَّ ذلك الرَّجل العجيب أدرك الطُّعم، وبكثير من الحكمة أسكت المرأة الَّتي كانت تتكلَّم لأجل تحريضه.

٥. وهذا ما ينبغي لنا أنْ نفعله: فإنْ كان أخٌ، أو صديقٌ مُخلِص، أو زوجةٌ، أو أيُّ واحد من أحبِّ النَّاس إلينا، ينطق بشيء غير لائق، فلا نقبل المشورة من شخصٍ يتكلَّم هكذا، بل من مضمون المشورة المُميتة يجب أنْ نبتعد عن المُتحدِّث. فإنَّ إبليس حتَّى الآن يفعل الكثير من هذا القبيل، ويلبس قناع العاطفة، ويبدو كأنَّه محبٌّ، لكنَّه يُدخِل كلماتٍ مُميتة أشدَّ من السُّموم. فكما أنَّ التَّملُّق الَّذي يقود إلى ضررنا هو من صفاته، كذلك فإنَّ التَّأديب الَّذي يؤول لخيرنا هو من الله.

---

(٢) هذا العدد (أي ٢: ٩) يتضمَّن في التَّرجمة السَّبعينيَّة فقرة طويلة بفم امرأة أيُّوب، غير موجودة في النَّصِّ العبريِّ. وعلى هذه الفقرة يعتمد القدِّيس يوحنَّا ذهبيُّ الفم ليصف كلام امرأة أيُّوب.



بمناسبة
الصوم المقدَّس

الصلاة الربَّانيَّة

للقدِّيس بطرس كريزولوغوس[1]

(٤٠٠ – ٤٥٠م)

أيها الأحبَّاء، لقد تسلَّمتم الإيمان بالسَّمْع، فاستمعوا الآن إلى صيغة الصلاة الربَّانيَّة. فقد علَّمنا المسيح أن نُصلِّي باختصار. إنه يريد لنا أن نجعل التماساتنا إلى الأمام على الفور. فهل لا يُعطي الربُّ ذاته للذين يتوسَّلون إليه، طالما أنه أعطى ذاته للذين لم يطلبونه؟ أو ما هو الذي يؤخِّر إظهار استجابته، ذاك الذي بصياغته للصلوات قد سبق رغبات المُتضرِّعين إليه؟

إنَّ الملائكة يقفون برعدة لِمَا أنتم مُزمعون أن تسمعوه اليوم. إنَّ السماء تتعجَّب والأرض ترتجف والطبيعة البشريَّة لا تحتمل ذلك، والسَّمْع لا يُدركه والذهن لا يستوعبه. فالخليقة كلُّها لا يمكنها أن تحتمله. إنني لا أجرؤ أن أنطق بذلك، ومع ذلك فلا يُمكنني أن أظلَّ ساكتًا. ليت الله يُمكِّنكم أن تسمعوا ويُمكِّنني أن أتكلَّم.

وما هو أكثر رهبةً: إنَّ الله يهب ذاته للأرض أو أن يضعكم في السماء؟ وأنه هو ذاته يدخل في وحدةٍ مع البشر، أو أن يسمح أن تكون لكم مُشاركة في اللاهوت! وكونه هو نفسه يرضى بالموت أو أن يسترجعكم من الموت! وكونه هو نفسه يولد في حالتكم من العبودية، أو أنه يجعلكم أبناءً أحرارًا لخاصَّته! وكونه يتَّخذ فقركم لنفسه أو أن يجعلكم وارثين له، أي شركاء ميراث لذاته الفريدة!

إنه بالتأكيد أكثر رهبةً أن تتحوَّل الأرض إلى سماء، وأن أولئك الذين تكون العبودية نصيبهم يحصلون على حقوق السيادة (أي يصيرون أحرارًا). وذلك كله تكون الحاجة إليه لكي يملأنا

---

(1) The Fathers of the Church, Vol. 17, Sermon 67, p. 115.

والقدِّيس بطرس كريزولوغوس (والتي تعني باللُّغة اليونانية: "ذهبي الكلمة") هو من آباء القرن الخامس الميلادي (٤٠٠ – ٤٥٠م). وهو أسقف رافنَّا بإيطاليا. وقد وصل إلينا الكثير من عظاته التي كتبها باللُّغة اللاتينيَّة وتُرجِمَت إلى اللُّغات الحيَّة، ولكن بعض كتاباته قد فُقِدَت. ويُلقَّب في الكنيسة الغربيَّة بـ "كريزو - لوغوس" أي "ذهبي الكلمة"، مُقارنة بالقدِّيس يوحنا ذهبي الفم (خريزو – ستوموس) في الكنيسة الشرقيَّة.

بالمخافة. لذلك، يا أبنائي، دعونا نقترب من حيث تستدعي المحبة وتُستَخْرَج. ولعلَّ قلوبنا تُدرك الله كأب لنا! إنَّ أصواتنا ينبغي أن تُعلِن ذلك، وألسنتنا ينبغي أن تنطق بذلك، وأرواحنا ينبغي أن تصيح بذلك عاليًا، وكلُّ شيء فينا ينبغي أن يكون مُنسجمًا مع النعمة وليس مع الخوف. لأن ذاك الذي هو قاضٍ أَظهَر نفسه كأب، وقد رغب أن يكون محبوبًا وليس مخوفًا.

«أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ»: لا ينبغي أن تفهم ذلك على أنه ليس موجودًا على الأرض، أو أن ذاك الذي يُحيط بالكائنات كلها هو ذاته محتوى في مكانٍ واحد؛ بل افهم أن ذاك (أي ابن الله الكلمة) الذي أبوه هو في السماء، له نسل ينتسب إلى السماء. هكذا تصرَّف أيضًا حتى تصبح صورة لأبيك بطريقة حياتك المقدَّسة. إن الإنسان الذي لا يُظلِم ذاته برذائل مختلفة بل يشعُّ بفضائل مثل فضائل الله، يُبرهن على أنه ابنٌ لله.

«لِيَتَقَدَّسِ اسْمُكَ»: إننا نُدعى باسم ذاك الذي نحن ذُرِّيته. لذلك فدعونا نلتمس أن يكون اسمه الذي هو مقدَّسٌ في ذاته وبواسطة طبيعته ذاتها، نتعامل معه باعتباره مقدَّسًا. لأن اسم الله، إمَّا أنه يكون مُكرَّمًا بسبب سلوكنا الحَسَن، أو يُجدَّف عليه بسبب سيئاتنا. فها هو كلام الرسول بولس: «لأَنَّ اسْمَ اللهِ يُجَدَّفُ عَلَيْهِ بِسَبَبِكُمْ بَيْنَ الأُمَمِ» (رو ٢ : ٢٤).

«لِيَأْتِ مَلَكُوتُكَ». هل كان هناك وقت لم يملك الله فيه؟ لذلك فإننا نسأل أن ذاك الذي مَلَكَ دائمًا، هو ذاته يملك الآن فينا حتى يمكننا أن نملك فيه. لقد مَلَكَ الشيطان، والخطية مَلَكت، والموت مَلَكَ، والجنس البشري قد أُسر مدة طويلة؛ وبالتالي فإننا نطلب أن يملك الله في ملكوته، ويكون الشيطان خاضعًا، وتُباد الخطية، والموت يبطل، والجنس البشري المأسور (من الشيطان) يُؤسَر (من الربِّ) بالطريقة التي بها نملك نحن كأحرارٍ إلى حياةٍ أبديَّة.

«لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذلِكَ عَلَى الأَرْضِ»: هذا هو ملكوت الله عندما لا تسود أيُّ إرادة أخرى سوى إرادة الله، سواء في السماء أو على الأرض، وذلك – في حالة البشر – يكون الله هو المُدبِّر، وهو الذي يحيا فينا، وهو الذي يعمل ويملك علينا، فيكون الله هو كل شيء، كما يقول بولس الرسول: «كَيْ يَكُونَ اللهُ الْكُلَّ فِي الْكُلِّ» فيكم (١كو ١٥: ٢٨).

«أَعطِنا اليوم خبزنا اليومي»: إنَّ ذاك الذي أعطانا ذاته كأب، الذي تبنَّانا كأبناء له (في ابنه الوحيد)، والذي جعلنا وارثين لخيراته، والذي رفعنا بالاسم ومنحنا كرامته وملكوته، هو الذي وجَّهنا أن نطلب خبزنا اليومي. ففي ملكوت الله في وسط عطاياه الإلهيَّة، لمَنْ يتوسَّل

الإنسان وهو في فقره؟ هل بمجرَّد أن يُطلب من أب صالح بهذا المقدار، فهو بكلِّ رقَّة وبكلِّ سخاء يُعطي خبزًا لأبنائه؟ وماذا نفعل فيما قاله الرب: «لَا تَهْتَمُّوا قَائِلِينَ: مَاذَا نَأْكُلُ، أَوْ مَاذَا نَشْرَبُ، أَوْ مَاذَا نَلْبَسُ» (مت ٦: ٣١)؟ هل هو يوصينا أن نطلب ذلك الذي يمنعنا من أن نُفكِّر فيه أو نهتم به؟ ما هو الذي نفهمه من هذا؟

إنَّ الآب السماوي يُشجِّعنا كأبناء له أن نطلب خبزًا سماويًّا. فقد قال الرب: «أَنَا هُوَ الْخُبْزُ الَّذِي نَزَلَ مِنَ السَّمَاءِ» (يو ٦: ٤١). إنه هو الخبز الذي زُرِعَ في السيِّدة العذراء مختمرًا في الجسد، مسبوكًا في آلامه، مخبوزًا في أتون القبر، موضوعًا في الكنائس منتصبًا على المذابح، والذي يزوِّد المؤمنين يوميًّا بطعامٍ سماوي.

«وَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا كَمَا نَغْفِرُ نَحْنُ أَيْضًا لِلْمُذْنِبِينَ إِلَيْنَا»: أيها الإنسان، إن كان لا يمكنك أن تكون بلا خطية، وتريد أن يُغفَر لك دينك كله دائمًا، فأنت نفسك ينبغي أن تغفر دائمًا. فاغفر بقدر ما تريد أن يُغفَر لك. حقًّا إنه بسبب أنك تريد أن يُغفَر لك الدَّين كله، فإنك أنت نفسك لا بُدَّ أن تُسامح عن كلِّ إساءة. يا أيها الإنسان، فلتفهم أنه بغفرانك للآخرين، قد مَنَحتَ المغفرة لنفسك.

«وَلَا تُدْخِلْنَا فِي تَجْرِبَةٍ»: وَلَا تُدْخِلْنَا فِي تَجْرِبَةٍ لأن الحياة في العالم هي نفسها تجربة كما يقول أيوب الصِّدِّيق (أي ٧: ١ سبعينية)؛ لذلك فدعونا نطلب من الله ألَّا يتركنا لمشيئتنا الخاصة، بل أن يُسيِّج حولنا بكلِّ تصرُّف بطيبته الأبويَّة، وأن يحفظنا بإرشاده من السماء لنكون ثابتين في طريق الحياة.

«لكِنْ نَجِّنَا مِنَ الشِّرِّيرِ»: من أيِّ شرٍّ؟ قطعًا إنه من الشيطان الذي يأتي منه كلُّ شر. إننا نطلب أن نكون مُتحرِّرين من الشر، لأن ذاك الذي لا يكون مُتحرِّرًا من الشرِّ لا يمكنه أن يتمتع بالخير (أو بالصلاح). فإن كانت الكنيسة ما تزال تلد أبناءً، فهذه ليست عقيدة مبنية على سبب بشري، بل هي سرٌّ سماوي. فالله لا ينبغي أن يُفهم بطريقةٍ بشرية. إذا ما سمعتم ذلك الاسم: "الله"، فلا تُفكِّروا في أيِّ شيء أرضي أو أيِّ شيء بشري. وإذا ما سمعتم: "أبا المسيح"، فآمنوا بأنه هو هكذا من خلال جوهره الإلهي. وإذا ما سمعتم أنه هو "أبوكم"، فآمنوا بذلك من خلال نعمته. إنه منذ الأزل له ابنه الوحيد كائنًا فيه كابن الله الحقيقي. ثم سمح لك في الأزمنة الأخيرة أن تكون ابنه (بالنعمة). لذلك، فلتعلم أنك ابنٌ لله (بالنعمة)، بدون أن تتجاهل أنك لا زلتَ عبدًا للمسيح. فاسمع، إذن، إنك قد جُبلتَ على شِبْه المسيح (رو ٨: ٢٩)؛ كما تعلم أنك أنت دائمًا بالرغم أنك صرتَ ابنًا لله، إلَّا أنك في نفس الوقت عبدٌ للمسيح (رو ١: ١).

من
التراث الكنسي



أحد الابن الضال

(لو ١٥: ١١ – ٣٢)[١]

✣✠✣

يُسمَّى مَثَل الابن الضال: "مَثَل حُبِّ الله المُدهِش والعجيب".

مَتَى ترك الابن الضال حظيرة الخنازير؟ بالتأكيد عندما عرف مَن هو؟ وكيف كان؟ وتذكَّر أباه! عندما تحقَّق الابن الضال مِن هويَّته، قرَّر أن يترك حظيرة الخنازير وأنْ يعود إلى بيت أبيه الذي كان خاصًّا به.

الحياة بدون الله هي مِثْل مَن يحيا مع الخنازير في حظيرتهم، يُحاوِل الإنسان أنْ يتواءم معها ويتعامل مع الظروف الموجودة، ويجتهد في أنْ يتشابه مع المُحيط الفاسِد والمُفسِد الذي يعيش فيه: «مَضَى وَالْتَصَقَ بِوَاحِدٍ مِنْ أَهْلِ تِلْكَ الْكُورَةِ، فَأَرْسَلَهُ إِلَى حُقُولِهِ لِيَرْعَى خَنَازِيرَ» (لو ١٥: ١٥)، حتى يظنَّ أنَّ هذه الحظيرة صارت كلَّ شيء في حياته.

كونُك تعرف الله، وتتذكَّر أنَّكَ في المسيح، وأنَّكَ مُكرَّمٌ في عينَيِّ إلهكَ ومحبوبٌ لديه، فهذا يعني أنْ تترك الحظيرة، وأنْ تعود إلى بيت الأب حيث الحضن الدافئ المُريح والحُلَّة الأُولى والخاتم في الإصبع، وكل ما يجري هناك.

الأخبار السَّارَّة عن أُبوَّة الله:

أعظم الأخبار السَّارَّة قاطبة عن الله هي أنَّ الله لا يكرهنا، كما لا يُريد أن يُعاقِب أحدًا منَّا على خطاياه، بل هو يبحث عن الغُفران لأنَّه هو أب الابن الضال الذي ركض ليُرحِّب بابنه التائب العائد إليه. يوجد لدي كثير مِن الناس شعورٌ أنَّ الله عدوٌّ لهم بسبب خطاياهم، أمَّا يسوع فقد محا تمامًا هذا الشَّكَّ عندما قال: «لَمْ يُرْسِلِ اللهُ ابْنَهُ إِلَى الْعَالَمِ لِيَدِينَ الْعَالَمَ، بَلْ لِيَخْلُصَ بِهِ الْعَالَمُ» (يو ٣: ١٧). أعظم خبر مُفرِح عن الله هو أنَّه: «هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ» (يو ٣:

---

(١) عن كتاب بعنوان:

This is My Beloved Son By Anthony M. Coniaris.

١٦). يقول لنا مَثَل الرب يسوع عن الابن الضال: «وَإِذْ كَانَ لَمْ يَزَلْ بَعِيدًا رَآهُ أَبُوهُ، فَتَحَنَّنَ وَرَكَضَ وَوَقَعَ عَلَى عُنُقِهِ وَقَبَّلَهُ ... فَقَالَ الأَبُ لِعَبِيدِهِ: "أَخْرِجُوا الْحُلَّةَ الأُولَى وَأَلْبِسُوهُ، وَاجْعَلُوا خَاتَمًا فِي يَدِهِ، وَحِذَاءً فِي رِجْلَيْهِ، وَقَدِّمُوا الْعِجْلَ الْمُسَمَّنَ وَاذْبَحُوهُ فَنَأْكُلَ وَنَفْرَحَ، لأَنَّ ابْنِي هذَا كَانَ مَيِّتًا فَعَاشَ، وَكَانَ ضَالًا فَوُجِدَ"» (لو ١٥: ١١-٣٢).

ليست هي مشكلة المُراهقين فقط:

كلُّ جيلٍ يهتمُّ جيِّدًا بموضوع تحقيق الذات وليس المُراهقين فقط. يجب أنْ يكون للحياة معنى وقيمة لنا، والشيء الوحيد الذي لا يمكننا أنْ نعيش معه هو اللامعنى، أنْ نحيا بلا معنى للحياة.

حقًّا يُعاني الأحداث مِن أزمة تحقيق الذات، فهُم يعملون لتحقيق الذات، الأنا، بعيدًا عن ذويهم، كما نجدهم يُريدون أنْ يُحقِّقوا أيضًا نُمُوًّا لصورة أجسادهم وصفاتهم الجيِّدة وقُدراتهم وأنْ يعرفوا قدراتهم. كما نرى الأحداث يريدون أنْ يُقرِّروا ماذا سيعملون في الحياة!

ولكنَّ البالغين أيضًا عندهم أزمات في تحقيق ذواتهم، فقد تُقابلهم تغييرات وتقلُّبات كبيرة غير مُتوقَّعة في عملهم أو في صحَّتهم، مثل: فَقْد الوالدين، أو موت طفل، أو مشاكل زوجيَّة.

كما أنَّ كثيرًا ما كُتِب بخصوص أزمات الأشخاص الذين هم في مُنتصف العُمر. فعلينا أنْ نتفهَّم كيف نتعامَل مع أصحاب هذا العُمر عندما نبلغ الأربعين أو الخمسين سنة. بل وقد نُدفَع إلى مُلاقاة حتفنا فجأة (مثل الإصابة بورم خبيث أو فشل كلوي أو غيرهما)، أو قد نشعُر بثقل المسؤوليَّات الساحقة والتي قد نجد أنَّه مِن العسير علينا أنْ نتواءم معها.

الربُّ يسوع عيَّن وأسَّس هويَّتنا:
مَنْ أنا؟

ستظل مُشكلة الهويَّة تُزعجنا إلى ما لا نهاية، إلى أنْ نتَّجه نحو خالق الحياة ومُنشئها، رئيس الحياة وملك الدهور، الرَّب يسوع، وهو الوحيد القادر أنْ يقول لنا مَن نحن؟ لأنَّه هو الوحيد الذي خلقنا. يقول الإغريق القُدامى: "اِعرَف نفسك"! ولكن لا يُمكن لأحدٍ أنْ يعرف ذاته بعيدًا عن الله.

هويَّة جديدة في المسيح:

في المسيح فقط يوجد حلٌّ لمشكله الهويَّة، لأنَّ فيه فقط كلَّ شيء يتماسَك، وفيه فقط

تجد الحياة لها معنى وهويَّة حقيقيَّة، وبمعنى جازِم: المسيح هو صورة الله غير المخلوقة، والذي بحسبه وعلى شكله صُنِعَت كل صورة مخلوقة. وحيث إنَّنا مخلوقون على صورته، ففيه فقط يُمكننا أنْ نجد ذواتنا. يوجد سؤال أكثر أهميَّة عن: "مَن أكون أنا"؟ وهو: "لِمَن أكون أنا"؟ وفي هذا السؤال نجد هويَّتنا الحقيقيَّة. نحن – في المسيح – نخلع الذات الخادعة الكاذبة الغاشَّة وننبذها، ونلبس الذات الحقيقيَّة، عندما: "نلبس المسيح في المعموديَّة" (غل ٣: ٢٧)، وهناك نتقبَّل موهبة وعطيَّة الإنسان الجديد، والهويَّة الحقيقيَّة والصادقة. وتمامًا كما أصبح أبرام اسمه إبراهيم (تك١٧: ٥)، وأصبح شاول اسمه بولس (أع١٣: ٩)؛ هكذا نحن أيضًا في المسيح نقبل موهبة الحياة الجديدة والاسم الجديد والهويَّة الحقيقيَّة.

ولكن، ما هي الهويَّة الجديدة؟

لقد استعاد المسيح لنا شعورنا بحقيقة أنفسنا، تمامًا مثلما حدث للابن الضال، ودعانا إلى العودة إلى بيته الملكي، وهذا قد أتمَّه لنا في المعموديَّة. ولكن علينا بعد أنْ نعتمد باسم المسيح أنْ نتوقَّف عن أن نُفتِّش عن هويَّتنا الحقيقيَّة وسط أكوام نفاية العالم، بل أنْ نُطالِب بالكنز الذي نلناه في المعموديَّة. يقول القدِّيس يوحنا: «الآنَ نَحْنُ أَوْلاَدُ اللهِ، وَلَمْ يُظْهَرْ بَعْدُ مَاذَا سَنَكُونُ» (١يو ٣: ٢)، ويقول القدِّيس بولس الرسول: «اخْتَارَنَا فِيهِ قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ، لِنَكُونَ قدِّيسينَ وَبِلَا لَوْمٍ قُدَّامَهُ فِي الْمَحَبَّةِ، إِذْ سَبَقَ فَعَيَّنَنَا لِلتَّبَنِّي بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ لِنَفْسِهِ ... لِمَدْحِ مَجْدِ نِعْمَتِهِ ... خُتِمْتُمْ بِرُوحِ الْمَوْعِدِ الْقُدُّوسِ» (أف ١: ٤ – ١٣). هذه هي هويَّتنا الحقيقيَّة التي يجب علينا أن نطلبها ونعيش لأجلها.

الإنسان مخلوقٌ على صورة الله الرائعة:

الإنسان هو تاج الخليقة، وهذا القول ليس كبرياءً للذات، بل هو عَيْن الحقيقة، فالعِلْم والإنجيل يتَّفقان على أنَّ الجنس البشري يُشكِّل أرقى نوع مِن الحياة. يتكلَّم هاملت Hamlet عن جلال الإنسان وكرامته بعباراتٍ مُتوهِّجة، مُؤثِّرة في النفس:

"قطعة مِن عملٍ رائع هو الإنسان!
ما أسمَى موهبة العقل فيه!
وكَمْ أنَّ قدراته لا حدَّ لها!
في شكله وحركاته كَمْ يُعبِّر عن الفخامة والإعجاب!

وفي تعبُّده يُسبِّح ويُمجِّد كالملائكة!
وفي فهمه وإدراكه هو يُشابه الله"!

يُعلِّمنا الكتاب المُقدَّس أَلَّا نرتقي كثيرًا بعُجبٍ وخيلاء في أنفسنا؛ ولكنَّه يُظهِر أيضًا بوضوحٍ وبتساوٍ ألاَّ نُقلِّل مِن شأن أنفسنا.

إنْ أتاك الشيطان وهمس في أُذنيك أنَّك رديء، لا تتناقش معه ولا تقبل كلامه، ولكن عليكَ أنْ تردَّ على الشيطان قائلًا: "بِغَضِّ النظر عمَّا تقوله لي، لكنَّني سأُكلِّمك عمَّا يشعُر به إلهي مِن جهتي، فهو يقول لي إنَّني ذو قيمة عالية جدًّا عنده، حتى أنَّه بَذَلَ ذاته من أجلي على الصليب! هل بعد هذا تحسبني رديئًا أو عديم القيمة، أو لا شيئًا، أنا الذي مات المسيح لأجلي"!

يكتُب القدِّيس بولس ويقول: «لَسْتُمْ إِذًا بَعْدُ غُرَبَاءَ وَنُزُلًا، بَلْ رَعِيَّةٌ مَعَ الْقدِّيسينَ وَأَهْلِ بَيْتِ اللهِ» (أف ٢: ١٩). كلُّ مسيحي له مرتبة عالية وسامية. نحن رعيَّة الله مع القدِّيسين، وأعضاء بيته! ويجب أنْ يتعلَّم المسيحيُّون مِن طفولتهم هذا النوع مِن الافتخار والاعتزاز والفخر أنَّهم مِن عائلة سماويَّة كريمة، هذا النوع مِن الكرامة هو الذي يحثُّنا أنْ نعيش حياةً لائقة بأعضاء هذه الأُسرة الفاضِلَة. رَأْس عائلتنا هو السيِّد المسيح نفسه، ومِن ضمن إخوتنا وأخواتنا السيِّدة العذراء والدة الإله، ويوحنا المعمدان، ومار مرقص وبقيَّة الرُّسُل، والقدِّيس أنبا أنطونيوس، وأنبا مقار، ومار جرجس، والقدِّيسة دميانة، والقدِّيس أثناسيوس، وغيرهم كثيرون. إنَّنا ننتمي إليهم وَهُم ينتمون إلينا. إنَّها شجرة عائلة مُميَّزة. هذا جزءٌ مِن هويَّتي.

يذكُر الكتاب المُقدَّس أنَّنا مخلوقون على صورة الله، وعلينا ختم الله. لو تصوَّرتَ لوحة للفنَّان الرائع رمبراند Rembrandt تُباع بملايين مِن الدولارات، تذكَّر مِن فضلك أنَّ الفنَّان الذي رَسَمَك وشكَّلك هو الله. وإنْ كان رمبراند فنَّانًا عبقريًّا، ولكنَّه على أيِّ حالٍ ليس هو الله. أنتَ نُسخة أصليَّة مِن الله وليس مِن رمبراند.

أقوال آباء الكنيسة عن الهويَّة:

- يتكلَّم القدِّيس غريغوريوس النيصي عن موضوع الهويَّة فيقول:

"لأنَّ هذا هو الطريق الأكثر أمانًا لتحمي الشيء الجيِّد الذي تبتهج به: بأنْ تتحقَّق كَمْ أنَّ خالقك قد كرَّمك فوق جميع المخلوقات الأُخرى. إنَّه لَمْ يخلق السماء على صورته، ولا القمر، ولا الشمس، ولا النجوم الجميلة، ولا أيَّ شيءٍ

آخَر ممَّا يفوق كلَّ إدراكنا. ولكن أنتَ وحدك هو صورة وشكل الجمال الأبدي. وإذا نظرتَ إليه، ستكون على ما هو عليه، مُحاكيًا ذلك الذي يشعُّ داخلك، والذي مجده ينعكس في نقاوتك وطهارتك وصفائك. ليس في الخليقة ما يُمكنه أنْ يُساوي عظمتكَ وأُبَّهتكَ وجلالك. كلُّ السموات يُوافقها أنْ تكون في راحة يد الله، ورغم عظمته، يُمكنك أنتَ أنْ تُعانقه بالكمال. فهو يسكُن فيك، وهو يتخلَّل كلَّ كيانك ويعُمُّك".

- وأيضًا لدى القدِّيس باسيليوس كثيرٌ ليقوله عن هويَّة الإنسان الحقيقيَّة في المسيح يسوع، فيُعبِّر عن ذلك في صلاة التَّقديس في الإفخارستيَّا فيقول:

[أنتَ، يا الله، لَمْ تصرف وجهك إلى الأبد عن خليقتك التي جبلتَها أيُّها الصالح، ولا نسيتَ عمل يديك. مِن خلال تعطُّف مراحمك وحُنُوِّك افتقدتَ الإنسان بطُرُقٍ مُتعدِّدة، فقد أرسلتَ له الأنبياء، كما أجريتَ معجزاتٍ قديرة على يَدِ قدِّيسيك في كلِّ جيل؛ أُولئك الذين أحبُّوك وعملوا مرضاتك. كما تكلَّمتَ إلينا أيضًا بفم خُدَّامك الأنبياء الذين سبقوا فتنبَّأوا عن الفداء الذي كان مُزمعًا أنْ يتمَّ، وأعطيتَهم الناموس عونًا، وعيَّنتَ ملائكة للحراسة. ولمَّا جاء ملء الزمان، كلَّمتنا في ابنك نفسه الذي به خلقتَ العالَمِين وخلقتَ الدهور؛ الذي هو بهاء مجدك وصورة جوهرك، والذي بقوَّة كلمته يقوم الكلُّ، وليس اختطافًا أنْ يكون مساويًا لك أيُّها الإله الآب. ابنك هو الله قبل كلِّ الدهور، هذا الذي ظهر على الأرض وعاش بين الناس بعد أنْ تجسَّد مِن العذراء القدِّيسة... هذا الذي أخلى ذاته آخِذًا شكل العبد، وشابه جسد تواضُعنا لكي نُشابه صورة مجده].

- ويقول القدِّيس مقاريوس في عظاته:

[أَلَم تتحقَّق بعد وتُدرِك وتعي شرفك ونُبلَك؟ لأنَّ كلَّ مَن دُهِن بزيت المسحة السماوي أصبح سماويًّا بالنِّعمة، لذلك فنحن جميعًا صرنا ملوكًا وكهنةً وأنبياءَ للأسرار السماويَّة].

- ويقول القدِّيس يوحنا ذهبي الفم:

[أنتم لستُم فقط أحرارًا، بل أيضًا قدِّيسون؛ ولستُم فقط أبناء، بل أيضًا ورثة؛ ولستم فقط ورثة، بل أيضًا إخوة المسيح؛ ولستم فقط إخوة المسيح، بل

أيضًا أعضاء؛ ولستم فقط أعضاء، بل أيضًا هيكلًا؛ ولستم فقط هيكلًا، بل أنتم آلات وشهود مع الرُّوح القُدُس].

الإنسان ليس عَدَمًا:

نحن كمسيحيِّين نتَّفق تمامًا مع الذين يقولون إنَّ الإنسان في ذاته هو صفر مُطلَق، عدم، لا شيء. ولكن الفرق الكبير عند المسيحيِّين أننا نؤمن أنَّ الله هو الواحد الأعظم عن يسار الصفر. ونحن نَعلَم أنَّ الواحد عن يسار الصفر هو الذي يُعطيه قيمة، إذ يجعل مِنْه رقمًا مثل رقم (١٠). المسيح هو الواحد الذي يجعلنا شيئًا له قيمة، وبدون الله الواحد والوحيد، فأنا عدم، لا شيء.

بالمسيح أنا ابن الله (بالنعمة) المخلوق على صورته. أنا ابن أو ابنة مَلِك، وهذا يجعلني أميرًا أو أميرة. إذًا، أنا شخصٌ في غاية الأهميَّة. أنا محبوبٌ جدًّا، والله يحتاجني لأُكمِّل عمله. أنا بالمسيح قويٌّ ونقيٌّ وقادرٌ على التغلُّب على جميع الصِّعاب: «أَسْتَطِيعُ كُلَّ شَيْءٍ فِي الْمَسِيحِ الَّذِي يُقَوِّينِي» (في ٤: ١٣).

مفتاح الحياة الفاضلة والغزيرة والأفضل هو: **"فيه"!** وبدونه أنا لا شيء، صفر؛ ومعه أنا كلُّ شيء، وثقتي فيه هي الأساس، هي البداءة لأساسٍ صحِّي للثقة في النفس وإعطائها التقدير والقيمة الصحيحَيْن.

الربُّ يسوع والهويَّة:

كان الربُّ يسوع مُدرِكًا هويَّته: «يَسُوعُ وَهُوَ عَالِمٌ أَنَّ الآبَ قَدْ دَفَعَ كُلَّ شَيْءٍ إِلَى يَدَيْهِ، وَأَنَّهُ مِنْ عِنْدِ اللهِ خَرَجَ، وَإِلَى اللهِ يَمْضِي (هويَّته) ... خَلَعَ ثِيَابَهُ، وَأَخَذَ مِنْشَفَةً وَاتَّزَرَ بِهَا، ثُمَّ صَبَّ مَاءً فِي مِغْسَلٍ، وَابْتَدَأَ يَغْسِلُ أَرْجُلَ التَّلَامِيذِ وَيَمْسَحُهَا بِالْمِنْشَفَةِ الَّتِي كَانَ مُتَّزِرًا بِهَا» (يو١٣: ٣ – ٥).

عندما نعرف مَن نحن، فهذا يجعلنا خُدَّامًا للعليِّ، آلات في يده، خُدَّام الحُبِّ ومُوصِّلي رسالة السلام في العالم، وتصبح فينا رغبة عارمة أنْ نغسل أرجل الناس لأجل مجد الرب.

أنشودة:

"قد أكون صغيرًا، أو أكون كبيرًا،
ولكنَّني شخصٌ ذو شأن، لأنَّني ابنٌ لله.

قد أكون مُتعلِّمًا، أو أكون أُميًّا،
ولكنَّني شخصٌ ذو شأن، لأنَّني ابنٌ لله.
قد أكون أبيضَ، أو أكون أسودَ،
ولكنَّني شخصٌ ذو شأن، لأنَّني ابنٌ لله.
قد أكون غنيًّا، أو أكون فقيرًا،
ولكنَّني شخصٌ ذو شأن، لأنَّني ابنٌ لله.
قد أكون سمينًا، أو أكون نحيفًا،
ولكنَّني شخصٌ ذو شأن، لأنَّني ابنٌ لله.
قد أكون بتولًا، أو أكون مُتزوِّجًا،
ولكنَّني شخصٌ ذو شأن، لأنَّني ابنٌ لله.
قد أكون ناجحًا، أو لم أظفر بحاجتي،
ولكنَّني شخصٌ ذو شأن، لأنَّني ابنٌ لله.
قد أكون قدِّيسا، أو أكون خاطئًا أَجِدُّ في إثر التَّوبة،
ولكنَّني شخصٌ ذو شأن، لأنَّني ابنٌ لله.
يسوع فاديَّ، يسوع مُخلِّصي،
ولذلك فأنا شخصٌ ذو شأن، لأنَّني ابنٌ لله".

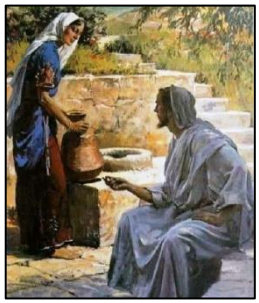
صلاة:

أشكرك، يا ربُّ، لأنَّك عرَّفتني مَن أنا.

أنتَ خلقتني أيُّها الآب على صورتك، وفداني ابنك بدمه الكريم، وسكن فيَّ روحك القُدُّوس.

وإنْ كان هذا حقًّا، وهو حقٌّ؛ لذلك لن أكُفَّ ولن أعيا مِن الترنُّم الدائم لفضلك ولتمجيد اسمك.

المجدُ لك أيُّها الآب والابن والرُّوح القُدُس، الآن وكل أوان وإلى كل الدهور. آمين.



«لِكَيْ لَا أَعْطَشَ»

(يو ٤: ١٥)

"رحلة القلب من الآبار المُشقَّقة إلى ينبوع الماء الحي"

بمناسبة

أحد السامريَّة

الإنسان وإشباع احتياجاته:

للإنسان احتياجاتٌ كثيرة، عميقة ومتنوِّعة، غريبة ومختلفة من شخصٍ لآخر. ومهما اغتنى الإنسان تظلُّ احتياجاته تُلحُّ عليه يومًا فيومًا. والاحتياجات تلعب دورًا كبيرًا في تحريك الغريزة وتوجيه السلوك، فقد تدفع الإنسان إلى البناء والنمو، أو تقوده – إن أُسيء توجيهها – إلى القلق والاضطراب.

غير أن أخطر ما في احتياجات الإنسان ليس كثرتها، بل جهله بمصدر إشباعها الحقيقي؛ إذ قد يملأ الفراغ بما لا يُشبِع، ويبحث عن الارتواء في آبارٍ مُشقَّقة لا تضبط ماء. فتبقى النفس عطشى، مهما كثرت الإنجازات وتنوَّعت العلاقات، إلى أن تكتشف أن أعمق احتياج فيها ليس لشيء، بل لشخص... لمَنْ يمنح المعنى قبل العطاء، والطمأنينة قبل الامتلاك.

نلهث وراء العلاقات ظنًّا منَّا أنها ستملأ فراغ القلب، ونُكدِّس الإنجازات لعلَّها تُسكت صراخ الجوع في داخلنا، ونتمسَّك بالمظاهر لأننا نخشى انكشاف هشاشتنا وضعفنا. ومع ذلك، سرعان ما نكتشف أن ما نملكه لا يُشبعنا، وأن ما نُطارده لا يمنحنا السلام.

كُلُّنا نحمل جِرارًا صغيرة فارغة، كل صباح نحاول أن نملأها بشيءٍ يروينا. بعضنا يبحث عن السلام في الإنجاز، والبعض يبحث في العلاقات، والبعض في المال أو المتع العابرة. بعضنا يبحث عن الحب، والآخر عن الأمان، وآخر عن التقدير، وآخر عن القبول، أو النجاح، أو السيطرة، أو حتى الهروب من الألم. لكن لا شيء يُشبِعنا حقًّا. العطش يعود دائمًا، مهما ملأنا. تتبدَّل الأشكال وتختلف المُسمَّيات، لكن الجذر واحد: قلبٌ عطشان يريد أن يشعر أنه مرئي، مسموع، ومحبوب، ومُقدَّر. هناك احتياجٌ حقيقيٌّ للمعنى والغرض الذي نعيش لأجله.

احتياج الإنسان إلى مصدر حبٍّ لا يزول:

على أن المشكلة ليست في الاحتياج ذاته، فالاحتياج جزءٌ من إنسانيتنا، بل في الاتجاه الذي نوجِّه إليه هذا الاحتياج. حين نطلب من المحدود أن يمنحنا غير المحدود، ومن المُتغيِّر أن يُعطينا ثباتًا، نصطدم بخيبة أمل متكرِّرة. عندها نُدرك أن الإنسان خُلق ليُروى من نبعٍ أعمق، وأن هناك احتياجًا واحدًا إن امتلأ يصير له شبع واكتفاء داخلي، ألَا وهو أن يجد الإنسان مصدر حبٍّ لا يزول، وأمانًا لا يتزعزع، وقيمة لا تُقاس بما يفعل بل بما هو عليه. ومن هنا تبدأ رحلة الشفاء ... حين يتعلَّم القلب أين يضع عطشه، ولِمَنْ يمدُّ جَرَّته!

المرأة السامريَّة التي جاءت إلى البئر كانت حياتها سلسلة من الفراغات العاطفيَّة، من العلاقات التي لم تُشبِعها إطلاقًا، من بحثٍ دائمٍ عن المعنى والحب. هناك ستة فصول من حياتها، فيها ست نبضات حبٍّ دقَّ بها قلبها، وست زيجاتٍ فاشلة، وفي كلِّ مرة شعرت أن شيئًا ينقص، وأن الماء الذي شربته كان مؤقتًا، وأن قلبها لا يزال عطشانًا.كانت تعرف وحدتها، ولو تحيط بها جموع، تشعر بالفراغ الذي لا يملؤه أحد. تبحث عن الأمان في الرجال، عن التقدير في العلاقات، عن الانتماء، عن الحبِّ الذي لا يخيب ... لكنها كل مرة تعود إلى نفسها، إلى قلبها الفارغ، وإلى جرارها الصغيرة التي تحملها كلَّ يوم إلى البئر، كرمز لمحاولتها المستمرة لسدِّ عطشها الداخلي.

تقابُل المرأة السامريَّة مع المسيح:

عند البئر، التقت المرأة بالمسيح. الذي حدَّثَها عن عطشها، واستنفر فيها استمرار الجوع الداخلي، حدَّثَها عن نفسه بأنه ينبوع الماء الحي الذي كل مَنْ يشرب منه لا يعود يأتي إلى بئر يعقوب ليشرب. تحرَّك قلبها وتمنَّت ارتواء يدوم. كانت تعرف جيِّدًا ما وصلت إليه من مذلَّة ومهانة كفقيرة تستجدي الحبَّ وتتسوَّل التقدير وتشحت الاهتمام: «قَالَتْ لَهُ الْمَرْأَةُ: "يَا سَيِّدُ أَعْطِنِي هذَا الْمَاءَ، لِكَيْ لَا أَعْطَشَ وَلاَ آتِيَ إِلَى هُنَا لأَسْتَقِيَ"» (يو ٤: ١٥). كَشَفَ حديثها أنَّ عطشها ليس مجرد عطش جسدي أو اجتماعي، بل عطش عميق للمحبة الحقيقيَّة، للقبول، للسلام الداخلي، للشبع الروحي .كل الماضي، كل العلاقات الفاشلة، كل الفراغات التي تراكمت في قلبها، لم تُمحَ، لكنها وجدت في المسيح بدايةً جديدة، ينبوعًا لا ينضب من الحبِّ والرحمة والنعمة.

كم يُشبه ذلك عطشنا نحن اليوم! كم مرة نحفر ينابيع لأنفسنا، نحاول أن نملأ قلوبنا

بالمؤقت؟ ونكتشف أنَّ الرغبة لا تشبع إلا قليلًا. كثيرٌ من البشر يحفرون ينابيع لأنفسهم – علاقات، إنجازات، رفاهيات، سلطة – لكنها مياه ناقصة، مؤقتة، لا تُرطِّب الروح ولا تُشبع القلب. وكأنها محاولة للارتواء بماء البحر.

الربُّ يسوع ينتظرنا ليُعطينا من مائه الحيّ:

يقف يسوعنا المحبوب عند نفس البئر ينتظرنا لنطلب منه أن يُعطيَنا من مائه الحي، ويُردِّد لمَنْ لا يشرب وكأنه يقول على لسان النبي: «تَرَكُونِي أَنَا يَنْبُوعَ الْمِيَاهِ الْحَيَّةِ، لِيَنْقُرُوا لأَنْفُسِهِمْ أَبْآرًا، أَبْآرًا مُشَقَّقَةً لَا تَضْبُطُ مَاءً» (إر ٢: ١٣). مع أنه هو الذي يقول: «إِنْ عَطِشَ أَحَدٌ فَلْيُقْبِلْ إِلَيَّ وَيَشْرَبْ. مَنْ آمَنَ بِي، كَمَا قَالَ الْكِتَابُ، تَجْرِي مِنْ بَطْنِهِ أَنْهَارُ مَاءٍ حَيٍّ» (يو ٧: ٣٧ – ٣٨). الماء الذي يُعطيه الرب يسوع ليس مجرد شراب للجسد، بل ينبوع حياة وروح يملأ كلَّ عطشٍ داخلي. المسيح لا يَعِدنا بماء عابر، بل بمصدر دائم. هذا الماء يروي الروح، ويشفي النفس، ويُعطي الجسد القوة، ويملأ العاطفة حبًّا ثابتًا، ويُقدِّس الرغبة، ويجمع المُتفرقين إلى واحد، ويحوِّل المجتمع إلى مكانٍ للشركة والمحبة.

المرأة السامريَّة لم تكتفِ بشُرب الماء الحي، بل خرجت من البئر لتُشارك الآخرين فرحها ودهشتها. عطشها الذي ظلَّ سنوات في الفراغ، تحوَّل إلى شهادة وحرارة وحياة جديدة.

ونحن كذلك عندما نسمح له بالدخول، نشعر أن الروح تُشبَع بالغفران والسلام، النفس تهدأ، ويختفي القلق والخوف والجروح العاطفيَّة؛ الجسد يجد القوَّة والراحة، العاطفة تتحرَّر من القلق، ويملأ القلب حبٌّ ثابت ومستمر؛ الرغبات تُقدَّس، وتصبح عطية ضمن محبة واحترام؛ العلاقات الأُسريَّة والاجتماعيَّة تزدهر بالغفران والقبول؛ الحياة والوجود يكتسبان معنى وغاية، والضمير يطمئن، والروح تتواصل مع الله. نكتشف معنى وجودنا، ونشعر بقيمتنا، ونعيش حياةً أفضل لأجل غرضٍ أسمى. ولا يكتفي المسيح بسدِّ الاحتياجات فقط، بل يمنح شبع سرور داخلي لا يُقارَن بأيِّ شيء آخر: «أَمَامَكَ شِبَعُ سُرُورٍ» (مز ١٦: ١١)، «كَمَا مِنْ شَحْمٍ وَدَسَمٍ تَشْبَعُ نَفْسِي» (مز ٦٣: ٥)، «أعطيتَ سرورًا لقلبي أكثر من الذين كثرت حنطتهم وخمرهم وزيتهم» (مز ٤: ٧).

المسيح لا يجعلنا مجرد مُمتلئين؛ بل مُمتلئين بما يفيض من القلب إلى كلِّ مَنْ حولنا. فهو الماء الذي يروي كلَّ عطش ويُحوِّل كلَّ البحث عن الرضا إلى راحةٍ حقيقيَّة، سلام ثابت، وحياة حقيقيَّة.

في حضور المسيح تظهر كل ينابيعنا المُشقَّقة. نفهم أنَّ كلَّ سعي دون المسيح هو عطش مؤقت، وأنَّ مصدر الحياة الكامل والفرح الحقيقي هو وحده. وهو بدوره يملأ احتياجنا ليس بحسب ما نطلب، أو بحسب ما تسع جرَّتنا، بل بحسب غناه كما يقول الرسول بولس: «فَيَمْلأُ إِلهِي كُلَّ احْتِيَاجِكُمْ بِحَسَبِ غِنَاهُ فِي الْمَجْدِ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ» (في ٤: ١٩).

المسيح ليس فكرة بل إلهٌ حقيقيٌّ له حضورٌ مُشبِع. هو ينبوع الماء الحي، والمصدر الذي يجعل قلبك مُمتلئًا، وروحك مُطمئنة، وحياتك مليئة بالسرور الحقيقي الذي لا ينتهي أبدًا. هو ينبوع الحياة، الشِّبع الكامل، السرور الحقيقي، النَّعيم الأبدي، وطمأنينة لا مثيل لها في هذا العالم.

صلاة

يا ربنا يسوع،
يا ينبوع الماء الحي،
علِّمني أن أضع جرَّتي كلَّ يومٍ عند قدميك،
وأن أرتوي منك حتى يفيض ما فيَّ إلى الآخرين،
وأحيا فيك ومعك
لكي لا أعطش.

يا مَنْ تعرف عطشي قبل أن أنطق به،
وتعرف جوعي للأمان، واحتياجي للحبِّ،
أنت تعلم كم تعبتُ وأنا بعيدٌ عنك.
خُذني إلى قلبك، واسقني من مائك الحي
لكي لا أعطش.

أَعطِني ماءً لا ينفد،
وسلامًا لا يتزعزع،
وحبًّا مُشبعًا،
ومعنًى هادفًا مُحييًا
لكي لا أعطش.

حرِّرني من التعلُّق بكلِّ ما هو زائل،
وقدِّس رغباتي،
واشفِ جروحي الداخلية،
واملأ قلبي بروحك القدوس
لكي لا أعطش.

إن عطشتُ للحبِّ، فكن أنت حبِّي؛
وإن عطشتُ للأمان، فكن أنت ملجأي؛
وإن عطشتُ للفرح، فكن أنت سروري؛
وإن عطشتُ للحياة، فكن أنت حياتي
لكي لا أعطش أبدًا.
آمين.

****

صوم المسيح وأدوية الخلاص

للقدِّيس يوحنا ذهبي الفم

[لهذا قد صام الربُّ ليس كأنه محتاجٌ للصوم بل ليُعلِّمنا. فحيث إنَّ خطايانا القديمة السابقة للمعموديَّة قد نشأت من التعبُّد للبطن، وكما أنه إذا شفى أحدٌ إنسانًا مريضًا وجعله معافًى، يأمره بالامتناع عن تلك الأمور التي تسبَّبت في المرض؛ هكذا، ولهذا السبب بالذات، قد بادر الربُّ بالصوم بعد معموديته. فإنَّ آدم بسبب عدم انضباط بطنه قد أُخرج من الفردوس، وهذه الرذيلة أيضًا هي التي تسبَّبت في الفيضان أيام نوح، وأيضًا في نزول نار من السماء على سدوم. فمع أنَّ أهل سدوم كانوا مُدانين بالزنا، إلَّا أن أصل كلِّ العقوبات ينشأ من هنا (أي من التعبُّد للبطن)، الأمر الذي نوَّه عنه حزقيال قائلًا: «لَكِنْ هَذَا هُوَ إِثْمُ سَدُومَ: الْكِبْرِيَاءُ؛ كَانَتْ تَتَنَعَّمُ بِشِبَعِ الْخُبْزِ وَبِالرَّخَاءِ» (حز ١٦: ٤٩ حسب السبعينيَّة). وهكذا اليهود أيضًا اقترفوا أعظم الشرور وانجرفوا للإثم بسبب السُّكْر والتلذُّذ بالأطعمة (خر ٣٢: ٦). فلهذا السبب بالذات قد صام الربُّ أربعين يومًا مُظهِرًا لنا **أدوية الخلاص**].

(عظة ١٣ في تفسير مت ٤: ٢)

****



بمناسبة تذكار
الصليب المقدَّس

الصَّليب شجرة الحياة

للقدِّيس كيرلُّس الأورشليمي

(٣١٥ – ٣٨٧)

العظة الثَّالثة عشرة للمُستنيرين

(المُهيَّئين للمعموديَّة)[١]

- **«يَا رَبُّ، مَنْ صَدَّقَ خَبَرَنَا؟ وَلِمَنِ اسْتُعْلِنَتْ ذِرَاعُ الرَّبِّ؟ مِثْلُ خَرُوفٍ سِيقَ لِلذَّبْحِ» (إش ٥٣: ١، ٧).**

عظيمٌ هو فخرنا بالصَّليب:

١٣: ١ فخر الكنيسةِ الجامعةِ هو كلُّ عملٍ ليسوع، وأمَّا فخر المفاخِر فهو الصَّليب. ولمَّا عَلِمَ بولسُ (الرَّسول) هذا قال: «وَأَمَّا مِنْ جِهَتِي، فَحَاشَا لِي أَنْ أَفْتَخِرَ إِلَّا بِصَلِيبِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (غل ٦: ١٤). فإنَّه كان أمرًا عجيبًا أن يُبصرَ الأعمى منذ وِلادته في سِلوام (يو ٩: ٨)؛ لكن ما هذا قياسًا بكلِّ عُميانِ المسكونة؟ كان أمرًا عظيمًا وفوق الطَّبيعة أنْ يُقامَ لعازرُ الَّذي له أربعة أيَّامٍ (يو ١١: ٣٤)؛ لكن هذه النِّعمة كانت للعازر وحده. فما هذا قياسًا بكلِّ الَّذين قد ماتوا في المسكونة بالخطايا؟ وكان أمرًا عجيبًا أن تُنبع خمسةُ أرغفةٍ طعامًا للخمسةِ آلاف (مت ١٤: ٢١)؛ لكن ما هذا قياسًا بالجائعين بالجهل في كلِّ المسكونة؟ وكان أمرًا عجيبًا أن تُحلَّ الَّتي كانت مقيَّدةً منذ ثماني عشرة سنةً من الشَّيطان (لو ١٣: ١٠ – ١٧)؛ لكن ما هذا قياسًا بنا جميعًا نحنُ المُقيَّدين بسلاسلِ خطايانا؟ أمَّا إكليلُ الصَّليب فقد أنار العميان الَّذين في الجهل، وحلَّ جميعَ الَّذين كانوا ممسوكين تحت الخطيَّة، وفدى عَالَمَ البشرِ كلَّه.

---

(١) العظة الثَّالثة عشرة للقدِّيس كيرلُّس الأورشليمي (٣١٥ – ٣٨٧م) هي إحدى عظاته الثَّمانية عشرة للموعوظين المُستنيرين المُرشَّحين للمعموديَّة، وقد أُلقيت في كنيسة القبر المقدَّس؛ وتُرجمت الفقرات ١ – ٤؛ ١٩ – ٢١ عن النَّصِّ اليونانيِّ المنشور في:

Cyrilli Hierosolymorum, Catecheses ad illuminandos 1-18, ΒΕΠ 39, 50-105; PG 33, 771-822; (CPG 3585). See also: NPNF2, 7, pp. 82-93; FC, 64, pp. 4-31; Library of Fathers of the Holy Catholic Church vol. II, pp. 142-164.

بالصَّليب ننال الحياة:

١٣: ٢ ولا تتعجَّب إن كان العالم كلُّه قد افتُدي، لأنَّه لم يكن المصلوب إنسانًا مجرَّدًا، بل كان ابنَ الله الوحيد، الَّذي مات من أجلنا. لقد كانت خطيَّةُ إنسانٍ واحد، أيْ آدم، قادرةً أنْ تُدخِل الموت إلى العالم. فإن كان بالمُخالفة الَّتي لواحدٍ قد مَلَكَ الموت في العالم، فكم بالأولى بالبرِّ الَّذي للواحد تملك الحياة (رو ٥: ١٧)؟ وإنْ كانوا آنذاك قد طُردوا من الفردوس بسبب الأكل من الشَّجرة (تك ٣: ٢٢، ٢٣)، أفلا يكون المؤمنون الآن، بسبب شجرة يسوع، يدخلون إلى الفردوس بسهولةٍ أعظم؟ وإنْ كان المجبول الأوَّل من الأرض قد جلب موتًا على المسكونة (تك ٢: ١٧)، أفلا يكون الَّذي جَبَلَه من الأرض يُقدِّم الحياة الأبديَّة، إذ هو نفسه الحياة (يو ١٤: ٦)؟ وإن كان فينحاس، إذ غار وقتل فاعل القُبح، قد أوقف غضبَ الله (عد ٢٥: ٨ – ١١)، أفلا يكون يسوع، إذ لم يقتل آخر، بل سلَّم نفسه فديةً، يُزيل الغضب عن البشر (١تي ٢: ٦)؟

كلمة الصَّليب هي قوَّة الله:

١٣: ٣ فلا نخجلْ إذًا الآن من صليب المخلِّص، بل بالأحرى نفتخر به. لأنَّ كلمة الصَّليب هي عند اليهود عثرة، وعند الأُمم جهالة؛ وأمَّا عندنا فهي خلاص. وهي عند الهالكين جهالة؛ وأمَّا عندنا نحن المُخلَّصين فهي قوَّة الله (١كو ١: ١٨، ٢٣، ٢٤). لأنَّ الَّذي مات لأجلنا لم يكن مجرَّد إنسانٍ، كما قيل، بل كان ابنَ الله، إلهًا مُتجسِّدًا. ثمَّ إنْ كان الحَمَل الَّذي في أيَّام موسى قد طَرَد المُهلِك بعيدًا (خر ١٢: ٢٣)، أفلا يكون حَمَل الله، الَّذي يرفع خطيَّة العالم (يو ١: ٢٩)، بالأحرى جدًّا قد حرَّرنا من خطايانا؟ وإنْ كان دمُ حَمَلٍ غيرِ عاقلٍ قد منح الخلاص، أفلا يكون دمُ الابن الوحيد يُخلِّصنا بالأحرى جدًّا (١بط ١: ١٨، ١٩)؟ إنْ كان أحدٌ لا يؤمن بقوَّة المصلوب، فليسأل الشَّياطين! وإنْ كان أحدٌ لا يؤمن بالكلمات، فليؤمن بالأفعال الظَّاهرة...

الصَّليب شاهدٌ على موت المسيح:

١٣: ٤ تألَّم يسوع، إذًا، آلامًا حقيقيَّة لأجل جميع النَّاس. لأنَّ الصَّليب لم يكن مجرَّد وَهْمٍ، وإلَّا لكان الفداء أيضًا وَهْمًا. فالموت لم يكن خياليًّا، وإلَّا لكان الخلاص قصَّةً أسطوريَّةً. فلو كان الموت خياليًّا، لكانوا صادقين أولئك الَّذين قالوا: «قَدْ تَذَكَّرْنَا أَنَّ ذلِكَ الْمُضِلَّ قَالَ وَهُوَ حَيٌّ: إِنِّي بَعْدَ ثَلاَثَةِ أَيَّامٍ أَقُومُ» (مت ٢٧: ٦٣). فالآلام حقيقيَّة، لأنَّه قد صُلِب (الرَّبُّ) حقًّا، ونحن لا نخجل. صُلِب، ونحن لا نُنكر، بل بالأحرى نفتخر بهذا القول. فلو أنكرتُ الآن، لكانت هذه الجلجثة توبِّخني، حيث نحن جميعًا حاضرون قريبًا منها

الآن[٢]. وتوبِّخني خشبة الصَّليب الَّتي وُزِّعت قِطَعًا صغيرة من هنا إلى المسكونة كلِّها.

أعترف بالصَّليب لأنَّني أعرف القيامة. فلو كان المصلوب بَقِيَ في الموت، لَما كنتُ أعترف به مثل الآن، بل لكنتُ قد أخفيتُ الأمر إذ هو معلِّمي. أمَّا وقد أتت القيامةُ بعد الصَّليب، فلا أخجل وأنا أروي خبره.

نبوَّات من العهد القديم عن الصَّليب:

١٣: ١٩ حينما أتأمَّل أمور الفردوس، أتعجَّب حقًّا من صحَّة الرُّموز: ففي الفردوس كان السُّقوط، وفي البستان (جثسيماني) كان الخلاص. من الشَّجرة كانت الخطيَّة، وبمجيء شجرة الصَّليب زالت الخطيَّة. عند المساء، حين كان الرَّبُّ يتمشَّى، اختبأوا (تك ٣: ٨)، وعند المساء أيضًا دخل اللِّصُّ إلى الفردوس بواسطة الرَّبِّ (لو ٢٣: ٤٣). ولكن قد يقول لي أحد: أنت تُجمِّلُ الكلمات، أرِني نبيًّا تكلَّم عن خشبة الصَّليب. إن لم تُقدِّم شهادةً من نبيٍّ، فلن أقتنع. فاسمع إذًا من إرميا، وكُن مؤمنًا: «أَمَّا أَنَا فَكَخَرُوفٍ بِلَا شَرٍّ يُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ، أَلَمْ أَعْلَمْ؟» (إر ١١: ١٩ س). فاقرأها هكذا على صيغة سؤال كما قلتُ. فإنَّ الَّذي قال: «تَعْلَمُونَ أَنَّهُ بَعْدَ يَوْمَيْنِ يَكُونُ الْفِصْحُ، وَابْنُ الإِنْسَانِ يُسَلَّمُ لِيُصْلَبَ» (مت ٢٦: ٢)، أفما كان يعلم؟ «أَمَّا أَنَا فَكَخَرُوفٍ بِلَا شَرٍّ يُسَاقُ إِلَى الذَّبْحِ، أَلَمْ أَعْلَمْ؟» (إر ١١: ١٩ س)، أيُّ خروفٍ؟ فليُفسِّرْ يوحنَّا المعمدان قائلًا: «هُوَذَا حَمَلُ اللهِ الَّذِي يَرْفَعُ خَطِيَّةَ الْعَالَمِ!» (يو ١: ٢٩).

«إِنَّهُمْ تَشَاوَرُوا عَلَيَّ مَشُورَةً رَدِيئَةً، قَائِلِينَ: ...». الَّذي يعرف الأفكار وما سيؤول إليه الأمر، أمَا كان يعلم؟ وماذا قالوا؟ «تَعَالَوْا لِنَضَعْ خَشَبَةً فِي خُبْزِهِ». إنْ حَسَبَكَ الرَّبُّ مستحقًّا، ستتقدَّم وتفهم أنَّ جسده، بحسب الإنجيل، كان يحمل رمز الخبز. «تَعَالَوْا لِنَضَعْ خَشَبَةً فِي خُبْزِهِ، وَلْنَسْتَأْصِلْهُ مِنْ أَرْضِ الْأَحْيَاءِ». إنَّه هو الحياة الَّتي لا تفنى. فلماذا تتعبون باطلاً؟ «فَلَا يُذْكَرَ اسْمُهُ بَعْدُ» (إر ١١: ١٩). باطلةٌ هي مشورتكم، لأنَّ اسمه باقٍ في الكنيسة ما دامت الشَّمس. ولأنَّ الحياة هي الَّتي عُلِّقت على الخشبة، يقول موسى مُنتحِبًا: «وَتَكُونُ حَيَاتُكَ مُعَلَّقَةً أَمَامَ عَيْنَيْكَ، فَتَخَافُ نَهَارًا وَلَيْلًا وَلَا تَأْمَنُ عَلَى حَيَاتِكَ» (تث ٢٨: ٦٦). وكذلك ما قُرئ آنفًا: «يَا رَبُّ مَنْ صَدَّقَ خَبَرَنَا» (إش ٥٣: ١)!

١٣: ٢٠ هذا الرَّمز أتمَّه موسى حين صلَبَ الحيَّة، لكي إذَا لُدِغَ أحدٌ من الحيَّة (المُحرقة)

(٢) يقصد القدِّيس كيرلُّس أنَّهم في أورشليم، حيث كان صليب المسيح موجودًا.

الَّتي تحيا بينهم ونظر إلى الحيَّة النُّحاسيَّة يخلُص بالإيمان (عد ٢١: ٩). فإن كانت حيَّةٌ من نُحاسٍ مصلوبة تُخلِّص، فابنُ الله المُتجسِّد المصلوب، أَلَا يُخلِّص؟ دائمًا الحياةُ تكون بواسطة خشبة. ففي أيَّام نوح كان الإحياءُ بواسطة فُلْكٍ من خشب (تك ٧: ٢٣). والبحر، في أيَّام موسى، إذ رأى رمز العصا، خضع لمَنْ ضربه (خر١٤: ١٦–٢١). فهل تقوى عصا موسى ويعجز صليب المُخلِّص؟ وأتجاوزُ كثرةَ الرُّموز لأجل عدم التَّطويل. فالخشبة في أيَّام موسى حلَّت مرارة الماء (خر ١٥: ٢٥)، ومن جنب يسوع جرى الماء على خشبة (يو ١٩: ٣٤).

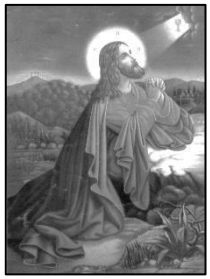
١٣: ٢١ بدايةُ الآيات في أيَّام موسى كانت دمًا وماءً، وآخرُ جميع آيات يسوع هو الأمرُ نفسُه. في البدء حوَّل موسى النَّهرَ إلى دم (خر ٧: ٢٠)، أمَّا يسوع ففي النِّهاية أخرج من جنبه ماءً مع دمٍ (يو ١٩: ٣٤). ولعلَّ ذلك لأجل الصَّوتَين: صوت الحاكم وصوت الصَّارخين، أو لأجل المؤمنين وغير المؤمنين. فبيلاطس كان يقول: «أنا بريء»، وكان يغسل يديه بالماء، أمَّا الصَّارخون فكانوا يقولون: «دمه علينا» (مت ٢٧: ٢٤). فكان الاثنان خارجَيْن من الجنب: الماءُ ربَّما للحاكم، وأمَّا الصَّارخون فلهم الدَّم.

ويمكن أنْ يُفهَم هذا أيضًا على وجهٍ آخر: لليهود الدَّم، وللمسيحيِّين الماء. لأنَّ لهؤلاء، بوصفهم متآمرين، كانت الإدانةُ لهم من الدَّم؛ وأمَّا لكَ أنت أيُّها المؤمن الآن فالماء للخلاص. إذ لم يحدث شيءٌ عبثًا.

وقد أعطى آباؤنا المُفسِّرون سببًا آخر لهذا الأمر: إذ إنَّ لقوَّة المعموديَّة الخلاصيَّة في الأناجيل وجهَيْن: أحدهما يُمنَح للمُستنيرين بالماء، والآخر للقدِّيسين الشُّهداء في أزمنة الاضطهاد بدمهم الخاصِّ. لذلك خرج من الجنب الخلاصيِّ دمٌ وماء، مُثبِّتَين النِّعمة الَّتي تكون لأجل المسيح في الاعتراف، سواء في الاستنارة (المعموديَّة) أو في أوقات الشَّهادة.

وهناك سببٌ آخر للجنب: المرأةُ الَّتي صُنِعت من جنب آدم صارت مبتدِئة الخطيَّة. أمَّا يسوع، إذ جاء ليمنح الغفران معًا للرِّجال والنِّساء، فقد طُعِن جنبه لأجل النِّساء، لكي يحلَّ الخطيَّة.





«لِتَكُنْ مَشيئَتُكَ»

(مت ٦: ١٠)

• **«ولَكِنْ لِتَكُنْ لا إِرَادَتِي بَلْ إِرَادَتُكَ» (لو ٢٢: ٤٢).**

تمهيد:

إنَّ إدراك الإنسان الحكيم لحقيقة قُدرة الله غير المحدودة، وحكمته وصلاحه اللانهائيَّين، وإيمانه بأنَّ الله هو ضابط الكلّ الذي لا يَعْسُر عليه أمرٌ: «قَدْ عَلِمْتُ أَنَّكَ تَسْتَطِيعُ كُلَّ شَيءٍ، وَلا يَعْسُرُ عَلَيْكَ أَمرٌ» (أي ٤٢: ٢)، وأنَّه في صلاحه لا يشاء موت الإنسان، بل يريد أنَّ جميع الناس يَخلُصون وإلى معرفة الحَقِّ يُقبِلون (انظر: ١تي ٢: ٤)؛ فإنَّ هذا القَدْر من الإدراك والإيمان واليقين بالله، كفيلٌ بأنْ يجعل الإنسان يُسلِّم طواعيَّة، وبكلِّ سلاسة، كلَّ مفاتيح القيادة في حياته إلى يَدَيِّ الله الأمين والمُدبِّر، لكي يُرتِّب له مسيرته في هذه الحياة، ويقودها بنفسه، ويكون قائدًا له، وحاميًا وحارسًا ومُدبِّرًا لكلِّ صغيرة وكبيرة في حياته؛ فيُنجِح طريقه، ويَضمن له الفرح والنجاة والسلامة كلَّ أيام هذه الحياة.

ولكنَّ هذا الإيمان البسيط، في ظاهره، يَتطلَّب نوعًا حقيقيًّا من الجهاد الصادق والمُخلِص من الإنسان. فهو يحتاج إلى اعترافٍ كاملٍ من الإنسان بضعفه أمام الله، وبالتالي تنازُلًا إراديًّا عن مشيئته الخاصَّة، وتسليمها بالكامل – وبمُنتهى حرية الإرادة – إلى الله، بكلِّ الرِّضَى والثقة، مُتَمثِّلًا في ذلك بسيِّده، الربِّ يسوع، الابن وكَلمة الله، حينما خاطب الآب السماوي قائلًا: «وَلَكِنْ لِتَكُنْ لا إِرَادَتِي بَلْ إِرَادَتُكَ» (لو ٢٢: ٤٢).

ما هي مشيئة الله؟

يُعلن لنا الله بكلِّ وضوح في الكتاب المُقدَّس عن مشيئته الخلاصيَّة للإنسان، فيكتب بولس الرسول بالروح إلى تلميذه تيموثاوس ويقول: «الَّذِي يُرِيدُ أَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ يَخْلُصُونَ وَإِلَى مَعْرِفَةِ الْحَقِّ يُقْبِلُونَ» (١تي ٢: ٤). وبالطَبع فإنَّ هذا الخلاص يتحقَّق لكلِّ إنسانٍ يقبل

هذه المشيئة، ويستسلِم لتحقيقها في حياته، عِوَضًا عن الكبرياء والصَّلَف، ورَفْض هذه المشيئة، والإحجام عن قبول مشورة الله في حياته؛ كما فعل الفرِّيسيُّون، الذين لم يَتَّضعوا بفكرهم، ولم يقبلوا معموديَّة التَّوبة على يدَي يوحنا المعمدان، بل رفضوا مشورة الله من جهة أنفسهم (لو ٧: ٣٠)، فنالوا الغضب والويلات.

وفي صلاة الربِّ يسوع الوداعيَّة، نراه يُخاطب الآب السماوي قائلًا: «أُرِيدُ أَنَّ هَؤُلاَءِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي يَكُونُونَ مَعِي حَيْثُ أَكُونُ أَنَا، لِيَنْظُرُوا مَجْدِي الَّذِي أَعْطَيْتَنِي» (يو ١٧: ٢٤)، فهذه بالحقيقة هي مشيئة الربِّ لنا: أن نكون معه لنُعاين مجدَه أمام الآب، ونَنعم بميراث الحياة الأبديَّة، الذي وَعد به الربُّ كلَّ الذين يُحبُّونه وآمنوا به، وأَسلموا أنفسهم بين يديه.

وفي الصلاة السَّيِّديَّة التي علَّمنا الربُّ إياها نقول: «لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ كَمَا فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ عَلَى الأَرْضِ» (مت ٦: ١٠). ومشيئة الله العُظمى التي تمَّت على الأرض، وهي نفسها التي كانت في السماء، كانت أنْ يموت الابن على الصليب ويُخلِّص العالم. فهذه المشيئة التي كانت عند الآب واستُعلِنت على الأرض، قد أنشأت لنا الخلاص والغُفران والمُصالحة والحياة والمَسَرَّة وكلَّ صلاح وفرح الروح[١].

لذلك صار من الواجب علينا أنْ نطلب ونَلحَّ دائمًا من أجل إتمام هذه المشيئة في حياتنا، مُستمدِّين القوَّة على إتمامها من معونة الربِّ نفسه، الذي أسلم نفسه للموت، ومات على الصليب ليُحيينا، واثقين أنَّ تحقُّق هذه المشيئة في حياتنا – حتى ولو كان ذلك بالآلام والضيقات – سوف يؤول إلى خيرنا وسلامتنا، حسب قول بطرس الرسول بالروح: «فَإِذًا، الَّذِينَ يَتَأَلَّمُونَ بِحَسَبِ مَشِيئَةِ اللهِ، فَلْيَسْتَوْدِعُوا أَنْفُسَهُمْ كَمَا لِخَالِقٍ أَمِينٍ، فِي عَمَلِ الْخَيْرِ» (١بط ٤: ١٩). كما يؤكِّد لنا سِفْر أعمال الرُّسل حتميَّة النَّجاة والسلامة بقبولنا لمشيئة الله والتسليم لها، حيث كُتِبَ بالروح: «سَلَّمْنَا، فَصِرْنَا نُحْمَلْ» (أع ٢٧: ١٥).

وفي شرحِه لطِلبَة "لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ" الواردة في الصلاة السَّيِّديَّة، يكتب جرجس بن المكين ما يلي: [فإذا كانت مشيئته تتضمَّن سائر المراحم والفضائل، فطِلبتنا مشيئَته يَندرج فيها طلب العَوْن على جميع الفضائل، ورَدع الأعداء الظاهرة والخفيَّة][٢].

---

(١) انظر كتاب: "الله واحد مع شرح: أبانا الذي في السموات"، للأب متى المسكين، ص ١٥.

(٢) "شرح الصلاة السَّيِّدية"، للقدِّيس كيرلس الإسكندري وجرجس بن المكين، ترجمة د. جوزيف موريس، ص ١٦٨.

أمَّا القدِّيس كيرلس الإسكندري فيَتحدَّث، عند شرحه لمعنى "لِتكُنْ مَشِيئَتُكَ"، عن ضرورة طلب مشيئة الله وقبولها، لأنَّ فيها يَكمُن سرُّ نجاتنا، فيقول: [... فنحن نؤكِّد أنَّ الملائكة القدِّيسين، إذ يصنعون مشيئة الله، فإنهم يُقيمون في مَجد السماء لأنَّه مكتوب: «بَارِكُوا الرَّبَّ يَاجَمِيعَ قُوَّاتِهِ، خُدَّامَهُ الْعَامِلِينَ مَشِيئَتَهُ» (مز ١٠٢: ٢١س). لأنَّهم بالتزامهم بمشيئة سيِّدهم وبِتتميمهم البرَّ الذي يفوق الأمور البشريَّة، يَحفظون رُتبَهم العالية، وأمَّا أولئك الذين فعلوا بخلاف ذلك فقد سقطوا من رُتبتهم][٣].

كيف نصل إلى القُدرة على التسليم لمشيئة الله وقبولها وطلَبها؟

هناك أمران هامان علينا إدراكهما، وبدونهما لنْ نقدر على قبول مشيئة الله في حياتنا برضى وفرح، أو طلبها بإلحاح، كما علَّمنا الربُّ أن نَطلبها في الصلاة السَّيِّديَّة بقولنا: "لِتَكُنْ مَشِيئَتُكَ" (مت ٦: ١٠). وهذان الأمران هما:

أولا: الإيمان:

تقدَّم مرَّةً رجلٌ أبْرَص إلى الربِّ يسوع، وخرَّ على وجهه قائلًا: «يَا سَيِّدُ، **إِنْ أَرَدْتَ** تَقْدِرْ أَنْ تُطَهِّرْنِي. فَمَدَّ يَدَهُ وَلَمَسَهُ قَائِلًا: **أُرِيدُ فَاطْهُرْ**. وَلِلْوَقْتِ ذَهَبَ عَنْهُ الْبَرَصُ» (لو ٥: ١٢،١٣). فهذا الإنسان كانت له ثقة عظيمة في قُدرة الربِّ يسوع على شفائه، فتقدَّم بقلبٍ خاشعٍ مُنكسرٍ ساجدًا له، وبكلِّ شجاعة الإيمان والثقة، مع الإجلال والخشوع لشخص الربِّ، سأله وهو مُعترفٌ بقدرته، إنْ كان يريد أن يَشفيه فليفعل! وكان كَمَنْ يدعو الربَّ يسوع ويُحفِّزه على إعلان مشيئته الصالحة له مقابل إيمانه واتِّضاعه، فنال منه ما أراده.

ومَرَّةً أخرى، جاء إلى الربِّ يسوع رجلٌ ومعه ابنه الصبيُّ، وكان عليه روحٌ نَجسٌ أخرَسُ وأَصمُّ، فقال للربِّ: «إِنْ كُنْتَ تَسْتَطِيعُ شَيئًا فَتَحَنَّنْ عَلَينَا وأَعِنَّا. فَقَالَ لَهُ يَسُوعُ: إِنْ كُنْتَ تَسْتَطِيعُ أَنْ تُؤْمِنَ. كُلُّ شَيءٍ مُسْتَطَاعٌ لِلْمُؤْمِنِ. فَلِلْوَقْتِ صَرَخَ أَبُو الْوَلَدِ بِدمُوعٍ وَقَالَ: أُومِنُ يَا سَيِّدُ، فأَعِنْ عَدَمْ إِيمَانِي ... فَأَمْسَكَهُ يَسُوعُ بِيَدِهِ وَأَقَامَهُ، فَقَامَ» (مر ٩: ٢٢ – ٢٧). فقوَّة الإيمان، إذن، هي القوَّة الدافعة للإنسان لكي يترك كلَّ شيء في يدَيِّ الله القويَّة، وأنْ يَطلب مشيئته، مُتخلِّيًا عن مشيئته الخاصة، ومُتجاوزًا لمخاوفِه، عالمًا بمَن آمن (انظر: ٢تي ١: ١٢).

ونحن أيضًا كثيرًا ما نَتقدَّم إلى الله مُعلِنين القبول بمشيئته، والتسليم القلبي لها؛ ولكن لا

(٣) المرجع السابق، ص ١٣٢ – ١٣٣.

يُمكن أنْ يتمَّ ذلك بدون إيمانٍ صادقٍ وحقيقي، أو ثقةٍ مُطلَقة بأنَّنا محفوظون تحت يد الله القويَّة، ومُظلَّلون بحمايته ورحمته ومحبَّته ونِعمته، كما يقول المُرنِّم في المزمور: «إِنْ نَزَلَ عَلَيَّ جَيْشٌ لا يَخَافُ قَلْبِي. إِنْ قَامَتْ عَلَيَّ حَرْبٌ. فَفِي ذَلِكَ أَنَا مُطْمَئِنٌّ» (مز ٢٧: ٣). ذلك لأنَّ قوَّة الإيمان ومصداقيته تُمثِّل العلامة الكاشفة عن مدى صِدق تسليمنا لمشيئة الله في حياتنا. فهذا التسليم المبني على الإيمان لا بدَّ أنْ يُثمر فينا سلامًا قلبيًّا، لا تَقدر أحزان وآلام هذا الدهر أنْ تَهزَّه. ولا ننسى أنَّ التلاميذ – رغم وجود الربِّ معهم في السفينة – قد انزعجوا وخافوا من هياج البحر وعنف الرياح والأمواج، فصرخوا إلى الربِّ. فلمَّا قام الربُّ وانتهر الريح والبحرَ، وبَّخَهم على ضعف إيمانهم، لأنَّ هذا الأمر لا يستقيم أو يَتَّفق مع أُناسٍ قد سلَّموا أنفسهم وحياتهم لمشيئة الله القادر أنْ يُنجِّيهم من الموت؛ بل بالحري كان يجب أنْ يسود سلام الله الذي يفوق العقول على قلوبهم – خاصة مع وجود الربِّ يسوع في وسطهم – بعد ما ألقوا برجائهم على الإله الحيِّ.

ويؤكِّد لنا القدِّيس باخوميوس أهمية الثقة والإيمان والتسليم لمشيئة الله، والاتِّكال عليه للنجاة من الشدائد، بقوله: "يا بُنيَّ إذا جعلتَ تَوَكُّلَك على الله فإنَّه يصير لك ملجأ ويُخلِّصك من جميع شدائدك"[٤].

ثانيًا: الاتِّضاع وقَطْع المشيئة الخاصة (إنكار الذات):

لقد أعطى الربُّ يسوع لنا المثال العظيم للإخلاء والاتِّضاع، كما يظهر لنا ذلك في صلاته إلى الآب السماوي؛ فبرغم كَوْنه الابن والكلمة المُتجسِّد، وله السلطان الكامل على ذاته ونفسه، بحسب قوله: «لِي سُلْطَانٌ أَنْ أَضَعَهَا وَلِي سُلْطَانٌ أَنْ آخُذَهَا أَيْضًا» (يو ١٠: ١٨)؛ فقد صلَّى إلى الآب قائلًا: «وَلَكِنْ لِتَكُنْ لا إِرَادَتِي بَلْ إِرَادَتُكَ» (لو ٢٢: ٤٢)، وأيضًا: «فَلْتَكُنْ مَشِيئَتُكَ» (مت ٢٦: ٤٢)، كما يكتب بولس الرسول عنه بالروح: «مَعَ كَوْنِهِ ابْنًا تَعَلَّمَ الطَّاعَةَ مِمَّا تَأَلَّمَ بِهِ» (عب ٥: ٨).

والربُّ بهذا يُبرِز لنا بجلاء مدى خضوعه لمشيئة الآب السماوي، ليكون هو سبيلنا نحن أيضًا في الحياة، إذ يَلزم أنْ نَتخلَّى تمامًا عن مشيئتنا الخاصة كشرطٍ مُطلَق لإفساح المجال لإتمام مشيئة الله الصالحة في حياتنا وإتمام خلاصنا، دون أيِّ اعتماد على برِّنا الذاتي أو قُدراتنا الشخصيَّة، والربُّ يسوع يُعلِّمنا بذاته كيف نَخضع للآب السماوي مثلما صَنع هو،

(٤) "بستان الرهبان"، تحقيق أنبا إبيفانيوس، قول ٧٧، ص ٥٨.

حينما يقول: «لأَنِّي قَدْ نَزَلْتُ مِنَ السَّمَاءِ، لَيسَ لِأَعْمَلَ مَشِيئَتِي، بَلْ مَشِيئَةَ الَّذِي أَرْسَلَنِي» (يو ٦: ٣٨)، لأنَّ عدم خضوعنا لمشيئة الله وعدم إنكارنا لذواتنا سوف يقف حائلًا أمام الله من أجل إتمام مشيئته لخلاصنا. وسنكون حينئذٍ، كَمَن يُكرِم الله بشفتيه ولكن قلبه مُبتَعدٌ عنه بعيدًا، وغير مُستَسلِم لمشيئته بالفعل؛ وذلك إمَّا بسبب عثرة الذَّات وكبرياء القلب والثِّقة الزائدة بالنَّفس، أو بسبب ضعف الإيمان والثِّقة في الله.

فالله لا يُكَمِّل عمله، ويُتَمِّم مشيئته في القلب المُنقسِم وغير المُتَّضع، أو للإنسان غير المُستَسلِم له بإيمانٍ واثق في قُدرته، ولا يُظهِر قوَّته ومعونته لإنسانٍ لا يَعترف بضعفه، ويَغلب ذاته **ويَقبل مشيئه الربِّ**، واثقًا أنَّ الله قادرٌ أن يُشبعه من جوده، ويُنجِّي نفسه، ويُظلِّله برحمته كلَّ أيام حياته.

هل تسليم المشيئة لله يعني إلغاء حُرِّيَّة الإنسان؟

إنَّ الحرِّيَّة الحقيقيَّة التي وهبها الله للإنسان تَتمثَّل في عِتقِنا مِن عبودية إبليس وسلطانه علينا، وفي تحريرنا من سلطان الخطيَّة وحُكم الموت الذي ساد علينا؛ وذلك بقوَّة الفداء الذي أَتَمَّه ابن الله المُتجَسِّد على الصليب من أجلنا، وبقيامته المجيدة التي أوهبت لنا الحرية والحياة الجديدة. تلك الحرية التي يَشهد عنها الربُّ يسوع، ويُخاطبنا بها قائلًا: «فَإِنْ حَرَّرَكُمُ الابْنُ فَبِالْحَقِيقَةِ تَكُونُونَ أَحْرَارًا» (يو ٨: ٣٦). فبهذا الفداء العظيم بالدم الثمين – دَمِ المسيح – لم نَعُدْ فيما بعد عبيدًا للشيطان أو للخطيَّة، ولم يَعُدْ للموت سلطانٌ علينا، بل صِرنا أحرارًا كأبناء لله الحيِّ، ووارثين للملكوت، عالمين أنَّنا اشتُرِينا بثمنٍ باهظٍ، دمِ حَمَلٍ بلا عَيب، دَمِ المسيح؛ وذلك لكي نعمل، لا مشيئتنا بل مشيئته، لنَستَحِقَّ خلاصه، كقول بولس الرسول بالروح: «قَدِ اشْتُرِيتُمْ بِثَمَنٍ. فَمَجِّدُوا اللهَ فِي أَجْسَادِكُمْ وَفِي أَرْوَاحِكُمُ الَّتِي هِيَ للهِ» (١كو ٦: ٢٠).

فإن كُنَّا قد عَلِمنا – سابقًا – أنَّ مشيئة الله هي خلاصنا ونَيْلنا الحياة الأبديَّة، فمن اليسير علينا أنْ نُدرِك أنَّ مشيئة الله قد وهبتنا هذه الحرية وهذا الفداء، لكي لا نستخدمهما لاحِقًا فيما كان سببًا في موتنا وعُبوديتنا للشيطان، ولأركان هذا العالم الزائل، بل بالحري لكي نسلك بمُقتضى هذه الحريَّة المُقدَّسة: "حرِّية مجد أولاد الله"، غير مُرتَبِكين بنِير عبوديَّة للخطيَّة، بل مُستأسرين كلَّ فكر لطاعة المسيح (انظر: ٢كو ١٠: ٥)، مُنقادين بروح الله كما يليق بأولاد الله، خاضعين تحت يد الله القوِّيَّة، بتسليم كلِّ المشيئة له. عالمين أنَّنا إذ قد عُتِقنا من الخطيَّة، فقد صرنا عبيدًا للبرِّ (انظر: رو ٦: ١٢)، وذلك كما يكتب لنا بطرس الرسول:

«كَأَحْرَارٍ، وَلَيْسَ كَالَّذِينَ الْحُرِّيَّةُ عِنْدَهُمْ سُتْرَةٌ لِلشَّرِّ، بَلْ كَعَبِيدِ اللهِ» (١بط ٢: ١٦).

فنحن، بمعونة الروح القدس، وكأبناء للحُرِّيَّة المُقدَّسة التي وهبنا المسيح إيَّاها، نَقدِر أنْ نُسلِّم نفوسنا وحياتنا – باختيارنا الحرّ – بين يَدَيِّ الله، حتى نضمن معونته لنا في إتمام خلاصنا، بالحياة المَرْضيَّة أمامه. فالتسليم لمشيئة الله ليس هو **قوَّةً سالبةً** للإرادة الإنسانيَّة، بل هو **نِعمةٌ إيجابيَّةٌ** مُقدِّسة لهذه الإرادة، من أجل إكمال خلاصنا بخوفٍ ورعدةٍ، من قِبَل ثقتنا في إلهنا الحيّ، فـ «كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ لا يُخْزَى (رو ٩: ٣٣).

****

افتقر لأجلنا لكي يُغنينا بفقره

للقدِّيس كيرلس الكبير

[الذي هو ابنٌ بحسب الطبيعة
قد صار مُشابهًا لنا وأَخَذَ شكل العبد (في ٢: ٧)،
ليس لكي يدوم معنا في حال العبوديَّة؛
بل لكي يُحرِّرنا (يو ٨: ٣٦) نحن المربوطين بنِير العبوديَّة،
ويُغنينا بالأشياء التي له.
فإننا به ومعه قد دُعينا أبناءً (لله)،
لأنه اشترك في فقرنا وهو غنيٌّ،
لكي يرفع طبيعة الإنسان إلى غناه الخاص به (١كو ٨: ٩) ...
لقد رأينا الشيطان ساقطًا،
ذلك الجبَّار رأيناه مذلولًا،
ذلك الذي كان مسجودًا له رأيناه بلا كرامة،
ذلك الذي حاول أن يختطف الأُلوهة رأيناه تحت أقدام القدِّيسين؛
إذ إنهم أخذوا سلطانًا أن ينتهروا الأرواح النجسة (مت ١٠: ١).
وهذا امتيازٌ فائق لطبيعة البشر وخاص بالله وحده الفائق الكل.
وقد صار الكلمة الظاهر في الشكل البشري
بدءًا لنا في هذه أيضًا، إذ كان ينتهر الأرواح النجسة].

(شرح لوقا ١٠: ٢٣ و٢٤)

****

بحث تاريخي

أهم أديرة وكنائس القدِّيس يحنس القصير في مصر

(١)

الأستاذة الدكتورة/ شيرين صادق الجندي
أستاذ الإرشاد السياحي والآثار والفنون القبطيَّة
بكلية الآداب – جامعة عين شمس

القدِّيس يحنس القصير:

هو واحدٌ من أهم الآباء الرهبان في تاريخ الكنيسة القبطيَّة الأرثوذكسيَّة. ويُعرف القدِّيس يحنس القصير بعدَّة أسماء أخرى[١] مثل: القدِّيس يوأنس القصير، ويؤنس، والأنبا يوحنا القصير، والأنبا يوأنس القصير، و Saint John Colobus, Saint John the Duarf, Saint John the Little. وقد عاش يحنس القصير في بريَّة شيهيت في القرن الرابع الميلادي، ولا يجب الخلط بينه وبين الأنبا يوأنس قمص شيهيت الذي عاش في القرن السابع الميلادي. كما لا ينبغي الخلط بينه وبين القدِّيس يحنس كاما الذي عاش في القرن التاسع الميلادي.

وُلِدَ يحنس القصير في عام ٣٣٩م تقريبًا في أُسرة فقيرة عاشت في طيبة بمصر العُليا. وكان له أخٌ أصبح هو الآخر فيما بعد راهبًا. وعندما بلغ يحنس القصير عامه الثامن عشر، ذهب إلى القدِّيس بموا، والذي ألبسه الإسكيم في سنة ٣٥٧م، ليبدأ حياة الرهبنة والنُّسك والزُّهد في مرحلة مُبكِّرة من حياته. وبعد عدَّة سنوات، وبالأخص بعد نياحة القدِّيس الأنبا بموا، تمَّت سيامة يوحنا القصير قسًّا أثناء زيارة البابا ثيئوفيلس البطريرك رقم ٢٣ (٣٨٥ – ٤١٢م) للبريَّة. وفيما بعد، اختار الآباء الرهبان الشيوخ يحنس القصير ليصبح مُرشدًا للقدِّيس أرسانيوس مُعلِّم أولاد الملوك (٣٥٠ – ٤٤٥م). ويُعتبَر القدِّيس يحنس القصير الأخ الروحي للقدِّيس الأنبا بيشوي. وكان يوحنا القصير متواضعًا ومُحبًّا للآخرين، ومُتعاونًا معهم لمساعدة الفقراء والمحتاجين. كما كان لا يتوقَّف أبدًا عن التأمُّل والصلوات والعمل اليدوي.

وقد تنيَّح القدِّيس يحنس القصير يوم ٢٠ بابة سنة ٤٠٩م تقريبًا، بعد أن بلغ عامه

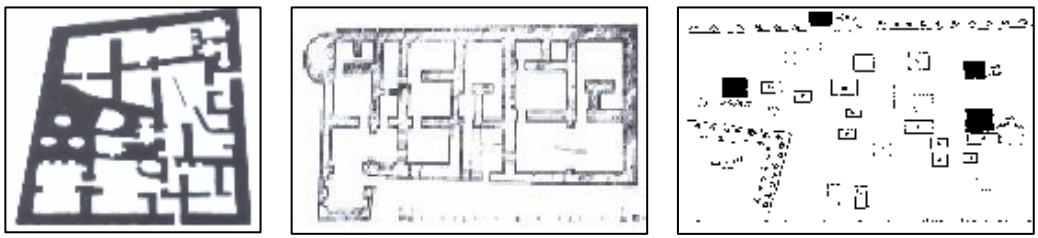
---

(١) الراهب القمص سمعان السُّرياني، *"سيرة وأقوال يحنس القصير"*، بريَّة شيهيت، ١٩٨١.

السبعين، وظهرات معجزاته الكثيرة بعد ذلك. وتمَّ نقل جسده إلى دير جبل القلزم، ثم أُعيد إلى دير القدِّيس الأنبا مقار، إلى أن تمَّ وضع هذا الجسد في دير القدِّيس يحنس، والذي تخرَّب واندثر فيما بعد. لذا قام الرهبان بإعادة جسده مرة أُخرى في دير القدِّيس الأنبا مقار في وادى النطرون. وتحتفل الكنيسة القبطيَّة الأرثوذكسيَّة سنويًّا بعيد القدِّيس الأنبا يحنس القصير يوم ٢٠ بابة، وهو يوم نياحته. كما يتمُّ الاحتفال بعيده كذلك يوم ٢٩ مسرى، وهو يوم وصول جسده إلى برِّيَّة شيهيت.

١ – دير القدِّيس يحنس القصير بوادى النطرون:

شُيِّد هذا الدير على بُعْد ما يقرب من ٤ كم تقريبًا في الناحية الجنوبية الشرقيَّة لدير القدِّيس الأنبا بيشوي في صحراء وادي النطرون[٢]. وحديثًا، اكتُشِفَت بعض البقايا أو الأكوام الأثريَّة لبعض الأديرة القديمة التى بُنِيَت في صحراء الإسقيط **(الشكل رقم ١)** مثل دير القدِّيس يحنس كاما وهو الدير الأقرب في المسافة لدير القدِّيس الأنبا بيشوي، ودير الأحباش أو الحبش ودير النوب أو الدير النوبي ودير الأرمن بكنيسته الجميلة.

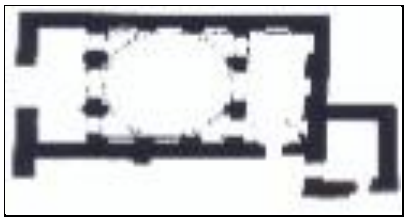


(الشكل رقم ١) بقايا منشوبيات وأديرة أثريَّة قديمة، ومنها دير القدِّيس يحنس القصير بوادي النطرون.
نقلًا عن: الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٢٤.

وفى يناير ١٩٩٢م، بدأ أعضاء البعثة الأثريَّة الأمريكية، والتى جاءت من جامعة ميتشجن، بعمل مَسْح أثري لهذا الموقع التُّراثى الهام. وعلى عمق ما يقرب من حوالى ١٣ مترًا، تمَّ اكتشاف بعض أجزاء من أرضيات دير القدِّيس يحنس القصير المُندثر. كما عُثِر أيضًا على ما يقرب من خمس عشرة منشوبيَّة كانت حول هذا الدير القبطي القديم. وخلال زيارته لأديرة وادي النطرون الأثريَّة، قام الأمير عمر طوسون بوضع علاماتٍ خرسانية فوق هذه البقايا الأثريَّة لحمايتها من عوامل التعرية.

(٢) الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"* ، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٢٤.

٢ – دير القدِّيس يحنس القصير بطُره:



(الشكل رقم ٢). مسقط معماري لدير القدِّيس يحنس القصير بطُره.
نقلًا عن: الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٢٢.

بُني هذا الدير في شرق طره أعلى جبل طُره[٣] **(الشكل رقم ٢)**. وقد أشار الشابشتي في القرن العاشر الميلادي إلى هذا الدير الأثري. كما ذكره كُلٌّ من سعيد بن البطريق في القرن العاشر الميلادي وأبو المكارم في القرن الثانى عشر الميلادي. ويعتقد البعض أن هذا الدير قد بُنِى فوق مقبرة أرسانيوس بأمر من الإمبراطور الروماني أركاديوس. وفى سنة ١٣٢٠م، زار أحد الآباء الدومينيكان دير القصير بطره ووجد به بعض الرهبان اليونانيين، كما وجد بعض النُّسَّاك اليعاقبة في القلايات المجاورة. غير أنَّ هذا الدير أصبح شبه مهجور في عصر المؤرِّخ المقريزي أي في القرن التاسع الهجري / الخامس عشر الميلادي. وفى سنة ١٥١٨، زاره تاجر روسي اسمه باسيل بوسنياكوف، ولم يجد به أي رهبان. وقد زار كلٌّ من مايبه (القرن الثامن عشر الميلادي) وكلود سيكارد دير القصير بطره. وفى سنة ١٩٤١م، تمَّ اكتشاف ما يقرب من ألفي صفحة من البرديات النادرة في هذا الدير الأثري. وقد نَشَرَ بعض العلماء المُحدَثين أجزاء منها.

---

(3) G. Maspero, «Notes au jour le jour», *Proceedings of the Society of Biblical Archaeology* 14, 1892, 170-204, 305-327; G. Legrain, «Notes archéologiques prises au gebal Abu Fuda', *ASAE* 1, 1900, 3-14; J. Clédat, «Notes archéologiques et philologiques», *BIFAO* 1, Le Caire, 1900, 91-97; C. Beaugé, 'Un réformateur copte au XII^{e} siècle», *Revue des questions historiques* 106, 1927, 5-34; H.G. Evelyn-White, *the Monasteries of the Wadi'n Natrun*, vol.2. *The History of the Monasteries of Nitria and Scetis*, New York, 1932; al-Shabushti, «Some Egyptian Monasteries», ed. A.S. Atiya, *BSAC* 5, 1939, 1-38; Otto F. Meinardus, *Christian Egypt, Ancient and Modern*, Cairo, 1965, 248-250; J. Leclant, «Fouilles et travaux en Egypte et au Soudan», *Orientalia* 37, 1968, 94-136; 38, 1969, 240-307; C. Sicard, *Œuvres*, vol.2, ed. M. Martin, Cairo & Paris, 1982, 157-158; S. Timm, *Das christlich-koptische Ägypten in arabischer Zeit*, vol.2, Wiesbaden, 1984, 779-790; R.G. Coquin & S.J. Maurice Martin, «Dayr al-Qusayr», *CoptEnc.*, vol.3, New York, 1991, 853a-853b; «Dayr al-Qusayr (Turah-History)», *CoptEnc.*, vol.3, New York, 1991, 853b-855b; P. Grossmann, «Dayr al-Qusayr (Turah-Architecture)», *CoptEnc.*, vol.3, New York, 1991, 853b-855b.

وهذا الدير هو بمثابة مبنى دائري الشكل به بعض الفتحات التى تطلُّ على الجهات الأصلية الأربع. وقد زاره الوالى الطولوني خمارويه بن أحمد بن طولون في القرن الثالث الهجري/ التاسع الميلادي، أثناء رحلته للصيد. ومن هذا الدير، يُشاهد الزائر المناظر الخلَّابة لنهر النيل.

كما عاش القدِّيس الأنبا أرسانيوس في مغارة كبيرة في هذا الدير أيضًا حتى نياحته. وكان بداخل دير القدِّيس يحنس بطره عدَّة كنائس وبعض القلَّايات التى أشار إليها كذلك بعض المؤرِّخين والعُلماء المُحدَثين. وحاليًّا، توجد بقايا كنيسة منحوتة في الصخر، وكل ما تبقَّى منها الحنية الشرقيَّة أو حضن الآب. وتزخرفها رسومات دينية مسيحيَّة.

كما أنَّ بدير القدِّيس يحنس القصير بطره كنيسة أخرى تعلوها قبَّة مُثمَّنة، بالإضافة إلى بقايا لبعض المباني الأخرى والأسوار. ويُعرف هذا الدير باسم: "دير القصير". كما يُعرف أيضًا باسم: "دير البغل Monastery of the Mule" في إشارة إلى ذلك الحيوان الذي كان يُستخدم في نقل مياه النيل إلى هذا الدير المُشيَّد أعلى الجبل. ويُطلَق على دير القدِّيس يحنس القصير بطره كذلك اسم: "دير الأنبا أرسانيوس Dayr Arsanius". وأيضًا "دير اليونان Dayr al-Yunan" و"دير الهرقل Monastery of Heraclius / Dayr al-Haraqal".

(يتبع)

****

دير القدِّيس أنبا مقار

بتصريح سابق من الأب متى المسكين بالإعلان عن مشروع معونة الأيتام والفقراء (مشروع الملاك ميخائيل)، حيث يعول هذا المشروع منذ عام ٢٠٠٠ أكثر من ألفين من العائلات المُعدمة، يمكن تقديم التقدمات في رقم الحساب الآتي:

00211300000153

دير القدِّيس أنبا مقار

بنك كريدي أجريكول مصر – فرع الميرغني

****



الأدلَّة
على وجودِ الله وظهورهِ[١]

تأليف: د. سهيل مدانات

(٣)



قدَّمنا في المقالتين السابقتين[٢] أدلَّة عقليَّة وموضوعيَّة متنوِّعة وواضحة لتؤكِّد وجود الله.

وفي هذا المقال (الجزء الثالث من الكتاب)، يُستكمَل الكلام عن المسيحيَّة وأدلَّة ظهور الله متجسِّدًا في شخص المسيح، ابن الله، الذي صار إنسانًا كاملًا مع بقائه إلهًا كاملًا، وذلك ليموت عن خطايانا ويفدينا من الحُكْم الأبدي.

وفي الحقيقة، لقد تعرَّض الإيمان المسيحي على مدى التاريخ لأقصى الحروب وحملات التَّشكيك والادِّعاءات الكاذبة وتشويه الحقائق؛ ولكنه صمد وترعرع وظلَّ ينتشر بلا توقُّف.

ولعلَّ قيامة المسيح والكتاب المقدَّس كانا هما مِن أكثر المواضيع التي نالهما الهجوم. فالقيامة هي صُلب الإيمان المسيحي، والدليل القاطع على أُلوهيَّة المسيح. وكتاب العهد الجديد، بأناجيله ورسائله، هو الشاهد الصادق الأمين على مجيء المسيح وصحَّة قيامته.

وفي هذا العدد، سنُقدِّم أدلَّة وبراهين على مصداقيَّة كتابنا المقدَّس وموثوقيَّته كأكثر كتاب تعرَّض لهجومٍ شرس في الشرق والغرب على مدى مئات السنين. فهو للشرق تحريفٌ في كلِّ ما لا يوافق دينيًّا، وهو للغرب تخريفٌ في كلِّ ما لا يوافق فلسفيًّا. وبينما يدَّعي المُشكِّكون في الشرق تلقِّي وحيٍ إلهيٍّ آخر يرفض أُلوهيَّة المسيح وصلبه وقيامته، يدَّعي المُشكِّكون في الغرب اتِّباع نهجٍ موضوعيٍّ يرفض كلَّ ما هو فائقٌ للطبيعة أو غير مادِّي.

أصالة الكتاب المقدَّس

العهد القديم:

على مدى قرونٍ طويلة كانت أقدم مخطوطات العهد القديم الموجودة باللُّغة الأصليَّة العبريَّة، هي تلك التي نَسَخَها واحتفظ بها نُسَّاخ اليهود المُشار إليهم بالماسوريِّين (Masoretes)، وتُقارب عشرة آلاف مخطوطة، وتعود إلى ما بين القرنين العاشر والثاني عشر للميلاد.

---

(١) الكتاب صادر عن دار منهل الحياة بالشراكة مع دار الثقافة، طبعة أولى: بيروت ٢٠٢٥. يقع الكتاب في ٥٤١ صفحة من القَطْع الكبير.

(٢) انظر عدَدَي ديسمبر ٢٠٢٥م، ص ٤٦؛ يناير ٢٠٢٦م، ص ٤٦.

ثم جاء الاكتشاف الأعظم سنة ١٩٤٧، عندما تمَّ العثور على ما يُدعى بـ"مخطوطات قمران"، والتي كانت تحوي أسفار العهد القديم، وتعود بالزمن إلى ما بين منتصف القرن الثاني قبل الميلاد وخراب أورشليم عام ٧٠م، أي أكثر من ألف عام قبل أقدم نُسَخ العهد القديم التي كانت موجودة.

فقد أثبتت هذه المخطوطات إثباتًا قطعيًّا الدقَّة المُذهلة لنصِّ العهد القديم الموجود بين أيدينا الآن، والمبني على مخطوطات الماسوريِّين العائدة إلى نحو عام ١٠٠٠م.

العهد الجديد:

تستند أصالة العهد الجديد إلى ٥٣٦٦ مخطوطة قديمة باللُّغة الأصليَّة أي اليونانيَّة، وتشتمل على نحو ٢.٦ مليون صفحة. تعود هذه المخطوطات إلى الزمن المُمتدِّ ما بين القرن الثاني الميلادي والقرن الخامس عشر الميلادي. من بينها ١٢ مخطوطة من القرن الثاني، و٦٤ مخطوطة من القرن الثالث، و٤٨ مخطوطة من القرن الرابع الميلادي. ومع المخطوطات المُترجمة يصل العدد إلى نحو ٢٠ ألف مخطوطة. كما يوجد أكثر من مليون اقتباس من آباء الكنيسة الأولى، يمكن منها وحدَها تجميع كلِّ نصِّ العهد الجديد، حتى لو غابتْ مخطوطات الأسفار كلُّها.

وأخيرًا، إذا كانت أصالة المؤلَّفات القديمة تتمتَّع بمصداقيَّة عالية بين النُّقَّاد، فكم بالحري مصداقيَّة الكتاب المقدَّس، وهو الذي يبلغ عدد مخطوطاته القديمة عشرات أضعاف تلك المؤلَّفات، وهي الأقرب إلى مؤلِّفيها من غيرها بعدَّة قرونٍ من الزمان!

استحالة التزوير وتسرُّب الأساطير

قد يسأل سائل: ما احتمال تزوير الأناجيل؟ وما احتمال تسرُّب الأساطير ما بين الحدث زمن الكتابة؟

نُجيب ونقول: كتب متَّى إنجيله أصلًا بلغته الأراميَّة بعد حدث الصَّلب والقيامة بمدَّة تتراوح ما بين عشر سنوات وعشرين سنة، وهي سنوات قليلة لا تكفي لتسرُّب الأساطير إلى تقارير شهود العيان، وعددهم بالمئات (انظر ١كورنثوس ١٥: ٦)، في وقت كانوا ما يزالون على قيد الحياة لتصحيح أيِّ خطأ أو تزوير أو مُبالغة في أيِّ أمر يخصُّ صميم إيمانهم. وعلى فرضِ حدوث تزوير، فأعيُن أعداء المسيحيَّة المُتربِّصين والمُنتشرين في كلِّ مكان كانت ستفضحه تمامًا.

وربما يتساءل البعض عن سبب غياب المخطوطات الأصليَّة، نقول: إنَّ الله سَمَحَ بضياعها لقصدٍ حكيم. فعدم وجود المخطوطات الأصليَّة ووجود آلاف المخطوطات المنسوخة عنها بدءًا من زمن كتابة السِّفْر، هو ما يحمي أصالة أسفار الكتاب من التزوير. فتزوير المخطوطات الأصليَّة سهلٌ واكتشافُه غير مضمون. وإذا ما اكتُشف، لا يمكن تصحيحه، في حين يستحيل تزوير مئات النُّسخ من المخطوطات المُنتشرة في أرجاء الإمبراطوريَّة الرومانيَّة مع أشخاصٍ كثيرين وجماعاتٍ متعدِّدة.

ثم إنَّ عمليات النَّسخ من مخطوطةٍ لأخرى، كانت تخضع لسيطرة مُحكمة لا تترك مجالًا لخطإٍ ما. وكانت الكنيسة في القرون الأولى ترزح تحت نِير الاضطهاد، وكان قادة الكنيسة وشعبها على حدٍّ سواء، يُخاطرون بحياتهم ثمنًا للمُحافظة على الكلمة المقدَّسة، فكانوا حريصين كلَّ الحرص على نقاء أيَّة مخطوطة يُجرَى نسخها.

كما أنَّ الآباء الذين خلفوا الرُّسُل، كانوا حريصين على دقَّة ما نقلوه في تعاليمهم واقتباساتهم. فمثلًا كان بابياس، تلميذ يوحنا المباشر، يقول: " كلَّما أتى أحدٌ ممَّن رافقوا الرُّسُل، كنتُ أسأله عن كلماتهم". كما كان إيرينيئوس يُعطي إسنادًا للأقوال التي كان ينقلها مباشرةً عن تلاميذ الرُّسُل.

فضلًا عن أنَّ البشيرين لم يتردَّدوا في تقديم النساء للعالم كأوَّل مَنْ ذهبَ للقبر فجر الأحد وشاهدن يسوع القائم، ليكُنَّ أوَّلَ شهودِ عيانٍ على القيامة، مع عِلمهم التامِّ بأنَّ القانون اليهوديَّ لا يعترف بشهادتِهِنَّ، والناس بصعوبةٍ يُصدِّقوهنَّ. وهذا آخر ما يفعله مَنْ يؤلِّف أسطورة ليخترع دينًا جديدًا.

ذاكرة الشهود

أسفار العهد الجديد من أناجيل ورسائل، هي شهاداتٌ مكتوبة خطَّها شهودُ عيانٍ مُباشرون، أو أشخاص نقلوها عن شهودٍ رأوا بأعينهم وسمعوا بآذانهم، ولكنَّهم كتبوها بعد مرور عدَّة سنوات على الحدث. فكيف لهم أنْ يتذكَّروا ما رأوه وسمعوه، وأنْ يُسجِّلوه بدقَّة بعد مرور هذا الزمن؟

لقد رافق التلاميذ مُعلِّمهم ثلاث سنواتٍ كاملة، بأيامها ولياليها، مُتجوِّلين معه حيثما ذهب، ومُلازمين لشخصه مِثل ظِلِّه، وناظرين بأعينهم كلَّ حدث، وسامعين بآذانهم كلَّ كلمة. والأهم، لقد عايشوا حدث الصليب من بدايته وحتى نهايته، منها ست ساعات والربُّ مُعلَّقٌ على صليبه. ولا يوجد حدثٌ أعجب وأكثر إثارة من قيامته وظهوره لهم مرَّاتٍ كثيرة، ولا يوجد منظر أبهى من صعوده للسماء على سُحُب السماء. لأجل كلِّ هذا لم يكن من الصعب على التلاميذ أن يتذكَّروا الأحداث وترسخ في ذهنهم.

أمَّا عن تذكُّر أقوال الرب، فالإنسان يملك قدرةً فائقة على الحفظ الغيبي، تبدو لنا اليوم خياليَّة مستحيلة، نحن الآن جيل الاعتماد على الكتابة والوثائق الخطِّيَّة الحافظة. فقد كان في وِسع الشخص في مجتمعات ما قبل الكتابة أنْ يحفظ بدقَّةٍ مُذهلة نحو عشر صفحات في يومٍ واحد. وفي القرن الأول الميلادي، كان المُعلِّم اليهودي أو الرَّابِّي قادرًا أنْ يحفظ أسفار العهد القديم كلَّها غيبًا، فضلًا عن أجزاء كبيرة من المِشنا، وكان يُكلِّف تلاميذه أنْ يفعلوا الشيء ذاته. وهكذا، فإنَّ يسوع، بوصفه معلِّمًا يهوديًّا، كان يتوقَّع من تلاميذهِ أنْ يحفظوا تعاليمه، وكان يُساعدهم على ذلك. ولا ننسى أنَّ المسيح وَعَدَ تلاميذه أنَّ روح الله سيُمكِّنهم مِن تذكُّر كلامه (يوحنا ١٤: ٢٦).

التَّحقُّق العلمي (لوقا كنموذج)

لا تقتصر شهادة أسفار العهد الجديد على ما كتبه شهود العيان المُباشرون مثل متَّى ويوحنَّا وغيرهم؛ بل تتعدَّاها إلى الرجل الآتي من خارج المشهد، لوقا. هذا الشاهد غير المُباشر، الطبيب اليونانيُّ ذو النَّهج العلميّ. هذا الشخص المُلتزم بقواعد التأريخ في تتبُّع الحقائق والتحقُّق منها.

فنراه يفتتح إنجيله بعبارة: «تَتَبَّعتُ كلَّ شيءٍ مِنَ الأوَّلِ بِتدْقيقٍ»، فهو يؤكِّد لقرائه أنَّه فحص كلَّ ما سمِعه مِن كلِّ شاهد عيان ودقَّقه ومحَّصه وفهمه بعمقٍ وتيقَّن بشأنه، ثم كتبه كسِجِلٍّ موثوقٍ به، الأمر الذي جعله في مصاف كبار مؤرِّخي زمانه (لوقا ١: ١- ٤).

ونرى إلمام لوقا بالسِّياق الإمبراطوريِّ جليًّا؛ فهو يُسمِّي ثلاثة أباطرة، وستَّة ولاة رومان، وسلالة هيرودس، ورؤساء الكهنة الذين عاصروا الأحداث التي أرَّخها. وهو يربطهم بالأحداث الرئيسيَّة المعروفة بالإمبراطوريَّة وبالأحداث المحليَّة التي يصفها.

وقد اتَّهم النُّقَّاد لوقا بالوقوع في أخطاء تاريخيِّة، ولكنَّ بالبحث العلمي الدقيق أُثبِت عدم وجود أيِّ خطإ. كما أنَّ الدراسات التاريخيَّة بيَّنت دقَّة وصف لوقا للعادات والتقاليد السائدة في زمنه.

استطاع لوقا بدقَّته المنهجيَّة أنْ يُثبِت دقَّة محتوى الأناجيل الأخرى في ما سرده من أحداثٍ مشتركة معها. وكان سِفْر الأعمال الذي كتبه، هو مقدِّمة تاريخيَّة ومدخلًا طبيعيًّا لرسائل بولس.

توافُق الشهادات بعضها مع بعض

لكي يكون الشهودُ مقبولين أمام محكمة، ينبغي أن تتوافق شهاداتهم فيما تنقلُه من حقائق، مع عدم وجود ما يُشكِّك في صدقهم، مثل تواطئهم معًا، أو توافقهم على ما هو واضحٌ أنَّه خطأ.

هناك أربعة رجال كتبوا الأناجيل الأربعة عن الشخص ذاته والمدة الزمنيَّة ذاتها، الأمر الذي يوفِّر للناقد مادةً خصبة لفحص تطابُق رواياتهم، ومن ثَمَّ فحص دقَّتِها. فهل هي مُتطابقة؟ وإلى أيَّة درجة؟

والجواب هو: إنَّ الأناجيل، وفي كلِّ رواية تسردها، تتطابق تطابقًا كلِّيًّا. أمَّا إنْ وُجد بعض التناقُضات الظاهريَّة، فهذا دليلٌ على صدق الأناجيل، لا العكس. لأنَّه يستبعد أيَّ احتمالٍ لوجود تواطؤ ما بين الكُتَّاب في شهاداتهم، ويُبيِّن أنَّ كلًّا منهم كَتَبَ مُستقلًّا عن غيره، مُعتمدًا على مصادره الخاصَّة.

وهذا التوافُق ما بين الأناجيل هو حتميٌّ، إزاء تصريح الكتاب المقدَّس عن نفسه: «كُلُّ الكِتابِ هوَ موحًى بِهِ مِنَ الله» (٢ تيوثاوس ٣: ١٦). وكما جرى توفيق الغالبيَّة العظمى من التناقُضات الظاهريَّة، وتبيَّن أنَّها ليست حقيقيَّة؛ هكذا سيُجرى توفيق القليل المُتبقِّي مع ازدياد المعرفة، وفَهم الخلفيَّة التاريخيَّة والظروف التي رافقت الأحداث. **(يتبع)**

LIVING WITH CHRIST

Articles of Comfort and Blessings Offered to the Reader

Enjoy your reading on the exposition of our Father Matta El-Meskeen to the verses of the Scripture! Note: *All quotations are taken from the* ***New King James Version,*** *if not otherwise mentioned.*

Volume Four

Chapter 76
"But seek the kingdom of God, and all these things shall be added to you" (Luke 12:31).

DURING the whole length of Christ's life, He never ceased from preaching the kingdom of God, which was the goal He focused all His teachings on. Here, He offers the divine advice to all those who hear Him, that is, "seek the kingdom of God," but as for those things that belong to the world, they shall be added to you, including food, drink, clothes and houses. For the Son of Man had "nowhere to lay His head,"[1] spending the nights in the open, praying and journeying in the mornings across the regions, preaching the kingdom of God. His primary goal was that people know their heavenly home at the Father's.

When we seek, strive for, and proclaim the kingdom of God, we fulfill our Christian calling in the world. For the secret of our existence in the world, and God's protection over us in this age, is to give us the opportunity to seek the kingdom of God. For if we prepare ourselves to enter the kingdom of God, we would be fulfilling the calling of our existence in the world.

When Christ says, "seek the kingdom of God, and all these things shall be added to you," this is a divine promise from the Lord of heaven and earth, who is able to fulfill it to the letter. For it is He who says, "All authority has been given to Me in heaven and on earth."[2] Therefore, when Christ promises those who seek the kingdom of God that He would add to them all that they need, it is from Him that He gives us and from His spiritual and temporal riches that He inundates us as He said, until we say "enough, enough."

[1] Luke 9:58.
[2] Matthew 28:19.

When Christ says, "seek the kingdom of God", He essentially invites us to His kingdom in heaven, not to live in it like we do on earth, but rather, for those called by Christ to His happy kingdom, they are truly invited to be "kings and priests to His God and Father."[3] So, let no one belittle Christ's words "seek the kingdom of God," for He truly calls us to live with Him and with the Father as chosen, beloved, and blessed. For the inheritance of God's kingdom is the goal of what Christ prepared for us, and the ultimate thing man can attain. We should know that when we seek the kingdom of God, Christ opens our minds to comprehend the value of this request, for it is the finest of God's gifts to His own and those who love Him. As soon as the kingdom of God becomes our life goal on earth, and the goal of what we hope and long for, it becomes our joy, glory, comfort and happiness. For none of the gifts of God compares to His joyous eternal kingdom.

The secret that Christ kept for His own is that as soon as we are occupied by the kingdom of God and it becomes our goal to which we strive, Christ would take care of the rest of our needs without our worrying about them. This is included in His words, "Take My yoke upon you…for My yoke is easy and My burden is light."[4] For the yoke of Christ is to seek the kingdom of heaven, and the burden is the bearing of His words with an open heart. In both the latter and the former, Christ does not leave us alone, but rather He joins us shoulder to shoulder. Therefore, as much as we strive, He eases and He helps. When we follow Christ, we feel that He is close to us. When we endure, He bears with us, especially when it comes to life with Him and following the way of the kingdom which He prepared. Christ walks with all who walk within the way, and He alleviates every hurdle from the way for anyone who faints under the hardships of its obstacles. Thus, the way becomes completely prepared for walking in it, for He said, "I am the Way,"[5] transforming the walk in it into a walk with Him, and the joy of the supported journey into joy in Him.

Christ frequently spoke describing His relationship to the door, the way, and the arrival. When we insist on walking in the way of the kingdom, we cast all of the burden on Him,[6] and we await the fulfillment from His hands. He is the One who says, "I am the Alpha and the Omega, the Beginning and the End;"[7] it is not as one who walks with us, but rather as one who carries us, and not as one who only helps, but as one who bears and walks.

January 2, 2006

---

[3] Revelation 1:6.
[4] Matthew 11:29, 30.
[5] John 14:6.
[6] 1Peter 5:7.
[7] Revelation 1:8.

Chapter 77
"For what is highly esteemed among men is an abomination in the sight of God" (Luke 16:15).

THE time of Christ was filled with wealthy Pharisees and those with accumulated fortunes, and so the words of Christ had an ill bearing on them. Christ plainly said that you cannot serve two masters, it is either God or mammon.[1] It is extremely difficult for the lover of money to tithe his money according to the true principles of serving others. If he does venture and tithe his money, he would hire someone to blow the horn before him to make way for him, and to point out his compassion toward the poor. Christ rejected all that and considered it part of serving the world. For the world is served by hypocrisy and lies, and money in the hands of the lovers of the world is an inseparable part of the love of the world. The Lord commanded to "not let your left hand know what your right hand is doing."[2] In other words, the offering should not be felt by the giver himself since it is offered to God.

Here, Christ says that the haughty, that is the proud, among men is an abomination in the sight of God, in other words he is defiled. This is the most disgraceful description of pride. The humble person is beloved to both God and men, contrary to the one who is proud of himself, for he boasts over men and over God without realizing it. Christ at some point took a little child and said to His disciples, "unless you are converted and become as little children, you will by no means enter the kingdom of heaven."[3]

Now, when the rulers and priests became agitated while the children were parading Christ in the courtyard of the temple saying, "Hosanna to the Son of David…Hosanna in the highest,"[4] and said to Him, "silence those children," He answered them, "if these should keep silent, the stones would immediately cry out,"[5] for it is written "Out of the mouth of babes and nursing infants You have perfected praise,"[6] for Christ used to be pleased with the cries of children because they acted spontaneously, with pure intentions. The difference between the scribes, Pharisees, and priests and those children was immense. The only

[1] Luke 16:13.
[2] Matthew 6:3.
[3] Matthew 18:3.
[4] Matthew 21:9.
[5] Luke 19:40.
[6] Matthew 21:16.

voice heard in the temple was their voice.

That was the only initiative that the people uttered in celebration of Him, and it was written in the Gospel as a fragrant memorial breathed by Christ before the cross, at which time Judas the betrayer was receiving his wages for his betrayal and turning in of the Lord, who hung himself when he realized his crime. The cries of the children were cries of love, whereas at the same time the betrayal of Judas was that of hatred. Thus, the children won the favor of Christ, whereas Judas became an abomination and a stench.

Christ regularly made the disciples aware that the greatest among them is a servant of all,[7] and the least of them is their master. To make this an established lesson in their life, He brought a basin of water, girded Himself with a towel and washed the disciples' feet. When they considered this action excessive, He told them, "You call Me Teacher and Lord,"[8] and behold I have washed your feet, do that in remembrance of Me, for the great amongst you ought to serve all, and the least ought to be carried on the shoulders.

For the first time in human history the least assumes the place of the head, and the master the place of service. So, Christ removed the status of disparity from the midst of the people and assigned the greatest the responsibility of the entire group and made the least equal to the greatest. This disparity in the value of the group raised the whole community to the level of responsibility. Thus, the great is respected and the small is shown compassion, with no one in the Christian community exalting himself at the expense of the lesser, and the least does not take the place of the great. Pride and superiority due to race or status disappeared, and for the first time in history, the small and the weak hold a position of respect, whereas the proud and pompous disappear.

January 2, 2006

---

[7] Matthew 20:26.
[8] John 13:13.

****

Father Matta El-Meskeen

Repentance is but a fall into the hands of God

"To will is present with me; but how to perform that which is good I find not" (Rom 7:18).

This is a terrible obstacle which has hindered a lot of people from stepping into repentance. At the gate of repentance stands the sinner gathering his will, but finds no stock even to begin by doing any good work. He then compares himself to those who have gained mercy and forgiveness, and thus cannot control

himself, but loses courage and sinks into deep despondency and grief, seeing repentance as though it were a tedious task.

This is a device of the enemy. Who said that repentance is a gathering of will, an act of courage, or power and activity? Is not repentance only to fall into the hands of God and at his feet in a fainting of will, with a wounded heart bleeding in regret, members shattered by sin, and having no power to rise except by God's mercy?

The penitent is described by Christ as a stranger who has fallen into the hands of robbers in a foreign country. They strip him of his clothes, rob him, humiliate him, wound him and leave him more dead than alive. The penitent is like a man stripped of the garment of his honor by the devil, a man whose will has been stripped naked and his members defiled. The devil then robs him of his treasure—the treasure of man being the sanity of his mind, the light of his insight and the action of his conscience—his person being humiliated, his fall disclosed and his will shattered. Last of all, he wounds him deeply with lust to draw off his life quickly. At the end he leaves him a dead corpse unable to live! It is thus that the good Samaritan finds no occasion to ask questions nor has time to reproach, but immediately gathers him in his arms.

The good Samaritan in the parable (cf. Luke 10:30-37) is Christ, and our interpretation hits the mark exactly, for he does not upbraid him, nor does he ask him to perform any action, but comes to him personally where he fell and stoops over him with his affection, washing and dressing his wound by his own wound, stops his bleeding by his own bleeding, pours upon him the oil of his compassion and of his life, carries him on the arms of his mercy, offers him a ride to the inn of his Church, and asks his angels to serve him, and expends his grace on him till he recovers.

Such is the penitent, a wretched man that has fallen on the way, after being attacked by the oppression of man and the spite of the devil, and no longer able to do anything; so after his strength has been drawn off, he finds room at the house of the Good One (the true good Samaritan); room in his heart, room between his arms, on his beast of burden and in his kingdom.

Father Matta El-Meskeen, *Repentance,* 1970.

✞✞✞

Wherever there are dire straits, Jesus comes to rescue

"Yes, I do want to be healed, but I have no man…" Maybe it was because of his dire straits that Jesus came to his rescue. For the generality of the sick had relatives, friends too, and maybe other helpers. But the poor cripple, crushed by a literally universal want, utterly destitute, abandoned, alone, found the Son of God, the Only-begotten, coming to his aid. "Wilt thou be healed?" "Yes, Lord, but I have no man, when the water is troubled, to put me into the pool." No, but you have the spring itself. "For with thee is the fountain of life," the fountainhead of all fountains. "He who drinks of this water, out of his belly shall flow rivers," not of the water that flows downwards but of that water that springs up—for the spring inspired by Jesus' draught, unlike man's puny leap which lands him back on earth again, carries us up to the sky; the water "bubbles up unto life everlasting." Jesus is the wellspring of all blessings.

FC 64, pp. 213-214.

****

ἐκ τοῦ ἁγίου Κυρίλλου ἀρχιεπισκόπου Ἱεροσολύμων

Θέλω μὲν ὑγιὴς γενέσθαι, ἄνθρωπον δὲ οὐκ ἔχω. βλέπε, εἰ μή, ὅπου ἡ σωτηρία ὑστέρει, ἐκεῖ ἔδωκεν τὴν ἐνέργειαν. οἱ γὰρ πολλοὶ τῶν νοσούντων καὶ οἰκίας εἶχον, ἔτι δὲ καὶ γνωρίμους, εἰ καὶ ἄλλους τινάς. οὗτος δὲ ἀληθῶς ἐν πάσῃ πενίᾳ τεθλιμμένος καὶ τῆς ἔξωθεν βοηθείας μηδεμίαν ἔχων τὴν δύναμιν, μονώτατος καταλειφθείς, ἔσχεν βοηθὸν υἱὸν τοῦ θεοῦ τὸν μονογενῆ. θέλεις ὑγιὴς γενέσθαι; ναί, κύριε, ἄνθρωπον δὲ οὐκ ἔχω, ἵνα, ὅταν ταραχθῇ τὸ ὕδωρ, βάλῃ με εἰς τὴν κολυμβήθραν. ἔχεις τὴν πηγήν, ὅτι παρὰ σοὶ πηγὴ ζωῆς, πηγὴν πηγοποιόν. ὃς δ' ἂν πίῃ ἐκ τοῦ ὕδατος τούτου, ποταμοὶ ῥεύσουσιν ἐκ τῆς κοιλίας αὐτοῦ, οὐχ ὕδατος κάτω ῥέοντος, ἀλλ' ὕδατος ἁλλομένου τὸ γὰρ Ἰησοῦ οὐκ ἄνωθεν κάτω ἀναπηδᾶν ποιεῖ, ἀλλ' ἀπὸ τῶν γηίνων ἐπὶ τὰ οὐράνια, ὕδατος ἁλλομένου εἰς ζωὴν αἰώνιον. πηγὴ γὰρ ἀγαθῶν Ἰησοῦς.

PG 33, 1140; ΒΕΠ 39, 412.

St. Mark *Monthly Review*
Published by: The Monastery of St. Macarius the Great, Wadi El-Natrun.
ANNUAL SUBSCRIPTIONS (10 issues a year, July& August excluded, sent by Int. Courier):
U.S. $150.00
Subscriptions to be paid through our Website as mentioned below, or sent by a check to:
"St Macarius Printing House", P.O. Box 1574, Centreville, VA 20122, USA.
No materials may be reproduced in whole or in part without written permission from the publisher.
© 2026
by the Monastery of St. Macarius the Great.
Library of Congress Catalogue Card Number: 80–960629. ISSN 2805-2382
VISIT THE WEBSITE OF THE MONASTERY: WWW.STMACARIUSMONASTERY.ORG

ST. MARK March 2026

Monthly Review



The Multiplication of the Loaves
(Egbert-Kodex, *circa* 980. Reichenauer School, Stadtbibliothek Trier)



أيقونة القيامة

المسيح قاهر الجحيم

«ذَهَبَ فَكَرَزَ لِلأَرْوَاحِ الَّتِي فِي السِّجْنِ» (١بط ٣: ١٩)

في فن الأيقونات الأرثوذكسيَّة تُرسَم أيقونة القيامة بتصوير نزول المسيح إلى الجحيم. ويُرَى المسيح وهو يُمسك بيد آدم، ووراءه حواء، وعن اليمين باقي أبرار العهد القديم، ويُلاحَظ منظر أبواب الجحيم وقد تكسَّرت، ومزاليج الأبواب قد تناثرت.

(أيقونة من القرن الحادي عشر في إحدى كنائس مدينة "كبادوكية" - تركيا)

مرقس

رسالة الفكر المسيحي للشباب والخُدَّام

السنة ٧٠ **أبريل ٢٠٢٦م.**

العدد ٦٧٣ **برمهات / برمودة ١٧٤٢ش.**

المحتويات

تهنئة قداسة البابا بعيد القيامة المجيد ١

الافتتاحية: كلمة قداسة البابا تواضروس الثاني:

«امْتَنِعُوا عَنْ كُلِّ شِبْهِ شَرٍّ» (ب) ٢

مقال للأب متى المسكين:

الإيمان بيسوع المسيح ينقلنا من الموت إلى الحياة .. ٧

بمناسبة أحد الشعانين:

"مُبَارَكٌ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ" ١٣

من أقوال الآباء: سرُّ عدم الموت، وعربون الحياة ١٧

بمناسبة الجمعة العظيمة:

المسيح فصحنا ذُبِحَ من أجلنا ٢٤

من التراث الكنسي: الغفران الثمين..... ٣٠

ادخل إلى العمق (٦١):

الجراحات الشافية ٣٨

ذكرى الصِّدِّيق تدوم إلى الأبد:

لمحات من الكنيسة الأولى للدكتور جميل نجيب .. ٤٣

بحث تاريخي:

أهم أديرة وكنائس القدِّيس يحنس القصير في مصر (٢) . ٤٦

تقديم كتاب: الأدلَّة على وجود الله وظهوره (٤)..... ٥١

مقال بالإنجليزية:

LIVING WITH CHRIST, Vol. 4, 78 , 79 ..... ٥٦

من تعليم آباء الكنيسة — للقدِّيس كيرلس الأورشليمي

«أَرَأَيْتُمْ مَنْ تُحِبُّهُ نَفْسِي؟»

(ترجمة النص اليوناني الآبائي المنشور في باطن الغلاف الأخير)

✠

[كانت (مريم المجدليَّة) تقول للملائكة
ناسبة لنفسها قول نشيد الأنشاد:
«أَرَأَيْتُمْ مَنْ تُحِبُّهُ نَفْسِي؟
فَمَا جَاوَزْتُهُمْ إِلَّا قَلِيلًا – أي الملاكَيْن –
حَتَّى وَجَدْتُ مَنْ تُحِبُّهُ نَفْسِي،
فَأَمْسَكْتُهُ وَلَمْ أُرْخِهِ» (نش ٣: ٣).
لأن بعد ظهور الملائكة جاء يسوع كارزًا بنفسه،
كمايقول الإنجيل:
«إِذَا يَسُوعُ لَاقَاهُمَا (مريم المجدليَّة ومريم الأخرى)
وَقَالَ: سَلَامٌ لَكُمَا.
فَتَقَدَّمَتَا وَأَمْسَكَتَا بِقَدَمَيْهِ» (مت ٢٨: ٩).
أَمْسَكَتَاهُ لكي يتمَّ القول: «أَمْسَكْتُهُ وَلَنْ أُرْخِيَهُ».
كانت المرأة ضعيفةً بالجسد، وأمَّا فِكْرُها فكان شُجاعًا.
مياهٌ كثيرة لم تُطفئ المحبَّة، والأنهار لم تَغْمُرْها.
الَّذي كانت تبحث عنه كان قد مات،
لكن رجاء القيامة لم ينطفئ.
فقال الملاك لهنَّ أيضًا: "لا تخافا أنتما
لستُ أقول للجنود: لا تخافوا، بل لكما...
لأنَّ المحبَّة الكاملة تطرح الخوف إلى خارج.
اذهبا وقُولَا لتلاميذه إنَّه قد قام"].

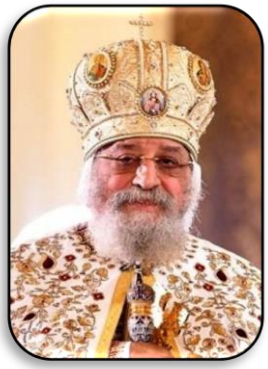
(عظة للمستنيرين: ١٤: ١٢، ١٣)

مرقس: يصدرها دير القديس أنبا مقار ـ برية شيهيت

مكتب التوزيع والاشتراكات
القاهرة: ٢٨ شارع شبرا
تليفون: ٢٥٧٧٠٦١٤
٠١٢٨٢٧٥٢٣٢٤
٠١٠٢٣٨٢١٣٨١
الإسكندرية: ٨ شارع جرين - محرم بك
تليفون: ٠٣٤٩٥٢٧٤٠
تصفَّح مجلة مرقس في موقع الدير على الإنترنت:
www.stmacariusmonastery.org
عنوان البريد الإلكتروني:
stmarkcare@gmail.com

رئيس التحرير: الأب سرجيوس المقاري
تسديد الاشتراكات:
عن طريق خدمة أورانج كاش
وفودافون كاش
الخاصة بأرقام تليفون المجلة
وهي:
٠١٢٨٢٧٥٢٣٢٤
٠١٠٢٣٨٢١٣٨١
وتبدأ سنة الاشتراك
في يناير من كل عام
مطبعة دير القديس أنبا مقار

ثمن النسخة ٢٠ جنيهًا
الاشتراك السنوي: حرٌّ ... حدُّه الأدنى:
٢٠٠ جنيه: داخل مصر (تسليم باليد)
٣٥٠ جنيهًا: في حالة الدفع عن طريق المُحصِّل
٣٠٠ جنيه: في حالة الدفع عن طريق:
خدمة أورانج كاش وفودافون كاش
١٥٠ دولارًا أمريكيًّا: في البلاد الأخرى
عنوان المراسلات:
ص. ب ٣١ شبرا ـ القاهرة
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢١٧ / ٢٠٢٦
الترقيم الدولي: ISSN 2805-2382



تهنئة بعيد القيامة المجيد لعام ٢٠٢٦م

يتقدَّم مجمع رهبان دير القدِّيس أنبا مقار ببريَّة شيهيت

وأسرة تحرير مجلة مرقس

بخالص التهنئة إلى

صاحب القداسة والغبطة البابا أنبا تواضروس الثاني

بمناسبة حلول عيد قيامة مُخلِّصنا الصالح

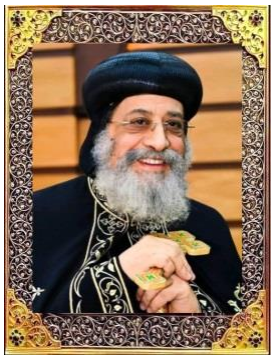
وندعو إلهنا الصالح أن يُديم رئاسته للكنيسة

سنين عديدة وأزمنة سلاميَّة مديدة

كما نتقدَّم بالتهنئة إلى أصحاب النيافة آبائنا المطارنة والأساقفة الأجلَّاء

وجميع الإكليروس وشعب الكنيسة المقدَّسة

في بلادنا العزيزة وكلِّ بلاد المهجر



«امْتَنِعُوا عَنْ كُلِّ شِبْهِ شَرٍّ»

(١تس ٥: ٢٢)

(ب)



وصايا قصيرة جدًّا

لصاحب القداسة

البابا تواضروس الثاني

نستكمل حديث العدد الماضي[١]:

٢. إهدار المال/ الماء/ الطعام:

المال الذي يضعه الله في يديك لتستخدمه، عليك أن تستخدمه بحكمة دون بُخْلٍ أو تبذير.

وتاريخ الكنيسة يوضِّح لنا أنَّ كثيرًا من الآباء والقدِّيسين كان لهم ثروة كبيرة من المال: فإبراهيم أبو الآباء كان رجلًا غنيًّا جدًّا، والقدِّيسة دميانة كانت ابنة والي البرلُّس، والقدِّيس الأنبا أنطونيوس أب جميع الرهبان كان يمتلك ثلاثمائة فدان من أجود الأراضي الزراعية.

المال نعمة وعطية من عند الله، ولكنها نعمة يُختَبَر بها معدن الإنسان، فيوجد الإنسان الذي يستغل المال بطريقة سليمة، سواء كان ذلك في مشاريع أو خدمة ... إلخ.

هناك شخصٌ آخر، يُسيء استخدام هذا المال بأيَّة صورة من الصور، وبأيِّ شكل من الأشكال. فإهدار المال خطية وشِبْه شر، مثل شخص يمتلك أموالًا كثيرة ويستخدمها في أمور غير سليمة، فيقع نتيجة ذلك في خطايا كثيرة.

فمن المهم استخدام المال بصورة حسنة، فإن كان لديك الوفرة من المال، فالوفرة لا تعني التبذير، لكنها تعني الحكمة في الاستخدام الحَسَن لهذا المال.

وهناك أيضًا الإهدار في عطايا الله العظمى مثل: الماء والطعام.

---

(١) قدَّم قدَّاسة البابا في العدد الماضي (مارس ٢٠٢٦) أمثلة عملية لشِبْه الشر، أولًا: التردُّد، وثانيًا: الإهدار؛ وأعطى مثالًا للإهدار: ١. إهدار الوقت. وفي العدد الحالي يواصل قداسته إعطاء أمثلة أخرى للإهدار، ثم ينتقل إلى شرح أنواع أخرى من "شِبْه الشَّر".

ففي الدول الأجنبيَّة من النادر أن يترك الإنسان بعض فضلات من الطعام في إناء الطعام بعد الانتهاء من تناول وجبته.

وأيضًا إهدار الماء خطية، لأن بعض الدول لا يوجد بها مياه على الإطلاق، فمثلًا دولة ليبيا ليس لديها نهر؛ وأيضًا سنغافورة لا يوجد لديها سوى نهر صغير جدًّا يُسمَّى "نهر سنغافورة العظيم"، وهو يُعادل في مساحته ترعة في مصر. وهكذا توجد بلاد كثيرة تقوم باستيراد الماء، فعطية الماء عطية غالية جدًّا لأن المياه تعني الحياة.

نقطة ماء تُساوي حياة، فيوجد في العالم ما يقرُب من مليار من البشر لا يجدون مياهًا للشُّرب، وهكذا الطعام. فالله يُعطي طعامًا يكفي لإطعام المسكونة كلّها، ومع هذا توجد مجاعات في بعض الدول، حتى أن الأطفال يبحثون عن الطعام في صناديق القمامة، وهذا يرجع إلى سوء استخدام هذا الطعام ... وهذا شيءٌ مؤلم!!

الله يحفظ بلادنا مصر، ولذلك يُقال دائمًا: "عمار يا مصر"، حيث إنه يوجد بها الماء والطعام والنبات والحيوان وكل الخير.

لذلك توصَّل العلماء إلى اختراع الثلَّاجات لكي ما تقوم بحفظ الطعام، وأيضًا توصَّلوا إلى طُرُق لتجفيف الطعام لكي يعيش لفترات طويلة، وكذلك حفظ الفاكهة عن طريق تحويلها إلى عصائر.

فإنْ أهدرتَ بعض الطعام، فهذا يعني أنك تحرِم إنسانًا آخر من هذا الطعام.

أيضًا إهدار الطاقة خطية. فالعالم أصبح شُغله الشَّاغل الآن هو الحفاظ على الطاقة وإيجاد مصادر لتوليدها. فالإهدار هو "شِبْه شر"، ويؤدِّي إلى شرٍّ وإلى مجاعة وجفاف واحتياج وانحراف.

ثالثًا: الإهمال:

الإهمال هو "شِبْه شر" آخر، وله أشكالٌ كثيرة جدًّا منها:

١. إهمال الزوج لزوجته، أو إهماله في تربية أولاده، فيصير البيت في نَكَدٍ وصراع.

٢. الإهمال في العمل مثل ما يحدث من عيوب في بعض الصناعات، أو أنَّ عاملًا لا يقوم بتركيب المسمار جيِّدًا في إطار العربة وهذا يؤدِّي إلى شر وهو حدوث حادث. ونتذكَّر قصة عالي الكاهن، وكيف أنه أهمل في تربية أولاده: «وَكَانَ بَنُو عَالِي بَنِي بَلِيَّعَالَ، لَمْ

يَعْرِفُوا الرَّبَّ» (١صم ٢: ١٢).

٣. الإهمال في العلاقات الاجتماعيَّة هو "شِبْه شر"، مثل الإهمال في مُجاملة مَنْ حولك، سواء من أسرتك أو أصدقائك أو جيرانك أو زملائك في العمل.

٤. إهمال تقدير الآخرين، هو "شِبْه شر" مثل: إهمال السؤال على مريض، أو تشجيع مَنْ استطاع أن يُنجز عملًا جيِّدًا. فالإهمال من الممكن أن نُسمِّيه آفة الحياة الروحيَّة، مثل: إهمال الصلوات والتسابيح، والقراءات الروحيَّة، ومُمارسة الأسرار الكنسيَّة.

٥. هناك شكل من أشكال الإهمال الذي له جانب روحي، وهو إهمال النظافة. فهناك مسؤولية على كلِّ إنسان منَّا في نظافة المكان الذي يتواجد فيه، مثل: المدرسة أو البيت أو الشارع أو الكنيسة أو وسائل المواصلات. فالنظافة بكلِّ صورها تحمي عين الإنسان من أن تُجرَح.

إنَّ إهمال النظافة يؤدِّي إلى فقدان السلام والعصبيَّة، ويصبح المكان غير مريح، وهذا هو شِبْه شر.

رابعًا: التدليل:

مثل تدليل الأب والأم لابنهما بالإنفاق الزائد عليه، وعدم توبيخه عندما يُخطئ. وغالبًا ما يفشل هذا الابن في حياته العملية والزوجية.

كذلك تدليل الأُم لابنتها، عندما لا تُعلِّمها مسؤوليَّة البيت. لذلك فهي عندما تتزوَّج تفشل في حياتها الزوجية.

خامسًا: المشغوليَّة:

إنَّ الله قد خلق الإنسان بنظام، ورتَّب له أربع وعشرين ساعة تكون ما بين العمل والطعام والراحة والنوم. وأعطانا الله النهار للعمل، والليل للراحة، وهكذا نظَّم لنا الله يومنا.

ولكن قد نُلاحظ أن هناك شخصًا يعمل أكثر مِمَّا يجب، وهذا بالطبع يؤدِّي إلى كثير من الأخطاء. فالذي يعمل أكثر مِمَّا ينبغي، هو إنسانٌ مُصاب بإدمان العمل، تمامًا مثل الشخص الذي يُدمِن الكحوليَّات مثلًا.

ونحن نعلم أنَّ الإدمان خطية، وبذلك يكون الشخص الذي يعمل أكثر مِمَّا يجب هو

أيضًا يرتكب خطية. وأيضًا الانشغال الزائد يُتعِب الإنسان في كلِّ علاقاته، فانشغاله قد يجعله يُقصِّر في واجباته الروحيَّة من صوم وصلاة وقراءة، وأيضًا يجعله يُقصِّر في واجباته تجاه أسرته.

قصَّة:

أتذكَّر هذه القصة المؤلمة، وهي عن أب كان يعمل مهندسًا في إحدى الدول العربية، وكان يأتي إلى مصر لزيارة أسرته مرَّةً واحدة في الشهر، واستمرَّ في هذا العمل منذ أن كان ابنه عمره ست سنوات وحتى التحق ابنه بالجامعة. وفي أحد الأيام أرسلوا إليه يُبلغونه أن ابنه تمَّ القبض عليه!!

فنزل فورًا إلى مصر وهو في غاية الانزعاج، وعندما قابل ابنه بدأ يُعاتبه قائلًا: "هل أنا قصَّرتُ في حقِّك يومًا ما؟ سواء في تعليمك أو ملابسك أو طعامك أو ...". فأجاب هذا الشاب أباه وهو في خجل منه: "نعم قصَّرتَ يا أبي". فسأله الأب بتعجُّب: "ماذا ينقصك"؟ فأجاب الشاب: "ينقصني وجودك يا أبي"!

فالانشغال الزائد أحيانًا يكون مُقدِّمة لشرور أخرى، وحتى في الحياة الديريَّة يقول الآباء: "ساعة عمل، وساعة قراءة، وساعة صلاة". فالمشغوليَّة الزائدة هي "شِبْه شر" وتحرم الإنسان من بيته وحياته، وقد تحرمه أيضًا من أبديَّته. لذلك يجب أن يكون الإنسان مُنتبهًا للغاية لكي ما يستطيع أن يُتمِّم كلَّ مسؤولياته.

- ليكن لك الوقت الذي تقضيه مع الله، سواء في البيت أو في الكنيسة.
- ليكن لك الوقت الذي تقضيه مع زوجتك وأبنائك.
- ليكن لك الوقت الذي تُقدِّمه للخدمة.

سادسًا: العشوائيَّة:

العشوائيَّة هي نوعٌ من أنواع الإهمال وعدم التنظيم الذي يُهدِّد ويُبدِّد طاقات الإنسان ويؤثِّر على أدائه ومظهره أمام الآخرين.

النظام في الحياة يجعلك تحيا حياةً هادئة.

ويأتي تنظيم الوقت في مقدِّمة الأشياء الواجب تنظيمها. فالشخص الذي يستذكر دروسه

بلا نظام، أو يُجيب على أسئلة الامتحان بلا نظام؛ بالتأكيد في هذه الحالة لن يجني أيَّ نتائج، وأيضًا الذي يتحدَّث بلا نظام، أو يبني بدون نظام يحصل على نتائج غير مَرضِيَّة.

وقد نجد بعض الأشخاص يقول عبارة: "خلّيها بالبركة"، وهنا نقول لهم: "إنَّ البركة في النظام". فالسيِّد المسيح في معجزة إشباع الجموع جعل الجموع يتَّكئون خمسين خمسين: «لأَنَّهُمْ كَانُوا نَحْوَ خَمْسَةِ آلاَفِ رَجُلٍ. فَقَالَ لِتَلاَمِيذِهِ: "أَتْكِئُوهُمْ فِرَقًا خَمْسِينَ خَمْسِينَ"» (لو ٩: ١٤).

وليس هذا فقط، بل أيضًا جمعوا كلَّ ما تبقَّى من الطعام حتى أنه ملأ اثنتي عشرة قفَّة، بمعنى أنهم قاموا بتنظيف المكان بعد الانتهاء من الأكل، وأيضًا الجميل في هذه المعجزة أننا لم نسمع أن أحدًا من هذه الآلاف لم يأخذ طعامًا: «ثُمَّ رُفِعَ مَا فَضَلَ عَنْهُمْ مِنَ الْكِسَرِ اثْنَتَا عَشْرَةَ قُفَّةً» (لو ٩: ١٧).

فالنظام يؤدِّي إلى البركة. وكلمة النجاح تبدأ بحرف النون، حيث إنَّ "النون" رمز لكلمة "نظام". فالعشوائيَّة لا تبني الإنسان وهي شكلٌ من أشكال الإهمال في حياة الإنسان، لأنها تُبدِّد طاقات الإنسان، ولا تجعل الحياة حياةً هادئة، لأنها تصير حياة مشوَّشة.

إنَّ تنظيم الوقت يأتي في مقدِّمة الأشياء الواجب تنظيمها، فحدِّد الأشياء الثابتة مثل عدد ساعات النوم وعدد ساعات العمل؛ أمَّا عدد الساعات المتبقية من اليوم فاخْتَر الطريقة المثالية التي ستقضي بها هذه الساعات.

إنَّ العشوائيَّة شكلٌ من أشكال "شِبْه الشر" الذي يؤدِّي إلى شر.

كل ما ذكرناه من صور في هذا الجزء يندرج تحت "شِبْه الشر". ويوجد صور أخرى يمكنك البحث عنها في حياتك. وهناك تدريب يمكنك أن تستخدمه لاكتساب هذه الفضائل أو لاقتناء هذه اللآلئ وهو:

إنه يُمكنك أن تكتب هذه الأعداد (١تس ٥: ١٢ – ٢٢)، ثم تبدأ على ضوئها مُراجعة نفسك، وترى ما لديك من لآلئ، وما يمكنك أن تُجاهد في اقتنائه.

البابا تواضروس الثاني
بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

مقال للأب متى المسكين

الإيمان بيسوع المسيح
ينقلنا من الموت إلى الحياة[1]



✞

كيفية تتميم الوصية الإلهيَّة:

✞ «كُلُّ مَا تَطْلُبُونَهُ فِي الصَّلَاةِ مُؤْمِنِينَ تَنَالُونَهُ» (مت ٢١: ٢٢).

✞ «اطْلُبُوا تَأْخُذُوا، لِيَكُونَ فَرَحُكُمْ كَامِلًا» (يو ١٦: ٢٤).

هذه وعودٌ صادقةٌ، ولكن السؤال الذي يتبادر إلى الذهن أو الضمير هو: كيف يتمُّ هذا؟ لأنَّ معنى الآية الأولى واضحٌ كلمة كلمة، ولكن كيف؟

هذا سؤال يمكن أن يُرافق كلَّ آية وكلَّ وصيَّة في الإنجيل.

✞ إنَّ الخطأ الذي وقع فيه العالم بالنسبة للإنجيل، هو أنَّ الأمر يقف عند حدِّ الشرح فقط؛ بمعنى: تشرح فتفهم جيِّدًا، ولكن لا تجد واحدًا يقول لك كيف؟ برغم أنَّ شارح الكتاب الذي يُكلِّمك، يشرح لك معنى الآية شرحًا جميلًا جدًّا! والحقيقة أنَّك لن تجد مَنْ يشرح لك ما يجب أن تَعمَله لتُتمِّم الوصيَّة، وربما المكان الوحيد الذي ستجد فيه ذلك هو في الأديرة. فالأديرة هي التي تهتمُّ بإنجاز ودراسة الكتاب المقدَّس للعمل به، لأنَّ الرهبنة هي تطبيقٌ وتنفيذٌ عمليٌّ للوصيَّة، التي هي إنجاز إنجيلي.

مثال: لماذا كُتِب الإنجيل؟ لماذا أعطى المسيح الإنجيل؟ كيف يُعلِّمنا المسيح أنَّ مَنْ ترك أباه وأُمَّه يأخذ مائة ضعف؟ ومَنْ لا يترك لا يأخذ؟ إنَّ خداع البصر الذي وقع فيه الإنسان بالنسبة للإنجيل، هو اهتمامه ٩٩,٥٪ بمفهوم الآية وتفسير معناها، دون النظر أو البحث عن وسيلة تنفيذها. وأوَّل مَنْ نفَّذوا الوصيَّة – وهم لا يدرون – كان آباؤنا الرُّسل: «هَا نَحْنُ قَدْ تَرَكْنَا كُلَّ شَيْءٍ وَتَبِعْنَاكَ» (مت ١٩: ٢٧)، قالها بطرس الرسول قبل أن يقول

(١) ملخَّص كلمة لم يسبق نشرها ألقاها قدس أبينا الروحي القمص متى المسكين على الآباء الرهبان، صباح يوم ١٩٨٠/٩/٢٧م، وهو تذكار الصليب المقدَّس، وكان ذلك أثناء عمل المجمع الرهباني.

المسيح الآية: «وَكُلُّ مَنْ تَرَكَ بُيُوتًا أَوْ إِخْوَةً أَوْ أَخَوَاتٍ أَوْ أَبًا أَوْ أُمًّا أَوِ امْرَأَةً أَوْ أَوْلاَدًا أَوْ حُقُولاً مِنْ أَجْلِ اسْمِي، يَأْخُذُ مِئَةَ ضِعْفٍ وَيَرِثُ الْحَيَاةَ الأَبَدِيَّةَ» (مت ١٩: ٢٩). فقد كان فيهم روح الإنجيل حتى قبل أن يفهموه. وإن كان كلام بطرس فيه نظرة تفضُّل على المسيح: "ها نحن قد تركنا من أجلك كلَّ شيء"! لكن المسيح أجابه بكلِّ لُطفٍ، مؤكِّدًا له وللجميع أنه سيأخذ مئة ضعف، ولن يكون خاسرًا أبدًا. وهذا هو تمامًا ما ينطبق على الحياة الرهبانيَّة، فهي التنفيذ العملي للإنجيل. فإنسانٌ ما ترك كلَّ شيء وذهب إلى الدير، لماذا؟ هو لا يستطيع أن يُجيب، ولكنه قام بتنفيذ وصيَّة الإنجيل بالمفهوم العملي.

✞ الذي تَرَكَ العالم، قد اخترق الهُوَّة الفاصلة بين الحياة الحاضرة والحياة الأبديَّة. ربما يكون قد تَرَكَ أشياء هي في نظر البعض هامَّة وضروريَّة، بينما هذه الأشياء التي تركها هي تحمل معنى التَّرْك الشمولي بمفهوم الإنجيل كلّه.

العبور من مرحلة الشَّكِّ إلى مرحلة اليقين:

وما سبق أن قلته الآن كان يختصُّ بشرح آية "مَنْ تَرَكَ ... إلخ"، وعن كيفيَّة تنفيذها بالنسبة لنا. ولكن حديثي اليوم هو فيما يختصُّ بالآية: «وَكُلُّ مَا تَطْلُبُونَهُ فِي الصَّلاَةِ مُؤْمِنِينَ تَنَالُونَهُ» (مت ٢١: ٢٢)، ولكن كيف؟ سأعتمد على الخروج من العالم على أساس أنَّه خبرةٌ رئيسيَّة، والذي يُكمِّلها ويُتمِّمها جيِّدًا يستطيع أن ينطلق منها لشرح وفَهْم كلِّ الإنجيل.

✞ فأنت كما خرجتَ من العالم ولك إيمانٌ مُطلَق أنَّ الله سيعولك، وسيُشبع كلَّ آمالك الماديَّة والروحيَّة والعاطفيَّة والأُسريَّة ... إلخ، هذا التَّرك الذي أصبح خبرةً عمليَّة، وأصبح هو إحساسك الحقيقي في الرهبنة، يؤكِّد – بصورةٍ ما – صدق كلام المسيح، ولكن بدرجاتٍ متفاوتة من واحدٍ لآخر. وهذه الخبرة هي التي يجب أن نقوم عليها ونقتنيها، أي: كيف نطلب الشيء ونأخذه، كما خرجنا من الخوف إلى الرجاء، ومن القلق إلى الخبرة! وكما قال مار إسحق: "إنَّ الشيطان مستعدٌّ أن يُقدِّم للإنسان كلَّ العالم، ولا يترك (الإنسان) العالم". ففي وسط الحَيرة من الخروج والخوف والقلق والانزعاج، نتحوَّل إلى الرجاء والسلام الأبديَّين ونأخذ مائة ضعف.

✞ كلُّ طِلبة في الصلاة لا بدَّ وأن تَعبُر أولًا من مرحلة الشكِّ والقلق إلى مرحلة الثقة واليقين؛ وعندها تتحقَّق هذه الطِّلبة. فعملية نَيْل ما يطلبه الإنسان تواجه صراعًا أشدَّ كثيرًا

من صراع الخروج للرهبنة، لماذا؟ لأنَّ الرهبنة فيها أشياء منظورة ومحسوسة، فالرجاء الذي سترتبط به واضحٌ، وأنت ترى أُناسًا سلكوا في هذا الرجاء قبلك. وطريقهم كان واضحًا، وتعرف أمجاد قدِّيسين عاشوا هذه الحياة قبلك.

إذن، فالرجاء الذي يجعل الإنسان يغلب القلق والشكَّ الذي يواجهه مُتاحٌ وسهلٌ. ولكن افترض أنَّك تُجاهد في الصلاة لتنال نعمة الرؤية الذهنيَّة لحياة المسيح، ولا يكون لك الإنجيل مجرد خبرٍ أو تاريخ؛ بل يكون كأنَّه تلفاز أو سينما مُحقَّقة لا على حائطٍ، بل في ذهنك وقلبك كأنَّه قائمٌ قدَّامك كلَّ حين، كأن تشتاق نفسك مثلًا أن تقترب من مفهوم الصلبوت وعمل الدم والفداء؛ حينئذ تختبر وتعرف الصليب كفعلٍ حيٍّ وليس كخبر في حياتك.

يا آبائي، هناك أكثر من ٩٥٪ من المسيحيِّين يعيشون الفداء كخبر وليس كفعل يسري في الدم والأعصاب والقلب، لهذا يهتزُّ الرجاء وتسقط المحبة تحت أرجل الشكِّ والنقمة والعداوة، مع أنَّ المحبة لا تسقط أبدًا. كلُّ هذا لأنَّ تحقيق المسيح في حياتنا ليس كاملًا، لأنَّ المسيح هو "المحبة". وإذا سكن المسيح في القلب سكنت المحبة، وهنا لا تسقط المحبة، ولا ينشَقُّ الإنسان على نفسه، لأنَّ شخص المسيح كائنٌ في القلب. فإن سكن المسيح في القلب، فليست المحبة وحدها لا تسقط؛ بل إنها تتغلغل في كلِّ حياة الإنسان.

✞ كذلك الرجاء، لأنَّ المسيح هو "رجاؤنا"، وهو قال: "أنا هو نور العالم". والرجاء والنور هما واحدٌ، والرؤيا الواضحة هي في حقيقتها تحمل مفهوم الإيمان الممتد بالمستقبل (الذي يصير رجاءً).

✞ فمتى نلنا طِلبة منه، مثل الفداء كفعل في حياتنا يربطنا بالمسيح، حينئذٍ يظهر عمل الدم في حياتنا كفعل مقابل الشكوك والأفكار المضطربة، ومقابل الخطايا والشهوات. إذًا، فالدم قد ترك فينا فِعلًا، وصار فِعلًا وقوَّةً في حياتنا، فيا للمجد! حينئذٍ لا يمكننا أن نعمل خطيَّة، وبالتالي يستطيع الإنسان أن يُعطي ذاته للموت مثل المسيح الذي أحبَّنا إلى المنتهى، أي إلى الموت!! يا للمجد.

العبور من الحياة الحاضرة إلى الحياة الأبديَّة:

✞ الطِّلبة هنا أنَّ الفداء يصير فينا فعلًا، وأن تَطلُبَ التواضُع، وأن لا يَطغَى العدوُّ ولا الذات

عليك، أو تُشكِّكَ في مواعيد الإنجيل ومواعيد الله لك. اطلب أن يُسهِّل عليك المسيح عملية العبور من الحياة الحاضرة إلى الحياة الأبديَّة. فبمجرد أن تُغمض عينيك لا تصير محتاجًا إلى جهادٍ ومُعاناة؛ بل تنال الكلَّ كعطيَّةٍ وهِبَة من الله. والحقيقة، أنَّ هذا هو الملاذ الوحيد لنا، فأنت تقول لي: "ما أعظم شيء يحصل عليه الإنسان في جهاده"؟ أقول لك: "هو إحساس الموت".

فالشخص وهو خارجٌ من العالم، يكون لديه إحساسٌ كأنَّه يموت، أو مستعدٌّ أن يموت، ويمكن أن نعتبر هذا الإحساس بمثابة القوَّة الوحيدة الدافقة والدافعة للإنسان لكي ينسلخ من هذا العالم. كما أنها تُمثِّل القوَّة التي تعبُر بالإنسان إلى السماء عَبْر القبر! فيكون للإنسان الخارج من العالم إحساسٌ مفعمٌ بالموت؛ يكون جائعًا وتقول له: "تعالَ كُلْ هذا الطعام"، لكنه يرفض ويصوم وهو سعيد.

✞ الحقيقة أنَّ كلَّ وصيَّة في الإنجيل تحتاج مِنَّا إلى ثقة وتمسُّك إلى حدِّ الموت. نطلب الشيء ونتمسَّك به ونموت من أجله فيكون لنا، أطلُب الشيء وأقول: "وإلَّا فإنني أموت يا ربُّ". وهذه درجة بسيطة في الطلب، وذلك مثل: (الواعظ الذي قال لله هبني لندن وإلَّا أموت ...)، وطبعًا المقصود هو اقتناؤها كلُّها لحساب الله. أمَّا الدرجة الأصعب، فهي أن يقول: "هأنذا، يا ربُّ، قد متُّ بالفعل"، وذلك مثل شخص يأتي للرهبنة ويقول للأب الروحي: "أنا فعلًا يا أبانا قد متُّ عن العالم"، فهو هنا يجوز إحساس الموت، ومثل هذا الإنسان يصير راهبًا رائعًا قد بلغ درجةً عالية من درجات السُّلَّم الروحي.

✞ الراهب الذي اجتاز الموت بكلِّ أحاسيسه فعلًا – أي اجتاز الموت نفسه – وليس الموت عن الأهل أو الوظيفة أو المال ... إلخ، فهذا الراهب يكون قد بلغ القمَّة الروحيَّة.

✞ توجد آية سرِّيَّة لم يستطع كثيرون أن يشرحوها، وهي: «إِنِّي بِافْتِخَارِكُمُ الَّذِي لِي فِي يَسُوعَ الْمَسِيحِ رَبِّنَا، أَمُوتُ كُلَّ يَوْمٍ» (١كو ١٥: ٣١)، آية لا يوجد أقوى منها في كلام بولس الرسول، والمُفسِّرون يقولون إنَّه يقصد الآلام والاضطهادات؛ ولكن أبدًا ليس هذا هو المقصود، فالمعنى الأصيل لها: "أُقسِم بابتهاجي وفرحي في المسيح يسوع، الذي جعلني أموت كلَّ يوم". إذن، الموت الذي كان يجوزه الرسول كان موتًا فعليًّا، ليس كفعلٍ داخلي وروحي وتأمُّلي فقط، ولكن كفعلٍ جسديٍّ حقيقي. وذات مرَّة فعلًا في لسترة مات وجرُّوه على الأرض ليُدفَن، فقام حيًّا مُتعافيًا، وهذه كانت معجزة في حدِّ ذاتها. وفي اعتقادي أنَّه

خلال هذه المدَّة رأى الأشياء التي لا يمكن أن يراها وهو حيٌّ، لا قبل ولا بعد.

✞ وعلينا أن نُدرِك أنَّ فعل الموت ممكن أن يكون جسديًّا أو روحيًّا، فمثلًا حالة الدَّهش هي نوعٌ من الموت. فالتنفُّس الطبيعي يكون ١٨ مرة في الدقيقة في المعتاد، ولكنه يصل في هذه الحالة (حالة الدَّهش) إلى ١٠ أو ٨ مرات، وكذلك النبض يصير بالكاد يُسمع، يعني يكون الإنسان نصف ميِّت. هذه كلُّها توضيحات بيانيَّة فقط، ولكن نعود لموضوعنا الأوَّل، وهو قول بولس الرسول: "أُقسِم بابتهاجكم في المسيح إني أموت ..."، فبولس الرسول لم يكن يجوز فقط الموت الصوري أو التأمُّلي؛ بل الموت الحقيقي والكُلِّي أيضًا، فهو لم يكن يموت عن شيء، بل عن كلِّ شيء، ولكن في ملء بهجة المسيح.

خبرة اجتياز الموت بقلبٍ مُتهلِّل:

✞ إذا ازدادت بهجة المسيح في القلب، فسوف يدخل الإنسان في خبرة الموت. فالراهب وهو خارج من العالم يشعر كأنَّه يموت، ولكن وهو فرحان، ويحسُّ بأنَّه – رغم كونه سائرًا على قدميه – يشعر وكأنَّه قد جاز خِبرة الموت. ما معنى هذا؟ وكيف يتمُّ؟ إنَّه أمرٌ يصعب تفسيره، فكيف تتمُّ هذه الآية؟ أو كيف أنال النعمة؟ أو كيف أنال أنا طلبتي في الصلاة؟ يلزم أن يكون الإنسان مهيَّئًا لإمكانية أن يجوز الموت وهو سعيدٌ وفَرِح القلب؛ أو بمعنى آخر: أن يختبر عمق البهجة القادرة أن تُجيزه الموت. ولكننا هنا وضعنا الغاية أمام الوسيلة، والأصحُّ أن نجوز الموت ليس لشيء معيَّن – كما قلتُ – أو عن الحياة، لأنَّ المسيح نفسه قال: "لستُ أطلب أن تأخذهم من العالم"، فهو لا يُسرُّ بموتنا، ولكن بنجاتنا من الشيطان. فالمطلوب، إذن، أن نُحقِّق القول: "إنَّنا من أجلك نُمات كلَّ النهار"، فأموت كلَّ النهار، وكلَّ يوم. صعبٌ أنْ أُفسِّر كيف أجوز الموت؟ فهذا ليس بالصوم، أو بنسيان الأهل أو الفرح بالظلم ... إلخ، فكلُّ هذه أمورٌ سلبيَّة.

ولكن أن نجوز الموت، فهذا ليس عملًا سلبيًّا، فاحتمال الاضطهاد والإهانة ... إلخ هي أعمالٌ سلبيَّة؛ ولكن المطلوب أن أجوز الموت وأنا أستنشق إنعاشة الهواء، وعينيَّ مرفوعتان نحو السماء، وقلبي مُتهلِّل. وهذا الأمر هو سلوكٌ إيجابيٌّ، ويساوي تمامًا الفرح الروحي وبهجة الخلاص في المسيح.

ولكن أقول كلمة تسند قلب الضعيف: إنَّه إذا أخذتَ هذه الأعمال السلبيَّة بإيجابيَّة، فإنك تبلغ هذا الموت، مع أنَّ المفروض أن تجوز هذا الموت ليس بسبب الضرب مثلًا؛

ولكنك إن قبلتَ الضرب بفرح من أجل المسيح، فأنت هنا قد حوَّلتَ الأمر السلبي إلى عملٍ إيجابي، وهذا يُعتَبَر جزءًا من الموت.

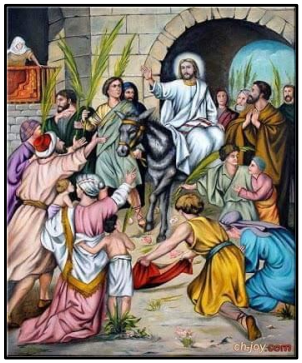
بالصليب والقيامة نعبُر من الموت إلى الحياة:

✞ الصليب مثالٌ واضحٌ للقوَّة السلبيَّة التي تستطيع أن تنقلنا من الموت إلى الحياة، فهو آلة الإعدام والموت والعقوبة التي نقلتنا من الموت إلى الحياة، ومن الحزن إلى الفرح، ومن الزمان إلى الأبديَّة. وهذا الصليب ليس هو الذي تضعه في جيبك أو على صدرك، ولكن أقصد: الاضطهاد ومُعاناة الهوان والذُّل ومُعاناة الحُكْم. فأنت عندما يُحكَم عليك ظُلمًا، فإنَّ ذلك يُطابق تمامًا موت المسيح على الصليب! لأنَّه أيضًا قد حُكِمَ عليه ظُلمًا.

ففي الصليب، إذن، يكمُن سرُّ الموت الذي يؤول إلى القيامة والحياة الأبديَّة، ونحن نقول جملة في قلب القدَّاس النابض، بلسان الشعب – لا الكاهن – وهي: "آمين آمين آمين. بموتك يا ربُّ نُبشِّر، وبقيامتك المقدَّسة وصعودك إلى السماوات نعترف ..."، (وفي قدَّاس القرن الرابع يُذكر الموت والقيامة فقط، أمَّا الصعود فقد أُضيف فيما بعد). وفي هذه الجملة – التي فيها الموت والقيامة – نأخذ في الجسد المقدَّس (الإفخارستيَّا) قوَّة الموت وقوَّة القيامة، وذلك لأنَّ الجسد هو جسدٌ حيٌّ. وتصوَّروا كيف يعيبون علينا أننا نسجد للجسد المقدَّس. فنُجيب: "ما دام المسيح هو القيامة ولا يمكننا أن نفصل الجسد والدم عن المسيح القائم والحيِّ في السماء؛ فالجسد والدم يحملان قوَّة العبور من الموت إلى الحياة. ونحن نسجد لجسد ودم المسيح القائم من الموت".

✞ كلُّ تغيير وانسلاخ من دورٍ إلى دورٍ، وكلُّ نموٍّ تسعون إليه، إنَّما هو انتقالٌ من موتٍ إلى حياةٍ. وإذا لم تكن هذه البذرة موجودة وهذا الاستعداد قائمٌ، فلن نستطيع أن نجوز خبرة الموت، وبالتالي لن نذوق القيامة. هذه هي المسيحيَّة، وهذا هو الإيمان المسيحي، إيمانٌ ينقلُنا من الموت إلى الحياة، ومن العالم الحاضر إلى الحياة الأبديَّة مع المسيح يسوع، الذي يُعبَّر عنه بالميلاد الجديد أو الميلاد الثاني، لأنَّنا نحن إن لم نَمُتْ ويحدث لنا موتٌ فعليٌّ فلن تحدث ولادة (ميلاد جديد).

✞ إذن، فالتعبير النهائي الذي فيه تتبلوَر المسيحيَّة هو: الإيمان بالانتقال من الموت إلى الحياة بيسوع المسيح؛ أو بتعبيرٍ آخر: **الإيمان بيسوع المسيح ينقلنا من الموت إلى الحياة.**



بمناسبة
أحد الشعانين

«مُبَارَكٌ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ»

من شرح العلَّامة أوريجانوس

لإنجيل القدِّيس متَّى[1]

(٢١: ١ – ٩)

نبوَّة زكريَّا النبي: الملك البارُّ والوديع الآتي إلى صهيون:

لماذا يسوع نفسه، بينما كان أمامه أتانٌ مربوطةٌ مع جحش، يأمر بحلّهما ويوصى بأنْ يُقال لأيِّ أحد يعترض: «إنَّ الرَّبَّ محتاجٌ إليهما»، فيُرسلهما للوقت؟ لا بدَّ أنَّ ربًّا بمثل هذه العظمة، يقصد أنْ يُظهِر شيئًا يليقُ بعظمته، حينما يقول إنَّه محتاجٌ إلى أتانٍ وجحشٍ كانا مربوطَيْن سابقًا.

وزكريَّا النَّبيُّ بن برخيا يزيد أيضًا شدَّة اشتياقنا لبحث هذا الموضوع، لأنَّه تنبَّأ عن هذه الأمور نبوَّةً جديرةً بالتَّأمُّل، فقد كتب فيها ما يلي: «اِفْرَحِي جِدًّا أَيَّتُهَا الابْنَةُ صِهْيَوْنُ. اِهْرِزِي أَيَّتُهَا الابْنَةُ أُورُشَلِيمُ. هُوَ ذَا مَلِكُكِ يَأْتِي إِلَيْكِ، وَهُوَ بَارٌّ وَمُخَلِّصٌ، وَدِيعٌ وَرَاكِبٌ عَلَى حِمَارٍ وَجَحْشٍ صَغِيرٍ» (زك ٩: ٩ عن النَّصِّ اليونانيِّ). فإنْ شئتَ أنْ تتعلَّم من النَّبيِّ لماذا يقول: «افرحي جدًّا» كنبوَّةٍ عن أمورٍ تستوجب الفرح للابنة صهيون، فاسمع بقيَّة قوله: «وَسَيَسْتَأْصِلُ الْمَرْكَبَاتِ مِنْ أَفْرَايِمَ وَالْخَيْلَ مِنْ أُورُشَلِيمَ، وَتُسْتَأْصَلُ قَوْسُ الْحَرْبِ، وَتَكُونُ كَثْرَةٌ وَسَلاَمٌ مِنَ الأُمَمِ. وَيَتَسَلَّطُ مِنَ الْمِيَاهِ إِلَى الْبَحْرِ، وَمِنَ الأَنْهَارِ إِلَى أَقَاصِي الأَرْضِ. وَأَنْتِ بِدَمِ الْعَهْدِ أَطْلَقْتِ أَسْرَاكِ مِنَ الْجُبِّ الَّذِي لَيْسَ فِيهِ مَاءٌ. سَتَجْلِسُونَ فِي الْحِصْنِ يَا أَسْرَى الْجَمَاعَةِ، وَعِوَضَ يَوْمٍ وَاحِدٍ مِنْ غُرْبَتِكِ أُعَوِّضُكِ ضِعْفَيْنِ» (زك ٩: ١٠ – ١٢ س).

---

(١) نقدِّم هنا ترجمة الفقرات ١٤ – ١٨ من الكتاب السَّادس عشر لشرح إنجيل متَّى للعلَّامة أوريجانوس، عن النَّصِّ اليونانيِّ المنشور في:

Commentarium in evangelium Matthaei (lib 12-17), GCS 40.2; ΒΕΠ, 14, (16: 14-18) pp 62-79.

وله ترجمة إنجليزيَّة في *The Sunday Sermons of the Great Fathers*, vol, 2, pp. 164 – 170.

ونجد في هذه العظة مثالًا مُتميِّزًا للتَّفسير الرَّمزي الَّذي وضع أصوله العلَّامة أوريجانوس، واشتهرت به مدرسة الإسكندريَّة من بعده.

وقد يتساءل أحدٌ: كيف يليق أنْ يأمر النَّبيُّ الابنة صهيون أنْ تفرح جدًّا، والابنة أورشليم أنْ تكرز بالرَّاكب «على حمارٍ وجحشٍ صغير»، في حين أنَّ يسوع، بعد قليل، لمَّا رأى أورشليم «بَكَى عَلَيْهَا» قائلًا: «يَا أُورُشَلِيمُ يَا أُورُشَلِيمُ، يَا قَاتِلَةَ الأَنْبِيَاءِ»، وما يتبع ذلك؟

فانتبه على قدر استطاعتك: هل يمكن أنْ تكون صهيون المدعوَّة الآن ابنةً لمَنْ يوصيها أنْ تفرح، وأورشليم أيضًا المدعوَّة ابنةً للَّذي يأمرها أنْ تكرز، هل يمكن أن تكون تلك هي الَّتي صَلَبَت الرَّبَّ؟ أمْ بالحريِّ صهيون السَّماويَّة الَّتي قَبِلته بعد أنْ صُلِب، الَّتي كُتب عنها في الرِّسالة إلى العبرانيِّين: «بَلْ قَدْ أَتَيْتُمْ إِلَى جَبَلِ صِهْيَوْنَ، وَإِلَى مَدِينَةِ اللهِ الْحَيِّ أُورُشَلِيمَ السَّمَاوِيَّةِ، وَإِلَى رَبَوَاتٍ هُمْ مَحْفِلُ مَلاَئِكَةٍ» (عب ١٢: ٢٢)؟ وفي الرِّسالة إلى أهل غلاطيَّة: «وَأَمَّا أُورُشَلِيمُ الْعُلْيَا، الَّتِي هِيَ أُمُّنَا جَمِيعًا، فَهِيَ حُرَّةٌ» (غل ٤: ٢٦). أليست هذه رموزًا للمخلِّص الَّذي حلَّ بواسطة تلاميذه قيودَ الأتان والجحش اللَّذَيْن ركبهما؛ أعني قيود الَّذين آمنوا به آنذاك من ذلك الشَّعب، والعتيدين أنْ يؤمنوا به من الأمم؟

فإنَّ جماعة اليهود في ذلك الحين كانت مربوطةً بالخطايا، وكان الجحشُ أيضًا (الأمم) مربوطًا معها، ذاك الَّذي صار فيما بعدُ شعبًا جديدًا مؤمنًا من الأمم. وهذان كلاهما، بينما كان المخلِّصُ عتيدًا أن يُصعدهما إلى أورشليم العُليا، أَمَرَ تلاميذه أنْ يَحلُّوهما، إذ أعطاهم الرُّوحَ القدس قائلًا: «اِقْبَلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ. مَنْ غَفَرْتُمْ خَطَايَاهُ تُغْفَرُ لَهُ، وَمَنْ أَمْسَكْتُمْ خَطَايَاهُ أُمْسِكَتْ» (يو ٢٠: ٢٢، ٢٣). ودائمًا تلاميذُ المسيح، الَّذين جَعَلهم أَكْفَاء لأَنْ يَكُونوا خُدَّامَ عَهْدٍ جَدِيدٍ، لَا الْحَرْفِ بَلِ الرُّوحِ (٢كو ٣: ٦)، يحلُّون الأتانَ المربوطةَ والجحش، ويقودونهما إلى يسوع، الرَّاغبِ أن يُحمَل فوق الَّذين انحلَّت رباطات خطاياهم القديمة بواسطة تلاميذه المُخْلِصين. ويليق بابنِ الله لكونه محبًّا للبشر أنْ يكون له احتياجٌ إلى الأتان المربوطة وإلى الجحش المربوط معها؛ فهو يحتاج إليهما حتَّى إذَا ما جلس عليهما، يُريحهما بالأحرى أكثرَ ممَّا يستريحُ هو بالجلوس عليهما.

وبينما كانت الأتانُ والجحشُ، اللَّذان يركبهما يسوع، صاعدَيْن إلى أورشليم، فهما عند وصولهما إلى هناك لا يبقيان أتانًا وجحشًا، بل يتغيَّران ويصيران نافعَيْن بشركة ألوهيَّة الكلمة ومعرفته الفائقة، بحيث يكون من اللَّائق أنْ يُرسَلَا إلى الموضع الَّذي تمَّ حلُّهما فيه سابقًا لمجد الله، بعد ما غيَّرهما الرَّبُّ ومنحهما هذا التَّحوُّل جزاءً على حملهما إيَّاه، حتَّى إذا تمَّ إرسالهما إلى موضعهما الأوَّل لا يعودا إلى نفس الأعمال السَّابقة.

ولم يرضَ ربُّنا محبُّ البشر، بعد أنْ قبلهما وكرَّمهما بتحريرهما من القيود واستعمالهما في الرُّكوب عليهما، أنْ يُرسلهما ثانيةً إلى القيود أو إلى أعمالٍ أقلَّ ممَّا عملَا، بعد أنْ قَبِلَا على ظهرهما ابنَ الله.

وكان يليق بصهيون ابنة الله أنْ تفرح جدًّا بمثل هذا السِّرِّ وبكلِّ مُلابساته، بل وأنْ تزيد الفرح إلى أقصاه، ذلك الفرح الَّذي هو ثمرُ الرُّوح، كما كان يليق بأورشليم ابنة الله أنْ تكرز بالآتي إليها «الملك البارّ والمخلِّص»، وهو ليس فقط مخلِّصًا، بل هو «بارٌّ ومخلِّص»، أيْ حافظ البرِّ، فهو يُخلِّص بالبرِّ، ويقود المُخلَّصين نحو الخلاص.

وهكذا جاء (الرَّبُّ) إلى صهيون وأورشليم «وديعًا وراكبًا على حمار وجحشٍ صغير»، كما قد بيَّنَّا، وهو يراقب إسرائيل أثناء استئصال «المركبات من أفرايم»، المساوية تقريبًا لمركبات فرعون، حيث «مركبات فرعون وقوَّته ألقاهما في البحر» (خر ١٥: ٤). وكان يأتي أيضًا ليستأصل من أورشليم الفرس المُستعمل في الحروب، وليصنع السَّلام لإسرائيل ويُعيد إليه خرافه الضَّالَّة، ويُعيد السَّلام أيضًا إلى أورشليم، ويُرجِع إليها أبناءها السَّاقطين.

فكيف لا يكون جديرًا بفرحٍ عظيم أنْ يأتي الملك البارُّ والمخلِّص والوديع إلى أورشليم، حين كان مقرَّرًا أن يُستأصَل منها كلُّ «قوسِ الحرب»، حتَّى لا يمدَّ الْخُطَاةُ الْقَوْسَ، ولا يُهيِّئون السِّهَامَ فِي جَعْبَتِهِمْ لِيَرْمُوا فِي الظَّلَامِ مُسْتَقِيمِي الْقُلُوبِ (مز ١٠: ٢)؟ وكان مقرَّرًا عندئذ أنْ تأتي «كثرةٌ وسلامٌ» من الأمم المؤمنين والمُخلَّصين، ويتسلَّط المُخلِّص «من المياه إلى البحر، ومن الأنهار إلى أقاصي الأرض»، بل يصنعون مجاريَ مياه ويُرْوُون أراضيها الكثيرة.

الأتان والجحش هما رمز الشَّعبين: اليهود والأمم:

ومَن أراد أنْ يفهم ما قيل عن «الابنة صهيون» و«الابنة أورشليم» أنَّه ينطبق ببساطة على شعب اليهود الَّذين جاء إليهم المخلِّص، فسيقول إنَّ اللُّوغوس يأمر الابنة صهيون أنْ تفرح، والابنة أورشليم أنْ تكرز. أمَّا إذَا عصى بعضهم، فلم يعملوا ما يليق بالفرح ولم يقبلوا ما يختصُّ بالكرازة، فقد صاروا هم أنفسهم سببًا لِمَا حلَّ بهم من آلام، حتَّى قِيل لهم: «كَانَ يَجِبُ أَنْ تُكَلَّمُوا أَنْتُمْ بِكَلِمَةِ اللهِ، وَلكِنْ إِذْ حَكَمْتُمْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُسْتَحِقِّينَ، فَهُوَذَا نَتَوَجَّهُ إِلَى الأُمَمِ» (أع ١٣: ٤٦).

وأمَّا جبل الزَّيتون (الَّذي منه أرسل يسوع تِلميذَيه لإحضار الأتان والجحش) فهو الكنيسة، الَّتي يُقال عنها إنَّها زيتونة جيِّدة الثَّمر: «أَمَّا أَنَا فَكَمِثْلِ زَيْتُونَةٍ مُثْمِرَةٍ فِي بَيْتِ اللهِ»

(مز ٥١: ١٠). وأمَّا الأوَّلون والمُتقدِّمون فيها فهم أولادُ المسيح وأبناؤه: «مِثْل أَغْرَاسِ الزَّيْتُونِ الْجَدِيدَةِ حَوْلَ مائدته» (مز ١٢٧: ٣).

التَّلاميذ يَحُلُّون القيود: خدمة العهد الجديد بالرُّوح:

وإذَا وجب توضيح مَنْ هم التِّلميذان اللَّذان أرسلهما يسوع إلى الأتان المربوطة والجحش الَّذي معها، لكي يحلَّاهما ويُحضراهما إليه، فربَّما يمكن أنْ يُقال بدون غضاضة إنَّهما بطرس وبولس، اللَّذان تبادلا «يمين شركة» ليكون بطرس للختان، أيْ للشَّعب الخاضع لنِير النَّاموس؛ وبولس للأمم، أيْ للجحش الصَّغير غير المُروَّض.

وأيضًا عن التِلميذين، نقول إنَّ هناك فئةً تخدم الخاضعين للختان، وأخرى الَّذين من الأمم. لكن هناك شركة بينهما، فكلَاهما يحلَّان ما أَمَرَ يسوع بحلّه؛ وعندما يُقال لهما: «لِمَاذَا تَحُلَانِ الْجَحْشَ؟» أو أيُّ شيء مثل ذلك، فكلاهما يكرزان أنَّ ربَّهما بحاجة إلى ما كان مربوطًا سابقًا. فهو بحاجة إلى كِلَا الأتان والجحش حتَّى يركب عليهما، وهما محرَّران من خطاياهما وقد نالا المغفرة؛ لأنَّ يسوع لا يجلس على مَنْ يزال مقيَّدًا وممسوكًا بسلاسل خطاياه.

ويسوع جلس على ملابس الَّذين وضعوها على الأتان والجحش، أيْ على التَّعليم الَّذي وضعوه عليهما. وحيث كان من الواجب أنَّ كلَّ واحد يُقدِّم شيئًا للمسيح الملك الوديع الَّذي ركب على الأتان والجحش الصغير، لذلك فـ «الْجَمْعُ الأَكْثَرُ فَرَشُوا ثِيَابَهُمْ فِي الطَّرِيقِ. وَآخَرُونَ قَطَعُوا أَغْصَانًا مِنَ الشَّجَرِ وَفَرَشُوهَا فِي الطَّرِيقِ» (مت ٢١: ٨). كان هذا «الجمع الأكثر» الَّذي جاء إلى أورشليم مع يسوع يُظهِرون ثمرَ قبولهم للمُخلِّص، بأنْ فرشوا ثيابهم في الطَّريق، وأيَّ شيء كان لديهم من زينة أو غطاء وضعوه أمام الأتان والجحش. ففي الطَّريق الَّذي كان يتقدَّم فيه الأتان والجحش نحو أورشليم، فرش الجمعُ الأكثر ثيابهم، لكي لا يُلامس الأتان والجحش الأرض القذرة أو الأشياء التُّرابيَّة بأقدامهما عند صعودهما إلى أورشليم.

أمَّا «الَّذِينَ تَقَدَّمُوا»، فيمكن أنْ تعتبر أنَّهم الَّذين سبقوا مجيئه، من الصِّدِّيقين والأنبياء؛ وأمَّا «الَّذِينَ تَبِعُوا»، فهم الَّذين تبعوا اللُّوغوس بعد مجيئه، سواء من الصِّديقين أو من رُسُل المسيح. لكن الَّذين سبقوه لم يقولوا نفس ما قاله الَّذين تبعوه؛ فالجميع كانوا يصرخون معًا كخورس مُسبِّح معًا ومُتناغم؛ لكن البعض سبَّحوا بشريَّة المُخلِّص قائلين: «أُوصَنَّا لِابْنِ دَاوُدَ!»، والبعض سبَّحوا مجيئه الثَّاني قائلين: «مُبَارَكٌ الآتِي بِاسْمِ الرَّبِّ!»، وغيرهم سبَّحوا رَدَّهُ لكلِّ شيء إلى القداسة قائلين: «أُوصَنَّا فِي الأَعَالِي!».



سرُّ عدم الموت، وعربون الحياة

عظة عن العشاء السِّرِّي[1]

للقدِّيس كيرلس الكبير

(٣٧٥ – ٤٤٤م)



بهجة التَّأمُّل في الله مقابل لذَّات الجسد الزَّائل:

ما أبهج وما أحلى عند مُحبِّي الله، وعند الَّذين يشتاقون حقًّا إلى الحياة، أنْ يتلذَّذوا بالله على الدَّوام، وأنْ يستريحوا في ذكرياته الإلهيَّة. فإنْ كان الَّذين يمتلئون من الطَّعام والشَّراب، ويُدلِّلون لذَّاتهم الجسديَّة الزَّائلة، يجعلون أجسادهم أكثر نضارةً وأشدَّ رِفعةً، فكم بالحريِّ الَّذين يهتمُّون بنفوسهم، ويتربَّوْن على ماء الرَّاحة، أعني على كرازة الله، هؤلاء سيُضيئون، كما قال النَّبيُّ، «مُشْتَمِلِينَ بِثَوْبٍ مُوَشًّى بِالذَّهَبِ، مُتَزَيِّنِينَ بِأَشْكَالٍ كَثِيرَةٍ» (مز ٤٤: ١٠ س)؛ «يُجَدِّدُون أَجْنِحَةً كَالنُّسُورِ. يَرْكُضُونَ وَلَا يَتْعَبُونَ، يَمْشُونَ وَلَا يَجُوعُونَ» (إش ٤٠: ٣١ س).

الوليمة السِّرِّيَّة: المسيح يُطعِم ويَخدم ويُريح:

وإذْ قد بلغنا إلى قمَّة الأسرار المُحيية، في الميدان الرُّوحيِّ، ووُضِعَت أمامنا عطايا السَّيِّد الفائقة الوصف زادًا للخلود، هلمُّوا يا جميع الَّذين يتنعَّمون بالأسرار غير المنطوق بها، ويا شركاء الدَّعوة السَّماويَّة، فَلْنُسرِع إلى العشاء السِّرِّيِّ مُتسربلين بلباس العُرْس بأكثر غيرة بالإيمان الطَّاهر العفيف. المسيح اليوم يُطعِمنا، المسيح اليوم يَخدمنا، المسيح محبُّ البشر يُريحنا. مهيبٌ هو هذا القول، مهيبٌ هو ما يَتِمُّ: العِجْل المُسمَّن يُذبح، وحَمَل الله الَّذي يرفع خطيَّة العالم يُقدَّم ذبيحةً.

---

(١) هذه العظة منسوبة في بعض المخطوطات للقدِّيس كيرلُّس الكبير، وفي مخطوطات أخرى لخاله البابا ثاؤفيلس. والأرجح أنَّ الَّذي ألقاها هو القدِّيس كيرلُّس لمَّا كان شمَّاسًا، بتوجيه من خاله البابا ثاؤفيلس، وقُرئت في يوم خميس العهد في كنيسة الإسكندريَّة، على أنَّها رسالة البابا في هذا اليوم، وهذا يُفسِّر نسبتها لكليهما في المخطوطات. ونُقدِّم هنا ترجمة للنَّصِّ اليونانيِّ المنشور في والمُسجَّل برقم (CPG: 5254): PG 77 1016-1029, Homilia x.، وهي ضمن ٢٢ عظة للقدِّيس كيرلُّس الكبير في PG تحت عنوان: Homiliae Diversae (عظات مُتفرِّقة).

فرح الآب وبَذْل الابن طوعًا في الآلام الخلاصيَّة:

الآب يفرح، والابن يُقدِّم ذاته ذبيحةً طوعًا، ليس اليوم من قِبَل أعداء الله، بل من قِبَل نفسه، لكي يُظهِر أنَّ الآلام الخلاصيَّة كانت بإرادته. أتريد أنْ أُبيِّن لك بتوضيح أكثر عظمة هذه الأمور الَّتي نتكلَّم عنها؟ فانتبه، لا إلى قصور كلامنا، ولا إلى حقارتنا، بل إلى عظمة أولئك الَّذين سبق أنْ أعلنوا هذه الأمور، وإلى جدارتها بالتَّصديق؛ إذْ لم يكن الكارزون بهذه الأمور أُناسًا بسطاء أو مُحتقرين، ولا مِمَّن ينقادون لصراخ الصِّبيان في الأسواق والأزقَّة، بل إنَّ سليمان العظيم بين الملوك قد أُرسل مُسْبَقًا من قِبَل ملك الكلِّ ككارزٍ بهذه الأمور.

سليمان الكارز بالحكمة الإلهيَّة وبرموز المائدة السَّماويَّة:

سليمان هذا الحاكم من فوق على العروش السَّامية، قد أَعْلَن أسرار العليِّ، وهو المُتسربل بالأرجوان وبالإكليل الملوكيِّ، قد نطق بأسرار الَّذي يُقيم الملوك ويُغيِّر الأحكام. فانظر ما أعظم مقام الكارز! تأمَّلْ أيضًا قوَّة ما أُعلن لك مُسْبقًا بواسطته: «الْحِكْمَةُ بَنَتْ لَهَا بَيْتًا وَسَنَدَتْهُ بِسَبْعَةِ أَعْمِدَةٍ؛ ذَبَحَتْ ذَبَائِحَهَا، مَزَجَتْ فِي كَأْسٍ خَمْرَهَا، وَأَعَدَّتْ مَائِدَتَهَا؛ أَرْسَلَتْ عَبِيدَهَا دَاعِيَةً بِمُنَادَاةٍ عَالِيَةٍ لِأَجْلِ الْكَأْسِ قَائِلَةً: مَنْ هُوَ جَاهِلٌ فَلْيَمِلْ إِلَيَّ؛ وَلِنَاقِصِي الْفَهْمِ قَالَتْ: هَلُمُّوا كُلُوا مِنْ خُبْزِي، وَاشْرَبُوا الْخَمْرَ الَّتِي مَزَجْتُهَا لَكُمْ؛ اُتْرُكُوا الْجَهَالَةَ، فَتَحْيَوْا، وَاطْلُبُوا الْفِطْنَةَ، لِكَيْ تَعِيشُوا، وَقَوِّمُوا الْفَهْمَ بِالْمَعْرِفَةِ» (أم ٩: ١ – ٦ س).

هذه لك، أيها الحبيب، كرموز لِمَا يُكمَّل الآن. هذه لك تنعُّمات الوليمة الحاضرة، العطاء الأعظم مُعدٌّ، القرابين الإلهيَّة معروضة أمامك. لقد أُعدَّت المائدة السِّرِّيَّة، ومُزج الكأس المُحيي؛ ملك المجد نفسه ينتقل نحوك، وابن الله يستقبلك، والكلمة الإلهيُّ المتجسِّد يدعوك بإلحاح. إنَّ الحكمة الَّتي بَنَت لنفسها هيكلًا غير مصنوع بيدٍ ليسكن فيه الله الآب (عب ٩: ١١)، توزِّع جسدها خبزًا، وتمنح دمها المُحيي خمرًا. يا لَهُ مِنْ سرٍّ رهيب! يا له من تدبيرٍ لا يُنطق به! يا له من تنازُلٍ لا يُدرك! يا لها من رحمةٍ لا تُستقصى! إنَّ الخالق يقدِّم ذاته لخليقته لتسعد به، الَّذي هو الحياة في ذاته يهب نفسه للمائتين مأكلًا ومشربًا.

هلمُّوا، كُلُوا خبزي، هكذا يدعو، واشربوا الخمر الَّتي مزجتها لكم (أم ٩: ٥). أنا أعددتُ نفسي مأكلًا، أنا مزجتُ ذاتي للَّذين يشتاقون إليَّ. صرتُ جسدًا بإرادتي، وأنا الحياة نفسها، وبرضايَ اشتركتُ في الدَّم واللَّحم، وأنا الكلمة وصورة الآب الجوهريَّة (عب ١: ٣)، لكي أُخلِّصكم. ذوقوا وانظروا كم أنِّي أنا الرَّبُّ صالح (مز ٣٣: ٩ س). لقد ذُقتم ثمرة العصيان، وعرفتم ما أَمَرَّ طعام

المُشير المرير. فذوقوا الآن ثمرة الطَّاعة، الَّتي تقي من الشَّرِّ المُرعب، وستعرفون أنَّ الطَّاعة لله صالحةٌ وأنفع. ذُقتم في أوانٍ غير مناسب، فَمُتُّمْ. كُلُوا الآن في الأوان المناسب، فتحيَوْا، وكما تعلَّمتم بالخبرة عاقبة العصيان، هكذا بالخبرة أيضًا تعلَّموا منفعة الطَّاعة. ذوقوا وانظروا كم أنِّي أنا الرَّبُّ صالحٌ (مز ٣٣: ٩ س). قارنوا الخبرة بالخبرة؛ باختبار الشَّرِّ نِلتم معرفة العصيان، وباختبار الخير تعلَّموا معرفة الطَّاعة. ذوقوا وانظروا كم أنِّي أنا الرَّبُّ صالحٌ (مز ٣٣: ٩ س).

ثمر العصيان ومرارة مشورة الشَّرِّ:

مدَّ آدم يدَه بالشَّرِّ، ولم يُكرِّم بهيبة وصيَّتي الخلاصيَّة؛ لم يُرِد أنْ يعرف منزلة السيِّد ولا خضوع العبد، ولم يُرِد أن يهرب بالإيمان من الحُكْم النَّاتج من عدم الإيمان، فمدَّ يده، وقايض مقايضة مرعبة، باع الحياة الطُّوباويَّة الَّتي كانت في يده، واقتنى باختياره في المُقابل الموتَ التَّعيس. صار هو نفسه صانعًا لموته الَّذي سبقتُ وحذَّرته منه، أوجد لنفسه الموت الَّذي لم يكن موجودًا، وبدَّل نعمة الخلود بالفساد النَّاتج من الإرادة الذَّاتيَّة. بإرادته جعل نفسه مُدانًا بالمُخالفة، وبجهله أقام نفسه حَكَمًا بين وصيَّتي أنا السَّيِّد وبين غواية المُجرِّب. لقد أعرض عن الوصيَّة الصَّادقة، وقدَّم نفسه ذبيحةً لعدم الإيمان، وصار شبيهًا بالباطل.

لأجل هذا كلِّه، أُقدِّم ثمرة العودة لطاعتي للَّذين ماتوا بسبب العصيان. ذوقوا وانظروا أنِّي أنا الرَّبُّ الأصدق في كلِّ شيء؛ إذ ليس من الحقيقة يولد الكذب، ولا من الحياة توجد زهرة الموت، لأنَّ الأضداد لا تتآلف. كُلُوني أنا الحياة، فتحيَوْا، فهذا ما أريده. كُلُوا الحياة الَّتي لا تزول، لأنِّي لأجل هذا «أتيتُ، لكي تكون لكم حياة، ويكون لكم أوفر» (يو ١٠: ١٠). كُلُوا خبزي، فأنا هو حبَّة الحنطة المُحيية، وأنا هو خبز الحياة. اشربوا الخمر الَّتي مزجتها لكم، فأنا هو شراب عدم الموت.

المسيح يُقدِّم ثمرة الطَّاعة: خبز الحياة وشراب عدم الموت:

اتركوا حماقة الإثم، فتحيَوْا. تعلَّموا من جديد بالخبرة الصَّالحات والمُبهجات؛ استردُّوا بالطَّاعة ما أفقدتكم معصية أبيكم الأوَّل. فذاك قد طُرد من الفردوس بسبب قلَّة أمانته؛ أمَّا أنتم فادخلوا بأمانتكم. انبذوا وقاحته، واقتنوا بدلًا منها التَّقوى نحوي أنا خالقكم. اطلبوا الحكمة لكي تحيَوْا، واستقيموا في معرفتي بالفهم. إنْ كان أحدٌ في غاية الجهل، فَلْيَملْ إليَّ، فتعرفوا نور الحقِّ. أنا هو الله الأوَّل، وأنا أيضًا الآخِر، ولم يُولد إلهٌ من الله الآب غيري. أنا في الآب، والآب فيَّ؛ أنا والآب واحد، ومَنْ رآني فقد رأى أبي؛ أنا هو الحياة والقيامة؛ أنا هو خبز الحياة النَّازل من السَّماء، الَّذي يهب حياة للنَّاس. اقبلوني كأنِّي خميرة في عجينكم، لكي تشتركوا في الحياة الَّتي لا تزول الَّتي

مني. أنا هو الكرمة الحقيقيَّة؛ اشربوا من نشوتي، من الخمر الَّتي مزجتها لكم (يو ١٤: ٩، ١٠؛ يو ١١: ٢٥؛ يو ٦: ٣٣؛ يو ١٥: ١؛ أم ٩: ٥).

لأنَّ كأسي يُسكرني، نعم! هو أقوى دواء مُسكر، يبدِّل الحزن الَّذي نبت في آدم بالفرح. هأنذا قد هَيَّأْتُ لكم مائدة تُجاهَ مُضايقيكم (مز ٢٢: ٥). مقابل عَدْن أسكنتُ آدم، بعد أنْ افترى على الموضع البهيج، لكي بمُعاينته النَّعيم الَّذي لم يَعُد من نصيبه، يتقبَّل بلا انقطاع العناء المستديم. لكن مقابل مُضايقيكم أيضًا، قد منحتكم مائدةً مُحيية ومُفرحة، وعِوَض الحزن فرحًا لا يُوصف، مجازاة للَّذين حسدوكم. كُلُوا خبزًا يُجدِّد طبيعتكم. اشربوا خمرًا هي بهجة الخلود. كُلُوا خبزًا مُطهِّرًا من المرارة الأولى، واشربوا خمرًا تُضَمِّد ألم الجرح. هذا هو علاج طبيعتكم، وهذا هو عقاب الَّذي جرحكم. لأجلكم صرتُ مثلكم، ولم أتغيَّر عن طبيعتي، لكي تصيروا أنتم شركاء الطَّبيعة الإلهيَّة بواسطتي.

فتغيَّروا إذًا التَّغيُّر الحَسَن، لتكونوا أكثر بهاءً بتحوُّلكم من العالم إلى الله، ومن الجسد إلى الرُّوح. لقد صرتُ الكرمة الحقيقيَّة في جنسكم، لكي تُثمروا أنتم بيَّ ثمارًا تفوح عطرًا. اشبعوا من دسم طعامي السماويِّ، فتزدهروا. أنا الرَّبُّ الَّذي يُعطي طعامًا لكلِّ جسد، ولا سيَّما للَّذين يخافونني، كما سبق فأعلن داود قائلًا: «رحيمٌ هو الرَّبُّ ورؤوف، أعطى طعامًا لأتقيائه» (مز ١١٠: ٤، ٥ س). قد أمطرتُ قديمًا على إسرائيل المَنَّ، وأنزلتُ من السَّماء خبزًا مُعدًّا بلا تعب؛ لكن المحبوب رفض المعجزة ورفسها، «وإسرائيل لم يعرفني، وشعبي لم يفهمني» (إش ١: ٣). لكن ليس كما أكل أولئك المَنَّ في البرِّيَّة فماتوا، أنا أُعطيكم جسدي. لأنَّ مَنْ يأكل هذا الخبز يحيا إلى الأبد (يو ٦: ٥٩).

إعلان الأسرار الإلهيَّة في اليوم الأقدس:

فهل فهمتم هذا، أيُّها الأحبَّاء؟ هل صار واضحًا أمامكم كلام الرَّبِّ عن هذه الأسرار الَّتي لا يُنطق بها الَّتي تمَّت في هذا اليوم الأقدس؟ أمْ ترغبون أنْ تتأمَّلوا بأكثر عمق مجد هذه الأمور؟ فإنَّنا سنُبسِّطها بكلِّ اشتياق، ونوضِّحها للعارفين بالحقِّ، تلك الَّتي تشتهي الملائكة أنْ تطَّلعَ عليها (١بط ١: ١٢)، لا كَمَنْ يتجاهل أو يتجاوز ما أُعلن إلهيًّا من قَبلُ، بل كَمَن يوضِّح من أصلٍ قديم ما هو متَّصلٌ بهذه الأمور. فصلُّوا من أجلي، يا أبنائي الصَّالحين، أتوسَّل إليكم، أنا المُتعَب من مسيرة الحياة، والمُتهيِّب من القدوم على هذه المهمَّة السَّامية، لكي يمنحني الرَّبُّ أنْ أتكلَّم بمعرفة، وأنْ أتأمَّل بما يليق بهذه الأمور. أسندوني، أيُّها الأحبَّاء، حتَّى كما أنَّ بني إسرائيل منذ

القديم أَرَوْنَا الابن؛ نمضي نحن معًا إلى صهيون المُشتهاة، لنُعاين بالفكر تلك المدينة العليا، كيف أنَّ الَّذي يمسك أطراف الأرض يُهيِّئ نفسه للعشاء السِّرِّيِّ! وكيف أنَّ الجالس على الكروبيم يتَّكِئ في العشاء! وكيف أنَّ الَّذي أكلوه بالرَّمز في مصر، يُقدِّم الآن نفسه ذبيحةً بإرادته! فبعد ما أُكل الفصح الرَّمزيُّ أَظْهَر الحقيقة تحقيقًا للرَّمز، وقدَّم نفسه الآن طعامًا للحياة، لكي يربط البداية الَّتي شرَّعها هو بكلِّ حكمة بالنهاية، حتَّى يجعل عطاياه الإلهيَّة النَّابعة من محبَّته للبشر مِلْكًا مشتركًا إلى الأبد لجنس البشر. فتقبَّل منِّي شرح هذه الأمور من الأناجيل الإلهيَّة: «وفيما كانوا يأكلون – يقول الإنجيليُّ – أَخَذَ يسوع خبزًا، وكسره، وأعطى تلاميذه وقال: خُذُوا، كُلُوا، هذا هو جسدي. وأَخَذَ الكأس، وشكر، وأعطاهم قائلًا: اشربوا منها كلُّكم، لأنَّ هذا هو دمي الَّذي للعهد الجديد، الذي يُسفك من أجل كثيرين لمغفرة الخطايا» (مت ٢٦: ٢٦ – ٢٨).

جمال الخدمة المقدَّسة وإتمام النَّاموس بالنِّعمة:

ما أروع هذا! ما أقدس هذه الخدمة! ما هذه الأسرار الإلهيَّة؟ لقد عَبَر على الحرف، ثمَّ أكمل ما للرُّوح! لقد علَّم بالرُّموز، ثمَّ وهب النِّعمة بالفعل! في صهيون أتمَّ ناموس الحرف، ومن صهيون أذاع ناموس النِّعمة. فلننظر إذًا، إلى ما جرى في وسط العشاء، ما هو؟ وكيف كان؟ وما عظمته؟ يقول الإنجيليُّ: «قام عن العشاء، وخَلَعَ ثيابه، وأَخَذَ مِنْشَفَةً واتَّزر بها؛ ثمَّ صبَّ ماءً في مِغْسَل، وابتدأ يغسلُ أرجل تلاميذه، ويمسحها بالمِنْشَفَة الَّتي كان مُتَّزرًا بها» (يو ١٣: ٤، ٥).

المسيح المُتسربل بالنُّور يغسل أرجل تلاميذه:

هل يوجد أعجب من هذا؟ هل يوجد أرهَب من هذا؟ «المتسربل بالنُّور كثوب» (مز ١٠٣: ٢ س)، يتَّزر بمنشفة؛ الَّذي «يصرُّ المياه في سُحُبه» (أي ٢٦: ٨)، الَّذي «يختم الهاوية باسمه المخوف» (صلاة منسَّى ٣)، يشدُّ نفسه بمئزرة؛ الَّذِي «يَجْمَعُ مِيَاهَ الْبَحْرِ كَمَا فِي زِقٍّ» (مز ٣٢: ٧ س)، يصبُّ ماءً في مغسل؛ «المُسقِّف علاليه بالمياه» (مز ١٠٣: ٣س)، صار يغسل بالماء أرجل تلاميذه؛ الَّذي «قَاسَ السَّمَاءَ بِالشِّبْرِ وَأَمْسَكَ الأَرْضَ بِقَبْضَتِهِ» (إش ٤٠: ١٢)، بيديه الطَّاهرتين كان يمسح تراب أرجل عبيده. الَّذي له «تجثو كلُّ ركبة ممَّنْ في السَّماء وعلى الأرض وتحت الأرض» (في ٢: ١٠)، أَحْنَى عُنقه قدَّام خدَّامه. الملائكة رَأَوْه فذُهلوا؛ السَّماء نظرت إليه فارتعدت؛ وتوقَّفت الخليقة وارتجفت.

حوار المسيح مع بطرس، من الرَّفض إلى القبول:

«فجاء إلى سمعان بطرس، فقال له ذاك: يا ربُّ، أنت تغسل رجليَّ؟» (يو ١٣: ٦). ألم أُظهر

قبلًا عدم استحقاقي، قائلًا: «اخرج من عندي، يا ربُّ، لأنَّني رجلٌ خاطئ» (لو ٥: ٨)؟ والآن كيف أجرؤ على هذا؟ أفلا ترتعد طبيعتي البائسة المُرتجفة إنْ قبلتُ هذا؟ أفلا توبِّخني الخليقة كلُّها على جسارتي إنْ تجرَّأتُ على ذلك؟ لا تُثقِّل على عبدك، أيُّها السَّيِّد، لئلَّا ترى الشَّمسُ جرأة بطرس فتُظلِم عليَّ. أشفقْ، يا ربُّ، على خادمك بطرس، لستُ مستحقًّا أن أُدعى عبدك! لن تغسل رجليَّ إلى الأبد!

أرتعد وأنا أنظر هذا، وأُذهل وأنا أتأمَّله: الله يخدم الإنسان، الملك يخدم المُخضَع له، السَّيِّد ينحني للعبد. أشفقْ، أتوسَّل إليك، لئلَّا يتعلَّم ما تحت السَّماء من بطرس عدم التَّقوى. لكن ماذا يقول أمين الأسرار الحكيم؟ «لَسْتَ تَعْلَمُ أَنْتَ الآنَ مَا أَنَا أَصْنَعُ، يا بطرس، وَلَكِنَّكَ سَتَفْهَمُ فِيمَا بَعْدُ» (يو ١٣: ٧).

اسمح إذًا أنْ أُكمِّل، وأصنع لك هذه الخدمة المقدَّسة. وإنْ لم يكن كذلك، فليس لك نصيبٌ معي. فلما سمع الهامة (أيْ بطرس) ذلك تغيَّر ممَّا سمع، وتحيَّر بما يُجيب، قائلًا: آهٍ، يا ربُّ، لقد ضاق بي الأمر من كلِّ جانب؛ فالعناد ثقيل، والمُلاججة مُضرَّة، والرَّفض مؤذٍ، والموافقة عليَّ شاقَّة جدًّا. ولكن ليغلب أمر الله، وليس للعبد أنْ يُجادل؛ ولتغلب حكمة الله، وليس للعبد أنْ يتبرَّر. أنا قد تراجعتُ عن الجرأة، وأنت اسمح أنْ أحتمل وأتقبَّل هذا العمل المهيب المقدَّس. فافعل ما تشاء، أيُّها السَّيِّد، واصنع ما يروق لك، يا ربُّ، ولكي يكون لي نصيبٌ معك، لا تغسل رجليَّ فقط، بل أيضًا يديَّ ورأسي.

الآن أتضرَّع، الآن أتوسَّل؛ لعلِّي أنال هذا الإجراء الإلهيَّ، لئلَّا أُحرَم من العطيَّة الإلهيَّة. لعلِّي أنال مشيئتك المسجود لها، لئلَّا أخسر مسرَّتك. ها أنا أمدُّ قدمي، ها أنا أبسط يديَّ، ها أنا أحني هامتي، فقط لئلَّا أُفصل عن نصيبي مع ربِّي. لئلَّا أخسر الطُّوبى الَّتي تفوق الوصف، ولئلَّا أكون عبدًا مُتمرِّدًا، مُقاوِمًا لله. فلتعلم الخليقة كلُّها أنِّي أَعتبِر هذا المغسل اليوم ملكوت السَّماوات.

الغسل الإلهيُّ مثال المحبَّة والاتِّضاع:

ولما تمَّ الغسل الإلهيُّ، اتَّكأ الرَّبُّ وقال لهم: «أتفهمون ما قد صنعتُ بكم؟ أَنْتُمْ تَدْعُونَنِي مُعَلِّمًا وَسَيِّدًا، وَحَسَنًا تَفْعَلُونَ، لأَنِّي أَنَا كَذلِكَ. فَإِنْ كُنْتُ وَأَنَا السَّيِّدُ وَالْمُعَلِّمُ قَدْ غَسَلْتُ أَرْجُلَكُمْ، فَأَنْتُمْ يَجِبُ عَلَيْكُمْ أَنْ يَغْسِلَ بَعْضُكُمْ أَرْجُلَ بَعْضٍ، لأَنِّي أَعْطَيْتُكُمْ مِثَالًا، حَتَّى كَمَا صَنَعْتُ أَنَا بِكُمْ تَصْنَعُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ» (يو ١٣: ١٢ – ١٥). فتمثَّلوا إذًا بي، أنا ربَّكم، لكي بواسطة هذا العمل الحَسَن تصيروا شركاء الطبيعة الإلهيَّة. هذا هو الطَّريق الأفضل للارتفاع الَّذي رسمته

لكم مُسْبقًا. فقد انحنيتُ قديمًا نحو التُّراب، حين منحتُ جنسكم بدء الوجود وحُسن الوجود، وأخذتُ طين الأرض فشكَّلتُ إنسانًا، وجعلته يقتني الرُّوح على الأرض. والآن سُررتُ أنْ أنحني ثانيةً، لكي أُدعِّم أساس وأُقوِّم مسيرة جبلتي الَّتي فسدت. أنا وضعتُ عداوة ولعنة بين المُخادِع والمخدوع، برصد متبادل للرَّأس والعقب، وأنا الآن أُسلِّح العقب المجروح ضدَّ التِّنِّين، لكي لا يحيد فيما بعدُ عن الطَّريق المستقيم. لقد هيَّأتُ أقدامكم لتدوسوا الحيَّات والعقارب، وعلى كلِّ قوَّة العدوِّ، ولن يقدر أحدٌ أن يضرَّكم (لو ١٠: ١٩).

دعوة إلى الاقتداء بالمسيح والابتعاد عن الانقسام:

بالكبرياء أسقطَ هَمْسُ (الحيَّةِ) علوَّ المخلوق الأوَّل الأرضيِّ. فاسحقوا الكبرياء والتَّجبُّر بالاتِّضاع البهيج فيما بينكم. اسعوا وراء ذلك بكلِّ قوَّة. أنا الرَّبُّ الَّذي يُعطي نعمةً للمتواضعين، ويَمقُت الكبرياء: «لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَرْفَعُ نَفْسَهُ يَتَّضِعُ، وَمَنْ يَضَعُ نَفْسَهُ يَرْتَفِعُ» (لو ١٨: ١٤). لذلك أوصيكم أنْ تحبُّوا بعضكم بعضًا: «بِهذَا يَعْرِفُ الْجَمِيعُ أَنَّكُمْ تَلاَمِيذِي: إِنْ كَانَ لَكُمْ حُبٌّ بَعْضًا لِبَعْضٍ» (يو ١٣: ٣٥). وأعود فأقول: انظروا، أيُّها الأحبَّاء، عِظَمَ شأن هذا اليوم المجيد الحاضر؛ وما أسمى الأمور الَّتي نُعيِّد لها: حضور الله، خدمة الذَّبيحة المهيبة، عطيَّة عدم الموت، وعربون الحياة الَّتي لا تنتهي.

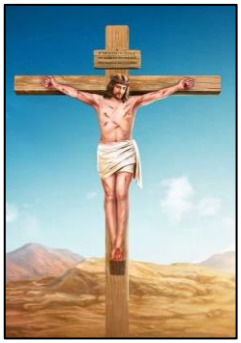
فلذلك، يا أحبَّائي المشتهون لي، ويا شركاء الدَّعوة السَّماويَّة، فَلْنَقْتَدِ قدر المُستطاع برئيس خلاصنا ومُكمِّله يسوع. فلنشتهِ الاتِّضاع السَّامي، والمحبَّة الَّتي توحِّدنا بالله، والإيمان البسيط بالأسرار الإلهيَّة. اهربوا من الانقسام، تجنَّبوا الشِّقاق، واطرحوا كلَّ الأباطيل الفارغة.

جسد الحياة ودم عدم الموت، سر الاتِّحاد بالثَّالوث القدوس:

لتكن النِّعمة الإلهيَّة موافقة لنا حتَّى نتذكَّر في هذا العيد الأقدس تعهُّداتنا. فلنتناول نحن، إذًا، جسد الحياة نفسِها، الَّذي من أجلنا سكن في جسدنا، كما يقول يوحنَّا الإلهيُّ: «إِنَّ الْحَيَاةَ قد أُظْهِرَت» (١يو ١، ٢). وأيضًا: «والكلمةُ صار جسدًا وحلَّ فينا» (يو ١: ١٤)، وهو المسيح ابن الله الحيِّ، الواحد من الثَّالوث القدُّوس. ولنَشرب دمه المقدَّس لغفران خطايانا، وللاشتراك في الخلود الَّذي فيه، مؤمنين أنَّه هو الكاهن والذَّبيحة معًا، هو الَّذي يُقدِّم، والَّذي يُقدَّم معًا، وهو القربان وقابل القربان معًا، دون أن نُقسِّم إلى شخصين الاتِّحاد الإلهيِّ غير المُنقسم وغير المُختلط الَّذي للواحد من الثَّالوث كلِّيِّ الإكرام، الَّذي له المجد والسُّجود مع الآب والرُّوح القدس إلى دهر الدُّهور. آمين.

بمناسبة
الجمعة العظيمة

المسيح فصحنا ذُبِحَ من أجلنا



• **«وَهُوَ مَاتَ لأَجْلِ الْجَمِيعِ كَيْ يَعِيشَ الأَحْيَاءُ فِيمَا بَعْدُ لَا لأَنْفُسِهِمْ، بَلْ لِلَّذِي مَاتَ لأَجْلِهِمْ وَقَامَ» (٢كو ٥: ١٥).**

❖ سجَّل لنا **القدِّيس بطرس خاتم الشهداء** البابا الـ ١٧ (نحو سنة ٢٦٠ – ٣١١م) ما يُنير أذهاننا بخصوص عيد الفصح اليهودي الذي تحقَّق رمزه في فصحنا الحقيقي، فقال[١]:

[حدَّد الناموس القديم شهر أبيب (وهو غير شهر أبيب القبطي[٢]) ليكون هو أول شهور السنة (خر١٢: ٢؛ تث١٦: ١). وقد علمنا من الذين عاشوا قبل وبعد خراب أورشليم عام ٧٠م، أن هذا التحديد كان سببه أنَّ هذا الوقت من السنة يكون فيه الحصاد قد بدأ في بعض الأماكن. لذلك أَمَرَ الناموس أنه منذ الاعتدال الربيعي (أي عندما يتساوى طول الليل بطول النهار، وهو يوم ٢١مارس)، فإنَّ الأسبوع الذي يقع فيه اليوم الرابع عشر من الشهر الأول يُحتَفَل فيه بالفصح (حيث كان يستغرق الاحتفال به أسبوعًا) بالألحان والتسابيح المناسبة.

لقد اعتُبِرَ هذا الشهر هو أول شهور السنة، لأن فيه تكون أشعة الشمس أقوى وأوضح ما يمكن، فضلًا عن أن البذور الجديدة تكون قد نمت، كما أن جميع الأشجار تكون قد أزهرت وبدأت تُعطي على التعاقُب فواكه متعدِّدة الأنواع. ولذلك حافظ اليهود

---

(١) مقتطفات من كتاباته نُشرت في ANF, Vol. VI, p. 280.

(٢) "أبيب" كلمة عبرية معناها: "الحنطة الخضراء" أو "الفريك". وبتوجيه إلهي بواسطة موسى النبي سُمِّي أول شهور الربيع – حيث تكون سنابل القمح أو الفريك الخضراء – بهذا الاسم "أبيب"، واعتُبر هو أول شهور السنة، وهو الذي كان يحتفل فيه شعب الله بعيد الفصح تذكارًا لعبورهم من أرض مصر إلى أرض الموعد. وفي سبي بابل أَخَذَ اليهود اسم "نيسان" بدلًا من "أبيب"، لأن هذا هو اسمه في التقويم البابلي: "في الشهر الأول أي شهر نيسان" (أستير ٣: ٧)، وهو الذي يُقابل شهر أبريل في السنة الميلاديَّة.

على هذا الشهر الأول حتى خراب أورشليم. أمَّا بعد هذا التاريخ فقد ازدروا بهذا التقليد بنوع من قساوة القلب، وهم اليوم (أيام البابا بطرس) يحتفلون بالفصح قبل الاعتدال الربيعي بجهلهم.

وما يهمُّنا نحن، هو أن نحفظ ذكرى آلام الربِّ حسبما سلَّمنا منذ البداية الذين شهدوا بأنفسهم هذه الآلام (أي الرُّسُل) قبل أن يؤمن المصريون. فبينما كان الأتقياء يسيرون حسب خُطَى آبائهم ويحتفلون بهذا الفصح الرمزي، فإنَّ الابن الوحيد كلمة الله الآب المساوي لأبيه القدوس والروح القدس (في الجوهر)، ربنا يسوع المسيح الذي تحادث مع الناس كإنسانٍ مثلهم؛ قد رأيناه يحتفل مع شعبه قبل بداية خدمته العلنيَّة وفي أثنائها بالفصح الشرعي الرمزي وأكل معهم من الحَمَل الفصحي، لأنه قال: «مَا جِئْتُ لأَنْقُضَ (الناموس والأنبياء) بَلْ لأُكَمِّلَ» (مت ٥: ١٧).

ولكن بعد هذه الخدمة العلنيَّة لم يأكل الرب من هذا الحَمَل (خروف الفصح)، ولكنه هو نفسه ذُبِحَ باعتباره هو الحَمَل الحقيقي الذي لعيد الفصح الحقيقي. ويقول إنجيل يوحنا: «ثم جاءوا بيسوع من عند قيافا إلى دار الولاية، وكان صبحٌ، ولم يدخلوا هم إلى دار الولاية لكي لا يتنجَّسوا إذ كان ينبغي أن يأكلوا الفصح» (يو ١٨: ٢٨حسب النَّصِّ). ولما قدَّم بيلاطس يسوعَ لليهود قائلًا: «هوذا ملككم، فصرخوا: خُذْه خُذْه، اصلبه»، يقول الإنجيل: «كان (حينئذٍ) استعداد الفصح ونحو الساعة الثالثة» (يو١٩: ١٣-١٥) (و"الساعة الثالثة" هنا هي حسب بعض النُّسخ القديمة، كما يقول القدِّيس بطرس خاتم الشهداء). هكذا يقول الإنجيل الذي كتبه القدِّيس يوحنا بيده، والذي حُفِظَ حتى الآن بنعمة الله في كنيسة أفسس المقدَّسة، ولا زال مُكرَّمًا عند المؤمنين.

ثم يقول نفس الإنجيل أيضًا: «ثم إذ كان الاستعداد، فلكي لا تبقى الأجساد على الصليب في السبت – لأن يوم ذلك السبت كان عظيمًا – سأل اليهود بيلاطس أن تُكسر سيقانهم ويُرفعوا» (يو١٩: ٣١). إذًا، ففي نفس هذا اليوم الذي كان اليهود على وشك أن يأكلوا الفصح في مسائه، صُلب ربنا ومخلِّصنا، صائرًا ضحيةً للذين سيشتركون بالإيمان في السرِّ المُختصِّ به، كما قال بولس الرسول: «لأن المسيح فصحنا قد ذُبِحَ لأجلنا» (١كو ٥: ٧). وليس كما يقول البعض بجهالة إنَّ الربَّ بعد أن أكل الفصح غُدِرَ به، هذا الذي لم نتعلَّمه من الإنجيليِّين القدِّيسين، ولا سلَّمه لنا أيُّ واحد من الرُّسُل الطوباويين.

إذًا، فحينما تألم ربنا وإلهنا يسوع المسيح لأجلنا بحسب الجسد، لم يأكل من هذا الفصح الشرعي واليهودي، ولكنه هو نفسه – باعتباره الحَمَل الحقيقي – قد ذُبِحَ لأجلنا في عيد الفصح الرمزي في يوم الاستعداد لليوم الرابع عشر من الشهر القمري الأول. وهنا توقَّف عمل الفصح الرمزي، حيث وُجِدَ الفصح الحقيقي: «لأَنَّ فِصْحَنَا أَيْضًا الْمَسِيحَ قَدْ ذُبِحَ لأَجْلِنَا»].

لماذا الصليب؟

❖ يتساءل البعض: لماذا اختار الربُّ أن يُسلِّم نفسه للموت ليفدينا؟ ألم يكن في استطاعته أن يفعل شيئًا آخر؟ وإذا كان لا بدَّ من الموت، فلماذا سمح لنفسه بهذه الطريقة البشعة، أن يُدَقَّ على خشبة اللعنة والعار؟ ألم توجد طريقة أقل بشاعة؟ يُجيب على ذلك **القدِّيس كيرلس عمود الدين** قائلًا:

[لقد صارت طبيعة الإنسان مريضةً وفاسدةً لأنه ورث عصيان أبيه الأول آدم، وبذلك سَرَى في الإنسان حُكْم الموت. ولكن لمَّا دبَّر الخالق ما هو لخيرنا وأراد أن يُغيِّر طبيعة الإنسان فينزع منها الفساد ويُعيدها إلى ما كانت عليه، أرسل ابنه حسب التدبير إلى حماقتنا لكي ما يتألَّمه لأجلنا بالجسد يُبطل سطوة الموت علينا، لأنه هو بطبيعته الحياة ومولود من الحياة أي من الله الآب. وهكذا وَضَعَ أبونا السماوي لنا أصلًا (أو جذعًا) جديدًا لا يمكن أن يسود عليه الموت، وهو ربنا يسوع المسيح كلمة الله، الذي صار إنسانًا مثلنا ووضع ذاته وأسلم جسده (المُتَّحد بلاهوته) للموت لأجلنا كالتدبير. ثم أعلن تفوُّقه على الفساد بقيامته من الموت، لكي يُعطي ضمانًا لكلِّ المؤمنين به أنه سيُقيمنا نحن أيضًا ويجعلنا نسمو على قيود الموت!

ما أعمق ما فعله المسيح مخلِّص الكلِّ، فهو مملوءٌ بالحكمة السامية! فما يظنُّه الناس ضعفًا هو القوَّة التي تفوق قوَّة البشر، لأن الابن الوحيد أَخَذَ شبهنا حتى إذا تألم بالجسد وقام من الموت، يُعيد طبيعتنا إلى الحياة ويجعلها أقوى من الموت والفساد. فما حقَّقه كان قوةً وتجديدًا للخليقة. فالابن الكلمة أقوى من البشر، لأن ما حلَّ بنا من ضعف وفساد لم يكن من المُمكن أن يُعالجه إلَّا القوَّة التي عُمِلَت بالصليب وبالقيامة، وبرهنت بذلك على أنها هي قوَّة الله][٣].

(3) Against Nestorius, Tome V.

❖ وفي شرح **القدِّيس يوحنا ذهبي الفم** للآية: «مَلْعُونٌ كُلُّ مَنْ لَا يَثْبُتُ فِي جَمِيعِ مَا هُوَ مَكْتُوبٌ فِي كِتَابِ النَّامُوسِ لِيَعْمَلَ بِهِ» (غل ٣: ١٠؛ تث ٢٧: ٢٦)، يقول:

[لقد حلَّت هذه اللَّعنة على كلِّ البشر، لأنه لا يوجد أحدٌ استطاع أن يَثبُت في العمل بجميع الوصايا. ولكن لأن ربنا يسوع المسيح هو الوحيد الذي قيل عنه: «الَّذِي لَمْ يَفْعَلْ خَطِيَّةً، وَلَا وُجِدَ فِي فَمِهِ مَكْرٌ» (١بط ٢: ٢٢، إش ٥٣: ٩)، فقد أَخَذَ على عاتقه أن يحلَّ عنَّا لعنة الخطية التي أدَّت إلى لعنة التعليق على خشبة، وهكذا سلَّم (الرب) نفسه لكي يُسمِّروه على الصليب. فكما أنه بموته أنقذ من الموت المحكوم عليهم بالموت الأبدي، هكذا بحمله للَّعنة خلَّصهم منها][٤]!

الذين يُفكِّرون في الأرضيَّات هم أعداء صليب المسيح:

إذا عاش المسيحيُّون المُعمَّدون حياةً غير لائقة، فإنهم يصيرون «أَعْدَاءَ صَلِيبِ الْمَسِيحِ، الَّذِينَ نِهَايَتُهُمُ الْهَلَاكُ ... الَّذِينَ يَفْتَكِرُونَ فِي الأَرْضِيَّاتِ» (في ٣: ١٨و١٩). لذلك يقول **القدِّيس ذهبي الفم**:

[سيِّدك صُلِبَ وأنت تبحث عن الراحة؟ سيِّدك دُقَّ بالمسامير وأنت تحيا مُرفَّهًا؟ أتجعلك هذه الأمور جنديًّا صالحًا؟ إنَّ «أعداء صليب المسيح» يدَّعون أنهم للمسيح، ولكنهم لو كانوا قد أحبُّوا المسيح وصليبه، لكانوا يُجاهدون لكي يعيشوا حياةً مصلوبة مع المسيح! إذن، فتقلَّد أنت بالمسيح الذي عُلِّق على خشبة. اصلب ذاتك ولو لم يصلبك أحد. اصلب ذاتك ليس إلى درجة أن تقتل نفسك، حاشا؛ بل كما قال الرسول: «قَدْ صُلِبَ الْعَالَمُ لِي وَأَنَا لِلْعَالَمِ» (غل ٦: ١٤). إن كنتَ تحب سيِّدك فمُت موته. تعلَّم كم أن قوَّة الصليب عظيمة، كم من أمور صالحة حقَّقتها ولا سيَّما تأمين حياتك الأبديَّة][٥]!

[إنَّ الرسول يقصد بصَلْب العالم: اهتمامات الحياة، ومديح الناس، والأمجاد الدنيويَّة والثروة، وكل ما فيه من عظمة وأُبَّهة... هذه كلها صارت بالنسبة لي ميتة، كما أضاف أيضًا: «وَأَنَا (صُلِبتُ) لِلْعَالَمِ». وبذلك عبَّر عن حُكمٍ مُضاعف بالموت: "فهذه صارت لي ميتة وأنا صرتُ ميتًا عنها، فلا هي تستطيع أن تأسرني وتغلبني، ولا أنا أستطيع أن أشتهيها"، لأن الأشياء الميتة لا تُغري أحدًا، كما أن الإنسان الميت لا يستطيع أن يشتهي.

---

(4) On Galatians, ch., 3.

(٥) ذهبي الفم في شرح الرسالة إلى فيلبِّي، عظة ١٣.

أيُّ حُكْمٍ للموت مباركٌ أكثر من هذا؟ لأنه هو أساس الحياة المُباركة كلها!

«فَكُلُّ الَّذِينَ يَسْلُكُونَ بِحَسَبِ هذَا الْقَانُونِ عَلَيْهِمْ سَلاَمٌ وَرَحْمَةٌ» (غل ٦: ١٦)، لاحظ أنَّ قوَّة الصليب إلى أيِّ درجة رَفَعَت بولس الرسول! فهي لم تجعل الأمور الدنيويَّة ميتة بالنسبة له فحسب، بل رفعته جدًّا فوق شريعة العهد القديم. إذن، فما هو الذي يمكن مقارنته بهذه القوَّة؟ كما أنه يدعو قانون حياتنا هذا "الخليقة الجديدة" (غل ٦: ١٥)، لأنه قانونٌ سماويٌّ للسلوك في الحياة][٦].

إلى الذين يخجلون من الصليب:

❖ يقول بولس الرسول لتلميذه تيموثاوس: «اشْتَرِكْ فِي احْتِمَالِ الْمَشَقَّاتِ لأَجْلِ الإِنْجِيلِ بِحَسَبِ قُوَّةِ اللهِ» (٢تي ١: ٨)، وهنا يقول **القدِّيس يوحنا ذهبي الفم**:

[لا توجد علامة عظيمة بهذا المقدار على حبِّ الله للبشر لا في السماء ولا على الأرض مثل الصليب. لذلك فهو موضع افتخار بولس الرسول: « حَاشَا لِي أَنْ أَفْتَخِرَ إِلَّا بِصَلِيبِ رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ، الَّذِي بِهِ قَدْ صُلِبَ الْعَالَمُ لِي وَأَنَا لِلْعَالَمِ» (غل ٦: ١٤). ولكن لماذا يعثر كثيرٌ من المؤمنين ويستحون من الصليب؟ يقول الرسول أيضًا في نفس الآية (٢تي ١: ٨): «لَا تَخْجَلْ بِشَهَادَةِ رَبِّنَا» (وكلمة "شهادة" هنا هي نفسها كلمة μαρτύριον = "استشهاد")؛ أي: لا تخجل من آلام ربنا، أي: لا تخجل من أن تكرز بمَنْ صُلِبَ، بل بالحري افتخر بذلك. حقًّا إنَّ الموت والقيود والتعييرات والشتائم والآلام كلها أمورٌ مُخزية؛ ولكن عندما يُضاف إليها السبب الحقيقي، فسيظهر مجدها وسموُّها وعظمتها حتى إنها صارت موضع افتخارنا كلِّنا. لأن هذا العذاب والموت هو الذي خلَّص العالم السائر في طريق الهلاك! ثم ربط الأرض بالسماء، إذ حطَّم قوَّة الشيطان، وجعل البشر أبناءً لله ... لقد رفعنا موت المَلِك إلى العرش الملكي][٧]!

[نعم، «احتمِل المشقَّات» لأنك ستُعاني أنت منها، فلا تكن خجولًا منها، بل ولا تخجل أيضًا من أن تختبرها وتقاسي منها! انظر، ها أنا نفسي (بولس) لا أخجل من السجن والقيود من أجل مَنْ لم يخجل من أن يُصلب من أجلي! ثم يُكمِل الرسول قائلًا: «بحسب قوَّة الله»، أي إنَّ احتمال كلِّ شيء من أجل الربِّ لا يمكن أن نبلغ إليه بدون قوَّة الله].

---

(٦) ذهبي الفم في شرح الرسالة إلى أهل غلاطية: ٦: ١٤ – ١٦.

(٧) ذهبي الفم في شرح الرسالة الثانية إلى تيموثاوس، عظة ٢.

❖ كما يقول أيضًا في موضعٍ آخر:

[تمامًا كالفقر المُحتَقَر من الناس ولكنه فخرٌ للقدِّيسين، هكذا أيضًا الصليب هو فخرنا. لماذا؟ لأن المسيح أَخَذَ شكل العبد، وتحمَّل آلامه من أجلي أنا العبد المُعاند العديم الشعور، وهكذا أحبَّني حتى سلَّم نفسه للَّعنة من أجلي. ماذا يمكن أن يُقارَن بهذا العمل؟ إذن، فكيف لا نفتخر بالصليب الذي لم يخجل سيِّدنا وإلهنا من أن يتحمَّل عاره من أجلنا نحن الذين نستحق أن نُصلب عليه!! إن كان هو لم يخجل من أن يُصلب من أجلك، أتخجل أنت من الاعتراف باهتمامه هذا غير المحدود بنا؟ إذا خجلنا من الصليب، فنحن نُشبه السجين الذي بعد أن جاء الملك (أو الرئيس) بنفسه وفكَّ قيوده وأطلقه حُرًّا؛ خجل هو مِمَّا عمله الملك من أجله][٨].

سِـمَات الرب يسـوع:

❖ ذَكَرَ بولس الرسول أنه كانت له «شوكة في الجسد» (٢كو ١٢: ٧)، وكلمة "شوكة" باليونانية σκόλοψ التي يُطابق معناها تقريبًا كلمة σταυρός = "صليب"، ولكن الكلمة الأخيرة تعني دائمًا "صليب المسيح". فالشوكة أو الآلام الجسديَّة، تعني حَمْل الصليب مع المسيح أو حَمْل سِمَاته في أجسادنا.

وفي شرح **القدِّيس يوحنا ذهبي الفم** للآية: «فِي مَا بَعْدُ لَا يَجْلِبُ أَحَدٌ عَلَيَّ أَتْعَابًا، لأَنِّي حَامِلُ فِي جَسَدِي سِمَاتِ الرَّبِّ يَسُوعَ» (غل ٦: ١٧) يقول:

[إنَّ الرسول يقول ذلك ليس كأنه قد أعيا أو صار مقهورًا، لأنه كان قد اختار أن يتحمَّل كلَّ شيء حبًّا في مَنْ صار له تلميذًا؛ بل لكي يُمنطِق حقَوَي ذهنهم البليد. وبقوله: "حامل سِمَات الرب"، فكأنه يفتخر بما يحمله من أوسمة مَلَكيَّة تذكاريَّة. إنه يتباهى بجراحاته مثل حاملي الأعلام واللواءات العسكرية! إنَّ لسان حاله يقول: "بهذه الجراحات أُدافع عن نفسي بوضوح أكثر من أيِّ براهين وأيَّة لُغة، لأن هذه الجراحات تنطق بصوتٍ أعلى من البوق تجاه الذين يُقاومونني وتجاه الذين يدَّعون عليَّ بالنفاق في تعليمي لكي أُرضي الناس، لأنه لا يجرؤ أحدٌ على اتِّهام الجندي المُثخن بالجروح والغارق في الدماء من معاركه بالجُبْن والخيانة، فهو يحمل في جسده البراهين على بسالته؛ وهكذا عليكم أن تحكموا عليَّ! إنَّ جراحاتي لهي برهانٌ أقوى من كلامي ورسائلي"].

(٨) ذهبي الفم في شرح الرسالة إلى غلاطية: ٦: ١٤.

من
التراث الكنسي



الغفران الثمين[1]

✣✣✣

إنَّ جوهر المسيحيَّة هو الصليب، وجوهر الصليب هو الغُفران الثمين.

قال المسيح للمفلوج: **« مَغْفُورَةٌ لَكَ خَطَايَاكَ» (لو ٥: ٢٣).**

وقال للمرأة الساقطة التي أُمسكت في ذات الفعل: «**وَلَا أَنَا أَدِينُكِ. اِذْهَبِي بِسَلَامٍ ... اذْهَبِي وَلَا تُخْطِئِي أَيْضًا**» (لو ٧: ٥٠، يو ٨: ١١).

ومِن على الصليب صلَّى يسوع: **«يَا أَبَتَاهُ، اغْفِرْ لَهُمْ» (لو ٢٣: ٣٤).**

غفران الرَّب يسوع يملأ جنبات الإنجيل، وذبيحته تنضح مِن كلِّ أركانه. فيه تسمع ترحيب الأب بالابن الضال، وفيه يستريح الخروف الضائع. في غفران الرَّبِّ يسوع تجده يأكل مع العشَّارين والخطاة، وفيه كانت نظرة الرَّب يسوع الحانية لتلميذه النَّاكِر بطرس بينما كان الربُّ في دار رئيس الكهنة (راجع: لو ٢٢: ٥٥ – ٦٢). وهو نفسه الذي وَعَد اللِّص اليمين: **«**الْيَوْمَ تَكُونُ مَعِي فِي الْفِرْدَوْسِ**» (لو٢٣: ٤٣).**

الغفران الرَّخيص:

ومع ذلك، يوجد مَن ينتقدون المسيحيَّة في عقيدتها بالغفران، وهم يقولون إنَّه أمرٌ مُفسِدٌ للأخلاق ومُحرِّضٌ على الفساد، لأنَّهم يظنُّون أنَّ مِثل هذا الغفران يُشجِّع ويُحرِّض على الخطيَّة، ويدَّعون أنَّه مِثل مَن يقول: "تعالوا يا جميع الناس لتُغفَر لكم خطاياكم، مجَّانًا وبلا أيَّة تكلفة". كما لو كان الربُّ يسوع يقول: "حسنًا، أنا أَعلَم أنَّكم بَشَرٌ ضعفاء، وأنا لا أتوقَّع منكم إلاَّ أن تُخطئوا. أنا الله الكامل الوحيد، ولي كل السلطان، ولذلك فسوف أُطلقكم بسلام مهما عملتُم".

قد تكون هذه الانتقادات والادِّعاءات حقيقيَّة، ومثل هذا الفهم مُمكن أنْ يُؤدِّي فعلًا إلى الفساد والانحلال. كثيرون ينظرون إلى الخطيَّة على أنَّها شيءٌ تافه: "ليست بعد خطيَّة، ولكن مُجرَّد دُعابة وسفاهة". اِفعل الخطيَّة ثم اطلُب الغُفران! كم نُفكِّر أحيانًا باستخفاف في موضوع

(1) Anthony M. Coniaris, *The Message of the Sunday Gospel Readings*.

الغُفران المجَّاني، ونعمة الله المُخلِّصَة! وادِّعاء أنَّ الله لم يَعُد له عمل إلاَّ أنْ يهب الغُفران كلَّ مرَّة، ونقوم ونعود إلى خطايانا دون أيَّة بادرة تأسُّف أو ندم أو حُزن. كما قد يشعُر كثيرون بمِثل ما يقوله المُتهكِّم السَّاخِر: "أوَّلًا وآخِرًا: الله سيغفر لي، هذا عمله، فلأفعل ما أشاء".

كم هو غُفرانٌ مُكلِّفٌ! وكم كان الثمن باهظًا!

كلُّ هذه الادِّعاءات، إنْ دلَّت على شيء، فهي تدُلُّ على فَهمٍ خاطئ جدًّا وسيِّئ للغاية لِمَا تعنيه رحمة الله. لم تكن رحمة الله يومًا بلا قيود أو شروط، إنَّها باهظة الثمن، ونحن نتأكَّد مِن ذلك جيِّدًا عندما نرى ابن الله على الصَّليب مُعلَّقًا مسحوقًا ومُمزَّقًا، كان هذا هو ثمن الغُفران وتغيير الخاطئ وتحويله إلى بار. إنْ كان الله يمنحنا الغُفران، فهو يُقدِّمه لنا مِن خلال يَدَيْن مثقوبَتَيْن. إنْ ظننتَ أنَّ الغُفران كان بلا ثمن، تمهَّل مِن فضلك وانظر إلى الصليب لترى كم كلَّف ابن الله حياته كلَّها. انظُر إلى الجنب المفتوح، وتأمَّل في إكليل الشوك. إنْ كنتَ لا تزال تظنُّ أنَّ الخطيَّة أمرٌ تافهٌ، فانظر ثانيةً إلى الصليب لتتأكَّد ماذا تكون الخطيَّة في حقيقتها، وماذا عملت في الذي لم يعرف خطيَّة ولم يكُن في فمه غش؟ إنَّها صلبته، إنَّها قتلته، إنَّها كَسَرَت قلبه أكثر ممَّا كسرت أوصال جسده. يا أخي، غفران الخطيَّة لم يأتِ إلينا مِن خلال دموع تنهمر في أسى، ولكنَّه أتانا مِن وراء سَفْك دم ابن الله الوحيد على الصليب.

عندما تُنادِي المسيحيَّة وتدعونا إلى نَيْل الغُفران، فهي لا تدعونا من مكان لهو أو فُسحة أو تسلية، ولكن مِن الجلجثة حيث الإله على الصليب مُعلَّقًا. الصليب كلَّف كثيرًا، وثمنه كان باهظًا.

لا أظنُّ أنَّه يوجد مَن ينال الغُفران مِن شفَتَيِّ الرَّب يسوع على الصليب وهو يظنُّ أنَّ هذا الغفران ثمنه رخيص أو أنَّه بلا ثمن، أو يظنُّ أنَّ الربَّ يقول: "معلهش Never mind، كلُّه على ما يُرام". الله لم ولن يقول أبدًا: "معلهش، لا بأس، ما عليك"، لأنَّه يُبالي جيِّدًا بخطورة الخطيَّة، والصليب يُبَيِّن بوضوح أنَّ الله يُبالي mind جدًّا بشناعة الخطيَّة: **«عَالِمِينَ أَنَّكُمُ افْتُدِيتُمْ لَا بِأَشْيَاءَ تَفْنَى، بِفِضَّةٍ أَوْ ذَهَبٍ ... بَلْ بِدَمٍ كَرِيمٍ ... دَمِ الْمَسِيحِ (ابن الله)»** (١بط١: ١٨و١٩).

تفكَّر جيِّدًا وتمعَّن في الثمن:

كَمْ كان سهلًا على الله أنْ يخلق العالَم، قال الله: **«لِيَكُنْ نُورٌ فَكَانَ نُورٌ»** (تك ١: ٣). ولكن كَمْ كان الثمن فادحًا وغاليًا أنْ يغفر الله! هذا كَمْ كلَّف ابن الله مِن جهادٍ مرير، وكَمْ مِن عَرَقٍ تحوَّل مِن الكرب والعناء إلى قطرات دم، وكَمْ مِن سَكَرات الموت ذاقها: **«وَانْفَصَلَ عَنْهُمْ نَحْوَ**

رَمْيَةِ حَجَرٍ وَجَثَا عَلَى رُكْبَتَيْهِ وَصَلَّى قَائِلًا: "يَا أَبَتَاهُ، إِنْ شِئْتَ أَنْ تُجِيزَ عَنِّي هذِهِ الْكَأْسَ. وَلكِنْ لِتَكُنْ لَا إِرَادَتِي بَلْ إِرَادَتُكَ"، وَظَهَرَ لَهُ مَلاكٌ مِنَ السَّمَاءِ يُقَوِّيهِ، وَإِذْ كَانَ فِي جِهَادٍ كَانَ يُصَلِّي بِأَشَدِّ لَجَاجَةٍ، وَصَارَ عَرَقُهُ كَقَطَرَاتِ دَمٍ نَازِلَةٍ عَلَى الأَرْضِ» (لو ٢٢: ٤١ – ٤٤).

هذا هو الثمن الفادح!

«وَكَانَ نَحْوُ السَّاعَةِ السَّادِسَةِ، فَكَانَتْ ظُلْمَةٌ عَلَى الأَرْضِ كُلِّهَا إِلَى السَّاعَةِ التَّاسِعَةِ، وَأَظْلَمَتِ الشَّمْسُ، وَانْشَقَّ حِجَابُ الْهَيْكَلِ مِنْ وَسَطِهِ، وَنَادَى يَسُوعُ بِصَوْتٍ عَظِيمٍ وَقَالَ: يَا أَبَتَاهُ، فِي يَدَيْكَ أَسْتَوْدِعُ رُوحِي. وَلَمَّا قَالَ هذَا أَسْلَمَ الرُّوحَ» (لو ٢٣: ٤٤ – ٤٦).

هذا هو الثمن الفادح!

نحن نُقيِّم أغلب الأشياء بثمنها حتي يُمكننا أنْ نُدبِّر الثَّمن لشرائها، فالغُفران ليس رخيصًا إذا ما نظرنا إلى ثمنه الغالي.

ما الثمن الذي علينا أن ندفعه؟

الغُفران كان ثمنه غاليًا على المسيح؛ وهكذا علينا أنْ ندفع فيه نحن أيضًا، ندفع ثمن صليب نحمله: صليب التوبة، صليب القلب المُنكسِر، صليب الغُفران للآخرين واحتمالهم، صليب الصَّفْح عن الذين أساءوا إلينا: **«مُتَسَامِحِينَ كَمَا سَامَحَكُمُ اللهُ أَيْضًا فِي الْمَسِيحِ» (أف ٤: ٣٢)**، صليب الاعتذار، صليب الاتِّضاع، صليب الصلاة مِن أجل أعدائنا، صليب القرار المُخلِص والسديد والأمين لطرح الماضي الأثيم وما يتعلَّق به مِن ذكريات وأماكن وأشخاص قادتنا وساعدتنا على ارتكاب الخطايا.

الغُفران عطيَّة وموهبة، وهو عطيَّة الله للخاطئ التائب. العطيَّة السماويَّة غالية جدًّا، وإنْ نلتها، فستظلُّ دائمًا في حِمَى المسيح وكَنَف القدير، والمسيح سوف يملُك عليك تمامًا، ويسود على كلِّ حبِّك. الغُفران عطيَّة، العطيَّة التي تربط دائمًا روحك المُسامَحَة بحبٍّ لا حدَّ له، وبالعرفان بجميل العاطي الفادي. يقول الرَّبُّ يسوع عن المرأة الخاطئة: **«قَدْ غُفِرَتْ خَطَايَاهَا الْكَثِيرَةُ لأَنَّهَا أَحَبَّتْ كَثِيرًا»** (لو ٧: ٤٧).

لكن النِّعمة التي يعرفها المسيحيُّون الحقيقيُّون ويعيشون مُلتزمين بها، هي ليست رخيصة وذلك بسبب الثمن الذي دُفِع لأجل أن نحصل عليها من على عود الصليب. وهي أيضًا ليست رخيصة لأنَّها تدعونا أنْ نترك كلَّ شيء لأجلها وأنْ نتبع الرَّبَّ يسوع، لا إلى جزء أو منتصف

الطريق، بل: **«تُحِبُّ الرَّبَّ إِلهَكَ مِنْ كُلِّ قَلْبِكَ، وَمِنْ كُلِّ نَفْسِكَ، وَمِنْ كُلِّ فِكْرِكَ، وَمِنْ كُلِّ قُدْرَتِكَ»** (مر ١٢: ٣٠). مِثل هذه النِّعمة ليست رخيصة، ولكنَّها تتطلَّب منَّا الولاء والإخلاص الكامِلَيْن، أي تسليم كلِّ الحياة للربِّ يسوع، كفادٍ وربٍّ ومُخلِّص.

المسيح المرفوع على خشبة الصليب:

«وَكَمَا رَفَعَ مُوسَى الْحَيَّةَ فِي الْبَرِّيَّةِ هكَذَا يَنْبَغِي أَنْ يُرْفَعَ ابْنُ الإِنْسَانِ، لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ» (يو٣: ١٤و١٥).

عندما كان بنو إسرائيل في البريَّة، كانوا مُتذمِّرين وكثيري الشكوى على الله وعلى موسى، وبسبب عدم طاعتهم، فإنَّ الله أرسل عليهم حيَّاتٍ مُحرِقة (أي سامَّة) لعقابهم، وكلُّ مَن تلدغَه الحيَّة يموت. فمضى الشعب إلى موسى باكين وتائبين، مُتوسِّلين ونادمين طالبين المُساعدة والنجاة. فقال الله لموسى: **«اصْنَعْ لَكَ حَيَّةً مُحْرِقَةً وَضَعْهَا عَلَى رَايَةٍ، فَكُلُّ مَنْ لُدِغَ وَنَظَرَ إِلَيْهَا يَحْيَا. فَصَنَعَ مُوسَى حَيَّةً مِنْ نُحَاسٍ وَوَضَعَهَا عَلَى الرَّايَةِ، فَكَانَ مَتَى لَدَغَتْ حَيَّةٌ إِنْسَانًا وَنَظَرَ إِلَى حَيَّةِ النُّحَاسِ يَحْيَا»** (عد ٢١: ٨ و٩).

نحن ننظر إلى الصليب المرفوع عليه المسيح لنجد فيه الشفاء والقوَّة، لأنَّنا نحن أيضًا قد أُصِبنا ولُدِغنا بِسُمِّ الخطيَّة القاتِل، فعيوننا ليست إلَّا على المصلوب؛ بقلوب مُؤمنة، بتوبة وانسحاق، لننال الخلاص مِن المسيح المصلوب والقاهر الموت بقيامته المجيدة.

الصليب المفقود:

قد يجد بعضٌ منَّا إعلانات مكتوبًا عليها: "خُذْ أحمالك واذهب بها إلى الكنيسة، ستجد كثيرين ألقوها هناك". نحن لا نُنْكر أنَّ هذا الكلام حقيقيٌّ إلى حدٍّ كبير، والمسيح حقًّا يمنح كثيرًا مِن الشفاء للنفوس المُتعَبَة والأرواح الحائرة؛ ولكن هل حقًّا أنَّ هذا هو كلُّ ما نعرفه عن المسيحيَّة وعن الصليب؟ نحن إنْ أردنا أنْ نكون مِن أتباع الرَّبِّ يسوع ومُريديه، فعلينا أنْ نفكَّ أحمال الخطيَّة والشَّر، وأنْ نحلَّها ونضعها تحت الصليب، وأنْ نضع أحمالًا أُخرى: "أنْ نحمل بعضنا أثقال بعض، ونضع على كاهلنا خطايا وآلام وأنين العالَم" (انظر: غل ٦: ٢).

إلى ماذا يُشير الصليب؟

الصليب علامة غفران الله وصَفْحه للإنسان، وهو علامة محبَّة الله غير المحدودة.

ولكن يجب أنْ توجد استجابة مِنَّا لصليب المسيح، وبهذا الخصوص يقول الرَّبُّ يسوع:

«إِنْ أَرَادَ أَحَدٌ أَنْ يَأْتِيَ وَرَائِي فَلْيُنْكِرْ نَفْسَهُ وَيَحْمِلْ صَلِيبَهُ وَيَتْبَعْنِي» (مت ١٦: ٢٤).

نحن نُحبُّه لأنَّه هو أحبَّنا أوَّلًا، ونحمل صليبنا ونسير خلفه لأنَّه حمل صليبًا مِن قَبْل لأجلنا.

هل يوجد صليبٌ في حياتنا؟ وما هو مقدار رغبتنا في أنْ نتبع المسيح اليوم؟ وما هو مقدار تصميمنا على أنْ نتبعه وأنْ نُطيعه، رغم الضغوط التي علينا مِن الخارج، والتي تُثقِل كواهلنا وتعمل جاهدةً على إحباط نشاطنا الروحي؟

ما مقدار رغبتنا الحارَّة في أنْ نكون جادِّين في قهر خطايانا وعاداتنا الشرِّيرة التي تأصَّلَت وتجذَّرَت في نفوسنا وأجسادنا؟ يقول القدِّيس بولس: **«مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ»** (غل٢: ٢٠)، كما يقول: **«أَمُوتُ كُلَّ يَوْمٍ»** (١كو ١٥: ٣١)، ليس موتًا طبيعيًّا جسديًّا، ولكنه موتُ التضحية والبذل كل يوم. هل نرغب أنْ نحمِل وأن نحتمِل هذا الصليب؟

قصَّة أسقف مُخْلِص:

اندفع الرعاع عام ١٥٦م في شوارع سميرنا بآسيا الصُّغْرى (تركيا الآن)، وكانوا يصرخون: "إلى الموت أيُّها المسيحيُّون، أنتُم خطيرون على سلام المملكة، لأنَّكم ترفضون أنْ تُقدِّموا الذبائح للآلهة". أُخِذ الأسقف بوليكاربوس (أسقف سميرنا) ليُلقى في النيران.

تقدَّم الوالي أثناء المحاكمة إلى الأسقف وقال له: "ارحم شيخوختك، وأقسم بالآلهة وبخِّر على شرف قيصر لتنجو مِن العذاب والموت".

أمَّا القدِّيس الأسقف، فقد عبَّر عن إيمانه وعن حبِّه للمسيح بقوله للوالي: "٨٦ عامًا وأنا عبدٌ له، ولم يُنكرني أو يُسِئْ إليَّ، فكيف لي أنْ أُجدِّف وأُنكِر مُخلِّصي الذي فداني"؟

أمَّا الجمع، إذ لم يُرِد أن يسمع مزيدًا مِن الكلام أو ينتظر أكثر، فقد صرخ: "اِرموه في النيران، اِقضُوا عليه، اِفنوه".

أُعدم الأسقف بوليكاربوس بالنيران، وقبل أنْ يُلقى فيها طلب فسحةً من الوقت ليُصلِّي، وفيما كانت النيران تشتعل فيه، كان القدِّيس قد أصبح مِن أعظم المُنيرين في كنيسة المسيح المُمجَّدة في السماء وعلى الأرض.

يُعطينا هذا القدِّيس البار نموذجًا حيًّا عن حمل الصليب، لا على الرَّقَبَة فقط كأسقف، ولكن بالأكثر عندما حمله في حياته وفي قلبه بإيمانٍ وإخلاصٍ ووفاءٍ إلى النهاية،

حيث استبدل في السماء هذا الصليب بالمجد المُعدِّ له في ملكوت السموات.

الربُّ كثير الغُفران:

كان آباء الكنيسة واعين جدًّا لحرب الشيطان المُستمِرَّة ضِدَّنا مِنْ خلال أكثر أدواته فعالية: وهي تثبيط العزم.

يقول القدِّيس غريغوريوس النيصي:

[لا شيء يُثقِّل النفس ويسحبها إلى أسفل مِثل الشعور بالخطِيَّة].

ويقول القدِّيس يوحنا ذهبي الفم:

[إنَّ المُتعَب مِن ضميره:

– نفسه كما لو كانت في شتاءٍ دائمٍ، تخبِطها الأمواج الواحِدة تِلو الأُخرى.

– نومُه لا يلذُّ له، بل يكون مملوءًا بالرُّعب والخوف.

– لا تكون له مَسرَّة لا في أكله ولا في حديثه مع الأصدقاء، وهم لا يمكنهم أنْ يُغيِّروا أوْ يشفوا شخصًا مِنْ مِثل هذا الصراع].

ولأنَّ الشيطان يستخدم الخطيَّة ليقودنا إلى اليأس، لذلك فإنَّ آباء الكنيسة يُؤكِّدون مرارًا وتكرارًا:

- إنَّه ليس هناك خطيَّة لا يمكِن غفرانها بالتوبة.
- إنَّ تكرار سقوط الإنسان في الخطيَّة ليسَ مُبَرِّرًا لليأس.

وتعليم القدِّيس باسيليوس، مثلًا، يُشبَّه باللائحة المُزدوجة:

[✝ حيثُ نقرأ على أحد جانبيها: "جميع الخطايا خطيرةٌ إلى أبعد حَدٍّ".

✝ وعلى الجانب الآخر نقرأ: "الله يغفر كلَّ الخطايا إنْ تُبنا"].

يقول الأب صوفروني:

[ضَعْ فكرك في الجحيم ولا تيأس، وبكلماتٍ أُخرى: كُنْ باستمرار مُدرِكًا لخطاياك، ولكن لا تسمح لها أبدًا أنْ تدفعكَ إلى اليأس، لأنَّ لنا مُخَلِّصًا مُحِبًّا ورحيمًا].

«حَيْثُ كَثُرَتِ الْخَطِيَّةُ ازْدَادَتِ النِّعْمَةُ جِدًّا» (رو٥: ٢٠).

كلمات مُشجِّعة عن الغفران:

مِنْ بين جميع آباء الكنيسة، لا يوجَد مَنْ خاف مِنْ أنْ يقع الخاطئ في اليأس مِثل

القدِّيس يوحنا ذهبي الفم. لذلك نجده يختم نصيحته لأخ قد سقط، بالكلمات التالية: [فقط، إيَّاك أنْ تيأس].

كما أنَّ كلمات القدِّيس يوحنا ذهبي الفم، التالية، تُظْهِر كيف أنَّه لا يُمكن لأيَّة خطيَّة على الإطلاق أنْ تقهر سخاء السيِّد:

[لا توجد خطيَّة عظيمة إلى درجة تُمكِّنها مِن أنْ تغلب سخاء السيِّد. حتى لو كان المرء داعِرًا أو زانيًا... فقُوَّة الهِبَة ومحبَّة السيِّد أعظم بدرجة تجعل كلَّ هذه الخطايا تختفي، وتجعل الخاطئ يُضيء بلمعانٍ أكثر مِنْ أشعَّة الشمس...

المسيح نفسه يوجِّه خِطابه لكلِّ الجنس البَشَرِي ويقول: **«تَعَالَوْا إِلَيَّ يَا جَمِيعَ الْمُتْعَبِينَ وَالثَّقِيلِي الأَحْمَالِ وَأَنَا أُرِيحُكُمْ»** (مت ١١: ٢٨). إنَّ دَعْوَتَه هذه هي دعوة شفقة، وصلاحه يفوق الوصَف...

وانظُر مَنْ يدعو؟ إنَّه يدعو أُولئكَ:
– الذين بدَّدوا قُوَّتهم في كَسْر الناموس، والمُثقَّلين بخطاياهم.
– غير القادرين على رفع رؤوسهم، والمُمتلئين بالخِزي.
– الذين لا يستطيعون بعد أنْ يتكلَّموا.

وانظر لماذا يدعوهم:
– لا ليُحاسبهم أو يُحاكمهم،
✝ بل ليُريحهم مِنْ آلامهم، وليرفع عنهم أثقالهم.

لأنَّه ماذا يمكن أنْ يكون على وجه الإطلاق أثقل مِن الخطية؟

إنَّه يقول:
– أيُّها المُثَقَّلون بالخطية سأُجدِّدكم،
– ويا مَنْ أنتم مُنحنون كما تحت حِملٍ ثقيل، سأهبكم صَفْحًا عنْ خطاياكم.
✝ فقط، تعالوا إليَّ]!

صلاة:

يا ربِّي يسوع،
باعوكَ كعبدٍ وأسلموكَ، **لأجل أنْ تُحرِّرني**.

قُيِّدتَ بالقيود، **لأجل أنْ تفُكَّ خطاياي.**
أنتَ أخضعتَ ذاتك لمُحاكمة غير عادلة، يا ديَّان المسكونة،
لتُبرِّئني مِن الدينونة الأبديَّة.
عرُّوكَ مِن ثيابك،
مِن أجل أنْ تُلبِسني ثوب الخلاص ورداء البِرِّ والفرح.
كُلِّلتَ بالأشواك، **لتضع على رأسي إكليل الحياة.**
باستهزاء قالوا عليك إنَّك مَلِك، يا مَلِك الخليقة بالحقيقة،
لتفتح لي ملكوت السموات وتجعلني مَلِكًا في ملكوتك.
ضُربتَ بقصبةٍ على رأسك،
لتجعل اسمي مكتوبًا عاليًا في سِفْر الحياة.
تألَّمتَ خارج أبواب المدينة، أورشليم، لتقودني؛
أنا الذي طُرِدتُ من الفردوس، لكي تُدخلني أورشليم السمائيَّة.
جعلوكَ بين لصوصٍ وأشرار، أيُّها البار القدُّوس الوحيد وحده،
مِن أجل أنْ تُبرِّرني أنا الأثيم.
لُعِنتَ عندما علَّقوكَ على خشبة،
لتُباركني أنا الذي جلبتُ لنفسي اللَّعنة.
سَكَبتَ دمك وأهرقته، **مِن أجل أنْ تُطهِّر به خطاياي.**
سقوكَ خلًّا لتشرب وقت عطشك،
لكي ما ترويني وتُطعمني مِن مائدة عُرسك في ملكوتك.
مُتَّ، يا واهب الحياة، **لأجل أنْ تُحييني أنا الميت.**
وُضِعتَ في قبر،
من أجل أنْ تدفن آثامي، وتُقيمني مِن قبر خطاياي.
وقد قُمتَ عائدًا إلى الحياة غالبًا الموت،
مِن أجل أنْ أعيش في قوَّة قيامتك.
يا مَن لأجل محبَّتك للبشر، وضعتَ ذاتك وأخليتها ورفعتها،
يا أيُّها المُخلِّص، ارحمنا كعظيم رحمتك.

الجراحات الشَّافية



☩

• «الَّذِي بِجَلْدَتِهِ شُفِيتُمْ» (١بط ٢: ٢٤).

تمهيد:

تُردِّد الكنيسة، في صلاة الساعة التاسعة من النهار، أنين السيِّدة العذراء، وصوت قلبها المكسور، بكلماتٍ تمتزج فيها نبرة الفرح بالخلاص الذي أَتمَّه ابنها الوحيد بآلامه، مع نبرة المرارة والألم الذي عانته؛ وذلك بسبب الحُزن والجَزَع من هَوْل هذه الآلام وجراحات الصليب، التي احتملها الربُّ يسوع مِن أجلنا، فتقول الصلاة: [عندما نظرت الوالدة الحَمَلَ والراعي مُخلِّص العالم على الصليب مُعلَّقًا، قالت وهي باكية: "أمَّا العالم فيفرح لقبوله الخلاص، وأمَّا أحشائي فتَلتَهب عند نظري إلى صلبوتك، الذي أنت صابر عليه من أجل الكُلِّ، يا ابني وإلهي"].

وهكذا، في سرٍّ، تُلمِّح لنا الكنيسة إلى العلاقة الخاصَّة والشديدة، ما بين جراحات المسيح وآلامه، وبين فرح الخلاص وتمامه؛ الذي تحقَّق مِن قِبَل هذه الجراحات، بحسب ما يُعبِّر عنه القدِّيس بطرس الرسول بالروح: «الَّذِي بِجَلْدَتِهِ شُفِيتُمْ» (١بط ٢: ٢٤)، وذلك ترديدًا لنُبوَّة إشعياء النَّبي: «وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا» (إش ٥٣: ٥). فقد غَدَت هذه الجراحات والآلام ميراثًا غاليًا وثمينًا لنا، يشفع فينا أمام الآب السماوي؛ إذ إنها دماء حَمَلٍ بلا عيب، دَمُ وحيد الآب «مَعْرُوفًا سَابِقًا قَبْلَ تَأْسِيسِ الْعَالَمِ» (١بط ١: ٢٠). كما صارت لنا هذه الجِراحات أيضًا، صَكَّ غُفران وعبورًا إلى مجد السماء، بعد ما اغتسلنا بدَمِ ذاك الحَمَل المذبوح، واصطبغنا بصِبغته، في المعموديَّة المُقدَّسة، التي هي شركة الموت والقيامة معه. فَصِرنا ثابتين فيه بتناولنا مِن الجسد المُقدَّس، وارتوينا بالدَّم الإلهي المُحيي، الذي ما يزال يَتدفَّق من هذه الجراحات، ليَسري في عروقنا، واهبًا لنا الحياة ونِعمَة الثبات والشَّركة والمغفرة ورجاء الحياة الأبديَّة.

جراحات المسيح ودماؤه، إذن، صارت مصدر فخرنا وملاذنا، الذي نحتمي فيه، ونصطبغ

به لنَنجو ونتقدَّم إليها ونُشفى، لا بأصابع مُتشَكِّكة مثل توما الرسول، لنتأكَّد مِن حقيقتها؛ بل بإيمانٍ يقيني واثق في فاعلية دَم المسيح المُنسكِب، مِن أجل شفاء أوجاع نفوسنا وأجسادنا، ومِن أجل نجاتنا وخلاصنا، ومِن أجل اتِّحادنا وشركتنا مع المسيح بشِبْه موته وقيامته، لنَظفر بميراث الحياة الأبديَّة معه أيضًا.

المسيح الحيُّ قائمٌ بجراحاته على عرشه في السماء:

تأخذنا الدهشة حينما نقرأ في الإنجيل، أنَّ المسيح عند قيامته، قام بجسده المُثْخَن بجراحات موته على الصليب، وآثار طعنة الحَربَةِ ظاهرةٌ في جنبه. وعند صعوده إلى السموات، صَعِدَ بنفس هذا الجسد المجروح والمطعون والمُمَجَّد؛ ليجلس عن يمين الآب على عرشه السمائي! والمفهوم هنا، أنَّ **هذا الجسد، القائم والصاعد إلى السماء (والمُتَّحِد بلاهوت الرَّب)**، هو **جسد بشريَّتنا جميعًا**، الذي أخذه مِنَّا. ثمَّ نقرأ أيضًا، ما كتبه يوحنا الرسول في سِفر رؤياه السمائيَّة بالروح، عن هذا الجسد المجروح والمذبوح، أنَّه يظهر له: **كخروفٍ قائمٍ كأنَّه مذبوح في وسط العَرش**، فيقول عنه بالروح: «وَرَأَيْتُ فَإِذَا وَسطِ الْعَرْشِ وَالْحَيَوانَاتِ الأَرْبَعَةِ وَفِي وَسطِ الشُّيُوخِ، **خَرُوفٌ قَائِمٌ كَأَنَّهُ مَذْبُوحٌ** ... وَلَمَّا أَخَذَ السِّفْرَ خَرَّتِ الأَرْبَعَةُ الْحَيَوانَاتِ وَالأَرْبَعَةُ والْعِشرِينَ شَيْخًا أَمَامَ الْخَرُوفِ ... وَهُمْ يَتَرَنَّمُونَ تَرْنِيمَةً جَدِيدَةً قَائِلِينَ: مُسْتَحِقٌّ أَنْتَ أَنْ تَأْخُذَ السِّفْرَ وَتفْتَحَ خُتُومَهُ، **لأَنَّكَ ذُبِحْتَ واشْتَرَيْتَنَا للهِ بِدَمِكَ**، مِنْ كُلِّ قَبِيلَةٍ وَلِسَانٍ وَشَعْبٍ وَأُمَّةٍ» (رؤ ٥: ٦، ٨، ٩).

لذلك، صارت لنا هذه الجراحات الظاهرة في هذا الحَمَل الإلهي، بمثابة صخرة الرجاء الحيِّ والدائم لتبريرنا، ونَيْلنا نِعمة الغفران والقبول لدى الآب السماوي، وذلك لكلِّ مَن يؤمن بقُدرة وقوَّة هذا الدَّم الإلهي الثمين وواهبه، ويَصطبغ به، ويحتمي بهذه الجراحات الشافية والمُحيية.

جراحات المسيح شهادة الحُبِّ الأبدي لجنسنا (جراحات بيت الأحبَّاء):

كما سَبق القول، حدثت القيامة لجسد الربِّ يسوع الإله المُتجَسِّد، واستُعلِنت لشهودٍ كثيرين، على مدى أربعين يومًا، ولكنَّها لم تُخفِ آثار الجراحات والآلام المطبوعة على هذا الجسد القائم والمُمجَّد، بل قَصَدَ المخلِّص أنْ يحتفظ بها في جسده؛ لتكون ظاهرة أمام الجميع، لأنَّها كانت ختمًا لشهادة الحُبِّ الأبدي، الذي أحبَّنا به الآب وأظهَرَه ابنه الوحيد، والذي هو أقوى مِن الموت ذاته؛ كما يكتب يوحنا الإنجيلي بالروح عن قول الربِّ يسوع: «لأَنَّه **هَكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ** حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الوَحِيدَ، لِكَيْ لا يَهْلِكَ كُلُّ مِنْ يُؤمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الحَيَاةُ الأبديَّةُ» (يو ٣: ١٦).

فصارت هذه الجراحات الظاهرة، بعد قيامة المسيح، شفيعًا حيًّا قائمًا أمام الآب كلَّ حين مِن أجلنا، لأنَّنا: "قَد افتُدينا ... بدَمٍ كريم، كما من حَمَلٍ بلا عَيْبٍ ولا دَنَس، دَمِ الْمَسِيحِ، معروفًا سابقًا قبل تأسيس العالم" (انظر: ١بط ١: ١٨ – ٢٠). وصارت، نفس هذه الجراحات، بُرهانَ حُبٍّ مُستَعلَن أمامنا، مثلما عاينها توما الرسول سابقًا، حينما دعاه الربُّ يسوع للاقتراب منها ومُعاينتها؛ ليَتحقَّق مِن آثار المسامير في يدَيِّ الرَّب، وآثار الطَّعنة في جنبه، بقول الرب له: «هَاتِ إِصْبِعَكَ إِلَى هُنَا وأَبْصِرْ يَدَيَّ، وَهَاتِ يَدَكَ وضَعْهَا فِي جَنْبِي، وَلا تَكُنْ غَيْرَ مُؤمِن بَل مُؤْمِنًا» (يو ٢٠: ٢٧). وبذلك تَحقَّقت نبوَّة زكريا النبي: «فَيَقُولُ لَهُ: مَا **هذِهِ الْجرُوحُ فِي يَدَيكَ**؟ فَيَقُولُ: هِيَ **الَّتِي جُرِحْتُ بِهَا فِي بَيْتِ أَحِبَّائِي**» (زك ١٣: ٦). كما بَرهَنت هذه الجراح على روعة وعظمة هذه المحبَّة، التي شهد عنها إرميا النبي: «**مَحَبَّةً أَبَدِيَّةً أَحْبَبْتُكِ**، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ أَدَمْتُ لَكِ الرَّحْمَةَ» (إر ٣١: ٣).

ماذا تعني جراحات المسيح وآلامه بالنسبة لنا؟

مَثَّلت جراحات المسيح وصليبه علامةً فارقة، وصارت حجرًا أساسيًّا في الإيمان بالمسيح والشهادة له؛ إذ اعتُبِرت هي المَحَكَّ الصادق، ومُضادَّة الخلاص الهامَّة، التي يجب علينا قبولها، مِن أجل نَيْل نِعمة التمتُّع بفداء المسيح وخلاصه، باعتباره أنَّه الإله المُتجسِّد والمتألِّم مِن أجل إتمام خلاصنا. وصار الصليب: إمَّا حجر عَثرة، أمام أصحاب القلوب غير المُتَّضعة؛ أو صخرة إيمان لخلاصٍ بلا حدود، ومنبع فخرٍ لا يُدانيه مجدٌ لِمَن يؤمن به.

وبينما يشهد إشعياء النبي قديمًا عن هذه الآلام المُخلِّصة والشافية، فيقول بالروح: «وهُوَ مَجْرُوحٌ لأَجْلِ مَعَاصِينَا، مَسْحُوقٌ لأَجْلِ آثَامِنَا، تَأْدِيبُ سَلامِنَا عَلَيهِ. وَبِحُبُرِهِ شُفِينَا» (إش ٥٣: ٥)، يأتي القدِّيس بولس الرسول ليؤكِّد هذا الإيمان، بِذاك الإله المُتألِّم والمصلوب والمجروح لأجل خلاصنا، فيقول بالروح: «ولَكِنَّنَا نَحْنُ **نَكْرِزُ بِالْمَسِيحِ مَصْلُوبًا**: لِلْيَهُودِ عَثْرَةً ولِلْيُونَانِيِّينَ جَهَالَةً! وأَمَّا لِلْمَدْعُوِّينَ: يَهُودًا وَيُونَانِيينَ، فَبِالْمَسِيحِ قُوَّةِ اللهِ وَحِكْمَةِ اللهِ» (١كو ١: ٢٣، ٢٤). ثمَّ يؤكِّد الرسول بولس تمسُّكه بهذا الإيمان فيقول: «لأَنِّي لَمْ أَعْزِمْ أَنْ أَعْرِفَ شَيْئًا بَينَكُمْ إِلَّا يَسُوعَ الْمَسِيحَ **وَإِيَّاهُ مَصْلُوبًا** » (١كو ٢: ٢). وأيضًا يهتف بولس الرسول بالروح قائلًا: «وأَمَّا مِنْ جِهَتِي، فَحَاشَا لِي **أَنْ أَفْتَخِرَ إِلَّا بِصَلِيبِ رَبِنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ**، الَّذِي بِهِ قَد **صُلِبَ الْعَالَمُ لِي وَأَنَا لِلْعَالَمِ**» (غل ٦: ١٤).

وأخيرًا، يُبكِّت بولس الرسول أهل غلاطيَّة، ويُعاتبهم على رجوعهم عن الحقِّ، وعلى التمسُّك بأعمال الناموس، بعد ما آمنوا بعمل النِّعمة والخلاص الذي أكمله لهم المسيح، بآلامه وموته على الصليب مِن أجلهم، فيقول لهم: «أَنْتُمْ الَّذِينَ رُسِمَ أَمَامَكُمْ **يَسوعَ الْمَسِيحِ**

وَإِيَّاهُ مَصْلُوبًا» (غل ٣: ١).

إذن، قد صار صليب المسيح وجراحاته الإلهيَّة عليه منبعًا للإيمان، وللتعزية والرجاء والفخر، لأنَّ فيه تمثَّلت محبَّة الآب ورحمته لنا، باستعلانٍ يفوق العقل: «هَكَذَا **أَحَبَّ** اللهُ الْعَالَمَ **حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوحِيدَ»** (يو ٣: ١٦).

وفي إحدى صلوات القِسمَة المُقدَّسة، المُوجَّهة للابن، في القدَّاس الإلهي، يقول الكاهن: [يا جراح المسيح اجرحيني بحربة الحُبِّ الإلهي. يا موت المسيح أسكرني بحُبِّ مَن مات مِن أجلي. يا دَمَ المسيح طهِّرني مِن كلِّ خطيَّة]. فجراحات المسيح صارت نبعًا للغُفران والطُّهر والشفاعة والحياة الأبديَّة، وذلك لكلِّ مَن يؤمن ويتمسَّك بها، ولكلِّ مَن يتقدَّم بالإيمان بفاعليَّتها إلى المذبح المقدَّس، لا لكي يلمسها، بل ليتناول من هذا الجسد المقدَّس المجروح، والدَّم الإلهي المسفوك – في سِرِّ الإفخارستيَّا المُقدَّس – ويتَّحِد بهما ليحيا، كقول القدِّيس يوحنا ذهبي الفم.

آلام الشهداء وجراحاتهم شهادة حُبٍّ وإكرام لجراحات المسيح:

حينما نسترجع مشاهد وأحداث استشهاد آبائنا الشهداء، نتذكَّر صور الفرحة العارمة، واللَّهفة والاشتياق الذي كان يغمرهم، عند إتمام شهاداتهم وسَفْك دمائهم مِن أجل اسم المسيح، كمثال الشهيدَيْن القدِّيس استفانوس، والقدِّيس إغناطيوس الأنطاكي، والآلاف غيرهم؛ فيأخذنا التَّعَجُّب ويغمرنا الانبهار كثيرًا، وتلتهب أرواحنا وتنتشي بهذا المنظر السمائي البديع.

ولكن، حينما نتنبَّه، فإنَّنا نُدرك أنَّ أعين قلوب هؤلاء الشهداء قد انفتحت على السماء لكي يُعاينوا بهاء المجد المُعدِّ لهم، مُقابل صبرهم واحتمالهم وسَفْك دمائهم على الأرض مِن أجل الإيمان بالمسيح. فَهُمْ قد أدركوا، من جهةٍ، أنَّ آلام هذا الزمان الحاضر لا تُقاس بالمجد العتيد المُعَدِّ لهم في السماء؛ ومِنْ جهةٍ أخرى، فقد تيقَّنوا في قلوبهم أنَّ آلامهم وجراحاتهم لا تساوي شيئًا مقابل ما احتمله الربُّ يسوع مِن أجلهم، ولا تُضاهي اتِّضاعه وآلامه وموته، وهو الإله العظيم، مِن أجل أنْ يهب جُبلتنا الضعيفة، القيامة والحياة الأبديَّة وميراث البنين. وحينئذٍ، تهون عليهم حياتهم، لأنَّ موت المسيح وآلامه قد صارا هما القوَّة الدافعة لهم لإتمام شهادتهم، فاعتبروا شهادتهم هي شركة مع المسيح في موته وآلامه، ليكونوا مُؤهَّلين للشَّركة معه في مجده أيضًا، فَيهتفوا مع بولس الرسول: «الآنَ أَنَا أَفْرَحُ فِي آلاَمِي لأَجْلِكُمْ» (كو ١: ٢٤).

فآلام ودماء هؤلاء الشهداء، والتي هي صورة إنسانيَّة ضعيفة لآلام المسيح المُخلِّصة،

صارت هي مَعْبرهم نحو المجد وميراث الحياة، وشهادة حُبٍّ صادق منهم تعبيرًا عن شُكرهم وامتنانهم للفادي والذبيح الأعظم، مُقابل حُبّه اللانهائي واللامحدود لهم. لذلك، فقد سعوا لنَيْل هذا الحبّ وإدراكه، بكلّ فرح واشتياق ورجاء في حياةٍ أفضل.

ويُعبِّر القدِّيس إغناطيوس الأنطاكي الأسقف والشهيد، عن هذا الإيمان والحُبّ في رسالته إلى أهل رومية، فيقول: [ليت لا يمنعني أيُّ شيءٍ منظور أو غير منظور مِن الوصول إلى يسوع المسيح. النار والصَّلب والقتال مع الوحوش، تكسير العِظام، وتمزيق الأعضاء، وطَحن الجسد كلّه، وعذابات إبليس الشريرة؛ فلتهجم عليَّ، ما دُمتُ أَصِل إلى يسوع المسيح][1]. كما يكتب في رسالته أيضًا إلى أهل أفسس: [أنا أُقدِّم حياتي كذبيحةٍ كأنَّها لا شيء بالمُقارنة بالصليب][2].

كيف نشترك في آلام وجراحات المسيح في حياتنا؟

آلامُ المسيح آلامٌ مُخلِّصةٌ وشافيةٌ لنا، بها تداوت البشريَّة مِن جراح الخطيَّة وشوكة الموت التي أصابتها؛ أمَّا شركتنا نحن في هذه الآلام والجراحات، فهي تَتِمُّ **بموتنا عن العالم وعن الخطيَّة، والمقاومة حتى الدم** ضد سهام إبليس ومكايده المُلتهبة: "صُلِبَ الْعَالَمُ لِي، **وَأَنَا لِلْعَالَمِ**" (انظر: غل ٦: ١٤). وهذا كُلُّه يَتمُّ بِنَبذ ومُحاربة أوجاع الخطيَّة الرابضة في أعضائنا، بالاتِّضاع والسَّهر والصلاة والصوم والتَّوبة الحقيقيَّة، مشتركين مع المسيح في آلامه بصَلْب ذواتنا، حسب قول بولس الرسول بالروح: «**وَأُكَمِّلُ نَقَائِصَ شَدَائِدِ الْمَسِيحِ فِي جِسْمِي لأَجْلِ جَسَدِهِ**» (كو ١: ٢٤)؛ عالمين أنَّنا سوف نربح بهذه الآلام الوقتيَّة التي نجوزها، مجدًا سمائيًّا لا يُقارن، وأنَّنا أيضًا سوف نُنقِذ أنفسنا، بهذه الآلام، من آلام الخطيَّة المُميتة، كما يقول بطرس الرسول بالروح: «فإِنَّ مَنْ تَأَلَّمَ بِالْجَسَدِ، **كُفَّ عَنِ الْخَطِيَّةِ**» (١بط ٤: ١)، وأيضًا قول بولس الرسول: «عَالِمِينَ هَذَا: أَنَّ إِنْسَانَنَا الْعَتِيقَ قَدْ صُلِبَ مَعَهُ **لِيُبْطَلَ جَسَدُ الْخَطِيَّةِ**» (رو ٦: ٦).

فشركتنا في آلام المسيح هي صَلبٌ لإنساننا العتيق وللجسد، بكلّ أهوائه وكلّ ميول الخطيَّة وإرادتها الكائنة فيه، كقول بولس الرسول بالروح: «ولَكِنْ الَّذِينَ هُمْ لِلمَسِيحِ قَد **صَلَبُوا الْجَسَدَ مَعَ الأَهْوَاءِ والشَّهَوَاتِ**» (غل ٥: ٢٤)، أي هي الموت الإرادي عن العالم وعن الذات وعن كلّ رغبةٍ جسديَّة؛ أي: «**مَعَ الْمَسِيحِ صُلِبْتُ** لِأَحْيَا لا أَنَا، بَل الْمَسِيحُ يَحْيَا فِيَّ» (غل ٢: ٢٠).

---

(١) "رسائل القدِّيس إغناطيوس الأنطاكي الثيئوفوروس"، الرسالة إلى أهل رومية، مركز دراسات الآباء، فقرة ٥، ص ٤٠.
(٢) المرجع السابق، الرسالة إلى أفسس، فقرة ١٨، ص ٢٠.



ذكرى الصِّدِّيق
تدوم إلى الأبد

لمحات من الكنيسة الأولى

دكتور جميل نجيب(١)

إنَّ أروع صورة لكنيسة المسيح على مدى تاريخها، هي بلا شكٍّ كنيسة العصر الرَّسولي الأولى. ولسوف تبقى كنيسة الرُّسُل على مدى الزمن مثلًا خالدًا لا يتكرر، إليه نتطلَّع دومًا لنعرف مواقع أقدامنا – استقامةً وانحرافًا – ونقيس عليه منهاجنا الروحي، بُعدًا أو قُربًا.

والمتأمِّل في الظروف التي صاحبت نشأة الكنيسة الأولى، والأسلوب الذي عاشت به، والخبرات التي اكتسبتها؛ يُدرك كمْ كانت الكنيسة مُتفرِّدة في كلِّ شيء:

❖ فقد كانت باكورة اجتماع المؤمنين واتِّصالهم في المسيح بالروح القدس، حيث اختبروا – لأول مرَّة في تاريخ حياة البشريَّة – شركةً من طراز فريد بين الله والإنسان. وقد صهر فيها روح الله الناري كلَّ النفوس المُجتمعة وجَمَعها جسدًا واحدًا في شخص المسيح.

❖ وهي الكنيسة التأسيسيَّة الأُم التي امتدَّت منها وتشعَّبت كنيسة المسيح. كان أعضاؤها الروَّاد الأوائل الذين اقتحموا أراضٍ غير مطروقة، وكانوا يبنون لنا منهج الحياة مع الله، وأُسس العبادة الحقيقيَّة، فهُم تعبوا، ونحن دخلنا على تعبهم.

❖ وهي الجماعة المؤمنة التي لم تكن تضمُّ سوى الأعضاء الأحياء المُتأصِّلين في المسيح، الكرمة الحقيقيَّة؛ فكان الإيمان عندهم قوَّة للمسير والحياة، وليس مجرد انتماء بالوراثة.

❖ وهي الجماعة التي عاشت بالإنجيل –كما يجب أنْ يُعاش- حياةً وسلوكًا، قبل أنْ يكون كلمةً مكتوبةً بين دفَّتَيِّ كتاب.

❖ وهي الجماعة التي قَبِلَت إنجيل المسيح أفواجًا بعد أفواج، وقت أنْ كان مجرد الاعتراف بالمسيح يُكلِّف الحياة نفسها أكثر الأحيان. وكانت لحظة إعلان الإيمان هي – في

---

(١) تزفُّ أسرة مجلة مرقس إلى السماء الراحل الكريم الأستاذ الدكتور جميل نجيب (وهو أستاذ ورئيس قسم علم الحيوان سابقًا في كلية العلوم – جامعة القاهرة، وله كُتُب مرجعيَّة وأبحاث علميَّة في مجال تخصُّصه). هذا الأرخن الفاضل، هو واحد من أهم المفكِّرين الكنسيِّين في هذا الجيل. وقد كان من أوائل الكُتَّاب في المجلة منذ ستينيات القرن الماضي، واستمرَّ في الكتابة فيها حتى سنة ٢٠٢٣م. وقد أثرى المجلة بكتاباته المتنوِّعة. والمقالة المنشورة في هذا العدد، سبق نشرها في عدَدَي يوليو وأغسطس سنة ١٩٦٨م. وقد رحل هذا الأرخن الجليل عن عالمنا إلى السماء في ٢٠٢٦/٢/٢٠م.

واقع الأمر – قبولًا للموت بالنِّيَّة.

❖ وهي الجماعة التي توفَّرت لها قيادة روحيَّة باذلة مِن طرازٍ فريد، مِن أشخاصٍ أكثرهم عاشر الربَّ عن قُرب بالجسد. وكلُّهم خرج مِن يوم الخمسين تُلهب قلبه حماسة العمل الإلهي.

هناك ملامح أربعة تُبيِّن عظمة هذه الكنيسة: قيادة روحيَّة، حياة مسيحيَّة، رسالة جليَّة، شهادة قويَّة. سوف نتناول في هذا العدد الملمح الأول والثاني، ثم نوالي البقية في العدد القادم.

١. قيادة روحيَّة

إنَّ ما تعرضه لنا الأصحاحات الأولى مِن سِفْر الأعمال عن الانتشار السريع للإيمان، يُلفت النظر حقًّا. فعظة قصيرة واحدة قالها بطرس الرسول لجمعٍ حاشد، نخست قلوب ثلاثة آلاف شخص منهم دفعةً واحدة، وكانوا باكورةً مقدَّسة. فمع كلِّ يوم كان الربُّ يضمُّ إلى الكنيسة الذين يخلصون، حتى صار عدد الرجال نحو خمسة آلاف. كما تكاثر التلاميذ جدًّا في أورشليم، وتحوَّل جمهورٌ كبير من الكهنة الناموسيِّين إلى طاعة الإيمان.

ما الذي أعطى الكلمة تلك الأيام قوَّتها وتأثيرها الحاسم حتى أنَّها لم تكن ترجع فارغة؟ إنَّه الروح القدس الناري الذي كان يقود هذه الحملة المُباركة. لقد لبث التلاميذ والرُّسُل في سكون أورشليم مُتطلِّعين بالتضرُّع والصلاة لتحقيق موعد الآب الذي أخبرهم به الابن، وكان انتظارهم إعلانًا بتسليم انقيادهم للروح القدس حتى لا يكونوا هم المُتكلِّمين بل روح أبيهم الذي يتكلَّم فيهم.

على أنَّ الروح لم يكن يعمل في الكلمات فقط، بل كان يعمل كلَّ شيء ويُرتِّب كلَّ شيء. لقد أسلم هؤلاء الرجال قيادتهم للروح القدس مع كلِّ خطوات الحياة، حتى أننا لا نتجاوز الحقيقة إذا أطلقنا على سِفْر أعمال الرُّسُل اسم: "سِفْر أعمال الروح".

كان الروح هو كاتب البشائر والرسائل (٢ بط ١: ٢١)، وكان وراء شهادة الرُّسُل للمسيح بكلِّ مجاهرة أمام الحُكَّام (أع ٤: ٨، ٢٢: ١ – ٢٦)، وكان القائد الآمِر بالتحرُّك للخدمة (أع ٨: ٢٦، ١٣: ٢، ١٦: ٩) أو المنع عنها (أع ١٦: ٦)، وكان القوَّة الفاعلة في الآيات والمعجزات (٤: ٤٣، ١٩: ١١)، وكان الرئيس غير المنظور لمجامع الرُّسُل (أع ١٥: ٢٨)، وكان المصباح المُنير الذي كَشَفَ محاولات تسلُّل العالم إلى الكنيسة (٨: ٢٠). وهو الذي أعطى الإذن بدخول الأُمم وقبولهم في الإيمان (١٠: ٤٤)، وهو الذي وحَّد المؤمنين قلبًا ونفسًا (٤: ٣٢)، وهو الذي شدَّد الكنيسة وسط الألم والضيق (٩: ٣١)، وهو الذي عزَّى الرُّسُل في أعماق المحنة (١٦: ٢٥، ١٨: ٩، ٢٧: ٢٤)، وكان هو اليد التي فكَّت قيودهم وحرَّرتهم (أع ١٢: ٧).

لقد عمل الروح القدس ما عمل، لأنَّه قد توفَّرت له الأدوات المناسبة والمسارات المفتوحة من غير عقبات في أشخاص الرُّسُل والتلاميذ وأعضاء الكنيسة المؤمنين. وهو قادرٌ ومستعدٌّ أنْ يعمل إلى اليوم وغدًا، ولكن في النَّفس التي تترك له دفَّة حياتها ليقودها هو. النَّفس المُستقيلة مِن كلِّ إمكانيات الذات والحكمة الشخصيَّة، والتي تُدرك أنَّها بدون الروح القدس لا تساوي شيئًا، ولا تستحق شيئًا، ولا تَقْوَى على فِعل شيء. النَّفس المنضوية وراء الصليب والتي تشتاق أنْ يزيد عريسها وهي تنقص. النَّفس الأمينة المُجاهدة الساهرة الطائعة لكلمة الله. النَّفس التي تحيا في توبة مستمرة، فتقبل الكلمة على أنَّها مُرسَلة لها أوَّلًا قبل أنْ تُرسلها هي للناس. وهي النَّفس المُتضعة التي تسأل الروح القدس في كلِّ مرة أنْ يتفضَّل ويحلَّ ويعمل فيها، ويُرسل الكلمة المُناسبة أو الرأي السديد أو العمل البنَّاء.

وليس أمامنا بديل، إذا شئنا نهضةً روحيَّةً شاملةً وثمرًا مُتكاثرًا مُباركًا، سوى أنْ نُسلِّم جميعنا – كلَّ شيء – لقيادة الروح ليعمل – كما عمل سابقًا – عَمَلَه المجيد في كنيسة الرُّسُل الأولى.

٢. حياة مسيحيَّة

كان المؤمنون الأوائل يَرَوْنَ الفارق واضحًا وحادًّا بين حياة الضعف والخطية التي عاشوها قبلًا، وحياة النعمة التي تحوَّلوا إليها بفعل الروح، فأقبلوا عليها راكضين يُعوِّضون بالبذل والحبِّ أيام الجهالة الأولى. كان إيمانهم حيًّا ومُلتهبًا، فعاشوا مسيحيِّين قبل أن يُدعوا مسيحيِّين في أنطاكية أوَّلًا (أع ١١: ٢٦). كان الذين آمنوا معًا، ويوميًّا كانوا متواجدين في الهيكل يواظبون بنفسٍ واحدة على تعليم الرُّسُل والشركة وكَسْر الخبز (أع ٢: ٤٤، ٤٦).

كان سرُّ وحدتهم هو حيويَّة إيمانهم بالمسيح. كان المسيح هو موضوع حياتهم وصلاتهم وحبِّهم. وهو الذي جعلهم قلبًا واحدًا ونفسًا واحدة، فنزع الربُّ منهم الأنانية والفردية، ووهبهم نقاوة القلب وبساطته، ورَفَعَ مِن بينهم الفوارق الجسديَّة والاجتماعيَّة المختلفة، فأحبُّوا بعضهم بعضًا، وكانت محبَّتهم حقيقيَّة عمليَّة، من طرازٍ نادرٍ بيننا الآن.

لقد تصاغرت في نظرهم قيمة المال والأرض، فوضعوا كلَّ شيء "عند أرجل الرُّسُل". والنتيجة: إنَّه "لم يكن فيهم أحدٌ محتاجًا"، ومِن ثمَّ فإنَّ "نعمةً عظيمة كانت على جميعهم".

وانطلاقًا مِن هذه الحياة العمليَّة المقدَّسة التي عاشها المؤمنون حبًّا في المسيح، فإنَّ الرُّسُل كانوا يؤدُّون الشهادة بقيامة الربِّ يسوع "بقوَّةٍ عظيمة"، ذلك لأنَّ الكرازة تحمل دليل صِدْقها، ولأنَّ قوَّة قيامة الربِّ كانت – تبدو بأسطع ما تكون – في غلبة ذواتهم وموتهم عن أمجاد هذه الحياة. **(يتبع)**

بحث تاريخي

أهم أديرة وكنائس القدِّيس يحنس القصير في مصر

(٢)

الأستاذة الدكتورة/ شيرين صادق الجندي
أستاذ الإرشاد السياحي والآثار والفنون القبطيَّة
بكلية الآداب – جامعة عين شمس

٣ – دير القدِّيس يحنس القصير أو دير حنس شرق ملوي:

شُيِّد هذا الدير فى قرية أبي حنس[١] بجبل أنصنا على بُعْد خمسة كيلومترات تقريبًا في الناحية الشمالية من دير البرشا[٢]، والمُشيَّد بحوالي سبعة كيلومترات بالقرب من ملوي[٣] **(الأشكال رقم ٣/أ – ب، ٤ و٥/أ)**. وقد أشار إليه المؤرِّخ المملوكي تقي الدين المقريزي باسم: "دير أبو النعناع"[٤]. وفي جنوب شرق هذه البلدة، توجد الكنيسة الأثريَّة التي ترجع إلى القرن السادس الميلادي، وهيكلها الأوسط مُكرَّس للقدِّيس يحنس القصير. ودُشِّن الهيكل الشمالي للسيِّدة مريم العذراء. ويعلو المذبح في الهيكل الشمالي لوح رخامي يزخرفه نقش باللُّغة القبطيَّة. وعلى جوانب الجدران الداخلية للكنيسة، وبالقرب من هياكلها الشرقيَّة، توجد حنيات يكتنفها دعامات ذات تيجان نباتية ترجع إلى القرن السادس الميلادي، بالإضافة إلى مجموعة أخرى من هذه التيجان معروضة خارج باب الكنيسة. وتحتوي هذه الكنيسة أيضًا على معمودية قديمة وحوض لقَّان أثري وبعض الفريسكات الهامة، بالإضافة إلى عدَّة أيقونات أثريَّة، لعل من أهمها تلك التى يظهر فيها القدِّيس الأنبا مقار الكبير واقفًا بجانب القدِّيس يحنس القصير **(الشكل رقم ٥/ب)**. وبعد أن كان سقف الكنيسة من الخشب، أصبحت فيما بعد مغطاة بقباب وقبوات تحملها دعامات. كما توجد كنيسة أخرى صخرية في الجبل المجاور. وهي حاليًّا مُغلقة لحماية ما بها من رسومات جدارية قديمة وهامة من الفريسك. وتحتاج زيارة هذه الكنيسة إلى تصريح من

---

(١) عبد المجيد دياب، *"تاريخ الأقباط للعلَّامة المقريزي"*، دار الفضيلة، القاهرة، ١٩٩٥، ص ١٥٥.

(٢) شيرين صادق الجندي، "دير البرشا شرق ملوي"، *مجلة مرقس*، العدد (٦٢٤)، مطبوعات دير الأنبا مقار، وادي النطرون (مايو ٢٠٢١)، ص ١٤ – ١٥.

(٣) الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٥٤-١٥٥.

(٤) شيرين صادق الجندي، "دير أبو حنس الأثري بملوي"، *مجلة مرقس*، العدد (٦٢٣)، مطبوعات دير الأنبا مقار، وادي النطرون (أبريل ٢٠٢١)، ص ٨ – ١٣.

مفتِّشي الآثار. وحديثًا، شُيِّدت في هذا الدير الهام ثلاث كنائس جديدة لرئيس الملائكة ميخائيل، وكنيسة القدِّيس بموا والقدِّيسة بائيسة، وكنيسة القدِّيس الأنبا مقار الكبير، إلى جانب بعض المباني الخَدَمية[٥]. وفي أطراف قرية "دير أبو حنس"، تمَّ بناء دير البتول للراهبات، والذي اعترف به المجمع المقدَّس عام ٢٠١٣.



(أ)

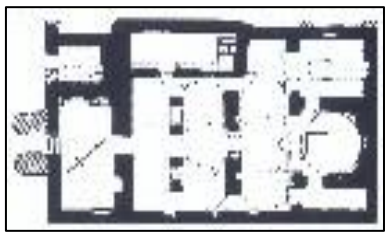


(ب)

(الشكل رقم ٣/أ – ب) الهياكل الشرقيَّة بدير القدِّيس يحنس القصير شرق ملوي. نقلًا عن:
https://www.stmacariusmonastery.org/old/st-mark/sm042103.htm



(الشكل رقم ٤) منظر خارجي لدير القدِّيس يحنس القصير شرق ملوي. نقلًا عن:
www.facebook.com/Ososwilliam/posts/



(أ)



(ب)

(الشكل رقم ٥) أ. مسقط لدير القدِّيس يحنس القصير شرق ملوي ب. أيقونة القدِّيس يحنس القصير بداخل هذا الدير
نقلًا عن: الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٥٤ – ١٥٥.

---

(٥) الشماس إيهاب إسحق، *"سراج أنصنا الأنبا يوأنس القصير"*، ط.١، الناشر كنيسة الأنبا يحنس القصير بدير أبو حنس، ملوي، ٢٠١٩.

٤-دير القدِّيس يحنس القصير بالعلمين:

بُنِيَ دير القدِّيس يحنس القصير على مساحة ما يقرب من ثلاثة وثلاثين فدانًا في طريق العلمين (**الشكل رقم ٦/أ – ب**). وفي يوم ٤ مارس ٢٠٢١م، اعترف المجمع المقدَّس للكنيسة القبطيَّة بهذا الدير. وقام قداسة البابا تواضروس الثاني بتدشينه في حضور كثير من أحبار الكنيسة وبعض رهبان الأديرة القبطيَّة الحديثة. وتوجد كنيسة الدير في منتصف مساحته. وبها ثلاثة هياكل شرقيَّة، كُرِّس الأوسط منها للسيِّدة العذراء مريم. أمَّا الهيكل الشمالي، فهو خاصٌّ بالثلاثة مقارات. وخُصِّص الهيكل الجنوبي للقدِّيس يوحنا المعمدان. وبداخل الكنيسة المُشيَّدة على مساحة ما يقرب من ٦٥٠م، توجد معموديَّة للكبار وأخرى للأطفال، إلى جانب وجود رفات لبعض القدِّيسين والشهداء. ويحتوي دير القدِّيس يحنس القصير بالعلمين أيضًا على كاتدرائية كبيرة تمتدُّ على مساحة حوالي ١٥٠٠م أو أكثر، وتمَّ تشييدها على الطراز المعماري القبطي القديم. وتُعرَف هذه الكاتدرائية باسم: "كاتدرائية العذراء والقدِّيس يحنس القصير شفيع الدير".



(الشكل رقم ٦/أ) منظر خارجي لدير القدِّيس يحنس القصير بالعلمين
نقلًا عن: https://www.youm7.com/story



(الشكل رقم ٦/ب) منظر داخلي لدير القدِّيس يحنس القصير بالعلمين
نقلًا عن: https://www.light-dark.net

ويعلو مدخل الكاتدرائية برجان للجرس، ارتفاع كلٍّ منهما حوالى أربعين مترًا. وفي يوم ٣٠ أكتوبر ٢٠٢١م، دشَّنها قداسة البابا تواضروس الثاني في يوم تذكار نياحة القدِّيس يحنس القصير. وبداخل الكاتدرائية، توجد ثلاثة هياكل شرقيَّة. يُعرف الهيكل الأوسط فيها باسم: "القدِّيس يحنس القصير"، وخُصِّص الهيكل الشمالي فيها للقدِّيس مار مينا العجايبي والقدِّيس البابا كيرلس السادس البطريرك الـ١١٦ (١٩٥٩ – ١٩٧١م). أمَّا الهيكل الجنوبي، فهو هيكل كلٍّ من القدِّيس مار جرجس والقدِّيس أبي السيفين. وعلى مساحة ما يقرب من سبعة أفدنة، توجد منطقة القلالي أو القلَّايات، والتي تحتوي على ستين قلَّاية بُنيت طبقًا للطراز المعماري القبطي

القديم، فيعلوها أقبية أو قبوات. وقد قُسِّمت هذه القلَّايات على ثلاثين مبنى. يحتوي كلُّ مبنى منها على قلَّايتين متجاورتين.

وفي الفنون القبطيَّة المختلفة، قليلة هي أشكال القدِّيس يحنس القصير. فلا نراه إلَّا في زخارف القليل من الأيقونات الأثريَّة والحديثة، مثل الأيقونة المُشار إليها في (**الشكل رقم ٥/ب**)، ومثل تلك الأيقونة المحفوظة حاليًّا في دير القدِّيس الأنبا مقار الكبير في وادي النطرون (**الشكل رقم ٧**). حيث يظهر القدِّيس يحنس القصير من وجهة أمامية واقفًا أسفل عقد ومرتديًا ملابس طويلة وواسعة تعكس تأثيرات الفن البيزنطي. وعلى يمينه تظهر الشجرة التى زرعها بصحراء وادي النطرون (شجرة الطاعة). كما تظهر ملامح وجهه بوضوح، وتُحيط برأسه هالة نورانية كبيرة.



(الشكل رقم ٧) أيقونة القدِّيس يحنس القصير
نقلًا عن: St-Takla.org

وقد كُتِب باللُّغة العربية في شريط كتابي ضيِّق خلف رأس القدِّيس يحنس القصير وعلى خلفية الأيقونة ما يلي: "القدِّيس يحنس القصير صاحب الشجرة بجبل شيهات، ورُسمت في ١٥٧٤ ش/ ١٨٥٨م". كما توجد كتابات عربية أخرى أسفل الأيقونة.



(الشكل رقم ٨) أيقونة القدِّيس يحنس القصير مع القدِّيسة بائيسة التائبة
نقلًا عن: St-Takla.org

وعلى أيقونة أخرى، يظهر القدِّيس يحنس القصير مع القدِّيسة بائيسة التائبة المعروفة بقصتها المؤثِّرة عن التوبة، والتي عاشت في القرن الرابع الميلادي (**الشكل رقم ٨**). وفي كلِّ عام، تحتفل الكنيسة القبطيَّة الأرثوذكسيَّة بعيد نياحتها يوم ٢ مسرى.

الخاتمة:

مِمَّا سبق، يُعتَبَر القدِّيس يحنس القصير من أشهر الرهبان والنُّسَّاك الأقباط الذين عاشوا في القرن الرابع الميلادي في بريَّة شيهيت. وكان نموذجًا يُحتَذَى به في الزُّهد والنُّسك والتواضع والطاعة والالتزام. وعلى مرِّ العصور التاريخيَّة المختلفة، بُنِيَت له أربعة أديرة، اندثر منها واحدٌ والذي عُثِر على أطلاله في صحراء وادي النطرون.

وحاليًا، يمكن زيارة كلٍّ من ديره الأثري بطُرة في إقليم القاهرة الكبرى، وكذلك ديره الأثري المبني في شرق ملوي بمحافظة المنيا في مصر الوسطى. كما يتردَّد البعض على ديره المُشيَّد حديثًا في طريق العلمين للتشفُّع به ولنَيْل بركته وللاحتفال بعيده. ويُعَدُّ تشييد مثل هذه الأديرة القبطيَّة القديمة والحديثة دليلًا قاطعًا على سيرته الذاتيَّة العَطِرة التى يحرص الأقباط على التعلُّم والاستفادة منها في حياتهم.

****

لنصعد على الصليب بشجاعة

للقديس غريغوريوس النزينزي

[فصح الرب!

في هذه المناسبة ليُقدِّم كلُّ واحدٍ ثمرًا صالحًا،

قربانًا لائقًا بالعيد، سواء كان صغيرًا أو كبيرًا،

من الأشياء الروحيَّة المحبوبة عند الله، كل واحد على قدر طاقته...

لنذبح لله ذبيحة التسبيح على المذبح السماوي مع الخوارس العلويَّة...

بل إني أقول ما هو أعظم من ذلك:

لنذبح لله ذواتنا!

أو بالحري لنُقدِّم نفوسنا ذبائح كلَّ يوم وفي كلِّ مناسبة.

لنقبل كلَّ شيء من أجل خاطر اللوغوس،

لنتمثَّل بآلامه بواسطة آلامنا،

ولنُكرِّم دمه بواسطة دمائنا،

ولنصعد على الصليب بشجاعة؛

فإنَّ المسامير حلوة ولو أنها مؤلمة للغاية،

لأن الألم مع المسيح ومن أجل المسيح

أفضل من الحياة الهنيَّة مع الآخرين!]

(عظة في عيد الفصح – ٤٥: ٢ و٢٣)

****



الأدلَّة
على وجودِ الله وظهورهِ[١]
تأليف: د. سهيل مدانات
(٤)



هذه هي الحلقة الرابعة والأخيرة في تقديمنا لكتاب: "الأدلَّة على وجود الله وظهوره". هذا الكتاب الذي يُقدِّم لنا أدلَّة وفيرة واضحة ومتنوِّعة تعمل معًا لتُعطي يقينًا عقليًّا بوجود الله وظهوره بالجسد.

والإيمان المسيحي، ليس قفزة في الظلام بلا دليل، بل هو قفزة في نور الأدلَّة، والأدلَّة تملأ الكون الذي صنعه الله، وواضحة بالعقل والقلب معًا.

هاجم الشيطان بضراوة الإيمان المسيحي، وكان الكتاب المقدَّس والقيامة هما أكثر ما حاول الشيطان التشكيك والحرب عليهما. وقدَّمنا في العدد السابق موثوقيَّة وأصالة كتابنا المُقدَّس. وفي هذا العدد نُقدِّم أهم حَدَثٍ في المسيحيَّة، ومحورها الذي حوله تدور، وعليه تقوم، أي القيامة.

لو لم يَقُم المسيح لأمست المسيحيَّة مجموعة تعاليم أخلاقيَّة، وروايات عن معجزات، مع ادِّعاءات غريبة مِن شخصٍ توهَّم أنَّه الله، ثم ثبتَ بُطلانها، ولغدا الإيمان المسيحي كلُّه باطلًا. أمّا إذا تمَّت القيامة فعلًا كحَدَثٍ تاريخيٍّ حقيقيٍّ، فنحن أمام أعظم حَدَث في الوجود ومُفترق طريق الأبديَّة.

لذلك، فإنَّه ما دامَ العمودُ الفِقريُّ للإيمان المسيحي، والحدثُ المركزي فيها، هو حدَثَي الصَّلب والقيامة؛ لذا فإنَّ إثباتنا وتأكيدنا عليهما، لهو إثباتٌ قطعيٌّ على وجود الله.

سقوط النظريات البديلة للقيامة

برزت على مرِّ التاريخ عِدَّة نظريَّات تحاول أنْ تعزو الأدلَّة على قيامة المسيح إلى مُسبِّبات بديلة غير قيامته، نستعرض هنا أهمها، والردُّ عليها.

• أوَّل هذه البدائل هي نظرية المؤامرة، والتي أطلقها رؤساء كهنة اليهود حال قيامة المسيح وادَّعت قيام التلاميذ بخداع العالم وتضليله (متي ٢٨: ١١ – ١٥). لكنَّ هذه النظريَّة الأقدم تعجز تمامًا عن تفسير التغيير الجذري في حياة التلاميذ. فمن مجموعة رجال جُبناء هربوا عندما قبض الجنود على سيِّدهم في جثسيماني، واختبأوا في العلّية بعد موته؛ إذا بهم يتحوَّلون بغتةً بعد فجر الأحد إلى رجالٍ جاهروا أمام كلِّ أعدائهم، من يهود ورومان، بخبر القيامة، ووضعوا حياتهم على أكفِّهم في سبيل نشر الخبر السَّار، عالمين ما ينتظرهم، وغير آبهين به.

---

(١) الكتاب صادر عن دار منهل الحياة بالشراكة مع دار الثقافة، طبعة أولى: بيروت ٢٠٢٥. يقع الكتاب في ٥٤١ صفحة من القَطْع الكبير.

• نظرية المصلوب البديل، والتي أتت بعد ستَّة قرون، وانتشرت إلى اليوم، حتَّى إنَّ ربع سكَّان العالم يؤمنون بها. هذه النظريَّة ترفض الاعتراف بصَلْب المسيح أصلًا، ومِن ثمَّ ترفض القيامة ضمنًا. هم ظنُّوا أنَّ شخصًا آخر يُشبه المسيح أنَّه هو المسيح، فصلبوا الشبيه، لأنَّ الله لا يسمح بأن يُعرِّض نبيًّا لمصيرٍ كهذا! تلك النظريَّة تعجز عن تفسير القبر الفارغ وآثار المسامير والجنب المطعون. كما أنَّ النظريَّة لا تُعطي تفسيرًا منطقيًّا لإمكانية صَلْب شخصٍ بديل.

• نظريَّة القبر الخطأ، والقائلة بأنَّ النِّسوة ضلَلْنَ طريقهنَّ فجر الأحد وذهبنَ إلى قبرٍ آخر. هذه تعجز عن تفسير ظهورات المسيح القائم. وعدا ذلك، فهل يُعقل أنَّ التلاميذ ويوسف الرَّامي صاحب القبر، صدَّقوا خبرًا غير عاديٍّ كهذا أتت به النِّسوة، ولم يُكلِّفوا أنفسهم الذهاب إلى القبر للتحقُّق منه؟ كما أنَّ اليهود كانوا يُشدِّدون على تبجيل قبور أنبيائهم وشهدائهم. وما دام حدث القيامة لم يخطر على بال أحدٍ منهم، فقد كانوا حريصين أشدَّ الحرص على معرفة قبر سيِّدهم بالضبط، لكي يتمكَّنوا من تكفين الجسد وجعل القبر مزارًا لهم ولمُحبِّي معلِّمهم الراحل.

• إزاء صعوبة اتِّهام التلاميذ بالكذب والخداع، ادَّعت نظريَّة أخرى أنَّهم ليسوا خادِعين بل هم مخدوعون. نعم كانوا صادقين مُخلِصين في شهاداتهم بأنَّهم رأوا سيِّدهم القائم، إلَّا أنَّهم لم يَرَوْا شخصًا حقيقيًّا، بل خيالًا بفعل هَلْوَسةٍ قويَّة ضربت عقولهم، بسبب الانفعال العاطفيِّ الشديد الذي سبَّبه موتُه المأساويُّ المُفاجئ بعد ثلاثِ سنوات مِن تعلُّقهم بشخصه. إلَّا أنَّ عِدَّة أسباب علميَّة وموضوعيَّة تُبيِّن استحالة كون التلاميذ مُهلوِسين في ما شهدوا أنَّهم رأوه وسمعوه:

أوَّلًا: معروفٌ أنَّ الهلوسة هي حدثٌ فرديٌّ لا جماعيٌّ. أي لا يمكن أنْ ترى مجموعة من الناس في حالة هلوسة، حتى لو كانوا يمرُّون بالحالة النفسيَّة ذاتها.

ثانيًا: تعجز نظريَّة الهلوسة أنْ تُفسِّر حقيقة القبر الفارغ، وأين ذهبت جثة المسيح؟ ثم، ألم يكن في مقدرة اليهود أو الرومان العثور على الجثة، وكشفها والقضاء جذريًّا على الفتنة؟

ثالثًا: ظهر يسوع على مدى أربعين يومًا في أماكن مختلفة، وفي ظروفٍ مختلفة، وفي حالاتٍ ذهنيَّة مختلفة. ظهر وهم داخل العلِّيَّة، وفي الهواء الطلق، وفجرًا (عند بحيرة طبرية)، وعصرًا (لتلميذَي عمواس)، وظُهرًا وهم جالسون (للأحد عشر في العلِّيَّة)، وظهرَ وهم يركضون (لمريم المجدليَّة ومريم الأخرى)، وظهر وهم يصطادون (عند بحيرة طبرية) ... إلخ.

رابعًا: تعجز نظريَّة الهلوسة عن تفسير تغيير شاول الجذري والمُفاجئ من فرّيسيٍّ متعصِّب إلى أحد أعظم الرُّسُل. كما تعجز النظريَّة عن تفسير تغيير يعقوب، الأخ غير الشقيق ليسوع، والذي لم يؤمن به قبل القيامة، ثم آمن بقوَّة ورعى كنيسة أورشليم، واستُشهد لرفضه إنكار شهادة القيامة.

Living with Christ

Articles of Comfort and Blessings
Offered to the Reader

Enjoy your reading on the exposition of our Father Matta El-Meskeen to the verses of the Scripture! Note: All quotations are taken from the ***New King James Version,*** *if not otherwise mentioned.*

Volume Four

Chapter 78

"Nor will they say, 'See here!' or 'See there!'
For indeed, the kingdom of God is within you"
(Luke 17:21).

FOR the first time Christ announces this statement, for we thought that the kingdom of God is in heaven, hidden until Christ comes at the end of the ages and fulfills the judgment. But if the kingdom of God is within us, how joyful a creation we are. For the kingdom of God is everlasting life, where God rules over His chosen. For the term eternal life occupies quite an exalted place, and none draw near except the sanctified of God, who received the promise. If the kingdom of God is within us, then we have God's eternal glory and we have reached the eternal goal. For the ultimate thing that man anticipates during his life on earth is for his departure to be to the kingdom of heaven. For without the kingdom of heaven, there is no hope or expectation.

The kingdom of God in heaven is the appointed place before the creation of the world, consecrated for humanity's chosen ones. So here, Christ announces to us that "the kingdom of God is within you." We understand from this that our new creation which we draw from the Spirit of God, and which will be sustained by the Holy Spirit, is already within us, prepared for eternal life, which is everlasting life in the life of the Father and the Son in heaven.

The kingdom of God that is eternal life, is not the same as life on earth where we are born to live, eat and die, where our death bears no trace of the life we lived. For the body will decompose, will wear out and will be eaten by worms, and will return to dust from which it was taken. Whereas eternal life is life in

Christ and the Father, with no beginning or end, full of feasts, joys and surprises. For there will be revealed to us all the patriarchs, prophets, holy angels and all the righteous of the earth. There will be a multitude that draws its being as ours, whatever comforts us will comfort them, and whatever delights us will delight them. There will be no more sorrow or sighing in the light of the saints.

But what we must return to is that the Lord says in this verse that the kingdom of God is within you. So, what does that mean?

Let us return to the apostle Paul in his saying, "it is no longer I who live, but Christ lives in me."[1] So it is known, with the certainty recorded in the Gospel, that Christ lives in us: "it is no longer I who live, but Christ lives in me"!! So, if Christ lives in us, then eternal life, which is Christ, lives in us! For as long as Christ lives in us, eternal life is inevitably living in us. In other words, Christ who resurrected from the dead continues His resurrection in us, and we also continue our resurrection in Him, not only that, but we certainly continue to sit with Him on the right hand of the Father. So, if Christ lives in us, then we have reached the beginning (alpha) and the end (omega) with Him. For He is the first and the last for us, and our life is hidden with Christ in the Father. When Christ appears, we will appear in Him.[2] The revelation of Christ and His manifestation is glory upon glory, and we are glorified in Him. "Who has believed our message and to whom has the arm of the Lord been revealed?"[3] Is it not to us who live in Christ and in whom Christ lives? Christ Himself lives in the Father and the Father lives in Him. Oh, the glory! It has been appointed for us to live with the Father in the Son, and for eternal life to live in us.

January 2, 2006

---

[1] Galatians 2:20.
[2] Cf. Colossians 3:3,4.
[3] Isaiah 53:1; John 12:38.

Chapter 79

"Sanctify them by Your truth. Your word is truth" (John 17:17).

CHRIST asks the Father that He sanctify those who believe in Him. As the priest sanctifies the bread on the altar and cries out, "the Holies for the holy," then the believers would partake of it and become sanctified by its holiness. Here, Christ asks the Father to sanctify those who believe in Him, not by bread or wine, but by His Holy Spirit; a sanctification that the people recognize as a change in man's nature unto a new nature that has works of righteousness and godliness. For the church inherited the words of Christ as a divine truth that

works in man's nature, renewing him and giving him spiritual life, not only by the word but also by sanctification of the bread and wine, of which man partakes. Thus, his faith endures and his life is strengthened, so he abides in Christ.

Christ proclaims the mystery of the word, that it is able by the Spirit who is in it to sanctify man. Here, Christ points out that God's truth is found in His words which are presented to man freely and without cost in His holy Bible. Before it sits whoever desires to be a disciple of the truth, reading and reiterating it until the word is firmly established in his mind and becomes a revelation of the truth present in it. Then the person exults and rejoices in the spirit because he will have come to know Christ and the Father.

When Christ says to the Father, "Your word is truth," here He speaks from the depth of His heart's treasure. He had tasted and lived the word of the Father, and it enlivened in Him the truth and light. He evangelized and preached it, thus it increased in light, radiance and glory inside Him, and it overflowed on us in His teachings and commandments. So, when Christ says, "Your word is truth," He adds truth upon truth, and He makes the truth of the Father a light which the Bible reveals to illuminate, just as "a light that shines in a dark place"[1].As for this dark place, it is our hearts, if the devil takes them and entices them with his deception which he tried with Eve and succeeded.

The words are for you, brethren; truth is before you, and the light of the truth is gifted to your hearts, if they open up to God's truth in the Bible and the commandments of Christ.

January 2, 2006

[1] 2 Peter 1:19.

****

Father Matta El-Meskeen

Sin is no longer able to sever the sinner from God!!

> "Come now, and let us reason together, said the Lord:
> Though your sins be as scarlet, they shall be white as snow:
> Though they be red like crimson, they shall be as wool" (Isaiah 1:18).

Such is God who is always condescending to us, knowing how sin enfeebles the heart of the sinner, and drives him into a state of hiding and deadly shamefulness. Sin is repelling the sinner from coming to God in order that he might not live. But God starts calling the sinner importunately, and inviting him to confer and reason together.

The sinner thinks that sin prevents him from seeking God, whereas it is for this that Christ has descended to ask for man! Is it not that God has come to the flesh of man to cure its illness and redeem him from the sin that has ruled over him, and to raise him from the curse of death? Sin is no longer able to sever the sinner from God after He has sent His Son and paid the price—the

whole price—on the cross. But it is the dismay of the sinner, his shame and false delusion which hide the pierced side of Christ, wherein the whole world may be purified several times!

Sin has no longer the right to exist or abide in our new nature; it is now like a stain on a garment, removed immediately in less than a wink of an eye when the sinner repents and seeks the face of God.

The sinner should not look around to seek any autonomous power or any medium other than the blood of Christ. With His blood we enter into God to find redemption and forgiveness, lest we should insult the love of God and His superb mercy, or dishonor His omnipotence, His kindness or Hs compassion. Yet, in all the saints of the church and its penitents God gives assistance in His coming. For we have seen and heard and bear witness that the greatness of God's pardoning, His total forgiveness and His ability of sanctifying the sinner does not reach its utmost power and greatness except when the penitent reaches his utmost feebleness.

There exists a false sinner who speaks of himself as the great sinner and talks about his countless sins, yet—within himself—he does not perceive them as a reality, nor do they cause him any anguish or a pricking of conscience.

For such there exists no repentance even though he might have a thousand works and a thousand prayers every day; for Christ is a shrewd doctor who discerns the true patient from him who pretends to be one.

Christ did not come only with water to wash away the dirt of the body, but with water and blood to wash first of all the bleeding wounds of sin which have rent the heart and conscience of man, then supply him with pure doses of His exhilarating blood, so that he might recover from his deadly faint, rise and live.

When Isaiah the Prophet described our sins as crimson in color he was actually referring to the bleeding of sin which has tinged the life of man with the tinge of death! For bleeding always puts a man in a state of despair and apprehension as someone stabbed in the heart or as a murderer the hands of whom have been smeared with blood; possessors of such sins, with bleeding, burdened, grieved and desperate consciences are those invited by Isaiah to the depth of God's forgiveness and mercy. For these has Christ descended from the Father, to call them on the hill of Calvary. Look at Him raising His arms on the cross to reveal the width of His bosom asking for those who are lost and banishing despondency from the hearts of the desperate.

Christ came to ask for real sinking under the puncture of remorse and despair, giving no heed to lairs who claim to be penitent and condemn themselves before other people to gain more prestige by their humility, that their fame might be glorified as penitents while they are not.

It is to offer freedom to captives that Christ came, pursuing them to the hidden places of darkness, but if you have not yet felt the captivity of sin nor are you aware of its darkness nor awakened by its smothering horror, how then can you cry out of the depths, and if you do not cry in alarm, how then is the Savior to hear your voice and how is He to know your place?

Christ came to give sight to the blind. If you have not discovered the blindness of your heart and have not felt as deprived of the divine light, trying to open the eyes of others while you yourself are blind, how is He to endow you with sight and where is He to give you the light?

The essence of repentance is an awareness of sin, a cry of the pain of crime, a certitude of the absence of light.

Father Matta El-Meskeen, ***Repentance, 1970.***

✝✝✝

Saw Ye Him Whom My Soul Loved?

She (Mary Magdalene) said in her person the Song of Songs to the Angels, *Saw ye Him Whom my soul loved*? *It was but a little that I passed from them* (that is, from the two Angels), *until I found Him Whom my soul loved. I held Him, and would not let Him go*. For after the vision of the Angels, Jesus came as His own Herald; and the Gospel says, *And behold Jesus met them, saying, All hail! and they came and took hold of His feet*. They took hold of Him, that it might be fulfilled, *I will hold Him, and will not let Him go*. Though the woman was weak in body, her spirit was manful. *Many waters quench not love, neither do rivers drown it*; He was dead whom they sought, yet was not the hope of the Resurrection quenched. And the Angel says to them again, *Fear not ye*; I say not to the soldiers, *fear not*, but to you; *for perfect love casteth out fear*. *Go, tell His disciples that He is risen*;

NPNF 2, 7, p 97.

****

ἐκ τοῦ ἁγίου Κυρίλλου Ἱεροσολύμων

Ἔλεγεν ἐκ προσώπου αὐτῆς τὸ Ἆσμα τῶν ᾀσμάτων πρὸς τοὺς ἀγγέλους· Μὴ, ὃν ἠγάπησεν ἡ ψυχή μου, ἴδετε; ὡς μικρὸν, ὅτε παρῆλθον ἀπ᾽ αὐτῶν (τουτέστι, τῶν δύο ἀγγέλων), ἕως οὗ εὗρον ὃν ἠγάπησεν ἡ ψυχή μου· ἐκράτησα αὐτὸν καὶ οὐκ ἀφῆκα αὐτόν. Μετὰ γὰρ τὴν ὀπτασίαν τῶν ἀγγέλων αὐτάγγελος Ἰησοῦς ἦλθε, καί φησι τὸ Εὐαγγέλιον· Καὶ ἰδοὺ ὁ Ἰησοῦς ἀπήντησεν αὐταῖς λέγων· Χαίρετε· αἱ δὲ προσελθοῦσαι ἐκράτησαν αὐτοῦ τοὺς πόδας. Ἐκράτησαν αὐτόν, ἵνα πληρωθῇ τὸ, Κρατήσω αὐτὸν καὶ οὐκ ἀφήσω αὐτόν. Ἀσθενὲς μὲν ἦν τῆς γυναικὸς τὸ σῶμα, ἀνδρεῖον δὲ τὸ φρόνημα. Ὕδωρ πολὺ οὐκ ἔσβεσε τὴν ἀγάπην, οὐδὲ ποταμοὶ συνέκλυσαν· νεκρὸς ὁ ζητούμενος, ἀλλ᾽ οὐκ ἐσβέσθη τῆς ἀναστάσεως ἡ ἐλπίς. Καὶ ὁ ἄγγελος πρὸς αὐτὰς λέγει πάλιν· Μὴ φοβεῖσθε ὑμεῖς. Οὐ λέγω τοῖς στρατιώταις τὸ, Μὴ φοβεῖσθε, ἀλλ᾽ ὑμῖν [...] ἡ γὰρ τελεία ἀγάπη ἔξω βάλλει τὸν φόβον. Πορευθεῖσαι εἴπατε τοῖς μαθηταῖς αὐτοῦ, ὅτι ἠγέρθη.

PG 33, 840-841.

St. Mark *Monthly Review*
Published by: The Monastery of St. Macarius the Great, Wadi El-Natrun.
ANNUAL SUBSCRIPTIONS (10 issues a year, July& August excluded, sent by Int. Courier):
U.S. $150.00
Subscriptions to be paid through our Website as mentioned below, or sent by a check to:
"St Macarius Printing House", P.O. Box 1574, Centreville, VA 20122, USA.
No materials may be reproduced in whole or in part without written permission from the publisher.
© 2026
by the Monastery of St. Macarius the Great.
Library of Congress Catalogue Card Number: 80–960629. ISSN 2805-2382
VISIT THE WEBSITE OF THE MONASTERY: WWW.STMACARIUSMONASTERY.ORG

ST. MARK April 2026

Monthly Review



Christ entering Jerusalem

"And many spread their clothes on the road, and others cut down leafy branches from the trees and spread *them* on the road. Then those who went before and those who followed cried out, saying: "Hosanna! 'Blessed *is* He who comes in the name of the LORD!' Blessed *is* the kingdom of our father David that comes in the name of the Lord! Hosanna in the highest!" And Jesus went into Jerusalem" (Mark 11: 8-11).

[The Great Monastery in Mount Athos, 1535.]

مـــــرقس

رسالة الفكر المسيحي
للشباب والخُدّام

مايو ٢٠٢٦



حلول الروح القدس يوم الخمسين

الروح القدس يحلُّ على التلاميذ مثل ألسنة نارٍ مُنقسمة على كلِّ واحدٍ منهم

(انظر: أع ٢: ١ – ٤)

(أيقونة بيزنطيَّة من القرن الحادي عشر)

مرقس

رسالة الفكر المسيحي للشباب والخُدَّام

السنة ٧٠ **مايو ٢٠٢٦م.**

العدد ٦٧٤ **برمودة/ بشنس ١٧٤٢ش.**

المحتويات

الافتتاحية: كلمة قداسة البابا تواضروس الثاني:

قام ... وصعد ... وأيضًا يأتي ١

أخبار الكنيسة:

زيارة قداسة البابا تواضروس الثاني لتركيا ٦

مقال للأب متى المسكين:

القيامة والخلود ١٤

بمناسبة عيد القيامة المجيد:

قيامة المسيح والسعادة الحقيقيَّة ١٨

من التراث الكنسي: ما هو عيد القيامة؟ ٢٣

ادخل إلى العمق (٦٢): بالحقيقة قد قام ٣٠

بمناسبة عيد الصعود المجيد:

صعود ربِّنا يسوع المسيح ٣٥

"أصعدتَ باكورتي إلى السماء" ٤٤

ذكرى الصِّدِّيق تدوم إلى الأبد:

لمحات من الكنيسة الأولى (٢) ٤٧

بحث تاريخي:

أهم أديرة وكنائس القدِّيسة دميانة في مصر (١) ٤٩

تقديم كتاب: نصوص قديمة – أناشيد سليمان ٥٣

مقال بالإنجليزية:

LIVING WITH CHRIST, Vol. 4, 80 , 81 ..... ٦٠

من تعليم آباء الكنيسة

للقدِّيس يوحنا ذهبي الفم

تكريم طبيعتنا البشريَّة في المسيح

(ترجمة النص اليوناني الآبائي المنشور في باطن الغلاف الأخير)

✡✝✡

[إلى أيِّ طبيعة قال الله: «اجْلِسْ عَنْ يَمِينِي»؟
إلى تلك الَّتي سَمعت: «إِنَّكَ تُرَابٌ، وَإِلَى التُّرَابِ تَعُودُ».
ألم يكن كافيًا أنْ تتجاوز السَّماوات؟
ألم يكن كافيًا أنْ تقف مع الملائكة؟
أمَا كانت هذه الكرامة لا توصف؟
لكنَّها تجاوزت الملائكة،
وتخطَّت رؤساء الملائكة،
وتجاوزت الكارُوبيم،
وارتقت أعلى من السِّيرافيم،
واجتازت الرُّتب (السَّماويَّة)،
ولم تقف قبل أنْ تأخذ عرش السِّيادة ...
فإلى كلِّ هذا الامتداد والارتفاع قد رَفَعَ طبيعتنا.
انظرْ كَمْ كانت مُنحطَّة في الأسفل،
وإلى أين ارتفعت (في المسيح)!
فلم يكن للإنسان أنْ ينزل
إلى ما هو أحطُّ ممَّا نزل إليه،
ولا أن يرتقي أعلى ممَّا ارتقى إليه بعد ذلك.
وهذا ما يُشير إليه بولس قائلًا:
«الَّذِي نَزَلَ هُوَ الَّذِي صَعِدَ» (أف ٤: ٩، ١٠)].

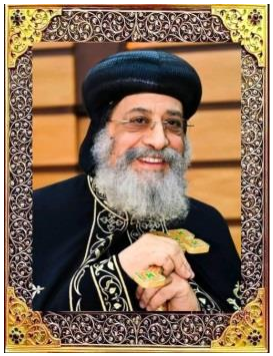
(العظة الأولى عن عيد الصعود: ٣)

مرقس: يصدرها ديـر القديس أنبا مقار ـ برية شيهيت

مكتب التوزيع والاشتراكات
القاهرة: ٢٨ شارع شبرا
تليفون: ٢٥٧٧٠٦١٤
٠١٢٨٢٧٥٢٣٢٤
٠١٠٢٣٨٢١٣٨١
الإسكندرية: ٨ شارع جرين - محرم بك
تليفون: ٠٣٤٩٥٢٧٤٠
تصفَّح مجلة مرقس في موقع الدير على الإنترنت:
www.stmacariusmonastery.org
عنوان البريد الإلكتروني:
stmarkcare@gmail.com

رئيس التحرير: الأب سرجيوس المقاري
تسديد الاشتراكات:
عن طريق خدمة أورانج كاش
وفودافون كاش
الخاصة بأرقام تليفون المجلة
وهي:
٠١٢٨٢٧٥٢٣٢٤
٠١٠٢٣٨٢١٣٨١
وتبدأ سنة الاشتراك
في يناير من كل عام
مطبعة دير القديس أنبا مقار

ثمن النسخة ٢٠ جنيهًا
الاشتراك السنوي: حرٌّ ... حدُّه الأدنى:
٢٠٠ جنيه: داخل مصر (تسليم باليد)
٣٥٠ جنيهًا: في حالة الدفع عن طريق المُحصِّل
٣٠٠ جنيه: في حالة الدفع عن طريق:
خدمة أورانج كاش وفودافون كاش
١٥٠ دولارًا أمريكيًّا: في البلاد الأخرى
عنوان المراسلات:
ص. ب ٣١ شبرا ـ القاهرة
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢١٧ / ٢٠٢٦
الترقيم الدولي: ISSN 2805-2382



الافتتاحية

قام ... وصعد ... وأيضًا يأتي[1]

لصاحب القداسة
البابا تواضروس الثاني

المسيح قام ... بالحقيقة قام:

بكلِّ مشاعر الفرح والرجاء التي يفيض بها عيد القيامة المجيد، أتوجَّه بالتهنئة إلى الآباء المطارنة والأساقفة والكهنة والشمامسة، وكل الإكليروس والخُدَّام، وكل شعبنا المُبارَك في كنائسنا وإيبارشياتنا وأديرتنا داخل وخارج مصر.

إننا، وإذ نحتفل بهذا العيد المقدَّس، نستحضر معنى القيامة التي توحِّدنا، وتجمعنا في جسدٍ واحد، هو جسد المسيح الحي، الذي قام ليمنحنا حياةً جديدة، ورجاءً لا يزول؛ لتظل الكنيسة منارة نور، وشهادة حيَّة لعمل الله في العالم.

لسنا اليوم أمام قصة تُروَى، ولا أمام ذِكْرَى تُستعَاد، بل أمام حقيقة إلهيَّة تهزُّ الوجود كلَّه.

المسيح قام ... وصعد ... وأيضًا يأتي:

وهذه ليست أخبارًا عن المسيح فقط، بل هي خريطة حياة لكلِّ إنسان يريد أن يخلُص. فإن كنَّا نؤمن أنه صعد، فلا بدَّ أن نرتفع؛ وإن كنَّا ننتظر مجيئه، فلا بدَّ أن نستعدَّ.

أولًا: قام ... فصار الإنسان مُستنيرًا:

البداية كانت عندما أخطأ آدم، واحتاج للخلاص، وصار محكومًا عليه حُكْم الموت. إنَّ الخطية قد أصابت فكر الإنسان بالظلام، وضميره بالضعف؛ ولكن الله أعطى وعدًا أنَّ «نسل المرأة يسحق رأس الحيَّة» (تك ٣: ١٥)، أي عدو الخير. وهنا كان التجسُّد، ونزل الله بنفسه إلى أرضنا ليُخلِّصنا، وكان يجب أن يحمل عن آدم ونسله حُكْم الموت في جسدهِ،

(١) عظة قداسة البابا تواضروس الثاني ليلة عيد القيامة المجيد لعام ٢٠٢٦م.

فصُلِبَ ومات، وأيضًا قام في اليوم الثالث. وهذا الموت لم يكن مُصادفة، بل هو من أجل حياة العالم كلّه.

فالقيامة ليست قصة رمزيَّة، بل هي حدثٌ حقيقيٌّ ثابت له شواهد واضحة، أوَّلها قبر فارغ. فحين ذهبت النسوة لم يجدن الجسد، ولو كان المسيح لم يَقُمْ، لكان أعداؤه قد أظهروا الجسد وانتهى الأمر؛ لكن القبر بَقِيَ فارغًا، لأن الذي كان مدفونًا فيه قد قام.

كما أنه لم يظهر لشخص واحد فقط، بل لجموع، منهم مريم المجدليَّة، والتلاميذ، وأكثر من خمسمائة أخ معًا. ثم نرى تغيُّر التلاميذ بعد القيامة، إذ كانوا خائفين، مختبئين، ضُعفاء. وبعد القيامة، خرجوا يكرزون، ويواجهون الموت بشجاعة. فما الذي غيَّرهم سوى رؤيتهم للمسيح القائم! وشوقهم لنشر الخبر المُفرح للبشرية كلّها. فالإنسان قد يموت من أجل ما يظنُّه حقًّا وصِدْقًا؛ لكن لا أحد يموت من أجل كذبة يعرفها، لذا قدَّم التلاميذ حياتهم شهادةً للقائم من بين الأموات.

هذه الحقيقة الثابتة هي لتغيير حياتنا. فالمسيح الذي قام، قادرٌ أن يُقيمنا نحن أيضًا. ولم يكن قبره هو الذي انفتح فقط، بل انفتحت معه قبورٌ كثيرة في الإنسان: قبور لعادات قديمة تُضعِف الإرادة، قبور لشهوات تُطفئ النور الداخلي، قبور لأفكار تسرق الرجاء؛ لذا حين قام المسيح، لم يُقِم نفسه فقط، بل أقام معه كلَّ مَنْ يريد أن يقوم، وكسر كلَّ قبر داخلي، وأعلن أنَّ الموت لا سلطان له بعد اليوم: **«اسْتَيْقِظْ أَيُّهَا النَّائِمُ وَقُمْ مِنَ الأَمْوَاتِ فَيُضِيءَ لَكَ الْمَسِيحُ»** (أف ٥: ١٤).

القيامة ليست انتقالًا في الزمن، بل هي انتقالٌ في الكيان، من إنسان يعيش في الظِّلّ، إلى إنسان صار نورًا يمشي بين الناس. فالذي قام مع المسيح لا يعود يحب الظلمة، لا يطيق الخطية، لا يسكن في أماكن الموت؛ هو إنسان تغيَّرت عينه، فتبدَّل نظره، وتنقَّى قلبه، فصار نورًا.

أَلَم تسمع كيف خرجت المجدليَّة من دموعها لتصبح شاهدةً للقيامة! هكذا يفعل المسيح القائم، لا يُجمِّل الإنسان من الخارج، بل يُغيِّر طبيعته.

القيامة تدعونا أن نخرج نحن أيضًا، كما خرجت مريم المجدليَّة والتلميذان. نخرج من جمودنا، من خوفنا، من انغلاقنا على ذواتنا، لنبحث عن المسيح، في وجه كلِّ إنسان، في خدمة المتألِّمين، وفي كلِّ عمل محبة صادق، هناك يُرى، وهناك يُعلَن.

إنَّ النفس التي تؤمن بالقيامة، لا تبقى ساكنة، بل تصير كنفسٍ مُلتهبة، تسرع دائمًا نحو الله، وتكتشف حضوره في كلِّ يوم جديد. ويتحوَّل الإنسان من وضع النوم والسكون والموت، إلى إنسانٍ قائم، مُنتبه، نشيط، يُنير الطريق، ليس لنفسه فقط، بل أيضًا للآخرين. وهكذا تتحوَّل القيامة من مناسبة إلى حياة، ومن تذكار إلى لقاءٍ حيٍّ دائم مع المسيح القائم، الذي يهب الحياة لكلِّ مَنْ يطلبه بصدق.

ثانيًا: صعد ... فصار الإنسانساميًا:

كما أنَّ القيامة حقيقة ثابتة، هكذا أيضًا صعود المسيح ليس فكرة رمزية، بل حدثٌ إلهيٌّ مُعلَن في الكتاب المقدَّس. فالكتاب يشهد بوضوح: **«وَلَمَّا قَالَ هذَا ارْتَفَعَ وَهُمْ يَنْظُرُونَ. وَأَخَذَتْهُ سَحَابَةٌ عَنْ أَعْيُنِهِمْ»** (أع ١: ٩). لم يكن الصعود خافيًا، بل تمَّ أمام عيون التلاميذ، لكي يكون شهادةً حيَّة لا تُنكَر. ويؤكِّد الكتاب المقدَّس أنَّ هذا الصعود ليس غيابًا، بل هو دخول إلى المجد: **«إِذْ صَعِدَ إِلَى الْعَلاَءِ سَبَى سَبْيًا وَأَعْطَى النَّاسَ عَطَايَا»** (أف ٤: ٨).

أي أنَّ المسيح بصعوده: أعلن الغَلَبَة، وفَتَح السماء، وأعطى نعمةً للإنسان. فهو لم يصعد ليبتعد، بل صعد ليشفع فينا، ويحملنا فيه إلى حضرة الآب. ولذلك أعطانا وعدًا حيًّا: **«أَنَا أَمْضِي لأُعِدَّ لَكُمْ مَكَانًا ... آتِي أَيْضًا وَآخُذُكُمْ إِلَيَّ»** (يو ١٤: ٢ – ٣). إذًا، الصعود ليس نهاية القصة، بل بداية رجاء.

إنْ كان المسيح قد صعد ، فهو يدعونا نحن أيضًا أن نرتفع: **«إِن كُنْتُمْ قَدْ قُمْتُمْ مَعَ الْمَسِيحِ فَاطْلُبُوا مَا فَوْقُ»** (كو ٣: ١). فالصعود ليس مجرَّد عقيدة نؤمن بها، بل حياة نعيشها كلَّ يوم. فالقصة لا تنتهي عند القيامة، فالذي قام، لا يبقى في الأرض؛ بل **يرتفع، يسمو، يصعد.** المسيح الذي قام من الموت، لم يَعُد ليسكن في التراب، بل صعد إلى السماء؛ وهكذا الإنسان الذي قام معه، لا يعود عبدًا للأرضيَّات: **«فَإِن كُنْتُمْ قَدْ قُمْتُمْ مَعَ الْمَسِيحِ فَاطْلُبُوا مَا فَوْقُ، حَيْثُ الْمَسِيحُ جَالِسٌ عَنْ يَمِينِ اللهِ»** (كو ٣: ١).

الصعود ليس رحلة مكان، بل **رحلة قلب ...** أن ترتفع: فوق شهوة تُقيِّدك، فوق غضب يُشعِل داخلك، فوق محبة عالم تزول. الصعود هو أن تعيش على الأرض، لكن قلبك يكون في السماء.

الصعود هو أن تمشي بين الناس، لكن فكرك في الله؛ أن تُجرَّب لكن لا تسقط؛ أن تُحارَب

لكن لا تُهزَم. الإنسان القائم، إن لم يصعد، يعود ويسقط؛ أمَّا الذي يصعد، فهو إنسانٌ بالحقيقة لا تُثقِّله الخطية، نقيٌّ لا تُلطِّخه الشهوة، ثابتٌ لا تُزعزعه الأفكار.

إننا في كنائسنا نُصلِّي في كلِّ صباح ونقول: "قوموا يا بني النور لنُسبِّح ربَّ القوَّات"، وهو تذكرة يوميَّة للاستنارة والسمو.

ثالثًا: وأيضًا يأتي ... ليستعدَّ الإنسان لمجيئه:

وهنا نصل إلى الحقيقة التي كثيرًا ما ينساها الإنسان ويتناساها، أنَّ الذي قام والذي صعد، **سيأتي أيضًا.** لكنه لن يأتي هذه المرَّة مُخلِّصًا فقط، بل **سيأتي ديَّانًا عادلًا.** لأنه لا بدَّ أننا جميعًا نقف أمام كرسي العرش، ونُحاسَب على حياتنا الأرضية واستعدادنا للسماء.

سيأتي، لا ليسأل: ماذا قلتَ؟ بل: كيف عشتَ؟ لا ليسأل عن المظاهر، بل عن القلب. سيأتي وسيفتح الكُتُب، لا ليدين، بل ليُعلِن الحق؛ حينها: سيظهر الخفي، ويُكشَف المستور، ويُعطِي كلَّ إنسان بحسب أعماله.

وفي انتظارنا لمجيء السيِّد المسيح، نضع أمامنا حقيقة لا يمكن تجاهلها: إنَّ كلَّ إنسان سيقف أمام الله بمفرده، بلا أعذار، وبلا تبريرات، وبلا اتِّكاء على أحد. فالطريق، وإن سرنا فيه معًا، إلَّا أن نهايته شخصيَّة، حيث يلتقي كل إنسان بوجه الحق: **«فَإِذًا كُلُّ وَاحِدٍ مِنَّا سَيُعْطِي عَنْ نَفْسِهِ حِسَابًا للهِ»** (رو ١٤: ١٢). إنها لحظة ينكشف فيها كل شيء: ما خَفِي في القلب، وما عُمِل في الخفاء، وما ظنَّه الإنسان أنه قد نُسِيَ. هناك لا تنفع المظاهر، ولا تُجدي المُقارنات بالآخرين، لأن السؤال لن يكون: ماذا فعل غيرك؟ بل: **ماذا فعلتَ أنتَ؟**

وهكذا يدعونا السيِّد المسيح أن نعيش في يقظة دائمة، لا بخوفٍ مُربك، بل بمسؤوليَّة واعية، نُدرك فيها أنَّ حياتنا هي عطية، وأنَّ كلَّ يوم نعيشه هو فرصة نُعِدُّ بها جوابنا. فلا يختبئ الإنسان خلف ضعف الآخرين، ولا يُبرِّر تقصيره بظروفه، بل يقف في صدقٍ أمام الله، مُجاهدًا، أمينًا، ساهرًا.

إنَّ انتظار المجيء الثاني ليس انتظارًا سلبيًّا، بل هو حياة تُعاش في أمانة وسهر، لأن كلَّ لحظة نعيشها الآن، هي سطرٌ يُكتَب في جوابنا أمام الله. لكنه أيضًا ليس انتظار خوفٍ واضطراب، بل هو **اشتياق القلب إلى اللِّقاء،** وحنين إلى الحياة مع الله. فالمؤمن الحقيقي لا ينتظر بقلق، بل برجاءٍ حيٍّ، كما يقول الرسول: **«مُنْتَظِرِينَ الرَّجَاءَ الْمُبَارَكَ وَظُهُورَ مَجْدِ اللهِ الْعَظِيمِ وَمُخَلِّصِنَا**

يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (تي ٢: ١٣). إنه انتظارٌ لا يقوم على الخوف، بل على المحبة؛ وهكذا يتحوَّل ترقُّب المجيء من رهبةٍ إلى لهفةٍ، ومن خوفٍ إلى شوقٍ، فنُردِّد مع الكنيسة في كلِّ حين: **«آمِينَ. تَعَالَ أَيُّهَا الرَّبُّ يَسُوعُ»** (رؤ ٢٢: ٢٠).

نُردِّدها بقلب مشتاق، قلب عرف الله وأحبَّه، فصار ينتظر مجيئه كعريس سماوي. وكما يقول الكتاب: **«فَإِنَّ سِيرَتَنَا نَحْنُ هِيَ فِي السَّمَوَاتِ، الَّتِي مِنْهَا أَيْضًا نَنْتَظِرُ مُخَلِّصًا هُوَ الرَّبُّ يَسُوعُ الْمَسِيحُ»** (في ٣: ٢٠). لذلك نحيا في هذا العالم، لكن قلوبنا مُعلَّقة بالسماء، نعمل بأمانة، ونسهر برجاء، ونحب بإخلاص، منتظرين تلك اللحظة التي فيها يكتمل اللقاء، ونفرح به إلى الأبد.

إنَّ حياتك ليست صدفة، وأيامك ليست عبثًا، وكل لحظة تعيشها، **مكتوبة ومحفوظة وستُعلَن.** فإن كنتَ قد قمتَ، فاثبت في نورك؛ وإن كنتَ تنتظر مجيئه، فكُنْ مستعدًّا كلَّ حين.

في الختام:

نرفع قلوبنا أولًا بالشكر إلى الله ضابط الكل، الذي يقود حياتنا وشعوبنا في طريق المحبة والسلام، ونرفع صلاتنا من أجل العالم كلِّه، في هذه الأزمنة التي تموج بالتحدِّيات والاضطرابات؛ لكي يسكب الله سلامه في قلوب البشر، ويُبدِّد روح العداوة والا نقسام، ويمنح البشرية روح المحبة والوحدة. كما نُصلِّي من أجل مصر، أن يحفظها الرب آمنة مستقرَّة، مُبارَكة في أرضها وشعبها، وأن يُديم عليها نعمته وسلامه.

كما نُعرب عن تقديرنا العميق لفخامة السيِّد الرئيس عبد الفتاح السيسي، شاكرين جهوده المستمرَّة في ترسيخ دعائم السلام، سائلين الله أن يمنحه الحكمة والقوَّة، وأن يوفِّقه في كلِّ ما فيه خير البلاد ورِفعة شأنها، وأن يسنده في مساعيه لنشر السلام والاستقرار. ونتقدَّم بخالص التقدير والامتنان إلى جميع السادة المسؤولين، لِمَا يبذلونه من جهود صادقة وأعمال مُخلِصة في خدمة الوطن ورعاية أبنائه.

لنكون جميعًا سُفراء للسلام، نحمله في قلوبنا وننقله إلى كلِّ مَنْ حولنا، مستمدِّين قوَّتنا من **ملك السلام،** ربنا يسوع المسيح، الذي قال: **«سَلاَمًا أَتْرُكُ لَكُمْ. سَلاَمِي أُعْطِيكُمْ»** (يو ١٤: ٢٧). فلنحيا هذا السلام، ولننشره، ليصير عالمنا أكثر نورًا، وقلوبنا أكثر امتلاءً بالرجاء.

حفظ الله مصر ... ومَنَح العالم سلامه الحقيقي.

زيارة قداسة البابا تواضروس الثاني لتركيا
ولقاؤه بقداسة البطريرك المسكوني
(من ٢٥ – ٢٧ أبريل ٢٠٢٦م)



زار قداسة البابا تواضروس الثاني مساء السبت ٢٥ أبريل تركيا، والتقى بقداسة البطريرك برثلماوس الأول بطريرك القسطنطينيَّة للروم الأرثوذكس، وذلك في كنيسة القدِّيس جورجيوس بالفنار بالمقر البطريركي، باسطنبول.

رافق قداسة البابا في هذه الزيارة وفد كنسي رفيع المستوى ضمَّ:

- نيافة المطران الأنبا دانيال، مطران المعادي والسكرتير الأسبق للمجمع المقدَّس.
- نيافة المطران الأنبا توماس، مطران القوصيَّة ومير، وعضو اللجنة التنفيذيَّة بمجلس الكنائس العالمي، وعضو لجنة الحوار اللاهوتي الأرثوذكسي – الأرثوذكسي الشرقي.
- نيافة الأنبا أنجيلوس، أسقف لندن للأقباط الأرثوذكس.
- الراهب القس عمانوئيل المحرقي، سكرتير مكتب قداسة البابا.

وأُقيمت صلاة رسميَّة في بداية اللقاء تمَّت فيها تلاوة صلاة "البوليخرونيون" أي "إلى سنين عديدة"، وذلك ترحيبًا بقداسة البابا تواضروس الثاني، خليفة القدِّيس مرقس الرسول، وهي صلاة ليتورجيَّة تقليديَّة تُصلَّى في كنائس الروم الأرثوذكس، تكريمًا لرؤساء الكنائس.

❖ واختتم قداسة البابا الصلاة بهذه الكلمات:

"يا ربنا وإلهنا، نشكرك على جمعنا في هذا اللقاء المُبارك.

امنحنا نعمة وفرح قيامتك المجيدة، ليُشرق نور قيامتك علينا. وبارك هذا الاجتماع، وبارك كلَّ كلمة وكلَّ نيَّة حسنة.

بارك أخانا الحبيب، قداسة البطريرك برثلماوس، واحفظه في سلامٍ وصحةٍ وقوَّة في خدمته".

❖ ثم توجَّه قداسة البابا والوفد المُرافق له ومستقبلوه إلى مقرِّ إقامة قداسة البطريرك برثلماوس، الذي استقبل قداسة البابا بحرارة وحفاوة لافتة. وألقى قداسة البطريرك المسكوني برثلماوس كلمة رحَّب في بدايتها بقداسة البابا تواضروس الثاني، وقال فيها:

"إنَّ مجئ قداستكم إلى القسطنطينيَّة يتخطَّى كثيرًا حدود المناسبة الرسميَّة، إذ يحمل دلالة تاريخيَّة عميقة، كونها الزيارة الأولى، وأنه ثمرة مباشرة للّقاء الأخوي الذي استضافه قداسة البابا تواضروس في سبتمبر ٢٠٢٤م بدير القدِّيس الأنبا بيشوي".

"لقد كان هذا اللقاء فرصةً لتعميق الفهم، وتوطيد روابط المحبة، والسعي إلى استعادة وحدة الشركة، وتقديم شهادة مشتركة ذات مصداقيَّة في عالمنا المُعاصر".

"لقرونٍ عديدة، سارت كنيستانا في مسارات متوازية، فرَّق بينهما أحيانًا ثقل الظروف التاريخيَّة وسوء الفهم العقائدي. بَيْد أنه، عَبْر الحوار الصادق والصبور، أدركنا من جديد أنَّ ما يجمعنا يفوق بما لا يُقاس ما كان يُفرِّقنا. وقد كشفت الاتفاقيات الكريستولوجيَّة التي توصَّل إليها الطرفان في العقود الأخيرة عن إيماننا المُشترك بسرِّ الكلمة المُتجسِّد، المُعبَّر عنه في صياغاتٍ لاهوتيَّة مُتمايزة، غير أنه راسخ الجذور في التقليد الرسولي للكنيسة غير المُنقسمة".

"لقد آن الأوان، إذن، للانتقال من الاتفاق إلى اللقاء، ومن التقارُب اللاهوتي إلى الوئام الروحي. هذه مسؤوليتنا الجماعية. فنحن مدعوُّون إلى تحويل ثمار الحوار إلى واقع رعوي ملموس، بتنمية التعارُف المُتبادَل والأُلفة بين أبناء شعبينا".

❖ وفي كلمته، عبَّر قداسة البابا تواضروس الثاني عن سعادته بلقاء قداسة البطريرك المسكوني برثلماوس الأول، مُقدِّمًا الشكر لقداسته لتوجيهه الدعوة لقداسة البابا، واصفًا الدعوة بأنها **"رسالة موقَّعة بالمحبة"**. فقال قداسة البابا تواضروس:

"دعوتكم لنا ليست مجرَّد دعوة، وإنما هي رسالة موقَّعة بالمحبة تأتي امتدادًا لتاريخ طويل من علاقات المحبة المُتجذِّرة بين الكنيستين، أي بين كرسي القدِّيس مار مرقس الرسول وكرسي القدِّيس أندراوس الرسول".

"جئتُ إليكم من مصر ومن كنيسة مصر القبطيَّة الأرثوذكسيَّة، من الأرض التي تباركت بزيارة العائلة المقدَّسة في القرن الأول الميلادي، من أرض القدِّيس مرقس الرسول الذي

استُشهد في مدينة الإسكندرية. وعَبْر العصور حَمَلَت الكنيسة القبطيَّة شُعلة الإيمان ونشأ فيها أبطال الإيمان أمثال: القدِّيس أثناسيوس الرسولي والقدِّيس كيرلس عمود الدين. كما عُرِفَت بكنيسة الشهداء، وعلى أرضها نشأ القدِّيس أنطونيوس الكبير أب جميع الرهبان، وتأسَّست الرهبنة والأديرة منها إلى كلِّ العالم".



قداسة البابا تواضروس الثاني في ضيافة قداسة البطريرك المسكوني برثلماوس

❖ ووجَّه قداسة البابا الدعوة لقداسة البطريرك برثلماوس لزيارة مصر والكنيسة القبطيَّة. واختتم بقوله:

"لنُصلِّي معًا ونخدم معًا، ونشهد معًا أمام عالم ينتظر منَّا ما هو أعمق من الكلمات".

وأُقيم عقب اللقاء حفل عشاء على شرف قداسة البابا تواضروس الثاني.

وتعكس هذه الزيارة عمق الروابط الأخويَّة والتقليد الرسولي المُشترك، وتُبرز أهمية الحوار اللاهوتي والتقارُب الكنسي في العالم الأرثوذكسي.

القدَّاس البطريركي بمقر كرسي القسطنطينيَّة بحضور قداسة البابا

حضر قداسة البابا تواضروس الثاني صباح الأحد ٢٦ أبريل، القدَّاس الإلهي البطريركي الذي خدمه قداسة البطريرك برثلماوس الأول بطريرك القسطنطينيَّة في كنيسة القدِّيس جورجيوس بالفنار بالمقر البطريركي، باسطنبول.



❖ وعقب انتهاء القدَّاس، تمَّ تبادُل الكلمات بين صاحبَي القداسة؛ حيث ألقى قداسة البطريرك المسكوني كلمة رحَّب فيها بقداسة البابا تواضروس الثاني قائلًا:

"بعناية الله وتدبيره الإلهي، نستقبل قداستكم والأعضاء الكرام في وفدكم في البطريركيَّة المسكونيَّة. إنَّ حضوركم بيننا بركةٌ حقيقيَّة، تُجلِّي عمل الروح القدس الدائم، الذي لا يزال يهدي كنائسنا نحو كمال الإيمان الرسولي".

"إنَّ العلاقة بين الكنائس الأرثوذكسيَّة الشرقيَّة والكنائس الأرثوذكسيَّة، تحتلُّ مكانةً فريدة ومُتميِّزة في رحاب المسيرة المسكونيَّة الشاملة. فعَبْر عقودٍ من الحوار اللاهوتي الصبور والصادق، صِرنا نُدرك بوضوحٍ متزايد أنَّ اعترافنا بسرِّ التجسُّد الإلهي هو في جوهره واحدٌ وموحَّدٌ".

"هذا الفهم ليس خُلاصةً أكاديميَّةً مجرَّدة، بل هو حقيقةٌ لاهوتيَّة ينبغي أن تتجلَّى في حياة الكنيسة. إذ لا يمكن أن تظلَّ الاتفاقيات التي توصَّل إليها لاهوتيُّونا حبيسةَ الوثائق واللِّجان؛ بل يجب أن تُستقبَل وتُتجسَّد وتُعاش داخل كنائسنا".

❖ ودعم رؤيته من خلال النساء حاملات الطِّيب قائلًا:

"إنَّ حاملات الطِّيب لم يقفن عند القبر؛ بل أُرسِلن رسولاتٍ إلى الرُّسُل. وبالمثل،

نحن أيضًا مُرسَلون من هذا التجمُّع المقدَّس برسالة: أن نكون خُدَّامًا للمُصالحة، وأن نُترجِم التوافُق اللاهوتي إلى واقعٍ مُعاش، وأن نُهيِّئ – بنعمة الله – اليوم الذي نقف فيه معًا حول المائدة الإفخارستيَّة الواحدة".

"وإذ نمضي قُدُمًا في هذا الدرب من الشفاء والمُصالحة، نُودِع مساعينا بين يدَيِّ الرب القائم من بين الأموات، الذي وحده يشفي الانقسامات، ويجعل كلَّ شيء جديدًا. فليمنحنا الشجاعة للثبات أُمناء على الحقِّ الذي استلمناه، والنعمة لتجسيد ذلك الحق في حياتنا المُشتركة".

❖ وألقى قداسة البابا تواضروس الثاني كلمة في القدَّاس الإلهي، وَجَّه في بدايتها تحيَّة وشكر لقداسة البطريرك برثلماوس على حفاوة الاستقبال، وعلَّق على إنجيل القدَّاس قائلًا: "تتردَّدُ في أذهاننا اليومَ كلماتُ القدِّيسِ بولسَ الرسول: **«وَلكِنْ شُكْرًا للهِ الَّذِي يَقُودُنَا فِي مَوْكِبِ نُصْرَتِهِ فِي الْمَسِيحِ كُلَّ حِينٍ، وَيُظْهِرُ بِنَا رَائِحَةَ مَعْرِفَتِهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ»** (٢كو ٢: ١٤). هذه الرائحةُ الذكيَّةُ تتجلَّى لنا في إنجيلِ اليوم من خلال القدِّيسةِ مريم المجدليَّة".

"يقولُ الإنجيلُ المقدَّس: **«أَمَّا مَرْيَمُ فَكَانَتْ وَاقِفَةً عِنْدَ الْقَبْرِ خَارِجًا تَبْكِي»** (يو ٢٠: ١١)، ظلت واقفة هناك لأنَّها أحبَّت الرَّب. وقد أشارَ إلى هذا المعنى العميقِ القدِّيسُ يوحنَّا ذهبيُّ الفَم: [الآخرونَ انصرفوا، أمَّا هي فبقِيَت. ظلَّت محبَّتُها ثابتة للمسيحِ، حتَّى في أحلكِ ساعاتِ الحُزن]. ثمَّ نطقَ الربُّ القائمُ من بين الأمواتِ بكلمةٍ واحدة: **«يَا مَرْيَمُ!»** (يو ٢٠: ١٦)، فتغيَّرَ كلُّ شيء".

"ناداها المسيحُ باسمِها، فعرَفَته. هذا هو جمال القيامةِ المجيدة: الربُّ الذي قهرَ الموتَ حيٌّ، وقريبٌ، ومعروفٌ لكلِّ الذين يحبُّونه".

"فانطلقَت تُبشِّرُ التلاميذ بفرحٍ عظيم: **«أَنَّهَا رَأَتِ الرَّبَّ»** (يو ٢٠: ١٨)، هذه هي رائحةُ المسيح الذكيَّة: أنْ تعرفَه، وأنْ تبقَى قريبًا منه، وأن تشهدَ له".

"في افراح أيَّام الخمسين المقدَّسة، نسألُ الرب القائمَ من بين الأموات أن يملأَ كنيستَه بهذه الرائحة الذكيَّة المُقدَّسة. وليُعطي كلِّي القداسة، القوة والبركة. وليمنحِ الربُّ السلام لشعبه في كلِّ مكان. وليُنعِم علينا جميعًا بالفرحِ لنقول مع القدِّيسة مريم المجدليَّة: «لقد رَأَيتُ الرَّبَّ»".



محبة ووئام



قداسة بطريرك القسطنطينيَّة يودِّع قداسة بابا الإسكندرية

زيارة قداسة البابا لبطريركيَّة الأرمن الأرثوذكس بالقسطنطينيَّة

زار قداسة البابا تواضروس الثاني صباح يوم الاثنين ٢٧ أبريل، مقرَّ بطريركيَّة القسطنطينيَّة للأرمن الأرثوذكس في منطقة كومكابي باسطنبول، وذلك في إطار زيارته الحالية لتركيا والتي بدأها يوم السبت ٢٥ أبريل.

كان في استقبال قداسة البابا والوفد المُرافق له لدى وصولهم، غبطة البطريرك ساهاك الثاني مشاليان بطريرك القسطنطينيَّة للأرمن الأرثوذكس، وعدد من مطارنة وأساقفة الكنيسة الأرمينية.

وتوجَّه صاحبا القداسة ومرافقوهما إلى كنيسة مريم العذراء (سورب أسدوادزادزين)، حيث أُقيمت صلاة شكر، ثم توجَّه الموكب إلى المقرِّ البطريركي لبدء اللقاء الرسمي. وخلاله رحَّب غبطة البطريرك ساهاك بقداسة البابا والوفد المُرافق له، مُعربًا عن سعادته بهذه الزيارة.

كما ألقى قداسة البابا كلمة محبة وشكر.

وفي ختام اللقاء تمَّ تبادُل الهدايا والتقاط الصُّور التذكاريَّة.



استقبال غبطة البطريرك ساهاك لقداسة البابا تواضروس الثاني

زيارة بطريركيَّة السريان الأرثوذكس باسطنبول

زار قداسة البابا تواضروس الثاني يوم الاثنين ٢٧ أبريل مقرَّ الكنيسة السريانيَّة الأرثوذكسيَّة باسطنبول، في كنيسة السيِّدة العذراء مريم، وذلك عقب انتهاء زيارته لبطريركية القسطنطينيَّة للأرمن الأرثوذكس باسطنبول التي قام بها في وقتٍ سابق اليوم.

كان في استقبال قداسة البابا والوفد المُرافق له النائب البطريركي لإيبارشيَّة اسطنبول وأنقرة وإزمير، نيافة مار فيلوكسينوس يوسف جتين، حيث تمَّ تقديم البرنس البطريركي والصليب والحيَّة النُّحاسيَّة لقداسة البابا. فارتدى قداسته البرنس وحَمَل الصليب والحيَّة النُّحاسيَّة عند المدخل الرئيسي للمقرِّ البطريركي. وتحرَّك الموكب يتقدَّمه الآباء الكهنة والشمامسة وهم يرتِّلون الألحان حتى وصلوا إلى داخل الكنيسة، التي تواجَد فيها عددٌ من شعبها الذين جاءوا خصيصًا للترحيب بقداسة البابا. ثم أُقيمت صلاة الشكر، وألقى بعدها النائب البطريركي كلمة تحية وترحيب، وبادره قداسة البابا بكلمات المحبة والشكر مُعربًا عن سعادته بوجوده بينهم.



ترحيب النائب البطريركي للكنيسة السريانيَّة الأرثوذكسيَّة بقداسة البابا

مقال للأب متى المسكين



القيامة والخلود[1]

عزيزي (...)
نعمة لك وبركة وسلام من الله.

أتعشَّم أن تكون مُعافًى، وتكونوا جميعًا في ملء السلام الداخلي، مُبتهجين بقيامة الربِّ يسوع، مستثمرين ذِكْرى قيامته المقدَّسة لتأمُّلات مناسبة، جاعلين من القبر الفارغ موضوعًا للامتلاء، ومن الحجر المُدحرَج إعلانًا لأسرار الخلود.

كان الخلود عند الفلاسفة قبل المسيح حديثًا غير ذي موضوعٍ، يطرقونه في كثيرٍ من الشكِّ أو الغموض، فكان يُعوزه كغيره من أفكار فيما وراء الطبيعة نموذجًا حيًّا أو مَثَلًا.

وهكذا ظلَّ الخلود مُجرَّد فكر يفتقر إلى موضوع، إلى أن اكتُشِفت في اليوم الثالث من موت الربِّ حركة غير مألوفة عند قبره، اكتشفها أول مَنْ اكتشفها امرأة تلميذة للمُعلِّم الميت ومعها أُخرى، شعرتا بزلزلة عظيمة اجتاحت منطقة القبر، وعرفتا مصدرها في الحال لمَّا رأتا ملاكًا نازلًا من السماء منظره كالبرق وثيابه كالثلج، دحرج الحجر الثقيل عن باب القبر وجلس عليه مُعلنًا أن يسوع المصلوب قد قام.

وللتأكيد، أمَرَهُما الملاك أن تتقدَّما لتنظرا القبر الفارغ واللفائف ملفوفة كأنها حول جسد، ولكن ليس فيها شيء.

ولو انتهت قصة المُعلِّم الذي قام، بتأكيد القبر الفارغ واللفائف الملفوفة، لظلَّ الخلود مُنفصلًا عن الوجود، ولظلَّ موضوع القيامة مُفتقرًا إلى تحقيق، ولاستمرَّ حديث التلاميذ يُشبه حديث الفلاسفة كلامًا غير ذي موضوع.
لولا أن حدث حادثٌ عجيب عند القبر الفارغ:

---

(١) الرسالة (١١٥) من كتاب: "رسائل القمص متى المسكين"، الطبعة الأولى: ٢٠٠٧م، ص ٤٦٣ – ٤٦٧.

إذ بينما المرأة المُخلِصة لمعلّمها الميت جالسة وحدها عند القبر تبكي، وأمامها صُرَّة كبيرة من مُرٍّ وحنوطٍ أنفقت في شرائها مبلغًا لا يُستهان به إكرامًا ووفاءً لمُعلّمها الذي صنع معها إحسانًا كثيرًا في حياته، حيث كانت تودُّ من كلّ قلبها أن تُكمّل خدمتها وتُكفّن الجسد الحبيب، ثم تعود من حيث أتت؛ إذا بالملاك يُحيّرها بموضوعٍ لم يكن في الحسبان، ويُخبرها بقيامة الجسد (المتَّحد بلاهوت الرب) حيًّا. الأمر الذي لم تأخذ به على الإطلاق، بل استمرَّت جالسةً قبالة القبر تبكي (رواية إنجيل متَّى)، فأشفق عليها الملاك وسألها: "لماذا تبكين"؟ أمَّا هي فلم تُبالِ كثيرًا لا بالملاك ولا بحديثه، وأخبرته في غير اكتراث أنها تبكي لأنهم أخذوا جسد مُعلّمها الحبيب من القبر ولا تعرف أين وضعوه (رواية إنجيل يوحنا).

وفجأةً رأت حركة غير عادية بَدَرَت من الملاك مع تغييرٍ في نظرته تُنبئ بأنه يرى خلف المرأة الجالسة أمرًا جللًا.

فالتفتت المرأة خلفها لتنظر السبب الذي استرعى انتباه الملاك بهذا المقدار، فرأت ولكنها أخطأت الرؤيا، وفي غير مُبالاة مرَّةً أخرى ظنَّت الواقف أنه البستاني، فتحوَّلت إليه وهي تبكي مستعطفةً أن يُريها موضع الجسد، واستطردت بمُغالاة ظاهرة أنها على استعداد لحمْله.

كلُّ هذا والملاك مندهش من بلادة هذه المرأة واستغراقها في ركود إحساسها الروحي بهذا المقدار.

ولكن لم يطلْ المشهد أكثر من هذا، إذ ناداها الواقف خلفها باسْمها، كما نادى لعازر يومًا واستدعاه من مواته.

فاستفاقت مريم استفاقةً كانت هي الشهادة الأولى لوصل عالمَيْن وربط حقيقتَيْن: "ربُّوني أي مُعلّمي (يا مُعلّم)".

وفي العلّيَّة قال الربُّ لتلاميذه:
"جُسُّوني والمسوني، أنا هو" (انظر: لو ٢٤: ٣٩).

وهذه هي شهادة سِفْر الرؤيا:
أنا «الْحَيُّ، وَكُنْتُ مَيْتًا، وَهَا أَنَا حَيٌّ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ» (رؤ ١: ١٨).
"أنا هو الأول والآخِر، والكائن الذي كان والذي يأتي" (انظر: رؤ ١: ١١، ٤: ٨).

✝✙✝

لقد انتهى حديث الفلاسفة، لا لأنه لم يكن حقيقة، ولكن لأن الحقيقة ظهرت، ومتى أُظهِر الحقُّ لم يَعُدْ للكلام موضع. كان الخلود قبل المسيح فكرًا، ولمَّا ظهر الربُّ يسوع صار حياةً، ولمَّا قام من بين الأموات صار طعامًا.

أليس عجبًا أن نأكله لنحيا، ومن الكأس نشرب سرَّ الخلود. رأى هذا يوحنا الإنجيلي لمَّا انطلق كالنسر الطائر يُحلِّق في أُفق الخلود وخفق قلبه فقال إن «الْكَلِمَةَ صَارَ جَسَدًا ... وَمِنْ مِلْئِهِ نَحْنُ جَمِيعًا أَخَذْنَا» (يو ١: ١٤، ١٦)، ووافق بولس الرسول على المعنى قائلًا: «إِنَّهُ فِيهِ يَحِلُّ كُلُّ مِلْءِ اللاَهُوتِ جَسَدِيًّا ... وأنتم مملوؤون فيه» (كو ٢: ٩، ١٠).

+ «الَّذِي كَانَ مِنَ الْبَدْءِ، الَّذِي سَمِعْنَاهُ، الَّذِي رَأَيْنَاهُ بِعُيُونِنَا،
الَّذِي شَاهَدْنَاهُ، وَلَمَسَتْهُ أَيْدِينَا،
مِنْ جِهَةِ كَلِمَةِ الْحَيَاةِ.
فَإِنَّ الْحَيَاةَ أُظْهِرَتْ، وَقَدْ رَأَيْنَا وَنَشْهَدُ وَنُخْبِرُكُمْ بِالْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ
الَّتِي كَانَتْ عِنْدَ الآبِ وَأُظْهِرَتْ لَنَا» (١يو ١: ١ – ٢).

لقد ربطت القيامة الوجود بالخلود، وجعلت ما يُرى وما لا يُرى موضوعًا واحدًا، وما يُحَسُّ وما لا يُحَسُّ حقيقة واحدة ومتَّصلة.

فالحياة الأبديَّة أُظهِرَت لنا، رأوها بعيونهم، ولمسوها بأيديهم، وسمعوها بآذانهم، وأخبرونا بالصِّدقِ لنكون شُركاءَ معهم فيها.

ولم يَعُدْ حديث ما وراء الطبيعة يختلف عن حديث ما أمام الطبيعة. فالذي كان وراء الطبيعة عَبَرَ الحدود ووُلِدَ في أحضانها، والقبر الذي كان يفصل حدودهما تركه المسيح فارغًا لا يصلح لشيء.

والقيامة التي قامها المسيح، جعلت الموت حياةً ونقطة وصلٍ لا نقطة فصل.

وأكل المسيح أمام التلاميذ بعد أن أراهم جسده المجروح بلحمه وعظامه، وسمح لهم أن يجسُّوه ويضعوا أصابعهم في جروح يديه وأيديهم في جنبه المفتوح. وعندئذ سقطت حدود ما بين عالَمَيْن، وصار الخلود موضوعَ أَخْذٍ لا موضوعَ حديثٍ ونقاش.

"جسدي المكسور خُذوه كُلُوه"، و"دمي المسفوك اشربوه لتحيوا إلى الأبد".

نعود إلى المجدليَّة التي استفاقت فأدركت حقيقة القيامة، وإذ وثقت تمامًا أنه مُعلّمها المحبوب، ألقت صُرَّتها وتقدَّمت لتُمسك به، وكأنما لم تُفارقها بلادة وجدانها الروحي قطُّ. فقد اعتبرت القيامة عَوْدًا على ذي بدء، وامتدادًا بسيطًا لحياةٍ سابقة؛ فحذَّرها المسيح من تفريطها في تقدير حقيقة القيامة، ونبَّهها إلى أنَّ القيامة للصعود.

فكان في إعلانه هذا توجيهًا للذين يريدون أن يتَّخذوا الخلود موضوعًا للحياة الحاضرة، مع أنه وإن كان امتدادًا منها إلَّا أنه لن يكون ارتدادًا إليها.

ثُم عاد ووبَّخ تلميذًا تصعَّبت عليه حقيقة القيامة وإمكانياتها، فمدَّ هذا التلميذ إصبعه وجعله في ثقوب يدَي الرب وأدخل يده في جنبه المفتوح، وقد عاتبه الرب، فصرخ تومًا لمَّا اصطدمت شكوكه بحقائق الخلود، وحقًّا إنه لموقف رهيب.

فكان في تشجيع الرب لتوما بلَمْس جسده، توجيهًا لتحقيق الخلود، وإثبات موضوعه بالحواس للذين يصعب عليهم إدراك الحقائق بالإيمان.

ولا يزال الناس بعضهم يريد أن يأخذ الخلود مأخذ المجدلية، تبسيطًا أو ترفيهًا للحياة الحاضرة، فيطلبون لكي يَرَوْا رؤى أو ينظروا ما لا يُرى، لعلَّهم يزدادون فرحًا وابتهاجًا. لهؤلاء لا يزال المُعلّم يقول: "لا تلمسيني".

ولا يزال بعضهم الآخر يتردَّد كمثل "توما" في الأَخْذ بحقيقة الخلود أو يشكُّ في إمكانيات القيامة، ولهؤلاء لا يزال الربُّ يُشجِّعهم أنْ "جسُّوني والمسوني". فهو يُريهم رؤى ويُعطيهم إلهَامات، ولا يتركهم حتى يهتفوا: "ربِّي وإلهي".

ما أمْجَد القيامة!

سلامٌ للصليب طريق القبر،

سلامٌ للقبر الفارغ موضوع القيامة،

سلامٌ للقيامة مُفتاح أسرار الخلود.

كُن معافى باسم الثالوث الأقدس.

القمص متى المسكين



بمناسبة
عيد القيامة المجيد

قيامة المسيح والسعادة الحقيقيَّة

للقدِّيس أُغسطينوس[1]
(٣٥٤ – ٤٣٠م)

«هذَا هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي صَنَعَهُ الرَّبُّ» (مز ١١٨: ٢٤):

هَلُمَّ نُمارس ما أنشدناه للرب. لقد خلق الربُّ كلَّ يوم، ولكن لسببٍ جيِّد قيل عن يوم مُعيَّن: «هذَا هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي صَنَعَهُ الرَّبُّ». لقد قرأنا ذلك عندما خلق الله السماء والأرض، إذ قال: «لِيَكُنْ نُورٌ فَكَانَ نُورٌ ... وَدَعَا اللهُ النُّورَ نَهَارًا، وَالظُّلْمَةُ دَعَاهَا لَيْلًا» (تك ١: ٣–٥). ولكن هناك يومًا آخر مؤسَّسًا وثابتًا جيِّدًا وينبغي أن نستصوبه، ذلك الذي قال عنه الرسول بولس: «جَمِيعُكُمْ أَبْنَاءُ نُورٍ وَأَبْنَاءُ نَهَارٍ ... فَلَا نَنَمْ إِذًا كَالْبَاقِينَ، بَلْ لِنَسْهَرْ وَنَصْحُ» (١تس ٥: ٥ و٦). وذلك اليوم العادي الذي دُعِيَ – بصفةٍ عامةٍ – "اليوم"، سببه هو شروق الشمس وغروبها. ولكن يوجد يومٌ آخر تُشرق فيه كلمة الله في قلوب المؤمنين، وتُبدِّد الظلمة ليس من العيون بل من العادات الشريرة.

فدعونا، إذن، نتعرَّف على ذلك النور، ودعونا نفرح فيه، دعونا نستمع للرسول عندما يقول: «جَمِيعُكُمْ أَبْنَاءُ نُورٍ وَأَبْنَاءُ نَهَارٍ. لَسْنَا مِنْ لَيْلٍ وَلَا ظُلْمَةٍ». «لِنَسْلُكْ بِلِيَاقَةٍ كَمَا فِي النَّهَارِ: لَا بِالْبَطَرِ وَالسُّكْرِ، لَا بِالْمَضَاجِعِ وَالْعَهَرِ، لَا بِالْخِصَامِ وَالْحَسَدِ، بَلِ الْبَسُوا الرَّبَّ يَسُوعَ الْمَسِيحَ، وَلَا تَصْنَعُوا تَدْبِيرًا لِلْجَسَدِ لأَجْلِ الشَّهَوَاتِ» (رو ١٣: ١٣و١٤). وإذا فعلتَ ذلك رتِّل بكلِّ قلبك: «هذَا هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي صَنَعَهُ الرَّبُّ»، لأنه إذا عشتَ بطريقةٍ جيِّدة تحقَّق ما رتَّلته. كم أن كثيرين يكونون سُكارى في تلك الأيام؟ كم أن كثيرين، وهم غير مكتفين بأن يكونوا سُكارى طوال تلك الأيام، يُضيفون تعبًا قاسيًا وعنيفًا؟ ومثل هؤلاء لا يُرتِّلون: «هذَا

(1) The Fathers of the Church, Vol. 38, *Sermons* 230 – 231, p. 202 - 209.

هُوَ الْيَوْمُ الَّذِي صَنَعَهُ الرَّبُّ». والربُّ يقول لهم: "أنتم ظُلمة، وأنا لم أخلقكم". فإذا رغبتم أن تكونوا أنتم هو «الْيَوْمُ الَّذِي صَنَعَهُ الرَّبُّ»، عيشوا جيِّدًا كما يليق بالرب، فستمتلكون نور الحق الذي لن يغرب في قلوبكم إطلاقًا.

المسيح قائم من بين الأموات، وهو يُقيم الموتى:

حسب عادتنا في هذه الأيام، فإنَّ رواية قيامة الربِّ يسوع تُقرأ من جميع أسفار الإنجيل المقدَّس. ونحن نلاحظ في هذا الفصل من إنجيل القدِّيس مرقس كيف أنَّ الربَّ يسوع نفسه أنَّب تلاميذه، أعضاءه الأوائل الذين بقوا بالقرب منه، لأنهم لم يؤمنوا أن ذاك الذي حزنوا عليه كميت، كان حينئذٍ حيًّا (مر ١٦: ١٤). لقد كانوا آباء الإيمان، ولكنهم لم يكونوا بعد مؤمنين بالحق. إنهم لم يؤمنوا بعد، رغم أنهم أصبحوا فيما بعد معلِّمين حتى صار العالم كله مؤمنًا بما كانوا يُبشِّرون به، بل كانوا مُزمعين أن يموتوا من أجله.

إنهم لم يؤمنوا بعد أن ذاك الذي رأوه يُقيم آخرين من الموت قد قام هو نفسه، وحينئذٍ فقد استحقُّوا أن يوبَّخوا.

ورغم أنهم رأوا الرب بعد قيامته، إلَّا أنهم ظلُّوا غير مُصدِّقين. فما أعظم تفضُّله بالسماح لنا أن نُصدِّق ما لا نراه بأعيننا؟

وأكثر من ذلك، فإنَّ قيامة ربنا يسوع المسيح إنما هي حياةٌ جديدة للذين يؤمنون به، وهذا هو سرُّ آلامه وقيامته التي ينبغي أن تعرفوها وتؤمنوا بها. لأنه لسببٍ مدهش جاء **الحياة** إلى الموت؛ ولسببٍ عميق فإنَّ ينبوع **الحياة** الذي كل مَنْ يشرب منه لا يعطش بعد بل يحيا، قد تقدَّم هو بنفسه ليشرب كأس الموت.

دعونا نختبر المصدر الذي نشأ منه الموت: الخطية هي أُمُّ الموت. فلو لم توجد خطية لَمَا كان يوجد موت. لقد حصل الإنسان الأول على ناموس الله أي وصية الله مع هذا التحذير: إنه إذا حفظ الناموس سيحيا، وإذا نقضه يموت. وعدم تصديق الإنسان بأنه مزمع أن يموت إذا خالف الوصية، جلب عليه موته، وقد اكتشف أن ذاك الذي أعطى الناموس كان قد قال ما كان حقيقيًّا. من هنا جاء الموت، ومن ثمَّ الأوجاع، ومن ثمَّ الشقاء، ومن ثمَّ البؤس. وحتى بعد الموت الأول، جاء موتٌ ثانٍ أي بعد الموت الزمني جاء موتٌ أبديٌّ. فإنَّ كلَّ إنسان يولد خاضعًا لتلك الحالة من الموت، خاضعًا لتلك القوانين التي للعالم

السُّفلي مع الاستثناء الوحيد لذاك الذي صار إنسانًا حتى لا يهلك الإنسان. وصار كما يقول المرتِّل: «حُرًّا بَيْنَ المَوْتَى» (مز ٨٨: ٥ سبعينية).

فبدون شهوة حبلت به عذراء، تلك التي وهي عذراء ولدته وبقيت عذراء. وقد عاش الربُّ بلا خطية، ولذلك لم يمُت بسبب خطيئته الشخصيَّة، وقد شاركنا في العقوبة (حُكْم الموت) لا في خطيئتنا. إنَّ الموت هو عقوبة الخطية. لقد جاء الربُّ يسوع وتجسَّد ليموت من أجلنا ولم يفعل خطية تستوجب الموت. وبمشاركته لنا في العقوبة (الموت) وهو بلا خطية، أبطل كلًّا من العقوبة (الموت) والخطية. وأيَّ عقوبة هي التي أبطلها؟ تلك التي كانت علينا بعد هذه الحياة الزمنية. وبذلك فقد صُلِبَ الرب يسوع حتى أمكنه أن يُظهِر على الصليب هلاك إنساننا العتيق، ثم قام ثانيةً حتى أمكنه أن يهبنا جدَّة الحياة (أي حياتنا الجديدة). وهذا ما يوضِّحه التعليم الرَّسولي: «أُسْلِمَ مِنْ أَجْلِ خَطَايَانَا وَأُقِيمَ لأَجْلِ تَبْرِيرِنَا» (رو ٤: ٢٥).

قيامة المسيح تُجدِّدنا نحن المؤمنين به:

وكتشبيه لتلك الحقيقة فقد كان الختان يُفرَض على القدماء حتى إنه في اليوم الثامن كان كلُّ طفل ذَكر يُختن. وكان الختان يُجرَى بسكاكين حجريَّة (يش ٥: ٢)، لأن المسيح كان هو الصخرة (١كو ١٠: ٤). وهذا الختان كان يرمز إلى خلع الحياة الجسديَّة في اليوم الثامن بواسطة قيامة المسيح. لأن اليوم السابع من الأسبوع يكون في يوم السبت. وفي يوم السبت، كان الربُّ راقدًا في القبر. وقد قام في اليوم الثامن وقيامته تُجدِّدنا. ولذلك فبقيامته في اليوم الثامن يختننا، ونحن نعيش على هذا الرجاء.

دعنا نستمع للرسول الذي يقول: «إِن كُنْتُمْ قَدْ قُمْتُمْ مَعَ الْمَسِيحِ»، فكيف نقوم بينما نحن لم نَمُتْ بعد؟ فما هو الذي قَصَدَ الرسول أن يقوله بتلك الكلمات: «إِن كُنْتُمْ قَدْ قُمْتُمْ مَعَ الْمَسِيحِ»؟ فهل كان المسيح قد قام إن لم يمُت أولًا؟ وهل كان الرسول يُخاطب أشخاصًا كانوا ما يزالون أحياء ولم يموتوا بعد، ومع ذلك يقومون مرةً أخرى؟ ماذا يقصد؟ تفكَّروا في ما يقوله: «فَإِن كُنْتُمْ قَدْ قُمْتُمْ مَعَ الْمَسِيحِ فَاطْلُبُوا مَا فَوْقُ، حَيْثُ الْمَسِيحُ جَالِسٌ عَنْ يَمِينِ اللهِ. اهْتَمُّوا بِمَا فَوْقُ لَا بِمَا عَلَى الأَرْضِ، لأَنَّكُمْ قَدْ مُتُّمْ» (كو٣: ١ – ٣).

الرسول نفسه هو الذي يقول ذلك لا أنا، ولكنه يقول الحقَّ، ولهذا السبب أقول أنا أيضًا

ذلك. ولماذا أقول أنا ذلك؟ لأنني «آمَنْتُ لِذلِكَ تَكَلَّمْتُ» (مز ١١٦: ١٠). فإن كنَّا نعيش حياةً صالحة نكون أمواتًا وقد قمنا. وأكثر من ذلك، فإنَّ ذاك الذي لا يكون قد مات بعد ولم يَقُم، فهو يعيش بطريقةٍ رديئة، وإن كان يعيش بطريقةٍ رديئة فهو ليس حيًّا، فليمُت (عن ذاته) لئلَّا يموت (روحيًّا). وماذا يعني ذلك؟ يعني أنه لا بدَّ أن يُغيِّر نفسه لئلَّا يُحكَم عليه.

الاهتمام بالسمائيَّات وليس بالأرضيَّات:

إنني أُكرِّر كلام الرسول: «اطْلُبُوا مَا فَوْقُ، حَيْثُ الْمَسِيحُ جَالِسٌ عَنْ يَمِينِ اللهِ. اهْتَمُّوا بِمَا فَوْقُ لَا بِمَا عَلَى الأَرْضِ، لأَنَّكُمْ قَدْ مُتُّمْ وَحَيَاتُكُمْ مُسْتَتِرَةٌ مَعَ الْمَسِيحِ فِي اللهِ. مَتَى أُظْهِرَ الْمَسِيحُ حَيَاتُنَا، فَحِينَئِذٍ تُظْهَرُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا مَعَهُ فِي الْمَجْدِ» (كو ٣: ١–٤). هذا هو كلام الرسول. إنني أدعو ذاك الذي لم يمُت بعد أن يموت، فأنا أدعو ذاك الذي لا يزال يعيش بطريقةٍ رديئة أن يُغيِّر نفسه. لأنه إن كان معتادًا أن يعيش بطريقةٍ رديئة وقد كفَّ عن ذلك الآن فيكون قد مات، وإن كان يعيش الآن بطريقةٍ صالحة فيكون قد قام مرةً ثانية.

ولكن ماذا يعني بالقول: إنه يعيش بطريقةٍ صالحة؟ هذا يعني: إنه يطلب ما فوق لا ما هو على الأرض. ماذا كنتم أنتم؟ كنَّا أبناء بشر. وماذا تكونون الآن؟ نحن أبناء الله. حتى متى تكونون بُلداء القلب يا أبناء البشر؟ لماذا «تُحِبُّونَ الْبَاطِلَ وَتَبْتَغُونَ الْكَذِبَ» (مز ٤: ٢)؟ وما هو الكذب الذي تبتغونه؟ الآن سوف أقول لكم: إنني أعلم أنكم ترغبون أن تكونوا سعداء.

السعادة الحقيقيَّة:

أتريدون أن تكونوا سعداء؟ إن كنتم تريدون ذلك، فسوف أُريكم كيف تكونون سعداء! استمروا في قراءة تلك الفقرة: «حَتَّى مَتَى تَكُونُونَ ثَقِيلِي الْقُلُوبِ؟ لِمَاذَا تُحِبُّونَ الْبَاطِلَ وَتَبْتَغُونَ الْكَذِبَ؟ فَاعْلَمُوا أَنَّ الرَّبَّ قَدْ جَعَلَ قُدُّوسَهُ عَجَبًا» (مز ٤: ٢و٣ س)؟

لقد جاء المسيح إلى تعاستنا. لقد كان جائعًا وعطشانًا. لقد كان مُنهكًا فنام. لقد أنجز عجائب كثيرة وقاسى الكثير من الشرور. لقد جُلد وكُلِّل بالأشواك، وغلَّفه البُصاق، وضُرِب بهرَّاوات، وثُبِّت على صليب، وجُرح بحربةٍ ومات ووُضِعَ في قبر. ولكنه قام من بين الأموات مرةً أخرى في اليوم الثالث عندما أكمل عمله الخلاصي، وأبطل الموت وأماته.

فثبِّت أنت عينيك على قيامته المجيدة، لأن «الرَّبَّ قَدْ جَعَلَ قُدُّوسَهُ عَجَبًا» لدرجة أنه أقامه من بين الموتى، ومنحكم كرامة الجلوس عن يمينه في السماء. لقد أَظهَر لكم ما ينبغي

أن تنتبهوا إليه إن أردتم أن تكونوا سعداء، لأنكم لا يمكنكم أن تكونوا سعداء هنا على الأرض. في هذه الحياة لا يمكنكم أن تكونوا سعداء، ولا يمكن ذلك لأحد. إنكم تبحثون عمَّا هو صالحٌ، ولكن الأرض ليست هي مصدر السعادة الذي تبحثون عنه. فما هو الذي تبحثون عنه؟ حياة سعيدة. ولكنها ليست مُتاحة هنا على الأرض.

عندما تقول: "أنا أريد أن أكون سعيدًا"، فالإجابة تكون: "أنت تبحث عمَّا هو صالحٌ، ولكنه ليس موجودًا في ذلك المكان". فلو كان المسيح يهب سعادةً هنا، فهكذا ستكون أنت. ولكن لاحظ ما وجده هو في أرض موتك هذه. لقد أكل معك ما هو متوفِّر في مخزن بؤسك. لقد شرب هنا خلًّا، وكانت له مرارة أيضًا. فعاين ما وجده لديك!

الربُّ أعدَّ لنا مائدةً سمائيَّة:

ومهما كان الأمر، فهو قد دعاك إلى مائدته الخاصة المتوفِّر فيها جميع الأشياء الصالحة، مائدة السماء، مائدة الملائكة التي يكون فيها هو نفسه الخبز الحقيقي. لقد وعدك الرب بمائدته السمائيَّة. وماذا يقول هو لنا: "آمنوا، آمنوا فقط أنكم سوف تأتون إلى الأشياء الجيِّدة التي لمائدتي، نظرًا لأنني لم أحتقر أشياء مائدتكم الفقيرة".

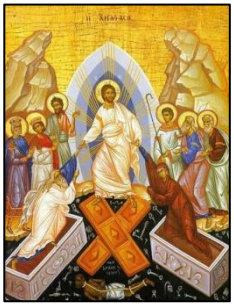
إنه قَبِلَ شرَّكم، أفلن يُعطيكم صلاحه؟ إنه بالتأكيد سوف يفعل. إنه وعد بحياته لنا، ولكن ما فعله يفوق التَّصديق.

لقد قدَّم المسيح حياته الشخصيَّة لنا وكأنه يقول: "أنا أدعوكم إلى حياتي التي لا يموت مَنْ يقتنيها، وحيث تكون الحياة مُباركة بالحقيقة، وحيث يكون الطعام ليس بائدًا، بل باقيًا. ها هو المكان الذي دعوتكم إليه، إلى مسكن الملائكة، إلى رفقتي ورفقة الآب والروح القدس، إلى الوليمة الأبديَّة، إلى مُرافقتي، وأخيرًا أدعوكم إليَّ أنا نفسي وأدعوكم إلى حياتي. أَلَا ترغبون أن تُصدِّقوا أنني سوف أُعطيكم حياتي؟ خُذوا موتي كعربون الحياة الأبديَّة".

والآن، فبناءً عليه، في حين أننا نعيش في هذا الجسد الفاني، فدعونا نموت مع المسيح بتغيير طُرُقنا، ودعونا نعيش مع المسيح بحبِّ الحقِّ والصلاح.

إننا لن نربح الحياة السعيدة إن لم نأتِ إلى ذاك الذي جاء إلينا مُتجسِّدًا، وإن كنَّا لم نبدأ بعد أن نعيش مع ذاك الذي مات من أجلنا.

من
التراث الكنسي



ما هو عيد القيامة؟[1]

✣✣✣

هل هو يوم يرتدي فيه كلُّ إنسان ثيابًا جديدة؟ هل هو مجرَّد يوم عطلة؟ هل هو مجيء الربيع وانتهاء الشتاء؟ هل هو عيد الزهور؟

نعم، إنَّه كلُّ هذه الأشياء، ولكن هذه كلها هي مجرَّد علامات للشيء الرئيسي. عيد القيامة هو الحياة، الحياة الجديدة في المسيح يسوع. إنَّ القيامة تتكلَّم عن وتُبَيِّن وتوضِّح كلمة عظيمة في المسيحية بل وربَّما أعظم كلمة، ألاَ وهي *"الحياة"*: **«فِيهِ (المسيح) كَانَتِ الْحَيَاةُ، وَالْحَيَاةُ كَانَتْ نُورَ النَّاسِ»** (يو ١: ٤).

عند منتصف ليلة قدَّاس عيد القيامة، فإنَّ ظلام الكنيسة يتلاشى بأنوار مئات من الشموع. كلُّ هذه الأنوار المتألِّقة تَنبعث مِن أمام الهيكل، مِن شمعة القيامة التي ترمز للمسيح، وعلى هذه فإنَّ الشموع التي يحملها المؤمنون العابدون يوم عيد القيامة تُمَثِّل المسيح: "الحياة التي هي نور الناس".

إنَّ الكلمة العبريَّة واليونانيَّة لكلمة القيامة **easter** هي: "بصخة **pascha**"، والتي تعني: "عبورًا، اجتيازًا". إنها تتَّصل وتُشير إلى خروج اليهود مِن العبوديَّة في أرض مصر إلى الحريَّة، مِن المنفى إلى أرض الميعاد. أمَّا بالنسبة لنا نحن المسيحيين، فإنَّ كلَّ بصخة تعني: العبور الأخير والأساسي والجوهري مِن الخطية إلى الخلاص، مِن الموت إلى الحياة، وذلك مِن خلال قيامة ربِّنا يسوع المسيح.

"بصخة"! تعني أنَّنا عبرنا مِن الموت إلى الحياة. إنَّ القبر الذي لم يمكنه أنْ يمسك بالمسيح، لن يمكنه أنْ يمسك بأولئك الذين يؤمنون بالمسيح. إنَّنا نضع أحبَّاءنا في الأكفان ونحن نعرف أنَّنا سوف نراهم ثانيةً. إنَّنا ندفنهم في الأرض ونحن واثقون أنَّها لن تفنيهم إلى الأبد، مُتيقِّنين

(1) Anthony M. Coniaris, *Homilies from an Orthodox Pulpit*.

بيوم القيامة هذا عندما يقوم الأموات في المسيح إلى الحياة الأبديَّة في جسدٍ مخلَّصٍ مِن الفساد.

القيامة تبدأ منذ الآن:

"بصخة"! العبور العظيم! لقد عبرنا مِن الموت إلى الحياة! ومع ذلك، فإنَّ القيامة ليست شيئًا يتمُّ في المستقبل. إنَّ الحياة الأبديَّة ليست شيئًا يتمُّ بعد موتنا. إنَّها تبدأ منذ الآن وتستمر في الأبديَّة. إنها تبدأ الآن عندما نأخذ المسيح في حياتنا كمخلِّصٍ وربٍّ وسيد. إنَّها تبدأ الآن عندما نُقيم حياةً قوامها علاقة شخصيَّة مع المسيح، عندما نتحدَّث معه يوميًّا في الصلاة، ونقرأ رسالته الشخصيَّة لنا (الكتاب المُقدَّس)، ونتقابل معه شخصيًّا في كلِّ سرٍّ مِن الأسرار، ونثبت فيه في كلِّ قدَّاس عند التناول، وعندما نخدمه شخصيًّا في شخص الأصغر في إخوته: **«بِمَا أَنَّكُمْ فَعَلْتُمُوهُ بِأَحَدِ إِخْوَتِي هؤُلاَءِ الأَصَاغِرِ، فَبِي فَعَلْتُمْ»** (مت ٢٥: ٤٠).

القيامة اختِبارٌ مُعاصِر:

إنَّ التفكير في أنَّ الحياة سوف تستمر إلى الأبد، يكون بالنِّسبة للبعض أمرًا مُرعبًا عندما يفكِّرون فيه ويتأمَّلونه. إنَّ الحياة لا طعم لها لأولئك الذين لا يحتملون التفكير في أنَّها سوف تستمر إلى الأبد. هؤلاء هم أُناسٌ يجتازون الحياة، ولكنهم أيضًا مائتون ومدفونون.

هم أمواتٌ في الروح، في الفكر، في الأمل والرجاء. وهم في حاجة إلى قيامة، قيامة شخصيَّة! إنَّ ما يحتاجونه هو أنْ يأخذوا المسيح، الحياة، في حياتهم، ويَدَعُونَه يُقيمهم إلى حياةٍ جديدة. فالقيامة ليست مجرد ذكرى طقسيَّة جميلة مهيبة لحدثٍ مضى، بل هي اختبارٌ معاصر واضح ببرهانٍ ظاهِر ومستمر في أولئك الذين أخذوا الرَّب يسوع في حياتهم وقبلوه مخلِّصًا وربًّا. إنَّ المسيح يُقيمُنا الآن، وهو يُعطينا نوعية حياةٍ جديدة، قوَّة جديدة على الخطية، بُعدًا ومنظورًا جديدًا، فرحًا جديدًا، سلامًا جديدًا، حبًّا جديدًا. يشهد لهذا كله بولس الرَّسول الذي قام وتغيَّر مِن مُضطهِدٍ إلى رسول، ويشهد زكَّا العشَّار الذي قام وتحوَّل مِن جابي للضرائب أناني، جشِع، مُتَسَتِّر على الجريمة إلى شخصٍ محبٍّ للناس. تشهد على ذلك مريم المجدليَّة التي قامت وتغيَّرت مِن امرأة خاطئة تجول في الشوارع إلى قدِّيسة. خُذ المسيح لتحيا: فإنَّ **«فِيهِ كَانَتِ الْحَيَاةُ، وَالْحَيَاةُ كَانَتْ نُورَ النَّاسِ»** (يو ١: ٤).

كيف تَقهَر قَلَقَك بخصوص الموت؟

ولكي نَقهَر القلق الحقيقي والذي ينتج مِن التفكير في الموت، والذي يعمَل في الواقِع كموسيقى

خلفيَّة في حياتِنا، فنحن في حاجة للاستماع إلى نبضات القلب المُريحة، ليست نبضات الأُم، بل نبضات قلب الله.

إنَّ نبضات قلب الله هي الرسالة المجيدة لحُبِّه وغفرانِه، ونحن ندعوها بحسب اسم الإنجيل: "الأخبار السَّارَّة!" إنَّنا نحتاج أنْ نقضي وقتًا كافيًا ننصِت فيه إلى صوت المُخلِّص القائم، بل وأيضًا نزيد درجة الإنصات والوقت اللازمَيْن لذلك كلَّما تقدَّمَت بنا الأيَّام، لأنَّ هذا الصوت كثيرًا ما يخفت بسهولةٍ شديدة عن طريق ضوضاء العالَم المُرعِبة والصاخِبة.

إنَّنا نجد نبضات قلب الله في (يو٣: ١٦): «**لأَنَّهُ هكَذَا أَحَبَّ اللهُ الْعَالَمَ حَتَّى بَذَلَ ابْنَهُ الْوَحِيدَ، لِكَيْ لَا يَهْلِكَ كُلُّ مَنْ يُؤْمِنُ بِهِ، بَلْ تَكُونُ لَهُ الْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ**».

كما نجد أيضًا هذه النَّبضات في كلمات الرَّب يسوع: «**أَنَا هُوَ الْقِيَامَةُ وَالْحَيَاةُ**» (يو ١١: ٢٥).

ولأولئك القلِقين بخصوص أحبَّائهم الذين رَحَلوا، عليهم أن يستمِعوا مُجَدَّدًا إلى نبضات قلب الله: «**لَا تَخَفْ أَيُّهَا الْقَطِيعُ الصَّغِيرُ، لأَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ سُرَّ أَنْ يُعْطِيَكُمُ الْمَلَكُوتَ ... لَا تَضْطَرِبْ قُلُوبُكُمْ وَلَا تَرْهَبْ ... أَنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللهِ فَآمِنُوا بِي ... أَنَا أَمْضِي لأُعِدَّ لَكُمْ مَكَانًا... حَتَّى حَيْثُ أَكُونُ أَنَا تَكُونُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا ... إِنِّي أَنَا حَيٌّ فَأَنْتُمْ سَتَحْيَوْنَ**» (لو ١٢: ٣٢؛ يو ١٤: ١ و٢ و٣ و١٩). إنَّ أحبَّاءنا الذين رقدوا ربَّما يكونون قد تَرَكونا مثل طائرة تُقلع وتختفي في الأُفُق، ولكنَّهم إنَّما ذهبوا إلى مكانٍ يحيون فيه بكلِّ سرورٍ حيث: «**مَا لَمْ تَرَ عَيْنٌ، وَلَمْ تَسْمَعْ أُذُنٌ، وَلَمْ يَخْطُرْ عَلَى بَالِ إِنْسَانٍ: مَا أَعَدَّهُ اللهُ لِلَّذِينَ يُحِبُّونَهُ**» (١كو ٢: ٩).

إنَّ الموسيقى الخلفيَّة التي للعالَم تعزِف باستمرار: «**فَلْنَأْكُلْ وَنَشْرَبْ لأَنَّنَا غَدًا نَمُوتُ!**» (١كو ١٥: ٣٢)، ولكن الموسيقى الخلفيَّة لنبضات قلب الله تُرَنِّم لحنًا آخَر: «**الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ!**» (١كو ١٥: ١٦)، وغدًا لن تموتوا بل ستحيون إلى الأبد. غدًا المجيء الثاني للربِّ يسوع، غدًا القيامة العامَّة للأموات، غدًا عودة الاتِّحاد مع أحبَّائنا الذين فارقونا، غدًا السماء. لذلك أَعِدُّوا الطريق لمجيء الرب، ارجعوا عن الشرِّ واحيوا: «**وَهُوَ (الله) لَا يَشَاءُ أَنْ يَهْلِكَ أُنَاسٌ، بَلْ أَنْ يُقْبِلَ الْجَمِيعُ إِلَى التَّوْبَةِ**» (٢بط ٣: ٩)، وأنْ يرجع الخاطئ وتحيا نفسه. لقد مُتُّم في المعموديَّة مع المسيح: عن الخطيَّة وعن الموت، وقُمتُم معه في الحياة الجديدة، واليوم الله يدعوكُم أنْ تكونوا: «**أَنْتُمْ مِلْحُ الأَرْضِ ... أَنْتُمْ نُورُ الْعَالَمِ**» (مت ٥: ١٣و ١٤).

إنَّنا نذهب إلى الكنيسة لنسمع موسيقى نبضات قلب الله: «**لَمْ يُظْهَرْ بَعْدُ مَاذَا سَنَكُونُ.**

وَلكِنْ نَعْلَمُ أَنَّهُ إِذَا أُظْهِرَ نَكُونُ مِثْلَهُ، لأَنَّنَا سَنَرَاهُ كَمَا هُوَ» (١يو ٣: ٢).

إنَّ الرَّبَّ يسوع صلَّى: **«أَيُّهَا الآبُ أُرِيدُ أَنَّ هؤُلاَءِ الَّذِينَ أَعْطَيْتَنِي يَكُونُونَ مَعِي حَيْثُ أَكُونُ أَنَا، لِيَنْظُرُوا مَجْدِي الَّذِي أَعْطَيْتَنِي، لأَنَّكَ أَحْبَبْتَنِي قَبْلَ إِنْشَاءِ الْعَالَمِ»** (يو ١٧: ٢٤). إنَّ الرَّبَّ يسوع هنا يتحدَّث عنك ويقول: إنَّه يريدك أنْ تبقى معه إلى الأبد حتى تُعاين مجده.

لذلك، فإنَّ الموسيقى الخلفيَّة التي يجب أنْ تُعزَف بقوَّةٍ وباستمرار في حياة كلِّ مُؤمِن، ليست هي فقط معرفة أنَّه لا بدَّ أنْ يموت، ولكن أيضًا الإيمان بأنَّ لنا الآن في المسيح حياةً جديدةً ومُستَقبَلًا مجيدًا مُعدًّا لنا.

الإجابة عن صعوبات الحياة:

إنَّ قيامة الرَّبِّ يسوع وقيامتنا الآتية فيهما الجواب الشافي عن كلِّ الأسئلة التي تطرَحها صعوبات الحياة علينا نحن المُؤمنين به. لذلك فنحن نُرنِّم بابتهاجٍ مُتكرِّر وبفرحٍ مُستمر وبنشوةٍ عظيمة كلَّما يأتي عيد القيامة، ونحاوِل أنْ نجعله يعزِف باستمرار كموسيقى خلفيَّة لحياتنا: **"المسيح قام مِن بين الأموات، بالموت داس الموت، والذين في القبور أنعَم لهم بالحياة الأبديَّة"**.

وبذلك تصير الموسيقى الخلفيَّة بالنسبة للإنسان المسيحي الذي يستمع بصدق إلى صوت الله، ليست موتًا بل حياة، ليست حُزنًا بل فرح، وليست هزيمةً بل انتصار.

شُكرًا لله الذي يُعطينا الغلبة بربِّنا يسوع المسيح (١كو ١٥: ٥٧)، إلهنا القائم مِن بين الأموات.

اختبار الإلهيَّات:

إنَّ التَّسبحة تقول: "فلننظُر إلى قيامة المسيح"، لذلك فإنَّ أحد الشروط الرئيسيَّة للرحلة الروحيَّة هو أنَّنا لا بدَّ أنْ يكون لنا نظرة واضحة للهدف، أي اختبارٌ حقيقيٌّ للسرِّ الإلهي بشكلٍ ما، هذا إذا أردنا الاستمرار في السعي نحو القداسة. فإنَّنا سوف نحيد عن السَّعي نحو الهدف المنشود إذا تبعنا الآخَرين فقط، أي أولئك القدِّيسين والعابِدين، الذين رأوا الهدف الأسمى لحياتهم دون أنْ نراه نحن. يجب على كلٍّ منَّا أنْ تكون له رُؤياه الخاصَّة، كي "ينظر إلى قيامة المسيح".

يحثُّنا الرُّوح القُدُس على أن نقول: "فلننظُر إلى قيامة المسيح"! كيف يمكننا أنْ نقول إنَّنا نظرناها كما لو كُنَّا فعلًا رأيناها، بينما الحقيقة غير ذلك؟ لأنَّ المسيح قام حقًّا مِن بين

الأموات منذ ألفي عام دون أنْ يراه أحدٌ منَّا على الإطلاق! طبعًا الكُتُب المُقدَّسة لا يُمكن أنْ تدعونا إلى الكذب! حاشا لله! ولكنها بالأحرى تدعونا أنْ نقول الحقَّ، وهو أنَّ قيامة المسيح تحدُث في كلِّ مَن يُؤمِن به، وليس مرَّةً واحدة؛ ولكن في كلِّ لحظة عندما يقوم السيِّد فينا، وهو مُتَألِّقٌ بالجمال ومُضيءٌ بإشراق الأُلوهيَّة وعدم الفساد.

كيف يُمكِننا أن ننظُر القيامة؟

ظَهَرَ المسيح بعد قيامته لكثيرين مِن أتباعه وقت احتياجهم الشديد، كما ظَهَرَ لتوما الرسول كي يُساعده أنْ يُقاوِم شكَّه.

وظَهَرَ المسيح لمريم المجدليَّة وسط حُزنها الشديد عندما كانت تعتقد أنَّ سيِّدها الحبيب قد مات، فجلب لها هذا الظهور فرْحةً غير محدودة.

وظَهَرَ لسمعان بطرس وسط إحساسه العميق بالأسف والخِزي إثر إنكاره للربِّ يسوع، حتَّى يُطمئِنه أنَّه قد سامحه وقَبِلَه بالفعل.

وظَهَرَ لتلميذَي عمواس اللذين كانا يائِسَيْن ومُتَشَكِّكَيْن لأنَّ مُخلِّصهما العظيم قد صُلِب ومات، ومَنَحَ ظهوره لهما شعورًا بدِفء حضور الله في قلوبهم.

وظَهَرَ لتلاميذه الذين كانوا مُختبِئين خلف الأبواب المُغَلَّقة في العلِّيَّة بسبب خوفهم مِن السُّلطات. لقد غيَّر ظهوره هذا هؤلاء الرجال المكسورين، وجعلهم أقوياء وجسورين وفي جرأة الأُسود وشجاعتها. إنَّهم رنَّموا وابتَهجوا، وشَفوا المرضى، وجالوا مُعلِّمين، وتألَّموا وهم مُنتصِرون، ولم يكن هذا لعدَّة أيَّام فقط بسبب حماسٍ مؤقَّت، ولكن كان كل بقيَّة أيَّام حياتهم. كلُّ هذا التغيير الجذري إنَّما قد حدث بسبب ظهور الرَّبِّ يسوع الفِعلي لهم.

أمس واليوم وإلى الأبد:

"يسوع المسيح هو هو أمسًا واليوم وإلى الأبد". إنْ كان قد جاء آنذاك، فهو يأتي الآن. إنْ كان قد ظَهَر آنذاك، فهو يَظهر الآن. إنْ كان قد أعلَن ذاته آنذاك، فهو يُعلِن ذاته الآن. إنَّ الرَّبَّ يسوع يأتي إلينا الآن كي يُريحنا وسط إحساسنا بالحُزن، ويأتي إلينا الآن وسط إحساسنا بالفشل والأسى على الخطيَّة، كي يُسامِحنا ويُقيمنا على أقدامنا، ويأتي إلينا الآن في لحظات الشَّكِّ والحيرة كي يَبعَث فينا رجاءً جديدًا، ويأتي إلينا الآن وسط إحساسنا بالخوف كي يَسندنا ويَرفعنا. إنَّ الرَّبَّ يسوع ليس مَيِّتًا وليس مُجرَّد مُعلِّمٍ عظيم أو مثال جميل لنا نحذو

حذوه، لا ولا! إنَّه ابن الله، إنَّه ربُّ المجد القائم. إنَّه يأتي اليوم. إنّه يَظهَر اليوم لك ولي كما ظَهَرَ لرُسُله مِن قبل، كما ظَهَر ليعقوب ولبطرس والخمسمائة أخ ولبولس الذي يكتُب: **«وَآخِرَ الْكُلِّ – كَأَنَّهُ لِلسِّقْطِ – ظَهَرَ لِي أَنَا»** (١كو ١٥: ٨). وكان ذلك الظهور في طريق دمشق هو الذي حوَّله مِن مُضطهِدٍ مُتعصِّبٍ إلى أعظم مُحبٍّ للمسيح، وقد أصبح أعظم كاتِبٍ في العهد الجديد، وأعظم مُعلِّمٍ للمسيحيَّة مِن بعد المسيح.

المسيح لا يزال يَظهَر:

ليس هناك أيُّ موعِد في التاريخ نستطيع أنْ نُحدِّده ثمَّ نقول: "بعد هذا الموعِد لن يستطيع أحدٌ مُقابَلَة المسيح الحي".

كما ظَهَر المسيح للتلاميذ، فهو بالتأكيد يَظهَر لنا اليوم. في ارتباكنا يُظهِر لنا المسيح الطريق، وفي يأسنا يَظهَر ليُبقي على رجائنا، وفي خطيئتنا يَظهَر ليكون هو غفراننا، وفي موتنا يَظهَر ليظلَّ هو حياتنا.

المسيح قام!

كيف عرفتَ أنَّ المسيح قام؟

إنَّني لا أعرف مِثل توما والتلاميذ الآخَرين، لأنَّ إنسانًا أخبرني عن القبر الفارِغ أو حتَّى بسبب رسالة الملائكة: **«لَيْسَ هُوَ هههُنَا، لأَنَّهُ قَامَ!»** (مت ٢٨: ٦)؛ بل أعرف ذلك لأنَّني قد رأيتُ بالإيمان، وعاينتُ المسيح القائم، ولمستُه مثل توما، كما لمسني هو.

ألم أكُن أتحدَّث معه عندما أُصلِّي كلَّ يوم وأُنصِت إليه عندما يتحدَّث إليَّ في كتابه المُقدَّس أو في هذا الصوت الخفي الداخلي الذي يُسمَّى "الضمير"؟ ألم أكُن ألمسه أثناء الأسرار، خاصَّة في سرِّ التناول؟

ألم يكُن يُقوِّيني وقت ضعفي ويُريحني وقت حُزني؟ ألم يكُن يُقيمني كلَّما سقطتُ؟

يكتُب ف. هافنر V. Havner ويقول:

"إنَّ المسيحيَّة جدالٌ في نظر البعض، وتمثيلٌ في نظر كثيرين، **واختبارٌ في نظر قليلين".**

تسبيحٌ وتمجيدٌ:

"فلننظُر إلى قيامة المسيح،

ونسجُد للقدُّوس يسوع المسيح ربِّنا،
الذي بلا خطيَّة وحده. نسجُد لصليبك أيُّها المسيح،
نُسبِّح ونُمجِّد قيامتك،
لأنَّك أنتَ هو إلهنا ولسنا نعرف أحدًا سواك، وباسمكَ دُعينا.
تعالوا كلُّكم أيُّها المُؤمنون،
لنسجُد لقيامة المسيح!
لأنَّ ها مِن قِبَل صليبه دخل الفَرَح إلى العالَم كلِّه.
فلنُبارِك الربَّ كلَّ حين ونُمجِّد قيامته،
لأنَّه صبر وسَحَق الموت بموته".

مفاعيل القيامة في حياتنا:

إنَّ الإيمان بالقيامة يُخلِّص النفس مِن المخاوف الداخليَّة تجاه الموت؛ لأنَّ الربَّ يسوع بقيامته قد انتزع مِن الموت صورته الكئيبة، وأَظهَر لنا أنَّ الموت ليس سوى قنطرة العبور إلى حياةٍ أكثر بهجةً واتِّساعًا ومعرفةً ومجدًا.

نعم، عند مجيئه الثاني، سوف يقوم الجسد مِن رقاده لِيَنعَم بالكيان الجديد الذي يُلائِم حياته الجديدة مع الله إلى الأبد... ولكن مِن إحسانات الرَّبِّ علينا، أنَّ الانتقال مِن الموت إلى الحياة نجوزه الآن ونحن في هذه الحياة التي نعيشها. فالربُّ بقوَّة قيامته جعلنا نعبُر مِن الخليقة العتيقة إلى الخليقة الجديدة، أي جعلنا خلائق جديدة مُعدَّة للميراث الأبدي. هذه هي القيامة الأولى، أي القيامة الروحيَّة التي ننالها الآن، حيث إنَّ الربَّ قد جعل روح القيامة ساكنًا فينا كعربون الحياة الحقيقيَّة.

وإنْ كُنَّا هنا نتمتَّع بالعربون، فلا بدَّ أنَّنا هناك ننعَم ببقيَّة العربون، حيث مراعي الحياة الأبديَّة وينابيع المياه الحيَّة التي تَفيض بلا حدود، وحيث النور الأبدي الذي لا يَقترِب إليه ليل. وبهذا النور الأبدي تنتعش أرواحنا إلى الأبد. هناك ينتهي الحزن والألم والأنين، ويُكَفكِف الله الدموع مِن عيون الباكين. هناك واحة الأمان والاطمئنان، حيث تَهدأ العواصف ونتخلَّص مِن هموم الأرض، وتَزول الشدائد، ويتلاشى العناء، وتنتهي المشقَّات، ونَصير أحرارًا مِن قيود العالَم والزمان، ونتمتَّع باطمئنان النَّفس وسلام الله وراحة البال. هذا هو الرجاء الأبدي الذي تتعلَّق وتتشبَّث به نفوسنا.



بالحقيقة قد قام

- **«لَمْ تُتْرَكْ نَفْسُهُ فِي الْهَاوِيَةِ وَلَا رَأَى جَسَدُهُ فَسَادًا. فَيَسُوعُ هذَا أَقَامَهُ اللهُ، وَنَحْنُ جَمِيعًا شُهُودٌ لِذلِكَ» (أع ٢: ٣١ و٣٢).**

تمهيد:

قام المسيح من بين الأموات، والقبر مُغلَقٌ، والأختام مُثَبَّتةٌ عليه، والأكفان موضوعةٌ ومُرتَّبة، حتى أنَّ كلَّ مَنْ يُعاين هذا القبر الفارغ، يقدر أنْ يُؤمن ويُصدِّق حقيقة القيامة، كما نظرها يوحنا الرسول، عندما دخل إلى القبر **«وَرَأَى فَآمَنَ»** (يو ٢٠: ٨). ثمَّ تلا ذلك ظهوراتٌ مُتعدِّدة للربِّ يسوع نفسه، لكثيرين قد اختارهم ليكونوا شهودًا لقيامته أمام العالم. هؤلاء الذين أعطاهم نِعمة مُعاينته ورؤيته بعد قيامته، والحديث معه ومُلامسته والأكل أيضًا معه، والتحقُّق مِن قيامته؛ ومِنْ ثمَّ، الشهادة لها، حتى ينال كلُّ مَن يُؤمن بشهادتهم كلَّ مفاعيل وقوَّة هذه القيامة.

وقد عاتب الربُّ يسوع تلاميذه، على عدم تصديق شهادة قيامته، التي سمعوها مِن الذين عاينوها في البداية، كما سجَّلها القدِّيس مرقس الرسول: «أَخِيرًا ظَهَرَ لِلأَحَدَ عَشَرَ وهُمْ مُتَّكِئُونَ، ووَبَّخَ عَدَمَ إِيمَانِهِمْ وقَسَاوَةَ قُلُوبِهِمْ، **لأَنَّهُم لَمْ يُصَدِّقُوا الَّذِينَ نَظَرُوهُ قَدْ قَامَ»** (مر ١٦: ١٤). وبعد ذلك أعطى لنا الربُّ يسوع وعده الإلهي، بأنَّ كلَّ مَنْ يؤمن بهذه الشهادة له الطُّوبى، وسوف ينال بإيمانه قوَّة هذه القيامة مثل الأوَّلين؛ وذلك حينما قال لتوما الرسول: «لأَنَّكَ رَأَيْتَنِي يَا توما آمَنْتَ! طُوبَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَرَوْا» (يو ٢٠: ٢٩).

فقيامة المسيح، كانت حَدَثًا تاريخيًّا مُوَثَّقًا، تأكَّد ببراهينَ وعلاماتٍ وأحداثٍ كثيرة، رغم كَوْنِها حدثًا فائقًا على الطبيعة. وكان مِنْ أهمِّ دلائله أَمران هما: القبر الفارغ، والظُّهورات المُتعدِّدة للربِّ يسوع بعد قيامته.

القبر الفارغ:

القبر شهادةٌ لا تكذب عن حقيقة موت الإنسان ودفنه، ونهاية مسيرته التاريخيَّة والزمنيَّة على الأرض. ولكن قبر يسوع الفارغ – بعد اليوم الثالث لموته ودفنه – حَمَلَ لنا حالة مِن الرجاء الذي لا ينقطِع لواقعٍ جديد على البشريَّة، صار أبعد وأعظم من حقيقة القبر ذاته؛ أَلَا وهو رجاء القيامة، والانتصار على الموت، وانكسار شوكته.

هذه الحقيقة الجديدة – عن قيامة الربِّ يسوع التي حَملَتها لنا الأناجيل بشهادتها عن القبر الفارغ – تحرَّكت لأبعَد ما تكون عن مُجرَّد كَوْنها خبرًا عن قبرٍ فارغ، لِتكشف لنا عن ظهوراتٍ تالية مُحدَّدة، للمسيح القائم من بين الأموات، لتُؤكِّد لنا حَدَثَ قيامة المسيح، ومِنْ ثمَّ قيامتنا نحن أيضًا كلِّنا معه.

ورغم أحاديث كلِّ الإنجيليِّين، في ختام تسجيلاتهم المُقدَّسة عن حياة الربِّ يسوع، وإشاراتهم إلى حَدَث القيامة المجيدة؛ إلَّا أنَّهم لم يجرؤوا أنْ يصفوا كيفيَّة حدوثها! بل عِوَضًا عن ذلك، فقد أسهبوا في شهادتهم المُتعلِّقة بالقبر الفارغ، وبظهورات الربِّ يسوع القائم من بين الأموات، حيث أشار ذلك إلى عدم مقدرة أيِّ إنسانٍ على وصف حَدَث القيامة، الذي يفوق كلَّ قدرات المعرفة البشريَّة، وخبرات عالمنا المحسوس هذا؛ تاركين للروح القدس مَهَمَّة إعلان حقيقة القيامة وقوَّتها لكلِّ إنسانٍ يؤمن بها، حتى إنَّ القدِّيس مرقس الإنجيلي لم يقدر أنْ يشرح هذا الأمر، فاكتفى بأنْ يُظهِر أنَّ القبر كان فارغًا، وأنَّ يسوع الناصري المصلوب لا يجب أنْ يُطلَب هناك؛ حيث كتب بالروح قَول الملاك للنِّسوة: «أَنْتُنَّ تَطْلُبْنَ يَسوعَ النَّاصِرِيَّ الْمَصْلُوبَ. قَد قَامَ! **لَيْسَ هُوَ هَهُنَا. هُوَذَا المَوْضِعُ الَّذِي وَضَعُوهُ فِيهِ»** (مر ١٦: ٦)، مُلفِتًا ذِهْنَ النِّسوة بإشارته إلى أنَّ يسوع قد قام بالفعل أولًا، وقبل أنْ يُدحرِج الملاك الحجر عن القبر. وأيضًا ما كتبه القدِّيس لوقا البشير بالروح، عن قَوْل الملاك للنِّسوة الباحثات عن جَسد يسوع: «لِمَاذَا تَطْلُبْنَ الْحَيَّ بَيْنَ الأَمْوَاتِ**؟ لَيسَ هُوَ هَهُنَا**» (لو ٢٤: ٥).

وحينما حدثت الزَّلزَلة، وتحقَّقت قيامة الربِّ، واستُعلِنت بالقبر الفارغ أمام الجنود الحُرَّاس، انتابهم الرُّعب والفزع، ولم يعرفوا ماذا يمكنهم أنْ يقولوا لرؤساء الكَهَنة، إذ كانوا مُتمِّمين عملهم بالحراسة بصورةٍ كاملة. ولكن حدث أمامهم أمرٌ رهيب، صاروا عاجزين عن تفسيره؛ إذ وُجِد القبر فارغًا، بدون جسد يسوع، والحَجَر مُدَحْرَجًا دون أنْ يقترب منه إنسان! فلم يكن مُمكِنًا أنْ يُشكِّك أحدٌ في حقيقة الشهادة عن القبر الفارغ، ولكن كان لا بدَّ

مِنْ إعطاء تفسير آخر مُغاير، يُبرِّر عدم وجود جسد يسوع في القبر. لذلك لم يجد رؤساء الكهنة منفذًا لهم أمام الشعب سوى بابتداع أُكذوبة أنَّ التلاميذ قد جاءوا ليلًا وسرقوا جسد يسوع، ونقلوه لموضعٍ آخر، بينما كان الحُرَّاس نيامًا (انظر: مت ٢٨: ١١ – ١٥).

القبر الفارغ، إذن، صار حقيقة تاريخيَّة مُوثَّقة صارت **للمؤمنين:** شهادة ملموسة ومُتمِّمة للنبوَّات والمواعيد، وبُرهانًا على صِدق مواعيد الله، مِنْ جهة قيامة المسيح مِنْ بين الأموات. أمَّا **لليهود (المُقاومين ليسوع):** فصار حجر عَثْرةٍ وصخرة شكٍّ، لرفضهم لمُخلِّصهم، فلم يكن أمامهم سوى الترويج لتفسيرٍ مُضاد لمُواجهة حقيقة قيامة الربِّ يسوع **وشهادة القبر الفارغ؛** وذلك بابتداع قصة سرقة التلاميذ لجسد يسوع من القبر، وحَمْلِه بعيدًا، وهذا ما روَّج له رؤساء الكهنة ونشروه بصورةٍ مُنظَّمة ومُكثَّفة – فيما بعد – في العالم كلِّه بواسطة تابِعيهم، بدءًا من الجنود الرومان، حُرَّاس القبر – في القديم – إلى يومنا هذا.

وقد ارتبط التقليد الكتابي عن الكرازة بالقيامة المُقدَّسة في تاريخ الإيمان المسيحي، بذِكْر حقيقة القبر الفارغ، كحَدَثٍ شاهدٍ قويٍّ عليها، تَعضَّد بظهورات الربِّ يسوع نفسه بعد قيامته مِرارًا كثيرة لأحبَّائه. فرسالة القيامة التي حفظها التلاميذ منذ حدوثها، والتي قدَّموها للجميع؛ هي أنَّ الله الآب لم يترك ابنه في القبر بل أقامه ناقضًا أوجاع الموت، ومُذكِّرين دائمًا كلَّ مَن يسمعهم، بصورة القبر الفارغ: «لَيْسَ هُوَ هَهُنَا، بَلْ قَامَ كَمَا قَالَ!» (مت ٢٨: ٦).

واستمرَّ هذا التقليد القديم في الكنيسة، بالرَّبط بين حقيقة قيامة الربِّ يسوع، وبين حقيقة القبر الفارغ، كمثال لإحدى الدَّعائم الأساسيَّة للكرازة بالقيامة، والشهادة بها بالتعليم اللاهوتي في العهد الجديد؛ وذلك، بأنَّه مثلما قام المسيح فجر أحد الفصح، وصار باكورة الراقدين، تاركًا لنا قبرًا فارغًا؛ فبالمِثلِ أيضًا سيقوم الأموات ويتركون قبورهم (انظر: كو ١: ١٨؛ ٢: ١٢).

ظهورات الربِّ يسوع بعد القيامة:

كان لظهورات الربِّ يسوع بعد قيامته – بحسب النصوص الإنجيليَّة – هدفٌ مزدوج:

الأوَّل: إنَّ المسيح القائم هو شخصٌ حيٌّ **يعمل في التاريخ**، ويُظهِر ذاته لمَنْ يريد.

الثاني: إنَّ المسيح القائم من بين الأموات حاضرٌ، ويُمكنه إظهار نفسه بشكلٍ جديد واقعي وملموس، ولو كان بطبيعةٍ جديدةٍ وفائقةٍ ومُنيرة. فالمسيح القائم لم يكن ظهوره ظهورًا خياليًّا لإنسانٍ قائم من بين الأموات، بل قام بجسده ذاته وعليه آثار جروحه، ولكنَّه جسدٌ مُمجَّد،

وقد تناول الطعام مع تلاميذه، وصنع معهم شركة في مواقف متعدِّدة، وذلك رغم قدرته على الدخول إليهم والأبواب مُغلَّقة، فقد فاق بحضوره حدود الزمان والمكان. وفي محاولة الإنجيليِّين الإشارة إليه في شرحهم لماهيَّة هذا الظهور، فإنَّهم لم يجدوا أكثر من التعبير أنَّه: **«ظَهَرَ بِهَيْئَةٍ أُخْرَى»** (مر ١٦: ١٢) دون الخَوْض في أيِّ تحليل جدلي للانطباعات والتفسيرات لهذا الظُّهور.

فلم تكُن ظهورات الربِّ القائم تعبيرًا عن الخبرات الروحيَّة للرُّسُل أو تلاميذ المسيح، بل كانت – في الحقيقة – تسجيلاتٍ كتابيَّة لأحداثٍ تاريخيَّة تحقَّقت وتأكَّدت أمام أعينهم كبشرٍ (مُمثِّلين لجماعة الكنيسة الأولى الشاهدة لقيامة المسيح). ولدينا العديد من الصُّوَر لهذه الظُّهورات، سواء بصورةٍ فرديَّة أو جماعيَّة لها.

فالظُّهورات، في حقيقتها، كانت خبرة حيَّة لشركة حقيقيَّة وملموسة بين تلاميذ المسيح (الكنيسة الأولى)، وبين المسيح القائم من بين الأموات، ذاك الذي ساروا معه أكثر من ثلاث سنوات، وعاينوا صَلبَه وموته ودفنه، ثمَّ نظروه حيًّا بعد قيامته، وتعرَّفوا عليه، كقول يوحنا الرسول: **«هُوَ الرَّبُّ!»** (يو ٢١: ٧). ورغم أنَّ جسد القيامة كان جسدًا مُمجَّدًا (انظر: ١كو ١٥: ٤٤، ٤٩)، إلَّا أنَّه لم يتوقَّف عن كَوْنِه جسدًا حقيقيًّا (انظر: رو ١: ٤)، وقائمًا بواسطة الله الآب، إذ جعله ربًّا ومسيحًا (انظر: أع ٢: ٣٦)، وكذلك غير خاضعٍ لمحدوديَّة الحياة الحاضرة.

فالربُّ يسوع كان قادرًا – بجسده المُمجَّد – على الدخول رغم الأبواب المُغلَّقة (انظر: يو ٢٠: ١٩)، ولكنه – في نفس الوقت – قابلٌ للَّمس والأكل: «هَاتِ إِصْبِعَكَ إِلَى هُنَا وأَبْصِرْ يَدَيَّ، وَهَاتِ يَدَكَ وَضَعْهَا فِي جَنْبِي» (يو ٢٠: ٢٧)، «جُسُّونِي وَانْظُرُوا، فَإِنَّ الرُّوحَ لَيْسَ لَهُ لَحْمٌ وَعِظَامٌ كَمَا تَرَوْنَ لِي» (لو ٢٤: ٣٩).

القيامة هنا لا تعني العودة والرجوع من عالم الأموات للحياة الأرضيَّة، مثل لعازر أخ مرثا ومريم، بل تعني الدخول في هيئة وصورة الحياة التي لا تقبل الموت: «عَالِمِينَ أَنَّ الْمَسِيحَ بَعْدَ مَا أُقِيمَ مِنَ الأَمْوَاتِ لا يَمُوتُ أَيْضًا. لا يَسُودُ عَلَيهِ الْمَوْتُ» (رو ٦: ٩). والمسيح ظلَّ يظهر لتلاميذه أربعين يومًا بعد قيامته (أع ١: ٣)، وأيامًا كثيرة (انظر: أع ١٣: ٣١)، حتى تيقَّن التلاميذ من ظهوراته لهم أنَّه هو يسوع الذي عرفوه ورافقوه وأكلوا وشربوا معه، خلال مسيرته التاريخيَّة وحتى موته ودفنه، وها هو أمامهم حيٌّ منظورٌ وملموس (انظر: لو ٢١: ٩، أع ١٠: ٤١).

كذلك، فإنَّ ظهور يسوع لم يَكُن ظهورًا للعالم، بل لتلاميذه ولجماعة المؤمنين (أع ١٠: ٤١)،

لأنَّ العالم غير قابل لمثل هذه الخِبْرات، ولا يقبل عمل الإيمان، وقيامة المسيح هي جوهر الإيمان الذي يقودنا إلى الرجاء بقيامتنا كلّنا (انظر: ١كو ١٥: ٢٠).

فإيمان التلاميذ كان ثمرة خبرات ظهورات المسيح القائم لهم؛ أمَّا **بالنسبة للمؤمنين** الآتين في المستقبل، الذين لم يَتسنَّ لهم مُعاينة هذه الظُّهورات؛ فقد صار الإيمان هو الثقة واليقين بالحضور الفعلي والإفخارستي في سرِّ كسر الخبز (لو ٢٤: ٣٥)، لأنَّ كلَّ «مَنْ آمَنَ بِي وَلَوْ مَاتَ فَسَيَحْيَا» (يو ١١: ٢٥). فالطُّوباويُّون ليسوا هم فقط مَن عاينوا ونظروا بأَعيُن أجسادهم المسيحَ القائم، مثل توما الرسول؛ بل الطُّوبى أيضًا للذين آمنوا ولم يَرَوْا، ووثقوا بحضور المسيح الحيِّ أمامهم على المذبح كلَّ يوم: «طُوبَى لِلَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَرَوْا» (يو ٢٠: ٢٩).

ويمكننا القول بأنَّ كرازة الرُّسُل بقيامة المسيح كانت أمرًا مُستفِزًّا جدًّا لليهود، ولا سيَّما للفرِّيسيِّين، لأنَّهم لم يكونوا مُنكرين لحقيقة القيامة العامة، ولكنَّهم كانوا رافضين قبول حقيقة الكرازة بقيامة شخصٍ مُحدَّد، هو يسوع الناصري، ذاك الذي رفضوه واعتبروه مُجدِّفًا وعاصيًا وهرطوقيًّا ونبيًّا كذَّابًا. وحيث إنَّه كان معروفًا لهم وللجميع، وهم قد قاوموه وصلبوه بسبب ادِّعاءاتهم الباطلة عليه؛ فكيف يتقبَّلون فكرة قيامته بعد موته المُهين بالصليب؟ فكان لهم ذلك حَجَرَ عثرةٍ عظيم.

كذلك أيضًا، بولس الرسول، ذلك الفرِّيسي المُتمرِّس، لو لم يكن مُقتنِعًا بقيامة المسيح، وباختباره الخاص الذي حَدَثَ معه، باستعلان الربِّ له عند باب دمشق؛ ما كان من المُمكن أنْ يشهد أمام الجميع بعد ذلك بكلِّ جرأة: «إِنْ لَمْ يَكُنْ الْمَسِيحُ قَدْ قَامَ فَبَاطِلٌ إِيمَانُكُمْ» (١كو ١٥: ١٧). وصار هو وباقي الرُّسُل شهودًا لحقيقةٍ فائقة لا يُدانيها أدنى شَكٍّ، جعلتهم يُقدِّمون حياتهم الشخصيَّة للدفاع والشهادة للمسيح القائم من بين الأموات.

إنَّ قيامة المسيح لم تكُن مثل باقي القيامات الأخرى التي حدثت، مثل إقامة لعازر أو ابنة يايرس أو ابن أرملة نايين من الموت، والتي كانت تُمثِّل عودة الإنسان الطبيعي إلى العالم الطبيعي الحاضر، وبالتالي تكرار حتميَّة الموت مرَّةً أخرى؛ بل إنَّ قيامة المسيح كانت قيامة فريدة وتاريخيَّة، ذات امتدادٍ أُخروي. فجسد القيامة هو جسدٌ خاصٌّ (مُمجَّدٌ)، تميَّز بقدراتٍ أعظم، وصارت الحياة الجديدة – بالقيامة مع المسيح – بداية لطريق الصعود والحياة الأبديَّة التي بلا نهاية، مع الله الحيِّ.



بمناسبة
عيد الصعود المجيد

صعود ربِّنا يسوع المسيح

عظة للقدِّيس يوحنا ذهبي الفم[1]

(٣٥٤ – ٤٠٧م)

مُصالحة الله مع البشر:

٢- ما هو هذا العيد الحاضر؟ إنَّه جليلٌ وعظيم، أيُّها الحبيب، ومتجاوزٌ عقلَ البشر، ولائقٌ بعطيَّة اللهِ العظمى الَّتي صنعها. فاليوم قد صارت مُصالحةٌ بين الله وجنس البشر؛ اليوم انحلَّت العداوةُ المُزمنة، وأُبيدت الخصومة الطَّويلة؛ اليوم عاد سلامٌ عجيب، لم يكن قطُّ مُتوقَّعًا فيما مضى. فمَن ذا الذي كان يتوقَّع أنَّ الله مزمعٌ أن يتصالح مع الإنسان؟ ليس لأنَّ السَّيِّد غيرُ محبٍّ للبشر، بل لأنَّ العبد متغافل؛ وليس لأنَّ الرَّبَّ قاسٍ، بل لأنَّ العبد جاحدٌ.

أتريد أنْ تعرف كيف أغضبنا هذا السَّيِّد المُحبَّ للبشر الحليم؟ فإنَّه من الواجب أنْ نعرف سبب عداوتنا السَّابقة، حتَّى إذَا ما رأيتَ مقدار إكرامه لنا، نحن الأعداء والخصوم، تتعجَّب من مقدار محبَّته للبشر؛ وأيضًا لكي لا تظنَّ أنَّ هذا التَّحوُّل قد صار من مجهوداتنا نحن، بل لكي تعرف فيض نعمته، فلا تكفَّ عن أن تشكره دائمًا على عِظَم عطاياه.

غضب الله على الشَّرِّ لا على الطَّبيعة البشريَّة:

أفتريد إذًا أنْ تعرف كيف أغضبنا سيِّدنا، محبَّ البشر، الحليم، الصَّالح، الذي يدبِّر كلَّ شيء من أجل خلاصنا؟ لقد شاء مرَّةً إفناءَ جنسنا إفناءً تامًّا، وهكذا غضب علينا، حتَّى أهلكنا مع النِّساء والأطفال والوحوش والبهائم والأرض كلِّها.

وإن شئتَ، فسأجعلك تسمع ما قرَّره: «سأمحو الإنسان الذي عملتُه عن وجه الأرض،

---

(١) هذه العظة هي العظة الأولى ضمن عظتَيْن للقدِّيس يوحنا ذهبي الفم عن عيد الصُّعود، وقد تُرجمت عن النَّصِّ اليونانيِّ المنشور في:

In ascensionem domini nostri Jesu Christi, PG 50, 441-452; CPG 4342; See also: *The Sunday Sermons of the Great Fathers*, vol. 2, pp. 432-440.

وكذلك الوحوش والبهائم، لأنِّي ندمتُ أنِّي صنعتُ الإنسان» (تك ٦: ٧ حسب النَّصِّ). ولكي تعرف أنَّه لم يكن يُبغض طبيعتنا، بل كان ينفر من الشَّرِّ، فإنَّ الذي قال: «سأمحو الإنسان الذي صنعتُه عن وجه الأرض»، يقول للإنسان (نوح): «زَمانُ كُلِّ بَشَرٍ قَدْ أَتَى أَمَامِي» (تك ٦: ١٣)، فلو كان يُبغض الإنسان، لَمَا كان قد تكلَّم مع إنسان. أمَّا الآن فترى أنَّه لم يُسرَّ أن يفعل ما هدَّد أن يفعله، بل وهو الرَّبُّ يتحاجج مع عبده (نوح) ويتحادث معه كما مع صديقٍ مساوٍ له في الكرامة، ويذكر أسباب الهلاك المُزمع أن يكون، ليس فقط لكي يعرف الإنسان الأسباب، بل لكي يقولها للآخرين، فيجعلهم أكثر تعقُّلًا. لكن، كما كنتُ أقول، هكذا كان جنسنا قد فعل الشَّرَّ فيما مضى، حتَّى إنَّه صار في خطر أن يُطرَد حتَّى من الأرض نفسها.

ولكن نحن، الذين ظهرنا غير مستحقِّين للأرض، قد رُفِعنا اليوم إلى السَّماوات؛ نحن الذين لم نكن مستحقِّين حتَّى للرِّئاسة الدُّنيا، صعدنا إلى الملكوت العلويِّ، فجاوزنا السَّماوات، وتمكَّنَّا من العرش الملكيِّ؛ والطَّبيعة الَّتي من أجلها كان الكرُوبِيم يَحْرُسُ الفردَوسَ، هذه الطَّبيعة (في المسيح) تجلس اليوم فوق الكرُوبِيم.

ولكن كيف حدث هذا الأمر العجيب العظيم؟ كيف نحن الذين تصادمنا وسقطنا من الرِّئاسة الدُّنيا، وقد ظهرنا غير مستحقِّين لها، كيف صعدْنا إلى هذا العلوِّ؟ كيف نُقِضَت الخصومة؟ وكيف أُزيل الغضب؟ كيف؟ فهذا هو الأمر العجيب: أنَّ السَّلام لم يصر بفضل الذين أغضبوا الله بغير حقٍّ؛ بل بفضل الذي، مع أنَّه غاضبٌ بحقٍّ، دعانا، فصار السَّلام هكذا: «إِنَّنا كَسُفَرَاءَ عَنِ الْمَسِيحِ، كَأَنَّ اللهَ يشفع بواسطتنا» (٢كو ٥: ٢٠ حسب النَّصِّ). ما هذا؟ إنَّه هو نفسه المُسَاءُ إليه، وهو نفسه يشفع؟ نعم، لأنَّه الله، ولأجل ذلك كأبٍ محبٍّ للبشر يشفع.

المسيح يُصالح الطَّبيعتَيْن:

وانظر ما حدث: الوسيط هو ابن الآب الذي يشفع، ليس هو مجرَّد إنسان، وليس ملاكًا، ولا رئيس ملائكة، ولا أحدَ الخدَّام. ثمَّ ماذا يفعل الوسيط؟ إنَّه يعمل عمل الوسيط. فكما أنَّه إذَا ابتعد اثنان عن بعضهما ولم يرغبا في الصُّلح، يأتي آخَر، ويضع نفسه بينهما، فيحلُّ العداء بينهما، هكذا فعل المسيح. فقد كان الله غاضبًا علينا، ونحن كنَّا نبتعد عن الله، السَّيِّد محبّ البشر؛ فوضع المسيح نفسه وسيطًا، وصالَح الطَّبيعتَين مع بعضهما. وكيف جعل نفسه وسيطًا؟ لقد قَبِل بنفسه العقوبة الواجبة علينا من عند الآب، واحتمل العقوبة من ذاك الطَّرف، والتَّعيير من الطَّرف الآخر. أتريد أنْ تعرف كيف قَبِل كلًّا من الطَّرفَين إلى

نفسه؟ «الْمَسِيحُ افْتَدَانَا مِنْ لَعْنَةِ النَّامُوسِ، إِذْ صَارَ لَعْنَةً لأَجْلِنَا» (غل ٣: ١٣). أترى كيف تحمَّل العقوبة الواقعة عليه من فوق؟ وانظر كيف تحمَّل أيضًا التَّعيير الموجَّه إليه من أسفل: «تَعْيِيرَاتُ مُعَيِّرِيكَ وَقَعَتْ عَلَيَّ» (مز ٦٨: ١٠؛ رو ١٥: ٣)؟ أترى كيف نَقَض العداوة؟ وكيف لم يتمَّ ذلك بدون أنْ يتألَّم ويحتمل كلَّ شيء حتَّى يمكنه أن يُصعِد العدوَّ والخصم إلى الله، ويجعلَه صديقًا له؟ إنَّ برهان هذه الخيرات هو اليوم الحاضر؛ فكما أَخَذَ باكورة طبيعتنا، هكذا أَصعدَها إلى السَّيِّد (الآب).

وكما يحدث في الحقول التي تُحصَد، أنْ يأخذ أحدٌ سنابل قليلة، ويصنع منها حزمةً صغيرة، ويُقدِّمها لله، فبواسطة القليل يجعل كلَّ الحقل مُبارَكًا؛ هكذا فعل المسيح، فبواسطة ذاك الجسد الواحد كباكورة، جعل كلَّ جنسنا مُبارَكًا. ولكن لماذا لم يُقدِّم كُلَّ الطبيعة؟ لأنه ليس هذا معنى الباكورة، أن يُقدِّم أحدٌ الكلَّ، بل أن يُقدِّم شيئًا قليلًا، وبواسطته يُبارِك الكلَّ. وقد يقول قائل: إن كانت الباكورة الواجب تقديمها، لكان ينبغي أن يُقدَّم الإنسانُ الأوَّلُ (آدم)؛ فالباكورة هي ما يأتي أولًا. ليست هذه هي الباكورة، أيُّها الحبيب، أن تُقدَّم أولُ ثمرة هزيلة وضعيفة، بل أن نُقدِّم الصالحة ...

الباكورة في النَّاموس هي الثَّمرة النَّاضجة لا الأولى:

٣ - ولكي تعرف أنَّ الباكورة ليست ثمرة النَّبات الأولى، بل الصَّالحة والنَّاضجة الَّتي بلغت تمام نضجها، سأقدِّم لك الشَّهادة من الكُتُب المقدَّسة. قال موسى للشَّعب: «إذَا دخلتَم أرض الموعد الَّتي يعطيكم إيَّاها الرَّبُّ إلهكم، وزرعتم فيها كلَّ شجرة تُثمر ثمرةً صالحة للأكل، ثلاث سنين لا تَقطعوا ثمرَها؛ أمَّا في السَّنة الرَّابعة فيكون ثمرها مقدَّسًا للرَّبِّ» (لا ١٩: ٢٣، ٢٤).

فلو كانت الباكورة هي الثَّمرة الأولى الَّتي تُؤتى، لكان ينبغي أنْ تُعطى للرَّبِّ ثمرة السَّنة الأولى؛ أمَّا الآن فيقول: ثلاث سنين لا تُقطف ثمرتُها، بل تُترك لأنَّها شجرة هزيلة ضعيفة، ثمرتُها غير ناضجة. وأمَّا السَّنة الرَّابعة، فيقول: "تكون ثمرتُها مقدَّسةً للرَّبِّ". وانظر إلى حكمة واضع النَّاموس: لم يسمح أنْ تؤكل، لكي لا يأخذ الإنسان ثمرةً قبْل الله؛ ولم يسمح أيضًا بأن تُقدَّم قبْل نضوجها، لكي لا تُقدَّم غير ناضجة للرَّبِّ.

المسيح باكورة طبيعتنا المقدَّمة للآب:

ولكن، يقول (النَّاموس): اتركها مع أنَّها أولى، لا تُقدِّمْها لأنَّها غير لائقة بكرامة مَن

يأخذها. أترى كيف أنَّ الباكورة ليست هي الثَّمرة الأولى، بل الثَّمرة الصَّالحة هي الباكورة؟ وهذه الأمور قيلت بسبب الجسد الذي قدَّمه (المسيح) لأجلنا.

فقد قدَّم باكورة طبيعتنا إلى الآب، وهكذا سُرَّ الآبُ بهذه العطيَّة، بسبب استحقاق مَن قدَّمها، وبسبب كمال ما قُدِّم، حتَّى قَبِلها بيده وقرَّب العطاء إليه، وقال: «اجلس عن يميني» (مز ١٠٩: ١).

ولكن إلى أيِّ طبيعة قال الله: «اجلس عن يميني»؟ إلى تلك الَّتي سَمعت: «إنَّك تراب وإلى التُّراب تعود». ألم يكن كافيًا أنْ تتجاوز السَّماوات؟ ألم يكن كافيًا أنْ تقف مع الملائكة؟ أمَا كانت هذه الكرامة لا توصف؟ لكنَّها تجاوزت الملائكة، وتخطَّت رؤساء الملائكة، وتجاوزت الكارُوبيم، وارتقت أعلى من السِّيرافيم، واجتازت الرُّتب (السَّماويَّة)، ولم تقف قبل أنْ تأخذ عرش السِّيادة. ألَا ترى المسافة بين السَّماء والأرض؟ بل لنبدأ من الأسفل: ألَا ترى المسافة بين الهاوية والأرض؟ ثمَّ من الأرض إلى السَّماء؟ ثمَّ من السَّماء إلى السَّماء العليا؟ ومن هناك إلى الملائكة، وإلى رؤساء الملائكة، وإلى القوَّات العليا، وإلى العرش الملكيِّ نفسِه؟ فإلى كلِّ هذا الامتداد والارتفاع قد رَفَعَ (المسيح) طبيعتنا.

انحطاط الإنسان إلى ما دون البهائم:

انظرْ كَمْ كانت منحطَّة في الأسفل، وإلى أين ارتفعت؛ فلم يكن للإنسان أنْ ينزل إلى ما هو أحطُّ ممَّا نزل إليه، ولا أن يرتقي أعلى ممَّا ارتقى إليه بعد ذلك. وهذا ما يُشير إليه بولس قائلًا: «الذي نزل هو نفسه الذي صعد» (أف ٤: ٩، ١٠). وإلى أين نزل؟ إلى الأسفل، إلى أقسام الأرض السُّفلَى، وصعد فوق كلِّ السَّماوات. اعرف مَن صعد، وما هي طبيعته، وماذا كان حالها قبل ذلك. فأنا أتأمَّل بسرور تواضع جنسنا، لكي أتعرَّف بعد ذلك على عظمة كرامة السَّيِّد الذي فاضت محبته للإنسان. كنَّا ترابًا ورمادًا؛ لكن هذا لم يكن ذنبًا لنا، بل ضعفًا في طبيعتنا.

لكنَّنا صرنا في حالٍ أسوأ من الكائنات غير العاقلة: «الْإِنْسَانُ قَدْ مَاثَلَ الْبَهَائِمَ الَّتِي لَا عَقْلَ لَهَا وَشَابَهَهَا!» (مز ٤٨: ٢١س). وهذا معناه: أنَّنا صرنا أسوأ من البهائم غير العاقلة بمُشابهتنا لها. فإنَّ الكائن غير العاقل بطبيعته، إذَا ما بقي غير عاقل، فهذا من طبيعته؛ أمَّا أنْ يكون قد كُرِّم بالعقل ثمَّ يهبط إلى تلك الحماقة، فهذا ذنبٌ راجعٌ إلى إرادته. فإذَا سمعتَ أنَّه ماثَل غير العاقلين، فلا تظنَّ أنَّه أراد فقط أنْ يصف البشر بمساواة غير العاقلين، بل إنَّه قال ذلك قاصدًا أن

يُبيِّن أنَّهم صاروا أسوأ منهم. لأنَّنا قد صرنا بالفعل أسوأ من غير العاقلين وأكثر بلادةً، لا لأنَّنا، ونحن بشر، انحدرنا إلى هناك فقط؛ بل لأنَّنا اندفعنا إلى جهالة أعظم. وهذا ما أعلنه إشعياء إذ قال: «الثَّوْرُ عَرِفَ قَانِيَهُ وَالْحِمَارُ مِعْلَفَ صَاحِبِهِ، أَمَّا إِسْرَائِيلُ فَلَمْ يَعْرِفْنِي» (إش ١: ٣س).

لكن لا يجب أن نيأس بسبب حالتنا السَّابقة، لأنَّه «حَيْثُ كَثُرَتِ الْخَطِيَّةُ ازْدَادَتِ النِّعْمَةُ جِدًّا» (رو ٥: ٢٠). لقد رأيتَ كيف صرنا أقلَّ من البهائم. أتريد أن ترى أيضًا كيف صرنا أقلَّ عقلًا من الطُّيور؟ «الْيَمَامَةُ وَالسُّنُونَةُ، عَصَافِيرُ الْحَقْلِ حَفِظَتْ أَوْقَاتَ مَجِيئِهَا، أَمَّا شَعْبِي فَلَمْ يَعْرِفْ أَحْكَامِي» (إر ٨: ٧س). ها نحن صرنا أقلَّ عقلًا من الحمير والثيران، بل وأيضًا من الطُّيور، من اليمامة والسُّنونة ...

٤- ولماذا نقول إنَّنا صرنا على بلادة غير العاقلين، بينما صرنا نُدعى أولاد إبليس؟ لأنَّه يقول: «أنتم أبناء إبليس» (يو ٨: ٤٤). ومع ذلك، نحن عديمي الإحساس والجاحدين، نحن غير الفاهمين، نحن الأقلَّ إحساسًا من الحجارة، نحن الأدنى من الجميع، نحن عديمي الكرامة، نحن الأشدَّ دناءة من الكلِّ، ماذا أقول؟ كيف أُعبِّر عن سوء حالنا؟ هذه الطَّبيعة الدَّنيئة، الأكثر بلادة من الجميع، قد صارت اليوم أرفع من الجميع.

فرح الملائكة بخلاص الإنسان ومُصالحة الله معه:

اليوم نال الملائكة ما كانوا يشتاقون إليه منذ القديم؛ اليوم رأى رؤساءُ الملائكة ما كانوا يتوقون إليه منذ زمنٍ بعيد: رأَوْا طبيعتنا تلمع فوق العرش الملكيِّ، متلألئةً بمجدٍ وبهاءٍ لا يفنى. فهذا هو ما كان الملائكة يشتهونه منذ القديم، وهذا ما كان رؤساء الملائكة يتوقون إليه.

فإنهم، وإن كانت هذه الكرامة تفوقهم، إلَّا أنَّهم كانوا يفرحون أيضًا بخيراتنا؛ لأنَّهم حين كنا نُعاقَب كانوا يتوجَّعون. فإنَّ الكروبيم، وإنْ كانوا يحرسون الفردَوس، إلَّا أنَّهم كانوا يتوجَّعون مع ذلك. وكما أنَّ عبدًا، إذَا أخذ عبدًا رفيقه إلى السِّجن، يحرسه بسبب أمر السَّيِّد، لكنَّه يتوجَّع لِمَا يحدث له، بسبب التَّعاطُف مع رفيقه في الخدمة؛ هكذا أيضًا الكروبيم: فقد كُلِّفوا بحراسة الفردَوس، لكنَّهم كانوا يتوجَّعون من هذا الأمر. ولكي تفهم أنَّهم كانوا يتوجَّعون، أسوقُ لك مثالًا مِمَّا يحدث بين البشر. فإنَّك إذَا رأيتَ النَّاس يتعاطفون مع عبيدٍ شركاءَ لهم، فلن تشكَّ بعد في أمر الكروبيم؛ لأنَّ تلك القوَّات هي أشدُّ حنانًا بكثير من البشر. فمَن مِن الأبرار لم يتوجَّع، حين رأى النَّاس يُعاقَبون بعدلٍ، حتَّى ولو كانت خطاياهم لا

تُحصى؟ فهذا هو الأمر العجيب: أنَّهم على الرَّغم من معرفتهم بخطايا الذين يُعاقَبون، وعلمهم بأنَّهم قد أساؤوا إلى السَّيِّد، لكنَّهم يتوجَّعون من أجلهم. فموسى، بعد أنْ عبد الشَّعب الأوثان، قال: «إِنْ كُنْتَ تَغْفِرُ لَهُمْ خَطِيَّتَهُمْ، فَاغْفِرْ، وَإِلَّا، فَامْحُنِي مِنْ كِتَابِكَ الذي كَتَبْتَ» (خر ٣٢: ٣٢س). ما هذا؟ أترى جحودهم وتتوجَّع من مُعاقبتهم؟ يقول: نعم، لهذا أتوجَّع: لأنَّهم يُعاقَبون، ولأنَّهم يُقدِّمون أسبابًا لعقابٍ عادل.

وحزقيال لمَّا رأى الملاك يقتل الشَّعب، صرخ بصوتٍ عظيم وولول، وقال: «آهٍ أَيُّهَا الرَّبُّ! أَتُهْلِكُ أَنْتَ الباقين من إِسْرَائِيلَ؟» (حز ٩: ٨س). وكذلك إرميا قال: «أَدِّبْنَا يَا رَبُّ وَلَكِنْ بِالْحَقِّ، لَا بِغَضَبِكَ، لِئَلَّا تَجْعَلَنَا قَلِيلِينَ» (إر ١٠: ٢٤س). فإذا كان موسى وحزقيال وإرميا يتوجَّعون، أفيمكن أن تكون تلك القوَّات الملائكيَّة لم تتألَّم من أجل شرورنا؟ كيف يمكن أن يكون هذا؟ فإنَّهم يعتبرون أمورنا كأنَّها تخصُّهم. اعرف ذلك من مقدار الفرح الذي أظهروه حين رأَوُا السَّيِّد قد تصالَح معنا.

فإنَّهم، لو لم يكونوا قد توجَّعوا من قبْل، لَمَا كانوا قد فرحوا أيضًا بعد ذلك. وأمَّا أنَّهم كانوا يفرحون، فذلك واضحٌ مِمَّا يقوله المسيح: إنَّه «يكون فرحٌ في السَّماء وعلى الأرض بخاطئٍ واحدٍ يتوب» (لو ١٥: ٧). فإذَا كان الملائكة، حينما يَرَوْن خاطئًا واحدًا يتوب، يفرحون؛ فكم بالحريِّ اليوم، إذ يَرَوْن من خلال الباكورة أنَّ الطَّبيعة كلَّها قد أُدخِلَت إلى السَّماء، فكيف لا يكون لهم الابتهاج الأعظم؟

حضور الملائكة في الميلاد والقيامة والصُّعود:

فاسمع أيضًا كيف فرحَ الجمهور السَّماويُّ بسبب مُصالحتنا؛ لأنَّه حين وُلد ربُّنا بحسب الجسد، ورأَوْا أنَّه تصالح مع البشر – لأنَّه لو لم يكن قد تصالح معهم، لَمَا نزل إلى وضعهم – فلمَّا رأَوْا ذلك، أقاموا خورسًا على الأرض، وصرخوا قائلين: «المجد لله في الأعالي، وعلى الأرض السَّلام، وفي النَّاس المسرَّة» (لو ٢: ١٤).

ولكي تعرف أنَّهم يمجِّدون الله لأنَّ الأرض قد نالت الخيرات، أضافوا أيضًا السَّبب قائلين: «على الأرض السَّلام، وفي النَّاس المسرَّة»، أيْ في أولئك الذين كانوا جاحدين وفي حالة خصام.

أترى كيف يمجِّدون الله من أجل خير الآخرين؟ بل بالحريِّ من أجل خيرهم هم، لأنَّهم يحسبون خيرَنا كأنَّه لهم. أتريد أن تعرف أنَّهم، إذ كانوا يتوقَّعون صعوده، كانوا يفرحون ويتهلَّلون؟

اسمع المسيح وهو يقول: إنَّهم كانوا يصعدون وينزلون عليه على الدَّوام (انظر: يو١: ٥١).

وهذا كان من شوقهم أنْ يَرَوْا ذلك المنظر العجيب. وما هو الدَّليل أنَّهم كانوا يصعدون وينزلون؟ اسمع الرَّبَّ نفسَه يقول: «من الآن ترَوْن السَّماء مفتوحة، وملائكة الله صاعدين ونازلين على ابن الإنسان» (يو ١: ٥١).

فهذه هي عادة المُحبِّين: أنَّهم لا ينتظرون الوقت، بل يسبقون الموعد بدافع الشَّوق. لذلك ينزلون، مُسرعين ليرَوْا ذلك المنظر الجديد العجيب: إنسانًا سيظهر في السَّماء. ولهذا فالملائكة يحضرون في كلِّ مناسبة: حين وُلد، وحين قام، واليوم أيضًا حين صعد. فإذَا ملاكان بثيابٍ لامعة، أيْ بثيابٍ تُظهِر الفرح، يقولان للتَّلاميذ: «أيُّها الرِّجال الجليليون، لماذا تقفون ناظرين إلى السَّماء؟ إنَّ يسوع هذا الذي ارتفع عنكم إلى السَّماء، سيأتي هكذا كما رأيتموه منطلقًا إلى السَّماء» (أع ١: ١١، ١٢).

سبب حضور الملاكَيْن عند الصُّعود:

٥- هنا انتبهْ إليَّ بدقَّة، ماذا يعني كلُّ هذا الكلام؟ ألم يكن للتَّلاميذ عيون؟ ألم يرَوْا ما كان يحدث؟ ألم يقل الإنجيليُّ إنَّه (أي الرب) ارتفع وهم ينظرون؟ إذًا، لماذا وقف الملاكان هناك يُعلِّمانهم، قائلَيْن إنَّه صعد إلى السَّماء؟ كان هذا لأجل سببَيْن:

الأوَّل أنَّهم كانوا دائمًا يتوجَّعون عند رحيل المسيح عنهم. فاسمع ما قاله المسيح لهم لمَّا رآهم يتوجَّعون: «لَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَسْأَلُنِي: إِلَى أَيْنَ تَمْضِي؟ لَكِنْ لأَنِّي قُلْتُ لَكُمْ هذَا قَدْ مَلأَ الْحُزْنُ قُلُوبَكُمْ» (يو ١٦: ٥، ٦). فإنَّنا حين يُفارقنا أصدقاؤنا وأهالينا لا نحتمل ذلك، فكيف للتَّلاميذ وهم يرَوْن المخلِّص، المعلِّم القائم على رعايتهم، محبَّ البشر الوديع الصَّالح، يُفارقهم، كيف لا يتوجَّعون؟ كيف لا يتألَّمون؟ لذلك وقف الملاك هناك ليُعزِّيهم عن حزنهم على صعوده، إذ قال: «إِنَّ يَسُوعَ هذَا الذي ارْتَفَعَ عَنْكُمْ إِلَى السَّمَاءِ سَيَأْتِي هكذا» (أع١: ١١). كأنَّما يقول لهم: هل توجَّعتم لأنَّه ارتفع؟ لكن لا تتوجَّعوا بعد، فهو سيأتي ثانيةً. حتَّى لا يفعلوا مثلما فعل أليشع عندما رأى معلِّمه (إيليَّا) يُرفع، وقطع سترته الصَّغيرة (٢مل ٢: ١٢). لأنَّه لم يكن هناك أحدٌ حاضرًا ليقول له: إنَّ إيليَّا سيأتي ثانيةً؛ فلكي لا يفعل هؤلاء بالمثل، وقف الملاكان هناك ليُعزِّياهم عن كآبتهم.

وهذا السَّبب الأوَّل لحضور الملاكَيْن، **والسَّبب الثَّاني** لا يقلُّ أهمِّيَّة عنه، ولهذا السَّبب الثَّاني

أضاف قائلًا: "الذي ارتفع". فما هو هذا السَّبب الثَّاني؟ إنَّه الذي لأجله أضاف أنَّه رُفع "إلى السَّماء". وكانت المسافة عظيمةً جدًّا، ولم تكن قوَّة رؤيتنا كافية لترى الجسد الصَّاعد إلى السَّماء؛ ولكن كما أنَّ الطَّائر الذي يعلو إلى ارتفاع شاهق، كلَّما ارتفع إلى أعلى، كلَّما اختفى أكثر عن رؤيتنا؛ هكذا كان ذاك الجسد الصَّاعد: كلَّما ارتفع، كلَّما اختفى إلى أعلى، لأنَّ ضعف أعيننا لم يمكِّنْها متابعةَ طول المسافة. لذلك وقف الملاكان هناك، يعلّمانهم أنَّه صعد "إلى السَّماء"، ولكي لا يظنُّوا أنَّ (المسيح) صَعِد "كما إلى السَّماء" مثل إيليا[٢]، لذلك قال: الذي ارتفع عنكم "إلى السَّماء". فلم يُضِف هذا الكلام عبثًا. فإيليا صعد "كما إلى السَّماء" لأنَّه كان عبدًا، أمَّا يسوع فقد صعد "إلى السَّماء" لأنَّه كان السَّيِّد؛ إيليَّا في مركبة ناريَّة، أمَّا (الرَّبُّ) فكان على سحابة.

حين كان ينبغي للعبد أنْ يُدعى، أُرسلت له مركبة؛ أمَّا الابن، فقد أُرسل له كرسيٌّ ملوكيٌّ؛ وليس مجرَّد كرسيٍّ ملوكيٍّ عاديٍّ، بل هو كرسيُّ الآب نفسِه. لأنَّ إشعياء يقول عن الآب: «هو ذا الرَّبُّ جالسٌ على سحابة سريعة» (إش ١٩: ١ س). وبما أنَّ الآب يجلس على سحابة، لذلك أرسل للابن سحابة أيضًا. وإيليَّا حين صعد ترك لأليشع الرِّداء؛ أمَّا يسوع حين صعد، ترك المواهب على التَّلاميذ، وليس ليجعل واحدًا فقط نبيًّا، بل ليجعل ربوات من أليشع؛ وأعظم وألمع بكثير من ذاك.

الاختطاف في السُّحُب لمُلاقاة الرَّبِّ:

فلنتطلَّع إذًا، يا أحبَّائي، وننظر إلى ذلك الصُّعود. فكما يقول بولس: «إنَّ الرَّبَّ نفسَه بِهُتَافٍ، بِصَوْتِ رَئِيسِ مَلاَئِكَةٍ ... سوف يَنْزِلُ من السماء ... ونحن الأحياءَ الْبَاقِينَ ... سنُختطف في السُّحُب لمُلاقاة الرَّبِّ في الهواء» (١تس ٤: ١٦ و١٥ و١٧)، لكن ليس جميعنا. فليس كلُّنا سنُختطف، بل البعض يبقى والبعض يُختطف. فاسمع ما يقوله المسيح: «تُوجد اثْنَتَانِ تَطْحَنَانِ عَلَى الرَّحَى، تُؤْخَذُ الْوَاحِدَةُ وَتُتْرَكُ الأُخْرَى؛ ويَكُون اثْنَانِ عَلَى فِرَاشٍ وَاحِدٍ، فَيُؤْخَذُ الْوَاحِدُ وَيُتْرَكُ الآخَرُ» (مت ٢٤: ٤١؛ لو ١٧: ٣٤). ماذا يعني هذا اللُّغز؟ ماذا يعني هذا السِّرُّ المكتوم؟ بواسطة الرَّحَى يُشير إلى كلِّ الذين يعيشون في فقرٍ وشقاء. وبواسطة الفراش والرَّاحة، إلى كلِّ الذين يعيشون في نعيمٍ وكرامة.

فلأنَّه أراد أنْ يُظهِر أنَّ من الفقراء مَنْ يخلصون ومَنْ يهلكون، قال: مِن بين الذين عَلَى

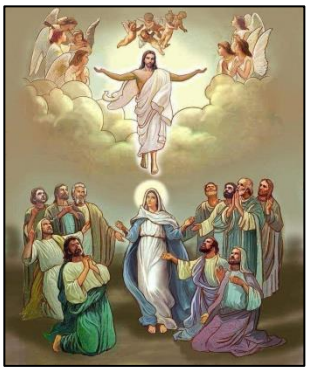
(٢) التَّرجمة السَّبعينيَّة تقول إنَّ إيليَّا ارتفع "**كما** إلى السَّماء ὡς εἰς τὸν οὐρανόν" (٢مل ٢: ١١).

الرَّحَى، يُؤخذ الواحد ويُترك الآخر، ومن بين الذين على الفراش، يُؤخذ الواحد ويُترك الآخر؛ ويُوضِّح بهذا أنَّ الخطاة يُتركون هنا ويستمر عليهم الشَّقاء؛ بينما الأبرار يُختطفون إلى السُّحُب. فكما عندما يدخل الملك مدينة، فالوجهاء والرُّؤساء، الذين لهم دالَّة كثيرة لديه، يخرجون لمُلاقاته في مدخل المدينة، بينما المذنبون والمحكوم عليهم ينتظرون داخل المدينة حُكْم الملك؛ هكذا أيضًا عندما يأتي الرَّبُّ، فالذين لهم دالَّة نحوه، يُلاقونه في الهواء؛ أمَّا المذنبون والذين يعرفون أنَّ لهم خطايا كثيرة، فينتظرون الحكم هناك.

حينئذٍ سنُختطف نحن أيضًا؛ لا أقول "نحن" حاسبًا نفسي ضمن المُختطفين؛ فلستُ بلا إحساس إلى هذا الحدِّ ولا جاهلًا، حتَّى أغفل عن خطاياي الخاصَّة، ولولا خشيتي من إزعاج بهجة العيد الحاضر، لكنتُ أبكي بمرارة عند تذكُّر هذا الصَّوت، لأنِّي أتذكَّر خطاياي الخاصَّة.

وبما أنَّني لا أرغب في تعكير فرح العيد الحاضر، سأُنهي كلامي هنا، تاركًا لكم ذكرى اليوم الحاضر في أوْجها، لكي لا يفرح الغنيُّ بثروته، ولا يرثي الفقير لحاله بسبب فقره؛ بل ليعملْ كلُّ واحد وفق ضميره سواء كان هذا أم ذاك. فليس الغنيُّ هو المُطوَّب، ولا الفقير هو البائس؛ بل مَنْ يستحق المشاركة في ذلك الاختطاف في السُّحُب هو المُطوَّب، بل والمثلَّث الطُّوبى، حتَّى ولو كان أفقر الجميع. وكذلك أيضًا، الذي يسقط هو البائس بل والمثلَّث البؤس، حتَّى ولو كان أغنى الجميع.

لذلك أقول: لنحزن على نفوسنا، نحن الذين في الخطايا، وليتشجَّع جميع الذين يعيشون في الاستقامة؛ بل وأكثر من ذلك، لا يكتفوا بالشَّجاعة فحسب، بل ليكونوا غير متزعزعين؛ ولا يكتفِ الذين هم في الخطايا بالحزن، بل ليتغيَّروا أيضًا. ففي إمكان كلِّ مَنْ كان في الشَّرِّ أن يتحوَّل من الشَّرِّ إلى الفضيلة، وأن يُصبح مساويًا لأولئك الذين عاشوا حياةً صالحة منذ البداية؛ وهذا ما ينبغي لنا أن نجتهد فيه. فالذين أدركوا الفضيلة لِيتمسَّكوا بالتَّقوى، وَلِيزيدوا دائمًا ما حصلوا عليه من الخير، وَلِيُضيفوا إلى ثقتهم السَّابقة؛ وأمَّا الذين فقدوا الثِّقة، والذين جمعوا لأنفسهم العديد من الخطايا، فليتغيَّروا، حتَّى يصلوا إلى الثِّقة التي بلغها أولئك، ويستقبلوا جميعًا معًا، كجماعةٍ واحدة، مَلِكَ الملائكة الذي له المجد، ويستمتعوا بذاك الفرح الطُّوباويِّ في المسيح يسوع ربِّنا، الذي له المجد والسُّلطان مع الآب والرُّوح القدس، الآن ودائمًا وإلى دهر الدُّهور. آمين.



”أصعدتَ باكورتي إلى السماء“

في صباح يوم الأحد الموافق ٢٠ يوليو ١٩٦٩م، شاهد العالم بأسره مشهدًا لم يسبق له مثيل. فقد انطلقت رحلة أبوللو ١١، وعلى متنها روَّاد الفضاء: "نيل أرمسترونج"، مع "باز ألدرين" و "مايكل كولينز". وبعد ما قطعوا مسافة ٣٨٤ ألف كيلومتر في الفضاء، نزل أرمسترونج رائد الفضاء الأمريكي ورفقاؤه على سطح القمر. ولمَّا وضع قدميه على سطح القمر قال تلك الكلمات الخالدة: "خطوة صغيرة للإنسان، قفزة عملاقة للبشرية". ما فعله أرمسترونج لم يكن مجرد رحلة شخصيَّة. فعندما وضع قدميه على القمر، وضع قدم البشرية هناك، كانت خطوته خطوة للبشرية جمعاء. العَلَم الأمريكي الذي زرعه لم يكن رمزًا لوطنه فقط، بل كان إعلانًا أن الإنسان وصل إلى مكانٍ لم يصل إليه أحدٌ من قبل. لم يصعد أرمسترونج فقط لنفسه، بل مُمثِّلًا عن البشرية. كان هذا الصعود إنجازًا تقنيًّا هائلًا. يُذكِّرنا هذا الأمر بصعود المسيح إلى السماء حاملًا معه وفيه البشرية. التشبيه ناقص بالطبع، فكلُّ تشبيهٍ له حدود. ولكن الإنجيل مملوء بتشبيهات لأمورٍ روحيَّة وبحقائقَ ماديَّة ليُقرِّبها إلى ذهننا، وهذا التشبيه يفتح أمامنا نافذة لنرى بأعين جديدة حقيقة صعود المسيح ومعناها لحياتنا.

«أَجْلَسَنَا مَعَهُ فِي السَّمَاوِيَّاتِ»:

بعد أربعين يومًا من قيامته، اجتمع يسوع مع تلاميذه على جبل الزيتون. ثم حدث ما وصفه لوقا: «وَلَمَّا قَالَ هذَا ارْتَفَعَ وَهُمْ يَنْظُرُونَ، وَأَخَذَتْهُ سَحَابَةٌ عَنْ أَعْيُنِهِمْ» (أع ١: ٩). لم يصعد المسيح إلى القمر، بل إلى السماء، إلى عرش الله نفسه. لم يصعد المسيح وحده، بل كان صعوده صعودًا لطبيعتنا البشرية المُمجَّدة فيه. وعندما صعد، صعد كباكورة البشرية. يشرح بولس الرسول هذا بوضوح: «وَأَقَامَنَا مَعَهُ، وَأَجْلَسَنَا مَعَهُ فِي السَّمَاوِيَّاتِ فِي الْمَسِيحِ

يَسُوعَ» (أف ٢: ٦). ليس "سنجلس" بل "أجلسنا". حمل المسيح معه البشرية في صعوده. فطبيعتنا البشرية التي اتَّحد بها صعدت معه. لم يتركنا ننتظر وحدنا، بل نحن فيه قد صعدنا بالفعل. صار صعوده ليس مجرد حدث معجزي بل هو واقعٌ أبديٌّ يخصُّنا. فتح لنا طريق الدخول إلى قدس الأقداس. فهو رأسنا، ونحن جسده. عندما صعد، صعدنا نحن فيه.

المسيح الباكورة:

نُردِّد في القدَّاس الغريغوري (بلسان الكاهن): "أصعدتَ باكورتي إلى السماء". هنا نحن لا نتكلَّم عمَّا نصعده نحن، بل عمَّا أصعده المسيح فينا. الباكورة هنا ليست نحن الذين نحاول أن نصعد، بل هو الذي صعد بطبيعتنا.

يقول سِفر الخروج عن الباكورة: «وَتَصْنَعُ لِنَفْسِكَ عِيدَ الأَسَابِيعِ أَبْكَارِ حِصَادِ الْحِنْطَةِ. وَعِيدَ الْجَمْعِ فِي آخِرِ السَّنَةِ ... أَوَّلُ أَبْكَارِ أَرْضِكَ تُحْضِرُهُ إِلَى بَيْتِ الرَّبِّ إِلهِكَ.» (خروج ٣٤: ٢٢، ٢٦)

المسيح هو الباكورة. ليس فقط لأنه قام أولًا، بل لأنه في قيامته حَمَلَ معه البشرية التي اتَّحد بها. وكما أنَّ باكورة الحصاد كانت تُقدَّم لله كإعلان أن كلَّ الحصاد مقدَّسٌ ومقبولٌ؛ هكذا صعود المسيح إلى السماء بجسده المُمجَّد، هو إعلانٌ أنَّ لنا دخول كقدِّيسين ومحبوبين إلى محضر الله. فنحن جزءٌ من حصاد القيامة الذي بدأ بالمسيح وسيكتمل بجميع الذين له. كانت الباكورة وعدًا ملموسًا بأنَّ بقية الحصاد ستأتي. هكذا المسيح: قيامته ليست مجرد حدثٍ منفرد، بل هي وعدٌ وضمانٌ لقيامة كلِّ الذين له.

كان المُزارع يقدِّم حزمة واحدة نيابةً عن كلِّ حقله. تلك الحزمة لم تكن غريبة عن باقي الحقل، بل كانت منه. هكذا المسيح لم يأخذ باكورة غريبة عنَّا، بل أخذ طبيعتنا البشرية، وجسدنا، وحياتنا، وصعد بها إلى السماء.

كان تقديم الباكورة تعبيرًا عن رضى الله عن كلِّ الحصاد. هكذا، بقيامة المسيح وتقديمه نفسه للآب، صار رضى الله على كلِّ مَن هم في المسيح. كذلك كانت الباكورة تُقدَّم مرةً واحدة، وكانت كافية لتقديس الحصاد كله. هكذا صعود المسيح حدث مرةً واحدة (أع ١: ٩–١١)، وهو كافٍ ليُقدِّسنا للأبد.

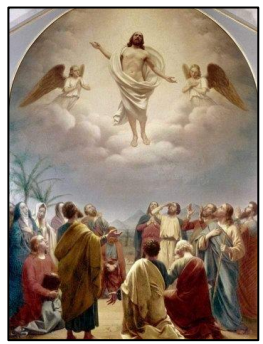
عند ما يقول المسيح: «أَنَا هُوَ الطَّرِيقُ» (يو ١٤: ٦)، فهو يقصد ليس طريقًا نبحث عنه بجهدنا، بل طريقًا صار مفتوحًا في شخصه. هو لم يُرشدنا إلى السماء فقط، بل صار هو

الطريق الذي دخل أولًا، وحملنا فيه: «حَيْث دَخَلَ يَسُوعُ كَسَابِقٍ لأَجْلِنَا» (عب ٦: ٢٠). إنه ليس فقط مَنْ فتح الطريق؛ بل سار فيه قبلنا، وجعلنا فيه سائرين في ذات الطريق.

وعندما يجترئ الرسول بولس ويقول: « فَإِذْ لَنَا أَيُّهَا الإِخْوَةُ ثِقَةٌ بِالدُّخُولِ إِلَى "الأَقْدَاسِ" بِدَمِ يَسُوعَ، طَرِيقًا كَرَّسَهُ لَنَا حَدِيثًا حَيًّا، بِالْحِجَابِ، أَيْ جَسَدِهِ» (عب ١٠: ١٩- ٢٠)، فهذه الثقة لا تأتي من قوَّتنا، بل من أن "باكورتنا" قد دخل بالفعل كسابقٍ لأجلنا. جسده صار الحجاب المفتوح، ودمه أعطانا حقَّ الدخول. لم نعُد ننتظر عند الباب، لأن رأسنا قد دخل. أدخلنا المسيح بصعوده إلى حضرة الآب. هنا يتحقَّق وعد المسيح الذي يقول: «أَنَا أَمْضِي لأُعِدَّ لَكُمْ مَكَانًا» (يو ١٤: ٢). لم يَعُد وعدًا بعيدًا، بل واقعًا. المكان أُعِدَّ، لأن الذي يُعدُّه دخل إليه حاملًا إيَّانا فيه.

كلُّ هذا يؤكِّده القدِّيس استفانوس في لحظة الألم، بينما الحجارة تنهمر عليه، فنسمعه يقول: «هَا أَنَا أَنْظُرُ السَّمَاوَاتِ مَفْتُوحَةً، وَابْنَ الإِنْسَانِ قَائِمًا عَنْ يَمِينِ اللهِ» (أع ٧: ٥٦). لقد رأى الحقيقة التي نُصلِّيها في القدَّاس: أن "باكورتنا" هناك بالفعل، وأن "سابقنا" قد دخل، وأن المسيح الكلمة المتجسِّد الذي لأجلنا صار إنسانًا، يقف في حضرة الآب. السماء لم تعُد مغلقة، والطريق لم يعُد نظريًّا، والمكان لم يعُد مؤجَّلًا. والمسيح لم يكن جالسًا فقط بل قائمًا. كأنَّ السماء نفسها تتحرَّك نحو الإنسان، لا لتنتظره فقط، بل لتستقبله.

لذلك، كل صلاة، كل تعب، كل محاولة صغيرة لرفع القلب، ليست محاولة للوصول، بل هي استجابة لدعوة آتية من فوق. دعوة تقول لنا: الطريق مفتوحٌ، والمكان مُعدٌّ، والمسيح دخل كسابقٍ من أجلنا، ونحن لسنا «بَعْدُ غُرَبَاءَ وَنُزُلًا، بَلْ رَعِيَّةٌ مَعَ الْقِدِّيسِينَ وَأَهْلِ بَيْتِ اللهِ» (أف ٢: ١٩).





ذكرى الصِّدِّيق
تدوم إلى الأبد

لمحات من الكنيسة الأولى

دكتور جميل نجيب

(٢)

نستكمل في هذا العدد الدراسة[١] التي بدأناها عن ملامح الكنيسة الأولى في عصر الرُّسُل، وقد ذكَرنا مَلمَحَين، الأول: إنَّها كانت تتمتع **بقيادة روحيَّة** مُتمثِّلة في عمل الروح القدس في أشخاص الرُّسُل وأعضاء الكنيسة المؤمنين، الذين أَسْلموا نفوسهم بالتمام لعمله، ليقود هو دفَّة حياتهم.

والمَلمح الثاني هو: **الحياة المسيحية،** التي غيَّرت وبدَّلت حياة المؤمنين من الضعف والخطيَّة إلى حياة قوَّة ونعمة. وكان سرُّ وحدتهم هو حيويَّة إيمانهم بالمسيح، فصاروا قلبًا واحدًا ونفسًا واحدة.

وهنا نأتي إلى المَلْمَح الثالث الذي ميَّز كنيستنا الأولى وجعلها تغزو المسكونة كلَّها:

٣. رسالة جليَّة

كانت لدى الكنيسة رؤية واضحة، بأنَّ لها رسالة جليَّة تسير على طريقٍ مُضيء، نحو هدفٍ مُحدَّد الجوانب وغاية لا تغيب عن عيونهم، مهما تغيَّرت ظروف الزمان والمكان والأشخاص.

❖ فنرى على سبيل المثال، أنَّه لمَّا تكاثر عدد المؤمنين واتَّسع نطاق الخدمة والكرازة، لم يشأ الرُّسُل أنْ يبتعدوا عن عملهم الأساسي وهو "الصلاة وخدمة الكلمة". وبرغم أهميَّة خدمة الجمع والتوزيع وضروريتها، إلَّا أنَّ الرُّسُل لم ينزلقوا إلى تولِّي مسؤوليات الجمع والتوزيع والتنظيم والإدارة، وآثروا أنْ يتحمَّلها الشمامسة، وذلك مِنْ أجل ألَّا يخفت صوت الكنيسة الكارز بالتوبة.

❖ والرُّسُل في اتِّجاههم هذا لم يكونوا مُبتدعين، وإنما كانوا يسيرون على نهج سيِّدهم. فالربُّ يسوع لم يُقدِّم الخبز للجموع إلَّا بعد أنْ كلَّمهم أوَّلًا عن ملكوت الله، وبعد أنْ مكثوا معه وقتًا طويلًا. فهو قَصَدَ أنْ يُعلن لنا أنَّه مُلتزمٌ – وبالتالي تلتزم كنيسته – بالإنسان روحًا وجسدًا، إلَّا أنَّه يجعل سدَّ الإعواز الجسدي عملًا روحيًّا، ينبع مِن المحبة، ويتماشى مع الخدمة الروحيَّة، بلا أيِّ تناقُض. ذلك أنَّه إنْ خلتْ خدمة الموائد مِن لمسة الحبِّ، ولم تتمَّ بفعلٍ روحي، ولم توصِّل إلى هدفٍ روحي؛ انتفت عنها صفتها المسيحيَّة في الحال، وصارت عملًا اجتماعيًّا بحتًا، قد لا يصل في مستواه إلى ما تؤدِّيه المؤسَّسات

---

(١) هذه الدراسة تمَّ نشرها بنفس العنوان في عدَدَي يوليو وأغسطس ١٩٦٨م، وقد أُعيد نشرها مع بعض الاختصار في عدد أبريل ٢٠٢٦م – ص ٤٣، والآن نُقدِّم في هذا العدد مع بعض الاختصار المقالة التي نُشرت في ديسمبر ١٩٧١م.

الاجتماعيَّة الصريحة.

❖ على أنَّ وضوح الرؤيَّة وجلاء الرسالة التي حملها الرُّسُل، قد ظهرا في قصة بطرس مع حنانيَّا وسفِّيرة. فماذا كان يضيرُ بطرس لو قَبِلَ المال الذي قدَّمه حنانيَّا وامرأته؟! وهبْ أنَّ هذا المال هو جزءٌ مِن ثمن الحقل وليس ثمنه كلَّه، أَوَ ليست الكنيسة هي في حاجةٍ للمال؟ فلتغُضَّ الطَّرفَ، إذنْ، وتمُدَّ اليدَ وتَقْبَل! حاشا. هذا لا تصنعه كنيسة تحيا بالإيمان وتقتات بكلمة الله، وتشهد بحقِّ المسيح. يسيرٌ عليها أنْ تعتاز، ولا أنْ تبيع مسيحها مجاملةً على حساب الحقِّ.

❖ كما يشدُّ انتباهنا أيضًا هذا الموقف الصارم الذي وقفته الكنيسة مِن سيمون الساحر. لقد تعوَّد سيمون طيلة حياته أنْ يبيع مُمارساته بالمال. ورغم أنَّه آمن واعتمد، إلَّا أنَّه ظلَّ على منهجه الأول في أنَّ المال يشتري كلَّ شيء. فتقدَّم مِن بطرس ويوحنا ومعه دراهمه يطلب أنْ يقتني مواهب الروح القدس. فهناك فارق بين أنْ تشتهي الخدمة وتعدَّ قلبك لها، وأن تنذر حياتك لأجلها؛ وبين أنْ تسعى إليها مُستخدِمًا ضغط المال والنفوذ أو الواسطة. فالروح أعظم وأثمَن مِن أنْ يتحوَّل إلى سلعة. وهو يوهَب ولا يُشتَرَى. والله لا ينظر إلى ما في الجيب بل إلى ما في القلب. وكلَّما أدرك الإنسان افتقاره وعجزه، كُلَّما كان مُهيَّئًا لسُكنى الروح القدس. وكُلَّما استغنى واستكفى، كلَّما تباعَد عنه الروح ومضى.

ومن هنا، كان وقع ما طلبه سيمون من الكنيسة صارخًا مُهينًا، ممَّا جعل روح بطرس تحتدُّ فيه وأطلق صيحته التي ظلَّت تدوِّي في مسامع الأجيال: «لِتَكُنْ فِضَّتُكَ مَعَكَ لِلْهَلاَكِ، لأَنَّكَ ظَنَنْتَ أَنْ تَقْتَنِيَ مَوْهِبَةَ اللهِ بِدَرَاهِمَ! لَيْسَ لَكَ نَصِيبٌ وَلاَ قُرْعَةٌ فِي هذَا الأَمْرِ، لأَنَّ قَلْبَكَ لَيْسَ مُسْتَقِيمًا أَمَامَ اللهِ» (أع ٨: ٢٠ و٢١).

❖ عندما تصاعدت بعض الأصوات تُنادي بأنَّه على الأُمميِّين الراجعين إلى الله أنْ يتهوَّدوا أوَّلًا، هنا حزمت الكنيسة أمرها، ورأت أنْ لا يُثقَّل عليهم نِير الناموس. مع العلم أنَّ أكثر قادة الكنيسة كانوا أصلًا يهودًا، إلَّا أنَّهم كانوا يُدركون – بطريقةٍ قاطعة – أنَّ الإنسان لا يتبرَّر بأعمال الناموس، بل بإيمان يسوع المسيح. ورغم الروابط العاطفيَّة والقوميَّة التي كانت تربط بين الاثني عشر وبين جمهور اليهود الذين آمنوا بالمسيح، إلَّا أنَّ الكنيسة لم تُعطِهم امتيازًا خاصًّا عن غيرهم، ذلك أنَّ ما استقرَّ في ضمير الكنيسة، هو أنَّ المسيح مات لأجل الجميع، وفي المسيح سيحيا الجميع.

❖ ولمَّا ضعف بعض قادة الكنيسة، وغلبهم الخوف مِن اليهود المؤمنين، فكانوا يتفادون شركة الأُمميِّين المؤمنين في حضورهم؛ وجدوا مِن بين إخوتهم الرُّسُل مَنْ يلومونهم (غل ٢: ١١)، ويكشف انحرافهم عن حقِّ الإنجيل. فلم يكن يجمع قادة الكنيسة مصالح مشتركة تجعلهم يغضُّون الطَّرفَ عن انحراف بعضهم البعض، بل كانت شركتهم في المسيح يسوع هي الهدف. **(يتبع)**

بحث تاريخي

أهم أديرة وكنائس القدِّيسة دميانة في مصر

(١)

الأستاذة الدكتورة/ شيرين صادق الجندي
أستاذ الإرشاد السياحي والآثار والفنون القبطيَّة
بكلية الآداب – جامعة عين شمس

القدِّيسة الشهيدة دميانة:

تُعتَبَر القدِّيسة الشهيدة دميانة من أشهر القدِّيسات والشهيدات في تاريخ الكنيسة القبطيَّة الأرثوذكسيَّة **(الشكل رقم ١).** وقد وُلِدَت في أواخر القرن الثالث الميلادي لأب مسيحي يُدعَى مرقص، وكان واليًا على البرلُّس والزعفران. ويوجد إقليم البرلُّس في شمال الدلتا التى كانت عامرة بالأديرة والكنائس القبطيَّة على مَرِّ العصور المختلفة.



(الشكل رقم ١) أيقونة أثريَّة للقدِّيسة الشهيدة دميانة والأربعين شهيدة. الكنيسة المُعلَّقة للسيِّدة مريم العذراء بمنطقة مصر القديمة.

وعندما بلغت دميانة عامها الأول، تمَّ تعميدها في دير الميمة في جنوب مدينة الزعفران. وبعد أن بلغت عامها الثامن عشر، بدأت حياة الرهبنة واستمرت فيها بصُحبة أربعين عذراء. وفي عصر الإمبراطور الروماني ديوقلديانوس (٢٨٤ – ٣٠٥م)، تعرَّضت دميانة للاضطهاد والتعذيب والسجن هي والأربعين عذراء، إلى أن تمَّ استشهادهن جميعًا. وقد قام القدِّيس يوحنا أسقف البرلُّس John bishop of Parallos بكتابة سيرتها.

وفي القرن الرابع الميلادي، أَمَرَت الإمبراطورة الرومانية هيلانة أُم الملك قسطنطين بتشييد قبر القدِّيسة الشهيدة دميانة والأربعين عذراء، بالإضافة إلى بناء كنيسة لهُنَّ تحوَّلت فيما بعد إلى دير. وفي يوم ١٢ بشنس، قام البابا ألكسندروس الأول البطريرك القبطي الـ ١٩ (٣١٢ – ٣٢٨م)، بتدشين كنيسة لها. كما أُعيد بناء الدير في عهد البابا خائيل الأول البطريرك القبطي الـ ٤٦ (٧٤٢ – ٧٤٣م).

وفي ٢٠ فبراير ١٩٧٩م، اعترف المجمع المقدَّس للكنيسة القبطيَّة بدير القدِّيسة الشهيدة دميانة للراهبات. وأصبح دير القدِّيسة الشهيدة دميانة مركزًا للحج الديني، تتوافد عليه طوال العام الأعداد الغفيرة من الأقباط للاحتفال بأعياد القدِّيسة ولنَيْل بركاتها. وبالأخص يوم استشهادها في ١٣ طوبة / ٢١ يناير، وأيضًا في يوم ١٢ بشنس / ٢٠ مايو[١] وهو يوم تدشين بيعتها في البراري.

١ – دير القدِّيسة الشهيدة دميانة بالبراري:

يوجد هذا الدير القبطي الهام بالقرب من قرية دميانة، وبالقرب أيضًا من بلقاس[٢] في محافظة الدقهلية في منطقة البراري **(الشكل رقم ٢/ أ – ب).** وطبقًا لرواية تقي الدين المقريزي، كان في منطقة البراري أربعة أديرة، منها دير القدِّيسة الشهيدة دميانة. وهو دير مستطيل الشكل ويُحيط به سورٌ خارجي كبير. ويوجد مدخله في الركن الشمالي الشرقي. ويُعتَبَر هذا الدير من أقدم الأديرة القبطيَّة للراهبات في العالم.



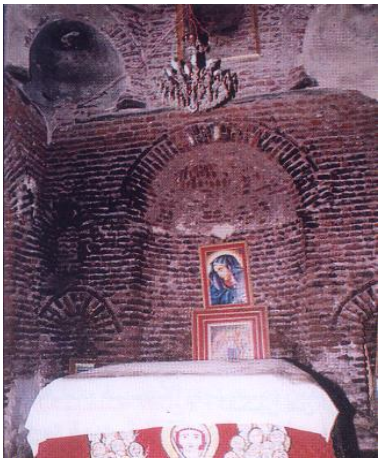
(ب) (أ)

(الشكل رقم ٢/أ – ب) أ. التخطيط المعماري لدير القدِّيسة دميانة بالبراري. نقلًا عن: الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٨١ – ٨٢. ب. منظر عام من الخارج لمباني هذا الدير. نقلًا عن: https://magazine.rosaelyoussef.com

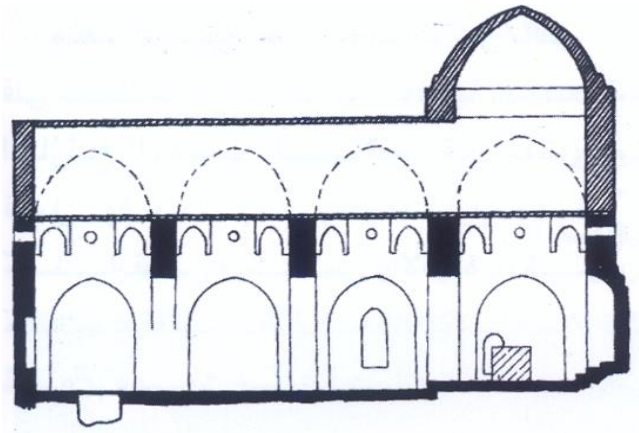
(1) P. Grossmann, «Dayr Sitt Dimyanah (Architecture», *CoptEnc.*, vol. 3, New York, 1991, 870b-872a.

(٢) الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٨١ – ٨٢.

وترجع تسمية المنطقة بالبراري إلى أنها كان بها أراضي بور وغير مزروعة. كما كان البعض منها منخفض عن مستوى سطح البحر، وكان يُغمَر بالمياه وتكثر به النباتات المائيَّة. وأثناء رحلة العائلة المقدَّسة إلى مصر طبقًا للتقليد القبطي الأرثوذكسي، تباركت وتقدَّست المنطقة. وفي عهد الأنبا يوحنا أسقف البرلُّس وفي فترة بابويَّة البابا دميانوس البطريرك القبطي الـ ٣٥ (٥٦٣ – ٥٩٨م)، تمَّت كتابة مخطوطة تضمَّنت شرحًا وافيًا عن القدِّيسة الشهيدة دميانة. وبمكتبة دير القدِّيسة الشهيدة دميانة نُسَخ من هذه المخطوطة.



(ب)



(أ)

(الشكل رقم ٣/أ – ب). التخطيط المعماري ومنظر داخلي للكنيسة الأثريَّة بدير القدِّيسة دميانة بالبراري.
نقلًا عن: الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٨١ – ٨٢.

ويحتوي ديرالقدِّيسة الشهيدة دميانة بالبراري على عدَّة مبانٍ مثل:

أولًا: الكنيسة الأثريَّة للسِّت دميانة أو كنيسة الظهور أو كنيسة المنامة **(الشكل رقم ٣/ أ – ب).** ويوجد مدخلها الرئيسى في الجدار الشمالى من الباكية الغربية. وبها خورسان، وهى تتكوَّن من أربع بواكٍ. يوجد بالباكية الأولى منها الهيكل الرئيسي. كما توجد البواكي الثلاث الأخرى بصحن الكنيسة. وبداخل هذه الكنيسة معمودية صغيرة. وفي عام ١٩٧٤م، تمَّ اكتشاف المذبح الأوسط للكنيسة التي توجد في الناحية الشرقية منها حنية كبيرة يُحيط بها حنية أصغر من كلِّ جانب، وربما تؤرَّخ من القرنين السادس عشر أو السابع عشر الميلاديَّيْن.

ثانيًا: كنيسة القدِّيس الأنبا أنطونيوس الكبير الحديثة. وتحتوي على صالة ذات مدخل شمالي يتقدَّمها عمودان. وفي شمال غرب هذه الكنيسة، توجد المعمودية. كما يتوسَّط

صحنها أربع دعامات مربعة الشكل تحمل فوقها ست قباب، بالإضافة إلى قبو تعلوه بلكونة مخصَّصة للنساء. وتشتمل كنيسة القدِّيس الأنبا أنطونيوس الكبير أيضًا على ثلاثة هياكل تعلوها قباب، وتسبقها ثلاثة أحجبة خشبيَّة ومُطعَّمة. وقد احترقت هذه الكنيسة، لذا تمَّ تجديدها وإعادة افتتاحها سنة ١٩٨٣م. وفي سنة ٢٠٠٣م، عُثِر أسفل هذ الكنيسة على كنيسة أخرى بها أيضًا ثلاثة خوارس وهيكل.

ثالثًا: كنيسة مار جرجس المُزاحم وبها ثلاثة خوارس، إلى جانب ثلاثة هياكل إضافية بدون مذابح. كما يوجد في هذه الكنيسة معمودية للكبار وأخرى للصغار.

رابعًا: كنيسة السيِّدة العذراء التى بناها الأنبا باسيليوس، وكان مطران القدس سنة ١٨٧١م. وبها ثلاثة خوارس وهيكل ومذبح. وأثناء ترميم هذه الكنيسة، عُثر أسفلها على كنيسة أخرى أقدم منها تُعرَف حاليًا باسم: "الكنيسة الأثريَّة".

خامسًا: مزار مدفن القدِّيسة الشهيدة دميانة، وقد تمَّ إنشاؤه في القرن العشرين في الناحية الغربية من الدير. وهذا المزار مربع الشكل وتُغطِّيه قبة عالية.

سادسًا: صهريج المياه وهو أسفل مباني الدير. وتوجد به قبوات تحملها عقود. كما أنه مُبطَّن بمواد من الأسمنت. ويُعتَقَد أنه يؤرَّخ من نفس العصر الذي بُني فيه الدير، أي من العصر الروماني.

وخلال الحفائر الأثريَّة التى بَدَأَتها مصلحة الآثار المصريَّة في الموقع الأثري لدير القدِّيسة الشهيدة دميانة بالبراري، اكتُشفت من حوله بقايا مباني مُتهدِّمة لم يتمكَّن أحدٌ من تحديد ماهيتها أو وظيفتها أو استعمالاتها على مَرِّ العصور المختلفة. ويُعتَقَد أيضًا أنها ترجع كلُّها إلى نفس عصر تشييد الدير. وربما كانت هذه الأطلال هى أجزاء من مساكن العمَّال الذين بنوا الدير. وأمام كنيسة الدير، يوجد دير قديم يُعتَقَد أنه كان مقرًّا لرهبان الخدمة.

(يتبع)







نصوص قديمة

أناشيد سليمان

ترجمة شعريَّة[١]

من مقدِّمة الأنبا إبيفانيوس:

تُعتبر أناشيد سليمان مِن أهم الاكتشافات في مجال الأدب المسيحي المُبكِّر في القرن الميلادي الأول، منذ اكتشاف كتاب "الديداخي". وقد اكتُشف هذا المخطوط عام ١٩٠٥م باللُّغة السريانيَّة، وكان يحوي ٤٢ نشيدًا، بالإضافة إلى مزامير سليمان. وبسبب تواجده مع مزامير سليمان، فقد عُرفت هذه الأناشيد بهذا الاسم.

يُعتَقَد أنَّ هذه الأناشيد كانت تُمثِّل كتابًا للترانيم المسيحيَّة، كان يُستعمل في الصلوات الليتورجيَّة مِن القرن الثاني الميلادي. وتتميَّز هذه الترانيم بالأسلوب التَّصوُّفي (المستيكي) الذي يتَّضح فيه تأثُّر الكاتب إلى حدٍّ كبير بأسلوب القدِّيس يوحنا الإنجيلي. ونحن لا نعثر في هذه التسابيح على أيِّ تعليم يتعارض مع التعاليم التي كانت سائدة في الكنائس الرسوليَّة في القرن الأوَّل أو القرن الثاني.

لذا، فهذه الأناشيد تُمثِّل قطعةً نادرة مِن الأدب الروحاني الأصيل، الذي يتغنَّى كاتبُها بالمحبَّة في أعلى درجاتها، وبتكريس النفسِ الكامل للحياة الروحانيَّة.

كما نُلاحظ أنَّ كلَّ نشيدٍ ينتهي بكلمة هللويا، وهذا معناه أنَّ هذه الأناشيد هي للترنيم والتسبيح، وليست للتوبة والندامة. كما أنَّ ارتباطها بمزامير سليمان يُعطي انطباعًا أنَّه بعد مزامير التضرُّعات والانسحاق، تأتي دائمًا أناشيد الفرح والتسبيح.

وسنُقدِّم مُتفرِّقات من بعض هذه الأناشيد:

(١) الرَّبُّ إكليل فخري

الـــربُّ إكليـــلٌ يُتـــوِّجُ هـــامتي ورأسي ... فبدونِـــه مِـــنْ أيـــن لي أنْ أحيـــا وأمشـــي
قـــد ضـــفَّروا لي إكليـــلَ حـــقٍّ ونُصـــرة ... فأفرخـــت في أحشـــائي أغصـــانُه كـــلَّ نعمـــة

---

(١) ترجمة راهب من دير القدِّيس أنبا مقار، تقديم الأسقف الشهيد الأنبا إبيفانيوس رئيس دير القدِّيس أنبا مقار. وهو مُترجم عن: *Les odes de Salomon*, Desclée de Brouwer, 1983. وقد صَدَرَ عن مدرسة الإسكندريَّة، دار النشر والتوزيع: يناير ٢٠١٧م، ويتكوَّن الكتاب من ١١٤ صفحة من القَطْع الصغير. وفي الصفحة الأولى من الكتاب يأتي تحت العنوان أن هذه ترجمة بتصرُّف بسيط لدواعي الصياغة الشعريَّة .

إكليـــلٌ لا يُضـــارَع بـــالآخر الـــذابل فـذاك عقـيمٌ، لا يُخـرِجُ بـراعمَ وسـنابل
إكـليلي ثمـارُه عظيمـةٌ لـيس فيهـا معيـب وكلُّها مملوءةٌ من فائقِ خلاصِك العجيب

(٢) عُرسُ الحبيب

محبَّـــــةُ الـــــربِّ ... تكســـــوني مثـــــلَ ثـــــوبٍ قشـــــيب
فـــــدَنَت مـــــنِّي أطرافُـــــهُ وصـــــارت عـــــن قريـــــب
فضـــــمَمتُها أنـــــا لصـــــدري، أمَّـــــا هـــــو فعـــــانقني بترحيـــــب
حقًّـــــا! مـــــا كنـــــتُ لأعـــــرفَ كيـــــف أهـــــيمُ بـــــربٍّ مهيـــــب
لـــــو لـــــم يكـــــن قـــــد ســـــبقَ هـــــو وأحبَّـــــني بحـــــبٍّ عجيـــــب
فمَـــنْ يقـــدر أن يُـــدرك عمـــقَ المحبَّـــةِ ويتفهَّمهـــا بعقـــلٍ لبيـــب؟
ســـوى ذاك الـــذي صـــار بمحبـــوبٍ، بـــل وأيضًـــا أحـــلى حبيـــب
أُعـــانقُ الحبيـــبَ، فـــروحي تتطلَّـــعُ إليـــه حبًّـــا بشـــوقٍ وترغيـــب
تُـــرى أيـــن تكْمُـــنُ راحـــةُ ســـيِّدي فهنـــاك حتمًـــا أذُقُّ أوتـــاد خيمـــتي
ولـــن أكـــون غريبًـــا فيمـــا بعـــد أو نـــزيلًا لأن العـــليَّ يـــرحمُ مَـــنْ كـــان مـــثلي هزيـــل
هـــا أنـــا متَّحـــدٌ بـــه، وثابـــتٌ فيـــه فالمُحـــبُّ وجـــدَ فيَّ حبيبًـــا يبتغيـــه
ولأني أحـــــبُّ ابـــــن الله حقًّـــــا فسأصـــــيرُ أنـــــا كـــــذلك لله ابنًـــــا

هللويا!

(٥) الربُّ حصنُ حياتي

أشـــــكرُك يـــــا ربي وإلـــــهي فأنـــــتَ موضـــــعُ حُـــــبِّي واعـــــتزازي
فـــلا تُهملـــني يـــا خـــالقي المُتعـــالي لأنـــك أنـــت حِصـــني ورجـــائي
نعمتُـــــك مجَّانًـــــا أعطيتـــــني وحقيقـــــة بهـــــا قـــــد أحييتـــــني
مُضـطهِديَّ عـلى الأبـوابِ حـالًا يقرعـون ولكـنَّ وجـهي أبـدًا سـوف لا ينظـرون
فسُـحُبٌ وضـبابٌ عـلى عيـونِهم نـازلون وبريـاح الظـلامِ حتمًـا سـوف ينطمسـون
والنـورُ سـينحجبُ عـنهم فـلا يُبصـرون أمَّـا عـن الإمسـاكِ بي فسـوف يعجـزون
لتُبطَـــلْ عـــنِّي ســـائرُ مكائِـــدهم ولترتـــدَّ خائبـــةً فـــوقَ رؤوسِـــهم
فقـــد هيَّـــأوا ضـــدِّي شـــرَّ خُطَطِهـــم أمَّـــا أنـــتَ فقـــد بـــدَّدتَ مشـــورتَهم
وأضـــمروا لي بســـوءِ نيَّـــتِهم وهـــا هي قـــد تعـــرَّت جهـــارًا قـــدَّامهم
ولـــو تزعزعـــت الأرضُ كلُّهـــا بهـــزَّات ســـأدومُ مُنْتَصـــبًا رغـــمَ كـــلِّ العـــثرات

وإذا فَنِيَتْ وتلاشَتْ كلُّ المرئيَّات فلن أموتَ أبدًا مثلَ باقي الكائنات
فالذي معي هو الربُّ إلهُ القوَّات فأحيا معه وهو معي في ثبات
هللويا

(١٠) من الأَسْر إلى الحريَّة

الربُّ قادَ فمي بكلمتِه الأزليَّة وفتحَ قلبي بنورِهِ وومضاتِه السَّنيَّة
وأسكنَ فيَّ حياتَه الدائمة الأبديَّة وجعلني أُبشِّر بثمرةِ خلاصِهِ الشَّهيَّة
لكي أهدي جميعَ النفوسِ البعيدة هذه التي تحنُّ إلى العودةِ السعيدة
وأجعل منها أسرى لعبوديةٍ جديدةٍ مُفْرِحةٍ وسارةٍ وفي نوعِها فريدة
وقادرةٍ أن تُعطيَهم حقًّا حريَّةً مجيدة
قد أخذتُ قوَّةً وشجاعةً عظيمة وكبَّلتُ أُممًا واستعبدتُها لله ببراعة
فصارت لي لمجد العليِّ ولله مُبتاعة والشعوب المُشتَّتة توحَّدت في جماعة
فهم يُسبِّحوني في الأعالي مع صفوفِ الملائكة ويحتفظون بآثارٍ من النورِ في قلوبهم الدافئة
فقد سلكوا طريقي، واشتركوا في حياتي الفائقة فنالوا الخلاصَ، ومعي يدومون في أبديَّةٍ هانئة
هللويا

(٢٩) قضيبُ السُّلْطَة

الربُّ رجائي، فالخِزيُ لن يُصيبني لأنَّه حسبَ عظمتِهِ تعاهدني
وبموجَبِ صلاحِهِ قد كافأني وبمُقتضى رحمتِه قد مجَّدني
وبقدر جلالِهِ وبهائِهِ رفعني
هو الذي أصعدني مِن أعماقِ الهاوية واجتذبني من فمِ الموتِ وقبضتِهِ العاتية
وأذلَّ أعدائي، وبرَّرني بنعمتِهِ الشافية
قد آمنتُ بمسيح الربِّ القدُّوس وصدَّقتُ أنَّه ربُّ كلِّ النفوس
فقد أراني علامتَهُ، المُرعبة للمنجوس وقادني بنورِهِ إلى طريق الفردوس
قد أعطاني الربُّ قضيبَ سلطانِهِ الجبَّار لكي أُخضِعَ أفكارَ الشعوبِ والأُمم الأشرار
وأواضع عُنفوانَ الأشدَّاء، وجبروت الفُجَّار وأُقاتِل بكلمتِهِ، وأغلبَ بسلاحِ قوَّتِهِ القهَّار
لقد صرعَ الربُّ عدوي بفعلِ كلمتِهِ فحملَهُ الريحُ كتبنٍ من وجهِ حضرته
فأعطيتُ المجدَ للعليِّ على شدَّة قوَّتِهِ لأنه قد عظَّم عَبْدَهُ، ورفعَ ابنَ أَمَتِهِ
هللويا

Living with Christ

Articles of Comfort and Blessings
Offered to the Reader

Enjoy your reading on the exposition of our Father Matta El-Meskeen to the verses of the Scripture! Note: *All quotations are taken from the* ***New King James Version,*** *if not otherwise mentioned.*

Volume Four

Chapter 80
"God, be merciful to me a sinner!" (Luke 18:13).

THIS IS A SHORT PRAYER that monks teach to those who newly enter the monastic life. It is the prayer of the tax collector, which he said while ashamed of himself, beating his chest. Such a man is contrasted to the Pharisee who prayed proudly that he was not like the despicable tax collector, because he was praying with a haughty head, comparing himself to the sinful tax collector. Thus, the tax collector went down to his house forgiven, whereas the Pharisee's sins were not forgiven.

This prayer would make the soul enter a state of stillness and peace, rather of trust in and joy with God. So, many monks became experts at this prayer as it was a door to heaven, open before God. Then, this short prayer progressed to other prayers that people excelled at, for it is a successful key to the amateur monk, which no other prayer outmatches. Knowing that Christ Himself was the one who cited it, it is supported by the mind of Christ who accepts every prayer that pleases Him. We say it here, being influenced by its impression on the heart, its control over the conscience and the comfort it brings. The testimony of generations of monks to this prayer confirms its truth and its unique influence in the person searching for the beginning of the spiritual life, and who loves discipleship to Christ and the saints. Oh what happy days, those on which we spent hours praying without limits, without any preoccupation of the mind. We offer it as a gift from our first days of monasticism, where its fruit would come when the person gets used to this prayer and it becomes at the level of conversing with God.

Seeking mercy from God is fitting for every hour. When a person tastes this prayer incessantly in his life, he keeps on repeating it out of feeling its favor toward him, for it pulls back the wandering mind, and brings it back to the presence of God, so that the mind becomes accustomed to wakefulness and union with God in the easiest way, namely the way of habit building.

Repetition in a low voice is easier than silent repetition, because using a low voice incorporates the sense of hearing into the constant exercise, thus, making it more rooted in the mind. So if the mind stops, it returns to the exercise with ease and simplicity. If the mind becomes absent for a while from repetition, it returns to this prayer remorseful, because conscious repetition creates a sense of necessity, for the mind does not depart from the truth of the prayer that is established in the mind as the work of God, and which surpasses any other work of the mind. This prayer is considered a way to God, which Christ revealed, as a simple way for the person who seeks God, undecorated by many words and meanings. In this very short prayer is concentrated everything that man needs and everything that God desires. Extremely short and exceedingly humble. It suffices that it comes from the mouth of Christ. As an honor to Christ, it is considered the most beautiful prayer, for He knows man's needs better than man himself. For all of man's needs are from Him, and He is ready to give them to whoever asks. He has made a sure promise: "Ask, and it will be given to you; seek, and you will find; knock, and it will be opened to you,"[1] which covers all of man's needs. For He also said, "Until now you have asked nothing in My name. Ask, and you will receive, that your joy may be full."[2]

January 5, 2006

---

[1] Matthew 7:7.

[2] John 16:24.

Chapter 81

"My dear children, I write this to you so that you will not sin. But if anybody does sin, we have an advocate with the Father—Jesus Christ, the Righteous One"

(1 John 2:1).

THE APOSTLE JOHN is the apostle of sinlessness, and the only one who said that the children of God do not sin. This is on the basis that the child of God is born again of the Spirit and that he who sins proves that he is not born of God and did not know Him. This is the most marvelous thing mentioned in the Bible. Saint John wrote in the Bible the last words that Christ said before the cross: "And I have declared to them Your name, and will declare it, that the love

with which You loved Me may be in them, and I in them."[1] Let the reader realize the beauty in expression, for He says that if they have "the love with which You loved Me," speaking to the Father, "I [become] in them." The beauty here is that Christ is considered to be the love of the Father, so if the love of the Father is in them, consequently, Christ would be in them.

Christ is the love of the Father, which is why we are considered the children of God. Love was embodied[2] in Christ, for God is love and Christ is love, and whoever loves Christ, the love of the Father is embodied in him, for the Father and the Son are one. Here is the magnificence of theology in Christianity, for he who loves Christ, loves the Father by default. So, the call to the love of Christ is an official invitation to Christian theology. This is why Christ says, "…I am in the Father and the Father [is] in Me."[3] This is the one mystical entrance for man, for him to become one with the Son and the Father. This is the brilliant pearl in Christianity, for which the wise man sold all that he had and bought. He who buys it, would be counted one of the wealthiest in the world because it is equal to the eternal kingdom of the Father and the Son, for heaven and earth shall pass away but the kingdom of God remains the same forever.

This greatness, my beloved, is an invitation to the love of the Father and the Son. It is a true invitation to selling the world for buying the pearl which is Christ's divinity. So "sell what you have and give alms"[4] to inherit the kingdom of heaven. For giving alms is the price of love; and when alms multiply, they bestow this great wealth.

This is the most marvelous thing that Christ said and that was recorded in the Bible. It is a transactional calculation which is won by everyone who "has believed our report, and so the arm of the Lord has been revealed to him"[5]. He, to whom the arm of the Lord has been revealed, sees the Lord with an unveiled face, so he can no longer tolerate the world, and the world stops tolerating him, because he carries the name of the Lord. And the name of the Lord is hated in the world because it is regarded as being against the world. Nevertheless, the name of the Lord is sufficient for its bearer, because it is food indeed and drink indeed, and he who eats it abides in the Lord and the Lord abides in him, eating from His hand the food of truth, and drinking from the truth that springs up from under His feet.

January 7, 2006

---

[1] John 17:26.

[2] In other words, love does not only become a virtue, but rather becomes in the essence of the nature of the person born of God.

[3] John 14:10.

[4] Luke 12:33.

[5] Cf. John 12:38.

‘Christ Has Risen, He Has Truly Risen’

THIS IS THE GREETING OF THE RESURRECTION. Together we will consider the power of the resurrection and its effect.

To rouse our spiritual awakening, the first question we ask is: What is the essence of the power of the resurrection? Rather, what is the essence of the power of Christ’s death on the cross? Without hesitation, we answer according to the verse at the beginning of St John’s Gospel that it is God’s love to the world: “For God so loved the world that he gave his only Son, that whoever believes in him should not perish but have eternal life” (Jn 3:16). God’s love to the world is what made Him give His only Son to the cross.

Consequently and inevitably faith in the death and resurrection of Christ, the essence of the creed of faith and redemption, is faith in God’s love for the world.

This results in a pragmatic simplification. God’s love is equal to the power of the sacrifice of death together with the power of the action of the resurrection.

Now I am addressing those who have knowledge of the principles of theology. The power of the act of death on the cross is the forgiveness of sins, and the power of the action of the resurrection from death is reconciliation with the Father and the gaining of righteousness with eternal life.

The immediate result of God’s love for us is the mystery of the forgiveness of our sins, the offer of righteousness and eternal life. This is the essential truth on which we put all our focus today to declare that it is impossible for our sins to be forgiven without our realizing, evaluating and accepting God’s love for us and reciprocating this love with love! It is also impossible to make peace with God the Father and gain His righteousness and eternal life without growing into, coming to know and acquiring God’s love for us. Because, as we know, it is in God’s love that is manifest the mystery of the forgiveness of sins and eternal life!

How can we realize, evaluate, and accept God’s love for us?

Christ revealed the means clearly in the Gospel. It is the primary relationship God required from man in order to bind together God and man. “And he (Jesus) said to him: ‘You shall love the Lord your God with all your heart, and with all your soul, and with all your mind. This is the great and first commandment. And a second is like it, you shall love your neighbor as yourself’” (Mt 22:37-39).

In his First Epistle St John explains the basic relationship between God’s love for us and our love for God as follows: “We love Him, because he first loved us” (1 Jn 4:19 NKJV). St John also presented the negative: “He who does not love does not know God; for God is love” (1 Jn 4:8). St John then proves all that has been previously said: “In this

the love of God was made manifest among us, that God sent his only Son into the world, so that we might live through him (herein lies a hint of the resurrection). In this is love, not that we loved God but that he loved us and sent his Son to be the expiation for our sins (herein lies a hint to the death of the cross)" (1 Jn 4:9, 10).

St John thus proved what we said about the forgiveness of sins and eternal life that exist and act in us through God's love for us. For that reason Christ placed God's command of love in the first and greatest place and that it must be with all the heart, soul and mind. Christ gives the reason with this equation: "He who loves me will be loved by my Father, and I will love him" (Jn 14:21). The only way to gain the power of God's love is to love God in which the forgiveness of sins and the righteousness of our eternal life exist!

Now, dear friend don't you find that it is impossible for us to claim we have faith in Christ's death and resurrection, the core of Christian faith, unless our love for Christ is a true, sincere and effective love?

It is therefore the power of the resurrection of the Lord Jesus that is today manifest and effectual in those who truly love Jesus Christ with all their hearts, souls and minds! These are the hearts, souls and minds that are considered to have actually risen with Christ and live with eyes looking upwards. How? Is there an explanation? Today, this is my message:

Now I go back to the first verse: "For God so loved the world that he gave his only Son, that whoever believes in him should not perish but have eternal life" (Jn 3:16). When we contemplate this verse, the beginning and the origin, for a moment we are stopped in our tracks before the question: why has God loved the world, or in the English words "so loved" it, and to such a great degree? The Divine love existed before the Son's sacrifice on the cross. It was in fact the reason for that sacrifice. Why? How? What is its meaning?

These questions contain the mystery of the creation of the world and mankind, and even before that. St Paul reveals it in unique and promising verses that encompass the whole Gospel. St Paul in the first chapter of his Epistle to the Ephesians says:

"Blessed be the God and Father of our Lord Jesus Christ, who has blessed us with all the spiritual blessings in heavenly places in Christ: According as he hath chosen us in him before the foundation of the world, that we should be holy and without blame before him in love: Having predestinated us unto the adoption of children by Jesus Christ to himself, according to the good pleasure of his will, To the praise of the glory of his grace, wherein he hath made us accepted in the beloved, In whom we have redemption through his blood, the forgiveness of sins, according to the riches of his grace; Wherein he hath abounded toward us in all wisdom and prudence; Having made known unto us the mystery of his will, according to his good pleasure which he hath purposed in himself; That in the dispensation of the fullness of times he might gather together in one all things in Christ, both which are in heaven, and which are on earth; even in him: In whom also we have obtained an inheritance, being predestinated according to the purpose of him who worketh all things after the counsel of his own will: That we should be to the praise of his glory, who first trusted in Christ" (Eph 1:3-12 KJV). (To be continued)

To What Height Did He Raise Our Nature

But to what nature did He say, *Sit thou at my right hand?* It was to that which had heard the words: *Dust thou art, and into dust thou shalt return*. But did He not so raise it above the heavens? Did He not upraise it to stand amid the angels? Was not this honor without measure? It ascended above the heavens, it ascended above the angels, it passed upwards beyond the archangels, above the Cherubim, it soared above the Seraphim, higher than all the Powers of heaven, and came to rest only before the Throne of the Lord…. Above this immense intervening void, to the very summit, has He raised our nature. Consider how low it was, and whither it has ascended. For it was not possible to descend lower than man had descended, or to go higher than Christ has now raised it. And Paul made this clear where he says: *He that descended is the same also that ascended*. (Eph. iv. 10, 9).

In Ascensione,
The Sunday Sermons of the Great Fathers, vol. 2, pp. 434-435.

****

ἐκ τοῦ ἁγίου Ἰωάννου τοῦ Χρυσοστόμου

Πρὸς ποίαν φύσιν εἶπεν ὁ Θεὸς, Κάθου ἐκ δεξιῶν μου; Πρὸς ἐκείνην τὴν ἀκούσασαν, Γῆ εἶ, καὶ εἰς γῆν ἀπελεύσῃ. Οὐ γὰρ ἤρκει ὑπερβῆναι τοὺς οὐρανούς; οὐ γὰρ ἤρκει μετὰ ἀγγέλων στῆναι; οὐκ ἦν ἄφατος καὶ αὕτη ἡ τιμή; Ἀλλ᾽ ὑπερέβη ἀγγέλους, παρῆλθεν ἀρχαγγέλους. ὑπερέβη τὰ Χερουβὶμ, ἀνέβη ἀνώτερον τῶν Σεραφεὶμ, παρέδραμε τὰς ἀρχὰς, οὐ πρότερον ἔστη, ἕως οὗ τοῦ θρόνου ἐπελάβετο τοῦ Δεσποτικοῦ. ... Τοῦτο ὅλον τὸ διάστημα καὶ τὸ ὕψος τὴν φύσιν τὴν ἡμετέραν ἀνήγαγε. Βλέπε ποῦ κάτω ἔκειτο, καὶ ποῦ ἀνέβη· οὔτε καταβῆναι ἦν κατώτερον, οὗ κατέβη ὁ ἄνθρωπος, οὔτε ἀναβῆναι ἀνώτερον, οὗ ἀνήγαγεν αὐτὸν πάλιν. Καὶ ταῦτα δηλῶν ὁ Παῦλος ἔλεγεν· Ὁ καταβὰς αὐτός ἐστι καὶ ὁ ἀναβάς.

Εἰς τὴν ἀνάληψιν τοῦ Κυρίου ἡμῶν Ἰησοῦ Χριστοῦ
PG, 50, 441-452.

St. Mark *Monthly Review*
Published by: The Monastery of St. Macarius the Great, Wadi El-Natrun.
ANNUAL SUBSCRIPTIONS (10 issues a year, July& August excluded, sent by Int. Courier):
U.S. $150.00
Subscriptions to be paid through our Website as mentioned below, or sent by a check to:
"St Macarius Printing House", P.O. Box 1574, Centreville, VA 20122, USA.
No materials may be reproduced in whole or in part without written permission from the publisher.
© 2026
by the Monastery of St. Macarius the Great.
Library of Congress Catalogue Card Number: 80–960629. ISSN 2805-2382
VISIT THE WEBSITE OF THE MONASTERY: WWW.STMACARIUSMONASTERY.ORG

ST. MARK May 2026

Monthly Review



St Mark the Evangelist

[His memorial 30th of Baramuda (8 May)].

مـــــرقس
رسالة الفكر المسيحي
للشباب والخدام
يونيو ٢٠٢٦



تذكار دخول المسيح أرض مصر

(٢٤ بشنس / أول يونية)

أيقونة العائلة المقدَّسة في رحلتهم إلى أرض مصر

(انظر: مت ٢: ١٣ – ٢٢)

(أيقونة ترجع إلى القرن الثامن عشر)

مرقس

رسالة الفكر المسيحي للشباب والخُدَّام

السنة ٧٠ **يونية ٢٠٢٦م.**

العدد ٦٧٥ **بشنس/ بؤونة ١٧٤٢ش.**

المحتويات

الافتتاحية: كلمة قداسة البابا تواضروس الثاني:

احذر "العيون المُتعالية" ١

مقال للأب متى المسكين: تبكيت الروح القدس ٦

بمناسبة الذكرى العشرين لنياحة الأب متى المسكين:

دراسات ورسائل علميَّة ١٠

مقارنة ... فيما يخصُّ مفهوم الشركة مع الله..... ١٩

أعمال الأب متى المسكين ومنهجه الأدبي ٢٦

الحياة الأخلاقيَّة وارتباطها بالحياة الروحيَّة ٣٠

الأب متى المسكين راهبٌ من زماننا ٣٤

بمناسبة عيد العنصرة:

ماذا حدث يوم الخمسين؟ ٣٧

من التراث الكنسي:

"نؤمن بالروح القدس"..... ٤٣

ادخل إلى العمق (٦٣):

القيامة وحلول الروح القدس ٤٩

بحث تاريخي:

أهم أديرة وكنائس القدِّيسة دميانة في مصر (٢) ٥٣

تقديم كتاب: تجديد الفكر اللاهوتي الفلسفي ٥٦

مقال بالإنجليزية:

Christ Has Risen, He Has Truly Risen ٦٤

من تعليم آباء الكنيسة

للقدِّيس كيرلس الأورشليمي

الرُّوح القدس يُشعِل أعماق النَّفْس

(ترجمة النص اليوناني الآبائي المنشور في باطن الغلاف الأخير)

[نزل (الرُّوح القدس) لكي يُلبِس الرُّسُل قوَّةً ويُعمِّدهم،
لذلك يقول الرَّبُّ:
«وَأَمَّا أَنْتُمْ فَسَتَتَعَمَّدُونَ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ،
لَيْسَ بَعْدَ هذِهِ الأَيَّامِ بِكَثِيرٍ» (أع ١: ٥).
هذه النِّعمة ليست جزئيَّة: فقوَّتها كاملة في ذاتها.
فكما أنَّ الَّذي يغطِس في الماء ويتعمَّد
يكتنفه الماء من كلِّ جانب،
هكذا هم اعتمدوا بالكامل بالرُّوح القُدس.
لكن الماء يكسو الخارج فقط،
وأمَّا الرُّوح فيُعمِّد النَّفْس من الداخلِ،
ولا يستثني شيئًا منها. لماذا تتعجَّب؟
خُذْ مثالًا جسديًّا صغيرًا بسيطًا، ونافعًا للبُسطاء:
لو أنَّ النَّار عبْرَ تخلُّلها كثافةَ الحديدِ
تجعله كلَّه نارًا من الدَّاخل،
حتَّى إنَّ ما هو بارد يُصبح حارًّا،
وما هو أسود يُصبح مُضيئًا؛
فإن كانت النَّار الماديَّة حينما تتخلَّل الحديد الماديَّ
هكذا تعمل بدون عائق،
فلماذا تتعجَّب إنْ كان الرُّوح القُدس
يدخل إلى أعمق أعماق النَّفْس؟].

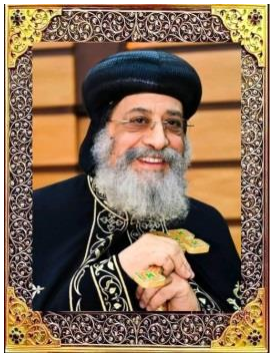
(عظة ١٧: ١٤)

مرقس: يصدرها ديـر القديس أنبا مقار ـ برية شيهيت

مكتب التوزيع والاشتراكات
القاهرة: ٢٨ شارع شبرا
تليفون: ٢٥٧٧٠٦١٤
٠١٢٨٢٧٥٢٣٢٤
٠١٠٢٣٨٢١٣٨١
الإسكندرية: ٨ شارع جرين - محرم بك
تليفون: ٠٣٤٩٥٢٧٤٠
تصفَّح مجلة مرقس في موقع الدير على الإنترنت:
www.stmacariusmonastery.org
عنوان البريد الإلكتروني:
stmarkcare@gmail.com

رئيس التحرير: الأب سرجيوس المقاري
تسديد الاشتراكات:
عن طريق خدمة أورانج كاش
وفودافون كاش
الخاصة بأرقام تليفون المجلة
وهي:
٠١٢٨٢٧٥٢٣٢٤
٠١٠٢٣٨٢١٣٨١
وتبدأ سنة الاشتراك
في يناير من كل عام
مطبعة دير القديس أنبا مقار

ثمن النسخة ٢٠ جنيهًا
الاشتراك السنوي: حدُّه الأدنى:
٢٠٠ جنيه: داخل مصر (تسليم باليد)
٣٥٠ جنيهًا: في حالة الدفع عن طريق المُحصِّل
٣٠٠ جنيه: في حالة الدفع عن طريق:
خدمة أورانج كاش وفودافون كاش
١٥٠ دولارًا أمريكيًّا: في البلاد الأخرى
عنوان المراسلات:
ص. ب ٣١ شبرا ـ القاهرة
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢١٧ / ٢٠٢٦
الترقيم الدولي: ISSN 2805-2382



احذر
"العيون المُتعالية"
(أم ٦: ١٧)



وصايا قصيرة جدًّا

لصاحب القداسة
البابا تواضروس الثاني

العين نوعان:

١ – **عيون مُتعالية:** وهي عيون مُتكبِّرة أرضيَّة لا ترى إلَّا نفسها.

٢ – **عيون مرفوعة:** وهي عيون متَّضعة مُصلِّية، ذات صِلَة بالله. فهي إلهيَّة لا ترى في حياتها إلَّا يد الله التي تعمل.

أولًا: كيف يرى المُتعالي نفسه؟ وكيف يتعامل مع الآخرين؟

(١) رؤية المُتعالي لنفسه:

- المُتعالي يرى في نفسه الإنسان الذي لا يُخطئ أبدًا، فهو "بارٌّ في عينَي نفسه"، ولا يستطيع أن يقول كلمة "متأسِّف"، وإن نبَّهه أحدٌ إلى خطإٍ واضح، يُبرِّر خطأه أو يُغطِّيه بالكذب أو بالأعذار بعيدًا عن التوبة والاعتراف، فهو على الدوام صح لا يُخطئ أبدًا.
- يرى نفسه أنه يجب أن يكون الأوَّل دائمًا، يريد أن يكون اسمه لامعًا، تكون كلمته هي الأُولى، مكانه يكون واضحًا، صوته أعلى.
- يعتزُّ بذاته، يظنُّ في نفسه أكثر من حقيقتها بكثير.
- يفتخر بقدراته ومواهبه، ويتكلَّم عن نفسه كثيرًا، كما أنه يعتمد على نفسه وليس على الله.
- يرغب أن يعيش في حريَّةٍ مُطْلَقَة، حتى لو أدَّى الأمر أن يعصي كلَّ وصايا الله.
- يُكثِرُ الحديث عن نفسه وفضائلها وعن قدراته، وأنَّ الأرض لم تُنجِب مثله من قبل ولا من بعد، لا يذكر أبدًا أيَّ ضعفٍ من ضعفاته.
- يحب أن يرى خضوع الغير له، يشتاق أن تكون له شعبية، وأن يكون محبوبًا من الغير ومقبولًا منهم.

مثال: هامان الشرير:

عندما دخل هامان أمام الملك أَحَشْويرُوش، سأله الملك: ماذا يُفعَل للإنسان الذي يحب الملك أن يُكرِمه؟ وكان بالطبع يقصد مردخاي الذي أنقذ حياته من الموت.

أمَّا هامان المُتكبِّر والمُتعالي فقد قال في نفسه: «مَنْ يُسَرُّ الْمَلِكُ بِأَنْ يُكْرِمَهُ أَكْثَرَ مِنِّي؟» (أس ٦: ٦). ولذلك أَخَذَ يُفكِّر في نفسه.

ما هي التمنيات التي يودُّ أن ينالها من الملك؟ ففكَّر أن يصير مثل الملك في العظمة، فاقترح على الملك:

- تُعطَى له ملابس الملك ليلبسها.
- فرس الملك ليركب عليه.
- تاج الملك ليوضع على رأسه.
- أحد رؤساء الملك يأخذ هذه الثلاثة ويُعطيها لهذا الرجل، ويسير أمامه في ساحة مدينة شوشن القصر مُناديًا بأنَّ: "هذا هو الرجل الذي يُريد الملك أن يُكرِمه".

فأَمَرَه الملك بأن يصنع هذا مع مردخاي، وأن يكون هو الشخص الذي يسير أمامه. وفعل هامان بالتدقيق كلَّ شيء، ولكن كان مُغتمًّا في قلبه جدًّا. وبعد أن كان هامان يُعِدُّ صليبًا لمردخاي، صارت هذه الوسيلة من العقاب هي لهامان نفسه.

إنَّ الكبرياء والتَّعالي تُعمي عينَي الإنسان فلا يرى الحقيقة، وتُسقِطه في الأنانيَّة فلا يرى إلَّا نفسه، مِمَّا يُعرِّض نفسه لمتاعب كثيرة تؤدِّي في النهاية لهلاكِه.

(٢) تعامُل المُتعالي مع الآخرين:

- ❖ المُتعالي يُعامِل الناس بعجرفةٍ، فيظهر ذلك في نظراته، في مشيته وجلوسه، في أسلوب كلامه. فهو ينظر إلى الناس من فوق، ويتجاهل أصدقاءه القُدامى.
- ❖ يميل إلى السيطرة في مُعاملاته، لأنه يطلب أن يكون دائمًا في المُقدِّمة، ويجد متعةً في كَسْر النُّظُم، والتَّعالي على الأوضاع السائدة.
- ❖ يجد متعةً في إصدار الأوامر، ويكون له أتباعٌ يُنفِّذون تعليماته دون سؤالٍ أو مناقشة. ويجد متعةً في الاستماع لمدح الناس له.

❖ قد يجرح إحساس إنسانٍ دون أن يعمل حسابًا لذلك.

❖ في تعامُله مع الآخرين، يميل للأَخْذ أكثر من العطاء.

❖ قد يتكلَّم عن الغير بأسلوبٍ غير لائق، فيه الإدانة والشتائم وألفاظ التجريح والألفاظ القاسية؛ وفي كل ذلك، لا يحسب نفسه قد ارتكب خطأ، بل هذا من حقِّه، رغبةً منه في الإصلاح والغيرة.

❖ إنْ لم يقتنع غيره برأيه، يثور ويغضب، ما دام لم يستَطِع مُعالجة الموضوع بالرأي والفكر والإقناع.

مثال: رحبعام بن سليمان:

مَلَكَ رحبعام بعد أبيه سليمان، إلَّا أنه لم يكن حكيمًا مثل أبيه رغم كِبَر سِنِّه (٤١ سنة)، فأتت إليه جماعة إسرائيل وطالبوه بأن يُخفِّف عنهم الضرائب والأوامر القاسية، ليكون شرطًا لخضوعهم له.

في أول الأمر، استشار الحكماء من الشيوخ الذين عاونوا أباه سليمان، وقالوا له: "إنْ كلَّمتَهم باللِّين وراعيتهم، سيخضعون لك طوال حياتك".

إلَّا أنه سمع نصيحة الشباب، فكانت مشورتهم مختلفة، بأن يكلِّم الجماعة بكبرياء وقسوة، فيضمن خضوعهم. وأشاروا عليه أن يقول لهم: «إِنَّ خِنْصَرِي (الإصبع الصغير) أَغْلَظُ مِنْ مَتْنَيْ أَبِي (نهاية الظهر)» (٢أخ ١٠: ١٠). وهذا يعني أنه أقوى وأقسى من أبيه، "وإنْ كان أبي قد ضربكم بالسياط، فأنا أُعاقبكم بالعقارب". وبالفعل عندما جاء إليه ممثِّلو الشعب مرَّةً أخرى، استخدم معهم ألفاظًا قاسية، وعمل بنصيحة مستشاريه من الشباب؛ فانقسمت المملكة ولم يتراجع رحبعام عن كبريائه وتعاليه.

ثانيًا: كيف يرى الآخرون المُتعالي؟ وكيف يتعاملون معه؟

(١) رؤية الآخرين للمُتعالي:

ترى الناس الشخص المُتعالي بعدَّة صفاتٍ رديئة، هي:

١. إنه شخصٌ "مُتعجْرِفٌ" مُنتَفِخ من الداخل، ويظهر ذلك في أسلوب كلامه ومشيته وجلوسه.

٢. يَرَوْنه إنسانًا "مقاوح" يريد أن ينتصر في كلِّ مناقشاته مع الآخرين، متشبِّثًا برأيه.

٣. يَرَوْنه كثير الجدل والنقاش لتبرير ذاته، ويجدون التعامُل معه ليس سهلًا.

مثال: شاول الملك:

شاول هو أول ملك لأسباط بني إسرائيل الاثني عشر، وقد اختاروه مَلِكًا لهم بمعايير بشريَّة. اجتمع الفلسطينيون بجيشٍ عظيم لمُحاربة بني إسرائيل بقيادة شاول. وأمام هذه الأعداد الهائلة للفلسطينيِّين، ارتعب الشعب المُلتف حول شاول وهربوا واختبأوا. إلَّا أنَّ صموئيل النبي عندما عَلِمَ بذلك، أعطى ميعادًا لشاول أنه سيأتي إليهم بعد سبعة أيام ليُصعِد ذبائح ويُبارك الشعب قبل المعركة.

ولكن يبدو أنه تأخَّر عن ميعاده وبدأ الشعب يتسرَّب من وراء شاول، ومع تأخُّر صموئيل وخوف شاول، ضاقت نفسه وفَقَدَ حكمته وقرَّر أن يقوم بعمل صموئيل، بأن يُقدِّم الذبائح بنفسه، وهذا العمل خَصَّ به الله الكهنة فقط.

وعندما وصل صموئيل، كان شاول قد انتهى من تقديم المُحرَقَة، وخرج شاول لاستقباله وأَخْذ البركة منه، إلَّا أنَّ صموئيل عرف ما فعله شاول. فقال له صموئيل: «ماذا فعلتَ؟». فبدأ شاول يُبرِّر ما فعله بأنَّ السبب هو تأخُّره.

❖ هنا يظهر كبرياء شاول الذي جعله يتطاول ويقوم بأعمال الكهنوت، وعندما واجهه صموئيل بما فعل، لم يَتُبْ ويتأسَّف بل برَّر خطأه.

❖ لم تكن هذه الأعذار كافية لتبرير خطئه العظيم، فوصفه صموئيل بالحماقة والاندفاع في كسر وصايا الله. ولذلك عَرَّضَ نفسه لرفض الله له، ونَزْع المُلك منه والمملكة من نسله، وأن الله سيُقيم رجلًا آخر من الشعب يكون بحسب اختياره. وكان المقصود هو داود النبي (١صم ١٣).

(٢) تعامُل الآخرين مع المُتعالي:

عندما تتعامل مع المُتعالي والمُتكبِّر، فإنك تشعر أنه يتعاظم عليك، مِمَّا يدفعك إلى التباعُد عنه، وتجد عدم راحة معه، فهو شخصٌ غير مُريح في مُعاملاته؛ كذلك هو غير محبوب. وهذه المُعاملات لا تُشكِّل أيَّ شكلٍ من أشكال الفرح، كما تجد رغبةً في نفسك أن

تنتقده، خاصَّةً إذا كان مُتعصِّبًا لرأيه.

إنَّ المُتعالي يُحيط نفسه بهالةٍ قد تتفق مع شخصيته وكفاءته، وقد لا تتفق؛ ولكنه بهذه الهالة يُقيم فجوةً بينه وبين الناس، فكبرياؤه يخدعه فلا يرى مشاعر الناس الحقيقيَّة نحوه.

وبما أنَّ المُتعالي يهوى المديح، فإنه يحصل عليه من المُنافقين. فالذي يجد نفسه مُرغَمًا على التعامُل معه، يجد أنه أيضًا مُرغَمًا على مدحه، لكي يصل معه إلى ما يُريد من أهدافٍ يسعى إليها من خلال التعامُل.

مثال: هيرودس الملك:

هيرودس الملك، وهو يُخاطب الناس من على عرشه، نافقه المُحيطون به قائلين: «هذَا صَوْتُ إِلهٍ لَا صَوْتُ إِنْسَانٍ!» (أع ١٢: ٢٢). فَسُرَّ هيرودس بذلك التمجيد، وقد صَدَّقَ كلام المُنافقين. ففي الحال، ضربه ملاك الرب بسبب كبريائه، فمات وأكله الدود؛ لأنه لم يُعطِ المجدَ لله وأعطى المجد لذاته.

إذن، كيف تتعامل مع المُتعالي بشكلٍ روحيٍّ؟

- ❖ فكِّر دون انفعال، وتكلَّم في الوقت المناسب، فلا تنتقده مباشرة، واحترس من الدخول معه في جَدَلٍ عقيم.
- ❖ التَزِم الموضوعيَّة في الكلام، ويمكنك أن تُقدِّم أسئلة تتطلَّب دراستها من المُتعالي، فالمُتعالي كثيرًا ما يكون سطحيًّا.
- ❖ لا تُنافق، قُلْ الحق – حتى إذا لزم الأمر ذلك – بكلِّ أدبٍ ورِقَّةٍ ولباقة، فالنفاق أسلوبٌ لا أخلاقي. امتدحه حينما يكون على صوابٍ، ولا تمتدحه فيما هو خطأ.
- ❖ لا يهزم العيون المُتعالية إلَّا القلوب المُتَّضعة، النار لا تُطفئ النار، العيون المُتعالية لا يُناسبها أن يتعامل معها الإنسان بنفس الطريقة أو بنفس الكبرياء؛ لكن يُناسبها جدًّا أن الإنسان يتعامل معها بقلبٍ مُتَّضعٍ، وأيضًا بعيونٍ مُتَّضعة.

(يتبع)

البابا تواضروس الثاني

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسيَّة

مقال للأب متى المسكين

تبكيت الروح القدس[1]



إخوتي الأحبَّاء في الرب ...

نعمة وبركة وسلام من الله لأرواحكم جميعًا.

أتوسَّل إلى الله أن تكونوا كلكم في ملء السلام والفرح الإلهي الذي هو عربون مواريث المُختارين، قادرين أن تفتدوا الأيام لحساب الدهر الآتي، صانعين من أنفسكم ومن أجسادكم ومن كراماتكم قمصانًا تطرحونها في طريق الرب، حتى يسير فيكم وعليكم ويجد راحةً معكم.

أنتم شاروبيم الله على الأرض، فاحملوه في قلوبكم وعقولكم واجعلوا غيرة المحبة تتَّقد فيكم معًا، حتى تصيروا عرشًا ناريًّا بالحبِّ يليق بأن يكون حاملًا للَّاهوت المُتَّقد نارًا وحُبًّا. وأنتم تعلمون من سِفْر الرؤيا أنَّ الله يطلب الحارِّين، فكونوا كذلك. فروح الله الذي عرفناه نارًا لسانيَّة، يستقرُّ في أحشائكم، ويجرف شوائب الفكر والنُّطق، ليجعل منطقكم إلهيًّا في كلِّ شيء وبكلِّ معنى. فاقبلوه باستعداد الألم لأنه لا يُعزِّي إلَّا بعد أن يُبكِّت، وهو شديد الوطأة في تبكيته، شديد الوطأة في عزائه. والذي لا يحتمل نار تبكيته المُحرِقة، لا يحتمل نار محبَّته الدافقة التي تجعل الإنسان مُتغرِّبًا عن نفسه هاجرًا ذاته هجرة بائنة.

وتبكيت الروح القدس لا يسري في قلبٍ طامعٍ للدُّنيا، أو طامعٍ في شيء مِمَّا في الأرض قاطبةً، أو طامحٍ لِمَا يفوق قَدْره أو يرتئي إلى أعلى مِمَّا يجب أن يرتئي إليه.

تبكيت الروح القدس لا يعمل ولا يحرق إلَّا في أنصار المذلَّة، وفي نفسٍ وضعت في نفسها حُكْم الموت لعلَّها تبلغ إلى قيامةٍ أخرى.

الإنسان الساعي إلى التبكيت غير الإنسان الساعي إلى الفضيلة، وهُما على نقيض. **فالأول** ساقطٌ من ذاته بسرور، هابطٌ بتلقائيَّةٍ لذيذة غير مُتحفِّظة، أَعدَّ نفسه إلى قرارها، وقرارها لاشيئيَّة وموات ولا موجوديَّة. **والثاني** مرتفعٌ بذاته بطُرُقٍ ملتوية أو مخفيَّة، وطامحٌ في رفعةٍ

(١) الرسالة (٩) من كتاب: "رسائل القمص متَّى المسكين"، الطبعة الأولى: ٢٠٠٧م، ص ٤٩ – ٥٤.

إراديَّة، أعدَّ نفسه لها مهما تمادى في هبوطه المُصنطع، ومهما تهاوى عن مستواه الذي يتمسَّك بما هو أرفع منه.

التبكيت بالروح القدس هو استسلامٌ لأقصى ما يُمكن أن يُصاب به الإنسان، ولا يُمكن أن يُصاب الإنسان في الدُّنيا بأكثر من الصليب. ولكن حتى إصابة الصليب على دربَيْن: **الأول** صليب يسوع، وهو للأبرار الذين بلا لوم، وهو في شكله وموضوعه مجد، لأن يسوع تمجَّد بالصليب والآلام لأنها كانت له عن آخرين. **والثاني** صليب اللِّص اليمين، وهو لنا إنْ شئنا أن نعبُر اليوم إلى الفردوس، وهو في شكله وموضوعه ذِلَّةٌ وهوانٌ شديدان، ولكن ليس كأنه فضيلة أو كأنه عن آخرين؛ ولكن نكاد نقول مع اللِّص إننا بحقٍّ قد جوزينا لا من أجل الخطيئة، فالخطيئة لا يرفعها جزاء مهما كان ثقيلًا، ولكن من أجل العبور لأن العبور إلى الملكوت بضيقاتٍ جمَّة، وإن كان مجَّانًا من جهة الإيمان.

والذي يعرف هذا عليه رحمة الله، ولْترافقه النعمة والسلامة حتى يُكمِّل طريق خلاصه بالآلام. والذي يتألَّم هكذا، وعلى هذا القياس، هو في رحمةٍ عظيمة. وعلى قدر شدَّة تألُّمه، تشتدُّ له التعزية إلى أن يبلغ الفرح وهو في صميم الألم. والفرح في الألم، هو برهان الروح والقوَّة، هو انفجار نور النهار في ظلمة الدُّنيا وهو مُبدِّدها، حيث يبقى الألم في الفرح كما يبقى الليل في النهارِ؛ لأن الليل موجودٌ دائمًا في النهار، ولكنه مُتبدِّد القوَّة، مستعدٌّ دائمًا أن يستعيد سلطانه وقوَّته إن انحسر عنه النهار.

إذا وقع الإنسان تحت تبكيت الروح القدس واستسلم لفعاليته المُحرِقة، فهو بالغ الاتِّضاع بالضرورة، ولكنه اتِّضاعٌ حقيقيٌّ وليس كاتِّضاع الساعي وراء الفضيلة، لأنه اتِّضاع لا ينزع إلى رفعةٍ ولا إلى تعويضٍ، بل هو فرحٌ بالنزول إلى ما لا نهاية. إذا انصاع الإنسان لتبكيت الروح القدس بلغ الطاعة في حقيقتها لا في صورتها المُزيَّفة، لأن الاستسلام لتبكيت الروح القدس، يبعث في النفس إحساسًا صادقًا غاية الصِّدق ليس فيه أدنى شكٍّ أو ريبة، أنه يقترب من النور بقدر ما يقترب من النار. والروح نارٌ تحرق ثم تُنير، ويستحيل على الإنسان أن يُدرك معنى الطاعة ويُحقِّقها إن لم يحسَّ إحساسًا صادقًا غاية الصِّدق ليس فيه أدنى شكٍّ أو ريبة، أنه يسير نحو الله.

فالطاعة ليست عُصابة تُلطَّخ بها العينان ليسير بها الإنسان سير الأعمى خلف آخر، فيسقط راضيًا فيما يسقط فيه الآخر، ويقوم مُترضِّضًا بما يترضَّض به هذا الآخر. حاشا، فالطاعة استنارةٌ جديدة تُضاف على استنارة الإنسان، ليضمن سيرًا حثيثًا آمنًا أفضل مِمَّا

يسيره هذا الآخر الذي يتبعه.

أَمَا قرأتُم كيف طلب أليشع ضعفَيْن من روح إيليا فأخذ (٢مل ٢: ٩)؟! فالطاعة طمعٌ شديد في المزيد من الاستنارة لحساب الطريق والغاية، وليست اكتفاءً بالظلمة أو العَمَى والسير على العصا.

وأخيرًا، إذا بلغنا إلى حقيقة الطاعة، بلغنا إلى حقيقة الاتِّضاع، ومن الاثنَيْن يتعزَّى الإنسان على أساس أنَّ كلَّ ما يُصيبه في حياته هو لخير حياته، وكلَّما تقبَّل الضيقة أدرك الطاعة، وكلَّما أدرك الطاعة بلغ الاتِّضاع، فينمو ولا يكون لنموِّه نهاية.

يستحيل أن يتقابل الناس تقابُلًا حقيقيًّا يبلغ إلى معنى الوحدة إلَّا بقدر ما يتنازل الإنسان بنفسه أو عند نفسه! فلا يمكن أن نتقابل في أنفسنا، يلزمنا أن نهجر ذواتنا. والهجرة عن الذات أشدُّ عذابًا ولَوْعةً من هجرة الأوطان.

لا بدَّ لنا أن نُمارس الهجرة الذاتيَّة حتى نتقابل في موضعٍ آخر، ولا موضع آخر خارج الذات إلَّا الله.

إذًا، الله هو الذات الحقيقيَّة التي ينجمع فيها الإنسان، فيستمدُّ منها كلُّ واحد ذاتًا جديدة بشِبْه الله. الله هو "الأنا العُظمَى" التي نتقابل فيها عندما نفقد أنانيتنا الكاذبة التي صنعها لنا العالم والشيطان. ليس لأولاد الله جميعًا إلَّا "أنا واحدة".

نحن لن نجد راحتنا في أنفسنا. الله هو راحتنا الوحيدة، والله ليس غريبًا عنَّا. فإنْ نجحنا في أن نهجر أنفسنا، فما ذلك إلَّا لأن الله يجذبنا، الله يجذبنا لأنه هو نفسه يستريح فينا. الله يستريح في قدِّيسيه، كما يستريح على الشاروبيم. والإنسان هو كرسي الله على الأرض.

راحة الله وراحتنا شيءٌ مشترك، لذلك هو يتضايق في كلِّ ضيقتنا، لأنه يستريح في راحتنا. ولكن إنْ مِلْنا إلى راحةٍ في غير الله، فالله يُضايقنا لأنه يُسَرُّ بأن يسحقنا بالحزن حتى نستريح راحةً حقَّة لا راحةً غاشَّة مُهلِكة.

أنتم ارتضيتم أن تكونوا لله، فكونوا له ولا تكونوا لأنفسكم، واحسبوا الموت غاية لأنه الباب المُنفتح على الله. الموت آخر عدوٍّ لنا، لأنه يفصلنا عن الله.

الربُّ يسوع أبطل الموت، فنحن سنجوزه بهدوءٍ شديد إن كُنَّا نسير على الطريق، لأن

الباب هو على الطريق، وحينما نعبُره نجد الله. الموت حادثةٌ، وهو آخر حوادث الزمان؛ لذلك هو فاقدٌ سلطانه علينا مقدَّمًا، لأننا لسنا من هذا العالم ولا لهذا الزمان، إنْ كان قد أشرق علينا نور الخلود ودخلنا في إحساس القيامة!

القبر لا ينغلق على الروح، فنحن نترك الجسد عن طواعية ليعتمد في تراب القبر وظُلمته لمعموديَّة القيامة الثانية التي نفقد فيها جسد خطايا البشريَّة بكلِّ أعضائه التي جرحتها الخطية ولمسها الشيطان، وهي معموديَّة الزمان، أي أن الجديد لا يقوم طالما للزمان وجود، وحينما يقوم الجسد الجديد تنفتح حواسه للأبديَّة.

الذي يعيش الآن في إحساس المعموديَّة، التي هي حقًّا وبالحقيقة اعتمادٌ لموت الربِّ ودفنه، يستطيع أن يطرح جسده في القبر بسهولةٍ، عالمًا أنَّ القبر تكميلٌ لفرحة القيامة وبهجة المعموديَّة.

أرواحنا ستكون ضمن المُشيِّعين لأجسادنا، والروح لا تبكي على الجسد؛ وإنما تستودعه القبر كما يستودع الفلَّاح بذرته في جوف الأرض.

أنا لا أتكلَّم من نفسي ولا أتكلَّم كلامًا عابرًا، ولكني أروم أن أخُطَّ في قلوبكم الوعي بالقيامة. إنَّ حياتكم مستترة مع المسيح في الله (كو ٣: ٣)، وكما أنَّ المسيح حيٌّ فأنتم لن تموتوا. هو مات مرَّةً واحدة عن الجميع حتى نبقى نحن أحياءً فيه ولا نموت.

حياتنا ستظل مستمرَّة في يوم الفرح كيوم الألم وحتى يوم الممات، لا يعتريها توقُّف قطُّ. الجسد يدخل القبر والروح تعبُر من عليه لا ترى ظلمةً البتَّة، لأن نورها المسيح، والمسيح يُضيء في الظلمة والظلمة لا تُدركه.

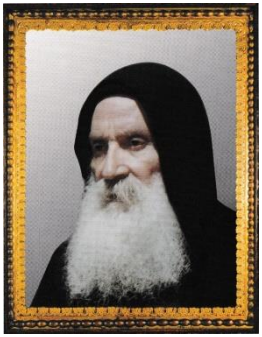
ليكن فيكم هذا الوعي المسيحي الجديد ولتُضئ قلوبَكم حقيقةُ القيامةِ، لأنه إذا قبلتم القيامة كفعلٍ من أفعال الروح القدس الأصيلة للإنسان، فسوف تُشرِق عليكم حياة المسيح، فتتبدَّد عنكم جميع الأفكار والظنون النابعة من غرائز الجسد وانطباعات الدُّنيا، وتستهينوا بكلِّ شيء، وتحسبوا كلَّ شيء خسارة، وتربحوا الروح القدس الذي يقودكم إلى ملء قامة المسيح في القداسة والحق.

وختامًا، اقبلوا محبَّتي وسلامي في المسيح،

وكونوا مُعافين باسم الثالوث الأقدس.

القمص متى المسكين

حلوان في ٣ مايو ١٩٦١م



دراسات ورسائل علميَّة قُدِّمت عن تعاليم الأب متى المسكين



ازداد اهتمام الدارسين والعلماء على مدى السنين في العالم أجمع، بتعاليم الأب متى المسكين لِمَا وجدوه فيها من أصالة إنجيليَّة وعمق روحي يؤثِّر على القارئ ويجتذبه إلى المسيح، مهما كانت ثقافته. فبمناسبة الذكرى العشرين لنياحته (٨ يونية ٢٠٠٦م – ٢٠٢٦م)، رأينا من النافع أن نُقدِّم وصفًا مختصرًا لكلِّ ما توصَّلنا إليه من هذه الدراسات، على أن نختار البعض منها فيما بعد لنعرضه بأكثر تفصيل. ونحن لا نقطع بأنَّ هذه القائمة كاملة، فمن المُحتمل وجود دراساتٍ أخرى لم نتعرَّف عليها بعد. وسنُقدِّم ما وصلنا من هذه الدراسات مرَّتبة تاريخيًّا، الأقدم فالأحدث.

١. **ريمون بشرى** قدَّم في سنة ١٩٧٨م، رسالة باللغة الفرنسيَّة، عن كتاب: **"العمل الروحي"** للحصول على درجة ماجستير من جامعة مدينة رامس بفرنسا[١]، وهي تُعتبَر من أول الدراسات زمنيًّا عن الأب متى المسكين. وقد قارن فيها فكر هذا الأب في موضوع "العمل الروحي" بأفكار عددٍ من الفلاسفة والمُفكِّرين في نفس الموضوع من كافة الثقافات والعصور. وبناءً على طلب هذا الباحث وأسئلته المُلحَّة، كتب الأب متى سيرته الذاتيَّة طالبًا عدم نشرها إلَّا بعد انتقاله.

٢. **كريستيان رطل** قدَّمت سنة ١٩٨٧م، رسالة بعنوان: "**مجاهدون في البريَّة**"[٢] للحصول على درجة ماجستير من الجامعة الأمريكية بالقاهرة، وفيها تصف بطريقةٍ حيَّة وشيِّقة

(1) Raymond Bochra, *Le Père Matta el Maskine, auteur de L'Action spirituelle*, Dissertation présentée à l'Université de Reims, 1978.

(2) Christiane Rathle, *The Desert Militants, Change and Modernizing Factors in Coptic Monasticism*, The American University in Cairo, 1987.

جميع نواحي النهضة الحادثة في دير القدِّيس أنبا مقار، منذ وصول جماعة رهبان الأب متى المسكين إليه. ويتميَّز هذا البحث بقيمةٍ تاريخيَّةٍ فريدة، لأن الباحثة تصف فيه على مدى ١٣٠ صفحة تفاصيل عديدة لم تُسجَّل في أيِّ مرجعٍ آخر.

٣. **فاروق بقطر** قدَّم في سنة ١٩٩٥م، رسالة باللغة الإنجليزية بعنوان: "**الاتِّحاد بالمسيح في أعمال الأب متى المسكين**"، للحصول على درجة الماجستير في اللاهوت من جامعة وستمنستر بإنجلترا[٣]. وهي دراسة أكاديميَّة تتناول عدَّة جوانب من تعاليم الأب متى المسكين، معتبرةً أن المركز الحي الذي تدور حوله كلها، هو الاتِّحاد بالمسيح والاشتراك في حياته الأبديَّة.

٤. **د. صموئيل روبنسون** كتب في سنة ١٩٩٧م، مقالًا باللغة الإنجليزية بعنوان: "**بين التقليد والتجديد في التعليم اللاهوتي في الكنيسة القبطيَّة**"، وهو فصل من كتاب لعدَّة مؤلِّفين بعنوان: "بين البريَّة والمدينة: الكنيسة القبطيَّة الأرثوذكسيَّة اليوم"[٤]. وهذا الفصل يعرض تأثير كتابات الأب متى المسكين على تطوُّر الكتابات اللاهوتيَّة في الكنيسة القبطيَّة. وقد أُعيد نشره في مطبعة دير القدِّيس أنبا مقار بالإنجليزية والعربيَّة. ود. صموئيل روبنسون أستاذ بجامعات اللاهوت بالسويد، وهو معروفٌ بدراساته العلميَّة عن الرهبنة القبطيَّة، وخاصةً عن رسائل القدِّيس أنطونيوس حيث إنه قدَّم أول نشرة مُحقَّقة لها، تأخذ في الاعتبار أصولها في كافة اللُّغات القديمة.

٥. **ثروت جورجي** (الراهب أوغسطين من الآباء الكرم الحفاة)، قدَّم في سنة ٢٠٠٣م باللغة الإيطالية، رسالة بعنوان: "**عقيدة التألُّه في أعمال الأب متى المسكين**" (٣١٠ صفحة)[٥]، وذلك للحصول على درجة الدكتوراه من كلية اللاهوت الباباويَّة "تيريزيانوم" بروما. وفيها دراسة تفصيليَّة عن علاقة عقيدة التألُّه بكافة جوانب الحياة الروحيَّة والأسرار الكنسيَّة وعمل الروح القدس فينا، ونوال الحياة الأبديَّة.

---

(3) Farouk T. K. Boctor, *Union with Christ in the Work of Father Matta El Meskeen,* Th.M. thesis presented to the Westminster Theological Seminary, 1995.

(4) Samuel Rubenson, "Tradition and Renewal in Coptic Theology" in *Between Desert and City: The Coptic Orthodox Church Today*, Oslo, 1997, pp. 35-51.

(5) Sarwat Georgi (Agostino), O.C.D., *La divinizzazione dell'uomo secondo il Padre Matta El-Meskin,* Instituto Spiritualitatis Pontificiae Facultatis Theologicae, Teresianum, Romae, 2003.

٦. **كاترين كوهلر** قدَّمت في سنة ٢٠٠٨م، رسالة باللغة الألمانية بعنوان: "**الأب متى المسكين، لاهوتي ومُصلح قبطي، ورأيه في العلاقة بين الكنيسة والدولة**"[٦]، وذلك للحصول على درجة الماجستير من جامعة لايبزج في قسم تاريخ الفن والدراسات الشرقية. وفيها تَعْرِض حياة الأب متى المسكين وتوجُّهاته اللاهوتيَّة والروحيَّة، مع التركيز على رأيه في العلاقة بين الكنيسة والدولة.

٧. **د. عايدة نصيف** قدَّمت في سنة ٢٠٠٩م، رسالة متَّسعة (٣٤٠ صفحة) بعنوان: "**تجديد الفكر اللاهوتي الفلسفي بين القدِّيس توما الأكويني والأب متى المسكين**"، للحصول على درجة الدكتوراه من كلية الآداب بجامعة القاهرة. وفيها تُقارن بين دور كلٍّ من هذين المعلِّمَين البارزَين في النهضة بالفكر اللاهوتي، كلٍّ منهما في جيله وكنيسته. وقد نالت مرتبة الشرف الأولى مع قيام الجامعة بطباعة ونَشْر هذه الرسالة على نفقة الدولة. وقد قامت مجلة مرقس (عدد يونية ٢٠١٠م) بتقديم أهمِّ محتويات هذه الدراسة القيِّمة (كما أنه بهذا العدد – يونية ٢٠٢٦م، ص ٥٦ – تقديم لهذه الدراسة).

٨. **د. جوس سترنجهولت** قدَّم في سنة ٢٠٠٩م، دراسة باللغة الإنجليزية بعنوان: "**الوحدة المسيحيَّة: الأب متى المسكين والكنيسة القبطيَّة الأرثوذكسيَّة في المسيرة المسكونيَّة**"[٧]. وذَكَرَ فيها مُلخَّصًا لكتابات الأب متى المسكين عن الوحدة المسيحيَّة، ولو أنه لم يستوعبها بالكامل.

٩. **ماجد ميخائيل** كتب في سنة ٢٠١٢م، فصلًا بعنوان: "**الأب متى المسكين**"[٨] في كتاب لمجموعةٍ من المؤلِّفين بعنوان: "العالم المسيحي الأرثوذكسي". وفيه يُقدِّم سيرة

---

(6) Katrin Köhler, *Matta al-Miskin: Coptic Theologian and Reformer (1919–2006): On the Relationship between Church and State in Egypt*, Universität Leipzig, Fakultät für Geschichte, Kunst- und Orientwissenschaften, Orientalisches Institut, Leipzig, 2008.

(7) Jos M. Strengholt, *Unity of the Church: Father Mattá al-Miskin and the Coptic-Orthodox Church in the Ecumenical process*, Cairo, Egypt (2009), 31 pp.

https://www.academia.edu/117141537/Unity_of_the_Church_Father_Matt%C3%A1_al_Miskin_and_the_Coptic_Orthodox_Church_in_the_Ecumenical_process

(8) Maged S. A. Mikhail, Chapter 37 in *The Orthodox Christian World*, Edited by Augustine Casiday, Routledge, 2012, 609 pp.

وكتابات الأب متى المسكين، واصفًا إيَّاه بأنه شخصيَّة فريدة من نوعها، لأنه استطاع أن يجمع معًا غِنَى التقليد الآبائي مع روحانيَّة البريَّة مع تدقيق الدراسة الأكاديميَّة.

١٠. **د. صموئيل روبنسون،** يكتب لثاني مرة في سنة ٢٠١٣م، مقالًا عن **"الأب متى المسكين"**، وهو الفصل ٣٣ من كتاب لعدَّة مؤلِّفين، عنوانه: **"أهم اللاهوتيِّين والمُفكِّرين في العصر الحديث وما بعده"**[٩]. ويُعتبَر هذا المقال أفضل تقديم أكاديمي مُختصر لشخصيَّة الأب متى المسكين وتعليمه ومكانته في العالم المسيحي العربي.

١١. **د. هاني يوسف حنا** قدَّم في سنة ٢٠١٣م، رسالة بعنوان: **"التعليم اللاهوتي عن شخص المسيح في مراحل وجوده، عند كلٍّ من كارل بارت ومتى المسكين"**[١٠]. وذلك للحصول على درجة دكتوراه في اللاهوت من جامعة برنستون بأمريكا. وقد اختار المقارنة بين كارل بارت والأب متى المسكين على اعتبار أنهما من أشهر اللاهوتيِّين: الأول في الكنيسة البروتستانتيَّة، والثاني في الكنيسة الأرثوذكسيَّة. وفي مقدِّمة الرسالة شرح ما يعنيه من كلمة historicized الواردة في عنوان الرسالة (والتي ترجمناها "في مراحل وجوده")، بأنه يقصد التعليم عن المسيح في وضعه الأزلي، وفي وضعه الزمني، وفي وضعه الأبدي. والرسالة ٤٠٩ صفحات من القَطْع الكبير. وإن كان القارئ غير مُلزَم بأن يوافق على كلِّ ما جاء في معرض الرسالة، لكنه سيجدها في مُجملها دراسةً جادَّةً ومتعمِّقة وغير مُتحيِّزة.

١٢. **فيتوريو ياناري** كتب في سنة ٢٠١٣م، كتابًا باللغة الإيطالية بعنوان: **"مسيحيُّو مصر، كما يظهرون من خلال سيرة وكتابات الأب متى المسكين"** (٢٠٨ صفحات)[١١]. وفيه دراسة عن حياة الأب متى المسكين وفكره اللاهوتي، تليها ترجمة إيطالية لعددٍ من مؤلَّفاته، نُلاحِظ من ضمنها فصل "مسيحيَّة بولس" من كتاب: "بولس الرسول: حياته، لاهوته، أعماله". والكاتب أستاذ في جامعة اللاتران بروما ومن الشخصيات

(9) Samuel Rubenson, "Matta El-Meskeen", Ch. 33 in *Key Theological Thinkers: From Modern to Postmodern*, Routledge, 2013.

(10) Hani Youssef Hanna, *The Historicized Christology of Karl Barth & Matta al-Miskin*, A Dissertation Submitted to the Princeton Theological Seminary for the degree of Ph D, 2013, 409 pp.

(11) Vittorio Ianari, *I cristiani d'Egitto nella vita e negli scritti di Matta el Meskin*, Editrice Morcelliana, 2013, ISBN 978-88-372-2699-2, p. 208.

البارزة في جماعة Sant Egidio المعروفة بإقامة مؤتمرات دولية لكافة الكنائس.

١٣. **كريستين شايو** نشرت في سنة ٢٠١٤م، فصلًا باللغة الإنجليزية بعنوان: "الأب متى المسكين"، ضمن كتاب "الدليل الأرثوذكسي في الحركة المسكونيَّة"[١٢]. وتَعْرِض فيه الأب متى المسكين كشخصيَّةٍ روحيَّة مع التركيز على فهمه للوحدة المسيحيَّة من خلال عمل الروح القدس، والصلاة، والحياة الرهبانيَّة، والمحبة.

١٤. **ديمتريوس أثناسيوس** قدَّم في سنة ٢٠١٥م، رسالة باللغة اليونانية عنوانها: **"المُصلحون الأقباط في القرن العشرين وتعليمهم اللاهوتي"**[١٣]، وذلك للحصول على درجة ماجستير من جامعة باتراس باليونان. وهو يذكر فيها دور الأب متى المسكين في النهوض بالمعرفة الكتابيَّة والآبائيَّة في الكنيسة القبطيَّة، وفي إحياء الوعي اللاهوتي والروحي المعاصر.

١٥. **ليديا عادل حنا** قدَّمت سنة ٢٠١٧م، رسالة ماجستير باللغة الإيطالية بعنوان: **"التألُّه والوحدة في اللاهوت الاختباري للأب متى المسكين، على خُطَى آباء الكنيسة"**، وذلك بجامعة صوفيا بإيطاليا[١٤]. وتتناول الدراسة علاقة عقيدة التألُّه بمفهوم الوحدة في فكر الأب متى المسكين، مع ربط ذلك بآباء الكنيسة والليتورجيَّة القبطيَّة، وقد تُرجم الكتاب للُّغة العربيَّة سنة ٢٠١٩م، بعد مراجعة المُتنيِّح الأنبا إبيفانيوس.

١٦. **صموئيل جرجس إسحق** قدَّم في سنة ٢٠١٧م، رسالة ماجستير في اللاهوت باللغة الإنجليزية بعنوان: **"الروح القدس مركزي في لاهوت الأب متى المسكين"**[١٥]، وذلك في **كلية اللاهوت الإنجيليَّة بالقاهرة**. وتتناول الدراسة في ١٠٥ صفحات، مركزية الروح القدس في فكر الأب متى المسكين في كافة مجالات التعليم اللاهوتي.

---

(12) Christine Chaillot, "Father Matta el-Maskeen," in *Orthodox Handbook on Ecumenism: Resources for Theological Education*, ed. Pantelis Kalaitzidis et al. (Oxford: Regnum Books International, 2014), pp. 304–8.

(13) Dimitrios Athanasiou, *Οι Κόπτες Μεταρρυθμιστές του 20ού αιώνα και η θεολογία* [The Coptic Reformers of the Twentieth Century and Their Theology] (master's thesis, Patras, 2015).

(14) Lydia Adel Sadek Hanna, *La Divinizzazione e l'Unità nella teologia esistenziale di Matta el Meskin, nella scia dei Padri della Chiesa* (master's thesis, Sophia University Institute, 2017).

(15) Samuel Girgis Isaac, *The Holy Spirit Is Central to the Theology of Father Mattá al-Miskīn* (ThM thesis, Evangelical Theological Seminary in Cairo, 2017).

١٧. **جيرمان ليونيدوفيتش كريلوف** نَشَر في سنة ٢٠١٨م، مقالة باللغة الروسيَّة بعنوان: **"متى المسكين وتراثه اللاهوتي في سياق التاريخ المُعاصر للكنيسة القبطيَّة"**[١٦]، في المجلة الروسيَّة: "المسيحيَّة في الشرق الأوسط". وتتناول المقالة مكانة الأب متى المسكين في الكنيسة القبطيَّة، وتجديده للحياة الرهبانيَّة، وإسهامه اللاهوتي.

١٨. **ديمتريوس أثناسيوس** بعد رسالة الماجستير التي قدَّمها سنة ٢٠١٣م (انظر أعلاه رقم ١٤)، عاد ونَشَر في سنة ٢٠٢٠م، مقالة باللغة الإنجليزية بعنوان: **"إكليسيولوجية الأب متى المسكين: تجديد الفكر اللاهوتي القبطي"**[١٧]، في مجلة أوكرانيَّة. والمقالة تعرض فكر الأب متى المسكين عن الكنيسة من خلال ثلاثة محاور رئيسيَّة: الكنيسة جسد المسيح، والكنيسة عروس المسيح، ووحدة الكنيسة وتجاوُز الانقسام.

١٩. **ريتشارد فتوريك** نَشَرَ في سنة ٢٠٢١م، مقالة باللغة البولندية بعنوان: **"قراءة الكتاب المقدَّس كوسيلة للتكوين المسيحي عند الكاردينال كارلو مارتيني والراهب القبطي الأب متى المسكين"**[١٨]، في مجلة بولندية. والمقالة تُقارن بين فهم مارتيني والأب متى المسكين لقراءة الكتاب المقدَّس الممزوجة بالصلاة، كطريقٍ للبناء الروحي.

٢٠. **إيساك إدمان** قدَّم في سنة ٢٠٢١م، رسالة ماجستير باللغة السويدية بعنوان: **"مسيحيَّة غير موحَّدة: دراسة في رؤية متى المسكين للمسكونيَّة"**[١٩]، وذلك في جامعة أوبو بفنلندا. وتتناول الدراسة فهم الأب متى المسكين للوحدة المسيحيَّة، من خلال منابعها في التجسُّد، وسرِّ الإفخارستيَّا، والصلاة، والحياة الروحيَّة.

---

(16) Крылов Герман Леонидович, "Матта аль-Мискин и его богословское наследие в контексте новейшей истории Коптской церкви" (Matta al-Miskin and His Theological Heritage in the Context of the Contemporary History of the Coptic Church) *Christianity in the Middle East*, no. 3 (2018): 15–33.

(17) Dimitrios Athanasiou, "The Ecclesiology of Mathew the Poor (1916 [sic]–2006): Renewing Coptic Theology", *Volynskyi Blahovisnyk*, no. 8 (2020): 347–55.

(18) Ryszard Wtorek, "*Lectio Divina, a Means of Christian Formation as Understood by Cardinal Carlo Maria Martini and Coptic Monk, Father Matta al-Miskin*" *Studia Bobolanum* 33, no. 2 (2021): 203–30.

(19) Isak Edman, *En oenhetlig kristenhet: En undersökning av Matta al-Miskins syn på ekumenik* [A Disunited Christianity: A Study of Matta al-Miskin's View of Ecumenism] (pro gradu thesis in dogmatics, Åbo Akademi University, 2021).

٢١. **ليديا عادل صادق حنا** بعد أن حصلت على درجة الماجستير (انظر أعلاه رقم ١٥)، عادت وقدَّمت في سنة ٢٠٢٢م، رسالة باللغة الإيطالية بعنوان: **"البشريَّة في طريقها إلى الاتِّحاد بالله: تعليم الأب متى المسكين اللاهوتي عن الإنسان ودعوته الميستيكيَّة"**[٢٠]، وذلك للحصول على درجة دكتوراه من المعهد الباباوي الشرقي بروما. وهذه الرسالة الطويلة جدًّا (٦٦٤ صفحة) بعد أن تستعرض طابع كتابات الأب متى المسكين من نواحي متعدِّدة، تُقدِّم قائمة تفصيليَّة جدًّا لجميع كُتُبه ومقالاته، تليها قائمة تفصيليَّة لكلِّ ما كُتِبَ عنه (أطول جدًّا ممَّا نقدِّمه هنا، إذ ذكرت أكثر من ٢٠٠ رسالة ومقالة كُتِبَت عنه). وقد نشرت في سنة ٢٠٢٣م، مقالة عبارة عن الفصل الرابع من رسالة الدكتوراه بعنوان: **"أعمال متى المسكين وطابعها الأدبي"**[٢١].

٢٢. **أشرف عبد الملاك** نَشَرَ في سنة ٢٠٢٣م، مقالة باللغة الإسبانية بعنوان: **"الأب القبطي الأرثوذكسي متى المسكين: مدخل تمهيدي لحياته وأعماله ولاهوته**[٢٢]. والمقالة تُقدِّم مدخلًا عامًّا إلى سيرة الأب متى المسكين وكتاباته وفكره الروحي واللاهوتي.

٢٣. **بول-قيصر هارلاوانو** نَشَرَ في سنة ٢٠٢٤م، بحثًا باللغة الإنجليزية بعنوان: **"التفسير الكتابي في كتابات متى المسكين"**[٢٣] في مجلة علميَّة في رومانيا. وتتناول الدراسة منهج الأب متى المسكين في قراءة الكتاب المقدَّس، مع التركيز على الإلهام، والقراءة الروحيَّة، والجذور الآبائيَّة، وجَمْعه بين الحسِّ الرهباني والمعرفة الكتابيَّة.

٢٤. **جيم هاريس** نَشَرَ في سنة ٢٠٢٤م، مقالة باللغة الإنجليزية بعنوان: **"الصوت اللاهوتي لرجلٍ مسكين في الصحراء: هل يُناسب أفريقيا؟"**[٢٤]، والكاتب مُبَشِّر مشهور في

---

(20) Lydia A. S. Hanna, *L'umanità via alla divinizzazione: La teologia antropologica e mistica di Matta el Meskin,* Pontificium Institutum Orientale, Roma 2022.

(21) Ibid., "L'opera di Matta al-Miskīn e il suo genere letterario", in *Orientalia Christiana Periodica* 89 (2023): 285–306.

(22) Ashraf N. I. Abdelmalak, "*El padre copto-ortodoxo Matta Al-Miskīn: Una aproximación introductoria a su vida, obra y teología*," *Estudios Eclesiásticos* 98, no. 384 (2023): 35–72, https://doi.org/10.14422/ee.v98.i384.y2023.002.

(23) Paul-Cezar Hârlăoanu, "*Biblical Exegesis in the Writings of Matta El-Meskeen*," in *Studia Theologica Doctoralia*, vol. 16, Iaşi, Romania: Editura Doxologia, 2024, 535–45.

(24) Jim Harries, "*The Theological Voice of a Poor Man in a Desert: Right for Africa*?" *Global*

أفريقيا. ويعرض في هذا المقال إمكانية الاستفادة من كتابات الأب متى المسكين في السياق الأفريقي، حيث تُرجمت بعض كُتُبه إلى لُغاتٍ أفريقيَّة مثل: الهوسا والسواحيلي.

٢٥. **أشرف عبد الملاك** نَشَرَ في سنة ٢٠٢٤م، مقالة أخرى باللغة الإسبانية (انظر أعلاه رقم ٢٢) بعنوان: **"الفكر الكريستولوجي للأب القبطي الأرثوذكسي متى المسكين"**[٢٥]. وتُقدِّم المقالة عرضًا لفكر الأب متى المسكين الكريستولوجي من خلال أربعة أبعاد: لاهوتي أساسي، وتاريخي كتابي، وتقليدي عقائدي، وميستيكي تطبيقي.

٢٦. **الميتروبوليت سابا (إسبر)،** وهو مطران كنيسة أنطاكية الأرثوذكسيَّة في كلٍّ شمال أمريكا، وقد كتب في سنة ٢٠٢٤م، تقديمًا للترجمة الإنجليزية لكتاب الأب متى المسكين: **"الكنيسة الخالدة"**[٢٦]. ويعرض التقديم مكانة الأب متى المسكين في النهضة الرهبانيَّة والروحيَّة القبطيَّة الحديثة، مع إبراز دوره الريادي في فتح طريق روحي للتقارُب بين الكنيسة القبطيَّة والكنائس الأرثوذكسيَّة الأخرى، خاصةً من خلال كتابه *"حياة الصلاة الأرثوذكسيَّة"* وقراءته الكتابيَّة الرمزيَّة في كتاب *"الكنيسة الخالدة"*.

٢٧. **وجدي سمير** أصدر في سنة ٢٠٢٥م، كتابًا باللغة الإنجليزية بعنوان: **"المُشاركة الإلهيَّة: إعادة بناء لشرحَي القدِّيس كيرلس الإسكندري والأب متى المسكين لإنجيل القدِّيس يوحنا"**[٢٧]. وهذه الدراسة القيِّمة تستحقُّ بسبب أهميَّة موضوعها، وغزارة مادتها (٢٢٨ صفحة)، ودقَّتها الأكاديميَّة، أن نعرض لها بأكثر تفصيل في مقالٍ خاص بها.

٢٨. **الأب أندريا مانشيني** قدَّم في سنة ٢٠٢٥م، أطروحة دكتوراه باللغة الإيطاليَّة بعنوان: **"الحياة الروحيَّة والأخلاق في ضوء فكر وشهادة الأب متى المسكين"**، في الأكاديمية

Missiology 21, no. 4 (October 2024): 38–44.

(25) Ashraf N. I. Abdelmalak, "*El pensamiento cristológico del padre copto-ortodoxo Matta Al-Miskīn: Un primer acercamiento*", *Urbaniana University Journal* 77, no. 1 (2024): 169–214.

(26) Metropolitan Saba (Esber), foreword to *His Body: The Church Immortal*, by Matthew the Poor (Cairo: St. Macarius Press, 2024).

(27) Wagdy Samir, *Divine Participation: A Reconstruction of St Cyril of Alexandria's and Fr Matta al-Miskīn's Commentaries on the Gospel of St John*, Texts and Studies in Eastern Christianity 38 (Leiden: Brill, 2025).

الألفونسية، الجامعة الباباوية اللاترانية بروما[٢٨]. وفيها يدرس العلاقة بين الحياة الروحيَّة والسلوك المسيحي القويم في فكر الأب متى المسكين، مع إبراز علاقة ذلك بالتجسُّد، وعمل الروح القدس، والخليقة الجديدة، والقداسة، وكيف يؤول ذلك إلى خدمة العالم. وهذه الدراسة تستحقُّ أن نعرض لها بأكثر تفصيل في مقالٍ خاص بها.

٢٩. ناجي عمران قدَّم في سنة ٢٠٢٦م، رسالة ماجستير في اللاهوت باللغة الإنجليزية بعنوان: **"الأنطولوجيا العلائقيَّة الديناميكيَّة في الأنثروبولوجيا اللاهوتيَّة للأب متى المسكين"**، في كلية اللاهوت الإنجيليَّة بالقاهرة تحت إشراف د. هاني يوسف حنا[٢٩]. وتدرس الرسالة كتاب: **"الخليقة الجديدة للإنسان في الإيمان المسيحي"** (الجزء الأول) من جهة الخلق الجديد، والحرية، والاتِّحاد بالمسيح، والنعمة، والمعموديَّة، والكنيسة.

❖ هذه القائمة التي قدَّمناها بعيدة عن أن تكون شاملة. فقد ذكرنا أعلاه (رقم ٢١) أنَّ د. ليديا حنا التي قصدت الشمول في قوائمها، قد جمعت أكثر من ٢٠٠ من الدراسات والرسائل العلميَّة والمقالات التي كُتِبَت عن الأب متى المسكين. لكن عِوَض الاستطالة في ذلك، سنعرض للقارئ بتفصيلٍ أكثر ثلاث من أفضل وأحدث الدراسات التي ذكرناها.

❖ ويروقنا أن نُلاحظ في هذه القائمة تنوُّع هذه الدراسات من جهة تعدُّد أقطارها ولُغاتها. فإن كان الكثير منها مكتوبًا بالإنجليزيَّة، لكن نجد فيها أيضًا ما هو بالإيطاليَّة (رقم ٥ و١٢ و١٥ و٢١ و٢٨)، والإسبانيَّة (رقم ٢٢ و٢٥)، والفرنسيَّة (رقم ١)، والعربيَّة (رقم ٧)، والسويديَّة (رقم ٢٠)، واليونانيَّة (رقم ١٤)، والبولنديَّة (رقم ١٩)، والروسيَّة (رقم ١٧). هذا الانتشار في أقطار الأرض كلِّها يُذكِّرنا بالمزمور القائل «لاَ قَوْلَ وَلاَ كَلاَمَ. لاَ يُسْمَعُ صَوْتُهُمْ. فِي كُلِّ الأَرْضِ خَرَجَ مَنْطِقُهُمْ، وَإِلَى أَقْصَى الْمَسْكُونَةِ كَلِمَاتُهُمْ» (مز١٩: ٣ و٤). فمع أنَّ الأب متى المسكين لم يعظ قطُّ خارج ديره، لكن بلغت كلماته "ومَنْطقه" إلى كلِّ الأرض.

---

(28) Andrea Mancini, *Spiritualità e morale "per il mondo intero" alla luce del pensiero e della testimonianza di Matta el Meskin* (extract from PhD diss., Pontificia Università Lateranense, Accademia Alfonsiana, Rome, 2025).

(29) Naji Umran, *Dynamic Relational Ontology in the Theological Anthropology of Father Matta al-Miskīn: An Analysis and Systematization of The New Creation of Humanity in the Christian Faith*: The First Part (1997) (ThM thesis, Evangelical Theological Seminary in Cairo, 2026).



مقارنة بين شرح إنجيل القدِّيس يوحنا لكلٍّ من القدِّيس كيرلس الكبير والأب متى المسكين فيما يخصُّ مفهوم الشركة مع الله[1]

د. وجدي سمير

الكاتب د. وجدي سمير، قبطي أرثوذكسي يعيش في سيدني باستراليا، وقد نال شهرةً في المجال العلمي في بداية حياته الدراسيَّة. فقد نال درجة الدكتوراه في الرياضيَّات العليا سنة ١٩٩٣م، وماجستير في إدارة الأعمال سنة ١٩٩٦م. وبعدها تخصَّص في دراسة ظواهر نادرة للموجات الكهرومغناطيسيَّة والضوئيَّة وغيرها. وقد نَشَرَ اكتشافاته في عدَّة مجلَّاتٍ علميَّة مُتخصِّصة، نال بها شهرةً رفيعةً في المجال العلمي. ولكنه، في نفس الوقت، كان منذ بداية التسعينيات يخدم في الكنيسة، ويعطي دروسًا للكتاب المقدَّس في كنيسة مار جرجس بسيدني وعدَّة كنائس أخرى. وهذا دعاه أن يهتمَّ أكثر فأكثر بالدراسات الكتابيَّة والآبائيَّة، حتى اعتزل العلم وخصَّص كلَّ وقته للدراسات اللاهوتيَّة، وصار الآن مدير الدراسات الأرثوذكسيَّة في المعهد الاسترالي للدراسات المسيحيَّة الأرثوذكسيَّة AIOCS. وموضوع الكتاب الحالي، كان أصلًا رسالة دكتوراه قدَّمها في سنة ٢٠٢١م في كلية اللاهوت بجامعة استراليا، ونال بسببها جائزة Beth Blackall العالميَّة لأفضل الرسائل الأكاديميَّة. ثم قدَّمها للنشر سنة ٢٠٢٥م، في دار نشر Brill، وهي من أكبر دور النشر الآبائيَّة وأكثرها تدقيقًا، إذ إنها لا تقبل نشر أيِّ كتابٍ إلَّا بعد أن تعرضه للفحص لعدَّة مُتخصِّصين في نفس المجال؛ فإذا نال استحسانهم بالإجماع، نشرته.

والآن ننتقل إلى دراسة محتوى هذا الكتاب. فهو ينقسم إلى ٨ فصول تسبقها مقدِّمة:

- في المقدِّمة يُبيِّن الكاتب الهدف العام من الدراسة.
- ثم يأتي فصل تمهيدي (فصل ١)، يُقدِّم فيه الكاتب ما دفعه لاختيار هذَين الأبوَين

(1) Wagdy Samir, *Divine Participation: A Reconstruction of St Cyril of Alexandria's and Fr Matta al-Miskīn's Commentaries on the Gospel of St John,* Texts and Studies in Eastern Christianity (TSEC), Vol XXXVIII, Brill, 2025, ISBN 978-90-04-72911-7, 228 pp.

للمُقارنة بين تفسيرهما، والصفات المُشتركة بينهما.

- ثم يُخصِّص ٣ فصول (فصل ٢ و٣ و٤)، لدراسة مُتأنِّية ومُتعمِّقة لمنهج القدِّيس كيرلس في شرحه لإنجيل القدِّيس يوحنا، وكيف أنه يُركِّز على الشركة مع الله منذ قصة الخليقة، ثم في التجسُّد بكلِّ تفاصيله ونتائجه، ثم في أسرار المعموديَّة والإفخارستيَّا.
- وعلى نفس المنوال، يُخصِّص ٣ فصول (فصل ٥ و٦ و٧)، لدراسة منهج الأب متى المسكين في شرحه لإنجيل القدِّيس يوحنا بكلِّ تفاصيله، مُتتبِّعًا نفس خطوات دراسته لمنهج القدِّيس كيرلس.
- وأخيرًا في الفصل الختامي (فصل ٨)، يُقدِّم النتائج التي توصَّل إليها.

وقراءة الكتاب شيِّقة جدًّا لمَنْ يعرف أو يحب أن يتعرَّف على منهج كلٍّ من القدِّيس كيرلس والأب متى المسكين. ويظهر منها إلى أيِّ مدى استوعب الكاتب التوجُّهات الأساسيَّة لكلٍّ منهما، حتى وصل إلى أدقِّ تفاصيل فكرهما اللاهوتي والروحي. وسنُقدِّم الآن مقتطفات من كافة فصول هذا الكتاب مركِّزين بالأكثر على المُقدِّمة والخاتمة:

مقتطفات من مقدِّمة الكتاب:

- الاشتياق المُتبادَل بين الله والبشريَّة، موضوعٌ يتخلَّل تفسير إنجيل القدِّيس يوحنا لكلٍّ من القدِّيس كيرلس والأب متى. وكلاهما يركِّزان عليه في سياق قصة الخلق، والتجسُّد، والأسرار الكنسيَّة (ص xi).
- على مدى هذه الدراسة كلِّها، سنُلقي الضوء على تضافُر آراء الأب متى مع آراء القدِّيس كيرلس في مفهوم الخلاص soteriology، وفي التعليم عن الروح القدس pneumatology، وعن الثالوث، وعن الأسرار الكنسيَّة، مُعتبرين أنَّ التعليم عن كيان المسيح christology، هو المركز الحي لكلِّ هذه النواحي عند كليهما (ص xii).
- النتيجة النهائيَّة لهذه الدراسة تتلخَّص في خمس نقاط:

١) كلاهما (القدِّيس كيرلس والأب متى) يذكران قوَّة التغيير الناتجة من الشركة مع الله.

٢) كلاهما يعتبران أزليَّة قَصْد الله في توحيد البشريَّة بذاته، فهذا القصد يبدأ من قبل تأسيس العالم.

٣) كلاهما يعتبران قدرة عمل الله في تسهيل استجابة الإنسان لهذا القصد.
٤) كلاهما يؤكّدان بوضوح أنَّ الاتِّحاد مع الله، لا يجعل البشر يصيرون آلهة بالطبيعة.
٥) الشركة مع الله تبدأ في الحياة الحاضرة، ولكنها تبلغ ذروتها في الأبديَّة (ص xii).

- وبالإجماع، فإنَّ موقف الأب متى من الشركة مع الله والاتِّحاد به، هو مُتجذِّرٌ قبل كلِّ شيء في التقليد السَّكندري الأول؛ وفي نفس الوقت، يُقدِّم مساهماتٍ شخصيَّةٍ أصيلة.

ومن الفصل الأول:

- ما دفعنا لاختيار القدِّيس كيرلس الكبير والأب متى المسكين ليكونا موضوع هذه الدراسة، هو اهتمامهما في تفسيرهما لإنجيل يوحنا بالتركيز على موضوع الشركة مع الله. وسببٌ آخر لاختيارهما، هو اقتناعنا أنَّ تعليم كلٍّ منهما عمَّا نستمدُّه من إنجيل يوحنا، يرتكز أساسًا على الاختبار الروحي وليس على النظريات (ص ١).
- وإن كان تفسير كلٍّ منهما يقترب إلى إنجيل يوحنا من زاوية تختلف عن الآخر؛ لكن، من الواضح، أنهما يشتركان في التركيز فوق كلِّ شيء على شركة البشريَّة مع الله (ص ٢).
- القدِّيس كيرلس مُتحفِّظٌ وشحيحٌ في استعماله للفظ "التألُّه" (بعكس القدِّيس أثناسيوس)؛ وهكذا الأب متى المسكين، مع أنه لا يمتنع أحيانًا من استعمال هذا اللفظ، لكنه يُفضِّل أن يُعبِّر عن فكره بتعبيراتٍ أخرى للشركة مع الله (ص ١٥).
- في فكر الأب متى والذين سبقوه في التقليد السَّكندري، بمَنْ فيهم القدِّيس كيرلس، فإنَّ غاية التجسُّد النهائيَّة هي دائمًا اتِّحاد البشرية مع الله، أو بتعبيرٍ آخر تألُّه البشريَّة (ص ١٨).
- الأب متى في طريقة تفسيره لإنجيل يوحنا وفي تركيزه على الاتِّحاد بالله، كان وريثًا أمينًا للتقليد السَّكندري المُمثَّل في دراستنا هذه بالقدِّيس كيرلس. ولكن سنُبيِّن أيضًا أنَّ الأب متى يَظهر في بعض المجالات كمُفسِّرٍ مُبتكرٍ ورائدٍ للفكر المُعاصر (ص ١٩).
- القدِّيس كيرلس جَمَعَ كلَّ مساهمات سابقيه مع ابتكاره الشخصي في بناءٍ واحد لاهوتي وفي سياقٍ كتابي، يحتل فيه **"التألُّه"** موضع **الغاية الأسمى للوجود البشري** (ص ٢٥).

ونفس هذا الذي قرَّره المؤلِّف عن "الغاية الأسمى للوجود البشري" لدى القدِّيس كيرلس، يعود ويُقرِّره بألفاظٍ أخرى في دراسته للأب متى (الفصل ٦):

- في شرح الأب متى لصلاة المسيح (يو١٧: ٢١)، يقول إنها تُثبت أنَّ من حقِّ البشريَّة أن تطلب الاتِّحاد بالله؛ بل وأن هذا هو **"هدف التجسُّد النهائي"** (ص ١٥١).

ومن الفصل الختامي (فصل ٨):

- غايتي من هذه الدراسة كانت أن أُقارن تعليم كلٍّ من القدِّيس كيرلس الكبير والأب متى المسكين فيما يخصُّ الشركة مع الله، وذلك في تفسير كلٍّ منهما لإنجيل القدِّيس يوحنا، وأن أُحدِّد مدى تطابُق فكر الأب متى مع التقليد السَّكندري ... وفي هذا الفصل الختامي، أُبيِّن المجالات التي تتفق فيها آراء الأب متى مع القدِّيس كيرلس، وأُشير إلى المواضع التي يُقدِّم فيها حلولًا جديدة (ص ٢٠٦).
- كلاهما يَعتَبِر أنَّ الشركة مع الله هي علاقة حقيقيَّة وكيانيَّة مع الله، ولو أنها ليست شركة بحسب الطبيعة (ص ٢٠٧).
- وكلاهما يعتقد بلا شكٍّ، أنَّ الشركة مع الله والاتِّحاد به، تبدأ في الحياة الحاضرة وتتكامل في الأبديَّة (ص ٢٠٧).

ومن أهم أوجه التشابُه بينهما:

- إنَّ التعليم الخريستولوجي عند كليهما، هو المركز الذي تدور حوله بقية تعاليمهم عن الخلق والثالوث والمعموديَّة والإفخارستيَّا ... إلخ.
- وأيضًا من أوجه التشابُه بينهما أنَّ كلًّا منهما لا يُعتَبَر "لاهوتيًّا نظاميًّا" بحسب المقاييس المُعاصرة.
- وكلٌّ منهما يقرأ إنجيل القدِّيس يوحنا على خلفيَّة تعاليم بولس الرسول.
- وكلٌّ منهما يستشهد بكثرة بآياتٍ من كافة أسفار الكتاب المقدَّس، بحسب المنهج السَّكندري الذي يَعتَبِر كلَّ الأسفار كتابًا واحدًا يُشير إلى "سرِّ المسيح".
- وقد أكَّد الباحثون أنَّ القدِّيس كيرلس، وإن كان لا يستشهد نصًّا بالآباء السابقين له، لكنه متأثِّرٌ بلا شكٍّ بالذين سبقوه. وهكذا الأب متى المسكين فهو متأثِّرٌ في تفسيره بالآباء السابقين له، سواء استشهد بهم أم لا.
- على أنَّ كلًّا منهما لم يُجِدَّ نفسَه بأفكار السابقين له (ص ٢٠٧).

أمَّا عن أوجه الاختلاف بينهما:

- فالقدِّيس كيرلس كتب تفسيره في جوٍّ مشحونٍ بهجوم الهراطقة والوثنيِّين واليهود، ولذلك فالجانب الدفاعي ظاهرٌ في تفسيره. وأمَّا الأب متى، وهو يكتب في الجوِّ الإسلامي في مصر، لم تكن له رغبة في الدخول في جدالاتٍ بين الأديان.

- أيضًا اختلافٌ آخر طفيف بينهما، أنَّ الأب متى يلتزم أكثر من القدِّيس كيرلس بحدود النَّصِّ الموضوع أمامه. والقدِّيس كيرلس يستخدم تشبيهاتٍ شتَّى من الثقافة العامة في عصره؛ بينما الأب متى يُحِدُّ نفسَه بالتشبيهات الكتابيَّة (ص ٢٠٧).
- وأحيانًا يُقدِّم الأب متى تفسيرًا مُبتكرًا لبعض المواضع من الكتاب. فعلى سبيل المثال، تفسيره لنفخة الله التي نفخها الله في آدم عند خلقته، يعتبرها الأب متى مصدر "النزوع الطبيعي" وحنين الإنسان إلى الله (شرح إنجيل يوحنا ٣: ٦، ص ٢١٧ – ٢١٨)، بينما القدِّيس كيرلس يعتبرها حلولًا لروح الله في آدم.
- وبينما يَعتَبِر القدِّيس كيرلس أنَّ الروح القدس قد فارق الإنسان بسبب الخطايا؛ يرى الأب متى أنه، على الرغم من فقدان الفردوس، لكن النزوع الطبيعي نحو الله لم ينطفئ قطُّ بالكلِّيَّة من الإنسان. ولكن، على الرغم من هذا الاختلاف في الرأي، فالاثنان – القدِّيس كيرلس والأب متى – يتَّفقان في أنَّ استعادة صورة الله الكاملة في الإنسان لم تتمَّ إلَّا بالتجسُّد (ص ٢٠٨).

كلاهما يتَّفقان على مركزيَّة الاتِّحاد الأقنومي:

- طوال هذه الدراسة، قد وجدنا أنَّ التعليم اللاهوتي عن الشركة مع الله لكلٍّ من القدِّيس كيرلس والأب متى، يرتكز بالأساس على الاتِّحاد الأقنومي. فالكلمة لمَّا تجسَّد قد وحَّد في شخصه الواحد الطبيعتَين: الإلهيَّة والبشريَّة. وكلٌّ من المؤلِّفَين يرى أنَّ الاتِّحاد الأقنومي هو أساس اتِّحاد البشريَّة مع الله. القدِّيس كيرلس يقول إنَّ المسيح لمَّا وحَّد طبيعتَين متباعدتَين كل الابتعاد عن بعضها البعض، قد أعاد تشكيل الطبيعة البشريَّة كلها في نفسه. وعلى نفس المنوال، يقول الأب متى إنَّ الاتِّحاد الأقنومي قد نقض الحاجز بين البشريَّة والله، وبذلك أعطى البشريَّة إمكانية الاتِّحاد مع الله. فكلاهما يَعتَبِر التجسُّد – الاتِّحاد الأقنومي – هو أساس الخلاص، على اعتبار أنَّ الخلاص هو إعادة خلقة البشريَّة من جديد (ص ٢٠٩).
- كلاهما يَعتَبِر أنَّ بشريَّة المسيح تُمثِّل الجنس البشري كلَّه، وهي في نفس الوقت كيانه البشري المفرد الخاص به. أي إنَّ الطبيعة البشريَّة بكاملها قد صارت "في المسيح"، بدون إلغاء كيانه البشري الخاص. فالمسيح لمَّا تجسَّد قد حلَّ في البشريَّة والبشريَّة حلَّت فيه (ص ٢١٠).

- وبخصوص الإفخارستيَّا، فإنَّ كلًّا منهما يَعتبِر أنَّ المُتناول ينال المسيح بكامله، بلاهوته وناسوته، وأنه بذلك يدخل في شركةٍ مع الطبيعة الإلهيَّة (ص ٢١٠).
- القدِّيس كيرلس يستعمل تشبيه النار والماء في شرحه لِمَا يحدث للمؤمن في كلٍّ من المعموديَّة والإفخارستيَّا: فمع أنَّ طبيعة النار تختلف تمامًا عن طبيعة الماء، لكن النار يمكنها أن تبثَّ في الماء صفتها الخاصَّة التي هي الحرارة؛ وهكذا اللاهوت يمكنه أن يبثَّ من صفاته الخاصَّة في المُعمَّدين والمُتناولين، ويجعلهم بذلك شركاء الطبيعة الإلهيَّة. كذلك يستعمل القدِّيس كيرلس، في سياق الإفخارستيَّا، تشبيه قطعتَيْن من الشمع يتمُّ عجنهما معًا، وتشبيه انتشار الخميرة في العجين، وذلك ليوضِّح اتِّحاد المُتناول بجسد المسيح حتى لا يمكن التفريق بينهما (ص ٢١١).
- أمَّا الأب متى، وإن كان لا يستعمل تشبيهاتٍ غير كتابيَّة، لكنه يصل إلى نفس النتيجة. فهو يتكلَّم عن العلاقة الكيانيَّة بين المؤمن والله الكلمة الذي هو نورٌ وحياةٌ بطبعه، ويَعتبِر أنَّ الكلمة يُضفي على البشريَّة صفاته الخاصَّة، أي النور والحياة والمجد. ويُضيف أنَّ التجسُّد قد مَنَحَ البشريَّة إمكانية رؤية الله والاشتراك في بنوَّة المسيح للآب. وبالإفخارستيَّا يَثبُت المُتناول في المسيح والمسيح فيه؛ وبذلك يمتلئ بملء الله (كو ٢: ١٠)، ويصير مع الله روحًا واحدًا (١كو ٦: ١٧).
- وبالإجمال، فإنَّ كلًّا من القدِّيس كيرلس والأب متى، يُعبِّر عن اشتراك المؤمن في الحياة الإلهيَّة بتعبيراتٍ واقعيةٍ وكيانيَّة. ومع ذلك، فلا أحد منهما يتجاهل محدوديَّة اشتراك البشريَّة في الله (ص ٢١١).
- الشركة مع الله ليس فيها تماثُل كأنها تتمُّ بين طرفَين متساويَين. هذا ما يؤكِّده كلٌّ من القدِّيس كيرلس والأب متى. فالطرف الإلهي يبقى على الدوام مختلفًا وفائقًا تمامًا عنَّا وهو مُعطي الخيرات، بينما الطرف البشري هو مُتقبِّلها. الطرف الإلهي مطلق في وجوده، بينما الطرف البشري له شركةٌ نسبيَّة. فبينما الابن هو الحياة والنور والملء بطبيعته، فإنَّ الطرف البشري ينال منه الشركة في هذه الخيرات دون أن يخرج عن طبعه المحدود. وبينما المُبادرة هي من الله؛ لكن الإنسان دائمًا مُطالب بالتجاوب، عن طريق الإيمان والحبِّ والصلاة وحفظ الوصايا.

- على ضوء كلِّ ما سبق، يظهر أنَّ تعليم الأب متى عن الشركة مع الله متأصِّلٌ في التقليد الآبائي، وخاصَّةً تعليم القدِّيس كيرلس الكبير. فعلى الرغم من وجود اختلافاتٍ طفيفة بينهما، فالتشابُه العجيب بين آرائهما يُثبت أنَّ الأب متى قد اطَّلع على أعمال الذين سبقوه في التقليد السَّكندري واستوعب أفكارهم (ص ٢١٢).

وفي إحدى صفحات الكتاب، نجد جملةً مقتضبة ربما تنمُّ عمَّا حدث للمؤلِّف شخصيًّا وأثَّر على مسار حياته: **"في الأب متى يوجد كنزٌ مخفيٌّ في حقل"** (ص ١٩).

✝ وللمؤلِّف الدكتور وجدي سمير مقالات لاهوتيَّة عديدة، نذكر منها على سبيل المثال:

❖ "تعليم القدِّيس كيرلس عن الإفخارستيَّا، في سياق اتِّحاد البشريَّة مع الله في شرحه لإنجيل القدِّيس يوحنا"(٢).

❖ "قَصْد الله الأزلي في اتِّحاد البشريَّة مع الله في تعليم الأب متى المسكين، بالمُقارنة مع الذين سبقوه في التقليد الإسكندري"(٣).

❖ "الشركة مع الله: حلول الروح القدس في الإنسان بحسب تعليم الأب متى المسكين، بالمُقارنة مع تعليم القدِّيس كيرلس الكبير"(٤).

❖ "اعتراف بالفضل لعملاقٍ قبطي أرثوذكسي لانفتاحه المسكوني: الأب متى المسكين"(٥).

---

(2) Samir, Wagdy. "St Cyril of Alexandria on the Eucharistic Context of Humankind's Union with the Divine in Commentary On John" in *The Impact of Jesus of Nazareth: Historical, Theological and Pastoral Perspectives*, vol. 2, ed. Peter G. Bolt and James R. Harrison (Macquarie Park: SCD Press, 2022) 199-226.

(3) Samir, Wagdy. "The Atemporal Plan for Union with God: Father Matta Al-Miskīn against the Backdrop of His Alexandrian Predecessors" in *Religions* 16: 165, 2025,

(https://doi.org/10.3390/rel16020165)

(4) Samir, Wagdy. "Divine Participation: the Indwelling of the Spirit in Father Matta al-Miskīn's Theology against the Backdrop of the Cyrilline Legacy", *Phronema* vol. 40, Issue 1, 2025, 57-87.

(5) Samir, Wagdy. "A tribute to the ecumenical openness of a Coptic Orthodox giant: Fr Matta al-Miskīn" in *A Celebration of Ut unum sint: The 25th Anniversary*, ed. Doru Costache and Diane Speed (Sydney: NSW Ecumenical Council's Theological Reflection Commission, 2020; second end 2022), 123-125.



أعمال الأب متى المسكين ومنهجه الأدبي[١]

الفصل الرابع من رسالة دكتوراه

قدَّمتها د. ليديا عادل صادق حنا

نشرت الباحثة د. ليديا عادل صادق حنا سنة ٢٠٢٣م، مقالة علميَّة باللُّغة الإيطالية بعنوان: "أعمال الأب متى المسكين ومنهجه الأدبي". وتذكر الكاتبة في الحاشية الأولى أنَّ هذه المقالة مأخوذة من الفصل الرابع من أطروحتها للدكتوراه التي قُدِّمت سنة ٢٠٢٢م في المعهد الباباوي الشرقي بروما[٢]. وكانت الباحثة قد ناقشت قبل ذلك، في ١٢ يوليو ٢٠١٧م، رسالة ماجستير في معهد صوفيا الجامعي بإيطاليا، بعنوان: "التألُّه والوحدة في اللاهوت الاختباري للأب متى المسكين، على خُطَى آباء الكنيسة"[٣]. وقد تُرجِمَت هذه الرسالة إلى العربية وحَظِيَت بمُقدِّمة من المُتنيِّح الأنبا إبيفانيوس، وطُبِعَت في مطبعة دير القدِّيس أنبا مقار.

وتأتي أهمية المقالة الحالية من أنها لا تكتفي بتعريف القارئ بموضوعات كُتُب الأب متى، بل تحاول أن تُقدِّم للقارئ مفتاح الدخول إلى منهجه الروحي واللاهوتي كما يظهر في كتاباته.

وتُعَدُّ هذه المقالة من أجمل الدراسات الحديثة التي تناولت كتابات الأب متى المسكين من العمق. ويبدو أنَّ الكاتبة قد أحسَّت بما يجده كثيرون من صعوبة في الدخول إلى عالم الأب متى المسكين وفَهْم طريقته، فأخذت على عاتقها أن تقترب من سرِّ أسلوبه نفسه: كيف يكتب؟ ومن أين يستمدُّ لغته؟ وكيف تحوَّلت حياته الروحيَّة إلى لغة لاهوتيَّة وأدبيَّة مميَّزة؟ كما يستطيع القارئ أن يلمس بين السطور محبةً صادقةً وتقديرًا عميقًا للأب متى المسكين، لا يُضعفان الطابع الأكاديمي للمقالة؛ بل بالعكس، يُساعدان على النفاذ إلى فَهْمٍ

(1) Lydia A. S. Hanna, "L'opera di Matta al-Miskīn e il suo genere letterario," *Orientalia Christiana Periodica* 89 (2023): 285–306.

(2) *L'umanità via alla divinizzazione: la teologia antropologica e mistica di Matta El Meskin,* Pontificio Istituto Orientale, Rome, 2022.

(3) *La divinizzazione e l'unitá, La teologia esistenziale di Matta el Meskin nella scia dei Padri della Chiesa.*

أعمق لشخصه وفكره وخبرته الروحيَّة.

- تتناول المقالة منهج الأب متى المسكين وأسلوبه في المحاور الآتية:

١. **الأسلوب الأدبي** عند الأب متى المسكين: وتعرض فيه الكاتبة طابع أسلوبه الرمزي، المُتعدِّد الآفاق، المتأثِّر بالكتاب المقدَّس والآباء، وبخاصة المنهج الرمزي لآباء الإسكندرية، الذي أسَّسه العلَّامة أوريجانوس.

٢. **السياسة والأخلاق المسيحيَّة**: وتُبيِّن فيه كيف تناول الأب متى قضايا السياسة والمجتمع، لا ككاتبٍ سياسي؛ بل كأبٍ روحيٍّ ينظر إلى الأحداث من منظور الإنجيل والمحبة.

٣. **لغة الأب متى وصِلتها بالتقليد**: وتدرس فيها مكانة الكتاب المقدَّس، والليتورجيَّا، والآباء، في لغته اللاهوتيَّة.

٤. **التقليد كأداة بحث عند الأب متى المسكين**: وتوضِّح كيف تعامَل الأب متى مع التقليد، لا كمادةٍ جامدة، بل كخبرةٍ حيَّة في الكنيسة.

٥. **مركزيَّة المسيح في كتاباته**: وتعرض الكاتبة كيف أنَّ المسيح هو المركز الذي يجمع الأب متى حوله التعليم اللاهوتي والأنثروبولوجي والخلاصي.

٦. **الروح القدس في كتاباته**: وتشرح فيه مكانة الروح القدس بوصفه "رب الحياة"، و"واهب الشركة"، و"مُحقِّق الوحدة".

٧. **تجديد الفكر اللاهوتي في الكنيسة القبطيَّة**: وتؤكِّد الكاتبة أنَّ كتابات الأب متى أسهمت في إحياء موضوعاتٍ لاهوتيَّة كُبرى، مثل: الاتِّحاد بالله، والخليقة الجديدة، والتبنِّي، والكنيسة جسد المسيح، واللاهوت الميستيكي، والوحدة المسيحيَّة.

٨. **الطابع العام لإنتاجه المكتوب**: وتختم الكاتبة برؤيةٍ شاملة، ترى في كتاباته فكرًا تقليديًّا غير جامد، منفتحًا على العالم، وحاملًا همَّ الإنسان والكنيسة والتاريخ.

- والآن ننتقل إلى عرضٍ سريع لمحتوى المقالة:

◆ في المحور الأول، تعرض الكاتبة الأسلوب الأدبي عند الأب متى المسكين، وتنطلق من عبارةٍ كاشفة تقول فيها: إنَّ "كتابات الأب متى المسكين تعكس أسلوب حياته الروحيَّة". فهي ترى في كتاباته امتدادًا لطريقة حياته أمام الله. ولذلك تصف أسلوبه بأنه: "متكرِّر، متعدِّد الآفاق، ومتفرِّع"، لا يُدرَك من قراءةٍ سريعة، لأن الأمر عنده، كما تقول: "ليس مجرد

كلمات، بل حياة منقولة في كلمات". ومن هنا يحتاج القارئ إلى قراءةٍ متأنِّيةٍ ومتكرِّرة، حتى يدخل إلى الأبعاد المُتداخلة في فكره ولغته وخبرته الروحيَّة.

- ثم تدرس الكاتبة لغته الرمزيَّة وصلتها بالتفسير الآبائي، وخاصةً بالمنهج الرمزي السَّكندري الذي أسَّسه العلَّامة أوريجانوس. وتُبيِّن أنَّ استعمال الأب متى للرموز والصُّور والمُقابلات ليس زخرفةً أدبية، بل هي طريقٌ للدخول إلى العمق الروحي للنَّصِّ. فهو لا يقف عند الحرف، بل يعبُر منه إلى المعنى الأعمق، مُستندًا إلى روح التفسير الآبائي الذي يرى في النَّصِّ الكتابي مجالًا للّقاء مع الله ولاستعلان مقاصده.

- ثم تتوقَّف عند مستواه الثقافي واللُّغوي، فتُشير إلى لغته العربية الأدبية، وإلى معرفته باليونانيَّة، واستفادته من القبطيَّة والعبريَّة والآراميَّة واللاتينيَّة في بعض المواضع التفسيريَّة. وتُلاحظ الكاتبة أنَّ كتاباته تتميَّز "بأناقة أسلوبه في اللغة العربية"، سواء في التعبير عن أفكاره أو في تفسيره للكتاب المقدَّس والتقليد. وهذا البُعْد الثقافي، في نظرها، ساعد على انفتاح كتاباته وانتشارها في لُغاتٍ كثيرة، خارج حدود السياق القبطي والعربي.

- ثم تنتقل إلى كتاباته في السياسة والأخلاق المسيحيَّة، موضحةً أنه "لم يكتب أبدًا في السياسة بصورةٍ سياسيَّةٍ مَحْضَة"؛ بل كتب عنها دائمًا من منظورٍ روحي، مرتبط بالمحبة والسلام والإنسانيَّة والوحدة. فالأب متى، بحسب قراءة الكاتبة، لا يتعامل مع الأحداث ككاتبٍ سياسي، بل كأبٍ روحي يقرأ الواقع في ضوء الإنجيل، ويربط قضايا الوطن والعدالة والأُخوَّة بمعنى المحبَّة الإلهيَّة.

- ثم تدرس الكاتبة صلة لغة الأب متى اللاهوتيَّة بالتقليد، مبيِّنةً أنَّ الكتاب المقدَّس، والليتورجيَّا، والآباء، ليست مجرد مصادر يستشهد بها؛ بل هي الينابيع التي تُكوِّن لغته نفسها. فالكتاب المقدَّس هو عنده "المعلِّم الأول"؛ والليتورجيَّا ليست مجرد طقس، بل "موضع ظهور الله وسط شعبه"؛ أمَّا الآباء فهم شهودٌ للخبرة الكنسيَّة الحيَّة التي ينتقل بها التقليد من جيلٍ إلى جيل. ومن هنا تبدو لغة الأب متى لغةً كنسيَّةً حيَّة، مولودة من الكتاب، ومُصلِّية في الليتورجيَّا، ومُتجذِّرة في الآباء.

- ثم تعرض حضور القدِّيسَيْن بولس ويوحنا في كتاباته. فمِنْ جهة القدِّيس بولس، تُبرِز الكاتبة أثر المُفارقات المسيحيَّة في أسلوب الأب متى: الموت والقيامة، الجسد والروح،

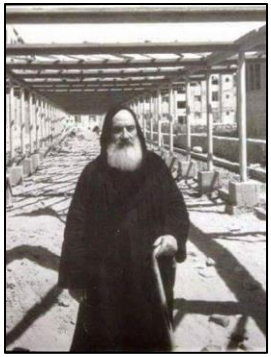
الضعف والقوَّة، الحزن والفرح، الخطيَّة والنعمة. ومن جهة القدِّيس يوحنا، ترى أنَّ أسلوب الأب متى السِّرِّي التكراري يقترب من العمقَيْن الرمزي والروحي للاهوت القدِّيس يوحنا، حيث تقود الصورة والرمز القارئ إلى عمق سرِّ المسيح.

- ثم تتناول الكاتبة مركزيَّة المسيح وعمل الروح القدس في فكره. وتُبيِّن أنَّ المسيح هو محور التعليم اللاهوتي والأنثروبولوجي والخلاصي عند الأب متى، وأنَّ الإنسان لا يكتشف معنى خلقته ولا غاية وجوده ولا مصيره الأبدي إلَّا في المسيح. كما تُظهِر أنَّ الروح القدس، في فكر الأب متى، هو واهب الحياة والشركة والوحدة، والعامل في الكنيسة وفي المؤمنين لكي تتحقَّق الخليقة الجديدة في المسيح.
- وأخيرًا، تختم الكاتبة بإبراز دور كتابات الأب متى في تجديد الفكر اللاهوتي في الكنيسة القبطيَّة. فهي ترى أنه أسهم في إحياء موضوعاتٍ أصيلة في التقليد، لا بإضافةٍ غريبة عليه، بل بالرجوع إلى روح العهد الجديد والفكر الآبائي. ومن بين هذه الموضوعات: الاتِّحاد بالله، والتبنِّي، والخليقة الجديدة، وعمل الروح القدس، والكنيسة جسد المسيح، والوحدة المسيحيَّة. ولذلك تصفه الكاتبة بأنه كان له دورٌ رائد في إحياء الدراسات الآبائيَّة في الكنيسة القبطيَّة الحديثة، حتى إنها تراه "رائد النهضة في مجال الدراسات الآبائيَّة في الكنيسة القبطيَّة الأرثوذكسيَّة بعد فترةٍ طويلةٍ من الركود".

وتفتح هذه المقالة للقارئ بابًا مهمًّا للدخول إلى عالم الأب متى المسكين الكتابي واللاهوتي، إذ تكشف منهجه في الكتابة والتفسير. ويظهر منها إلى أيِّ مدى استوعبت الكاتبة التوجُّهات الأساسيَّة لفكره، حتى وصلت إلى دقائق أسلوبه اللاهوتي والروحي. فهي تُبرز أنَّ أصالة الأب متى لا تقوم على تقليد الآباء، بمعنى النَّسخ أو التكرار؛ بل على التعلُّم منهم والانفتاح، من داخل التقليد نفسه، على آفاقٍ روحيَّةٍ متَّسعة.

ولذلك تقول الكاتبة: إنَّ الأمر عنده "ليس تقليدًا للآخرين، بل هو إبداعٌ جديدٌ دائمًا، يقترب كل يوم من الغاية، أي التشبُّه بالله".

ومن هنا تبدو مقالتها مدخلًا نافعًا لفَهْم أدب الأب متى المسكين من الداخل، لا من حيث موضوعاته فقط، بل من حيث السرِّ الروحي الذي يُحرِّك لغته وفكره.



الحياة الأخلاقيَّة
وارتباطها بالحياة الروحيَّة
في فكر الأب متى المسكين[١]

رسالة دكتوراه قدَّمها

الأب أندريا مانتشيني

مُقدِّم هذه الرسالة الأب أندريا مانتشيني Andrea Mancini، هو كاهن كاثوليكي وأستاذ للَّاهوت الأدبي (الأخلاقي) في الكلية اللاهوتيَّة التابعة لإيبارشية نوفارا الكاثوليكيَّة بشمال إيطاليا. وقد اصطدم في تدريسه لهذه المادة بنتائج انقسام المعرفة اللاهوتيَّة بين تخصُّصاتٍ متعدِّدة، الذي شهده اللاهوت الكاثوليكي ابتداءً من القرنين العاشر والحادي عشر الميلاديَّيْن، حتى صار "اللاهوت الأدبي" يُدرَّس في ذاته بمعزلٍ عن بقية فروع المعرفة الدينية.

ويصف الأب أندريا هذا الانقسام بعباراتٍ صريحة قائلًا: "إنَّ الأمر البديهي بالنسبة للإنسان الروحي، هو أنَّ السلوكيَّات والأخلاقيَّات لا بدَّ أن تنبع من حياة الإنسان الروحيَّة وعلاقته الداخلية بالله. وهذا لم يَعُد بديهيًّا بالنسبة للدراسات اللاهوتيَّة الغربية، للأسف الشديد".

وهكذا التفت الأب أندريا نحو الكنيسة الأرثوذكسيَّة الشرقيَّة التي لم تُعانِ من هذا الانقسام الفكري بين السلوكيَّات والروحيَّات[٢]؛ لينتهي به المسير إلى اكتشاف فكر الأب متى المسكين، والذي أَظْهَر بأسلوبٍ روحيٍّ مُعاصر الترابُط الشديد غير القابل للانفصال بين

---

(1) Andrea Mancini, *Spiritualitá e Morale "per il mondo intero" alla luce del pensiero e della testimonianza di Matta el Meskin*, Dissertatio ad Doctorandum in Theologia morali, Pontificia Universitas Lateranensis, Academia Alfonsiana, Pontificium Institutum Superius Theologiae Moralis, Romae, 2025.

(٢) يقول الأب أندريا: [في العالم الأرثوذكسي يُدرَّس عادةً "اللاهوت الأدبي" ضمن مقررات اللاهوت النُّسكي والروحي، تفاديًا للتجزئة المُفرطة؛ ولكن – للأسف – تحت التأثير الغربي، فإنَّ بعض المعاهد الأرثوذكسيَّة (على سبيل المثال: المعهد اللاهوتي الأرثوذكسي المرموق "سان سيرج" بباريس) بدأت تُدرِّس اللاهوت الأدبي كمادة مستقلة].

الحياة الروحيَّة العميقة القائمة على العلاقة الشخصيَّة بالمسيح وبالروح القدس، وبين سلوك الإنسان السليم.

وقد كان هذا الاكتشاف، في نظر الأب أندريا، علامةً مُضيئة في طريقه؛ إذ وجد، في شخص الأب متى، ما كان يبحث عنه، أي وجد باحثًا ولاهوتيًّا استعاد فكر الآباء وعَرَضَه بطريقةٍ مُعاصرةٍ مفهومةٍ للقارئ المُعاصر. وكذلك وجد مؤلِّفًا كتابيًّا أَوْلَى الكتاب المقدَّس، والعهد الجديد بالذات، اهتمامًا بالغًا. كما أنَّ الهدف الذي كان يهدف إليه الأب متى المسكين لم يكن، على حدِّ قول الأب أندريا، مجرد بنائه الروحي الشخصي؛ بل كان يرمي إلى تجديد الحياة الرهبانيَّة والكنسيَّة، ومِن ثمَّ تقديم مُثُل الحياة المسيحيَّة على أنها يمكن تحقيقها من كلِّ إنسان.

ومن أبرز ما يُضيفه الأب أندريا إلى فهمنا للأب متى، هو توصيفه الدقيق للوحدة العميقة التي تربط الموضوعات الروحيَّة المختلفة في فكره. فالأب أندريا يَخلُص إلى أنَّ هذه الموضوعات التي تناولها الأب متى المسكين، ليست فصولًا منفصلة من الحياة الروحيَّة؛ بل هي تُسهم إسهامًا أساسيًّا في تشكيل طابعٍ قلبيٍّ "forma cordis" عميقٍ للحياة، وهي الخلفيَّة الحيَّة التي في رحابها نضج الوعي الروحي والرهباني لأبينا متى، وهو الأُفق الذي تتشكَّل فيه كتاباته الروحيَّة وفكره اللاهوتي.

فهذا الطابع القلبي الذي شكَّل حياة الأب متى المسكين، يُحدِّد نموذجًا خاصًّا للحياة المسيحية قابلًا للمُشاركة. إنَّ الإبداع الروحي للرسالة اللاهوتيَّة الخاصة بالأب متى المسكين – ويذكر الأب أندريا على سبيل المثال لا الحصر، إشارة الأب متَّى إلى عناصر لاهوتيَّة تقليديَّة كادت أن تُنسى مثل التألُّه – يجد جذوره في الكتاب المقدَّس، وفي تراث آباء بريَّة شيهيت، وفي حياة الصلاة الفرديَّة والليتورجيَّة.

ويحدِّد الأب أندريا جوهر فكر الأب متى في مفهوم التبنِّي لله الذي يُمنح للإنسان الجديد بالمعموديَّة، بأنه حياةٌ جديدة في المسيح، بروح القيامة والتبنِّي، تعمل على أن تمتدَّ تدريجيًّا إلى كلِّ نطاقات الوجود الإنساني. فبحسب رؤية الأب متى المسكين، فإنَّ هذا التحوُّل الروحي العميق، يضع الإنسانَ في وضعٍ روحيٍّ سماوي إلى درجة أن تظهر الخطيئة فيما بعد أنها غريبةٌ عن طبيعة الإنسان الجديد.

ويتجلَّى هذا الفهم بوضوح، بحسب الأب أندريا، في كتاب: "الخلقة الجديدة للإنسان"،

الذي يصفه بأنه ربما أهم جميع أعمال الأب متى[٣]، إذ يُبيِّن فيه كيف أنَّ الخلقة الجديدة في المسيح يسوع تتجلَّى في خبرةٍ كيانيَّةٍ واقعيَّةٍ للتبنِّي لله، أي في الاتِّحاد بين الجانب الإنساني والجانب الإلهي في حياة مَنْ يولدون من فوق بنعمة المعموديَّة.

ومن المُلفت للنظر، أنَّ الأب متى المسكين، وإن لم يَسْعَ قطُّ إلى تقديم معرفةٍ ذات طابعٍ لاهوتيٍّ نظريٍّ صرف (ولا لاهوتي أخلاقي صرف بكلِّ تأكيد!)، إلَّا أنه كَتَبَ عن الأخلاقيَّات. فلا تخلو تأمُّلاته من موضوعاتٍ تنتمي إلى ما يُسمَّى في الغرب بـ "اللاهوت الأخلاقي الأساسي"، مثل العلاقة بين التوبة والنُّسك والعمل الروحي، وبين الضمير والناموس والحريَّة وخبرة الخطيئة.

كما نجد مجموعةً من المُساهمات الأخرى التي تندرج في ما يُعرف بـ "اللاهوت الأخلاقي الاجتماعي"، وتتعلَّق بدور المسيحي في المجتمع، وعلاقة السياسة بالدِّين، وفن الحياة الناجحة، ودور المرأة في الكنيسة والمجتمع، وتحديد النسل، وغير ذلك. ولكن في كلِّ ذلك تُركِّز كتابات الأب متى المسكين باستمرار على الوحدة الصميميَّة بين مختلف أبعاد الخبرة المسيحيَّة والإيمانيَّة.

فكلُّ الموضوعات التي يتناولها الأب متى المسكين في كُتُبه، يطرحها بوصفها تعبيرًا واقعيًّا عن الحياة الجديدة الموهوبة لنا بالخلقة الجديدة في المسيح، وهي تشهد شهادةً بالغةً على أنَّ البُعد الأخلاقي في الحياة المسيحيَّة، إنما هو مرتبطٌ بامتياز بالطبيعة الروحيَّة الجديدة. فالضمير في مفهومه الأخلاقي عند الأب متى، هو ضميرٌ روحيٌّ بالأساس، وينطبق الأمر ذاته على الناموس والحريَّة وغيرها.

وليس هذا الأسلوب الجديد للحياة طريقًا ينشأ من جهد الإنسان في تصحيح عيوبه الخاصَّة بحسب الإنسان القديم، ومِن ثمَّ في تكييف نفسه بشكلٍ ذاتي مع وَضْع الخلقة الجديدة؛ بل إنَّ هذه الحياة الجديدة – على العكس – تنبثق من عمل المسيح ذاته الذي "قد سلَّحنا بجسده وروحه ونصرته وحبِّه" ("الخلقة الجديدة"، ج١، ص١٢٧).

ولكن، في النهاية، تُبرِز كتابات الأب متى المسكين الدعوة إلى علاقةٍ تفاضُليَّةٍ أساسيَّةٍ بين

---

(٣) لقد أصاب الأب أندريا في هذا التوصيف، فإنَّ الأب متى المسكين نفسه حينما كَتَبَ هذا الكتاب سنة ١٩٩٧م، كان يصفه بأنه أعلى ما كتب، وأنه لن يكتب شيئًا أهمَّ منه.

البُعد الروحي والبُعد الأخلاقي، حيث تَحْظَى الروح بالأسبقيَّة والتفوُّق على حياة المسيحي الأخلاقيَّة. ففي مقطعٍ ذي معنًى كبير من كتاب: "تغيَّروا عن شكلكم"، يُشير الأب متى إلى التحوُّل الكياني والأخلاقي المُنبثق من المعموديَّة، فيقول: "ويبتدئ الإنسان أن يأخذ، كنتيجةٍ حتميَّةٍ لهذا الميلاد، عوامل روحيَّة فائقة لحياةٍ جديدة تُغاير وتُخالِف الحياة الأولى جدًّا وفي كلِّ شيء" (ص ٧).

وهذا يُبيِّن لنا أنَّ التجربة الأخلاقيَّة لا تجد أساسها في مجرد مُطابقة الحياة لناموسٍ ما، ولا لمبدأ فكري ما؛ بل في مُطابقة الحياة لفعل الروح القدس نفسه وفي استجابة الإنسان الحُرَّة والمسؤولة لعمل الروح.

غير أنه، على الرغم من تعدُّد الموضوعات اللاهوتيَّة والروحيَّة في أعمال أبينا متى المسكين، ولا سيَّما تلك المُخصَّصة بوضوح لعمل الروح القدس، وخاصَّةً في كتاب: "الروح القدس الرب المُحيي"؛ إلَّا أنَّ الصلة بين الحياة الأخلاقيَّة والحياة الروحيَّة، لا يكتمل فهمها فهمًا صحيحًا بالرجوع إلى كتاباته وحدها، بل لا بدَّ – وربما بالدرجة الأولى – من التأمُّل في شهادة حياته نفسها، أي سيرته الإنسانيَّة والروحيَّة وطريقته الخاصة في كونه مسيحيًّا وراهبًا وأبًا روحيًّا.

ولذلك يدفعنا الأب متى المسكين، بسيرته الخاصَّة، إلى استعادة مركزيَّة الخبرة بوصفها موضع توليف وتخطِّي الانقسام بين الإيمان النظري والمُمارسة الحياتيَّة، بين الخبرة الروحيَّة والحياة الأخلاقيَّة.

إنَّ العمل المُشترك والتآزُر (συνεργία) بين الروح القدس وروح الإنسان يستدعي انتباهًا مزدوجًا: **الأول:** إلى الوجه الموحِّد للروح الإلهي الواحد العامل في الجميع؛ **والثاني:** إلى تعدُّد الأرواح البشريَّة التي هي بعدد البشر أنفسهم، وبالتالي إلى الطريقة الشخصيَّة والفريدة التي يستجيب بها كلُّ إنسان لصوت الروح القدس.

ويتجلَّى في هذا الضوء ما يمكننا أن نصفه بأنه نماذج متعدِّدة للحياة المسيحيَّة الساعية إلى الكمال الإنجيلي، وهو ما يُسمَّى بـ "شهادة القدِّيسين المُقدَّمة للعالم".

وفي هذا المجال، يقف أبونا متى المسكين بحياته، شاهدًا مُضيئًا للغاية.



الأب متى المسكين
راهبٌ من زماننا

د. عاطف العراقي[١]

يحتل الأب متى المسكين مكانةً رفيعة في تاريخ الثقافة الدينيَّة المُعاصرة. إنَّ القارئ لكُتُبه، وما أكثرها، يكتشف أنَّ مُفكِّرنا الذي أثرى المكتبة العربية بالعديد من الكُتُب، والذي يعمل في صمت العلماء وهدوء المُفكِّرين، يؤمن بالتسامُح الديني والابتعاد كلَّ البُعد عن روح التعصُّب.

لقد أدرك الرجل، بثاقب نظره، أنَّ الشعوب لا يُقدَّر لها الاستمرار والازدهار إلَّا إذا اتَّخذت مِن التسامُح دليلًا ومرشدًا لها في حياتها الحاضرة والمستقبلة. أمَّا إذا سادت روح التعصُّب، فإنها سرعان ما تتفرَّق وتتشتَّت وتنتهي إلى زوال.

الأب متى المسكين يُمثِّل المُثقَّف خير تمثيل. فقد كان صاحب ثقافة روحيَّة موسوعيَّة، لا يملك القارئ له إلَّا الإعجاب بهذا الرجل، الذي كان يعمل في صمت، بعيدًا عن ضجيج الدُّنيا والتكالُب على المناصب الزائلة وبريق الشهرة. وقد ترك لنا مجموعةً من المؤلَّفات لا حَصْر لها، يقف أمامها القارئ ليجد نفسه أمام عالِم غزير المعرفة، لا يقتصر على مجالٍ مُحدَّد من المجالات الفكريَّة؛ بل نراه حريصًا على وصف الدَّاء وتقديم العلاج.

حاول الأب متى غرس الاتِّجاه الروحي والبعيد عن التعصُّب في نفوسنا وعقولنا ووجداننا، وما أحوجنا هذه الأيام التي نعيشها إلى تلك الروح التي أخلص لها هذا الرجل العظيم. إنه يُمثِّل نموذجًا يجمع بين النظر (التأمُّل) والعمل. فحياته هي فكره، وفكره هو حياته.

الرجل طوال حياته، كتب آلاف الصفحات المُعبِّرة عن جوهر الأديان بصفةٍ عامة، والدِّين

---

(١) الدكتور عاطف العراقي (١٩٥٣ – ٢٠٢١م) هو مُفكِّرٌ وفيلسوفٌ وباحثٌ مصريٌّ، عمل أستاذًا للفلسفة بكلية الآداب – جامعة القاهرة، له عشرات المؤلَّفات تدور حول "تجديد الفكر العربي" و"الدفاع عن العقلانيَّة". وقد زار دير القدِّيس أنبا مقار مراتٍ عديدة.

وهذه المقالة: "الأب متى المسكين، راهبٌ من زماننا"، نُشرت في جريدة الأهرام المسائي، باب: "ضواحي الفضفضة"، بتاريخ ٨ يناير ١٩٩٥م.

المسيحي بصفةٍ خاصة، والتي تُعبِّر عن حقيقة نفسه الشفَّافة المُضيئة، والتي تسعى إلى تحويل الفكر إلى سلوكٍ واقعي. استمع إلى ما كتبه في مقدِّمة كتابه الكبير **"حياة الصلاة"**، فهو يقول:

[إنَّ العالم اليوم متعطِّشٌ لشهادة إيمانٍ حيٍّ بشخص يسوع المسيح، لا ليسمعها ولكن ليعيشها. فما أكثر الكُتُب التي تتكلَّم عن المسيح، وما أكثر المُعلِّمون الذين يتكلَّمون عن المسيح؛ ولكن الذين يعيشون مع المسيح ويتكلَّمون مع المسيح قليلون جدًّا. والكنيسة لا يمكنها أنْ تعيش على حقائق إيمان تُدرَّس. فالإيمان بالمسيح ليس نظريَّة بل قوَّة قادرة على تغيير الحياة. وكلُّ إنسان في المسيح يسوع لا بدَّ أنْ تكون له هذه القدرة، أي يكون قادرًا على تغيير حياته، وتجديدها بقوَّة المسيح].

هذه كلمات مِن إنسانٍ يُدافع عن دينه، ولا يتردَّد في نقد سلوك أبناء دينه، والذين يفصلون بين العقيدة والعمل. إنَّه لا يتردَّد في التأكيد على أنَّ العبادات تكون حقيقتها في الباطن وليس في الظاهر. ويؤكِّد أنَّ هدف الفرد الإنساني يجب أنْ يكون حول الغيريَّة وحب الآخرين، ويكون مُبتعدًا تمامًا عن الأنانيَّة والسلوك الذي يضرُّ بالآخرين. إنَّه يقول: [لقد أصبحت لهفة العالم اليوم إلى شهادة إيمانٍ حيَّة صادرة مِن نفسٍ لها صلة حقيقيَّة بالله، وهي تفوق في وزنها وأثرها ألف كتاب عن العقيدة والإيمان والصلاة].

إنَّه يدعونا إلى التواضُع وإنكار الذات. وكم نحن الآن، وأكثر من أيِّ وقتٍ مضى، في أَمسِّ الحاجة إلى غرس هذه القِيَم في نفوسنا، بعد أنْ انتشرت بيننا ظاهرة تضخُّم الأنا والغرور بدون أدنى مُبرِّر. يقول الأب متى: [حذارِ أنْ تُكوِّن عن نفسك فكرة أنَّك شيء مهم، وأنَّه لولاك لتوقَّفت الأمور وتعطَّلت الأعمال، فتبدو ذاتك في عينيك أنَّها عظيمة وكبيرة].

كما يقول في عبارة رائعة: [مِن الأفضل للإنسان أنْ يعيش ميِّتًا في نظر الناس والعالم ويخلص، مِنْ أنْ يتبوَّأ أعظم المراكز، ويخسر حريته وحياته الأبديَّة. كما أنَّه أفضل للإنسان أنْ يُقال عنه أنَّه جاهلٌ أو ضعيفٌ ويكون سائرًا في طريق الحقِّ والحياة، من أن يكون شغله الشاغل مديح الأفواه على المنابر كقويٍّ وعظيم، وتكون حياته خَرِبة وخالية، والظلمة تُلاحقه].

والواقع، إنَّ الأب متى المسكين قد بذل جهدًا كبيرًا في التنبيه إلى أهمية القِيَم الروحيَّة في بَلْوَرَة سلوك الإنسان. فالإنسان لا يكون كائنًا اجتماعيًّا إلَّا إذا كانت المحبة هي عقيدته الكبرى، كما يقول.

وهو يثق بالله ثقةً مطلقة، وهو الأمر الواضح غاية الوضوح في كلِّ الكُتُب التي قام بتأليفها. ومنها على سبيل المثال ما كتبه في الفصل السادس من كتابه: **"حياة الصلاة"** عن ضبط الفكر، وهو يُعدُّ أروع فصول كتابه، يقول: [مِن نِعَم الله على الإنسان سعي الخيال وامتداده حتى إلى فوق حدود العالم المادي، فالفكر البشري يستطيع أنْ يُحيط بكلِّ ما على الأرض، ويمتدَّ ليتصوَّر ما في السماء. وقد وهبنا الله هذا الخيال الحي لنتصوَّر به حوادث الماضي لنحيا فيها، ونشترك في بركاتها ونحتاط لأخطائها. فالخيال هو الرباط الذي يربط حقائق الماضي، بوقائع الحاضر، بأماني المستقبل].

إنَّ الأب متى المسكين كان حريصًا على أنْ يُقدِّم لنا مجتمعًا أفضل، مجتمعًا حضاريًّا تتمثَّل حضارته في الداخل أساسًا، داخل الإنسان، وليس مِن خلال الانبهار بالعوامل الخارجيَّة الزائفة، أي بقشور الحضارة. فإذا صلُح الإنسان بداخله؛ فإنَّ الأُمَّة كلَّها سوف تأخذ طريقها نحو التقدُّم إلى الأمام والازدهار، حاضرًا ومستقبلًا.

والإنسان – فيما يقول الأب متى المسكين – يكون في غاية السعادة والسلام بسبب عناية الله به عناية شاملة مِن جهة رغباته الجسديَّة ورعايته في الداخل والخارج، وحمايته له حماية ملموسة في كلِّ المواقف. وليطمئن الإنسان تمامًا أنَّه محفوظٌ بيد الله، وملحوظٌ بعنايته؛ وهكذا تزداد ثقة الإنسان ويتقوَّى إيمانه بالله على أساس الدليل المادي الواضح، والبرهان الملموس.

والواقع أنَّ القارئ لآلاف الصفحات التي كتبها الأب متى المسكين، يجد نفسه في دهشةٍ أمام هذه الثقافة الموسوعيَّة في مئات المواضيع التي يكتب فيها؛ وخاصةً أنَّه يكتب بلغةٍ أدبيَّةٍ رصينة، وأسلوبٍ مُشوِّق، وفي غاية الوضوح. أسلوب يُعبِّر مِن خلاله عن قلقه تجاه ما يعترض الإنسان في كلِّ زمانٍ ومكان مِن قلقٍ ومعوِّقات. ثم هو لا يكتفي بالحديث عن مشكلات الإنسان، بل سرعان ما يُقدِّم لنا الحلول وأوجُه العلاج. إنَّه يكتب عن الأمل وعن التفاؤل وعن التربية الروحيَّة، وكيف يكون فيها الخلاص من متاعب الإنسان.

إنَّ هذا الرجل قد دخل تاريخ ثقافتنا المُعاصرة مِن أوسع الأبواب وأرحبها. ولا يمكن أنْ نتصوَّر تاريخًا لتلك الثقافة، إلَّا إذا وضعنا في اعتبارنا مجهودات هذا المُفكِّر والعالِم والعامل في صمتٍ وبدون كللٍ أو ملل.

لقد استحقَّ الأب متى المسكين التحية مِن الجميع. استحقَّ الثناء والإعجاب والتقدير مِن كلِّ فردٍ مِن أفراد الإنسانيَّة في كلِّ زمانٍ وكلِّ مكان.



بمناسبة
عيد العنصرة

ماذا حدث يوم الخمسين؟

للقدِّيس غريغوريوس اللاهوتي[١]
(٣٢٩ – ٣٩٠م)

الاحتفال بعيد "البنتيقسطي"[٢]:

إنَّ احتفالنا بالأعياد ينبغي أن يكون روحيًّا وبما يسرُّ روح الله، وما يسرُّه هو أن نكنز في نفوسنا في العيد أمورًا روحيَّة خالدة ونتمسَّك بها. إنَّ اليهودي يحتفل بأعيادٍ مثلنا، ولكن بالحرف لا بالروح، إذ إنه لم يبلغ بعد إلى الناموس الروحي. واليوناني (أي الوثني) أيضًا يحتفل بأعيادٍ، ولكن بالجسد فقط وإكرامًا لآلهته وشياطينه. وهكذا، فإنَّ طريقة احتفالهم بالعيد إنما هي جسدانيَّة، وكأنَّ خطيتهم هي إكرامٌ للإله الذي تلتجئ إليه أهواؤهم كشيء يفتخرون به. ولذلك، ينبغي علينا الاحتفال بالعيد روحيًّا.

وهذه هي بداية حديثنا، أننا ينبغي أن نتكلَّم حتى لو بدا حديثنا غير مُتتابع قليلًا، وينبغي أن نكون مُثابرين من أجل أولئك الذين يحبُّون أن يتعلَّموا.

عيد الأسابيع وإكرام رقم ٧:

كان أبناء العبرانيين يُكرِّمون رقم ٧ بحسب شريعة موسى النبي، حيث إنَّ الله خلق كلَّ شيء في ستة أيام وأعطاها شكلها المعروف، ونسَّقها بكلِّ الأشكال، وصنع هذا العالم الحاضر المرئي، ثم استراح في اليوم السابع من جميع أعماله، كما يظهر من اسم "السبت" ذاته الذي يعني في اللُّغة العبريَّة "راحة". ولم تكن هذه الكرامة مقتصرة على الأيام، بل امتدَّت إلى السنين. كما أنهم كانوا في عيد الفصح يعزلون الخمير من بيوتهم ويأكلون فطيرًا لمدَّة سبعة

---

(١) هذه العظة يُرجَّح أنها أُلقيت في القسطنطينيَّة بمناسبة هذا العيد في ١٦ مايو عام ٣٨١م. وكان القدِّيس حينئذٍ في خطرٍ شديد على حياته من الأريوسيِّين بسبب جرأته في المُناداة بالإيمان الحقيقي. وقد ترجمناها باختصار من: NPNF, 2nd Series, Vol. VII, p. 378.

(٢) "بنتيقسطي πεντηκοστή" كلمة يونانية معناها "خمسين"، لأن الروح القدس حلَّ على التلاميذ في اليوم الخمسين من قيامة الرب.

أيام (خر ١٢: ١٥). كذلك في السنة السابعة كان اليهودي يُحرِّر عبيده (خر ٢١: ٢). كما أنهم كانوا يحتفلون بعيد الخمسين، الذي هو عيد الأسابيع، بعد سبعة أسابيع من عيد الفصح. وهكذا أيضًا كانت السنة الخمسين (بعد سبعة أسابيع من السنين)، هي سنة اليوبيل المقدَّسة (لا ٢٥: ١٠ – ١٢) ...

نحن في عصر الروح القدس:

نحن نُكرِّم يوم الخمسين كما كرَّمه العبرانيون، وذلك مثلما نراعي طقوسًا أخرى كانوا يُراعونها، ولكننا نُقيمها بطريقةٍ سرائريَّة. ونحن نحتفل بعيد البنتيقسطي الذي فيه حلَّ علينا روح الله، وحان الوقت المُعيَّن لتحقيق الوعد الذي عليه رجاؤنا. كم هو عظيمٌ وجليلٌ هذا السر! لقد انتهى زمن وجود الربِّ يسوع بين الناس بالجسد، وبدأ عصر الروح القدس.

إنه يُرتِّب، بحسب تدبيره الإلهي وأحكامه التي لا تُستقصَى، كلَّ ما يخصُّنا بكلِّ حكمةٍ، وهذه هي أسرار المسيح، وسنرى كم أن ما يتبع تلك الأسرار سيكون أكثر مجدًا. ولعلَّ روح الله يكون معي ويمنحني كلامًا بقدر ما أرغب. إنه يهُبُّ حيث يشاء، وعلى مَنْ يشاء، وبالقدر الذي يشاؤه، لأنه هو الذي يُلهمنا أن نفكِّر ونتكلَّم عن الروح.

لقد عمل روح الله أولًا في القوات السماويَّة والملائكيَّة باعتبار أنها هي الأولى بعد الله والمُحيطة بالله، لأنه لا يوجد ينبوع آخر (غير الروح القدس) يتدفَّق منه كمالهم وضياؤهم، كما أنَّ صعوبة أو استحالة دفعهم إلى الخطية إنما هي من الروح القدس. ثم عمل بعد ذلك في الآباء والأنبياء، حيث عاين الآباء رؤى من الله أو عرفوه، والأنبياء تنبَّأوا عن المستقبل؛ إذ سَبَك الروح القدس الجزء الأسمى منهم وشاركهم في أحداث المستقبل وكأنها حاضرة، لأن هذه هي قوَّة الروح. ثم عمل في تلاميذ المسيح بثلاث طُرُق بقدر ما أمكنهم أن يقبلوه وفي ثلاث مناسبات:

الأولى: قبل أن يتمجَّد الرب بواسطة آلامه، عمل الروح في شفاء المرضى وإخراج الأرواح الشريرة، ولكن الروح القدس لم يكن واضحًا.

والثانية: بعد أن تمجَّد الربُّ بقيامته، عندما نَفَخَ في تلاميذه قائلًا: «اقْبَلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ»، الذي صار بوضوح أكثر إلهامًا إلهيًّا لهم.

والثالثة: بعد صعوده إلى السماء، توزَّعت الألسنة الناريَّة على التلاميذ، حيث إنَّ حضور

الروح القدس، الذي نحتفل بذكراه الآن، لم يقتصر على قوَّته وحدها؛ بل يمكننا أن نقول بجوهره مقترنًا بنا وساكنًا فينا. لأنه من المناسب أنه كما أنَّ ابن الله عاش معنا بهيئةٍ جسميَّةٍ محسوسةٍ؛ هكذا أيضًا روح الله كان ينبغي أن يظهر في هيئةٍ محسوسةٍ (ألسنة مُنقسمة كأنها من نار)، وأنه بعد أن عاد المسيح إلى موضعه الخصوصي (عن يمين الآب) كان ينبغي أن روح الله ينزل إلينا (ويحلُّ فينا).

المناسبة الأولى: تُظهره شافيًا للمرضى ومُخرجًا للأرواح الشريرة، حيث لا يمكن أن يكون الرب مُنفصلًا عن الروح القدس.

وفي الثانية: ظهر في نفخة الربِّ في تلاميذه بعد القيامة التي كانت إلهامًا إلهيًّا واضحًا قائلًا: «اقْبَلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ».

وفي الثالثة: بتوزيع الألسنة الناريَّة على التلاميذ التي نحتفل بذكراها الآن.

الروح المُعزِّي والناري والمانح المواهب:

هكذا جاء الروح القدس إلينا بعد صعود المسيح، حتى لا نكون معوزين إلى معزٍّ؛ بل إنَّ الربَّ يُسمِّيه «مُعَزِّيًا آخَرَ» (يو ١٤: ١٦) حتى تتعرَّفوا على مساواته الأقنوميَّة للابن (في الجوهر)، لأن كلمة "آخر" تدلُّ على مساواته للابن في الربوبيَّة والجوهر. وقد حلَّ على هيئة ألسنة بسبب علاقته الوثيقة بالكلمة (ابن الله). وهذه الألسنة كانت من نارٍ ربما بسبب قوَّته المُطهِّرة أو بسبب جوهره، لأن «إِلهَنَا نَارٌ آكِلَةٌ» (عب ١٢: ٢٠) تحرق الأَثَمَة. وكانت الألسنة مُنقسمة بسبب تعدُّد المواهب. وقد استقرَّت على التلاميذ لتعني ملوكيَّة الروح القدس وراحته في القدِّيسين، ولأن الشيروبيم (المُلتهبون نارًا: «خُدَّامَهُ نَارًا مُلْتَهِبَةً» مز ١٠٤: ٤) هم عرش الله.

وقد حدث كلُّ ذلك في علِّيَّة، لأن الذين ينالون الروح القدس عليهم أن يصعدوا ويُرفعوا فوق الأرض. والربُّ يسوع نفسه أعطى في علِّيَّةٍ سرَّ الشركة للداخلين إلى الأسرار العليا، وذلك لكي يُظهِر، من ناحيةٍ، أنَّ الله ينبغي أن ينزل إلينا كما فعل في القديم مع موسى النبي؛ ومن الناحية الأخرى، أننا يجب أن نصعد إليه، وهكذا تتمُّ الشركة بين الله والناس باتِّحادنا بكرامته. لأنه طالما أنَّ كلًا من الاثنين يظلُّ باقيًا في مقامه: الله في مجده والإنسان في حقارته، وطالما أنَّ صلاح الله لا يمكن أن يمتزج بنا، وحنوَّه الإلهي يظلُّ غير قابل لأن

نتساوى فيه معه؛ فتبقى هناك هوَّةٌ عظيمة لا يمكن عبورها، هذه التي تفصل، ليس فقط بين الغَني ولعازر وحضن إبراهيم الذي يتوق إليه الغَني؛ بل أيضًا بين الطبائع المخلوقة المُتغيِّرة وذاك الذي هو أبديٌّ وغير قابل للتغيير.

كيف أعلن الأنبياء عن روح الله؟

لقد أعلن الأنبياء ذلك في الأمثلة الآتية: «رُوحُ السَّيِّدِ الرَّبِّ عَلَيَّ» (إش ٦١: ١). وتنبَّأ إشعياء النبي عن عمل الروح مع المسيَّا المنتَظَر بقوله: «وَيَخْرُجُ قَضِيبٌ مِنْ جِذْعِ يَسَّى ... وَيَحُلُّ عَلَيْهِ رُوحُ الرَّبِّ، رُوحُ الْحِكْمَةِ وَالْفَهْمِ» (إش ١١: ١و٢). كما أنه رأى من وراء الدهور روح الله يقود شعبه، فقد حلَّ روح الرب واقتادهم: «رُوحُ الرَّبِّ أَرَاحَهُمْ. هكَذَا قُدْتَ شَعْبَكَ لِتَصْنَعَ لِنَفْسِكَ اسْمَ مَجْدٍ» (إش ٦٣: ١٤). كما أنَّ الروح ملأ بَصَلْئيل فهمًا ليتفنَّن في بناء مسكن الله مع الناس: «قَدْ دَعَوْتُ بَصَلْئِيلَ ... وَمَلأْتُهُ مِنْ رُوحِ اللهِ بِالْحِكْمَةِ وَالْفَهْمِ وَالْمَعْرِفَةِ وَكُلِّ صَنْعَةٍ» (خر ٣١: ٢ و٣).

أمَّا التمرُّد على الله فهو يُحزن روحه: «وَلكِنَّهُمْ تَمَرَّدُوا وَأَحْزَنُوا رُوحَ قُدْسِهِ» (إش ٦٣: ١٠). وقد توسَّل داود النبي إلى الله: «رُوحَكَ الْقُدُّوسَ لَا تَنْزِعْهُ مِنِّي» (مز ٥١: ١١)، وحَمَل الروح إيليا النبي في مركبةٍ إلى السماء (٢مل٢: ١١). وداود النبي اقتاده الروح وعضده (مز ٥١: ١٢) وقد طلب قيادة الروح: «رُوحُكَ الصَّالِحُ يَهْدِينِي» (مز ١٤٣: ١٠). ثم وَعَدَ اللهُ الإنسانَ به على فم يوئيل النبي: «وَيَكُونُ بَعْدَ ذلِكَ أَنِّي أَسْكُبُ رُوحِي عَلَى كُلِّ بَشَرٍ (أي على كل الذين يؤمنون)، فَيَتَنَبَّأُ بَنُوكُمْ وَبَنَاتُكُمْ ...» (يؤ ٢: ٢٨).

عمل الروح القدس في العهد الجديد:

وفي العهد الجديد يُمجِّد الروح القدس المسيح، لأنه يأخذ مِمَّا له ويُخبرنا بكلِّ شيء: «ذَاكَ يُمَجِّدُنِي، لأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ» (يو ١٦: ١٤). وكم كان هذا الوعد بالروح وافرًا! فإنه يمكث معنا إلى الأبد وسيبقى معنا، سواء الآن مع الذين هم مستحقُّون في هذا الزمان؛ أو هناك مع أولئك الذين حُسِبوا أهلًا للدهر الآتي، إن كانوا قد احتفظوا بروح الله فيهم هنا بحياتهم ولم ينبذوه بخطاياهم: «وَأَنَا أَطْلُبُ مِنَ الآبِ فَيُعْطِيكُمْ مُعَزِّيًا آخَرَ لِيَمْكُثَ مَعَكُمْ إِلَى الأَبَدِ، رُوحُ الْحَقِّ» (يو ١٤: ١٦ و١٧).

ويُشارك روح الله مع ابن الله في كلٍّ من تدبير الخلق والقيامة، فالكتاب يقول: «بِكَلِمَةِ

الرَّبِّ صُنِعَتِ السَّمَوَاتُ، وَبِنَسَمَةِ (أو بروح) فِيهِ (أي فمه) كُلُّ جُنُودِهَا» (مز ٣٣: ٦). وأيضًا: «رُوحُ اللهِ صَنَعَنِي وَنَسَمَةُ الْقَدِيرِ أَحْيَتْنِي» (أي ٣٣: ٤)، وأيضًا: «تُرْسِلُ رُوحَكَ فَتُخْلَقُ (أعمالك يا رب)، وَتُجَدِّدُ وَجْهَ الأَرْضِ» (مز ١٠٤: ٣٠). وروح الله هو أصل الولادة الجديدة الروحيَّة: «إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَا يُولَدُ مِنَ الْمَاءِ وَالرُّوحِ لَا يَقْدِرُ أَنْ يَدْخُلَ مَلَكُوتَ اللهِ» (يو ٣: ٥).

هذا الروح، لأنه هو «روح الحكمة ومحبٌّ للإنسان» (حك١: ٦)، إذا تملَّك على راعٍ يجعل منه مُرتِّلًا للمزامير ومُخضِعًا للأرواح الشريرة بألحانه (١صم ١٦: ٢٣)، ثم يجعله مَلِكًا مثل داود النبي. وإذا تملَّك على جاني جميز يجعله نبيًّا مثل عاموس النبي (عا ٧: ١٤). وإذا تملَّك على شابٍ صالحٍ يجعله قاضيًا للشيوخ (سوسنة ٤٥ – ٦٤)، هذا هو دانيال النبي الذي شهد بانتصاره على الأسود في جُبِّهم (دا ٦: ٢٢). ثم إذا تملَّك على صيَّادي سمك يجعلهم يصطادون العالم كلَّه في شِباك المسيح رافعين إيَّاهم في شبكة كلمة الله.

انظر إلى الرُّسُل بطرس وأندراوس وابنَي الرَّعد وهم يُرعدون بأمور الروح، وحتى العشَّارين يُربحهم الروح للتلمذة للمسيح ويجعلهم تُجَّارًا للنفوس، مثل القدِّيس متَّى الذي كان بالأمس عشَّارًا وصار اليوم مُبشِّرًا بالإنجيل. وإذا كانوا غيورين في اضطهادهم للآخرين، يُحوِّل الروح موضوع غيرتهم ويجعل من كلٍّ منهم بولس بدلًا من شاول، ويملأهم بالتَّقوى بقدر ما وجدهم مملوئين بالإثم.

ومع أنه هو روح الوداعة، إلَّا أنَّ أولئك الذين يُخطئون يُغضبونه. دعونا، إذًا، نُقدِّم برهانًا (بسلوكنا) على أنه لطيفٌ لا على أنه غضوبٌ، وذلك باعترافنا بكرامته، ولتكن رغبتنا هي ألَّا نراه غاضبًا غير صفوح. إنه هو الذي أعطاني الجرأة أمامكم اليوم، وإن كنتُ لا أجد راحةً بسبب الذين يُبغضوننا، فإننا نطلب من الله أن يُنقذهم وينبغي أن نشكره. وإن كنَّا نُخاطر بأنفسنا، فلنطلب منه أن يُنقذ الذين يُبغضوننا، ولعلَّه يُخصِّصنا لنَيْل هذه المكافأة على تبشيرنا بالإنجيل، وهي أن يجعلنا كاملين بسَفْك دمائنا[٣].

ماذا تعني الآية: «ابْتَدَأُوا يَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَةٍ أُخْرَى» (أع ٢: ٤)؟

لقد تكلَّم الرُّسُل لا بلغتهم الوطنية بل بألسنةٍ غريبة عنهم، وكانت معجزة عظيمة أن يتكلَّموا بلغةٍ لم يتعلَّموها، وهي «آيَةٌ، لَا لِلْمُؤْمِنِينَ، بَلْ لِغَيْرِ الْمُؤْمِنِينَ» (١كو ١٤: ٢٢)، حتى تدين غير

(٣) لعلَّ القدِّيس بذلك يُلمِّح إلى تربُّص الأريوسيِّين به لكي يقتلوه.

المؤمنين كما هو مكتوبٌ: «إِنِّي بِذَوِي أَلْسِنَةٍ أُخْرَى وَبِشِفَاهٍ أُخْرَى سَأُكَلِّمُ هذَا الشَّعْبَ، وَلَا هكَذَا يَسْمَعُونَ لِي، يَقُولُ الرَّبُّ» (١كو ١٤: ٢١؛ إش ٢٨: ١١ و١٢). ولكنهم سمعوا.

وهنا نسأل عن الآية التي فيها شيء من الغموض: «... كُلَّ وَاحِدٍ كَانَ يَسْمَعُهُمْ يَتَكَلَّمُونَ بِلُغَتِهِ» (أع ٢: ٦)، فهل كان كلٌّ منهم يسمع لغته، مِمَّا يجعلني أقول إنَّ الرُّسُل كانوا ينطقون بصوت لغةٍ واحدة في حين كان الناس يسمعون عدَّة لغاتٍ بأصواتٍ أكثر وضوحًا من صوت الرُّسُل الأصلي؛ أم أننا ينبغي أن نفصل بين جملتين هكذا: «... كُلَّ وَاحِدٍ كَانَ يَسْمَعُهُمْ»، ثم نُضيف: «يَتَكَلَّمُونَ بِلُغَتِهِ» إلى الكلام التالي؟

وهذا يعني أنَّ الرُّسُل كانوا يتكلَّمون بلغاتٍ تخصُّ السامعين، ولكنها غريبة على المُتكلِّمين. إنني أُفضِّل هذا المعنى الأخير، وذلك لأن المعجزة في الحالة الأخرى تكون معجزة السامعين وليس المُتكلِّمين، مع أنها في الحالة التي فضَّلناها تكون من جانب المُتكلِّمين. وهم الذين لامهم البعض على زعم أنهم سُكارى، لأنهم بالروح صنعوا معجزة الألسنة.

بلبلة الألسنة فرَّقت، وروح الله وحَّد:

كانت بلبلة الألسنة في القديم جديرة بالثناء عندما كان أهل بابل يبنون البرج بلغتهم الواحدة في الشرِّ والفساد (تك ١١: ١ – ٩) – كما يُخاطر البعض الآن بأن يكونوا هكذا – لأن بلبلة ألسنتهم حطَّمت قصدهم الواحد وأوقفت عملهم؛ إلَّا أنَّ معجزة يوم الخمسين أجدر بالثناء، لأن انسكاب الروح الواحد على كثيرين جمعهم مرةً أخرى في وحدةٍ مُنسجمة.

كما أنَّ تنوُّع المواهب يحتاج إلى موهبةٍ أخرى لكي تُميِّز الأفضل منها، حيث إنها كلها جديرة بالثناء. وقد كان تفريق الألسنة في القديم يُعتبَر ممدوحًا، إذ يقول داود النبي: «أَهْلِكْ يَا رَبُّ، فَرِّقْ أَلْسِنَتَهُمْ» (مز ٥٥: ٩)، لماذا؟ لأنهم أحبُّوا «كُلَّ كَلَامٍ مُهْلِكٍ وَلِسَانِ غِشٍّ» (مز ٥٢: ٤)؛ في حين أنَّ البعض يرتابون في صحة ألسنة يوم الخمسين التي تُثبت لاهوت الروح القدس.

وإن كان من واجبنا الآن أن نُنهي اجتماعنا هذا، إلَّا أن هذا العيد لن تكون له نهاية، فإن كنَّا سنظلُّ نحفظه الآن ونحن في الجسد؛ ولكن بعد قليل سنحتفل به هناك روحيًّا، حيث إننا سنرى الأسباب الأصليَّة لهذه الأمور بوضوحٍ وصفاءٍ أكثر في كلمة الله ربِّنا يسوع المسيح الذي هو عيد المُخلَّصين الحقيقي وفرحهم، الذي له المجد والسجود مع الآب والروح القدس الآن وإلى الأبد، آمين.

من
التراث الكنسي



"نؤمن بالروح القدس"[1]

✣✣✣

عندما ذهَب القدِّيس بولس إلى أثينا ليُبشِّر بالمسيح المصلوب والمُقام مِن بين الأموات، وبينما كان مُجتازًا وهو ينظُر إلى المدينة المملوءة أصنامًا، فإنَّه وَجَد مذبَحًا مكتوبًا عليه: **"لإلهٍ مجهول".**

وفي أثناء كرازته لليونانيِّين، فإنَّ القدِّيس بولس استَخدَم بمهارة الاسم: **"لإلهٍ مجهول"** عن الرَّب يسوع، وقال: **«فَالَّذِي تَتَّقُونَهُ وَأَنْتُمْ تَجْهَلُونَهُ هذَا أَنَا أُنَادِي لَكُمْ بِهِ»** (أع ١٧: ٢٣). رُبَّما نُطلِق على الروح القُدُس في هذه الأيام: "الإله المجهول". عندما نتكلَّم عن الله الآب، فنحن نعمل هذا بكلِّ سهولة ونقول: "أبانا الذي في السموات". وعندما نتكلَّم عن الله الابن، فبطريقةٍ حميمة وشخصيَّة أليفة نقول: "يا ربِّي يسوع المسيح سامحني ... ارحمني ... أعنِّي ...". ولكن إنْ سَأَلْنا أيَّ أحدٍ عمَّا تعرفه بخصوص الروح القُدُس، فربَّما تكون الإجابة مِن أشخاصٍ كثيرين هي نفس الإجابة التي تلقَّاها بولس مِن مسيحيِّي أفسس عندما سأَلَهم: «هَلْ قَبِلْتُمُ الرُّوحَ الْقُدُسَ لَمَّا آمَنْتُمْ؟». فأجابوه: «وَلَا سَمِعْنَا أَنَّهُ يُوجَدُ الرُّوحُ الْقُدُسُ» (أع ١٩: ٢).

للأسف، يوجد أشخاصٌ كثيرون يشعرون، بخصوص الروح القُدُس، أنَّه بعيدٌ جدًّا بدرَجةٍ تَجعَل أمره لا يعنيهم بخصوص احتياجاتهم واهتماماتهم، فحضوره أو غيابه لا يَفرِق معهم في شيء. هؤلاء مُخطئون، ومُخطئون خطأً مُميتًا.

مَنْ هو الروح القدس؟

الروح القُدُس هو الله، هو الأقنوم الثالِث في أقانيم اللاهوت، ولكي ننال الروح القُدُس، فإنَّ الربَّ يسوع المسيح، الأقنوم الثاني في الأُلوهة جاء إلى الأرض وتأنَّس، وبعد أربعين يومًا مِن قيامته صعد المسيح إلى السماء وعادَ إلى الآب، وجلس عن يمينه، ولكنَّه إنَّما عادَ إلى الآب لكي يُرسِل لنا الروح القُدُس في مِلئِه: **«لكِنْ لأَنِّي قُلْتُ لَكُمْ هذَا قَدْ مَلأَ الْحُزْنُ قُلُوبَكُمْ، لكِنِّي أَقُولُ لَكُمُ الْحَقَّ، إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ، لأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لَا يَأْتِيكُمُ الْمُعَزِّي»** (يو ١٦: ٦ و٧).

(1) Anthony M. Coniaris, *Homilies from an Orthodox pulpit*.

يقول الربُّ يسوع لتلاميذه: «إِنَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ أَنْ أَنْطَلِقَ، لأَنَّهُ إِنْ لَمْ أَنْطَلِقْ لَا يَأْتِيكُمُ الْمُعَزِّي، وَلكِنْ إِنْ ذَهَبْتُ أُرْسِلُهُ إِلَيْكُمْ» (يو ١٦: ٧). إنَّ مجيء الروح القُدُس هو الهدف الأساسي الذي بسببه جاء المسيح على الأرض.

يقول القدِّيس أثناسيوس:
[المسيح أَخَذَ جسدًا لنأخذ نحن الروح القُدُس].

وبنفس المعنى، إنَّ هدف التجسُّد كلّه هو إرسال الروح القُدُس يوم الخمسين، لأنَّه بالفداء والاغتِسال والتطهير بدم المسيح نَصير مُؤهَّلين لننال الروح القُدُس. انظر! ها هو في يوم الخمسين ينزِل الرُّوح القدس ويملأ الكنيسة بحضوره، وها قد أُنجِز القصد الذي جاء المسيح لأجله. إنَّ الله الروح القُدُس يُقِيم الآن فينا وإلى الأبد، وإن كان المسيح هو رأس الكنيسة التي هي جسده، فإنَّ الروح القُدُس هو الذي يُحيِي الجسد ويملأه بحضوره.

الوَعد بالروح القُدُس:

إنَّ الوعد بالروح القُدُس قد أُعطي لإسرائيل منذ القديم. لقد ركض غُلامٌ إلى موسى ليُبلغه أنَّ رجُلين قد أقاما نفسيهما نبِيَّين مُستقِلَّين خارجًا عن سُلطَته، أمَّا موسى فكان رجُلًا نبيلًا جدًّا، فقال له بعكس ذلك: «هَلْ تَغَارُ أَنْتَ لِي؟ يَا لَيْتَ كُلَّ شَعْبِ الرَّبِّ كَانُوا أَنْبِياءَ إِذ جَعَلَ الرَّبُّ رُوحَهُ عَلَيْهِمْ» (عد ١١: ٢٦-٢٩). هذا هو المشهد الأوَّل.

أمَّا المشهد الثاني، فهو لا يزال أكثر وضوحًا، فمنذ ألف سنة خَلَت مِن قَبْل مجيء المسيح، وَقَف نبيٌّ آخَر وقال إنَّ ما تنبَّأ عنه موسى سوف يصير حقيقة يومًا ما. هذا الشخص هو يوئيل النبي. لقد كان مُتأكِّدًا تمامًا أنَّه سوف يأتي الزمان الذي فيه سوف يُعرَفُ الله مِن جميع أنواع الناس العادِيِّين وسوف يحيون بروحه. كان مُقتنِعًا أنَّ الله هو الذي قال هذا، لذلك فإنَّه وَضَع هذه الكلمات في صيغة الله المتكلِّم:

+ «وَيَكُونُ بَعْدَ ذلِكَ أَنِّي أَسْكُبُ رُوحِي عَلَى كُلِّ بَشَرٍ، فَيَتَنَبَّأُ بَنُوكُمْ وَبَنَاتُكُمْ، وَيَحْلَمُ شُيُوخُكُمْ أَحْلَامًا وَيَرَى شَبَابُكُمْ رُؤًى. وَعَلَى الْعَبِيدِ أَيْضًا وَعَلَى الإِمَاءِ أَسْكُبُ رُوحِي فِي تِلْكَ الأَيَّامِ» (يؤ ٢: ٢٨، ٢٩).

كذلك حزقيال النبي يتنبَّأ عن مجيء الروح القُدُس عندما يكتُب: **«وَأَجْعَلُ رُوحِي فِي دَاخِلِكُمْ، وَأَجْعَلُكُمْ تَسْلُكُونَ فِي فَرَائِضِي ... وَأُعْطِيكُمْ قَلْبًا جَدِيدًا، وَأَجْعَلُ رُوحًا جَدِيدَةً فِي دَاخِلِكُمْ»**

(حز ٣٦: ٢٦ و٢٧). كذلك أيضًا يكتب إرميا النبي ويقول: **«وَأَقْطَعُ ... عَهْدًا جَدِيدًا ... أَجْعَلُ شَرِيعَتِي فِي دَاخِلِهِمْ وَأَكْتُبُهَا عَلَى قُلُوبِهِمْ ...»** (إر ٣١: ٣١ و٣٣).

إنَّ كلمات إرميا وحزقيال ويوئيل هي الذروة الروحيَّة في العهد القديم. إنَّهم يصِفون عطيَّة الروح التي سوف يُعطيها الرَّب يسوع على أنَّها اكتمال عَمَل الخلاص، وعلى أنَّها العَمَل الأخير في تأسيس ملكوت السموات.

مَنْح الروح القُدُس:

حَدَث في عشيَّة أحد القيامة أنَّ الربَّ يسوع أعطى الروح القُدُس بوضوحٍ شديد لتلاميذه بأن نَفَخ فيهم: **«وَلَمَّا قَالَ هذَا نَفَخَ وَقَالَ لَهُمُ: "اقْبَلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ"»** (يو ٢٠: ٢٢).

توجَد أمثِلة أُخرى لسَكب الروح القُدُس في بُكُور نشأة الكنيسة، ولكن التأكيد الأعظَم كان على ما حدث بعد خمسين يومًا مِن قيامة الرَّب. في يوم البنتيقُسطي العظيم، وَقَفَ الرسول بطرس في هذا اليوم وأعلَن أنَّ ما سَبَق وتنبَّأ عنه يوئيل قد تَمَّ، وحلَّ الروح القُدُس على عامة الرجال والنساء تمامًا مثلما حلَّ على الصيَّاد سمعان بطرس، **فصارت لهم معرِفةٌ بالله، وحماسٌ شديدٌ وقوَّةٌ جديدة، ودَخَل الله إلى حياتهم.** لقد كانوا مُتأكِّدين مِن هذا إلى درجة اليقين ممَّا جَعَلَ بطرس يقوم ويقول:

«لِيَكُنْ هذَا مَعْلُومًا عِنْدَكُمْ وَأَصْغُوا إِلَى كَلاَمِي»، لقد تحقَّق أخيرًا «مَا قِيلَ بِيُوئِيلَ النَّبِيِّ، يَقُولُ اللهُ: وَيَكُونُ فِي الأَيَّامِ الأَخِيرَةِ أَنِّي أَسْكُبُ مِنْ رُوحِي عَلَى كُلِّ بَشَرٍ، فَيَتَنَبَّأُ بَنُوكُمْ وَبَنَاتُكُمْ، وَيَرَى شَبَابُكُمْ رُؤًى وَيَحْلُمُ شُيُوخُكُمْ أَحْلاَمًا ...» (أع ٢: ١٤ و١٧). لقد تَمَّ هذا الوعد الرائِع: ف «لَمَّا حَضَرَ يَوْمُ الْخَمْسِينَ ... صَارَ بَغْتَةً مِنَ السَّمَاءِ صَوْتٌ كَمَا مِنْ هُبُوبِ رِيحٍ عَاصِفَةٍ ... وَظَهَرَتْ لَهُمْ أَلْسِنَةٌ مُنْقَسِمَةٌ كَأَنَّهَا مِنْ نَارٍ وَاسْتَقَرَّتْ عَلَى كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ. وَامْتَلأَ الْجَمِيعُ مِنَ الرُّوحِ الْقُدُسِ.» (أع ٢: ١ – ٤)

كَما بَشَّر رجال غير مُتعلِّمين بإنجيل المسيح وهم يتكلَّمون بألسِنةٍ مُختلِفة. كان لكلِّ ذلك تأثِيرٌ مُدهش ومُذهِل على الواقِفين المُشاهِدين، إنَّهم كانوا شُهودًا لظهور واستِعلان قوَّةٍ إلهيَّة، وأيضًا عرفوها واختبروها. وماذا كانت نتيجة هذا الاختبار؟ يقول العهد الجديد: "إنَّهم انضمُّوا إلى الكنيسة". لقد صاروا جُزءًا مِن جسد المسيح الذي مِن خلاله سوف يستمرُّ الروح القُدُس في الإتيان ليُلهمهم ويُقوِّيهم، وهذا ما نقرأه في آخِر عدد في قصَّة حلول الروح القُدُس يوم

الخمسين: «وانْضَمَّ فِي ذلِكَ الْيَومِ نَحْوُ ثَلَاثَةِ آلَافِ نَفْسٍ. وَكَانُوا يُواظِبُونَ (كرَّسوا أنفسهم) عَلَى تَعْلِيمِ الرُّسُلِ، وَالشَّرِكَةِ، وَكَسْرِ الْخُبْزِ، وَالصَّلَوَاتِ» (أع ٢: ٤١ و٤٢).

الروح القُدُس لم يكُن قد أُعْطِيَ بعد:

يكتُب القدِّيس يوحنا: **«قَالَ هذَا عَنِ الرُّوحِ الَّذِي كَانَ الْمُؤْمِنُونَ بِهِ مُزْمِعِينَ أَنْ يَقْبَلُوهُ، لأَنَّ الرُّوحَ الْقُدُسَ لَمْ يَكُنْ قَدْ أُعْطِيَ بَعْدُ، لأَنَّ يَسُوعَ لَمْ يَكُنْ قَدْ مُجِّدَ بَعْدُ»** (يو ٧: ٣٩). لكي نَصِل إلى المعنى الحقيقي لهذه الآية، يجب علينا أن نتذكَّر أنَّه من الممكن أنْ توجَد قوَّة هائلة دون أنْ يُدرِك الإنسان وجودها. فإنَّ الروح القُدُس هو دائم الوجود، ولكن أمكن للإنسان أنْ يختبِر قوَّة الروح الكامِلة بعد يوم الخمسين فقط، ولكن قبل هذا اليوم كانت توجَد وَمَضَات فقط له، سَبْق تذوُّق له (تك ١: ٢)، ولكن لكي يصبح الروح القُدُس حقيقةً مُدرَكَة، لَزِمَ هذا تجسُّد ابن الله وموته وقيامته وصعوده إلى السَّماء، ليَفتَح بوَّابات فيض الروح القُدُس لينسكب علينا في مِلئه.

هِبَةُ الله العَظيمة:

يقول الربُّ: **«فَإِنْ كُنْتُمْ وَأَنْتُمْ أَشْرَارٌ تَعْرِفُونَ أَنْ تُعْطُوا أَوْلَادَكُمْ عَطَايَا جَيِّدَةً، فَكَمْ بِالْحَرِيِّ الآبُ الَّذِي مِنَ السَّمَاءِ، يُعْطِي الرُّوحَ الْقُدُسَ لِلَّذِينَ يَسْأَلُونَهُ»** (لو ١١: ١٣). يقول الربُّ يسوع إننا نحن البشر نعرف كيف نُعطي عطايا جيِّدة لأولادنا؛ أمَّا أعظَم مُعطٍ فهو الله، وأعظَم عطيَّة يمكنه أن يُعطينا إيَّاها ليست هي الصِّحَّة ولا المال، بل الروح القُدُس، لأننا إذا امتلأنا بروح الله القُدُّوس، فإننا نكون قد امتلأنا بذاك الذي هو الصلاح الكُلِّي الفائق العَظَمَة.

نَسجد لهُ ونُمَجِّده، مع الآب والابن:

إننا نُعطِي الروح القُدُس نفس السجود والمجد الذي نعطيه للآب والابن، لذلك فإنَّ الروح القُدُس إلهٌ حَقٌّ مِن إلهٍ حَقٍّ، وعندما كَذب حنانيَّا على الروح القُدُس في سِفْر الأعمال (٥: ٣)، فإنَّه قيل إنَّه كذب على: "الله". وفي الإرساليَّة العُظمى، فإنَّ اسم الروح القُدُس يُضَمُّ بالتَّساوي مع اسم الآب والابن: **«فَاذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآبِ وَالابْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ»** (مت ٢٨: ١٩). كما نَقرَأ في (يو ١٦: ١٣): **«مَتَى جَاءَ ذَاكَ، رُوحُ الْحَقِّ، فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ».** مَنْ سِوى الله الذي يمكنه أن يقود إلى: "جميع الحَق"؟ إننا نَقرَأ في (١كو ٢: ١٠): **«لأَنَّ الرُّوحَ يَفْحَصُ كُلَّ شَيْءٍ حَتَّى أَعْمَاقَ اللهِ».** ولذلك، مَنْ سِوى الله يمكنه أنْ يفحَص وأنْ يَعرِف أعماق الله؟ لذلك **فنحن عندما نتكلَّم عن الروح القُدُس، نتكلَّم عن الله نفسه:** "الرب ... المسجود له والمُمجَّد مع الآب والابن".

الربُّ المُحيي:

رَبَطَ اليهود بين روح الله وعَمَل الخِلقَة، إنَّه مِن خلال روحه أجرَى الله عَمَله في الخَلْق. كان روح الله يَرِفُّ على وجه المياه وخَلَقَ العالَم مِن الفوضى (تك ١: ٢). يقول المُرنِّم: **«بِكَلِمَةِ الرَّبِّ صُنِعَتِ السَّمَوَاتُ، وَبِنَسَمَةِ فِيهِ كُلُّ جُنُودِهَا»** (مز ٣٣: ٦). ويقول أيضًا: **«تُرْسِلُ رُوحَكَ فَتُخْلَقُ»** (مز ١٠٤: ٣٠). ويقول أيوب: **«رُوحُ اللهِ صَنَعَنِي وَنَسَمَةُ الْقَدِيرِ أَحْيَتْنِي»** (أي ٣٣: ٤). وحزقيال النبي يَرسِم صورته المُرَوِّعَة والرائعة مِن وادي العظام اليابسة، ويَحكي كيف أتَت العظام اليابسَة إلى الحياة، ويَسمَع الله يقول: **«هَأَنَذَا أُدْخِلُ فِيكُمْ رُوحًا فَتَحْيَوْنَ»** (حز ٣٧: ١ – ١٤). وها الربُّ ينفخ روحه في تلك العظام اليابِسة فتحيا. إنَّ نفس الروح الذي أتى بالنظام مِن التشويش الذي كان عند بدء الخَلق، والذي نَفَخ فيما هو عادِم الحياة، **يأتي لينفخ الحياة في أُولئكَ الموتى بالفِكر والروح والقلب، ليُجدِّد ويُعيد خلقة الحياة عندما يفقِد الناس كلَّ معنى وطَعم للحياة.** كان وسوف يظلُّ الروح القُدُس إلى الأبد: "الرب المُحيِي".

روحُ الحَقِّ:

يُعرِّف إنجيل يوحنا الروح القُدُس أنَّه: **«رُوحُ الْحَقِّ»** (يو ١٤: ١٧، ١٦: ١٣)، وللروح القُدُس رسالة خاصَّة بخصوص الحقِّ:

(١) فهو يُعلِّم الحَقَّ الإلهي: **«يُعَلِّمُكُمْ كُلَّ شَيْءٍ»** (يو ١٤: ٢٦).

(٢) ويُذكِّر بالحقِّ: **«وَيُذَكِّرُكُمْ بِكُلِّ مَا قُلْتُهُ لَكُمْ»** (يو ١٤: ٢٦). إنَّنا نحتاج أكثر مِن أيِّ شيء آخَر أن نتذكَّر مرَّةً ومرَّاتٍ ما عرفناه بخصوص الله. هذا مِن ضِمن وظائف الروح القُدُس، أنْ يُعيد إلى الذاكِرة حَقَّ الربِّ يسوع فيما يخصُّ الخلاص، هذا الذي يمكننا أنْ ننساه بسهولة.

(٣) كما أنَّ الروح أيضًا يُعلِن حقًّا جديدًا: **«إِنَّ لِي أُمُورًا كَثِيرَةً أَيْضًا لأَقُولَ لَكُمْ، وَلكِنْ لَا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَحْتَمِلُوا الآنَ. وَأَمَّا مَتَى جَاءَ ذَاكَ، رُوحُ الْحَقِّ، فَهُوَ يُرْشِدُكُمْ إِلَى جَمِيعِ الْحَقِّ»** (يو ١٦: ١٢ و١٣). وكما تكلَّم الله قديمًا بالأنبياء، وبالأهمِّ مِن خلال الربِّ يسوع، فإنَّه سوف يستمِر في الكلام والتعليم إلى نهاية الزمان مِن خلال الروح القُدُس. ولكلِّ جيلٍ سوف يُعلِن الروح القُدُس بوضوحٍ الحقَّ الذي يحتاجه هذا الجيل وبالشَّكل الذي يحتاجه.

ولكن، كيف ينقِل لنا الروح القُدُس حقَّه اليوم؟

إنَّ الكنيسة الأُرثوذكسيَّة تُؤمِن أنَّ الكنيسة، التي هي جسد المسيح، هي أيضًا هيكل ومسكن الروح القُدُس (١كو ٦: ١٩).

الله يُعَيِّن الأسقُف في الكنيسة ليقود ويُعَلِّم القطيع الذي يُخَوَّل له رعايته، والأسقُف عند تكريسه ينال هبةً خاصَّة مِن الروح القُدُس ليقوم بوظيفة مُعلِّم الإيمان. ولكن الكنيسة أيضًا – كشعب الله – لا تتكوَّن فقط مِن أساقفة وكهنة وشمامسة، ولكن أيضًا مِن عامَّة الشَّعب، وعامَّة الشَّعب أيضًا مُكرَّسون. إنَّهم أيضًا يَقبَلون الروح القُدُس مِن خلال سِرِّ المسحة المُقدَّسة، الميرون، الذي هو سِرُّ مسحة يوم الخمسين. ولذلك فمِن خلال هذا السِرِّ وهذه المسحة، فإنَّ كلَّ مُؤمِن، بعد المعموديَّة مباشرة، يَختبِر "يوم خمسين" شخصِي.

إنَّه ينال هِبةً خاصَّة مِن الروح القُدُس تُمكِّنه مِن أنْ يُشارِك في بقيَّة الأسرار، وفي قبول قرارات المجامع المسكونيَّة. وكما يكتُب القدِّيس يوحنا: **«وَأَمَّا أَنْتُمْ فَلَكُمْ مَسْحَةٌ مِنَ الْقُدُّوسِ وَتَعْلَمُونَ كُلَّ شَيْءٍ ... وَأَمَّا أَنْتُمْ فَالْمَسْحَةُ الَّتِي أَخَذْتُمُوهَا مِنْهُ ثَابِتَةٌ فِيكُمْ، وَلَا حَاجَةَ بِكُمْ إِلَى أَنْ يُعَلِّمَكُمْ أَحَدٌ، بَلْ كَمَا تُعَلِّمُكُمْ هذِهِ الْمَسْحَةُ عَنْهَا عَنْ كُلِّ شَيْءٍ»** (١يو ٢: ٢٠ و٢٧).

وفِكرة معرِفة الله التي تُعطَى لجميع المُؤمنين مِن خلال الروح القُدُس، سَبَق أن تنبَّأ عنها إرميا النبي (٣١: ٣٣ و٣٤): **«أَجْعَلُ شَرِيعَتِي فِي دَاخِلِهِمْ وَأَكْتُبُهَا عَلَى قُلُوبِهِمْ، وَأَكُونُ لَهُمْ إِلهًا وَهُمْ يَكُونُونَ لِي شَعْبًا، وَلَا يُعَلِّمُونَ بَعْدُ كُلُّ وَاحِدٍ صَاحِبَهُ، وَكُلُّ وَاحِدٍ أَخَاهُ، قَائِلِينَ: اعْرِفُوا الرَّبَّ، لأَنَّهُمْ كُلَّهُمْ سَيَعْرِفُونَنِي مِنْ صَغِيرِهِمْ إِلَى كَبِيرِهِمْ، يَقُولُ الرَّبُّ».**

لذلك فإنَّ قرارات أيِّ مجمع مسكوني (يضُمُّ جميع أساقفة الكنيسة)، يَقبَلها الأُرثوذكس كإعلانٍ للحَقِّ الإلهي الذي لا يُخطئ، ولكن ليس بسبب حضور الأساقفة فقط، ولكن أيضًا لأن اعتراف الإيمان الذي يضعونه يُقِرُّه أيضًا الروح القُدُس مِن خلال قبول عامَّة شَعب الكنيسة النهائي له. إذًا، هو الروح القُدُس الساكِن في الكنيسة كلِّها، والمُكوَّنة مِن رجال الكهنوت وعامَّة الشَّعب، هو الذي يقود الكنيسة إلى الحَقِّ الإلهي.

يكتُب نيقولاس زرنوف Nicolas Zernov:

"إنَّه الروح القُدُس الناطِق والعامِل في جسد المُؤمنين كلِّهم، هو المُعَلِّم والمُرشِد للحقِّ. كلُّ مسيحي، إذًا، يَسمَع صوت الروح، ولكن لأنَّ نفس الصوت يتكلَّم لباقي أعضاء نفس الجسد؛ لذلك فإنَّ القرارات التي تُتَّخَذ بالإجماع، والتي يُمكِن التوصُّل إليها مِن خلال الطاعة المُتَّضِعة والسلام والاتِّفاق والتفاهُم، هذه هي التي تُعَدُّ أنَّها تُعبِّر عن الإرادة والمشيئة الإلهيَّتَين".



القيامة وحلول الروح القدس

(إعلانات القوَّة والنُّصرة والفرح)

- «لكِنَّكُمْ سَتَنَالُونَ قُوَّةً مَتَى حَلَّ الرُّوحُ الْقُدُسُ عَلَيْكُمْ» (أع ١: ٨).

تمهيد:

جَبَلَ الربُّ الإله آدمَ – الإنسان الأوَّل – على صورته كَشَبَهِه، ونَفَخَ في أنفه نَسَمَة حياةٍ، وسَلَّطه على كلِّ خليقته التي على الأرض، وأراد له الحياة والخلود. ولكن آدم وامرأته سقطا في اختبار الطاعة لوصيَّة الله، وطُرِدا مِنْ أمام وجه الربِّ، وفَقَدا فرصة الحياة والخلود والسُّكنى مع الله إلى الأبد. لكنَّ الله الرحيم مُحِبَّ البشر، الذي أحبَّ الإنسان وأراد له الحياة الأبديَّة معه، لم يشأ أنْ يُسلِّم جبلته المحبوبة، التي عملها لتحيا، لِيَدِ الشيطان ليُهلِكها ويُميتها، ويُتلِف خطة الله ومشيئته في حياتها معه. لذلك رتَّبت عناية الله ورحمته، منذ البدء، تدبير خُطَّة خلاص الإنسان وفدائه، ولكن بسرٍّ مكتومٍ ومخفيٍّ في قلب الله، حتى جاء مِلء الزمان لكي يُعلِنه لبني البشر، مُفصِحًا عن أنهار الحُبِّ المُتدفِّقة مِن الله نحو خليقته؛ لكي ما يفتديها ويُقيمها مِن سقطتها، ويُعيد إليها مجدها الأوَّل، الموهوب لها، منذ البدء. حتى ولو كان ثمن ذلك، هو أنْ يَحمِل عن البشريَّة – في شخص ابنه الوحيد – أُجرة خطيَّة الإنسان وسقوطه؛ وذلك بتجسُّده وموته بالجَسَد عن البشريَّة، ثمَّ بقيامته المجيدة، حاملًا في جسده الحيِّ والقائم مِنَ بين الأموات، كلَّ جسد بشريَّتنا مرَّةً أخرى.

وتمثَّل استعلان خطَّة الله الخلاصيَّة لفداء الإنسان، وتدبيراته الإلهيَّة لتحقيقها، في محورين رئيسيَّيْن، فائقَيْن على الإدراك البشري، وهما:

١ – **تدبيرات الإخلاء والاتِّضاع،** والتي بدأت إرهاصات استعلانهما، منذ لحظة بشارة جبرائيل الملاك للسيِّدة العذراء بميلاد المسيح الربِّ منها بالجسد، وتحقُّق الميلاد الفعلي

للكلمة المُتجسِّد (الله الظاهر في الجسد) في بيت لحم، ثمَّ بتحقيق الفداء العظيم لنا؛ بموت المسيح بالجسد على الصليب لأجلنا (إذ لاهوته لم يُفارق ناسوته)، ودفنه في القبر ثلاثة أيامٍ وثلاث ليالٍ. وجميعها أحداثٌ استلزمت قوَّةً إلهيَّةً، وتدبيرًا وقُدرةً فائقَيْن على المعرفة البشريَّة، يَعلُوان عن الإدراك البشري، خاصةً فيما يَتعلَّق بتدبيرَي **الإخلاء والاتِّضاع** غير الموصوفَيْن للإله العظيم، لكي يصنعهما!

٢ – **تدبيرات القوَّة والنُّصرة والفرح،** تلك التي ظهرت باستعلانٍ عظيم، في قيامة الربِّ يسوع من بين الأموات بقوَّةٍ واقتدارٍ عظيمَيْن، وفي حادثة صعوده المنظور أمام تلاميذه، بالجسد القائم من بين الأموات بمجدٍ لا يُضاهى. ثمَّ بحلول الروح القدس باستعلانٍ على التلاميذ في يوم الخمسين، بشكل ألسنةٍ ناريَّة، مُعلِنًا اكتمال عمل المسيح الخلاصي من أجلنا.

أولًا: تدبيرات الإخلاء والاتِّضاع (التجسُّد – الصليب):

حدثان فائقان أكملهما الربُّ يسوع، في تدبير خلاصنا، وغلَّفهما بِسترِ إخلائه واتِّضاعه غير الموصوفَيْن، مع كَوْنه الإله العظيم المخوف وحده. وبهما بيَّن محبَّته الأبديَّة لجنسنا البشري، وكَشَفَ لنا بهما عن المَسرَّة المكنونة لنا في قلبه مِن نحونا، مِنْ جهة إرادته في فداء الإنسان وحياته.

الحَدَث الأوَّل: كان هو **تجسُّد المسيح الطاهر** (ميلاده العذراوي)، والذي دعاه القدِّيس بولس الرسول بالسرِّ العظيم، أو سرِّ التَّقوى: «عَظِيمٌ هُوَ سِرُّ التَّقْوَى. اللهُ ظَهَرَ فِي الْجَسَدِ» (١تي ٣: ١٦). عِلمًا بأنَّ هذا السِرَّ لم يُستَعلَن ويتم استيعابه وإدراكه سوى بقدرٍ ضئيل، وبمستوياتٍ مُتفاوته في الإعلان، ولِعددٍ قليل – مثل السيِّدة العذراء، ويوسف النجَّار، وسمعان الشيخ، وحَنَّة النبيَّة، والرُّعاة، وقليلون آخرون – وذلك لعِظَم ومهابة الحَدَث، وارتفاع مفهومه وأبعاده عن العقل البشري، وارتفاعه أيضًا عن إدراك الذين اختيروا لِتَلقِّي هذا الإعلان؛ نظرًا لِبساطة إدراكهم وفهمهم لأعماق هذا الحَدَث. وكان بعضهم – مثل العذراء مريم – تحفظ جميع هذا الكلام، وهذه الأحداث (بدايةً مِن البشارة وولادة يسوع، وأحداث زيارة الرُّعاة والمجوس، وتقديم الطفل للهيكل وخلافه)، مُتفكِّرة بها في قلبها (انظر: لو ٢: ١٩).

والحَدَث الثاني: كان حادثة **موت المسيح على الصليب،** وإكماله **الفداء والخلاص** لبني البشر، بعد ما حَمَلَ خطايانا في جسده على الخَشَبة، وقبوله عار الصليب ليشترينا بدمه الثمين،

وينقلنا مِن لعنة الموت إلى قيامة الحياة. ورغم أنَّ هذا الحَدَث قد تمَّ جهارًا، وعلى مرأى ومسمع الكثيرين من اليهود والرومان، وأيضًا التلاميذ، وكلِّ جمهور الشعب؛ إلَّا أنَّ معناه ومغزاه ونتائجه كانت مخفيَّةً عن أعين الجميع، وربَّما عن الشيطان نفسه، وذلك نظرًا لصعوبة تصديقهم وإدراكهم لإمكانيَّة حدوث هذا الأمر لشخص المسيح ابن الله المُتجسِّد: «إِنْ كُنْتَ أَنْتَ هُوَ الْمَسِيحُ، فَخَلِّصْ نَفْسَكَ وَإِيَّانَا!» (لو ٢٣: ٣٩)، كما يكتب بولس الرسول: «لَو عَرَفُوا لَمَا صَلَبُوا رَبَّ الْمَجْدِ» (١كو ٢: ٨). ولكن قِلَّة قليلة مِنْ أصحاب القلوب النَّقيَّة والمُستنيرة والمُملوءة حُبًّا، هي مَنْ أدركت بعض دلالات هذا العمل الفدائي العظيم، وعَظَمَة صاحبه؛ مثل يوحنا الرسول الذي نظر الجَنْبَ المطعون، وأدرك أنَّه ينبوع الخلاص الذي جرى منه الدَّمُ والماء من أجل حياة البشر. وكذلك قائد المائة الذي هتف بقوله: «بِالْحَقِيقَةِ كَانَ هَذَا ابْنَ اللهِ!» (مت ٢٧: ٥٤).

وهذان **الحَدَثان، التجسُّد** (الميلاد) **والصليب،** تَمثَّلت فيهما أعلى صور الإخلاء والاتِّضاع والضَّعف، التي بها دخل المُخلِّص عالمنا البشري، لكي يُتمِّم لنا خلاصنا، ويُظْهِر لنا بالضَّعف ما هو أعظم مِنَ القوَّة، ويُحوِّل أحزاننا إلى فرح ونُصرة، بقوَّته الإلهيَّة، مِنْ قِبَل قيامته المُقدَّسة، وقيامتنا معه، مِنْ بين الأموات.

ثانيًا: تدبيرات القوَّة والنُّصرة والفرح: (القيامة – الصعود – حلول الروح القدس):

كان في مقابل تدبيرات الخلاص المُتَّصِفَة بالإخلاء والاتِّضاع، وربما المُختفية عن الأنظار والمُغَلَّفة بمظاهر الفقر والضَّعف، اللَّتينِ تختصُّ بهما الطبيعة البشريَّة التي اتَّحد الربُّ يسوع بها، لكي ما يُتمِّم مشيئته واشتياقاته لفداء البشر؛ كان هناك تدبيراتٌ أُخرى وضعها الربُّ لنا في خطَّة خلاصنا، اتَّسمت بالجلال والقوَّة والإعلان والفرح؛ وتمثَّلت في **قيامته المجيدة** بقوَّة لاهوته، و**بنفس جسده المصلوب وعليه آثار الجروح!** ناقضًا أوجاع الموت، وواهبًا النُّصرة والفرح والقوَّة لهذا الجسد – الذي هو مثال جسد بشريَّتنا – ومانحًا قوَّة قيامته وفاعليتها لكلِّ مَنْ يؤمن به وبموته من أجلنا بالجسد، ويعترف بقيامته.

فالمسيح، **بقيامته،** التي استُعلِنت بشهودٍ كثيرين، وتحقَّقت بأَعْيُن ومُلامسة ومُحادثة ومُعايشة حياتيَّة لأشخاصٍ عديدين، وفي مواضع وظروف مختلفة، وعلى مدى أربعين يومًا؛ قد أكَّدَ، لهم ولنا، حقيقة هذه القيامة، هذا مِنْ ناحية. ومِن ناحيةٍ أخرى، فقد كَشَفَ للجميع عن قوَّة لاهوته، وماهيَّة شخصه الإلهي. كما أنار العقول لتُدرك وتستوعب أسرار تدبيراته وأعماله ومُعجزاته التي أكملها في حياته بالجسد، والتي سبق وصنعها أمام تلاميذه مِن أجلنا، منذ بدء

تجسُّده. وأيضًا تعاليمه وأقواله التي قالها، ثمَّ موته بالجسد على الصليب عن ضَعفٍ مِنْ أجلنا، وبصورةٍ غير مُدرَكة مِنَ العالم، وصولًا إلى مُعاينة عَظَمة قيامته بقوَّةٍ ومجدٍ عظيمَيْن بشهادة الجميع، وفي مقدِّمتهم هؤلاء التلاميذ، باكورة شهود هذه القيامة.

لقد **تمَّت القيامة بقوَّة لاهوت الربِّ واقتداره**، وعلى مرأى ومسمع ومُعاينة شهودٍ كثيرين، كانوا قد سبقوا فعاينوا آلامه وموته بالجسد على الصليب، ودفنه وقبره عن ضَعفٍ واتِّضاع، في قبرٍ جديد. وها هم يَرَوْنه حيًّا أمامهم بقوَّة لاهوته، ليَعْضُد إيمانهم به، وثقتهم فيه، ففتح لهم بقيامته باب الرجاء للحياة الأبديَّة، بعد ما كاد إيمانهم ورجاؤهم يموتان ويختنقان مع موته ودفنه!

ثمَّ بعد حادثة قيامة المسيح، التي تثبَّتت بالشهود الأُمَناء، على مدى أربعين يومًا، امتلأت تعليمًا ومُعايشة حقيقيَّة كاملة مع التلاميذ، وتفسيرًا وشرحًا ودَعمًا مِن الربِّ لهم، إضافةً لوصاياه لهم، ووعوده الصادقة بتعضِيدهم بقوَّة الروح القدس المُعزِّي؛ فقد تبعها الربُّ بحادثةٍ مُبهِرة في خطة خلاصِنا، **وهي صعوده العَلَني أمامهم، بذات الجسد الذي قام**، وهُم مُعاينون له، وفي أذهانهم وأسماعهم وقلوبهم صدى مواعيده الصادقة وغير الكاذبة، بأنَّه لنْ يتركهم يتامى، بل إنَّه سوف يُرسل لهم الروح المُعزِّي (الباراقليط)، ليمكث معهم إلى الأبد. وأنَّه سيكون حاضرًا معهم في كلِّ حين على المائدة المُقدَّسة، كُلَّما اجتمعوا لكي يكسروا جسد الربِّ ويشربوا دَمَه (الإفخارستيَّا). لذلك فقد رجعوا مِن جبل الصعود فَرِحين، مُترقِّبين عطيَّة الآب لهم (الروح القدس المُعزِّي).

أخيرًا، خَتَم الربُّ يسوع تدبيرات الخلاص للكنيسة بحدثٍ إلهيٍّ فائقٍ آخر؛ ألَا وهو **حلول الروح القدس على الرُّسُل يوم الخمسين**، حسب وعده لهم، بصورة ألسنة نارٍ مُنقسِمة على كلِّ واحدٍ منهم (الذين هم باكورة الكنيسة الأولى). فطفقوا يتكلَّمون بألسنةٍ، ويُحدِّثون بإنجيل المسيح بكلِّ مُجاهرة، حتى تعجَّبت جموع السامعين، وظنُّوا أنَّهم سُكارى. لكنَّهم أدركوا مِمَّا رأوا وسمعوا أنَّ هذه ليست سوى قوَّة الله الجديدة، ونِعَمِ الروح القدس المُتنوِّعة والمُتدفِّقة على كلِّ مَن ينال قوَّة قيامة المسيح، ونُصرَته وفرحه، ويمتلئ من روحه القدوس. وبالإيمان باسمه وبعمله الذي أكمله للبشريَّة، بدءًا مِن **تجسُّده** الطاهر، **وموته وفدائه** لنا بالصليب، ثمَّ **بقيامته** المجيدة **وصعوده** وجلوسه عن يمين الآب، ثمَّ أخيرًا، **بإرساله روحه القدوس** المُنبثِق مِن الآب؛ بهذا يكمل خلاص الله الموهوب للبشر، والذي كان مخفيًّا في الأزمنة القديمة، واستُعلِن لنا، لنَنعَم به علانيةً، ونشهد لِمَنْ وَهَبَه لنا نحن في أواخر الدهور.

بحث تاريخي

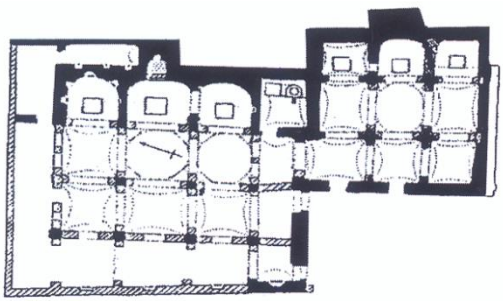
أهم أديرة وكنائس القدِّيسة دميانة في مصر

(٢)

الأستاذة الدكتورة/ شيرين صادق الجندي
أستاذ الإرشاد السياحي والآثار والفنون القبطيَّة
بكلية الآداب – جامعة عين شمس

٢ – كنيسة القدِّيسة الشهيدة دميانة بأخميم:

شُيِّدت كنيسة القدِّيسة الشهيدة دميانة في شمال أخميم بجوار سوق المدينة[١]. ويتكوَّن المبنى من كنيستين: قديمة وحديثة **(الشكل رقم ٤)**. وتُعتبَر الكنيسة الشمالية هي الأقدم، حيث إنَّ طرازها المعماري هو نفس الطراز المعماري لكنائس مدينة أخميم المؤرَّخة من القرنين السادس عشر والسابع عشر الميلاديَّين. وبالكنيسة ثلاثة هياكل شرقيَّة وغرفتان جانبيتان، وقد تهدَّمت الغرفة الشمالية منهما. كما عُثِر على بقايا "الثرونوس" خلف الحنية الشرقيَّة في الهيكل الأوسط لهذه الكنيسة. وفيما بعد، تمَّ سدُّ مكان "الثرونوس" بالحائط. وتُغطِّي القباب صحن الكنيسة التي تحتوي كذلك على خورس غربي للسيِّدات له بابٌ خاصٌّ بالقرب من بوَّابة الكنيسة. أمَّا الكنيسة الجنوبية، فهي تحتوي على ثلاثة هياكل شرقيَّة، بالإضافة إلى صحنٍ تعلوه ست قباب. كما يوجد بها أيقونات بديعة وبعض المخطوطات القبطيَّة النادرة.



(الشكل رقم ٤) كنيسة القدِّيسة دميانة بأخميم. نقلًا عن: الأنبا صموئيل، "دليل الكنائس والأديرة في مصر"، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٨٤.

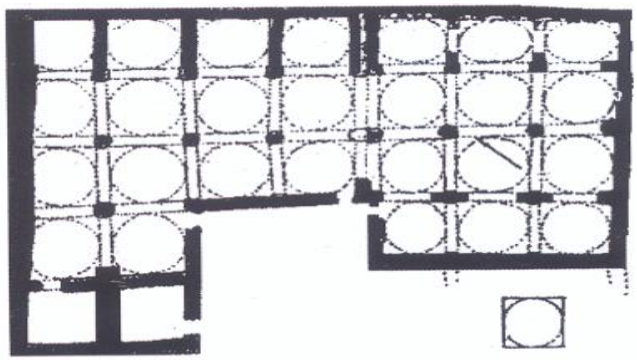
٣ – دير القدِّيسة دميانة بالبلينا بسوهاج:

أشار كلٌّ من المؤرِّخَيْن "أبو المكارم" في القرن الثاني عشر الميلادي و"تقي الدين المقريزي" في القرن الخامس عشر الميلادي، إلى دير القدِّيسة الشهيدة دميانة المُشيَّد على

(١) الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"* ، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٨٤.

بُعْد كيلومترين تقريبًا في الناحية الشمالية لمعبد أبيدوس الأثري[٢]، والذي شيَّده الملك سيتي الأول للإله أوزوريس، حيث كانت أبيدوس من أكثر المناطق المقدَّسة في العصر المصري القديم، كما كان المصريون يحجُّون إليها بانتظام.

وفي كنيسة الدير المُكرَّسة للقدِّيسة الشهيدة دميانة[٣]، توجد سبعة هياكل صُفَّت كلُّها في صفٍّ واحد **(الشكل رقم ٥/ أ – جـ)**. وتُعَدُّ الهياكل الجنوبية الثلاثة من الأجزاء الأقدم في هذه الكنيسة ذات المدخل المُزيَّن ببقايا أشكالٍ هندسيَّة تظهر على الأحجار البيضاء والطوب الأحمر. وفي جنوب غرب الكنيسة من الخارج، عُثِر على بقايا مغطس مربَّع الشكل تمَّ ردمه في عصرٍ سابق. وعلى مرِّ الفترات التاريخيَّة المختلفة، شُيِّدت الكنائس وكُرِّست الهياكل الأخرى للقدِّيسة الشهيدة دميانة في سائر الأقطار المصريَّة، مثل هيكلها الموجود في الكنيسة المُعلَّقة للسيِّدة العذراء في منطقة مُجمَّع الأديان.



(أ)

(الشكل رقم ٥/أ) أ. التخطيط المعماري لدير القدِّيسة دميانة والقدِّيس الأنبا مويسيس بالبلينا بمحافظة سوهاج.

---

(٢) الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"* ، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٩١.

(3) J.M. Vansleb, *Nouvelle relation en forme de journal d'un voyage fait en Égypte en 1672 et 1673*, Paris, 1677- Translated as the Present State of Egypt, London, 1678; E. Sidawi, «Une excursion à Sitti Dimiana», *Bulletin de la société de géographie* 8, 1917, 84; H. Munier, «Les monuments coptes d'après le père Michel Jullien», *BSAC* 6, 1940, 141-168; Otto F.A. Meinardus, *Monks and Monasteries of the Egyptian Deserts*, Cairo, 1961; Otto F.A. Meinardus, "A Critical Study of the Cult of Sitt Dimiana and Her Forty Virgins", *Orientalia Suecana* 18, 1969, 45-68; C. Sicard, *Oeuvres*, 3 vols., ed. de M. Martin, *Bibliothèque d'études* 83-85, Cairo, 1982; P. Grossmann, *Mittelalterliche Langhaus Kuppelkirchen und verwandte Typen in Oberägypten*, Glückstadt, 1982; R.G. Coquin & Maurice Martin S.J., «Dayr Sitt Dimyanah (History)», *CoptEnc.*, vol.3, New York, 1991, 870b-872a; P. Grossmann, «Dayr Sitt Dimyanah (Architecture», *CoptEnc.*, vol.3, New York, 1991, 870b-872a.



(ب)



(جـ)

(الشكل رقم ٥/ ب) المدخل الرئيسي لدير الشهيدة دميانة والقدِّيس الأنبا مويسيس بالبلينا بمحافظة سوهاج.
(الشكل رقم ٥/ جـ) منظر للكنيسة الأثريَّة بالدير، نقلًا عن: الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"* ، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٩١.

الخاتمة:

مِمَّا سبق، تُعتَبَر القدِّيسة الشهيدة دميانة من أهمِّ وأقدم القدِّيسات والشهيدات في تاريخ الأقباط والرهبنة القبطيَّة. وقد عُرِفَت على مرِّ العصور السابقة بسيرتها العَطِرة، حيث كانت القدوة والمَثَل الأعلى لكثيرٍ من الراهبات والنَّاسكات في الإيمان والزُّهد والتواضُع والصمود في أشدِّ أوقات الاضطهاد الروماني.

كما عُرِفَت أيضًا هذه القدِّيسة بمعجزاتها الكثيرة، ممَّا أدَّى إلى تشييد الأديرة والكنائس لها في عدَّة أماكن في الوجهَيْن البحري والقبلي، والتي سرعان ما توافَد على زيارتها كثيرٌ من الأقباط لنَيْل بركتها، وللتشفُّع بها في حلِّ كثيرٍ من المشكلات، وعلاج كثيرٍ من الأمراض، وللاحتفال بأعيادها في الأماكن المختلفة التي كُرِّست لها.

ويُعتَبَر دير القدِّيسة الشهيدة دميانة في البراري من أهمِّ الأديرة القبطيَّة القديمة التى شُرِّفَت بزيارة العائلة المُقدَّسة في القرن الأول الميلادي وفقًا للتقليد القبطي؛ لذا حرص كثيرٌ من المؤرِّخين والأثريِّين والمعماريِّين والباحثين والرحَّالة المصريين والأجانب، على الكتابة عن الدير أو زيارته ورؤية مبانيه المختلفة، وما به من تراثٍ ثقافي قبطي أصيل، لمعرفة المزيد عن تاريخ الكنيسة القبطيَّة وحياة الديريَّة في مصر في العصور المسيحيَّة المُبكِّرة.

****

العطلة السنويَّة للمجلَّة

شهرا يوليو وأغسطس سنة ٢٠٢٦م

****



تجديد الفكر اللاهوتي الفلسفي بين القدِّيس توما الأكويني والأب متى المسكين



تأليف: د. عايدة نصيف أيوب[١]

✠

هذا الكتاب هو رسالة دكتوراه قُدِّمت عام ٢٠٠٩م من الدكتورة عايدة نصيف أيوب، إلى قِسم الفلسفة، كلية الآداب – جامعة القاهرة، عنوانها: "تجديد الفكر اللاهوتي الفلسفي: دراسة مقارنة بين القدِّيس توما الأكويني والأب متى المسكين". تتناول الدراسة مُفكِّرَيْن مسيحيَّيْن مُختلِفَيْن مذهبيًّا وحضاريًّا وزمنيًّا. **الأول**: هو توماس الأكويني الكاثوليكي مؤسِّس الاتِّجاه الإحيائي في الفلسفة المسيحيَّة في العصر الوسيط. **والثاني**: هو العالِم والراهب والمُصلِح والمُفكِّر اللاهوتي الأرثوذكسي الأب متى المسكين، صاحب الاتِّجاه اللاهوتي الإحيائي في العالم العربي المُعاصر.

وأبرزت الرسالة فِكر الأب متى المسكين ووعيه، ليس بالدِّين واللاهوت فحسب، وإنما بقضايا العالم المُعاصر كذلك، مع تعويله على نصوص الكتاب المقدَّس في طَرْحه لكثيرٍ من القضايا التي تخصُّ الله والعالم والإنسان، واستخدامه لآليَّات الشرح والتفسير والتأويل.

سنُقدِّم في هذه الدراسة الدور الذي قام به الأب متى المسكين[٢]، في تأصيل الفِكر اللاهوتي الأرثوذكسي، وفي طَرْحه لكثيرٍ مِن القضايا والمفاهيم التي تخصُّ الفرد والمجتمع، وذلك من خلال تغيير فِكر الأفراد ووعيهم وأخلاقهم، انطلاقًا مِن نصوص الكتاب المقدَّس. وقد عوَّل في ذلك على آليَّات الشرح والتفسير والتأويل لمفاهيم العقيدة المسيحيَّة، وعلى تأكيد السِّمة التاريخيَّة لها من خلال رؤية خاصة للتجسُّد والخلاص. وما نتج عن ذلك من لاهوتٍ وفكرٍ مسيحيَّيْن يجمع بين التقليد والتجديد، وهو ما يمكن اعتباره بعثًا للتجديد اللاهوتي الذي يهدف إلى إصلاح الإنسان.

[إنَّ الأب متىَّ كرَّس حياته لمحبة الإنسان وخدمته وإرشاده وتحقيق خلاصه، حيث عاش مسيحيًّا مسؤولًا؛ فأدَّى رسالته على خير وجه. فهو ليس فيلسوفًا أفلاطونيًّا؛ إنَّما هو راهبٌ

(١) يقع الكتاب في ٢٤٠ صفحة من القَطْع الكبير، طبعة أولى: سنة ٢٠١٠م، مكتبة الأنجلو المصرية.
(٢) نستسمح القارئ العزيز أنَّنا في تقديمنا لهذا الكتاب، سنُقدِّم فقط ما يخصُّ الأب متى المسكين.

مصريٌّ تمثَّل المسيحيَّة كما عبَّر عنها القدِّيس يوحنا في إنجيله، أي وقف عليها في أصولها الصافية، ووقف على حقيقة الأوضاع العالميَّة، وسَبَرَ غَوْر الواقع المصري، ليُقدِّم لنا مشروعًا إصلاحيًّا قبطيًّا أرثوذكسيًّا روحيًّا مناسبًا لكلِّ المصريين][٣].

وقد شعر الأب متى، شأنه شأن الكثير من المسيحيِّين إلى الافتقاد للوحدة المسيحيَّة في هذا العصر المليء بالصراعات والمُشاحنات، فوجَّه جهوده الإحيائيَّة لتحقيق الوحدة المسيحيَّة، والانفتاح لمواصلة الحوار والتكامُل مع الآخر؛ فضلًا عن فَهْم الدور الحقيقي للرسالة المسيحيَّة. وقد رأى أنَّ الإنسان المسيحي يتطلَّع للوحدة، لأنَّه يطلب الله، فالوحدة المسيحيَّة هي مطلبٌ إيمانيٌّ، يجب أنْ يكون موجودًا في أعماق الإنسان المسيحي، وهي لا تتحقَّق إلَّا بالتغلُّب على مُفارقة الفكر والوجدان [٤]. وقد عالج الأب متى المسكين قضية الوحدة المسيحيَّة وعلاقتها بالكنيسة وبالعالم، وقضية ثنائية النَّفْس والجسد في الإنسان وعلاقة كلٍّ منهما بالروح، وأبرز أيضًا مفهوم الاتِّحاد وعلاقته بالوحدة.

يُعرِّف الأب متى المسكين الوحدة المسيحيَّة، بأنَّها "هي اتِّحاد الواحد في الواحد لمُلاشاة الكثرة، فهي مِن جهة الشكل ضعفٌ، أمَّا مِن جهة الجوهر فهي قوَّةٌ عظمى غير قابلة للانقسام كالله". ويقول أيضًا: "الوحدة الإنسانيَّة الإلهيَّة هي مُقابل مُعادِل لتجريد الإنسان مِن "الأنا" الفرديَّة والجماعيَّة". ويؤكِّد الأب متَّى أنَّ الوحدة هي أنْ يُسَلَّمَ الكلُّ لله؛ حيث تتلاشى كلُّ ذات وكلُّ كيان، ويصبح المسيح "أنا الكلَّ"؛ فتُرفَع الفوارق في حضور الربِّ، ويتلاشى التعارُض، وتتمُّ الوحدة. وهذا التعارُض قائمٌ الآن في اجتماعات الوحدة المسيحيَّة، مُتعارضة مع الوحدة التي يريدها الله.

ويوضِّح الأب متى المسكين أنَّ عدم قيام الوحدة المسيحيَّة في الوقت الحاضر، يرجع إلى أنَّ الإنسان يطلبها قبل أنْ يُسلِّم كلَّ قلبه وكلَّ فكره لله؛ بالإضافة إلى أنَّه يطلبها خارج نفسه، ويسعى لتحقيقها موضوعيًّا وليس ذاتيًّا. ويؤكِّد الأب متَّى ذلك بقوله: "الوحدة ليست موضوعًا يمكن أنْ يُفحص نظريًّا أبدًا، الوحدة أصلًا جوهرٌ إلهيٌّ، فهي حقيقة، والحقيقة الإلهيَّة ليس لها زوايا، فهي تُرى مِن الكلِّ ككلٍّ مرةً واحدة، لأنَّها بسيطة. وهي لا يمكن رؤيتها خارجًا عن الله أو بدونه، لأنَّ الذي

---

(٣) دكتورة زينب محمود الخضيري، "الأب متى المسكين مُجدِّد الأرثوذكسيَّة القبطيَّة من أجل الإنسان"، ندوة الأب الروحاني متى المسكين، المجلس الأعلى للثقافة، مطبعة دير القدِّيس أنبا مقار، ٢٠٠٦م.

(٤) متى المسكين، "الوحدة المسيحيَّة في ضوء معنى الكنيسة وحقيقة المسيح"، مطبعة دير القدِّيس أنبا مقار، ط٣، ١٩٨٥م.

يرى صفات الله يرى الله بالضرورة".

ويُعوِّل الأب متَّى في ذلك على قول الكتاب المقدَّس في إنجيل القدِّيس يوحنا: «اَلَّذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ» (يوحنا ١٤: ٩). ويربط الأب متَّى بين الوحدة والحق، إذ يقول: "الوحدة ليست عِلمًا، وهي لا تتبع أصول المعرفة المستمدَّة مِن الصواب والخطإ، أو من الخير والشر. الوحدة حقٌّ، والحقُّ يُلهَم، والإلهام يستقرُّ في القلب أولًا ثم الذهن"، مُعوِّلًا على الكتاب المقدَّس: «أَلَمْ يَكُنْ قَلْبُنَا مُلْتَهِبًا فِينَا إِذْ كَانَ يُكَلِّمُنَا ... فَانْفَتَحَتْ أَعْيُنُهُمَا وَعَرَفَاهُ» (لو٢٤: ٣١، ٣٢). ويقول أيضًا: "الإلهام لا يُغفِل العقل أبدًا، ولكن العقل يُغفِل الإلهام دائمًا".

فالأب متى المسكين لا يُغفِل بحث الوحدة في المجال العقلي، لأنَّ العقل مِن صفاته التمييز بين الخطإ والصواب، ومن اختصاصه التحليل؛ ولكن الوحدة عملٌ بنائيٌّ يقوم على تجميع النفس لقواها، وهذه هي وظيفة الروح.

وأخيرًا، فإنَّ الوحدة هي فوق إمكانيات العقل، وكلُّ ما يستطيع العقل أنْ يعمله هو أنْ يفهمها عندما تتمُّ، ولكنه لا يُدرك كيفية ذلك".

ويُنادي الأب متى المسكين برفع "الأنا" الفردي و"الأنا" الكنسي ليصير المسيح "أنا" الكل، وليس معنى ذلك أن يتنازل الإنسان لغيره، والكنائس لبعضها البعض، ولكن يُسلَّم الكلُّ لله.

وبذلك ينفتح الأب متى المسكين على الآخر، ويُجدِّد الفكر الديني، لخلق الوحدة المسيحيَّة الحقَّة التي يدعو إليها الكتاب المقدَّس، بما يتوافق مع القوَّة الإلهيَّة التي تُحقِّق الوحدة، وليست مع القوَّة الزمنيَّة التي تُفقِد القيمة الإلهيَّة، وتنحلُّ وتزول كأيِّ شيءٍ مِن صُنع الإنسان. ولذلك فهو يدعو لمسيحٍ واحدٍ وكنيسةٍ واحدةٍ في عصرٍ تعدَّدت فيه الطوائف والكنائس المسيحيَّة؛ حيث كلُّ طائفة لها مذهب، ولها مفهوم لاهوتي يتناسب مع الكنيسة التي تنتمي إليها، ويضيع مفهوم كنيسة المسيح الكلِّيَّة الجامعة.

يقول الأب متَّى عن رسالته تجاه العالم: "رسالتي للعالم أنْ أبني نفسي أوَّلًا بناءً صحيحًا، ثم أنطلق لأبني كلَّ إنسانٍ يستأمنني على نفسه بناءً صحيحًا، هذه هي الرسالة التي أستطيع أن أؤديها للعالم... هكذا نحن، فقد أخذنا المسيح، فأصبحنا مسؤولين عن كلِّ واحدٍ لم يأخذه، إنها مسؤوليةٌ خطيرة"[٥].

(٥) متى المسكين، "رسالة الفكر المسيحي: رسالتنا تجاه العالم"، دار مجلة مرقس، العدد ٤٨١، ٢٠٠٧م، ص ٦.

فالمسيحي لا يحيا حياته المسيحيَّة منفردًا، بل مع الجماعة، والمسيحيُّون معًا كجسدٍ واحد هو جسد المسيح، يجتمعون معًا بدعوة مِن الله، لكي يتقدَّسوا بتقديم ذواتهم وعالمهم وكلّ ما لهم لله. ويرى الأب متى المسكين أنَّ سبب عدم تحقيق جامعيَّة الكنيسة حتى الآن، هو أن مفهومها الإلهي خاضعٌ لتفسيراتٍ لفظيَّة تعوق رؤية صفاء طبيعة المسيح الجامعة[٦]. ويذكر الأب متَّى صفات طبيعة المسيح أنَّها ذات قدرة فائقة على المصلحة الكلّيَّة، وذات قدرة على توحيد الطبائع المختلفة عمَّا يفوق طاقة أيِّ طبيعة بحدِّ ذاتها.

ويرى الأب متى المسكين أنَّ سبب عدم وحدة الكنيسة، لا يكمُن في الاصطلاحات اللاهوتيَّة؛ وإنَّما يكْمُن في التفسير والفَهْم الخاطئ من قِبَل الإنسان، الذي يجعله يقترب من اللاهوت – من طبيعة الله البسيطة الصافية – بالعقل الإنساني، وليس بعقل المسيح وفكره. ولذلك فالانقسام هنا حتميٌّ، تفرضه طبيعة الإنسان الذي يُعالج أمور الكنيسة بفكرٍ ذاتي يُفرِّق ولا يوحِّد.

فالانقسام هنا في فَهْم المسيح، ليس نابعًا عن شخص المسيح، بل ناتجًا عن الانقسام الواقع في طبيعة الإنسان؛ وذلك بسبب عوامل الفساد: كالخطية والكبرياء والشكوك وغيرها. وبالتالي فالعيب في انقسام الكنيسة، ليس هو في طبيعتها، بل في طبيعة الفَهْم والرؤية لطبيعة المسيح والكنيسة. ولذلك يُقدِّم الأب متى المسكين علاجًا، وهو أنَّ تحقيق وحدة الكنيسة مرهونٌ بالجمع بين عقل المسيح والعقل الإنساني في وحدةٍ واحدة، لأنَّ عقل المسيح هو التفسير السليم للعقيدة.

ويُنادي الأب متَّى بخضوع كلِّ نفسٍ في الكنيسة خضوعًا روحيًّا صادقًا لقوَّة الروح القدس؛ ليصير المسيح في جميع النفوس راعيًا واحدًا، يُدبِّرها بنفسه، ويصير مصدر جامعيتها ووحدتها. فالكنيسة هي استعلانٌ لجسد المسيح على الأرض، واستمراره عَبْر الزمان؛ حيث يُستَعلَن جسد المسيح من خلال "وحدة الفكر والإرادة والمشيئة الإنسانيَّة والروحيَّة بين أبناء الله الواحد، المولودين ليس من دمٍ ولا من مشيئة جسدٍ ولا من مشيئة رجلٍ، بل من الله".



(٦) متى المسكين، "الوحدة المسيحية في ضوء معنى الكنيسة وحقيقة المسيح"، مرجع سبق ذكره، ص ٢٠.

Father Matta El-Meskeen

‘Christ Has Risen, He Has Truly Risen’

This is a continuation of this article presented in the last issue (May 2026), it talks about the meaning of the Resurrection we ought to experience in our life. Enjoy! Note: *All quotations are taken from the* ***New King James Version,*** *if not otherwise mentioned.*

NOW I go back to the first verse: “For God so loved the world that he gave his only Son, that whoever believes in him should not perish but have eternal life” (Jn 3:16). When we contemplate this verse, the beginning and the origin, for a moment we are stopped in our tracks before the question: why has God loved the world, or in the English words “so loved” it, and to such a great degree? The Divine love existed before the Son’s sacrifice on the cross. It was in fact the reason for that sacrifice. Why? How? What is its meaning?

These questions contain the mystery of the creation of the world and mankind, and even before that. St Paul reveals it in unique and promising verses that encompass the whole Gospel. St Paul in the first chapter of his Epistle to the Ephesians says:

> “Blessed be the God and Father of our Lord Jesus Christ, who has blessed us with all the spiritual blessings in heavenly places in Christ: According as he hath chosen us in him before the foundation of the world, that we should be holy and without blame before him in love: Having predestinated us unto the adoption of children by Jesus Christ to himself, according to the good pleasure of his will, To the praise of the glory of his grace, wherein he hath made us accepted in the beloved, In whom we have redemption through his blood, the forgiveness of sins, according to the riches of his grace; Wherein he hath abounded toward us in all wisdom and prudence; Having made known unto us the mystery of his will, according to his good pleasure which he hath purposed in himself; That in the dispensation of the fullness of times he might gather together in one all things in Christ, both which are in heaven, and which are on earth; even in him: In whom also we have obtained an inheritance, being predestinated according to the purpose of him who worketh all things after the counsel of his own will: That we should be to the praise of his glory, who first trusted in Christ” (Eph 1:3-12 KJV).

From this golden sequence of verses we clearly see the following:

1. God blessed us with a spiritual blessing in the heavens before founding the world in Christ.

2. God chose us in Christ before the foundation of the world.
3. God preceded and adopted us through Christ for Himself in accordance to the pleasure of His will.
4. God planned the salvation of mankind through the blood of Christ for the forgiveness of sins in accordance to the bounty of His grace.
5. God made known to us the mystery of His will that He had intended in accordance to His pleasure.
6. God had planned that the fulfillment of time on earth will finally end by everything, in the heavens and on earth, being gathering together in Christ.
7. Our inheritance from God, with Christ, had been established beforehand in accordance to His will.
8. Through the prophecies, God had previously established and made manifest all our hopes through Christ.

I will now go over these steps to give a summary of their meaning and interpretation in one, or a few, lines. Though they need a whole book, that would require the reader's patience and time:

1. Christ is the blessed Son, the Word of the Father, living in Him and with Him as one whole. God created the world and mankind through the Word, i.e. in Christ and through Christ, and He found them good, very good. They therefore inevitably became blessed through Christ.[1]
2. With Christ being the chosen Son before the creation of the world, it follows that having been created in Christ, we became chosen through Christ before the creation of the world.
3. With Christ being chosen as the only beloved Son of God before the foundation of the world, our creation inevitably gained for us the right to adoption by the Father. This without a doubt was in complete accordance to the pleasure of the Father's will.[2] We are the Father's sons through adoption: first, by the inevitability of our creation in Christ i.e. our existence in Him and for Him, and second, by the pleasure of the Father's will. Because it is impossible to gain the Father's adoption except according to the complete pleasure of the Father's will.

[1] Note that the word "blessing" in Greek εὐ-λογία means according to its linguistic origin "the good word." That God should consider Adam "very good" (Gen 1:31) means that he became blessed in the eyes of God.

[2] The purport of the meaning of the pleasure of God's will is the greatness of His love. This means that God desired and yearned for sons from mankind. He therefore planned our salvation and righteousness so as to receive His righteousness and be worthy to become His sons through the amazing paternal love. Accordingly, Christ taught us how to pray always to God as His children and sons calling God "Our Father."

4. The result of 1+2+3 means that the timing of the Father plan for the redemption and forgiveness of sins was immediately following Adam's first fall. His fall was considered a step made by creation, crossing from earthly materialism to heavenly spiritualism. This plan sprung from the bounty of the Father's grace. It transported old mankind from dust, from below zero, to a state above the highest heavens and spirit, the new mankind.
5. Among the most amazing attributes of God is that he joyfully proclaimed the whole mystery of His will, that which He intended especially for Himself according to the verse: "Surely the Lord God does nothing, without revealing his secret to his servants the prophets" (Amos 3:7).
6. Working together, the times of salvation are within God's plan, so that at the end everything will become united in Christ. As St Paul says in his Epistle to the Colossians: "He is the image of the invisible God, the firstborn over all creation. For by Him all things were created that are in heaven and that are on earth, visible and invisible, whether thrones or dominions or principalities or powers. All things were created through Him and for Him. And He is before all things, and in Him all things consist. And He is the head of the body, the church, who is the beginning, the firstborn from the dead, that in all things He may have the preeminence. For it pleased the Father that in Him all the fullness should dwell, and by Him to reconcile all things to Himself, by Him, whether things on earth or things in heaven" (Col 1:15-20). The human race will thus end with mankind perfect and complete, fulfilled in Christ: "Till we all come to the unity of the faith and of the knowledge of the Son of God, to a perfect man, to the measure of the stature of the fullness of Christ" (Eph 4:13).
7. Our inheritance from God with Christ is a precedent that proves the truth of the authenticity of God's testament of adoption. As St Paul says "And if children, then heirs; heirs of God and joint heirs with Christ" (Rom 8:17). For this is the birthright of sons. The Spirit's expressions and the proclamations of God's works and counsels are so precise! We have Christ's blessing, then are chosen in Christ, adopted in Christ and given the inheritance with Christ and in Christ. This is the profoundly amazing sequence of paternal love that was completed with the resurrection from the dead!
8. God had previously established hope as a pledge, proclaimed by all the prophets. It resembles the steps of a heavenly staircase for man to climb, looking towards what is coming so as to hold on to the eternal life he was invited to while on earth: "take hold of the eternal life to which you were called" (1 Tim 6:12).

Humanity's long journey proves the Divine steadfast truth that mankind was related to the Father. Through the Son and in Him, it was established before the foundation of the world and continues until the fulfillment of times on earth. The journey could only have one end, that of adoption and love. The strongest proof is the end of

Christ's prayer to the Father in St John's Gospel Chapter (17) when Christ says: "I made known to them thy name (before the cross), and I will make it known (after the resurrection), so that the love with which thou hast loved me may be in them, and I in them" (Jn 17:26). Meaning that with the fulfillment of the resurrection will be the fulfillment of love.

Therefore, dear reader, God's love to the world is not a momentary love. It made Him sacrifice His only Son so that whoever believes in Him will not perish. It is true that it was proclaimed by the strongest proclamation; the slaughter of His Son on the Cross for the forgiveness of our sins. It brought the death of old mankind. It was also strongly proclaimed by the resurrection of Christ from the dead on the third day. He raised with Him new mankind, whom He had united with and redeemed, to the highest heaven to sit at the right hand of the Father. But this had been God's everlasting intention before the world's foundation.

We say, in clarification, that old mankind's temporary state of death was brought to an end by Christ's time on the cross and in the tomb. As St Paul the apostle said: "We know that our old self was crucified with him so that the sinful body might be destroyed, and we might no longer be enslaved to sin" (Rom 6:6). He thus fulfilled the punishment of the curse and death when old mankind perished and fulfilled the Divine words: "you are dust and to dust you shall return" (Gen 3:19). New mankind was originally in the image of God when the first earthly creation came into being: "Then God said 'Let us make man in our image, after our likeness…' " (Gen 1:26). New mankind was resurrected with Christ, because it is impossible for God's image to perish with the old body of dust.[3] The image of God in the creation of Adam is the origin and seed of new mankind. Once old mankind ended, dying on the cross and in the tomb, new mankind rose "after the image of its creator" (Col 3:10). It was freed to be with Christ who had risen from the dead on the third day. Death and the earthly dust could not hold Christ, for He is Holy, God's everlasting Son. With the spirit of the resurrection, new mankind arose as a new creation to sit with Christ on the right hand of God above the highest heaven. New mankind received his inheritance with the Son from the Father, an inheritance of love and eternal life. We

[3] Some fathers and commentators say that 'the image of God' in God's creation was marred, tinted, and destroyed by Adam with sin. This is impossible because sin cannot prevail over the image of God nor can it be annulled by iniquity. It remained in Adam hidden till the day of resurrection for new mankind to rise as a spiritual creation in 'the image of God'. As Paul the Apostle says: "and put on the new nature created after the likeness of God in true righteousness and holiness" (Eph 4:24), "and have put on the new nature which is being renewed in knowledge after the image of its creator" (Col 3:10). Also: "For a man ought not to cover his head, since he is the image and glory of God" (1 Cor 11:7). Had it not been for the hidden perfect image of God of Adam's offspring i.e. mankind, God would not have become incarnate in man and rid mankind of sin. "Therefore he had to be made like his brethren in every respect…." (Heb 2:17).

know and are sure that this love existed through Christ before the world's foundation and with it the selection and adoption, prior hope and proclamation.

The resurrection we are celebrating this day is therefore the proclamation of the ultimate strength of God the Father's love to us. It is correct for us to call the resurrection the feast of the proclamation of the fulfillment of God's love to mankind, in which and with which mankind became an inhabitant of God's Kingdom. Having been an alien in the world of sin and in fear of death, he lives with God and enjoys this fatherly love for ever.

This precise Divine sequence became as follows:

- The truth of paternal love fulfilled with the gift of adoption the Father gave to mankind through Christ.
- The fulfillment of the truth of adoption and receiving the Father's inheritance with the only Son.
- The fulfillment of the truth of a partnership with the Son in the Father's inheritance for an eternal life with the Father and the Son.

Thus this day became the resurrection in the Father's glory.

It is the door that opened to us a life of partnership, which the Apostle John lived and to which he invites us in his First Epistle:

> "The life was made manifest, and we saw it, and testify to it, and proclaim to the eternal life which was with the Father and was made manifest to us–that which we have seen and heard we proclaim also to you, so that you may have fellowship with us; and our fellowship is with Father and with his Son Jesus Christ. And we are writing this that our joy may be complete" (1Jn 1: 2-4).

Today you can hear the promise of this call as St John asks for new members to this fellowship. It is a fellowship of love and eternal life with the Father and His Son Jesus Christ through the resurrection we are celebrating this day.

22/4/2000



The Holy Spirit Kindles the Depths of the Soul

He came down to clothe the Apostles with power, and to baptize them; for the Lord says, *ye shall be baptized with the Holy Ghost not many days hence*. This grace was not in part, but His power was in full perfection; for as he who plunges into the waters and is baptized is encompassed on all sides by the waters, so were they also baptized completely by the Holy Ghost. The water however flows round the outside only, but the Spirit baptizes also the soul within and that completely and wherefore wonder thou? Take an example from matter; poor indeed and common, yet useful for the simpler sort. If the fire passing in through the mass of the iron makes the whole of it fire, so that what was cold becomes burning and what was black is made bright,—if fire which is a body thus penetrates and works without hindrance in iron which is also a body, why wonder that the Holy Ghost enters into the very inmost recesses of the soul?

NPNF 2.7, 127-128

****

ἐκ τοῦ ἁγίου Κυρίλλου ἀρχιεπισκόπου Ἱεροσολύμων

Κατήρχετο δέ, ἵνα ἐνδύσῃ δύναμιν καὶ ἵνα βαπτίσῃ τοὺς ἀποστόλους. λέγει γὰρ ὁ κύριος· ὑμεῖς βαπτισθήσεσθε ἐν πνεύματι ἁγίῳ οὐ μετὰ πολλὰς ταύτας ἡμέρας. οὐ μερικὴ ἡ χάρις, ἀλλὰ αὐτοτελὴς ἡ δύναμις. ὥσπερ γὰρ ὁ ἐνδύνων ἐν τοῖς ὕδασι καὶ βαπτιζόμενος πανταχόθεν ὑπὸ τῶν ὑδάτων περιβάλλεται, οὕτω καὶ ὑπὸ τοῦ πνεύματος ἐβαπτίσθησαν ὁλοτελῶς. ἀλλὰ τὸ μὲν ὕδωρ ἔξωθεν περιχεῖται, τὸ δὲ πνεῦμα καὶ τὴν ἔνδοθεν ψυχὴν βαπτίζει ἀπαραλείπτως. καὶ τί θαυμάζεις; λάβε ὑπόδειγμα σωματικόν, μικρὸν μὲν καὶ εὐτελές, χρήσιμον δὲ τοῖς ἀφελεστέροις. εἰ τὸ πῦρ διὰ τῆς παχύτητος τοῦ σιδήρου διαβαῖνον ἔνδον τὸ ὅλον ἀπεργάζεται πῦρ, καὶ ὁ ψυχρὸς γίνεται ζεστός, καὶ ὁ μέλας γίνεται ἐκλάμπων, εἰ σῶμα ὂν τὸ πῦρ ἐν σώματι σιδήρου ἐνδύνον οὕτως ἀπαρεμποδίστως ἐργάζεται, τί θαυμάζεις, εἰ πνεῦμα ἅγιον ἐν τοῖς ἐνδοτάτοις τῆς ψυχῆς εἰσέρχεται;

PG 33, 985.

St. Mark *Monthly Review*
Published by: The Monastery of St. Macarius the Great, Wadi El-Natrun.
ANNUAL SUBSCRIPTIONS (10 issues a year, July& August excluded, sent by Int. Courier):
U.S. $150.00
Subscriptions to be paid through our Website as mentioned below, or sent by a check to:
"St Macarius Printing House", P.O. Box 1574, Centreville, VA 20122, USA.
No materials may be reproduced in whole or in part without written permission from the publisher.
© 2026
by the Monastery of St. Macarius the Great.
Library of Congress Catalogue Card Number: 80–960629. ISSN 2805-2382
VISIT THE WEBSITE OF THE MONASTERY: WWW.STMACARIUSMONASTERY.ORG

ST. MARK June 2026

Monthly Review



Icon of the Heavenly Church:
Christ as the Head,
Intercession of Virgin Mary and all saints.
[Russian Museum, Leningrad]

مـــــرقس

رسالة الفكر المسيحي
للشباب والخُدّام

سبتمبر ٢٠٢٦



القدِّيس يوحنا المعمدان

ذكرى استشهاده ٢ توت الموافق ١٢ سبتمبر

(أيقونة بيزنطيَّة من اليونان – أواخر القرن الخامس عشر – متحف اللوفر باريس)

مرقس

رسالة الفكر المسيحي للشباب والخُدَّام

السنة ٧٠ **سبتمبر ٢٠٢٦م.**

العدد ٦٧٦ **نسئ ١٧٤٢ش / توت ١٧٤٣ش.**

المحتويات

الافتتاحية: كلمة قداسة البابا تواضروس الثاني:

معالم طريق القداسة ١

أخبار الكنيسة:

تدشين كنيسة التسعة والأربعين شهيدًا ٦

مقال للأب متى المسكين:

الاستشهاد والموت الإرادي ١٤

من أقوال الآباء:

عمل الروح القدس في الكنيسة ١٦

من دروس التاريخ الكنسي:

القدِّيس إيرينيئوس "صانع السلام" ٢٤

من التراث الكنسي: معرفة الله (٢٥) ٣١

تأمُّلات في فضائل العذراء مريم:

العذراء مريم فخر جنسنا ٣٦

ذكرى الصِّدِّيق تدوم إلى الأبد:

لمحات من الكنيسة الأولى (٣) ٤٠

بحث تاريخي:

التراث القبطي في مدينة الأقصر (١) ٤٣

تقديم كتاب: جوني إريكسون ٤٨

مقال بالإنجليزية:

LIVING WITH CHRIST. Vol. 4, 82, 83 ..... ٥٢

من تعليم آباء الكنيسة

للقدِّيس أنبا مقار

الشَّركة في آلامه وصليبه

(ترجمة النص اليوناني الآبائي المنشور في باطن الغلاف الأخير)

❁✝❁

[كما وقفت مريم حينما كان الرَّبُّ مصلوبًا
باكيةً بدموعٍ لأجل شوكة اشتياقها،
وكانت تبدو مصلوبةً معه؛
هكذا أيضًا النَّفس الَّتي أحبَّت الرَّبَّ،
وقَبِلَت لوعةَ عشقه وتسعى بالحقِّ
أن تقترن بالمسيح عريسها الخاص،
يجب أن تتألَّمَ معه في آلامه،
ولها دائمًا أمام عينيها ذكرى سِمَاته
الَّتي صارت له من أجلها،
وكلُّ ما تألَّم به من أجلها غيرُ المتألِّم،
وكيف عُوقِبَ من أجلها
الَّذي هو فوق كلِّ عقابٍ،
وكيف اتَّخذ صورة عبدٍ
مع كونه في صورة الله.
وهكذا في كلِّ هذه الأمور
تتألَّم معه وتُقيَّد معه،
وهكذا ستتمجَّد أيضًا معه (رو ٨: ١٧)].

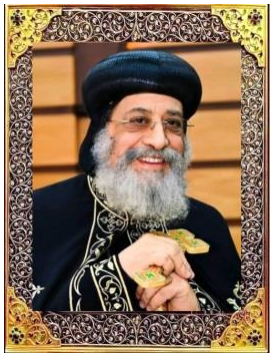
(العظة ٣: ٣ من المجموعة الثالثة)

مرقس: يصدرها ديـر القديس أنبا مقار ـ برية شيهيت

مكتب التوزيع والاشتراكات
القاهرة: ٢٨ شارع شبرا
تليفون: ٢٥٧٧٠٦١٤
٠١٢٨٢٧٥٢٣٢٤
٠١٠٢٣٨٢١٣٨١
الإسكندرية: ٨ شارع جرين - محرم بك
تليفون: ٠٣٤٩٥٢٧٤٠
تصفَّح مجلة مرقس في موقع الدير على الإنترنت:
www.stmacariusmonastery.org
عنوان البريد الإلكتروني:
stmarkcare@gmail.com

رئيس التحرير: الأب سرجيوس المقاري
تسديد الاشتراكات:
عن طريق خدمة أورانج كاش
وفودافون كاش
الخاصة بأرقام تليفون المجلة
وهي:
٠١٢٨٢٧٥٢٣٢٤
٠١٠٢٣٨٢١٣٨١
وتبدأ سنة الاشتراك
في يناير من كل عام
مطبعة دير القديس أنبا مقار

ثمن النسخة ٢٠ جنيهًا
الاشتراك السنوي: حرٌّ ... حدُّه الأدنى:
٢٠٠ جنيه: داخل مصر (تسليم باليد)
٣٥٠ جنيهًا: في حالة الدفع عن طريق المُحصِّل
٣٠٠ جنيه: في حالة الدفع عن طريق:
خدمة أورانج كاش وفودافون كاش
١٥٠ دولارًا أمريكيًّا: في البلاد الأخرى
عنوان المراسلات:
ص. ب ٣١ شبرا ـ القاهرة
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢١٧ / ٢٠٢٦
الترقيم الدولي: ISSN 2805-2382



معالم طريق القداسة[1]

لصاحب القداسة

البابا تواضروس الثاني

مقدِّمة العظة:

بسم الآب والابن والروح القدس الإله الواحد آمين،
تحلُّ علينا نعمته ورحمته من الآن وإلى الأبد، آمين.

في هذا الصباح المُبارك، أيها الأحبَّاء، وفي هذه المواضع المقدَّسة بدير القدِّيس العظيم مكاريوس الكبير، نحتفل بتدشين أو إعادة تدشين هذه الكنيسة: كنيسة التسعة والأربعين شهيدًا شيوخ بريَّة شيهيت، أو كنيسة الشيوخ. ونحتفل بتدشين الأيقونات فيها بعد إعادة ترميمها وتجديدها بهذه الصورة الجميلة، والتي حافظت على شكلها الأثري. وآباء هذه البريَّة لهم تاريخٌ طويلٌ وممتدٌّ نقرأ عنه في السنكسار كما استمعنا إليه.

خطورة "الرياء" على طريق القداسة:

إنجيل هذا الصباح يُقدِّم ويرسم لنا معالم طريق القداسة التي عاش فيها الآباء. والقداسة ليس لها شكلٌ واحدٌ، ولكن لها أشكالٌ متعدِّدة أمام الله.

ويُقدِّم لنا إنجيل هذا الصباح تحذيرًا من خمير الفرَّيسيِّين، الذي هو رياؤهم. وهذا التحذير لنا جميعًا، لكي لا تكون حياتنا مزيَّفة وشكليَّة فقط. فالله يبحث عن القلب.

هؤلاء الفرِّيسيُّون، في العهد الجديد وامتدادًا من العهد القديم، كانوا يُوصفون بالرياء. والرياء هو خطيةٌ كبيرة تُفسِد الحياة كلَّها، فكريًّا وروحيًّا واجتماعيًّا، وتُضيِّع تعب الإنسان فتصير أيام عمره هباءً.

---

(١) عظة ألقاها قداسة البابا تواضروس الثاني على إنجيل قدَّاس تدشين كنيسة الـ ٤٩ شهيدًا شيوخ شيهيت (لو ١١: ٥٣ – ١٢: ١٢)، بدير القدِّيس الأنبا مقار ببريَّة شيهيت، صباح الثلاثاء ٢٨ يوليو ٢٠٢٦ م الموافق ٢١ أبيب ١٧٤٢ش.

والرياء كذلك خطية تحوي في أعماقها خطايا كثيرة. فهي تجعل الإنسان، شكلًا وموضوعًا، بدون جوهرٍ أو عمقٍ في حياته الداخليَّة التى يبحث عنها الله. فمجد ابنة الملك هو من داخل كما يقول الكتاب: «كُلُّهَا مَجْدٌ ابْنَةُ الْمَلِكِ مِنْ دَاخِل» (مز ٤٥: ١٣)، وابنة الملك هي كلُّ نفسٍ تعيش للمسيح. فالحياة الداخليَّة هي الأهمُّ. والله، الذي يفحص القلوب والكُلَى ويعرف خفايا الأمور، يقول لنا في إنجيل هذا الصباح: «لأَنَّهُ لَيْسَ خَفِيٌّ لَا يُظْهَرُ، وَلَا مَكْتُومٌ لَا يُعْلَمُ وَيُعْلَنُ» (لو ٨: ١٧).

هذه كلُّها تحذيرات لنا، وهذه هي مقدِّمة حياة القداسة، لأن الانسان يجب أن يعيش حياةً واضحةً مستقيمةً ونقية في داخله.

رسالة طمأنينة: "الله لا ينسى":

ثم يقدِّم لنا إنجيل هذا الصباح أيضًا رسالة طمأنينة لحياة الإنسان في كلِّ أيام عمره. فيتحدَّث عن أحد الأمثال المشهورة في أيام السيِّد المسيح، وهي أنَّ الخمسة عصافير التي تُباع بفلسين، واحدٌ منها لا يُنسى قدَّام الله. وحسب التقاليد القديمة، كانت العصافير تُباع، وكان كلُّ زوج عصافير (أي كلُّ عصفورين) يُباعان بفلس؛ وعندما يُباع أربعة، فإنها تُعتَبَر صفقةً – بمفاهيم ذلك العصر – فيُباعان بفلسين. ويشعر البائع أنه حقَّق صفقةً، فيُعطي المُشتري عصفورًا خامسًا هدية – نقول عنه في لغتنا العاميَّة: "فوق البِيعة" – ويُعطي هذا العصفور بلا ثمن، بلا قيمة. ويكون المُشتَري بهذا قد اشترى خمسة عصافير بثمن أربعة عصافير فقط (أي بفلسين). هذا العصفور الخامس الذي لم يُقدِّره الناس، ولم يحسبوا له ثمنًا، الله لا ينساه. وهنا نُلاحظ مفتاحًا هامًّا في حياة القداسة، أنَّ الله لا ينسى لك أبدًا أتعابك وجهادك ونقاوتك، وذلك يُعطينا طمأنينة. فالإنسان يعيش عمرًا طويلًا، ولكن الأهمَّ أن يكون هذا العمر مقدَّسًا أمام الله، الذي لا ينسى حتى أصغر الأتعاب، فتمتدُّ القداسة.

وإن كنَّا اليوم نحتفل بتدشين كنيسة الشيوخ أو استشهاد التسعة والأربعين شهيدًا، ولكن سيرتهم وشهادتهم منذ القرون الأولى، حيَّة ومُعاشة في إيماننا وتاريخنا حتى اليوم، وتمتدُّ ونحتفل ونفرح بها ونتشفَّع بهم. إذًا، فالقداسة تمتدُّ في الزمن ولا تتوقَّف ولا تضيع؛ بل تمتدُّ في الزمن حتى تصل إلى الأبديَّة. فالله لا ينسى لك شيئًا:

أولًا: الله لا ينسى صلواتنا ودموعنا وجهادنا، مهما كانت هذه الصلوات قصيرة أو قليلة، لا ينساها الله أبدًا، طالما قدَّمها الإنسان بقلبٍ نقيٍّ. قد ينسى الإنسان، ويُقال إنَّ الإنسان

تَسمَّى إنسانًا لأنه ينسى. فهو عنده هذه الصفة أنه ينسى، ولكن الله لا ينسى. ومكتوبٌ عن الله: «هَلْ تَنْسَى الْمَرْأَةُ رَضِيعَهَا فَلَا تَرْحَمَ ابْنَ بَطْنِهَا؟ حَتَّى هؤُلَاءِ يَنْسَيْنَ، وَأَنَا لَا أَنْسَاكِ» (إش ٤٩: ١٥). وفي هذا رسالة طمأنينة، فالله لا ينسى الصلوات.

ثانيًا: الله يبحث عن دمعة إنسانٍ تائب، دمعة واحدة للإنسان التائب. فقطرات الدموع لا ينساها الله، طالما سكبتَها من قلبك النقي.

ثالثًا: الله لا ينسى جهادك الروحي بكلِّ أشكاله ومُفرداته، فالله لا ينساه أبدًا. الله لا ينسى أمانتك: أمانتك في رهبانيَّتك، أمانتك في عملك، أمانتك في دراستك، أمانتك في علاقاتك مع الآخرين. وقِسْ على هذا، كل ما يصنعه الإنسان: فالله لا ينسى نظرتك النقيَّة، ولا كلماتك الرقيقة ... الخ.

رابعًا: الله كذلك لا ينسى الخطايا التي لم تعترف بها، فتُشكِّل للإنسان إكليل شوكٍ وحاجزًا بينك وبين السماء. أمَّا مَنْ يريد أن يعيش في حياة القداسة، فليحرص على الدوام على نقاوة حياته. كُنْ مُطمئنًّا أنَّ الله يغفر – وإن جاز التعبير – ينسى خطاياك التي تُبتَ عنها واعترفتَ بها، ويمحوها.

والحياة النقيَّة مرتبطة بالزمن الذي نعيش فيه، والوقت الحالي مثل كلِّ الأزمان، توجد فيه الخطيَّة بكلِّ أشكالها. وتُصَنَّف الخطيةُ أحيانًا، فيُقال "خطية صغيرة" و"خطية كبيرة"، و"خطايا ثقيلة" و"خطايا خفيفة". ولكن هذه التقسيمات غير هامَّة أمام الله، لأن الله يريد القلب: «يَا ابْنِي أَعْطِنِي قَلْبَكَ» (أم ٢٣: ٢٦). والقلب لا يراه إلَّا الله، وهو الذي سَنُقدِّمه أمام الله في يوم الدينونة، فلا يراه أيُّ إنسان فينا، ولكنه مكشوفٌ تمامًا أمام الله.

الشهادة قبل الاستشهاد:

ونحن نحتفل في هذا اليوم بإعادة تدشين هذه الكنيسة، نتذكَّر هؤلاء الشيوخ الذين استشهدوا. لذلك نقول إنَّ الإنسان قبل أن يكون شهيدًا، يجب أن يكون شاهدًا للمسيح. وهذا هو **"طريق القداسة"**، أن يشهد الإنسانُ للمسيح في حياته وبكلِّ قدرته، كما يقول القدِّيس بولس الرسول: «شُكْرًا لِلهِ الَّذِي يَقُودُنَا فِي مَوْكِبِ نُصْرَتِهِ فِي الْمَسِيحِ كُلَّ حِينٍ، وَيُظْهِرُ بِنَا رَائِحَةَ مَعْرِفَتِهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ، لأَنَّنَا رَائِحَةُ الْمَسِيحِ الذَّكِيَّةُ للهِ» (٢كو ٢: ١٤). وهذا هو أحد مفاتيح طريق القداسة: أن يكون الإنسان شاهدًا للمسيح.

عند تطييب رفات القدِّيسين، فإننا نضع رفاتهم في صناديق من الخشب، الذي يُذكِّرنا بخشبة الصليب، فهؤلاء الشهداء حملوا الصليب؛ ونُرَتِّل الألحان، التي تُذكِّرنا بتسابيح القدِّيسين في السماء؛ ونضع العطور والأطياب، التي تُذكِّرنا بأنَّ سيرتهم تحمل رائحة المسيح الذكيَّة الممتدَّة عَبْر الزمن وإلى المنتهى.

هؤلاء القدِّيسون هم الشهداء شيوخ برِيَّة شيهيت، ولكنهم قبلًا كانوا شهودًا للمسيح في حياتهم، وهذه دعوةٌ لنا أن تكون حياتنا شاهدةً للمسيح. ونحن هنا في محراب هذا الدير بتاريخه الكبير عَبْر القرون والأجيال الذي عاشت فيه أجيالٌ، وستأتي أجيالٌ أخرى تعيش فيه من بعدنا، وهكذا تمتدُّ حياة القداسة. ومغبوطٌ هو الإنسان الذي يغتنم الفرصة، ويعيش فعلًا شاهدًا للمسيح. فمَنْ يختار الحياة الرهبانيَّة، يكون شاهدًا للمسيح، ويصير إنجيلًا مقروءًا. وهذه دعوةٌ لنا أن نكون شهودًا للمسيح في الحياة الرهبانيَّة والسلوك والسِّيرة والقدوة والصلوات، وفي كلِّ شيء. نحن هنا لا نقوم بعملٍ تاريخي أو أثري لشيءٍ كان في الماضي. لا، نحن اليوم مدعوُّون أنه كما كان هؤلاء نكون نحن أيضًا شهودًا للمسيح في حياتنا، في رهبانيَّتنا، في سيرتنا، في سلوكنا، في تصرُّفاتنا، في قدوتنا، في صلواتنا، في كلِّ حياتنا، وفي كلِّ شيء أن نكون شهودًا للمسيح.

تذكار مثلث الرحمات الأنبا إبيفانيوس:

وفي هذه الأيام أيضًا، نتذكَّر مثلث الرحمات المُتنيِّح الأنبا إبيفانيوس رئيس الدير (تنيَّح في ٢٩ يوليو عام ٢٠١٨م). وقد كانت له رائحة المسيح الذكيَّة وما زالت. وصار في هذا الدير راهبًا، وصار خادمًا، وصار أسقفًا ورئيسًا لهذا الدير، وعَبْر حياته كلها كان شاهدًا للمسيح. هذه الدعوة لنا جميعًا، نحن نتذكَّره في العام الثامن على رحيله، ونُذَكِّر أنفسنا أن تكون لحياتنا رائحة المسيح؛ يشتمُّها ويراها الله، وكذلك يراها الناس فينا، ونفرح أن تكون حياتنا بحسب قصد الله في خلقتنا وفي وجودنا على هذه الأرض.

ختامًا: الأمانة طريق القداسة:

هذا يومٌ مُفرِح، أيها الأحبَّاء، نفرح فيه بهذه التذكارات، ويفرح معنا الأحبار الأجلَّاء الآباء المطارنة والأساقفة، والآباء الكهنة والرهبان، وكلُّ الشعب. وهذه هي صورة الكنيسة الجميلة، أن نحتفل بالقداسة، ونُذكِّر أنفسنا أننا جميعًا مدعوُّون لطريق القداسة، والذي علامته الأساسيَّة هي "الأمانة": «كُنْ أَمِينًا إِلَى الْمَوْتِ فَسَأُعْطِيكَ إِكْلِيلَ الْحَيَاةِ» (رؤ ٢: ١٠). وهذا هو الأساس والدليل الذي نسير عليه كلَّنا: «كُنْ أَمِينًا إِلَى الْمَوْتِ». كُنْ كيفما تكون، سواء كنتَ راهبًا في

الدير، أو خارج الدير، في خدمتك وفي عملك، وفي كلِّ شيء؛ كُنْ أمينًا إلى الموت. فالأمانة هي صفة القداسة التي نُدعى إليها جميعًا، وإن صار الإنسان أمينًا وُهِب له إكليل الحياة.

يحفظكم المسيح، ويُعطينا دائمًا أن نُمجِّد اسمه في حياتنا كلَّ يوم، وأن نكون مجتهدين في طريق القداسة، كأننا في سباقٍ كبير نُسَمِّيه: **"سباق القداسة"**. يجتهد ويترفَّع الإنسان عن ضعفات الأرض، لأن ضعفات الأرض وأطماعها هي الأحجار التي تُعيق طريق القداسة. فيوم يترفَّع الإنسان عن هذه كلِّها وتكون عينه على المسيح، كما يقول القدِّيس بولس الرسول: «فَقَطْ عِيشُوا كَمَا يَحِقُّ لإِنْجِيلِ الْمَسِيحِ» (في ١: ٢٧)؛ عندئذٍ يعيش في حياة وطريق القداسة، وكما يحقُّ لإنجيل المسيح.

يُعطينا المسيح هذه النعمة، ويحفظ هذا الدير وكلَّ آبائه الأحبَّاء، ويُبارك كلَّ الحضور، ويُعطينا أن نكون شهودًا أُمناء أمامه في كلِّ حين. له كلُّ مجدٍ وكرامةٍ من الآن وإلى الأبد، آمين.



قداسة البابا أثناء إلقائه عظة إنجيل قدَّاس تدشين كنيسة الشيوخ

تدشين كنيسة التسعة والأربعين شهيدًا شيوخ شيهيت
بيد قداسة البابا تواضروس الثاني
وتطييب رفاتهم ونقلها إلى مقصورتهم الجديدة بالكنيسة



قداسة البابا يزيح الستار عن اللوحة التذكاريَّة لكنيسة الـ ٤٩ شهيدًا شيوخ شيهيت

في صباح يوم الثلاثاء ٢١ أبيب ١٧٤٢ للشهداء الأطهار والموافق ٢٨ يوليو ٢٠٢٦ ميلاديَّة، وفي احتفالٍ مهيب، قام قداسة البابا المعظَّم الأنبا تواضروس الثاني بابا الإسكندريَّة وبطريرك الكرازة المرقسيَّة، ويُشاركه لفيفٌ من الآباء المطارنة والأساقفة من أعضاء المجمع المقدَّس لكنيستنا القبطيَّة الأرثوذكسيَّة، وعدد من الآباء الكهنة والرهبان؛ بإعادة تدشين كنيسة التسعة والأربعين شهيدًا شيوخ شيهيت بعد ترميمها. وقد قام قداسته والأحبار الأجلَّاء كذلك بتطييب رفات التسعة والأربعين شهيدًا، والشهيدَيْن القائد مارتينوس وابنه الطفل زيوس، وذلك بعد استخراجها من مواضعها القديمة أسفل أرضيَّة الكنيسة،

ووضعها في المقصورة الجديدة المُعدَّة خصيصًا لتوضع فيها رفات هؤلاء الشهداء القدِّيسين بجوار الحائط البحري للكنيسة (مكان المصطبة القديمة).



المقصورة الجديدة التي تحوي رفات التسعة والأربعين شهيدًا والشهيدَيْن مارتينوس وابنه زيوس

وهذه المقصورة مقسَّمة الى ثلاثة أقسام، ترتيبها كالتالي من أسفل الى أعلى: القسم الأول يحوي العظام المُجمَّعة للتسعة والأربعين شهيدًا؛ والقسم الثاني يحوي الهياكل العظميَّة الكاملة لهم؛ والقسم الثالث يحوي رفات الشهيدَيْن مارتينوس (رسول الإمبراطور ثيئودوسيوس) وابنه الطفل زيوس في أنبوبةٍ خاصَّةٍ بهما.

وكان الدير قد قام على مدى سنواتٍ بمُتابعة أحوال الكنائس وترميمها، وذلك بعد تأثيرات السيول التي ضربت منطقة وادي النطرون عام ٢٠١٥م. وقد قام الدير مؤخَّرًا بأعمال الترميم لكنيسة الشيوخ وتدعيمها. وأثناء أعمال الترميم، تمَّ العثور على أماكن دفن بعض رفات الشيوخ الشهداء، فتمَّ استخراجها من أماكنها أسفل أرضيَّة الكنيسة لحمايتها من الرطوبة والتحلُّل. وقد قام الدير بأعمال التوثيق والترميم والحفظ والتكفين اللازمة لتلك الرفات المقدَّسة قبل وضعها في المقصورة الجديدة.

والجدير بالذِّكر، أنه عند اكتشاف مكان دفن بعض الشهداء في قبوٍ أسفل أرضيَّة الكنيسة، كان مستوى الرطوبة به مرتفعًا، وكانت الأخشاب والملابس وكلُّ شيء في حالةٍ مزرية من التحلُّل، ولم يتبقَّ إلَّا عظام الشهداء وسط الرمال وآثار الأخشاب المُتحلِّلة. ومع ذلك، كانت تفوح من المدفن رائحة عَطِرة جدًّا، اشتمَّها كلُّ الحاضرين والعاملين بالمكان من الآباء الرهبان والمهندسين والعمال.

وقد وصل قداسة البابا إلى الدير في السابعة صباحًا، وكان في استقباله الآباء المطارنة والأساقفة ومجمع رهبان الدير. وتوجَّه قداسته إلى داخل الدير، يتقدَّمه الشمامسة والرهبان وهم حاملون الصلبان ويُرتِّلون ألحان استقبال الأب البطريرك. وعند وصول قداسته إلى كنيسة التسعة والأربعين شهيدًا، قام بإزاحة الستار عن اللوحة التذكاريَّة التي تؤرِّخ لتدشين الكنيسة.

وصلَّى قداسته صلوات التدشين ومعه الأحبار الأجلَّاء، وقام بتدشين مذبح الكنيسة وأيقونة البانطوكراتور (حضن الآب) في شرقيَّة الهيكل، والأيقونات الموجودة بالكنيسة، وكذلك أواني المذبح والأدوات المُستخدمة في الليتورجيَّا.



قداسة البابا يُدَشِّن مذبح الكنيسة ومعه الآباء المطارنة والأساقفة

وعقب التدشين، قام قداسته والآباء المطارنة والأساقفة بتطييب رفات الـ ٤٩ شهيدًا والشهيدَيْن مارتينوس وابنه زيوس، ووضعهم في مقصورتهم الجديدة. هذا وقد شارك في صلوات التدشين وفي تطييب الرفات المقدَّسة والقدَّاس الإلهي، تسعة من الآباء المطارنة

والأساقفة. ووقَّع قداسة البابا والآباء المطارنة والأساقفة على وثيقة لهذا الحدث الهام لتُحفظ كوثيقةٍ تاريخيَّةٍ في الدير. وكان الآباء المطارنة والأساقفة الحاضرون كالتالي:

١. نيافة الأنبا دانيال مطران المعادي وتوابعها.

٢. نيافة الأنبا متَّاؤس أسقف دير السريان.

٣. نيافة الأنبا رافائيل الأسقف العام لكنائس وسط القاهرة.

٤. نيافة الأنبا قزمان أسقف سيناء الشماليَّة.

٥. نيافة الأنبا دانيال أسقف دير الأنبا بولا بالبحر الأحمر.

٦. نيافة الأنبا مقار أسقف مراكز الشرقيَّة ومدينة العاشر من رمضان.

٧. نيافة الأنبا فام أسقف شرق المنيا.

٨. نيافة الأنبا أغابيوس أسقف دير الأنبا بيشوي.

٩. نيافة الأنبا باخوميوس أسقف دير القدِّيس مكاريوس السَّكندري بجبل القلالي.



قداسة البابا مع الأحبار الأجلَّاء والأب إيسيذوروس أمين الدير أثناء تطييب رفات الشهداء



قداسة البابا يوقِّع على وثيقة تدشين الكنيسة ونقل رفات الشهداء الى مقصورتهم الجديدة

كلمة ترحيب الدير:

وبعد إنجيل القدَّاس، ألقى الراهب القس سرجيوس المقاري (نائبًا عن مجمع الدير)، كلمة تهنئة وترحيب بقداسة البابا والأحبار الأجلَّاء، لافتًا إلى أنَّ كنيسة الـ ٤٩ شهيدًا شيوخ شيهيت، ستظل شاهدةً على أمانة الله عَبْر الأجيال، وعلى ميراث القداسة الذي تسلَّمناه من آبائنا الذين سفكوا دماءهم الطاهرة في هذه البريَّة المقدَّسة.

وأضاف: "إنَّ حضور قداستكم بيننا اليوم، ليس مجرَّد زيارة رعويَّة، بل هو امتدادٌ لتاريخٍ طويل من المحبة بين الكرسي المرقسي وبريَّة شيهيت؛ تلك البريَّة التي قدَّستها صلوات القدِّيس الأنبا مقار الكبير، وأثمرت آلاف الرهبان الذين حملوا نور الإنجيل إلى العالم كلِّه، وكانت – عَبْر القرون – قلبًا نابضًا للحياة النُّسكيَّة والآبائيَّة. واليوم ونحن نُعِيد تدشين كنيسة الـ ٤٩ شهيدًا، فإننا لا نُكرِّس حجارةً، بل نُقدِّم لله تذكارًا حيًّا لأولئك الآباء الذين عاشوا الإنجيل بكلِّ أمانةٍ، و أكملوا جهادهم، وسلَّمونا هذا التراث الروحي العظيم".



وثيقة

في يوم الثلاثاء ٢٨ يوليو ٢٠٢٦ميلادية، الموافق ٢١ أبيب ١٧٤٢ للشهداء

قام قداسة البابا المعظم الأنبا تواضروس الثاني بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية، ومعه لفيفٌ من الآباء المطارنة والأساقفة أحبار الكنيسة، بإعادة تدشين كنيسة التسعة والأربعين شهيدًا شيوخ شيهات بعد ترميمها، وقاموا كذلك بتطييب رفات التسعة والأربعين شهيدًا بعد استخراجها من مواضعها القديمة أسفل أرضية الكنيسة، وتم عمل مقصورة جديدة لتوضع فيها رفات هؤلاء الشهداء القديسين، وهذه المقصورة مقسّمة الى ثلاثة أقسام، ترتيبها كالتالي من أسفل الى أعلى: القسم الأول يحوي العظام المُجمّعة، والقسم الثاني يحوي الهياكل العظمية الكاملة، والقسم الثالث يحوي رفات الشهيدين مارتينوس (رسول الإمبراطور ثيئودوسيوس) وابنه الطفل زيوس في أنيوبة خاصة بهما، وذلك بعد أن قام الدير بأعمال التوثيق والترميم والحفظ والتكفين اللازمة.

وهذه وثيقة منّا بذلك،

أمين دير القديس أنبا مقار

القس إيسيذوروس المقاري

قداسة البابا المعظم الأنبا توضروس الثاني

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسية

أسقف الرئاسة العامة

أسقف ديرانبا بولا بالبحر الأحمر

أسقف سيناء والشمالية

أسقف شرق المنيا

أسقف دير مكاريوس الكندي

❖ وقد ألقى قداسة البابا عظة على إنجيل القدَّاس (لو ١١: ٥٣ – ١٢: ١٢) عن: **"معالم طريق القداسة"**، وهي منشورة في افتتاحية هذا العدد (سبتمبر ٢٠٢٦م).

❖ وبعد الكلمة، أكمل قداسته القدَّاس الإلهي، وشاركه الآباء المطارنة والأساقفة والكهنة الحضور، ثم وزَّع لقمة البركة على الآباء الحضور والشعب وهنَّأهم بهذه المناسبة. وبعدها توجَّه قداسته الى مبنى المؤتمرات والضيافة، وشارك الآباء وجبة المحبَّة، وقام بتوزيع الهدايا التذكاريَّة.

قداسة البابا يتفقَّد مشروعات الدير، ويفتتح مشروعات جديدة:

بعد هذا، قام قداسة البابا بتفقُّد وافتتاح بعض المشروعات الجديدة بالدير. فافتتح قداسته المبنى الجديد لوحدة ترميم المُقتنيات الكنسيَّة بدير القدِّيس الأنبا مقار، وهي الأولى من نوعها على مستوى الكنيسة. والوحدة الجديدة مُجَهَّزة بأحدث الإمكانيات، وتضمُّ أقسامًا للتوثيق والتصوير والتعقيم والترميم؛ بالإضافة لقاعة محاضرات لتدريب الشباب الكنسي على حماية التراث، وتعليم الراغبين فنون ومهارات الترميم. وتختصُّ الوحدة بترميم المُقتنيات الخشبيَّة، والنسيج، والأيقونات، والصور القديمة، والمعادن، والأحجار، والفخار، والزجاج.



قداسة البابا يُعاين بعض قِطَع الملابس الكهنوتيَّة بعد ترميمها

واستمع قداسته الى مراحل الترميم المختلفة للنسيج والأيقونات، وعاين بعض القِطَع المُرمَّمة. وأشاد قداسته بمستوى ودقَّة العمل بالوحدة، وأشار الى دورها الهام في حفظ وتوثيق وترميم التراث والمُقتنيات القبطيَّة التاريخيَّة والأثريَّة؛ وكذلك في تدريب الشباب الكنسي للقيام بذلك.

كما افتتح قداسته أيضًا المكتبة الجديدة لبيع كتب الدير، وتفقَّد منفذ بيع منتجات الدير؛ مُشيدًا بالمجهود الكبير الذي يبذله رهبان الدير في تطوير الخدمات ومرافق الدير، والحفاظ على التراث الكنسي.



قداسة البابا يتفقَّد محتويات المكتبة الجديد برفقة آباء الدير

❖ نطلب من إلهنا الصالح أن يُبارك في كنيسته، ويجعلها كنيسةً مجيدةً على الدوام، بشفاعات والدة الإله العذراء مريم، وصلوات التسعة والأربعين شهيدًا شيوخ شيهيت، وسائر القدِّيسين عنَّا، وصلوات قداسة البابا المعظَّم الأنبا تواضروس الثاني، وآبائنا المطارنة والأساقفة، آمين.

مقال للأب متى المسكين



الاستشهاد

والموت الإرادي[1]

رسالة مُرسلة من أسيوط إلى دير القدِّيس أنبا مقار
(عيد النيروز في ١٩٧٣/٩/١١م).

إلى الآباء والإخوة رهبان دير القدِّيس أنبا مقار
نعمة لكم وسلام من الله.

قيل عن القدِّيس أنطونيوس: إنه نزل من الجبل ليُشدِّد الشهداء عند تقديمهم للمحاكمة في الإسكندريَّة، ثم بعد استشهاد المغبوط البابا بطرس خاتم الشهداء (البطريرك الـ ١٧ في عداد بطاركة كنيسة الإسكندريَّة)، عاد إلى ديره ليعيش استشهاده كل يوم.

فالآن، قد أُعطِيَ لكم، أيُّها الأحبَّاء، شرف هذه الشهادة، لأنه قد أُعطِيَ لكم فرصة مداها العمر كله، لكي تشهدوا للمسيح بموتكم الإرادي كلَّ يوم، حُبًّا وكرامةً للذي مات من أجلكم. وإني أقول لكم: إنه ليس عملٌ ما من كلِّ ما يعمل الإنسان، يساوي عمل الموت الإرادي، الذي فيه يصلب الإنسان ذاته على صليب المسيح. لأن كلَّ أعمال الإنسان، إمَّا تنتهي بالموت، أو تؤول إلى موت، إلَّا صَلْب الذات بالموت الإرادي، فهو عملٌ ينتهي بالحياة ويؤول إلى حياة.

إنه سرٌّ أقوله لكم، الله يشهد، إنَّ كلَّ مرَّة يموت فيها الإنسان عن ذاته، ويُنكر نفسه ويجحدها كرامةً لصليب المسيح وحُبًّا لشخصه الفادي؛ ينال التصاقًا حقيقيًّا بالربِّ المصلوب، ويشترك بالفعل وبالروح في مجد صلبوته الطاهر.

كلُّ شهيد، أيُّها الأحبَّاء، مات مرَّةً واحدة عن ذاته بصدقٍ وإخلاص، يشهد لهما حدُّ السيف الذي انصبغ بالدم؛ أمَّا الراهب المُخلِص لرهبنته الأمين لدعوة إلهه، فهو يُقدِّم ذاته مذبوحةً بسيف الطاعة، ويهتف من أعماق قلبه هتاف النُّصرة مع بولس الرسول: «مِنْ أَجْلِكَ نُمَاتُ كُلَّ

(١) الرسالة (٥١) من كتاب: "رسائل القمص متَّى المسكين"، الطبعة الأولى: ٢٠٠٧م، ص ١٨٢ – ١٨٤.

النَّهَارِ. قَدْ حُسِبْنَا مِثْلَ غَنَمٍ لِلْذَّبْحِ» (رو ٨: ٣٦).

إن كان يوجد في الرهبنة امتيازٌ سرّيٌّ عالٍ عن كلِّ أنواع الحياة الأخرى، فهو يكمُن أساسًا في فرص الموت الإرادي عن الذات على مدى طول النهار والليل، وعلى مدى العمر كلِّه؛ بإمكانياتٍ وطُرُقٍ كثيرة برع فيها الآباء، ولم يستنزفوا تنوُّعها وكثرتها بعد!

الراهب إنسانٌ يحيا صليبه بكلِّ تصميمٍ وهيبة، بكلِّ إصرارٍ وحذق، بكلِّ رزانةٍ وصمت، بكلِّ عشقٍ وهيام؛ حيث لا راحة له إلَّا في بلوغ الموت الكامل، ولا سلام له إلَّا في اختفاء الذات وسحقها، حيث يعيش الحبَّ الصادق عديم الغشِّ، وينبت فرح المسيح الذي يطأ الموت، ويستهين بالمديح والكرامات.

الاستشهاد هو عملنا اليومي، أيُّها الأحبَّاء. ما تُعيِّده الكنيسة مرةً واحدة في السنة لذكرى وتكريم أرواح الشهداء، نعيشه نحن على مدى الأربع والعشرين ساعة، بطول العمر وعرضه. "النيروز" هو حياتنا، هو سيرتنا التي نكتبها بدموعنا ودمنا، ليُسجِّلها لنا ملاكنا في السماويَّات.

الشهداء هم أصدقاؤنا والفَعَلَة معنا الذين سبقونا وتركوا لنا دماءهم على الطريق، علاماتٍ تُرشد الكسالى والمُتوانين والتائهين وراء غرور الذات وكبريائها. دم الشهداء له رائحةٌ مُنعشة، يستنشقها السَّهارى والتَّعابى والمتألِّمون؛ فيجدِّدون قوَّةً. دم الشهداء إشارةٌ حمراء تُنذر بالخطر، تقف في وجه الهاربين من الضيقة، والمُتحايلين على الصِّدق بالكذب والغِشِّ واللَّف والدوران.

دم الشهداء ميراثٌ أبويٌّ استلمناه مع الإيمان بالمسيح، ولا يمكن فصلهما، لأن غِنَى الإيمان لا يمكن تأمينه ضد شهوات العالم، إلَّا باستعداد الشهادة وسَفْك الدم. والشهداء أثبتوا لنا معنى الإيمان بالمسيح وقيمته، بالدم لا بالكلام.

من أجل ذلك أُنبِّه ذهنكم، أيُّها الأحبَّاء، أنَّ الإيمان لا يُحسَب شيئًا إذا لم يكن له استعداد الشهادة حتى الموت. وبالتالي، فالراهب الذي ليس عنده استعداد الموت الإرادي وإنكار الذات، هو إنسانٌ تائه لم يعرف بعد معنى الإيمان، ولم يذُق بعد معنى الصليب. وهل يمكن أن يُدعَى بعد ابن الشهداء؟!

يا أحبَّائي، ليت رائحة دم الشهداء الذكيَّة تُنعِش أرواحكم اليوم لبدء حياةٍ جديدة. آمين.

كونوا معافين،

القمص متى المسكين



عمل الروح القدس في الكنيسة

في كتابات القدِّيس إيرينيئوس[1]

أقوال الآباء

القدِّيس إيرينيئوس (من الآباء المُدافعين عن الإيمان الأرثوذكسي، ١٣٠ – ٢٠٠م)، وقد وُلد في آسيا الصُّغرى. وقد أَخبرَ باتِّصاله بزمنِ الآباءِ الرَّسوليِّين عندما كانَ يسمعُ القدِّيس بوليكاربوس (أسقف سميرنا) يتكلَّم عن القدِّيس يوحنَّا الرَّسول. وكانَ كاهنًا في ليون (فرنسا الآن)، وأصبحَ أسقفًا في سنة ١٨٠م. وقد أخذَ على عاتِقِهِ أنْ يشرحَ ويُفنِّدَ النَّظريَّةَ الغنوسيَّةَ عند فالنتينُوس في كُتبِهِ الخمسة: "**ضدُّ الهرطقاتِ**". ثمَّ تلَا ذلك كتابه: "**شرح الكِرازةِ الرَّسوليَّةِ**" الَّذي يعرضُ فيه تلخيص عن شرح الإيمان المسيحيِّ.

كتاب: "ضدُّ الهرطقات" للقدِّيس إيرينيئوس

عمل الرُّوح القدس في البشارة بالإنجيل:

كتاب ٣، فصل ١، ١[2]: نحن تعلَّمنا تدبير خلاصنا أنَّه ليس مِنْ أحدٍ آخر سوى الَّذين بواسطتهم قد استلمنا الإنجيل؛ أوَّلًا هم أعلنُوا جهارًا، وبعد ذلك، بواسطة مَشيئةِ اللهِ، سلَّمُوه لنا في الكُتبِ المقدَّسةِ ليكونَ أساس وعمود إيماننا. فإنَّه مِن الخطإِ أنْ نُؤكِّد على أنَّ الرُّسلَ بشَّرُوا قبل أنْ تكون معرفتهم الخاصَّة قد اكتملت، لأنَّ بعض الأشخاص يفتخرُون بأنَّهم أكثر استقامة مِن الرُّسلِ.

لأنَّه بعد ما قامَ ربُّنا مِنْ بين الأموات، **الرُّوح القُدس حلَّ عليهم**، فَلَبسوا قُوَّةً مِن الأعالي (أع ١: ٨؛ لو ٢٤: ٤٩)، وامتلأوا مِنْ كُلِّ عَطاياه ونالوا معرفةً كاملةً وخرجُوا إلى أقاصي الأرضِ (مز ١٨: ٥؛ رو ١٠: ١٨)، وبشَّرُوا بالأخبار الحسنة عَن الأمورِ الَّتي أتت إلينا مِن اللهِ، وأعلنُوا السَّلامَ

---

(١) نستعرض هنا بعض الفقرات المُختارة التي تكلَّم فيها القدِّيس إيرينيئوس عن الرُّوح القدس من كتابه: "ضدُّ الهرطقاتِ"؛ مع ملاحظة أنَّه تمَّ ترجمة الفقرات من كتابه: "ضدُّ الهرطقاتِ" عن النَّصِّ اليونانيِّ الَّذي أُعيد تكوينه من الشَّذرات الباقية من كتاباته مع الاستنتاج الَّذي تمَّ للنُّصوص الباقية (Retroversion) من التَّرجمة اللَّاتينيَّة بواسطة Adelin Rousseau ضمن مجموعة Sources Chrétiennes.

(2) SC 211, pp 20-24. ANF 1, p 414.

السَّماوي للبشر. فكُلٌّ منهُم على انفراد وبالتَّساوي اقتنى إنجيلَ اللهِ. فبينما القدِّيس متَّى نَشَرَ الإنجيلَ المكتوب للعبرانيِّين في لغتِهم الخاصَّةِ؛ وفي نَفسِ الوقتِ، بُطرُس وبولُس بشَّرا في روما ووضعا أساس الكنيسةِ هُناك، وبمُجرَّدِ أن ذهبا إلى روما، مَرقُس الَّذي كانَ تِلميذ بُطرُسَ ومُترجمًا له، سلَّمَ بشارتَهُ مكتوبةً لنا؛ وأيضًا لوقا سجَّلَ في كتابِ الإنجيلِ البشارةَ بواسطةِ بولُسَ، الَّذي كانَ رَفيقهُ؛ وفيما بعد يوحنَّا، تِلميذُ الرَّبِّ الَّذي اتَّكأَ على صَدرِه، هُوَ نفسهُ أذاعَ الإنجيلَ حينما كان عائشًا بأفسُسَ في آسيَّا.

عمل الرُّوح القدس في تسليم تقليد الكنيسة وإيمانها وفي الَّذين يسمعونه:

كتاب ٣، فصل ٤، ١[٣]**:** مُنذ أنْ صارت لنا مثل هذه الدَّلائل، نستطيعُ بسهولةٍ أنْ نَحظَى بالحقِّ مِن الكنيسةِ ولا نكون في عوزٍ أنْ نلتمسهُ مِنْ آخرين، كمثل رجلٍ غنيٍّ يُودِعُ أموالَهُ في بنكٍ، لذلك الرُّسلُ وضعُوا الحقَّ كُلَّهُ في أيادي الكنيسةِ. فهكذا أيُّ إنسان يُريد، يستطيعُ أنْ يستَقيَ شراب الحياةِ منها (رؤ ٢٢: ١٧).

فهي المدخلُ للحياةِ؛ أمَّا كُلُّ الآخرين فهم لُصُوصٌ وسُرَّاقٌ (يو ١٠: ٨، ٩). بسببِ هذا، يجب علينا أنْ نتجنَّبهم؛ وأنْ نحبَّ بغيرةٍ عظيمةٍ ما يَخُصُّ الكنيسة، ونتمسَّكُ بالتَّقليد الَّذي للحقِّ.

افترضْ أنَّ خلافًا أُثير بيننا حول أمرٍ قليل الأهمِّيَّة؛ أَمَا يجب أنْ نلتجئ إلى أقدمِ الكنائسِ، الَّتي عاشَ فيها الرُّسل، لكي نصل لحلٍّ دقيقٍ للنِّزاعِ عن الأمر المُختَلف عليه؟ فماذا كنَّا نفعلُ لو أنَّ الرُّسل لم يكونوا قد تركوا لنا الكُتب المُقدَّسة؟ ففي هذه الحالة، أَلَا يكونُ مِن الضَّروري أنْ نتبع التَّقليد الَّذي سلَّموه لأولئك، فَلَهُم قد أعطُوا مسؤوليَّة الكنائس؟

٢. بعض الناس البربريِّين الَّذين أتوا لِيؤمنُوا بالمسيحِ تسلَّمُوا هذا التَّقليد. فَهُم تلقَّوا الخلاص **مكتوبًا بالرُّوح** في قلوبِهم، بدون ورق أو حبر (٢كو ٣: ٣). فهم بعناية حفظُوا الخلاص والتَّقليدَ القديمَ وآمنُوا باللهِ الواحدِ، خالق السَّماء والأرض وكُلِّ ما فيها، بالمسيحِ يسوع، ابن اللهِ، الَّذي بسبب حبِّهِ الفائق لجبلتهِ، اِرتضى أنْ يُولدَ مِن العذراءِ لكي يُوحِّدَ البشريةَ مع اللهِ خلال نفسهِ. الَّذي تألَّم على عهد بيلاطُس البنطي، وقام، ورُفعَ في المجد، الَّذي سيأتي في المجدِ أيضًا، مُخلِّصًا الَّذين يخلُصُون وديَّانًا الَّذين سيُدانون، الَّذي سوف يُرسل للنَّارِ الأبديَّةِ الَّذين يُحَرِّفون الحقَّ ويُهينون أبيه ومجيئهُ. فالَّذين يحتضنون هذا الإيمان بدون أنْ يعتمدُوا على الوثائقِ المكتوبةِ،

(3) SC 211, pp 44-50. ANF 1, pp 416-417.

هُم بربريُّون بقدر ما تقصدهُ لُغتنا. ففي العقيدةِ والتَّقليد وطريقة الحياة، فهُم أكثر حكمة، بسبب هذا الإيمان. فَهُم عائشون في البرِّ والعفَّةِ والحكمةِ، ويرضون اللهَ. فلو كانَ أيُّ أحدٍ يُبشِّرُ هذه الشُّعوبَ ببدعِ الهراطقةِ في لُغتهم الخاصة، لكانوا في الحالِ سدُّوا آذانهم وهربُوا بقدرِ المُستطاع. ولا كانوا يتحمَّلون حتَّى أنْ يسمعُوا هذا الكلام المملوء تجاديف. فَهُم يعتمدون على التَّقليد الرَّسولي القديم، ولكانوا يرفضُون أنْ يعتبروا بجدِّيَّةٍ هذه التَّعاليم المُقترحة في هذه العروض الرَّنَّانة. فإنَّهُ لا الكنيسة ولا العقيدة كانَ لها أيُّ أساسٍ بين هؤلاء المُبشِّرين.

عمل الرُّوح القدس في وحدة الكنيسة:

كتاب ٣، فصل ١٧، ١[٤]: الرُّسلُ سجَّلُوا ما حدثَ حقًّا: رُوح اللهِ نزلَ عليه (على الربِّ يسوع) مثل حمامة. فإشعياء يتكلَّمُ عن هذا الرُّوح قائلًا: «ويرتاح عليهِ رُوح اللهِ» (إش ١١: ٢)، وأيضًا: «رُوحُ الرَّبِّ عليَّ، لأَنَّهُ مَسَحَني» (إش ٦١: ١). فالرَّبُّ يُعلِنُ عن هذا الرُّوح قائلًا: «فلستُم أنتُم المُتكلِّمين، بل رُوح أبيكُم هُوَ الَّذي يتكلَّمُ فيكم» (مت ١٠: ٢٠). وأيضًا هو قال لهم بخصوص إعطائهم سلطان الولادةِ الجديدةِ مِنْ اللهِ: «اذْهَبُوا وَتَلْمِذُوا جَمِيعَ الأُمَمِ وَعَمِّدُوهُمْ بِاسْمِ الآبِ وَالاِبْنِ وَالرُّوحِ الْقُدُسِ» (مت ٢٨: ١٩).

فالله وَعَدَ بالأنبياء أنَّهُ في الأزمنة الأخيرةِ سيسكُبُ هذا الرُّوح على عبيدهِ وإمائهِ لكي يتنبَّأُوا (يؤ ٢: ٢٨، ٢٩). فلهذا السبب، هُوَ أيضًا نزلَ (الروح القدس) على ابن اللهِ، الَّذي صارَ ابنَ الإنسان؛ وهكذا وهُوَ في اتِّحادٍ به، صارَ معتادًا أنْ يسكن في الجنسِ البشري، ويرتاح في البشر، ويسكن في جبلة اللهِ؛ إذْ أكملَ مشيئة الآب فيهم وجدَّدهم مِنْ عاداتهم القديمةِ إلى تجدُّدِ المسيح.

٢. داود طلبَ هذا الرُّوح للبشرية: «برُوحٍ رئاسيٍّ اعْضُدْني» (مز ٥٠: ١٤). كما قالَ لوقا، بأنَّهُ نزلَ على التَّلاميذِ في يومِ الخمسين بعد صُعُود الرَّبِّ. فهُوَ أعطى سلطانًا لكُلِّ الأُمم ليُدخلهم الحياة ويفتحَ العهدَ الجديدَ للكُلِّ؛ فبواسطةِ قُوَّتهِ، كانَ التلاميذُ في تَنَاغُمٍ واحدٍ وأنشدُوا مُبَارِكين اللهَ في كُلِّ اللُّغاتِ المُختلفةِ. فالرُّوح ضمَّ قبائلَ بَعيدة إلى الوحدةِ، وقدَّمَ للآب الباكورة مِنْ كُلِّ الأُمم (أع ٢). وهذا هو ما وعدَ به الرَّبُّ أنْ يُرسل المُعزِّي، الَّذي سيؤلِّفنا مع اللهِ، مثل قمحٍ جافٍّ لا يستطيعُ أنْ يتشكَّل إلى قِطعةٍ متماسكةٍ مِن العجينِ أو رَغِيفِ خُبزٍ يتماسك معًا بدون رُطُوبة؛ هكذا نحن الكثيرون لا نستطيعُ أنْ نكون واحدًا في المسيحِ يسوع بدون الماء الَّذي يأتي مِن السَّماءِ.

---

(4) SC 211, pp 328-336. ANF 1, pp 444 – 445.

وكمثل أرضٍ يابسة لا تُثمرُ ثمرًا حتى تنالَ الرُّطوبةَ، لذلك نحن أيضًا شجرة في الأصلِ جافَّة ولا نستطيعُ مُطلقًا أنْ نثمرَ ثمرةَ الحياةِ بدون المطر المُعطَى مجَّانًا مِنْ فوق. فأجسادُنا تُضَمُّ إلى الوحدةِ الَّتي تقودُ إلَى عدمِ الفسادِ خلال الاغتسال. وتنالَهُ نُفوسنا خلال الرُّوح. فكلاهُما ضروريٌّ، فحيث إنَّ كليهُما يؤدِّيان للحياةِ لله، فربُّنا إذ أشفقَ على المرأةِ السَّامريةِ الخاطئةِ الَّتي ارتكبت الزِّنا بارتباطها بعدَّة زيجاتٍ بدلًا مِنْ أنْ تثبت مع زوجٍ واحدٍ، فهُوَ أشارَ ووعدَ لها بالماءِ الحيِّ لكي بماءِ الحياةِ تنبع الحياة الأبديَّة في داخلِها، فهي لن تعطشَ بعد أو تضطرَ أنْ تطلب أو تعمل لتنال ماء التَّجديد (يو ٤: ٧ – ٢٦). فالرَّبُّ نالَ هذا الماء الحيَّ كعطيَّة مِنْ أبيه، وهو نفسه يمنحها لأولئك الَّذين يشاركون فيه بواسطة إرسال الرُّوح القُدس على كُلِّ الأرضِ.

٣. اللهُ اختارَ جِدعُون لِيخلِّص إسرائيلَ مِنْ سُلطةِ الأُممِ الأجنبيَّةِ. جِدعُون تنبَّأَ بهذه العطيَّة الرَّحيمة، وغيَّرَ طلبَهُ. ففي الأوَّل طلبَ أنَّ النَّدى يَبلُّ جزَّةَ الصُّوف فقط الَّتي تُمثِّل البشَريَّة. فبواسطةِ طلبه، تنبَّأَ بأنَّها ستبقى جافَّةً، وأخبرَ بأنَّهم سوف ينالُون رُوح الله القُدُّوس (قض ٦: ٣٦ – ٤٠). وكذلك إشعياء يقول: «وأُوصي أيضًا السَّحابَ أنْ لا يُمطِرَ عليهِ (كرم الرَّبِّ) أبدًا» (إش ٥: ٦). فالنَّدى، الَّذي هو يُمثِّل رُوح اللهِ الَّذي نزلَ على الرَّبِّ، سيكسُو كُلَّ أَرجاء الأرضِ: «رُوحُ الحِكمةِ والفهم، رُوحُ المَشورةِ والقُوَّةِ، رُوحُ المعرفةِ والتقوى، رُوحُ مخافةِ الله» (إش ١١: ٢، ٣).

وأيضًا، مَنحَ هذا الرُّوح على الكنيسةِ وأرسلَ المُعزِّي مِن السَّماءِ على كُلِّ أَرجاء العالمِ. فالرَّبُّ يُخبرُنا بأنَّ إبليس قد سقطَ مِن السَّماواتِ مثل البرقِ (لو ١٠: ١٨). فنحن نحتاج لِندى اللهِ، ولذلك نحن لم نُفنَ بالنَّار أو جُعلنا غير مُثمرين، وبالتَّالي يكون لنا شفيعٌ حيثما يكون هناك مُشْتَكٍ. فالرَّبُّ أودعَ خاصَّتهُ، **للرُّوح القُدس**، الَّذين سقطُوا بين اللُّصوص. فهُوَ أشفقَ على البشريَّةِ، وضمدَ جُرُحها، وأعطاها دينارَيْن مَلَكِيَّيْن؛ فلذلك نحن ننالُ صورة وتوقيع الآب والابن بالرُّوح لكي يجعل الدِّينارين ثابتين لنا، لينتج ثمرةً ويردَّهما للرَّبِّ مع ربا (ربح).

عمل الرُّوح القدس في الأنبياء والرُّسُل والكنيسة الجامعة:

كتاب ٣، فصل ٢٤، ١[٥]**:** ... تُرى بشارةُ الكنيسةِ مُتناغمة وتبقى على طريقٍ مستوية. فنحن نثبتُ على الشَّهادةِ الَّتي نلناها مِن الأنبياءِ، فالرُّسُل وكُلُّ التلاميذ قدَّمُوا شهادة تحتوي على التدبيرِ الإلهي الكاملِ في كُلِّ مراحله مِن البدايةِ ثُمَّ المُنتصف وحتَّى النِّهاية، والعمل

(5) SC 211, pp 470-474. ANF 1, p 458.

الَّذي يُدبِّرُ خلاصَ البشريَّةِ ويُثبتُ أساسَ إيمانِنا. فنحن نلنا هذا الإيمان مِن الكنيسةِ وبعنايةٍ نُحافظُ عليه. فالَّذي يُجدِّد شبابهُ على الدَّوام برُوحِ اللهِ، يكونُ مثلَ كنزٍ ثمينٍ في وِعاءٍ حسن، وبسبب احتواء الوعاء لهُ يُجدِّد شبابهُ أيضًا. فاستؤمنت الكنيسةُ على عطيَّةِ اللهِ (أي الرُّوح القُدس)، كما أنَّ نفخة الخالق قد حلَّت في الجِبلة الأولى، حتَّى باشتراك جميع الأعضاء فيهِ، ينالون منهُ الحياة. ففي الكنيسةِ اذخرت الشَّركة مع المسيح، الَّتي هي الرُّوح القُدس عينه، عربون عدم الفساد وثبات إيماننا، والسُّلَّمُ الصَّاعِدُ إلى اللهِ. لذلك في الكنيسةِ قد قيلَ: «اللهُ أقامَ الرُّسلَ، الأنبياءَ، المُعلّمينَ» (١كو ١٢: ٢٨)، وبكُلِّ الطُّرق الأخرى الَّتي كانَ يعمل بها الرُّوح. فكُلُّ الَّذين لم يضمُّوا أنفُسهم إلى الكنيسة لن يكونَ لهُم نصيبٌ فيهِ. وعِوَضًا عن ذلك حرمُوا أنفُسَهُم مِن الحياةِ بآرائهم الفاسدة وسلوكهم القبيح.

لأنَّهُ حيث تكونُ الكنيسةُ يكونُ رُوحُ اللهِ، وحيث يكونُ رُوحُ اللهِ، تكونُ الكنيسةُ وكُلُّ موهبة. والرُّوحُ هُوَ حقٌّ، ولذلك فالَّذين لا يشتركون فيهِ لا يرضعون ثدي أُمِّهم (الكنيسة) لينالوا الحياة، ولا يرتشفُون مِن الينبوع الصَّافي الَّذي ينبعُ مِنْ جسدِ المسيحِ. وبدلًا مِنْ ذلك حفروا بأنفُسهم جُبًّا غير نافع، وشيَّدُوا خندقًا مِن الوحلِ، وشربُوا ماءً مُتعفِّنًا مِن الطِّينِ. وهربُوا ليحيدوا عن إيمان الكنيسةِ، فأصبحوا كاذبين ورفضُوا الرُّوحَ، لذلك هُم لن يتعلَّموا.

عمل الرُّوح القدس في الخلق والخلاص:

كتاب ٤، فصل ٢٠، ١[٦]**:** الملائكةُ لم تُخلِّصْنا أو تخلقنا، ولكن كلمةُ اللهِ هُوَ القادرُ أنْ يخلقَنا على صورةِ اللهِ، فلا الملائكةُ أو أي شخص آخر، ولا قُوَّة معزولة عن الآب حرَّكت كُلَّ الأشياء. فاللهُ غيرُ مُحتاج لمثل هذه الكائنات ليُتمِّم الخطط الَّتي هُوَ نفسه حدَّدها سابقًا. كما لو أنَّ ليس لديه يدَاه الخاصَّة: الكلمة والحكمة، الابن والرُّوح، فهما دائمًا حاضران معهُ. فبِهما وفيهما، بحرِّيَّةٍ وبشكلٍ مُستقلٍّ خلقَ كُلَّ شيء. فلهما هُوَ يتكلَّمُ عندما يقولُ: «لنصنع الإنسانَ على صُورتِنا وكشبهِنا» (تك ١: ٢٦). فهُوَ أخذَ مِنْ ذاتهِ جوهرَ المخلُوقَاتِ، ونموذجَ كُلِّ الأشياء المخلُوقة، وتصميمًا لكُلِّ الموجودات الَّتي في العالمِ.

٦. لذلك يجب أنْ يرى البشرُ اللهَ لكي يحيَوا. فهُم سيصيرُون غير مائتين برؤيةِ اللهِ والاتِّحاد بهِ – كما قُلتُ سابقًا – فتنبَّأَ الأنبياءُ بدقَّةٍ على سبيلِ الرَّمزِ، بأنَّ الله ينبغي أنْ يُنظر مِن البشرِ

(6) SC 100, pp 624-626, 642-652. ANF 1, pp 487- 490.

الَّذين يقبلُون رُوحَهُ ودائمًا ينتظرون بصبرٍ مجيئَهُ. وهكذا يقولُ موسى في سِفْر التَّثْنيةِ: «في هذا اليوم سوف نرى أنَّ اللهَ سيَتكلَّمُ مع الإنسان وسيحيا» (تث ٥: ٢٤). فبالتَّأكيد إنَّ أحدَ الأشخاص رأى الرُّوحَ النَّبويَّةَ وعملها الَّذي انسكبَ في كُلِّ أنواعِ العطايا. وآخرون رأَوا مجيء الرَّبِّ وخدمتِهِ مُنذُ البَدءِ، خلال الَّذي تمَّمَ مشيئةَ الآبِ في كلِّ مِن السَّماءِ والأرضِ. ولا يزال آخرون رأَوا أمجادَ الآبِ، مُتلائمين في كُلِّ زمان مع الَّذين رأوهم وسمعوهم، ثُمَّ لكُلِّ الَّذين سيسمعونهم آجلًا. فهذه كانت طريقة إعلان الله لنفسه، فخلال كُلِّ هذا، جعلَ اللهُ الآبُ نفسَهُ معروفةً. فالرُّوحُ عملَ؛ والابنُ خدمَ؛ والآبُ صدَّقَ؛ والبشريَّةُ كمَلَ خلاصُها.

٧. هكذا، مُنذُ البَدءِ فالابنُ هُوَ إعلان الآبِ. فبما أنَّهُ كانَ مع الآب مُنذُ البَدءِ، ففي الوقت المُحدَّد ولأجلِ منفعتهم، يُرِي البشريَّةَ رؤًى نبويَّة، ومواهب مُتعَدِّدة، وخدماته الخاصة، ومجد الآبِ، فكُلُّ مشيئاته مُؤلَّفة حسنًا وبطريقةٍ مُتناغمةٍ. وحيثما يُوجد تآلفٌ، يُوجد تناغُم؛ وحيثما التَّناغُم، فالوقت المُعيَّن؛ وحيثما الوقت المُعيَّن، تُوجد المنفعة. فلهذا السَّبب، صارَ الكلمةُ هُوَ المُدبِّر لنعمةِ الآبِ لأجلِ منفعة البشريَّةِ. ولأجل البشريَّة نفَّذَ التَّدبيرَ العظيمَ، فهُوَ أعلنَ اللهَ (الآب) للنَّاسِ وأحضرَ النَّاسَ للهِ. وفي نفس الوقت، هُوَ حفظَ عدمَ إمكانية رؤية الآبِ، ولكي لا يحتقر النَّاسُ اللهَ ولا أنْ يفتقروا إلى أهداف للارتقاء في المستقبل. وفي نفس الوقت، جعلَ اللهَ مَرئيًّا للنَّاسِ خلال تدابير مُتعدِّدة خشيةً أنَّ البشريَّةَ تُفنى مِن الوجودِ بالحرمان الكُلِّيِّ مِن اللهِ. فنجدُ اللهَ هُوَ حياةُ البشريَّةِ، وحياة النَّاسِ تكمُن في رؤيَةِ اللهِ. فلو أنَّ إعلان الله خلال الخليقة نفسها يُعطي حياةً لكُلِّ الأحياء الَّذين على الأرضِ، فكم بالأكثر جدًّا إعلان الآب خلال الكلمة الَّذي يُعطي حياةً للَّذين يَرَوْا اللهَ!

٨. لذلك، أعطى رُوحُ اللهِ إشارةً للمُستقبلِ خلال الأنبياء لكي يهيِّؤونا ويجهِّزونا سلفًا لطاعةِ اللهِ؛ وهكذا المُستقبل يتضمَّنُ أنَّ البشريَّةَ سترى اللهَ خلال مسرَّة الآبِ الصَّالحةِ، ثُمَّ كانَ مِن المُناسبِ أنَّ الَّذينَ تنبَّأُوا بالمُستقبلِ يجب أنْ يَرَوا اللهَ، الَّذين هُم أعلنوا عنه أنَّهُ سيُرى مِن البشريَّةِ. حتَّى أنَّهُ لن يُعلنَ بشكلٍ نبويٍّ فقط الله وابن اللهِ كآبٍ وابنٍ، ولكنَّهُ سيُرى بواسطةِ أعضائهِ الَّذين تقدَّسوا وتعلَّموا أمورَ اللهِ. وعلى هذه الطريقةِ، فإنَّ البشريَّةَ ستُشكَّلُ وتُدَرَّبُ مُسبقًا لكي تقتربَ مِن المجدِ الَّذي قُرِّرَ مُسبقًا أنَّه سيُعلنَ فيما بعد للَّذين يحبُّون اللهَ (رو ٨: ١٨، ٢٨). فالأنبياء تنبَّأُوا ليس بكلماتٍ فقط ولكن بالرُّؤى أيضًا، وبطريقةِ حياتِهم والأعمال الَّتي أكملُوها حسب إرشاد الرُّوح القُدس. فهذه كانت الطريقة الَّتي رأوا بها اللهَ غير المنظور.

فإشعياء يقولُ: «أنا قد رأيْتُ بعينَيَّ الملك، رَبَّ الجُنُودِ» (إش ٦: ٥)، لِيُشِير إِلَى أنَّ البشريَّةَ سترى اللهَ بعينَيْها وتسمعُ صوتهُ. فبهذه الطَّريقة رأوا ابنَ اللهِ يُقيمُ كإنسانٍ وسط البَشَر. فهُم تنبَّأُوا بما سيحدثُ؛ وتكلَّموا عنه كحاضرٍ حتَّى قبل أنْ يكونَ (أي قبل أن يتجسَّد) كأنَّه قد أتى في الوقت الحاضر؛ وأعلنوا عن آلام الوحيد غير القابل للآلام. هُم قالوا إنَّ الوحيد الَّذي هُوَ في السَّماءِ قد نزلَ إِلَى تُرابِ الموتِ (مز ٢١: ١٦). فبالطَّريقةِ نفسها مِنْ غيرِ تغيُّرٍ عن إيجاز، كُل الأعمالِ الأخرى. فإنَّ البعضَ قد رأوا بواسطةِ الرُّؤى؛ وآخرون عبَّرُوا عنها بطريقةٍ رمزيَّةٍ بواسطةِ الأعمال. فهُم رأوا الأمور الَّتي سوف تُرى بطريقةٍ مرئيَّة؛ ونادوا بكلماتٍ عن الأشياء الَّتي سوف تُسمعُ، وصانعين بأعمالٍ الأمور الَّتي سوف تُكملُ. فكُلُّ هذه الأمور هُم أعلنوها نبويًّا.

عمل الرُّوح القدس في النَّفس:

كتاب ٥، فصل ٨، ١[٧]: «خُتِمْتُمْ بِرُوحِ الْمَوْعِدِ الْقُدُّوسِ، الَّذِي هُوَ عُرْبُونُ مِيرَاثِنَا» (أف ١: ١٤)، إن كان هذا العربون حينما يسكن فينا، يجعلنا منذ الآن روحانيِّين... وإن كنَّا الآن بسبب اقتنائنا العربون نصرخ: «يا أَبَا الآب» (غل ٤: ٦)، فماذا سيكون عند القيامة حين نُعاينه وجهًا لوجه؟ حين يُصعِد جميع الأعضاء نشيد التَّهليل بلا انقطاع، ويُمجِّدون الَّذي أقامهم من بين الأموات، وأنعم لهم بالحياة الأبديَّة؟ لأنَّه إذَا كان مجرَّد عربون (الرُّوح) حين يغمر الإنسان من كلِّ جهة يجعله يصرخ: «يا أَبَا الآب»؛ فماذا ستفعل نعمة الرُّوح الكاملة حين تُعطَى للبشر من قِبَل الله؟ إنَّها ستجعلنا مُشابهين له، وبذلك تُتمَّم مشيئة الآب.

كتاب ٥، فصل ٩. ١[٨]: من بين الحقائقِ الآخرى الَّتي نادى بها الرَّسول هي: «إنَّ اللَّحمَ والدَّمَ لا يُمكنُهُما أنْ يرثا ملكوتَ اللهِ» (١كو ١٥: ٥٠). ففي حماقتِهم، قَدَّمَ كُلُّ الهراطقة هذا النَّصَّ، الَّذي بهِ قد حاولوا إثبات أنَّ صنعةَ يدَيِّ اللهِ لن تخلُص. فهُم لا يفهمون أنَّ كيانَ الإنسان الكامل يُؤلَّف مِنْ ثلاثةِ عناصر: الجسد والنَّفس والرُّوح. فأحد هؤلاء، الرُّوح، يُشكِّلُ ويُخلِّص؛ والآخر، الجسد، يَتشَكَّلُ ويَخْلُص؛ والثَّالث، النَّفس، توجد في وسطهما: ففي بعض الأوقات، تتبعُ الرُّوح وتقومُ بواسطتها؛ وفي بعض الأوقاتِ، تميلُ إِلَى الجسد وتسقُط في الشَّهواتِ الجسديَّةِ. ثُمَّ أولئك الَّذين يفتقرون إِلَى الشَّركة الَّتي تحفظُ وتغيِّرُ إِلَى الحياةِ، فهُم يظلُّون ويُدعون بأنَّهم "جسدٌ ودمٌ"، فإنَّ هؤلاء ليس لهم روح اللهِ فيهم. فلذلك يُشيرُ

(7) SC 153, pp 93-97. ANF 1, pp 533.

(8) SC 153, pp 106-116. ANF 1, pp 534-535.

المُخلِّصُ عنهم في مكانٍ آخر على أنَّهم أموات: «أُترِكِ الموتى يدفنون مَوتاهُم» (لو ٩: ٦٠). فهُم ليس عندهُم الرُّوح الَّذي يُحيي الإنسان.

٢. أما الَّذين يخافُون اللهَ، فيثقُون في مجيءِ ابنِهِ، ويُثبِّتُون رُوحَ اللهِ في قلوبِهم بالإيمانِ، فهؤلاء ببرٍّ يُشارُ إليهم بأنَّهُم أنقياء ورُوحانيُّون والَّذين يحيون لله بسبب أنَّ لهم رُوح الآبِ الَّذي يُطهِّرُ الإنسانَ ويرفعُهُ إِلَى حياةِ اللهِ. فحسب تعليم الرَّبِّ بأنَّ الجسدَ ضعيفٌ وأمَّا الرُّوح فنشيط، فالرُّوح قادرٌ على أنْ يُتمِّمَ كُلَّ ما يحثُّ عليه (مت ٢٦: ٤١). فلو أيُّ أحد سمحَ لنشاط الرُّوح أنْ يتَّحِدَ معهُ، كمُحفِّز لِضعف الجسد؛ فبالضَّرورة القويُّ سوف يسودُ على الضَّعيف، فإنَّ ضعفَ الجسدِ سيُمتصُّ بقُوَّةِ الرُّوحِ، وهذا الإنسان لن يكونَ بعدُ جَسَدِيًّا بل سيكون رُوحيًّا بسبب شركةِ الرُّوح. هكذا الشُّهداء قدَّمُوا شهادةً واحتقرُوا الموتَ، تابعين نشاط الرُّوحِ أكثر مِنْ ضعفِ الجسدِ. فضعف الجسد امتُصَّ بظهور قُوَّة الرُّوح؛ فبامتصاصِهِ الضَّعف، الرُّوحُ تنالُ الجسدَ كميراثٍ لنفسها. فالإنسانُ الحيُّ يكون مِنْ الاثنين: فهو يحيا بشركةِ الرُّوحِ، وهو إنسانٌ بكيان الجسد.

٣. بدون رُوح اللهِ، يكونُ الجسدُ ميِّتًا، عادمَ الحياةَ، وعاجزًا عن أنْ يرثَ ملكوتَ اللهِ. وبنفس الطَّريقة، فإنَّ الدَّمَ يكونُ غير عقلانيٍّ، يُشبهُ الماءَ المسكوبَ على الأرضِ (مز ٧٨: ٣ س). فلذلك يقول (بولس الرسول): «كَمَا هُوَ التُّرَابِيُّ هكَذَا التُّرَابِيُّونَ أَيْضًا» (١كو ١٥: ٤٨). ولكن حيثما يُوجدُ رُوح الآبِ، يُوجدُ الإنسان حيًّا، فإنَّ الدَّمَ عاقلٌ بسبب حفظ الله لهُ للنقمةِ (مِن الَّذين سفكوه) (رؤ ٦: ١٠، ١٩: ٢). فيصيرُ الجسدُ ميراثًا للرُّوحِ وكأنَّهُ قد نسي كيانهُ الخاصَّ، واكتسبَ صفاتِ الرُّوحِ، وتشبَّهَ بشكلِ كلمة اللهِ (اللُّوغوس).

ولهذا يقول الرَّسولُ: «ومثلما لَبِسنا صُورة التُّرابي، فكذلِكَ نَلبَسُ صُورةَ السَّماويِّ» (١كو ١٥: ٤٩). فما هو ترابيٌّ! هو مُتغيِّر. وما هو سماويٌّ! فهو الرُّوح. فهو يُؤكِّدُ أنَّنا حينما كُنَّا بدون الرُّوح السَّماوِيِّ، كُنَّا نسلكُ فيما مضى في الجسدِ العتيقِ، وكُنَّا غير طائعين للهِ؛ هكذا الآن بعد أنْ قبلنا الرُّوحَ «فَلْنسلك في جِدَّةِ الحياةِ» (رو ٦: ٤)، وَلْنَكن مُطيعين للهِ. إذًا، فنحن بدون روح الله، لا نستطيع أنْ نخلُصَ، فإنَّ الرَّسولَ يَحُثُّنا أنْ نحتفظَ بروح اللهِ بالإيمانِ وبالحياةِ الطَّاهرةِ، لئلَّا بعد ما اشتركنا في الرُّوح الإلهيِّ، نفقدُ ملكوتَ السَّماواتِ، فبأيِّ سببٍ هو يصرخُ: بأنَّ الجسدَ والدَّمَ مُنفردَيْن لا يستطيعان أنْ يرثَا ملكوتَ اللهِ (انظر: ١كو ١٥: ٥٠).



القدِّيس إيرينيئوس
"صانع السلام"
بحسب ما يعنيه اسمه

ما يُخبرنا به يوسابيوس القيصري:

يُخبرنا يوسابيوس القيصري "أبو التاريخ الكنسي"، بدور القدِّيس إيرينيئوس في حلِّ مشكلة من أخطر المشاكل التي كادت تودي بوحدة الكنيسة في نهاية القرن الثاني الميلادي. ويُنهي سرد القصة بقوله: "هكذا صار إيرينيئوس – وحسنًا سُمِّيَ بهذا الاسم – صانعًا سلامًا في هذه النَّاحية، إذ قدَّم النَّصائح وأرسل الرَّسائل اللَّازمة على هذا الوجه من أجل سلام الكنائس"[١].

والقصة شيِّقة ونافعة لجيلنا كمثالٍ لسعي أحد القدِّيسين لحلِّ الخلافات الكنسيَّة في زمانه بطريقةٍ سلاميَّة، ولذلك تستحقُّ أن نسردها بالتفصيل.

لقد نشأ القدِّيس إيرينيئوس في مدينة سميرنا في آسيا الصغرى (حاليًّا أزمير في تركيا) من أبوَين مسيحيَّين، في جوٍّ روحيٍّ تُهيمن عليه روح المحبة التي كان يُنادي بها القدِّيس يوحنا. فقد كانت كنيسة سميرنا إحدى السبع كنائس التي تقع تحت رعاية القدِّيس يوحنا المباشرة، والتي أرسل إلى كلٍّ من أساقفتها رسالةً روحيَّةً من قِبَل الرب (رؤ ٢ و٣). وإن كان إيرينيئوس وُلد بعد نياحة القدِّيس يوحنا بثلاثة عقود؛ لكنه عاصر في طفولته القدِّيس بوليكاربوس (أسقف سميرنا) الذي كان تلميذًا مباشرًا للقدِّيس يوحنا. ويشهد القدِّيس إيرينيئوس للقدِّيس بوليكاربوس بما يلي:

[إنَّ بوليكاربوس لم يكن فقط تلميذًا للرُّسُل، وقد عاصر كثيرين من الذين رأوا الرب؛ ولكنه أيضًا بواسطة الرُّسُل أُقيم أسقفًا على سميرنا في آسيا. وأنا نفسي قد رأيتُه في شبابي المُبكِّر، لأنه عاش إلى شيخوخةٍ متقدِّمة، وترك هذه الحياة بعد أن قدَّم استشهادًا مجيدًا باهرًا][٢].

---

(١) "تاريخ الكنيسة" ليوسابيوس القيصري، ٥: ٢٤: ١٨.
(٢) القدِّيس إيرينيئوس، "ضد الهرطقات" ٣: ٣: ٤.

الخلاف الذي نشأ بين كنائس آسيا الصغرى وبقية كنائس العالم:

في العقود الأخيرة من القرن الميلادي الثاني، نشب خلافٌ، يصفه يوسابيوس القيصري بأنه "لم يكن هيِّنًا"[٣]، بين كنائس آسيا الصغرى وبقيَّة كنائس العالم المسيحي، وذلك بخصوص موعد عيد الفصح وكيفية التعييد له. فكنائس آسيا الصغرى كانت تُعيِّد للفصح في اليوم الرابع عشر من شهر نيسان دون اعتبار ليوم الأسبوع الذي يقع فيه. وكانوا يصومون في هذا اليوم حتى المساء ثم يأكلون الفصح. وكانوا ينسبون هذا التقليد للرُّسُل الذين تنيَّحوا في آسيا الصغرى، وأهمهم القدِّيس يوحنا الحبيب الذي خدم وتنيَّح في أفسس، وفيلبُّس الرسول الذي رقد في هيرابوليس، وكثيرون غيرهم. ولكن بقيَّة الكنائس في العالم المسيحي كانت تلتزم بأيام الأسبوع، فكانت تُقيم ذكرى موت الربِّ في يوم الجمعة، وذكرى قيامته في يوم الأحد التاليَين ليوم ١٤ نيسان، وكانت هي أيضًا تنسب هذا التقليد للآباء الرُّسُل.

واحتدم الخلاف ووصل أوْجُهُ بين فيكتور أسقف روما (من ١٨٩ إلى ٢٠٠م) وبوليكراتوس أسقف أفسس المعاصر له الذي تزعَّم أساقفة آسيا الصغرى. وكلٌّ منهما كان مُتشدِّدًا ومُتمسِّكًا برأيه ومُقتنعًا بأنه يتبع تقليدًا مسلَّمًا من الرُّسُل. ويظهر هذا التشدُّد – على وجه الخصوص – في الرسالة التي وجَّهها بوليكراتوس باسم كلِّ أساقفة آسيا الصغرى إلى فيكتور أسقف روما، ويقول فيها:

[إننا نحتفل باليوم المضبوط (يقصد الرابع عشر من نيسان) دون إضافةٍ أو حذف. لأنه قد رقد في آسيا أيضا أنوارٌ عظيمة، ستقوم ثانيةً في يوم مجيء الربِّ عندما يأتي بمجدٍ من السماء ويطلب جميع القدِّيسين، بين هؤلاء فيلبُّس، أحد الرُّسُل الاثني عشر، الذي رقد في هيرابوليس ... وأيضًا يوحنا الذي كان شاهدًا ومعلِّمًا، والذي اتَّكأ في حضن الرب، وإذ كان كاهنًا لَبِس الصدرة المقدَّسة، وقد رقد في أفسس؛ وبوليكاربوس في أزمير الذي كان أسقفًا وشهيدًا][٤].

وبعد ذلك، يذكر أسماءً كثيرة أخرى من "الأنوار" الذين عاشوا حياةً مقدَّسة، وخدموا ورقدوا في آسيا الصغرى، واتَّبعوا نفس التقليد. ويُضيف قائلًا:

[جميع هؤلاء احتفظوا باليوم الرابع عشر من الفصح وفقًا للإنجيل κατὰ τὸ εὐαγγέλιον، دون أيِّ انحرافٍ، بل متَّبعين قانون الإيمان κατὰ τὸν κανόνα τῆς πίστεως. وأنا أيضًا

(٣) "تاريخ الكنيسة" ليوسابيوس القيصريّ، ٥: ٢٣: ١.
(٤) "تاريخ الكنيسة" ليوسابيوس القيصريّ، ٥: ٢٤: ٢ – ٤.

بوليكراتوس، أصغركم جميعًا، أتصرَّف حسب تقليد أسلافي، الذين اتَّبعتُ بعضَهم عن قُرب. لأن سبعةً من أقربائي كانوا أساقفةً، وأنا الثامن. وقد كان أقربائي دائمًا يحفظون اليوم الذي كان الشعب (اليهودي) يرفعون فيه الخمير (أي الرابع عشر من نيسان)][٥].

تشدُّد بوليكراتس أسقف أفسُس الذي كاد أن يقسم الكنيسة:

يظهر هنا تشدُّد بوليكراتوس في تصعيده للأمور، حتى أنه يعتبر هذه المسألة الطقسيَّة أو التنظيميَّة تختصُّ بأمانتنا للإنجيل κατὰ τὸ εὐαγγέλιον؛ بل وأمانتنا لقانون الإيمان τὸν κανόνα τῆς πίστεως. وسنرى فيما بعد كيف كان رأي القدِّيس إيرينيئوس عكس ذلك تمامًا. وإزاء تهديد فيكتور أسقف روما بأن يحرم كلَّ كنائس آسيا الصغرى، يُضيف بوليكراتوس في نفس الرسالة:

[لذلك فإنني، أيها الإخوة، أنا الذي عشتُ خمسًا وستين سنةً في الرب، والتقيتُ بالإخوة في كلِّ العالم، وتصفَّحتُ كلَّ سِفْرٍ من الكتاب المقدَّس، لا أفزع من الكلمات المُخيفة (تهديدات فيكتور)، لأن مَنْ هم أعظم منِّي قالوا: «يَنْبَغِي أَنْ يُطَاعَ اللهُ أَكْثَرَ مِنَ النَّاسِ» (أع٥: ٢٩)][٦].

التشدُّد المُضاد من قِبَل فيكتور أسقف روما:

وإزاء تشدُّد بوليكراتوس، ازداد أيضًا فيكتور تشدُّدًا، وانتقل من مجرد التهديد بالحرم إلى التنفيذ. ويُكمِّل يوسابيوس القيصري سرد القصة قائلًا:

[عندئذ حاول فيكتور، رئيس كنيسة روما، أن يقطع كلَّ أبروشيَّات آسيا في الحال من وحدة الكنيسة العامة، وكذا الكنائس التي وافقتها، كهراطقة. وكتب رسائل أعلن فيها حرم جميع الإخوة هنالك. ولكن هذا لم يُرضِ جميعَ الأساقفة (الذين من طرفه ويُعيِّدون مثله يوم الأحد)، فطلبوا إليه أن يراعي ما هو للسلام، وأن يراعي الوحدة ومحبة القريب. ولا تزال كلماتهم موجودة، وفيها توبيخٌ عنيفٌ لفيكتور، ومن بينهم إيرينيئوس، الذي أرسل رسائل باسم الإخوة في بلاد الغال (فرنسا حاليًّا)، الذين كان يترأَّس عليهم][٧].

كان القدِّيس إيرينيئوس، بحُكْم مولده في آسيا الصغرى، حيث عاين تقليد اليوم الرابع عشر

---

(٥) "تاريخ الكنيسة" ليوسابيوس القيصريّ، ٥: ٢٤: ٦.
(٦) "تاريخ الكنيسة" ليوسابيوس القيصريّ، ٥: ٢٤: ٧.
(٧) "تاريخ الكنيسة" ليوسابيوس القيصريّ، ٥: ٢٤: ٩ – ١١.

واشترك فيه في صبوته، ثم بحُكْم خدمته في بلاد الغال (فرنسا) حيث صار أسقفًا لمدينة ليون، بل ومُتقدِّمًا على كلِّ أساقفة بلاد الغال؛ كان هو خيرَ مَنْ يستطيع أن يتوسَّط بين الشرق (آسيا الصغرى) وبقيَّة العالم المسيحي.

القدِّيس إيرينيئوس يتوسَّط بين كنائس آسيا الصغرى وأسقف روما:

فكتب القدِّيس إيرينيئوس رسالة إلى فيكتور أسقف روما، بدأها بأن طمأنه أنه هو وكل بلاد الغال يُعيِّدون الفصح في يوم الأحد وليس في أيِّ يومٍ آخر من الأسبوع. ثم كما يُخبرنا يوسابيوس القيصري: "نصح فيكتور بأن لا يقطع كنائسَ للهِ برُمَّتها حافظت على تقليد عادةٍ قديمة"، ويورد لنا يوسابيوس مقاطع من كلام إيرينيئوس في رسالته إلى فيكتور:

[لأن النزاع ليس محصورًا في اليوم فقط، بل يتعلَّق أيضًا بطريقة الصوم. فالبعض يظنُّون أنهم يجب أن يصوموا يومًا واحدًا، وغيرهم يومين، وغيرهم أكثر، والبعض يحسبون يومهم أربعين ساعة نهارًا وليلًا. وهذا الاختلاف في حفظ الصوم لم ينشأ في أيامنا، بل في أيام آبائنا قبل ذلك بوقتٍ طويل. ويبدو أنهم لم يهتمُّوا بالتدقيق الكثير في هذا الأمر؛ وهكذا تركوا للآتين بعدهم عادةً تتفق مع بساطتهم وطريقتهم الخاصَّة. ومع ذلك فقد عاش جميع هؤلاء في سلام، ونحن أيضًا نعيش في سلام مع بعضنا البعض، **وعدم الاتفاق في الصوم يُؤيِّد الاتفاق في الإيمان**][٨].

بهذه الجملة الأخيرة يُبدي القدِّيس إيرينيئوس موقفًا مُناقضًا تمامًا لموقف بوليكراتوس، الذي اعتبر الأمر يختصُّ بأمانتنا للإنجيل ولقانون الإيمان. أمَّا القدِّيس إيرينيئوس، فيعني بهذه الجملة أنَّ الوحدة الرصينة التي يُنشؤها الإيمان الواحد في كنيسة الله، تُظهِر قوَّتها حينما لا تتأثَّر بتبايُن الطقوس والأنظمة وطُرُق الصوم والتعييد. فهذا التبايُن يؤيِّد قوَّة الإيمان الواحد.

حكمة القدِّيس إيرينيئوس ومنهجه السِّلمي:

وفي بقية الرسالة، تظهر حكمة إيرينيئوس ومنهجه السِّلمي، الذي به استطاع أن يحلَّ أخطر مشكلة في نهاية القرن الثاني، ويمنع الكنيسة من الانقسام: فهو لم يُوجِّه لفيكتور "توبيخًا عنيفًا" كما فعل بقية الأساقفة (انظر أعلاه)؛ بل بهدوء ذكَّره بموقف أسلافه الذين حافظوا على وحدة الكنيسة ولم يحرموا بعضهم بعضًا بخصوص هذه المسألة، على الرغم أنَّ كلَّ طرفٍ عجز عن أن يُقنع الطرف الآخر برأيه. فقبل أن يحتدم الخلاف بين فيكتور أسقف روما (من ١٨٩م إلى ٢٠٠م)

(٨) "تاريخ الكنيسة" ليوسابيوس القيصريّ، ٥: ٢٤: ١٢ – ١٣.

وبوليكراتوس أسقف أفسس بأربعة عقود، كانت نفس المشكلة قد أُثيرت بين أنيسيتوس أسقف روما (حوالي ١٥٣ – ١٥٥م) والقدِّيس بوليكاربوس أسقف سميرنا. ومع أن كلًّا منهما لم يقدر أن يُقنع الآخر برأيه، عاشا في سلامٍ وحافظا على وحدة الكنيسة. وهذا ما كتبه إيرينيئوس في رسالته لفيكتور:

[وقبل سوتير رئيس الكنيسة التي تُدبِّرها أنت الآن، كان أَنيسيتوس Anicetus وبيوس وهيجينوس وتلسفوروس وزيستوس، وهم لا حفظوه (يقصد اليوم الرابع عشر من نيسان) بأنفسهم ولا سمحوا بذلك لمَنْ أتى بعدهم. ومع أنهم لم يحفظوه، فكانوا في سلامٍ مع مَنْ أتى إليهم من الأبروشيَّات التي حفظته (في آسيا الصغرى). وبالرغم من أن مَنْ حفظه كان يُقاوَم جدًّا مِمَّنْ لم يحفظوه، ولكن لم يُبعَد أحدٌ قط من الكنيسة لهذا السبب. فالمشايخ قبلك الذين لم يحفظوه، أرسلوا العشاء الربَّاني لمَنْ حفظوه في الأبروشيَّات الأخرى.

وعندما كان المغبوط بوليكاربوس في روما، في وقت أَنيسيتوس، واختلفا قليلًا في بعض أمورٍ أخرى، حلَّ السلام بينهما في الحال، دون أن يتشاجرا بصدد هذا الأمر، لأن أَنيسيتوس عجز عن أن يُقنع بوليكاربوس بالعدول عن اتِّباع ما كان يُمارسه دوامًا مع يوحنا رسول ربِّنا وباقي الرُّسُل الذين اختلط بهم؛ كذلك عجز بوليكاربوس عن إقناع أَنيسيتوس لحفظه، إذ قال إنه يجب اتِّباع العادات التي مارسها المشايخ قبله. ورغم أن الحالة كانت على هذا الوجه، فقد احتفظا بعشرتهما معًا، وتنازَل أَنيسيتوس عن خدمة العشاء الربَّاني في الكنيسة إلى بوليكاربوس، كعلامة احترام. وافترقا في سلام، مَنْ حفظ ومَنْ لم يحفظ، محتفظين بسلام كلِّ الكنيسة][٩].

فضيلة "الإفراز" التي أظهرها القدِّيس إيرينيئوس، والتي حلَّت الخلاف:

هنا يُظهِر القدِّيس إيرينيئوس سموَّ إفرازه، إذ يضع كلًّا من الأمور في وضعه المُحق له، فلا يمكن لمشكلةٍ طقسيَّةٍ أو تنظيميَّةٍ أن ترقى إلى تقسيم **"الجسد العظيم والمجيد الذي للمسيح"**، كما يدعوه في كتابه: "ضد الهرطقات":

[الإنسان المُلهَم من الله يدين صانعي الانقسام الفارغين من محبَّة الله، الذين يهتمُّون بمصلحتهم الشخصيَّة وليس بوحدة الكنيسة،

(٩) "تاريخ الكنيسة" ليوسابيوس القيصريّ، ٥: ٢٤: ١٤ – ١٧.

الذين لأتفه الأسباب يُمزِّقون ويُقسِّمون **الجسد العظيم والمجيد الذي للمسيح،**
ويفنونه على قدر ما يستطيعون،
الذين يتكلَّمون عن السلام ويصنعون الحروب،
الذين «يُصَفُّونَ عَنِ الْبَعُوضَةِ وَيَبْلَعُونَ الْجَمَلَ!» (مت ٢٣: ٢٤).
لأنه لا يمكن أن يأتي منهم أيُّ إصلاحٍ ذي قيمة يوازي الخسارة الفادحة الناتجة من الانقسام][١٠].

هنا يُشبِّه القدِّيس إيرينيئوس موضوع الخلاف بتصفية البعوضة، إزاء تقسيم "الجسد العظيم والمجيد الذي للمسيح" الذي هو "بَلْع الجمل". أمام هذا الجسد الإلهي الحاضر في الإفخارستيَّا، يجب أن تبطل كل مشاجرة، بل وأن "يتنازل أَنيسيتوس، أسقف روما، عن خدمة العشاء الربَّاني لبوليكاربوس"، على الرغم من عدم اتِّفاقهما في كيفية الاحتفال بعيد الفصح.

بالحقِّ أصاب يوسابيوس القيصري حينما مدح القدِّيس إيرينيئوس في ختام هذه القصة:
[هكذا صار **إيرينيئوس – وحسنًا سُمِّيَ بهذا الاسم – صانعًا سلامًا** في هذه الناحية، إذ قدَّم النصائح، وأرسل الرسائل اللازمة على هذا الوجه من أجل سلام الكنائس، وتبادَل الرسائل في هذه المسألة، التي كانت تحت البحث، ليس فقط مع فيكتور بل أيضًا مع أغلب قادة الكنائس][١١].

الدروس المُستفادة من هذه القصة:

- والآن يمكننا أن نستخلص من هذه القصة البديعة لتاريخ كنيسة القرن الثاني الميلادي عدَّة دروس نافعة لزماننا:

◆ **الدرس الأول**: أهميَّة القداسة في الكنيسة للحفاظ على وحدتها: يظهر في هذه القصة اسمان من أعظم القدِّيسين في تاريخ كنيسة القرن الثاني: القدِّيس إيرينيئوس والقدِّيس بوليكاربوس الشهيد. ومع أن كلًّا منهما كان ينتمي إلى طرفٍ غير الآخر في هذا النزاع؛ لكن كليهما استطاع في زمانه أن يمنع أسقف روما من استعمال العنف وقَطْع كنائس برمَّتها من الشركة الكنسيَّة: بوليكاربوس مع أَنيسيتوس أسقف روما (١٥٣ – ١٥٥م)، وإيرينيئوس مع فيكتور أسقف روما (١٨٩ – ٢٠٠م).

---

(١٠) القدِّيس إيرينيئوس، "ضد الهرطقات" ٤:٣٣:٧.
(١١) "تاريخ الكنيسة" ليوسابيوس القيصريّ، ٥: ٢٤: ١٨.

- **الدرس الثاني**: في أيِّ نقاش، يجب أن نبدأ باعتبار ما نتفق فيه قبل اعتبار ما نختلف عليه. وهكذا بدأ **القدِّيس إيرينيئوس** رسالته إلى فيكتور، بأن طمأنه بأنه هو وكل أساقفة بلاد الغال يُعَيِّدون للقيامة في يوم الأحد دون أيِّ يومٍ آخر من أيام الأسبوع. وبعد ذلك، استطاع بطريقةٍ هادئة أن يُثنيه عن قراره بحرم كنائس آسيا الصغرى.

- **الدرس الثالث**: العودة إلى تقليد الكنيسة، واعتبار: كيف استطاع آباؤنا في الأجيال السابقة أن يحافظوا على وحدة الكنيسة، على الرغم من اختلاف آرائهم في مسائل ثانوية لا ترقى إلى أساسيَّات الإيمان! وهكذا أَخَذَ القدِّيس إيرينيئوس يُذكِّر فيكتور بما حدث في أيام سلفه أَنيسيتوس والقدِّيس بوليكاربوس، وكيف على الرغم من أن كلًّا منهما لم يستطع أن يُقنع الآخر بوجهة نظره، لكنهما افترقا بسلام، بعد أن تنازل أَنيسيتوس عن خدمة القدَّاس لبوليكاربوس كعلامة توقير له!

- **الدرس الرابع**: أهميَّة فضيلة "الإفراز" التي اعتبرها القدِّيس أنطونيوس رأس جميع الفضائل، وقد طبَّقها القدِّيس إيرينيئوس على الأمور الكنسيَّة، حيث ظهرت هنا في تمييزه بين المهمِّ والأقل أهميَّة، ووضع كلِّ شيء في المكانة المُحقَّة له. فقد ميَّز بين ما أسماه "تصفية البعوضة"، وما أسماه "بَلْع الجمل"؛ حيث شبَّه موضوع الخلاف بـ "تصفية البعوضة"، إزاء تقسيم **"الجسد العظيم والمجيد الذي للمسيح"** الذي هو "بَلْع الجمل"!

****

دير القدِّيس أنبا مقار

صَدَرَ حديثًا **من إعداد: أبناء المُتنيِّح أنبا إبيفانيوس**

الترجمة السبعينيَّة للكتاب المقدَّس

بالمقارنة مع النَّصِّ العبري والترجمة القبطيَّة

الأسفار الحكميَّة

الأمثال والجامعة وحكمة سليمان وحكمة سيراخ

(طبعة عربي)

مع طرس البركة لقداسة البابا تواضروس الثاني

والكتاب ٤٢٢ صفحة (من القَطْع المتوسط)

****



من
التراث الكنسي

معرفة الله

كأسمى هدف وأعظم فرح للحياة

من خلال الصلاة[١]

(٢٥)

(١) معرفة الله مِن خلال الصَّلاة:

الطَّريق الثَّاني لمعرفة الله يكون مِن خلال الصَّلاة. الصلاة هي واحدةٌ مِن طُرُق معرفة الله، فالصلاة واحدةٌ مِن أقوى وأعظم الوسائط التي نستطيع بها التعرُّف على الله. فكيف لنا أنْ نعرف الله إنْ كنَّا لا نتحدَّث معه؟ كيف للنَّاس أنْ يعرفوا بعضهم إنْ لم يتحدَّثوا معًا؟ غالبًا ما يقول النَّاس إنَّهم لا يُصلُّون، لأنَّ الله ليس حقيقيًّا بالنِّسبة لهم؛ ولكن الحقَّ هو أنَّ المسيح ليس حقيقيًّا بالنِّسبة لهم، لأنَّهم لا يُصَلُّون. الشخص الذي لا يُصلِّي لا يمكن أنْ يُعَرِّفه الله على شخصه الإلهي؛ أمَّا الشخص الذي يفتح لنفسه باب الصلاة، فالمسيح يأتي إليه، يجلس معه، و«يتعشَّى معه» (انظر: رؤ ٣: ٢٠)، بطريقةٍ شخصيَّةٍ لصيقةٍ وحميميَّة.

يُلَقَّب القدِّيس غريغوريوس النزينزي St. Gregory of Nazianzen في الكنيسة الأرثوذكسيَّة بـ "اللاهوتي Theologian"، لأنَّ اللاهوت ليس مُنْتَجًا يأتي مِن التأمُّل الإنساني والاستنتاجات المُعقَّدة، ولكنَّه ينبع مِن حياة الصلاة والقداسة، ومِن حِفظٍ مُستمرٍ لحوارٍ دائم مع الله.

(٢) اللاهوت والصلاة:

يصف أليكسي نيستروك Alexei Nesteruk العلاقة القويَّة بين الصَّلاة واللاهوت في علم اللاهوت الشرقي الأرثوذكسي، قائلًا:

> [إذا وضعنا في الاعتبار أنَّ كليمندس Clement هو مَنْ أدْخَل مُصْطلح "لاهوت theology" إلى المسيحيَّة، فلا يوجد تعريفٌ عام لكلمة اللاهوت عند الآباء اليونانيِّين Greek Patristics. أجمع الآباء، مِن وجهة نظرهم، على أنَّ اللاهوت هو التَّعبير

---

(١) بتصرُّف عن كتاب بعنوان:

Anthony M. Coniaris, *Knowing God, Life's Highest Purpose & Joy*.

وقد نُشِرَت آخر مقالة من سلسلة "معرفة الله"، في عدد ديسمبر ٢٠٢٥م، ص ٣٦.

المُنظَّم عن العقيدة المسيحيَّة؛ ولكنهم عبَّروا عن هذا بطُرُقٍ مختلفة، تباين وتضَادّ تعريفات كليمندس المتتابعة للَّاهوت. وعلي سبيل المثال، التأكيد الشَّهير لإيفاجريوس البنطي Evagrius Ponticus أنَّ اللاهوت هو الصَّلاة. فيقول: "لو كنتَ لاهوتيًّا فأنتَ ستصلِّي حقًّا، وإنْ كنتَ تُصلِّي حقًّا فأنتَ لاهوتيٌّ". وهذه الملاحظة تؤكِّد لنا النُّقطة الثمينة، وهي أنَّ معرفة الحق – والذي هو موضوع استعلام اللاهوتيِّين – ممكنة فقط مِن خلال المُشاركة الشخصيَّة في هذا الحقِّ مِن خلال الصَّلاة، الصَّلاة التي تتكوَّن منها الخبرة الحيَّة للحقِّ. ومِن خلال الصلاة وحدها، يمكننا اختبار الحق. في الاقتباس السَّابق، يرتقي إيفاجريوس بأفكار معلِّمه القدِّيس غريغوريوس النزينزي اللاهوتي ويقول: "إنَّ الحالة الضَّروريَّة لتكون لاهوتيًّا، هي أنْ تحيا حياةً نُسكيَّة، وأنْ تكون بارًّا عفيفًا، وأنْ تحيا في نقاوةٍ أخلاقيَّة. وحتمًا بالأكثر، فإنه لا يمكن أنْ تكون لاهوتيًّا بدون تطهير (katharsis)، والمرجع لهذا الحدِّ والقياس للَّاهوت، يمكن أنْ نجده في العهد الجديد: «طُوبَى لِلأَنْقِيَاءِ الْقَلْبِ، لأَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اللهَ» (مت ٥: ٨)"][٢].

وبحسب الكنيسة الأرثوذكسيَّة الشرقية، فالعقيدة تتكيَّف وتُصاغ بالصلاة، والصلاة بالعقيدة. فالآباء الكبار للكنيسة، أصبحوا لاهوتيِّين مِن خلال اختبار الله في الصَّلاة وفي كلمته الكتابيَّة المُوحَى بها. عقيدة الكنيسة لا يُعَبَّر عنها فقط مِن خلال الصلاة، ولكنَّها تأتي مِن الصلاة.

(٣) اللاَّهوت: عطيَّة مِن الرُّوح القدس:

الأب يوحنا. إس. رومانيدس Fr. John. S. Romanides، أستاذ اللاهوت المُتقاعد في جامعة تسالونيكي University of Salonika، أكَّد هذه الحقيقة عندما كَتَبَ يقول:

[الآباء لم يقولوا أيَّ شيء عن الله على أساساتٍ مِن التأمُّلات اللاهوتيَّة. هم لم يجلسوا على مقاعدهم مِثل المَدْرسيِّين ليصنعوا لاهوتًا، لأنَّ آباء الكنيسة عندما كانوا يتدارسون عن اللاهوت، فإنَّ التأمُّل أو التفكُّر يُنْهَيا عنهما تمامًا. الطَّريقة الوحيدة المُدْرَكة لدراسة الكتاب المقدَّس، ليست هي في أنْ تتأمَّل (أي، أنْ تحاول أنْ تفهم الكتاب المقدَّس باستخدام العقل أو التجرُّد)؛ ولكن ما الذي نقصده بالصَّلاة؟ الصَّلاة العقليَّة، ذلك لأنَّ الصَّلاة العقليَّة تَعْني أنَّ الروح القدس يزور المؤمن ويُصلِّي

(2) *Light From the East.* Alexi Nestruk. Fortress Press. Minneapolis, MN. 2003.

في داخله. عندما يحدث هذا، فإنَّ المؤمن يستنير ويستضيء ويصير قادرًا على أنْ يفهم – عن صوابٍ – أفكار العهدَيْن القديم والجديد، كما يكون في وضع يقوده مِن حالة الاستنارة الحاضرة إلى الاتِّحاد بالله][٣].

يقول الأب ستانيلوي D. Staniloae:

[بدون هذه الاستنارة الإلهيَّة، فإنَّ أعمال يسوع الخارقة للطَّبيعة في الكتاب المقدَّس، تظهر أنَّها أساطير خرافيَّة. هذا ما أدَّى بكثيرين إلى الحاجة إلى "رفض الأساطير"].

وهكذا، فإنَّ لاهوت الكنيسة الأرثوذكسيَّة، لا ينشأ مِن عقول لاهوتيِّين حكماء؛ ولكنَّه وُلِدَ مِن الصَّلاة. إنَّه ليس نتيجة دراسة أو بحث دراسي؛ إنَّه عطيَّةٌ وَهِبةٌ مِن الرُّوح القُدس. وكما كتب الأب مكسيموس المعترف:

[عطيَّة اللاهوت المقدَّس، هي الأرقى والأسمى مِن كلِّ عطايا الرُّوح القدس].

إنَّه (أي عِلْم اللاهوت) مولودٌ مِن "الصَّلاة العقليَّة"، والمقصود بهذا أنَّ الرُّوح القدس يزور المؤمن ويُصلِّي في قلبه، مُعطيًا استنارةً إلهيَّةً للعقل.

(٤) كيف تَعْلَم أنَّه يوجد إله؟

سأل مُلحِد طفلًا مسيحيًّا صغيرًا، وقال له: "كيف تعرف أنَّه يوجد إله؟". فأجابه الطِّفل: "كيف أعرف! لقد كنتُ أتكلَّم معه هذا الصَّباح".

لا نقصد بالصَّلاة قضاء دقائق سريعة قليلة خاطفة مع الله في الصباح أو المساء. ولذلك يكتب الأب جورج فلوروفسكي Fr. George Florovsky ويقول:

"الهدف الحقيقي مِن الصَّلاة، هو الدُّخول في حديثٍ مع الله. لا يحدُّ الصَّلاة بضع ساعات في اليوم. يجب على المسيحي أنْ يشعر أنَّه حاضرٌ شخصيًّا في حضرة الله. الهدف بالضَّبط هو أنْ توجد دائمًا مع الله".

عندما نقضي وقتًا مع الله في الصَّلاة، فإنَّنا نتقدَّم في معرفته. وقد وصَفَ الأب ديونيسيوس الذي مِن جبل آثوس Fr. Dionysios of Mount Athos الرَّاهب أنَّه هو الذي:

[ينام، ويقرأ، ويعمل مطانيات مع الله. وببساطة فهو حاضرٌ مع الله، والله حاضرٌ

(3) *Patristic Theology: The University Lectures of Fr. John Romanides.* Uncut Mountain Press. The Dalles, Oregon. 2008.

معه، ناسيًا كلَّ الماضي، ولا يُخطِّط للمستقبل؛ ولكن هو موجودٌ الآن هنا مع الله، الذي هو الخلود].

مِن خلال الصَّلاة، يتقدَّم الإنسان إلى معرفة الله. صلاة يسوع مفيدة خصوصًا في هذا المضمار لتحفظنا على مدى اليوم.

❖ شعرت امرأة يومًا ما بإحباطٍ شديد، حتى بدأت تشكُّ في وجود الله.

• سألها الأب أنتوني بلوم Fr. Anthony Bloom قائلًا:
"هل يوجد أيُّ مكانٍ كنتِ تشعرين فيه بقُربٍ مِن الله عن أيِّ مكانٍ آخر".

❖ فأجابته: "تعوَّدتُ أنْ أذهب إلى حُجرةٍ صغيرة في الطَّابق العلوي لأصلِّي هناك، حيث كنتُ أذهب كلَّ صباح".

• قال لها الأب بلوم: "عودي إلى تلك الغرفة الصغيرة في وقت الغروب كلَّ يوم لمدَّة أسبوع، واطلبي مِن الرَّبِّ أنْ يُعلِن لكِ ذاته. قولي لي عن الوقت الذي سوف تذهبين فيه، وأنا سوف أُصلِّي لأجلكِ في نفس الوقت في مكتبي".

❖ وبعد أسبوع، عادت تلك المرأة إلى مكتبه ووجهها يشعُّ فرحًا، وصاحت:
"وجدتُ إلهي مرَّةً أُخرى".

غالبًا ما يكون الافتقار إلى معرفة الله، سببه المباشر هو الافتقار إلى الصَّلاة.

يكتب الأب يوحنا كليماكوس John Climacus (الدَّرَجي) ويقول:
[المعرفة الروحيَّة تَنتج مِن خلال الصَّلاة].

(٥) أيُّهما تَواجَد أوَّلًا: معرفة الله أم الصلاة لله؟

هذا السُّؤال ذَكَرَه القدِّيس أوغسطينوس قديمًا، وهكذا أجاب على سؤاله:
[مَن ذا الذي تواجَد أوَّلًا: معرفتك (يا الله) أم الصَّلاة إليك؟ بالتَّأكيد لا يمكن أنْ يُصلِّي أحدٌ لك وهو لا يعرفك. ولكن ربَّما نحتاج أنْ نُصلِّي إليك قبل أنْ نعرفك.
إنَّ الإيمان الذي تغلغل فيَّ، يا إلهي، يُنادي فيَّ أنْ أحاورك:
يا ربُّ، أنتَ هو الأعظم، والأفضل، والأقوى، وأنتَ هو أعظم الرَّاحمين، والأكثر عدلًا.
أنتَ مُحتَجبٌ كلِّيَّةً (إش ٤٥: ١٥)، وحاضرٌ بصفةٍ مُطْلَقة.

أنت أكثر جمالًا، والأكثر غموضًا.
غير المُتغيِّر، ولكنَّك تُغيِّر كلَّ شيء، لستَ حديثًا، بل أنتَ أزليٌّ.
دائمًا ناشطٌ في الحَدَث، ولكن دائمًا في حالةٍ مِن السُّكون.
تجذب إليكَ الجميع، بينما لا تحتاج إلى أحدٍ.
دائمًا ما تحفظ وتُكمِّل وتحمي كلَّ شيء.
تحمل في داخلك الأشياء وتُربِّيها وتجعلها تُثْمر.
دائم البحث، وأنتَ لا تفتقر إلى شيء، تُحبُّ الآخَرين بلا دمدمة مِن المشاعر.
أنتَ غيورٌ، ولكن بلا خوف.
أنتَ غير مديونٍ لنا؛ بينما تُعطينا، وكأنَّك مديونٌ لنا.
أنتَ تغفر عن تقصيرنا في سداد ما يكون مستحقًّا لك،
بينما أنتَ لا تفقد شيئًا.
وبعد كلِّ ما قلتُ، فهناك مَن يمكنه أنْ يقول أكثر مِن ذلك حين يتكلَّم عن الله].

اعترافات أوغسطينوس

(يتبع)

****

اشتهاء الاستشهاد

للقدِّيس إغناطيوس الأنطاكي

[خيرٌ لي أن أموت من أجل المسيح يسوع من أن أملك على كلِّ أقطار الأرض! إني أطلب ذاك الذي مات من أجلنا! إني أريد ذاك الذي قام من أجلنا!... اسمحوا لي أن أتشبَّه بآلام إلهي! إن كان أحدٌ يقتنيه داخله، فليفهم ما أقصده، وليُشاركني مشاعري عالمًا بما يحصرني (راجع ٢كو ٥: ١٤: «لأَنَّ مَحَبَّةَ الْمَسِيحِ تَحْصُرُنَا») ... إنَّ شهوتي قد صُلِبَت، ولا تبقى فيَّ شهوة نارية لمحبَّة الماديَّات، بل ماءٌ حيٌّ يتكلَّم فيَّ ويقول لي في داخلي: "تعالَ إلى الآب!!"... إني أشتهي خبز الله، الذي هو جسد يسوع المسيح، الذي صار من نسل داود؛ والشراب الذي أشتهيه هو دمه الذي هو الحبُّ الذي لا يزول!]

(الرسالة إلى روما: ٦ و٧)

****



العذراء مريم
فخر جنسنا



تمهيد:

ظلَّت العذراء مريم، ولا تزال، تُمثِّلُ الصورة المجيدة للبشريَّة، وأيقونة افتخارها أمام المسيح الربِّ، الذي أنشأها. ففي حياة العذراء ابنة يواقيم وسيرتها، تتلألأ لنا أحداثٌ ومحطَّاتٌ مُضيئة، تلمع فيها صورٌ مُنيرة لفضائل هذه القدِّيسة – شفيعة جنسنا – تكشف أمام أعيُننا نموذجًا رائعًا وناطقًا لأيقونةٍ مُقدَّسة، استحقَّت أنْ تصير إناءً طاهرًا، وعجينةً مُقدَّسةً مُنتخَبَة، مُهيَّأة لاتِّحاد خالق البشريَّة بها؛ ليَهبَ ذاته لهذه البشريَّة، في شخص ابنه يسوع المسيح، ابن الله وابن البشر بآنٍ واحد!

ونحن نسترجع معًا تذكارات لملامح بعض الصُّور والأحداث الهامَّة في حياة أُمِّنا العذراء مريم، والتي صارت مصدر افتخارٍ وإلهامٍ لجِنسنا؛ لكَي نتعلَّم ونتمثَّل بها في حياتنا. وأيضًا لكي نُدرك مقدار الكرامة والقداسة والجمال التي كانت لأُمِّنا العذراء مريم، فتأخذنا الحميَّة ونُعطيها الطُّوبى؛ بحسب كلماتها النبويَّة: «فَهُوَذا مُنْذُ الآنَ جَمِيعُ الأَجْيَالِ تُطَوِّبُنِي» (لو ١: ٤٨)، ونسعى باجتهادٍ في إثر خُطاها وسيرتها – نحن أولادها – لِنجد نصيبًا وحُظوةً نحن أيضًا مثلها، عند فادينا ومُخلِّصنا كُلِّنا، ربِّنا يسوع المسيح.

الصورة الأولى: مريم المُتَّضعة والمُؤمنة:

أُرسل جبرائيل الملاك إلى مريم العذراء، وهي فتاةٌ شابَّة صغيرة وبسيطة، وأنبأها بخبرٍ مُذهل، ربما يكون من أعجب الأخبار والبشارات، وأكثرها مدعاة للحَيْرة؛ فقد انطلق صوت الملاك إلى هذه الفتاة الصغيرة، بعد إعطائها السلام، ليُبشِّرها بولادة طفلٍ إلهيٍّ منها (أي إنَّ الله هو أبوه)! وهذا الطفل يُدعى "ابن الله"!! وذلك رغم كَوْنها ما زالت مخطوبة، ولم تعرف رجلًا. وربَّما في مجتمعٍ يهوديٍّ مُتزمِّت، لا يستطيع أحدٌ ولا يقدر أنْ يستوعِب حدوث أمرٍ مثل هذا، ولا أن يفهم مثل هذا الوعد الخلاصي الفائق وإمكانية حدوثه بالعقل والمنطق الإنسانيَّين؛ أي ظهور الربِّ وميلاده بالجسد (أي تجسُّده)، وبالأكثر من عذراء لم تعرف

رجلًا. لذلك دُعِيَ سِرُّ التجسُّد، بالحقِّ، سِرَّ التَّقوى، ذلك السرُّ الذي قال عنه القدِّيس بولس الرسول: «ولَيْسَ أَحَدٌ يَقْدِرُ أَنْ يَقُولَ: "يَسُوعُ رَبٌّ" إِلَّا بِالرُّوحِ القُدُسِ» (١كو ١٢: ٣).

البشارة والخبر، هنا، هما إعلانٌ خطيرٌ وفائقٌ للعقل، وبالأكثر لأنَّه مُقدَّمٌ ومطروحٌ قدَّام هذه الفتاة الصغيرة والبسيطة. ولكن، لننظر إلى عِظَم إيمان واتِّضاع هذه الفتاة الطاهرة والقدِّيسة، التي قَبِلَت بكلِّ سكينةٍ وسلامٍ قلبي فائق هذه البشارة العالية والفائقة عن الإدراك والفهم العقلي، وببساطة قلب استفسرت فقط عن كيفيَّة حدوث هذا الأمر، دون تطرُّقٍ نحو رفضه أو استنكاره، أو عدم الاقتناع به. حينئذٍ، طمأنها الملاك وكشف لها عن أوَّل إعلانٍ عن سرِّ التجسُّد العظيم، وكيفيَّة حدوثه، بحلول الروح القدس عليها، واتِّخاذه منها جسدًا لابن الله، الذي سيُدعَى يسوع (كما تُسمِّيَ بهذا الاسم بفم الملاك)، والذي هو – في نفس الوقت – عمانوئيل (أي "الله معنا").

وهنا، يتلألأ أمامنا إيمان العذراء مريم، ويُبهرنا بقبولها الهادئ والقلبي لبشارة الميلاد البتولي العجيب، وتأمينها على صِدق مواعيد الله وعطاياه، واتِّضاعها المُذهل أمام عمل نعمته ورحمته عليها بقولها: «هُوذَا أَنَا أَمَةُ الرَّبِّ. لِيَكُنْ لِي كَقَوْلِكَ» (لو ١: ٣٨).

هذه هي مريم العذراء، أُمُّنا الأمينة والمُتَّضعة والمُؤمنة، تضع أمامنا أجمل صور الإيمان الحقيقي والاتِّضاع والتسليم لنَتمثَّل بها، فننال غاية النِّعَم ونحظى بشفاعتها في كلِّ حين.

الصورة الثانية: العذراء المُسبِّحة والكارزة (مع زكريا وأليصابات):

نهضت مريم العذراء، بعد بشارة الملاك لها، وهي مغمورة بملء عُمق الشركة مع الثالوث القدوس، والروح القدس حالٌّ عليها، وقوَّته مُظلِّلةٌ عليها، وهي حاملةٌ في أحشائها الكلمة المُتجسِّد، وقامت مُسرعةً برحلتها إلى اليهوديَّة، لتزور زكريا الكاهن وزوجته أليصابات، وتمكث عندهما ثلاثة أشهر؛ وذلك لتُشارك نسيبتها أليصابات فرحتها، بعد ما افتقدها الربُّ في شيخوختها، وفكَّ عار عُقمها، ببشارة الملاك لزكريا وحبلها لتلد ابنًا في شيخوختها. ولكي تخدم وتعضد هذه العجوز في أيام حَبلِها الأخيرة بكلِّ حُبٍّ واتِّضاع. فانطبق على رحلتها هذه كلمات إشعياء النبيِّ بالروح: «مَا أَجْمَلَ عَلَى الْجِبَالِ قَدَمَيِّ الْمُبَشِّرِ بالسَلامِ، الْمُبَشِّرِ بالْخَيْرِ المُخْبِرِ بالْخَلاصِ، الْقَائِلِ لصِهْيَونَ قَدْ مَلَكَ إِلَهُكِ» (إش ٥٢: ٧).

فصارت العذراء – بحقٍّ – أول كارزة تحمل البشارة السَّارة (بشارة الإنجيل) بالتجسُّد

والفداء إلى زكريا الكاهن وأليصابات، والمُبشِّرة لهما بمجيء المسيَّا الذي سيجلس على كرسيِّ داود أبيه، ويملك على بيت يعقوب إلى الأبد (انظر: لو ١: ٣٢، ٣٣).

إنَّ لقاء مريم مع زكريا الكاهن وأليصابات، وما قيل وتمَّ بينهم، لَهوَ منظرٌ رؤيويٌّ عجيبٌ، وبانوراما إلهيَّة، تردَّدت فيها كلماتٌ ومناظرُ وأحداثٌ نبويَّة رائعة، كما دار خلالها حوار سماويٌّ مُذهل، وكأنَّه (إبيفانيا إلهيَّةٌ جديدة)، استمعت فيه أليصابات إلى صوت سلام مريم، وكأنَّه صوتٌ آتٍ من عند الله، وهكذا أيضًا الجنين في بطنها؛ فأصابها الدَّهشُ والذُّهول من هذا الصوت المملوء نِعمةً، وامتلأت من الروح القدس هي وجنينها، وطفقت تُسبِّح وتُمجِّد الله على نِعمته، وتُطوِّب مريم على عطيَّة الله لها. وهكذا الجنين، وهو في بطن أليصابات، ارتكض بابتهاجٍ وتخشُّعٍ، في منظرٍ سماويٍّ أخَّاذ.

ومريم هنا، تُمثِّل الكنيسة الكارزة والمُبشِّرة بكلمة الخلاص، وقد ألقت السلام النابع والتابع لرئيس السلام الذي حملته في بطنها، وهي تحيَّة المسيح الدائمة لكلِّ أولاده.

وعند سماع مريم العذراء لمديح أليصابات وتطويبها لها، لأنها آمنت أن يتمَّ ما قيل لها من قِبَل الربِّ؛ لم يأخذها الكِبرُ أو الخيلاء، بل ازدادت اتِّضاعًا وطفقت تُسبِّح الله وتُعظِّمه على عظيم رحمته وصنيعه معها، وذلك بأجمل وأعذب تسابيح الحَمْد والشُّكر لله.

أمَّا عن قول أليصابات لمريم "مُبَارَكةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ"، فنقول إنها تعود إلى لقب "مُبارك" الذي يُطلقه اليهود على اسم الله، عِوَضًا عن نُطق اسم (يَهْوَة)، الذي لا يسوغ لهم النُّطق به، حتى إنَّ زكريا الكاهن نفسه يقول عنه: «مُبَارَكٌ هُوَ الرَّبُّ إِلَهُ إِسْرَائِيلَ» (لو ١: ٦٨). وفي مُحاكمة الربِّ يسوع أمام رئيس الكهنة، سأله : «هَلْ أَنْتَ الْمَسِيحُ ابْنُ الْمُبَارَكِ؟» (مر ١٤: ٦١). كما يُشير القدِّيسان بطرس الرسول وبولس الرسول إلى اسم "المُبارَك" مراتٍ عديدة، كما في (١بط ١: ٣؛ أف ١: ٣؛ رو ١: ٢٥؛ ٩: ٥ وغيرها). كذلك تَرِد نفس الكلمة في مُباركة ملكي صادق لأبينا إبراهيم (تك ١٤: ١٩ ... الخ).

الصورة الثالثة: العذراء حاملة النِّعمَة وحافظة الأسرار:

(اللقاء مع سمعان الشيخ وحنَّة النبيَّة):

حَمَلت العذراء ابنها الإلهي يسوع، وصعدت به مع القدِّيس يوسف البار، ذاهبين إلى الهيكل في أورشليم، بعد أيام التَّطهير بعد ولادة يسوع بأربعين يومًا، ووقفا أمام سمعان

الشيخ الرجل البار، الذي حَمَلَ الطفل يسوع على ذراعيه وسبَّح الله، ودعاه أن يُطلقه بسلام بعد ما رأى وعاين خلاص الله وتمام وعده، بروح النُّبوَّة، ورأي هذا المُخلِّص مولودًا أمام عينيه، وبين يديه، قائلًا: «لأَنَّ عَيْنَيَّ قَدْ أَبْصَرَتَا خَلاصَكَ» (لو ٢: ٣٠). ثمَّ أردف بقوله للسيِّدة العذراء: «وَأَنْتِ أَيْضًا يَجُوزُ فِي نَفْسِكِ سَيْفٌ» (لو ٢: ٣٥)، مُنبِئًا لها بما هو عتيدٌ أن تجوزه مع ابنها من آلام. وكانت مريم ترى وتسمع في هدوءٍ كلَّ هذه الكلمات وتتعجَّب لها، وتحفظها مُتفكِّرة بها في قلبها، وصارت عندها ميراثًا وذخيرةً ثمينة في قصة خلاصنا، وفي إيمان الكنيسة فيما بعد: «وَكَانَتْ أُمُّهُ تَحْفَظُ جَمِيعَ هذَهِ الأُمُورِ فِي قَلْبِهَا» (لو ٢: ٥١).

وهكذا أيضًا نطقت حَنَّة النَّبيَّة ومَنْ معها في الهيكل، بكلمات النُّبوَّة عن ميلاد الربِّ يسوع، ابن الله المُتجسِّد، واستعلان خلاصه. وكانت مريم تسمع وتحفظ للكنيسة ميراث خلاصها الذي استخدمها الله بواسطته لتكون شاهدًا حيًّا وصادقًا عليه.

مريم العذراء كانت هي القلب الذَّهبيَّ الطاهر، الذي كان قادرًا على حِفظ كلمة الله المُتجسِّد، في أحشائها أولًا، وفي قلبها ثانيةً، وحِفظِهِ بكلِّ تقوى ووقار وكرامة وإيمان واعتبار؛ إذ قد ملأت النِّعمة كيانها وعقلها وقلبها. لذلك حفظها الله وصانها، فصارت لنا أعظم شاهد على صِدق مواعيد الله وأمانته في كلِّ حين.

****

دير القدّيس أنبا مقار

صَدَرَ حديثًا **من إعداد: رهبان دير القدّيس أنبا مقار**

كلمات روحيَّة للمبتدئين عن نشيد الأنشاد

«ما دام الملك في مجلسه
أفاح نارديني رائحته»

[وهو عبارة عن تأمُّلاتٍ روحيَّة أُلقِيَت على المبتدئين بدير القدّيس أنبا مقار عن: "آيات من سِفْر نشيد الأنشاد"، في الفترة ما بين سنة ١٩٨٧م إلى سنة ٢٠٠٨م.

ويحتوي الكتاب على مُقدِّمة تُظهِر أنَّ هذا السِّفْر مناسبٌ جدًّا للراهب الجديد السعيد بحياته الجديدة مع المسيح. ثم يُقدِّم الكتاب تأمُّلات روحيَّة عن آياتٍ من السِّفْر تكشف لنا مقدار المحبَّة التي أحبَّنا بها المسيح].

والكتاب ٣٦٠ صفحة (من القَطْع المتوسط)

****



ذكرى الصِّدِّيق
تدوم إلى الأبد

لمحات من الكنيسة الأولى

دكتور جميل نجيب[1]

(٣)

نواصل في هذا العدد ذِكر الملامح التي ميَّزت كنيستنا الأولى. كنَّا قد رأينا من قبل[2]: القيادة الروحيَّة، والحياة المسيحيَّة، ثم الرسالة الجليَّة. وهنا سنرى مَلمَحًا آخر واضحًا في حياتها:

٤- الشهادة القويَّة

كان صوتُ الربِّ يرنُّ في مسامع التلاميذ، قبل أنْ يصعد للسماء: «وَتَكُونُونَ لِي شُهُودًا» (أع ١: ٨). هذه الكلمات لم ينسها التلاميذ قط، فقد عاشوا كلَّ حياتهم وحتى إلى مماتِهم شهودًا لذاك الذي اختبروا محبَّته، ودعاهم مِن الظلمة إلى نوره العجيب. وما رأوه وسمعوه ولمسوه أخبروا به: «وَبِقُوَّةٍ عَظِيمَةٍ كَانَ الرُّسُلُ يُؤَدُّونَ الشَّهَادَةَ بِقِيَامَةِ الرَّبِّ يَسُوعَ» (أع ٤: ٣٣). لقد مَلَكَت مشاعرهم محبَّة شديدة للملك المسيح، فحفظوا وصاياه في القلب، وانطلقوا يكرزون بخلاصه بكلِّ مجاهرة، وبلا أدنى خوف، مهما كانت العقبات والمصاعب. وهذه بعض الصُّور الدَّالة على ذلك:

❖ في أعقاب معجزة شفاء المُقعد، الجالس على باب الهيكل "الجميل" يسأل صدقة، حاصَر رؤساء الكهنة والشيوخ بطرس ويوحنا، وهم يُحقِّقون معهما ويسألونهما. أمَّا بطرس فبكلِّ شجاعة الإيمان، أعلن لهم أنَّ شفاء المُقعد كان **باسمِ يسوعَ الناصِري** (أع ٣: ٦). ثم يُحوِّل دفَّة الكلام نحوهم مُواجِهًا إيَّاهم بخطاياهم: «**الذي صلبتُموه أنتُم ... ليسَ بأحدٍ غيرِهِ الخلاصُ... ليسَ اسمٌ آخرَ تحتَ السماءِ قد أُعطِي بينَ الناسِ به ينبغي أنْ نَخلُص**» (أع ٤: ١٢). ولم يَحرِ المجتمعون جوابًا. كانت الكلمات تحمل معها صدقها وقوَّتها. كانت مُجاهرة بطرس ويوحنا — رغم بساطة مظهرهما، وهما «عديما العلم وعاميَّان» — موضع تعجُّب. وبدلًا من أنْ يُذعن رؤساء الكهنة للحقِّ، هدَّدوا التلميذين: «**أنْ لا يَنطِقا البتَّة ولا يُعَلِّما باسْمِ يَسُوع**» (أع ٤: ١٨).

---

(١) هذه هي المقالة الثالثة والأخيرة عن بعض الملامح المُضيئة للكنيسة في بدايتها الأولى، للراحل الكريم والأرخن الفاضل الأستاذ الدكتور جميل نجيب، الذي كان من أوائل الكُتَّاب في المجلة، والذين أثروها بكثيرٍ من المقالات القيِّمة.

(٢) انظر عَدَدي: أبريل ٢٠٢٦م، ص ٤٣؛ ومايو ٢٠٢٦م، ص ٤٧.

وكان ظاهرًا أنَّهم يطلبون منهم المستحيل، فأيُّ قوَّةٍ مهما عظمت تستطيع أنْ توقِف تيار الحقِّ عن الاندفاع ليكشف الباطل؟! وكيف يمكن لِمَنْ عرف المسيح – بالاختبار الخلاصي – أنْ يكتُم في قلبه غيرة إلهه التي تأكله، أو يُنكر ما رأى وسمع، وهما أسطع مِن الشمس في رابعة النهار؟!

❖ بينما كان الضغط يتزايد على الكنيسة مِنَ التهديد إلى السجن إلى المشاورات على القتل، إلى محاولات القتل، بل القتل بالفِعل؛ كان إصرار الرُّسُل على أنْ تبلغ الكرازة غايتها. وهذا لم يكن مجرد قوَّة الإرادة، ولكنَّه كان فعل الروح القدس وضغط المحبة وطاعة الله. فالرُّسل ما كادوا يخرجون مِن السجن حتى يُعاودوا الدخول ثانيةً. والرَّسول بولس يُرجَم في لِسترة، حتى يُظنَّ أنَّه قد مات، ولكنَّه ما أنْ استردَّ وعيه حتى بدأ يُبشِّر ويُتلمِذ كثيرين (أع ١٤: ٢١).

❖ بعد أنْ استُشهد القدِّيس استفانوس، هبَّت على كنيسة أورشليم عاصفة عاتية، حملت معها تيَّارًا من العنف، كان مِنَ الشِّدة، بحيث دفع الكثيرين إلى الالتجاء إلى الهروب. على أنَّ ما يُثير الإعجاب أنَّ الرُّسُل صمدوا أمام موجة الاضطهاد هذه، بصلابة الإيمان، ومسؤوليَّة القيادة وأمانة الرعاية. فكانوا **وحدَهم** الذين لم يتركوا مواقعهم وبقوا في أورشليم التي هجرها الجميع، شاهدين لإلههم ومُتمثِّلين بمخلِّصهم الذي بَقِيَ **وحده** في مواجهة الصليب، وقابلين بالفرح كلَّ ما يمكن أنْ يأتي عليهم بلا تحفُّظاتٍ أو حساباتٍ من أجل إتمام الرسالة التي سلَّمها لهم معلِّمهم المحبوب.

❖ على أنَّ الذين تشتَّتوا لم ينزووا عن الأنظار، وإنما «**جَالوا مُبشِّرِين بالكَلِمةِ**» (أع ٨: ٤). وهكذا صارت العاصفة التي هبَّت على أورشليم، قد دفعت تيَّار الكلمة الدافق ليجتاح اليهوديَّة والسامرة، أي لتخطو الكرازة خطوتها التالية سريعًا متَّجهة مِن ثمَّ إلى سائر المُتغرِّبين في كلِّ الأرض. وعِوَضًا أنْ يكون الاضطهاد سببًا لإرهاق الكنيسة وانزوائها، يصبح حافزًا فريدًا لانتعاشها، وإشعال جذوة الحبِّ لِمَن بذل نفسه عنها، وفرصة لإعلان حيويتها ومناعتها ضد الموت.

❖ كان شُغل الرُّسُل الشاغل هو خلاص الناس. وكلَّما كانت تسنح لهم الفرصة للكرازة والتعليم، كانوا يقتنصونها لإلقاء شبكتهم لتصطاد النفوس العطشَى للحياة، ولإعلان اسم يسوع المُخلِّص.

❖ عندما أُلقي بولس وسيلا في السجن، كانا يُصلِّيان ويُسبِّحان الله في منتصف الليل بصوتٍ مسموع. ولا شكَّ أنَّهما قصدا أنْ تصل الرسالة إلى المسجونين معهما. ولمَّا تزعزعت أساسات السجن وانفكَّت القيود، وكاد حافظ السجن أنْ يقتل نفسه؛ صاح فيه بولس مُطمئنًا إيَّاه على وجود الجميع، مِمَّا جعل السَّجَّان يندفع إلى الداخل جاثيًا أمام بولس وسيلا اللَّذين لم يهربا برغم تحرُّرهما مِن الأغلال؛ إذ لم يكن يُشغلهما الخروج مِنَ السجن بقدر خلاص مَنْ معهما. ولم

يتركه الرسولان إلَّا بعد أن اعتمد هو والذين له أجمعون (أع ١٦: ٣٣). ثم عادا إلى سجنهما في الصباح بعد أنْ تحرَّر السَّجَّان وأهل بيته من سجن هذا العالم.

❖ وفي أثناء محاكمة بولس أمام فيلكس الوالي، استطاع بولس أنْ يُحوِّل المحاكمة إلى منبر للكرازة والتعليم؛ بل جعل فيلكس يستدعيه للكلام عن الإيمان بالمسيح أمام دروسِّلا امرأته اليهوديَّة. ولم يكن حديث بولس تجريديًّا جافًا، وإنَّما عن البرِّ والتعفُّف والدينونة العتيدة. فقد كان بولس شاهدًا كارزًا وليس واعظًا محترفًا. ويبدو أنَّ وطأة الكلام كانت شديدة حتى أنَّ فيلكس ارتعب وطلب إرجاء الكلام لوقتٍ آخر. وقد يكون فيلكس قد فَقَدَ فرصةً للحياة لا تُعوَّض، إذ كان مشغولًا بالحوار والجدال أكثر مِنْ أنْ يترك الكلمات لتعمل فِعلَها في قلبه. ولكن ما يعنينا هو أنَّ بولس كان مُنتبهًا لعمله الكرازي ولرسالته التبشيريَّة، لدرجة أنَّه كان ينسى أنَّه يُحاكَم أمام والٍ.

❖ وفي محاكمة بولس التالية أمام الملك أغريباس والوالي فستوس، حكى لهما حادثة لقائه بالربِّ في الطريق إلى دمشق، مُشيرًا إلى شهادة الناموس والأنبياء عن المسيح، ومُحرِّكًا قلب أغريباس للإيمان، حتى بَدَا أنَّه يقترب إلى معرفة المسيح. وهنا يُفصح بولس عن مشاعره واشتياقاته، ليس بالنسبة لخلاص أغريباس وحده؛ بل خلاص جميع الذين يسمعونه وقت محاكمته. وهي في حقيقة الأمر ليست اشتياقات بولس في الأساس، ولكنها قبل ذلك اشتياقات إلهه الذي «**يُرِيدُ أَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ يَخْلُصُون**» (١ تي ٢: ٥).

• والدعوة اليوم للكنيسة كي تشهد لمسيحها في العالم الذي تعيش فيه، كما شهد هؤلاء:

✞ أنْ تحسَّ بمديونيتها لعريسها الذي أحبَّها وأغناها بنعمته، وفَتَحَ لها أبواب الملكوت.

✞ أنْ تحتفظ بخواصها النقيَّة، فلا تكون لها بالعالم خلطة، تضيع فيها معالمها، وينحجب نورها؛ وإنَّما تبقى للعالم مصدر استنارة وتقويم وإنذار وتأديب؛ باختصار تصبح ضمير العالم.

✞ أنْ تحسَّ بمسؤوليتها الكرازيَّة، والتزامها بتثبيت إيمان بنيها، وتبشير كلِّ النفوس البعيدة.

✞ أنْ تحتفظ بروح الصلاة، سلاحها الأول، في معاركها مع الشر، ووسيلتها لاستدعاء روح الله ومعونته، فهو مصدر قوَّتها وغلبتها وسرُّ فعاليَّة كلمتها.

✞ أنْ تعرف أنَّ إقامتها هنا ليست دائمة، وأنَّ خدمتها وكرازتها وسط العالم هي دعوةٌ للحياة الأبديَّة، تبدأ هنا وتمتدُّ هناك إلى ما لا نهاية.

وبهذا اليقين، تتجاوز الكنيسة واقعها المنظور بسلبياته، وتقبل الآلام بكلِّ فرح، كأكاليل للمجد، توضع على هامتها في اليوم الأخير.

بحث تاريخي

التراث القبطي في مدينة الأقصر

(١)

الأستاذة الدكتورة/ شيرين صادق الجندي
أستاذ الإرشاد السياحي والآثار والفنون القبطيَّة
بكلية الآداب – جامعة عين شمس

منذ أقدم العصور المصريَّة القديمة، كانت مدينة الأقصر من أهمِّ المدن، حيث بُنِيَت فيها أكبر وأهم المعابد المصريَّة القديمة، لا سيَّما في عصر الدولة الحديثة. كما نُحتت في جبالها الصخريَّة أهم وأكبر المقابر لأهمِّ وأشهر ملوك وملكات ونبلاء الدولة الحديثة، خصوصًا في وادي الملوك ووادي الملكات ووادي النبلاء[١]. وبعد دخول المسيحيَّة مصر، عاش بعض النُّسَّاك الأقباط في بعض هذه المعابد الأثريَّة، هربًا من بطش الأباطرة الرومان خلال عصور الاضطهاد الأليمة. وبعد الفتح العربى لمصر في القرن السابع الميلادي، تمَّ تشييد الجوامع والمساجد والمنشآت الإسلامية العامة والتجارية في الأقصر.

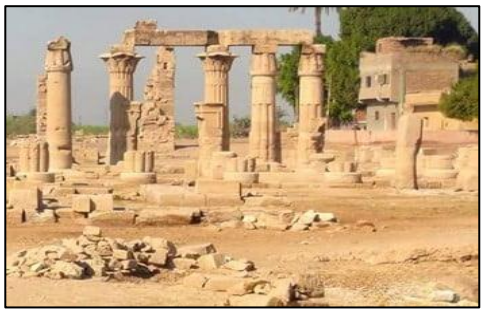
وعلى مرِّ العصور التاريخية الطويلة، توافد المؤرِّخون والرحَّالة الأجانب والسلاطين والملوك والأمراء على زيارة مدينة الأقصر، لرؤية معالمها الأثريَّة والسياحيَّة المتنوِّعة، والكتابة عنها ووصف معالمها ومبانيها القديمة المختلفة. كما ازدهرت فيها الصناعات والفنون الصغرى وبعض الحِرَف اليدويَّة البسيطة المُعبِّرة عن فلكلور أهل مدينة الأقصر، مِمَّا أدَّى إلى تنوُّع التراث الثقافي المصري، والانتعاش السياحي في هذه المحافظة حتى الوقت الراهن. لذا حرصت الحكومات المصريَّة المختلفة على تطوير وتحديث هذه المدينة المصريَّة العريقة، وذلك لأهميتها على الخريطة السياحيَّة الدولية. فشُيِّدت بها أكبر وأفخر الفنادق العالميَّة، وأُقيمت المراسي النيليَّة في كلِّ المدينة لترسي عليها أهم البواخر السياحيَّة والفنادق العائمة. كما تنتشر بها أكبر الأسواق والبازارت السياحيَّة التي تُقدِّم مختلف المنتجات السياحيَّة التي تشتهر بها مدينة

---

(١) دولف إرمان، هرمان رانك، "مصر والحياة المصريَّة في العصور القديمة"، ترجمة: عبد المنعم أبو بكر ومحرم كمال، مكتبة النهضة المصريَّة، القاهرة، ١٩٥٢؛ جيمس بيكى، "الآثار المصريَّة في وادي النيل"، ترجمة: لبيب حبشي وشفيق فريد ونور الدين الزراري، ٥ أجزاء، القاهرة، ١٩٩٣/١٩٩٩م.

الأقصر، لإرضاء أذواق مختلف السائحين الوافدين عليها. ومؤخَّرًا، افتُتِحَت بمدينة الأقصر عدَّة متاحف هامة، مثل: متحف الأقصر، ومتحف التحنيط ، ومتحف بيت هوارد كارتر، ومتحف الرَّي. كما أنَّ بها محميَّة الدبابية الطبيعية، حيث تمَّ اعتماد قرية الدبابية بواسطة الاتِّحاد الدولي للعلوم الجيولوجية، كأول وحدة زمنية جيولوجية خارج أوروبا منذ ظهور علم الجيولوجيا في العالم. لكلِّ هذا، اختيرت مدينة الأقصر سنة ٢٠١٧م، من قِبَل المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم التابعة لجامعة الدول العربية، لتكون عاصمةً للثقافة العربية، لتكامُل ما بها من ثقافاتٍ مصريَّة قديمة ويونانيَّة رومانيَّة وقبطيَّة وإسلاميَّة. ومن أهمِّ المعالم التراثية القبطيَّة في هذه المدينة الأثريَّة، نُشير إلى ما يلي:

١ – كنيسة معبد ميدامود شمال الأقصر:



(الشكل رقم ١) معبد الميدامود شمال الأقصر . نقلًا عن:
https://www.youm7.com/story/2024/4/7

شُيِّد معبد مونتو إله الحرب عند المصريين القدماء في شرق النيل في قرية الميدامود **(الشكل رقم ١)**، حيث تمَّ اكتشافه سنة ١٩٢٥م، في حفائر عالم الآثار المصريَّة القديمة الفرنسي فرناند بيسون دي لا روك. وبداخل هذا المعبد بقايا لأعمدة كنيسة قبطيَّة لها هيكل أوسط، يُحيط به شمالًا وجنوبًا حجرتان. وترجع بقايا هذه الكنيسة الأثريَّة إلى القرن الرابع الميلادي[٢].

٢ – دير الشايب شمال الأقصر:

يوجد دير القدِّيس الأنبا باخوميوس مؤسِّس حياة الشركة، في منشأة العماري على البر الشرقي في الاتِّجاه الشمالي الشرقي لمطار مدينة الأقصر[٣] **(الشكل رقم ٢/أ – ب)**. ويحتوي هذا الدير القبطي، الذي يرجع إلى القرن الرابع الميلادي، على كنيسة أثريَّة يُحيط بها سور بداخله حديقة. ويُجاورها بعض المباني الحديثة المأهولة بالسكان. وترجع هذه الكنيسة إلى القرن السابع عشر الميلادي – الثامن عشر الميلادي. وبها ستة هياكل اصطفَّت كلها في

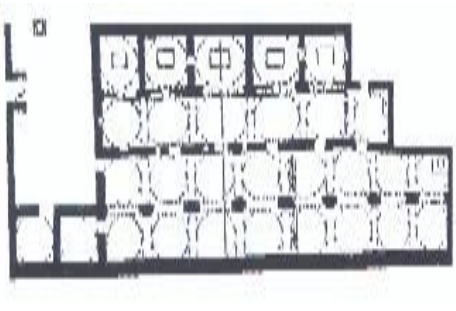
(٢) الأنبا صموئيل، "دليل الكنائس والأديرة في مصر"، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٢٠٠.

(٣) شيرين صادق الجندي، "أديرة قبطيَّة في مصر باسم القدِّيس باخوم"، مجلة مرقس، العدد (٦٣٨)، مطبوعات دير الأنبا مقار، وادي النطرون (نوفمبر ٢٠٢٢)، ص.٣٧ – ٤٣.

صفٍّ واحد. كما يوجد حائط ذو أبواب صغيرة، لفصل الخورس عن صحن الكنيسة، التي تظهر على بعض جدرانها الداخلية عدَّة عناصر زخرفية كالصلبان، بالإضافة إلى بعض الكتابات التي يُعتَقَد أنها من كنيسةٍ أقدم كانت موجودة في نفس المكان[٤].



أ



ب

(الشكل رقم ٢) أ. دير الشايب شمال الأقصر. نقلًا عن: https://www.coptstoday.com/.
ب. التخطيط لدير الشايب. نقلًا عن: الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٢٠١.

٣ – الآثار القبطيَّة بمعابد الكرنك:



(الشكل رقم ٣) طريق الكباش ومدخل معابد الكرنك. نقلًا عن: https://www.youm7.com/story/2024/3/11

تُعتَبَر معابد الكرنك من أهمِّ المعابد المصريَّة القديمة التي يتوافد عليها السائحون في مصر **(الشكل رقم ٣)**. وعُثِر بداخل مبانيها المختلفة على بعض أشكال القدِّيسين والشهداء المجهولين، وبالأخصِّ على بعض أعمدة صالة الملك تحتمس الثالث (١٤٧٩ – ١٤٢٥ ق. م.)؛ وخصوصًا الأعمدة ذات التيجان ناقوسيَّة الشكل والتي يرتكز عليها سقف القاعة.

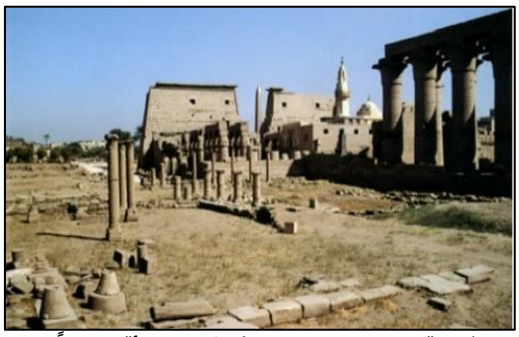
ويُعتَبَر الملك تحتمس الثالث هو أشهر وأقوى المُحاربين المصريين القدماء، وهو يُعرف باسم: "نابليون مصر القديمة"، لشجاعته القتالية ولخبرته في المعارك العسكرية، ونظرًا لاتِّساع رقعة الإمبراطورية المصريَّة القديمة في عهده، وامتدادها جنوبًا حتى منابع النيل وشرقًا لتشمل بلاد الشام وغربًا لتضمَّ ليبيا.

(٤) الأنبا صموئيل، "دليل الكنائس والأديرة في مصر"، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٢٠١.

كما تجدر الإشارة إلى أنه قد تمَّ تحويل أجزاء من المعبد المصري القديم الخاص بالإله خونسو إلى كنيسةٍ كان اتِّجاهها شرق – غرب، وعكس اتجاه المعبد الذي كان شمال – جنوب. وذلك بعد أن تمَّ إغلاق الباب الشرقي وبناء هيكل للمعموديَّة، بالإضافة إلى حجرة بها إنبل للوعظ خلال القرون الأولى للمسيحيَّة. وتشمل رسومات لقدِّيسين على الأعمدة، وبقايا هيكل كنيسة، ونصوصًا قبطيَّة. كما تمَّ العثور على أجزاء من ديرين قبطيَّين كالقلَّايات، وبعض الأواني الفخارية والنقوش الأثريَّة. وقد اكتُشِفَت أطلال أحد هذين الديرين بالقرب من الصَّرح الأول، وكان يتكوَّن من طابقين. وكان الدير الثاني بين الصَّرحين السابع والثامن في نفس المعبد. كما عُثِرَ على بقايا دير ثالث في فناء معبد الكرنك، بين الصَّرحين العاشر والحادي عشر. وتتمثَّل هذه البقايا في بعض تيجان الأعمدة، بالإضافة إلى أعتابٍ من بعض الأبواب المُزركشة، وكذلك بعض شواهد القبور والمسارج. واحتوت هذه المباني الأثريَّة على فجوات، ربما استُعمِلَت كدواليب. وربما كانت مكتبة الدير من ضمن هذه المنشآت الأثريَّة.

٤ – الآثار القبطيَّة في معبد الأقصر:

يُعتَبَر معبد الأقصر من أهمِّ المزارات الأثريَّة والسياحيَّة المُشيَّدة على البر الشرقي لنهر النيل في مدينة الأقصر. وفي أثناء قيام أعضاء البعثات الأثريَّة بحفائر في المناطق المُحيطة بهذا المعبد، اكتُشِفَت خمس كنائس داخل وحول المعبد[٥] **(الشكل رقم ٤).** وتوجد الكنيسة الأولى الأقدم على يسار الداخل إلى المعبد أمام الصَّرح الأول. وهي ترجع إلى القرن السادس الميلادي – القرن السابع الميلادي. وتتكوَّن هذه الكنيسة البازيليكيَّة من صالة مُستعرضة في الناحية الغربية منه. يليها صحن تُحيط به ثلاثة أروقة، تُفضي إلى الهيكل الرئيسي الشرقي دائري الشكل، وبه أعمدة وحنية في الشرق، كما تكتنفه حجرتان جانبيتان.



(الشكل رقم ٤) بقايا الآثار القبطيَّة فى معبد الأقصر. نقلًا عن: https://www.copts-united.com/Article.php?I=4276&A=621675#google_vignette

وفي الناحية الشمالية الغربية من هذه الكنيسة القبطيَّة، توجد المعموديَّة المُشيَّدة من

(٥) الأنبا صموئيل، "دليل الكنائس والأديرة في مصر"، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٢٠٢.

الطوب الأحمر. ويُحيط بها أعمدة كانت ترتكز عليها قبَّة. وعند منتصف المعبد تقريبًا، توجد كنيستان تتشابهان مع الكنيسة الأولى. كما أنَّ أعمدة الكنائس الثلاث تُشبه أعمدة المعبد المصري القديم، ولكنها بمقاييس وأحجام أقل.

كما أنَّ كلَّ كنيسة ذات تخطيط معماري بازيليكي، وتشتمل على ثلاثة أجنحة، وتجويف الحنية تكتنفه حجرتان. وتوجد الكنيسة الأولى في الناحية الشمالية الغربية من فناء معبد الملك رمسيس الثاني، والذي كان يُعرف باسم: "رمسيس الأكبر" (حوالى ١٣٠٣ – ١٢١٣ ق.م.). وكلُّ ما تبقَّى منها هو حجرة الهيكل التي تهدَّمت، والتي يُعتَقَد أنها كانت تحتوي على ثلاثة أجزاء. أمَّا الكنيسة الثانية، فهي في جنوب غرب فناء معبد الملك رمسيس الثاني. وكلُّ ما تبقَّى منها هو أيضًا حجرة الهيكل وبعض الأعمدة. وأمام حجرة الهيكل، يمكن رؤية قوس النصر.

وشُيِّدَت الكنيسة الرابعة في شمال المعبد. ويرجع تاريخ بنائها إلى القرن السابع الميلادي. كما اكتُشِفَت الكنيسة الخامسة في شمال شرق بهو الأعمدة في معبد الملك رمسيس الثاني، أسفل مسجد "أبوالحجَّاج الأقصري"، ويرجع هذا المسجد إلى العصر الأيوبي. ويبدو جليًّا أن معبد الأقصر، تمَّ استخدامه كديرٍ للنُّسَّاك وللرهبان الأقباط في عصور الاضطهاد الرومانية، نظرًا لقُربه من دير المدينة، وكذلك من دير القدِّيس إبيفانيوس[٦]. والذي أشرنا إليه من قبل في مقالتنا المنشورة سنة ٢٠٢٣م. **(يتبع)**



القدِّيس أنبا باخوميوس أب الشركة

(6) H.E. Winlock & W. E. Crum, the Monastery of Epiphanius at Thebes, 2 vols. New York, 1926-1933;

شيرين صادق الجندي، "أديرة قبطيَّة في مصر باسم القدِّيس أبي فام"، مجلة مرقس، العدد (٦٤٣)، مطبوعات دير الأنبا مقار، وادي النطرون (أبريل ٢٠٢٣)، ص ٤٤ – ٥٠.



جوني إريكسون[١]

اختبارات روحيَّة للمتألِّمين



مقدِّمة:

جوني إريكسون فتاة أمريكية تعرَّضت، وهي في السابعة عشرة من عمرها، لحادث أثناء ممارستها لهواية الغوص في الماء، تركها هذا الحادث مشلولة تمامًا من كتفيها فما دون. وفي خلال ثوانٍ قليلة، تغيَّرت حياتها بأكملها مِن حالة نشاطٍ وفعاليَّة واستقلال إلى حالةٍ من العجز التَّام وعدم القدرة.

تحمَّلت جوني أقسى أنواع الآلام، وظلَّت طريحة الفراش لمدَّة عامين تحت وطأة العلاج والعمليات الجراحيَّة، إلى أنْ أمكَنَ وضعها على كرسيٍّ مُتحرِّك. وقد جازت أثناء تلك الأوقات، صراعًا نفسيًّا شديدًا في سبيل التكيُّف مع إعاقتها وتقبُّل عجزها ومرارتها.

تعلَّمت جوني أنَّ الثقة بالله المُحبِّ، هو طريقها الوحيد للتغلُّب على ضيقة نفسها. فهو الذي سمح أن يحدث لها هذا الحادث. واليوم، هي تستطيع أنْ تُحرِّك رقبتها ورأسها فقط، ولكنها استطاعت أنْ تستعمل فمها وتمسك القلم أو الفرشاة بأسنانها لقيادة قلمها لتكتب وترسم بمهارة.

ومن خلال المعارض التي أقامتها، لتعرض فيها لوحاتها الفنِّيَّة وظهورها في برامج تليفزيونية مُتعدِّدة، كانت تُقدِّم بفرح شهادتها للمسيح، وتكرز ببشارة الإنجيل. وكانت، وهي على كرسيِّها المُتحرِّك، تذهب وتُبشِّر بالكلمة في الكنائس، وتحكي عن محبَّة الله وحنانه الفائقين.

بعض كلماتها واختبارات من حياتها للمتألِّمين

✞ ابتدأتُ أرى الكرسيَّ المُتحرِّك كأداةٍ وليس كمأساة. أومن أنَّ الله سيُعلِّمني مِن خلاله الكثير.

✞ كان الكرسيُّ بالنسبة لي يومًا عِبئًا شاقًّا، وتجربةً قاسية؛ ولكن عندما عاينتُ الله يعمل في حياتي (المُعاقة)، صار في إمكاني رؤيته كبركة وأداة بهجة.

✞ حياتنا هي أشبه بصورةٍ يقوم الله برسمها لنا، ونحن – للأسف – كثيرًا ما نقفز من اللوحة ونختطف الفرشاة مِن يد الله لنقوم نحن باستكمال الصورة! ولكن، ما إنْ نُقدِم على هذا

---

(١) المؤلِّف: جوني إريكسون تادا، الناشر: دار النفير ٢٠٠٤م، عدد الصفحات: ٢٢٣ صفحة.

الفعل، لا نحصل إلَّا على نسخةٍ رديئة مِن النموذج الرائع الذي ينوي أنْ يُعدَّه الله لنا.

✞ لقد مضي وقتٌ طويل قبل أنْ أقبل أنَّ تجربتي قد حدثت بسماحٍ مِن الله لخيري.

✞ بإمكاننا أنْ نفرح في الألم عندما نشعر أنَّ الله هو الذي يسمح لنا باجتياز الألم لأجله.

✞ الكتاب المقدَّس يُشير إلى أنَّ أجسادنا هي وقتيَّة، لذلك فإنَّ عجزي هو أيضًا وقتيٌّ. وعندما تحوَّل تركيزي إلى هذا المنظور الأبدي، صارت كلُّ دعاوى خوفي مِن البقاء على كرسيٍّ مُتحرِّك طيلة حياتي، أمورًا عادية.

✞ علينا أنْ ننسى ما يقوله الناس أو ما يفتكرون به، ونُدرك أنَّ قِيَم الله هي الحقيقيَّة.

✞ إنَّ الله يسمح لنا بالمرور في ظروفٍ مُعيَّنة، تُشبه سكين التقليم في يد الكرَّام، الذي يقطع الفروع العقيمة من كَرْمه، ليجعل منها فروعًا أكثر إثمارًا.

✞ إنَّ الله لا يُغلق بابًا، قبل أنْ يفتح نافذةً. إنَّه عندما ينتزع منَّا شيئًا، فهو لكي يُقدِّم لنا دائمًا ما هو أفضل.

✞ شرعتُ – في الحقيقة – أري الألم في ضوءٍ جديد، لا كمحنةٍ تُجتَنَب، ولكن كفرصٍ تُقتَنَص.

✞ إنَّنا نستطيع أنْ نمتلئ بالفرح في الوقت الحاضر، حتى ونحن نجتاز المِحَن والشدائد. لأنَّ هذه الأمور إنْ أُخِذَت مأخذًا حسنًا، فهي تُزوِّدنا بالصبر والاحتمال؛ وهذان بدورهما يُنشئان شخصيةً ناضجة.

✞ إنَّ جسدي، بالقياس للزمن، ما هو إلَّا ومضةٌ خاطفةٌ في الامتداد الزمني للأبديَّة.

✞ الله وحدَه يعلمُ لماذا أصابني هذا الشلل! ولعلَّه عرف أنَّني سوف أخدمه بغبطةٍ أكثر في نهاية المطاف.

✞ لقد أدركتُ: لماذا فَرِحَ بولس في آلامه؟ وكيف حَسِبَ يعقوب الألمَ فرحًا؟ ولماذا لم يستغرب بطرس بالبلوى المُحرِقة؟ لقد كان لكلِّ هذه الصعوبات أغراضٌ إيجابيَّةٌ مُطلقة، نتجَ عنها مدح وكرامة وتمجيد للمسيح.

✞ تأمَّلوا فقط في الأكاليل التي ستنالونها في السماء مقابل آلامِكم.

✞ الحكمة هي في الوثوقِ بالربِّ، وليست في السؤال: لماذا يا ربُّ؟

Living with Christ

Articles of Comfort and Blessings
Offered to the Reader

Enjoy your reading on the exposition of our Father Matta El-Meskeen to the verses of the Scripture! Note: All quotations are taken from the ***New King James Version,*** *if not otherwise mentioned.*

Volume Four

Chapter 82
"For whatever is born of God overcomes the world" (1 John 5:4).

THE TRUE LOVE OF GOD is that which is well-versed in works, and which has tasted how good the Lord is, so that His name does not part from the heart or tongue. This is what David, who deeply loved God, says in many passage, what entails, "that Your name does not part from my heart, for it has become my delight."[1]The more I recite this verse, the more I fall in love with it. When my troubles grew heavy, Your name came to my lips, and so my cares disappeared and so did the world from my heart. You told me that You overcame the world, and You did not overcome it for Yourself but for us, which is why the world goes after us while it is overcome by Your name, to which we call for help when it intensifies against us.

Lord, You said that You are not of this world,[2] which is why the world persecuted You. You granted us to bear its persecution just as You bore and overcame it, making your endurance a comfort and a strength. He who is born of God has been cut off by default from all that the world offers from pleasures, lusts, and pride of life. The torrential currents of all of these are cut off whenever their springs are dried up and life grows weary of them. For the eye is no longer blinded by lust, and the ear can no longer bear the clamor of voices.

To whom is born of God, God will grant the pleasures of the Spirit. Thus, the Bible becomes his sole beloved book. The mere look inside of scripture kindles

[1] Psalm 9:2; 61:8; 86:12; 119:55; 145:1,2.
[2] John 17:14.

the heart with fire and brings back memories which the person keeps as if it were the kingdom of God.

I own a Bible which was gifted to me from the library of the church in Giza, and which has the year 1948 written on it, a memory of my exit from the world to accept monasticism. And the following is written underneath: "This is my covenant and my loyalty…that I serve the church of my ancestors." It was my only aid in writing my sermons until this day, for the Bible carries in it the dearest times of worship and contemplation in the precious word of God. All that the person owns in his youth becomes a help to him in his old age, and most especially is the living word of God which lasts to eternity.

New birth from God remains new all the days of the person's life. He who is born of God does not grow old, but rather all the days of his life continue their liveliness and joy throughout his life. All that is written in the Bible is a living apostolic ammunition, which does not grow old and is not worn out by the years, passing on in all its early apostolic liveliness to be imprinted on the hearts of those who love the Lord. For the apostolic, fatherly love is passed down to us in the words of the Bible, as if it had been written to endure and not pass away. It is a live ammunition, with the sweet-smelling aroma of Christ in every word that came out of His mouth, which works in the spirit, mind, heart, and conscience to shape the person's life according to the Bible. Blessed is the one who possesses this biblical legacy, for he lives daily by the spirit of the Bible ingrained in his heart, mind, and spirit. Even though it is the richest heritage one possesses, yet it is for free when compared to things bought for money. Who could believe that the entire heritage of Christianity may be acquired for so little a price, even though every word that came out of Christ's mouth is a pearl, which, if acquired by someone, it will enrich him more than all the gold and silver of the world?!

January 9, 2006

Chapter 83
"And we know that the Son of God has come and has given us an understanding, that we may know Him who is true" (1 John 5:20).

JESUS CHRIST IS THE TRUTH, as He said, "I am the way, the truth, and the life."[1] Defining truth is challenging because it is a quality that pertains to God. However, truth is very close to reality, and the reality of something is its true origin, which is why the truth of God is the origin of all foundations. In philosophy, truth is the essence of the matter or the subject. This is why the

[1] John 14:6.

Bible's words that "the Son of God has come and has given us enlightenment to know the truth" refer to the knowledge of truth pertaining to God, the Spirit, and life. The opposite of truth is falsehood and deceit. One of the qualities of truth is that it uncovers falsehood, deceit, and lies, all of which are forged truths. Christ came after darken ages filled with deception and fraud, as in worships that proved to be from the works of the devil, who is considered to be the liar and the father of every liar, for he was a murderer of people from the beginning.[2]

The devil is the source of falsehood, or the expert at cheating and lying. So, it is unfair that a person be considered a liar or a cheater if we examine him carefully. This is why it is said that the person becomes enslaved to the devil when he carries out works of lies, cheating, or falsehood.

We believe that God's compassion toward man in general is because God knows that the devil is the source of evil, lies, and cheating. This is why we consider this verse, "the Son of God has come and has given us an understanding, that we may know Him who is true," is on man's side, and is considered a compassionate work of God toward mankind which had been truly enslaved to the devil throughout all these ages. Man was thus convicted for spiritual blindness, which made him an easy ride for the devil, to shut his eye to the truth. On the other hand, God's compassion toward man depends on the fact that God is truth, so if man is blinded to the truth, here God stands defending Himself, for He gives the person insight for the knowledge of truth.

We are now left with defining the word "insight." Even though it is analogous with vision, it is in fact pertaining to spiritual vision which does not pertain to man's eyes. Spiritual vision is a great gift, for insight is directly related to truth, and truth pertains to God. Here we enter logical brilliance, which is that God, in His abundant compassion, makes Himself known to man. This is the meaning of this wonderful verse, without which man would have remained in spiritual blindness, without hope in terms of the knowledge of truth, not only that, but also in terms of reality. This is because every reality falls in the range of the divine truth, which is God. It is true and just that the source of every truth and every reality is God. To Him be majesty, blessing and everlasting worship, He who is everlasting.

January 10, 2006

[2] John 8:44.

****

✞✞✞

Participation in His sufferings and His cross

Just as Mary, standing by while the Lord was crucified, wept and lamented because of the sting of her longing, and seemed to be crucified along with Him, so too the soul that has loved the Lord and taken up a zeal of ardent love, and hastens truly to be united to Christ her Bridegroom, ought to suffer together with His sufferings. She must ever hold before her eyes and remember His marks, which were borne for her sake, all that the impassible One suffered for her sake, how He who is above all chastisement was chastised for her sake, and how, "being in the form of God," He "took the form of a bondservant." Thus she must suffer with Him in all things, and be bound together with Him; for so shall she also be glorified together with Him.

Homily III.3.1.3.

****

ἐκ τοῦ ἁγίου Μακαρίου

Ὅν τρόπον Μαρία τοῦ κυρίου σταυρουμένου παρεστῶσα ἐδάκρυε κλαίουσα διὰ τὸ τοῦ πόθου κέντρον καὶ συσταυροῦσθαι ἐδόκει, οὕτω καὶ ψυχὴ ἡ ἀγαπήσασα τὸν κύριον καὶ ζῆλον φίλτρου ἀναλαβοῦσα καὶ σπεύδουσα ἐν ἀληθείᾳ συνάπτεσθαι τῷ ἑαυτῆς νυμφίῳ Χριστῷ ὀφείλει συμπάσχειν τοῖς παθήμασιν αὐτοῦ, πρὸ ὀφθαλμῶν ἀεὶ ἔχουσα καὶ μεμνημένη τῶν στιγμάτων αὐτοῦ τῶν δι᾽ αὐτὴν γενομένων, ὅσα δι᾽ αὐτὴν πέπονθεν ὁ ἀπαθής, καὶ πῶς δι᾽ αὐτὴν ἐκολάσθη ὁ πάσης ἀνώτερος κολάσεως, καὶ πῶς "ἐν μορφῇ θεοῦ" ὢν "μορφὴν δούλου" ἀνέλαβεν, καὶ οὕτως ἐν πᾶσι συμπάσχειν καὶ συνδεδέσθαι αὐτῷ· οὕτω γὰρ καὶ συνδοξασθήσεται.

SC 275, 86-87.

St. Mark *Monthly Review*
Published by: The Monastery of St. Macarius the Great, Wadi El-Natrun.
ANNUAL SUBSCRIPTIONS (10 issues a year, July& August excluded, sent by Int. Courier):
U.S. $150.00
Subscriptions to be paid through our Website as mentioned below, or sent by a check to:
"St Macarius Printing House", P.O. Box 1574, Centreville, VA 20122, USA.
No materials may be reproduced in whole or in part without written permission from the publisher.
© 2026
by the Monastery of St Macarius the Great.
Library of Congress Catalogue Card Number: 80–960629. ISSN 2805-2382
VISIT THE WEBSITE OF THE MONASTERY: WWW.STMACARIUSMONASTERY.ORG

ST. MARK September 2026

Monthly Review



This picture portrays Christians led to persecution in a building used for horse-racing in Rome during Nero's reign (first century). The small group of people huddled to the right of the arena seem to be of all ages. Most of them are kneeling in prayer, but one white-haired old man stands with his eyes lifted to heaven as he commits the souls of these innocent ones to the mercy of the God of love in whom he believes.

The painting is by Jean Leon Gerome (1824-1904).

مـــــرقس

رسالة الفكر المسيحي
للشباب والخُدّام

أكتوبر ٢٠٢٦



المسيح على عرش مجده في مجيئه الثاني

(أيقونة من القرن الثاني عشر الميلادي)

تُمثِّل الأيقونة المسيح جالسًا على عرش مجده، يحمله الشاروبيم، آتيًا على سحاب السماء بقوَّةٍ ومجدٍ كثير، ومُرسلًا ملائكته ببوقٍ عظيم الصوت ليجمع مُختاريه من الأربع الرياح من أقصاء السموات إلى أقصائها في يوم الدينونة الأخير.

مرقس

رسالة الفكر المسيحي للشباب والخُدَّام

السنة ٧٠ أكتوبر ٢٠٢٦م.

العدد ٦٧٧ توت / بابة ١٧٤٣ش.

المحتويات

الافتتاحية: كلمة قداسة البابا تواضروس الثاني:

احذر "العيون المُتعالية" (ب) ١

مقال للأب متى المسكين:

الروح القدس والشهادة للمسيح ٥

من أقوال الآباء:

الفضائل والشرور الناشئة من الإرادة الحُرَّة ٩

تعاليم آبائيَّة:

تجلِّيَّات الرحمة الإلهيَّة ١٦

أقوال نسكيَّة:

مفاعيل النعمة الإلهيَّة ٢١

من التراث الكنسي:

معرفة الله (٢٦) ٢٥

أسرار الحياة المقدَّسة (١):

«فَجَمِيعُ الَّذِينَ لَمَسُوهُ نَالُوا الشِّفَاءَ» ٣٠

بحث تاريخي:

التراث القبطي في مدينة الأقصر (٢) ٣٥

تقديم كتاب: رسائل خُرِّيُر..... ٤١

مقال بالإنجليزية:

I Am the Light of the World ٤٨

من تعليم آباء الكنيسة

للقدِّيس إيرينيئوس

وحدة إيمان الكنيسة وتطابُق التَّقليد الرسولي

(ترجمة النص اليوناني الآبائي المنشور في باطن الغلاف الأخير)

☸✝☸

[هذه الكرازة وهذا الإيمان إذ قد تسلَّمتهما الكنيسة، فإنها تحفظهما بعناية. فمع أنَّها منتشرةٌ في العالم كلِّه، لكن كأنَّها تسكن بيتًا واحدًا؛ وهي تؤمن بهذه الأمور على نحوٍ واحدٍ، إذ لها نفسٌ واحدةٌ وقلبٌ واحدٌ، وتكرز بهذه الأمور وتُعلِّمها وتُسلِّمها باتِّفاقٍ، إذ لها فمٌ واحدٌ.

فمع أنَّ اللَّهجات في العالم غيرَ مُتشابهة، لكن قوَّة التَّقليد هي واحدةٌ بعينها. فلا الكنائس المؤسَّسة في ألمانيا آمنت أو سلَّمت بطريقةٍ أخرى، ولا الكنائس في أسبانيا، ولا في بلاد الغال (فرنسا)، ولا الَّتي في الشَّرق، ولا في مصر، ولا في ليبيا، ولا الكنائس المؤسَّسة في وسط العالم؛ بل كما أنَّ الشَّمسَ، خليقةَ الله، واحدةٌ، وهي بعينها في العالم كلِّه؛ هكذا أيضًا كرازة الحقِّ تظهر في كلِّ مكان، وتُنير جميعَ النَّاس الَّذين يريدون أنْ يأتوا إلى معرفة الحقِّ].

(ضد الهرطقات ١: ١٠: ٢)

مرقس: يصدرها ديـر القديس أنبا مقار ـ برية شيهيت

مكتب التوزيع والاشتراكات

القاهرة: ٢٨ شارع شبرا

تليفون: ٢٥٧٧٠٦١٤

٠١٢٨٢٧٥٢٣٢٤

٠١٠٢٣٨٢١٣٨١

الإسكندرية: ٨ شارع جرين - محرم بك

تليفون: ٠٣٤٩٥٢٧٤٠

تصفَّح مجلة مرقس في موقع الدير على الإنترنت:

www.stmacariusmonastery.org

عنوان البريد الإلكتروني:

stmarkcare@gmail.com

رئيس التحرير: الأب سرجيوس المقاري

تسديد الاشتراكات:

عن طريق خدمة أورانج كاش

وفودافون كاش

الخاصة بأرقام تليفون المجلة

وهي:

٠١٢٨٢٧٥٢٣٢٤

٠١٠٢٣٨٢١٣٨١

وتبدأ سنة الاشتراك

في يناير من كل عام

مطبعة دير القديس أنبا مقار

ثمن النسخة ٢٠ جنيهًا

الاشتراك السنوي: حرٌّ ... حدُّه الأدنى:

٢٠٠ جنيه: داخل مصر (تسليم باليد)

٣٥٠ جنيهًا: في حالة الدفع عن طريق المُحصِّل

٣٠٠ جنيه: في حالة الدفع عن طريق:

خدمة أورانج كاش وفودافون كاش

١٥٠ دولارًا أمريكيًّا: في البلاد الأخرى

عنوان المراسلات:

ص. ب ٣١ شبرا ـ القاهرة

رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢١٧ / ٢٠٢٦

الترقيم الدولي: ISSN 2805-2382

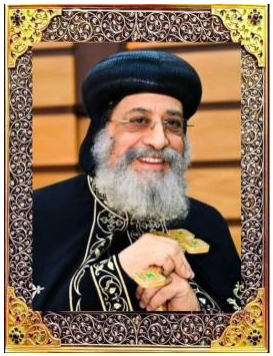
الافتتاحية

وصايا قصيرة جدًّا

احذر
"العيون المُتعالية"
(ب)

(أم ٦: ١٧)[١]

لصاحب القداسة
البابا تواضروس الثاني



ثالثًا: كيف يرى الله الإنسانَ المُتعالي؟ وكيف يتعامل معه؟

(١) كيف يرى الله الإنسانَ المُتعالي؟

يقول المزمور: «لأَنَّ الرَّبَّ عَالٍ وَيَرَى الْمُتَوَاضِعَ، أَمَّا الْمُتَكَبِّرُ فَيَعْرِفُهُ مِنْ بَعِيدٍ» (مز ١٣٨: ٦)، وفي سِفْر الأمثال يقول: «قَبْلَ الْكَسْرِ الْكِبْرِيَاءُ، وَقَبْلَ السُّقُوطِ تَشَامُخُ الرُّوحِ» (أم ١٦: ١٨).

الله يرى المُتعالي صاحب العيون المُتعالية منحدرًا ساقطًا لأسفل، مثله مثل الشيطان الذي يُحارب الناس ليصيروا مثله في الشرّ. فالشيطان سقط بسبب كبرياء ذاته المُتعالية. يقول عنه السيِّد المسيح: «رَأَيْتُ الشَّيْطَانَ سَاقِطًا مِثْلَ الْبَرْقِ مِنَ السَّمَاءِ» (لو ١٠: ١٨).

وفي تسبحة أُمِّنا العذراء، تقول: «أَنْزَلَ الأَعِزَّاءَ عَنِ الْكَرَاسِيِّ وَرَفَعَ الْمُتَّضِعِينَ» (لو ١: ٥٢). هذا عمل الله الذي يرى فيه الإنسان المُتعالي.

وقد سبق إشعياء بقوله: «كَيْفَ سَقَطْتِ مِنَ السَّمَاءِ يَا زُهَرَةُ بِنْتَ الصُّبْحِ؟ كَيْفَ قُطِعْتَ إِلَى الأَرْضِ يَا قَاهِرَ الأُمَمِ؟ وَأَنْتَ قُلْتَ فِي قَلْبِكَ: أَصْعَدُ إِلَى السَّمَوَاتِ. أَرْفَعُ كُرْسِيِّي فَوْقَ كَوَاكِبِ اللهِ، وَأَجْلِسُ عَلَى جَبَلِ الاِجْتِمَاعِ فِي أَقَاصِي الشَّمَالِ. أَصْعَدُ فَوْقَ مُرْتَفَعَاتِ السَّحَابِ. أَصِيرُ مِثْلَ الْعَلِيِّ. لكِنَّكَ انْحَدَرْتَ إِلَى الْهَاوِيَةِ، إِلَى أَسَافِلِ الْجُبِّ» (إش ١٤: ١٢ – ١٥)، والكتاب المقدَّس يقول: «مَنْ يَظُنُّ أَنَّهُ قَائِمٌ، فَلْيَنْظُرْ أَنْ لَا يَسْقُطَ» (١كو ١٠: ١٢).

لقد تكلَّمنا عن هامان وكيف أنه رجع إلى بيته حزينًا مُغطَّى الرأس نائحًا، وشعر أهله وأحبَّاؤه أنهم أمام قوَّةٍ عظيمة خفيَّة عملت عكس ما خطَّطوا له، وصغروا في أعين أنفسهم.

فقالت له أسرته وحُكماؤه: «إِذَا كَانَ مُرْدَخَايُ الَّذِي ابْتَدَأْتَ تَسْقُطُ قُدَّامَهُ مِنْ نَسْلِ الْيَهُودِ، فَلَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ بَلْ تَسْقُطُ قُدَّامَهُ سُقُوطًا» (أس ٦: ١٣). في الحقيقة، إنه لم يسقط

(١) الجزء الأول من هذا المقال تمَّ نشره في افتتاحية مجلة مرقس، عدد يونية ٢٠٢٦م.

أمام مردخاي، بل سقط أمام إله مردخاي.

(٢) كيف يتعامل الله مع المُتعالي؟

الله يهمُّه سلامة أولاده من التَّعالي والكبرياء المُهلِكة للنفس، لذلك فهو بالتجارب والضيقات أو بالآلام والأمراض، يحمي نفوسهم حتى لا يضرَّهم شعور التَّعالي الذي يحيون فيه.

أمثلة على ذلك:

١ – أيوب الصِّدِّيق:

سمح الربُّ أن يتعرَّض أيوب للفقر والمرض وموت أولاده وتحقير أصدقائه له، حتى لا يكون «بَارًّا فِي عَيْنَيْ نَفْسِهِ» (أي ٣٢: ١). لقد أراد الربُّ أن يُنقِّيه من هذا التَّعالي، فسمح له بالفقر وبالمرض حتى لا يكون بارًّا في عينَي نفسه. وفي آخر السِّفْر يقول أيوب عن الله: «بِسَمْعِ الأُذُنِ قَدْ سَمِعْتُ عَنْكَ، وَالآنَ رَأَتْكَ عَيْنِي» (أي ٤٢: ٥).

إنَّ العيون المُتعالية لا ترى الله، ولا ترى عظمة الله، ولا تُقدِّم مجدًا لله.

٢ – داود النبي:

صاحب المواهب ورجل الحرب، عندما رأى مملكته اتَّسعت وانتصر في حروبٍ كثيرة، أراد أن يعرف قوَّته ويفتخر بها، فطلب من رئيس جيشه القيام بإحصاء الشعب، ونَسِيَ أنَّ الله وحده هو سبب انتصارهم، ونَسِيَ أن الشعب هو شعب الله. فالله وحده هو الذي يُباركهم، ولا يصحُّ أن يسرق أحدٌ مجد الله.

أراد رئيس جيشه أن يثني داود عن رغبته في إحصاء الشعب، ونبَّه الملك إلى خطورة عَدِّ الشعب، فهذا يحمل كبرياء؛ ولكن داود لم يسمع لنصيحته، وأصرَّ بشدَّة على تنفيذ أمره.

فعادوا إليه وقدَّموا تقريرًا بنتائج الإحصاء، إلَّا أنَّ داود شعر بخطئه ونَدِم على الأمر، وتوسَّل للربِّ أن يغفر له خطأه. وفي صباح اليوم التالي، جاءه جاد النبي برسالةٍ من الربِّ تُخيِّره بين ثلاث عقوبات، عليه أن يختار عقوبة منها:

١. تكون مجاعة في الأرض ٧ سنين.
٢. يُطارده أعداؤه مدة ٣ شهور وهو هاربٌ أمامهم.
٣. يضرب الربُّ الشعبَ بالوبإ ٣ أيام.

وبعد تفكيرٍ، اختار داود العقوبة الأولى أو الثالثة التي يكون فيها تحت رحمة الله ولا

يكون فيها تحت رحمة أعدائه. فنفَّذ الربُّ العقوبة الثالثة وهي: "الوبأ" وأهلك بالوبإ ٧٠ ألفًا من جميع الأسباط، وكانت هذه العقوبة لعلاج مشكلة كبرياء داود (٢صم ٢٤).

ولكن، ماذا عن المُتعالي الذي يظلُّ على تعاليه، رغم التجارب والضيقات التي يتعرَّض لها؟

يقول الكتاب: «تُوضَعُ عَيْنَا تَشَامُخِ الإِنْسَانِ، وَتُخْفَضُ رِفْعَةُ النَّاسِ، وَيَسْمُو الرَّبُّ وَحْدَهُ فِي ذلِكَ الْيَوْمِ. فَإِنَّ لِرَبِّ الْجُنُودِ يَوْمًا عَلَى كُلِّ مُتَعَظِّمٍ وَعَالٍ، وَعَلَى كُلِّ مُرْتَفِعٍ فَيُوضَعُ، وَعَلَى كُلِّ أَرْزِ لُبْنَانَ الْعَالِي الْمُرْتَفِعِ، وَعَلَى كُلِّ بَلُّوطِ بَاشَانَ» (إش ٢: ١١ – ١٣).

مثال: فرعون ملك مصر:

الربُّ أغرقه في البحر وكلَّ جنوده، لأنه لم يتراجع عن تعاليه وكبريائه رغم الضربات العشر التي وقعت عليه.

رابعًا: علاج العيون المُتعالية:

عندما تمرض العين الجسديَّة نذهب لطبيب العيون، ولكن ماذا عن تصحيح النظر للعين الروحيَّة، للعيون المُتعالية؟

العلاج يتلخَّص في أمرين:
١. النظر إلى أعلى؛ ٢. النظر إلى أسفل.

١. النظر إلى أعلى:

اجعل عينيك دائمًا تنظران إلى الله: «جَعَلْتُ الرَّبَّ أَمَامِي فِي كُلِّ حِينٍ، لأَنَّهُ عَنْ يَمِينِي فَلَا أَتَزَعْزَعُ» (مز ١٦: ٨).

يقول الكتاب: «فَوْقَ الْعَالِي عَالِيًا يُلَاحِظُ» (جا ٥: ٨). لتتذكَّر العين المُتعالية مَنْ هُمْ أعلى منها.

لقد حاربت أفكار العظمة القدِّيس إيسيذوروس قس الإسقيط، فكان يُجيبها قائلًا: "ألعلِّي مثل أنبا أنطونيوس، أو أصبحتُ مثل أنبا بولا؟". وإذ كان يقول ذلك يستريح فكره.

بعينيك تستمدُّ القوَّة من الله، فاجعل عينيك دائمًا على شخص المسيح، اجعلهما لا تريان إلَّا يد المسيح وصليب المسيح.

اجعل نظرك دائمًا مرتفعًا إلى فوق، واجعل عينيك دائمًا مرفوعتين بصلواتك. افتح قناةً بينك وبين مسيحك في صلواتك وفي إنجيلك وفي حياتك الروحيَّة.

انظر إلى اختيارات القدِّيسين العالية فتشعر بالاتِّضاع، انظر إلى القامات العالية، مثل: قامة "أُمِّنا العذراء مريم" أو "قامات الآباء الرُّسُل والقدِّيسين مثل بطرس وبولس". فلو أي خادم أو أي إنسان في حياته المسيحيَّة ينظر إلى هذه القامات العالية، فسوف يجد نفسه صغيرًا جدًّا، فيحمي نفسه من هذه العيون المُتكبِّرة.

٢. النظر إلى أسفل:

كلمة النظر إلى أسفل تعني النظر إلى التراب. والتراب الذي نسير عليه، كان في وقتٍ من الأوقات بشرًا؛ ولأن الإنسان من ترابٍ وإلى ترابٍ يعود، امتلأت الدُّنيا بالتراب، وهذا التراب لا قيمة له.

لتتذكَّر العين المُتعالية قول الرب لآدم: «لأَنَّكَ تُرَابٌ، وَإِلَى تُرَابٍ تَعُودُ» (تك ٣: ١٩).

لا تنسَ بدايتك وتذكَّر نهايتك: كيف كان هناك مَنْ هم كانوا أفضل منك في المال والحياة والسُّلطة، لكن أين هم الآن؟ كلُّهم في التراب! اعرف حقيقة نفسك، تذكَّر ضعفاتك!

من التقاليد الديريَّة الجميلة أن قلالي الآباء الرهبان بابها منخفض لكي ينحني الراهب وهو داخل أو خارج من القلاية. وانحناؤه لكي ينظر التراب، وعندما يرى التراب يتذكَّر أنه من تراب وعليه أن يحمي نفسه من كلِّ كبرياء.

احفظ نفسك واحفظ حياتك، لكي تكون لك العيون المُتَّضعة.

ويقول القدِّيس مار يعقوب السروجي: "السِّراج الصغير إذا التقَى نوره بالشمس الساطعة، فإنه ينطمس وينحجب من النهار ... إبراهيم عندما تفرَّس في الله، دعا نفسه ترابًا ورمادًا مع أنه بارٌّ ... عندما ينظر الغَني غنيًّا أعظم منه، ينظر ذاته كمسكين فلا يسقط في العظمة".

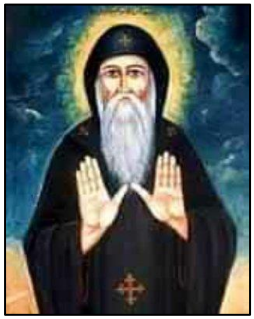
لا تغترَّ بقوَّتك أو مركزك، لأن الإنسان ضعيفٌ بطبعه، والله هو مصدر القوَّة فاشكره، واستخدمها لمجده، ولا تتكبَّر على غيرك.

ارفع قلبك باستمرار واطلب من ربِّنا أن يُعطيك العيون المُنكسرة: «القلب المُنكسِر لا يُرذله الله» (مز ٥٠: ١٧ قبطي). والقلب المُنكسر يُقصَد به العين المُنكسرة، العين المُتَّضعة التي لا ترى سوى الله فقط، وتنظر وتزداد اتِّضاعًا كلَّ يوم.

البابا تواضروس الثاني
بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسيَّة

مقال للأب متى المسكين

الروح القدس والشهادة للمسيح



- **عظة أُلقيت ليلة الاحتفال بذكرى عودة رفات القدِّيس أنبا مقار إلى ديره ببريَّة شيهيت، وذلك بكنيسة القدِّيس أنبا مقار بديره العامر ببريَّة شيهيت، منتصف ليلة ٢٤/ ٢٥ أغسطس سنة ١٩٧٣م الموافق ١٨/ ١٩ مسرى سنة ١٦٨٩ش.**

القدِّيسون شهودٌ للمسيح:

الكنيسة الأرثوذكسيَّة تضع القدِّيسين في موضعٍ هامٍّ جدًّا من إيمانها، وتُركِّز بشدَّةٍ واهتمام على دورهم الخطير في بناء التراث الروحي للشعب.

والقدِّيسون، إمَّا شهداء ماتوا وكان موتهم شهادةً للإيمان بالمسيح، وإمَّا عُبَّاد عاشوا وكانت حياتهم شهادةً أيضًا للإيمان بالمسيح. أي على كِلَا الحالين، نجد أنَّ القدِّيسين شهودٌ للإيمان سواء بموتهم أو بحياتهم.

الشهادة للمسيح هي أعلى عمل يمكن أن يقوم به إنسان مؤمن بالمسيح. والشهادة للمسيح هي أصلًا عمل الروح القدس: «رُوحُ الْحَقِّ، الَّذِي مِنْ عِنْدِ الآبِ يَنْبَثِقُ، فَهُوَ يَشْهَدُ لِي. وَتَشْهَدُونَ أَنْتُمْ أَيْضًا لأَنَّكُمْ مَعِي مِنَ الابْتِدَاءِ» (يو ١٥: ٢٦ و٢٧). لذلك يستحيل على أيِّ إنسانٍ أن يشهد للمسيح إلَّا إذا كان على مستوى الروح القدس، أي يكون مُمتلئًا من الروح القدس فكرًا وعملًا.

المسيح أرسل الروح القدس من عند الآب يوم الخمسين، فبدأت الشهادة للمسيح منذ تلك اللحظة ولم تتوقَّف حتى هذه الساعة، بدأت بالرُّسُل والتلاميذ، ثم استمرَّت على مستوى الآباء القدِّيسين في الكنيسة، سواء الذين حملوا نِير الشهادة بالخدمة الرعائيَّة من بطاركة وأساقفة، أو الذين آثروا خدمة الربِّ بحياتهم وأعمالهم يومًا بعد يوم.

وهكذا يتَّضح لنا أن تدبير الروح القدس في تقديم الشهادة للمسيح لم يتوقَّف قط على طول الزمان. فكما شهد التلاميذ الأوائل الاثنا عشر للمسيح الذي مات أمام عيونهم وقام تحت أبصارهم؛ هكذا ظلَّت الشهادة للمسيح بواسطة القدِّيسين في كلِّ زمانٍ حتى اليوم. وفي هذا يؤكِّد الروح القدس أنَّ المسيح هو هو أمسًا واليوم وإلى الأبد، وذلك بواسطة تواتر الشهادة له قولًا وعملًا بأمانة الحياة له وباستعداد سَفْك الدم على اسمه في أيَّة لحظة!

كيف يشهد القدِّيسون للمسيح بحياتهم؟

معروفٌ أنَّ القدِّيس لا يريد أن تشتهر حياته أو تُعرَف أعماله قط، وهو يُجاهد أكثر ما يُجاهد أن تظلَّ حياته وأعماله مخفيَّة عن عيون المادحين والمُتملِّقين، لئلَّا يُفسِد عمل المسيح. ولكن، وفي نفس الوقت، وبعملٍ مضادٍّ تمامًا، يعمل الروح القدس لإشهار كلِّ عملٍ وكلِّ قولٍ وكلِّ فضيلةٍ تؤول إلى الشهادة للمسيح. لأنه «لَا يُمْكِنُ أَنْ تُخْفَى مَدِينَةٌ مَوْضُوعَةٌ عَلَى جَبَلٍ، وَلَا يُوقِدُونَ سِرَاجًا وَيَضَعُونَهُ تَحْتَ الْمِكْيَالِ» (مت ٥: ١٤ و١٥).

وإن كانت تظهر في هذا مُضادَّة بين عمل الإنسان وعمل الروح القدس؛ ولكن تختفي هذه المُضادَّة في الحال، إذا علمنا أنَّ الروح القدس إنما يُظهِر أعمال القدِّيسين وسيرتهم وفضائلهم **للمُختارين فقط** من أولاد الله، الذين عندما تتكشَّف لهم أعمال القدِّيسين، يزدادون غيرة وتقوى، ويُمجِّدون الآب الذي في السموات.

وهكذا نرى أنَّ الروح القدس لا يزال يُعتَبَر في الكنيسة أنه هو المسؤول الوحيد أو المسؤول الرسمي للشهادة للمسيح، سواء في الخُدَّام والمُرسَلين، حينما ينطق الحقَّ في أفواه المُتكلِّمين، ويهدي أقدامهم إلى مواطن الكرازة المستحقَّة؛ أو في العُبَّاد والقدِّيسين حينما يُحوِّل أعمالهم وفضائلهم إلى شهادةٍ نافعةٍ للكنيسة.

لذلك بينما يعتقد القدِّيس أنه يسعى في الخفاء ليُخلِّص نفسه بعيدًا عن كلِّ التيَّارات المُعاكسة للخلاص وفي غيبةٍ عن عيون الناس، ويتمادى في البُعد عن العالم واختيار الأعمال الحقيرة وغير المنظورة؛ إذ بنا نجد أنَّ الروح القدس، وبعد أن يُكمِل كلَّ رفقته ومسيرته مع هذا القدِّيس، وبعد أن يهبه كلَّ ما يطلبه لخلاص نفسه، ويسهِّل له كلَّ شهوة قلبه في الاختفاء والبُعْد والسلوك بمسلك المسكنة والاتِّضاع؛ يعود الروح القدس بنفسه، فيكشف كلَّ أعمال هذا القدِّيس التي أكملها له الروح القدس في الخفاء، وتمَّت ونضجت تحت إرشاده الخاص، ويُقدِّمها لتكون شهادةً فاخرة للمسيح!!

وهكذا لا يمكن أن يتمَّ عملٌ صالحٌ لحساب المسيح على الأرض في أيِّ وقتٍ من الأوقات، إلَّا ويتولَّى الروح القدس صياغته وتقديمه للعالم، شهادةً للمسيح ولمجد الآب. وكلُّ القصد من ذلك، هو أن يؤكِّد الروح القدس للعالَم وجود المسيح في صميم الكنيسة بصورةٍ واقعيةٍ وفعَّالة. لأن الروح القدس إنما يكشف المسيح الحيَّ في قدِّيسيه.

فوظيفة الروح القدس الأساسيَّة على الأرض هي الشهادة للمسيح، **ووسيلته** المحبوبة دائمًا هم القدِّيسون الرافضون لمجد هذا العالم وأباطيله!!

حياة القدِّيس أنبا مقار كشهادة للمسيح:

من الأمور المُلفتة للنظر دائمًا في الكتاب المقدَّس، أنَّ الأشخاص الذين تقع عليهم مسؤوليَّة الشهادة لله – بصورةٍ ممتازة – نجد ميلادهم يأتي غالبًا بطريقةٍ إعجازية فائقة للطبيعة. هذا نراه بوضوح من حياة إبراهيم وسارة في ميلاد إسحق بعد عُقمٍ شامل، حيث من إسحق صار الوعد ببركة كلِّ الشعوب. كذلك في ميلاد يوسف من راحيل، وميلاد صموئيل النبي من حنَّة، وميلاد يوحنا المعمدان من أليصابات. وكأنما يجيء الميلاد الفائق للطبيعة ليُهيِّئ صاحبه أيضًا ليكون شاهدًا بأعمالٍ وحياةٍ فائقين للطبيعة!!

هكذا نجد القدِّيس أنبا مقار يولَد بعد عُقمٍ وشيخوخة من أبٍ كان يُدعَى إبراهيم وأُمٍّ تُدعَى سارة أيضًا، آية وإشارة للنِّير المُزمع أن يضعه الله على كتفَي القدِّيس، بأن يكون أبًا لنسلٍ روحانيٍّ لا يُعَدُّ ولا يُحصَى، ولأجيالٍ عديدة لا تنقطع خمسة عشر قرنًا حتى الآن.

وفي سيرة أنبا مقار لا نواجه – في الحقيقة – أعمالًا نُسكيَّة فائقة للطبيعة مثل سميه الإسكندراني مثلًا، ولكن نواجه نعمةً فائقةً للطبيعة بكلِّ تأكيد.

فمنذ بكور حياة هذا القدِّيس، وهو شاب، ظهر له واحدٌ من الشاروبيم عيانًا بكلِّ وضوح بصورة إنسانٍ بهيٍّ مُنير كالبرق، بأجنحة وعيون متلألئة كالجواهر. وهذه هي أول مرَّة على مدى التاريخ الكنسي كلِّه نسمع بظهور الشاروبيم على وجه التحديد من بعد ظهوره في رؤيا حزقيال وفي سِفْر المزامير كحاملٍ لعرش الله.

ولكن في سيرة أنبا مقار، لا يأتي الشاروبيم كمجرَّد رؤيا، وإنما يأتي كقوَّةٍ إلهيَّةٍ مُعزِّيةٍ ومُرافقة. فقد رافقه كلَّ أيام حياته حتى لحظة نياحته. وهذا إنما يجعلنا نضع سيرة أنبا مقار وأعماله موضعًا خاصًّا من جهة التدبير الإلهي، إذ قد تعيَّن هذا القدِّيس – بصورةٍ فائقة للطبيعة – أن

يؤدّي رسالةً روحيَّة في الكنيسة كقائدٍ ومُعلّمٍ على أعلى مستوى من البصيرة والإلهام.

أمَّا الشهادة التي استطاع أن يُقدِّمها الروح القدس للكنيسة ولحساب المسيح من صميم حياة القدِّيس أنبا مقار الخاصَّة، فهي قدرة هذا القدِّيس على جمع عددٍ لا يُحصَى من النفوس في أخويَّة مسيحيَّة فائقة الانسجام والأُلفة، بالرغم من تبايُن طبائعها ومشاربها.

فقد استطاع الروح القدس، عن طريق أُبوَّة هذا القدِّيس، أن يسقي هذه الجماعات الكثيرة التي كانت تُعَدُّ بالألوف، روحًا واحدًا من القداسة والاتِّضاع والقناعة المُذهلة، ارتفعت إلى مستوى البشارة والتأثير في كلِّ أقطار العالم، حتى اجتذبت بريَّة شيهيت أنظار العالم كلِّه إلى عدَّة قرونٍ متتالية، صائرة مركز بشارة حيَّة بإنجيل المسيح بصورةٍ مُعاشة على مستوى نماذج فائقة الكمال.

هذا هو القدِّيس أنبا مقار الذي تغرَّب يومًا عن قريته "شبشير" وتوغَّل في الصحراء القَفِرة المُوحشة، ليعيش مع المسيح في عُزلةٍ كان يظنُّ أنه لن يراه فيها أحد ولن يسمع به صديق أو قريب، وأنه إنما اقتنى صداقة الروح القدس والشاروبيم ليُكمِّل وصايا المسيح لخلاص نفسه فحسب؛ وإذ بالروح القدس الذي عزَّاه وعيَّن له أحد الشاروبيم الذي اقتاده في بدء حياته، يعود بعد نُضج الأيام واكتمال الفضيلة، ويُرسِل له ألوف النفوس التي تسعى للخلاص والحياة الأبديَّة من كلِّ أقطار الأرض. فعزَّاها بالعزاء الذي اقتناه بالروح القدس واقتادها بقوَّة الشاروبيم الذي قاده حتى أوصل الجميع إلى ميناء الخلاص.

ولا تزال هذه الروح القدِّيسة العملاقة تُثبت وجودها على ممرِّ السنين والأيام، تعمل عملها بحسب الوعد الإلهي، ضمن سحابة الشهود العظيمة التي نحيا في ظلّها مُتشجِّعين حتى نُكمِل شهادتنا كما أكملوا.







الفضائل والشرور النَّاشئة من الإرادة الحُرَّة

العظة الثانية للقدِّيس أنبا مقار

من المجموعةالأُولى[١]



علامات النَّفس الَّتي تُثمر فيها كلمةُ الله:

١: ١ إنَّ علامات الَّذين يسمعون كلمة الله ويصنعون ثمرًا صالحًا في أنفسهم، هي هذه: التَّنهُّد، والدُّموع، واليقظة، والصَّمت، والحزن، والمُثابرة، والسُّكون، وإحناء الرَّأس، والبكاء الأليم، وتعب القلب الَّذي يحدث من أجل التَّقوى.

وأمَّا أعمالهم فهي: السَّهر والتَّعفُّف، والصَّوم، والوداعة، وطول الأناة، والصَّلاة بلا انقطاع، والتَّأمُّل في الكُتب الإلهيَّة، والإيمان، والتَّواضع، ومحبَّة الإخوة، والتَّعب، واحتمال المشقَّات، والمحبَّة، والخضوع، والصَّلاح، والاحتشام، والنُّور كلُّه، الَّذي هو الرَّبُّ.

علامات النَّفس الَّتي لا تُثمر فيها كلمةُ الله:

١: ٢ وأمَّا علامات الَّذين لا يصنعون ثمرَ الحياةِ الأبديَّةِ، فهي هذه: الضَّجر، والتَّشتُّت، وحيدان النَّظر، والطَّياشة، والتَّذمُّر، والرُّعُونَة: وهو اسم طائر النَّوْرَس إذ هو أهوج ومتهوِّر في حركته.

وأمَّا أعمالهم فهي: النَّهَم، والخلاعة، والغضب، والسَّخط، والنَّميمة، والانتفاخ، والكبرياء، وعدم الإيمان، والكلام في غير أوانه، والاضطراب، والنِّسيان، والقلق، والجشع، ومحبَّة الفِضَّة، والغَيرة، والحسد، والازدراء، والثَّرثرة، والضَّحِك في غير أوانه، واشتهاء المجد، والظُّلمة كلُّها، الَّتي هي الشَّيطان.

---

(١) تمَّ ترجمة هذه العظة "**عن الفضائل والشُّرور النَّاشئة من الإرادة الحرَّة، وعن شجرة الحياة وشجرة معرفة الخير والشَّرِّ**" عن الأصل اليونانيِّ المنشور في:

Makarios/ Symeon Reden und Briefe, Die Sammlung I Des Vaticanus Graecus 694 (B), Die griechischen christlichen Schriftsteller, Heinz Berthold, Sermones 2-29: vol. 1, Berlin 1973.

أصل الشَّيطان وسقوطه بالعصيان:

٢: ١ سؤال: ما هو الشَّيطان، وبماذا أخطأ قبلًا حتى صار شيطانًا؟

٢: ٢ جواب: إنَّه روحٌ عاقلٌ، موجودٌ في العالم، يتكلَّم بأمورٍ شرِّيرة؛ وبسبب شرِّه الخاصِّ وإرادته المُظلمة، صار مُظلمًا. ولكن ينبغي أن نفهم الكُتب المقدَّسة بصورةٍ أكثر سرِّيَّةً وعمقًا؛ فإنَّه قبل أن يُخلَق آدم، تعدَّى وصار شيطانًا، إذ لم يُرِد أنْ يصنعَ مشيئةَ الله.

٢: ٣ فقد قيل: «كيف سقط من السَّماء كوكبُ الصُّبح؟» (إش ١٤: ١٢ س)، ويقول الرَّسول أيضًا: «لأنَّ الخطيَّة كانت في العالم قبل النَّاموس» (رو ٥: ١٣)، داعيًا إيَّاه "خطيَّةً"، إذ صار رئيسَ الخطيَّة ومخترعَها.

ثُمَّ، حينما يروي أيضًا سقوط الإنسان، يقول: «لِأَنَّ الْخَطِيَّةَ، وَهِيَ مُتَّخِذَةٌ فُرْصَةً بِالْوَصِيَّةِ، – أَيِ الوصيَّة الَّتي وُضعت لآدمَ – خَدَعَتْنِي بِهَا وَقَتَلَتْنِي» (رو ٧: ١١).

ثمَّ يُتابع قائلًا: «إِذًا النَّامُوسُ مُقَدَّسٌ، وَالْوَصِيَّةُ مُقَدَّسَةٌ وَعَادِلَةٌ وَصَالِحَةٌ. فَهَلْ صَارَ لِي الصَّالِحُ مَوْتًا؟ حَاشَا! بَلِ الْخَطِيَّةُ. لِكَيْ تَظْهَرَ خَطِيَّةً مُنْشِئَةً لِي بِالصَّالِحِ مَوْتًا، لِكَيْ تَصِيرَ الْخَطِيَّةُ خَاطِئَةً جِدًّا بِالْوَصِيَّةِ» (رو ٧: ١١).

كبرياء الشَّيطان وتمرُّده على المجد الإلهيِّ:

٢: ٤ وهكذا، كانت الخطيَّة موجودةً سابقًا – أي الشَّيطان – ثمَّ أيضًا، بسبب عداوته ومكره وحسده للإنسان، أُظهِرَت الخطيَّةُ إلى أقصى حدٍّ. فإنَّه كان قبل ذلك عظيمًا ومجيدًا، ومُستندًا إلى نوعٍ من الرِّئاسة في المجدِ الملائكيِّ، حتَّى اشتهى أنْ يصيرَ إلهًا، فمضى في التَّمرُّد على المجد الإلهيِّ، كما هو مكتوب: "الرَّئيس الأثيم يشتهي أنْ يكون إلهًا".

ولذلك أُلقِيَ إلى الأرض مطروحًا مع الشَّياطين المتَّفقين معه في الرأي والخاضعين له.

حسد الشَّيطان للإنسان وعداوته له:

٢: ٥ فلمَّا أُلقِيَ وأُقصِيَ من الصُّفوف العُلويَّة، وسقط من الاهتمام السَّماويِّ، لم يُقْبِل إلى التَّوبة، ولم يأتِ إلى الطَّاعة الصَّالحة، لكي يستعطفَ السَّيِّدَ بالتَّضرُّع، حتَّى يعود مرَّةً أخرى إلى كرامته الأولى؛ بل تقدَّم في شرِّه الخاصِّ، وأضمر الحسدَ ضدَّ الإنسان، لأنَّه كان موجودًا على صورة الله، وبعد أن جُبل من الأرض، صار سيِّدًا على جميع الأشياء المنظورة.

إغواء الإنسان وإسقاطه من مجده:

٢: ٦ ولذلك أيضًا اقترب منه (الشيطان) بمكر، واعدًا إيَّاه بأنْ يصير إلهًا بواسطة الأكل من الشَّجرة الَّتي منَعَه الله منْ أنْ يأكلَ منها. وهكذا، بواسطة مثل هذا الوعد، اجتذب الإنسان إلى أسفل من مجده السَّابق، وأخذه تحت سلطانه الخاصِّ، وهكذا جعله خاطئًا.

٢: ٧ وأمَّا هو نفسه، فقد صار أكثر خطيَّةً بإفراطٍ، وقد أُظهر كذلك باهتمامه بالأرضيَّات وبفكره المُتكبِّر، واشتهى أن يغتصب بالمكيدة الكرامة السِّيَادِيَّة الَّتي أُعطيت للإنسان في العالم.

فلمَّا طُرح مِن العُلا بسبب ما سبق ذكرُه، ثمَّ خدع أيضًا الإنسان؛ تُرك (الشَّيطان) لأجل تدبيرٍ آخر، بسبب كونه خليقةً خلقها الرَّبُّ.

تدبير الله في إبقاء الشَّيطان لاختبار البشر وتزكية القدِّيسين:

٢: ٨ فكما أنَّ الحديد الصُّلب، إذ لا يصلح لأنْ يصير إناءً نافعًا، يُصنع سِنْدانًا، لكي تُصنع بواسطته أوانٍ أخرى وتُكمَّل؛ إذ يقول أيضًا في سِفْر أيُّوب عن الشَّيطان: «ووقف كسِنْدانٍ لا يلين» (أي ٤١: ١٦ س)؛ هكذا أيضًا، فإنَّ الشِّرِّير لم يُحكَم عليه فورًا منذ ذلك الحين إلى الجحيم، بل بعد أنْ خدع الإنسان، تُرك لأزمنةٍ وأوقاتٍ معيَّنة لكي يَختبر ويُمرِّن كلَّ الخليقة البشريَّة، لكي يُعرَف، بعد أنْ يُختبَر بواسطته، اختيارُ النَّاس الحُر: مَن هم الَّذين، إذ أحبُّوا الله، لم يقبلوا الشَّركة مع الشَّيطان، بل احتملوا أيضًا كلَّ تجربة واقعة عليهم بواسطته، وأرْضَوا الله بالأكثر، كما اتَّضح من القدِّيسين المذكورين في الكُتب المقدَّسة.

وصيَّة الله لآدم وشجرة معرفة الخير والشَّرِّ:

٢: ٩ ولذلك أيضًا قيل لآدم منذ البدء مِن قِبَل الله: «مِنْ جَمِيعِ الشَّجَرِ الذي فِي الفِرْدَوس تَأْكُلُ أَكْلاً؛ وَأَمَّا مِنْ شَجَرَةِ مَعْرِفَةِ الْخَيْرِ وَالشَّرِّ، فَمِنْهَا وَحْدَهَا لَا تَأْكُلْ؛ لأَنَّك يومَ تَأْكُلُ مِنْهَا، موتًا تَمُوتُ» (تك ٢: ١٦ – ١٧ س)، بمعنى أنَّه كان هناك بالفعل شيءٌ ما لا ينبغي له أنْ يتذوَّقَ منه.

فإنَّ الله، بسبب اعتنائه المُسبَق بالإنسان، قد وضع له الوصيَّة من أجل الحياة؛ لأنَّ الكلام الكتابيَّ، بحسب المعنى الأكثر سرِّيَّة، يحمل مثل هذا الفكر: إنَّ أشجار الفردوس العقليِّ يُفهَم منها القُوَى المقدَّسة العاقلة، وكذلك تلك الشَّجرة نفسها، شجرة معرفة الخير والشَّرِّ؛ وقد مُنع من قِبَل الله من هذه الشَّجرة، لئلَّا يشترك فيها على الإطلاق؛ وأمَّا جميع الأشجار الأخرى، فكان له أن يكون شريكًا وصديقًا ومُتحادثًا معها.

المعنى الرُّوحي لشجرة معرفة الخير والشَّرّ:

٣: ١ سؤال: ألم تكن، إذًا، شجرة المعرفة هي الشَّيطان؟

جواب: يُفهم هذا أيضًا على وجوهٍ مختلفة. فإنَّ الشَّجرة كانت شجرةً منظورة، كواحدة من الأشجار الأخرى، وكان الفردوس أيضًا منظورًا؛ لكن الأمور المنظورة هي مثالٌ للأمور غير المنظورة.

٣: ٢ فكما أنَّ لكلٍّ واحدٍ منَّا إنسانَين: أحدهما الَّذي للجسد، والآخر الَّذي للنَّفس؛ هكذا أيضًا كان الإنسان المنظور يتنعَّم في الفردوس المنظور، بينما كان الإنسان الخفيُّ في القلب يتمتَّع في الفِردوس العقليِّ غير المنظور الخاصِّ بالملائكة القدِّيسين.

٣: ٣ فكانت إذًا شجرةً منظورة، تلك الَّتي مُنع الإنسان مِن قِبَل الله أنْ يأكلَ منها. فإنَّه بعد ما أقامه الله سيِّدًا على جميع الأمور المنظورة، أمره بخصوص شجرةٍ واحدة، بحسب تدبيرِه، ألَّا تكون له سيادة عليها، تذكيرًا له بكرامة سيِّده، لكي يعرف أنَّ خالقه أعظم منه، ولئلَّا يأتي، بسبب السُّلطان الَّذي سُلِّم إليه، إلى الغرور، ويظنُّ أنَّه إله.

العصيان ودخول الموت إلى الإنسان:

٣: ٤ فقد أُعطيت له إذًا «الوصيَّة للحياة» (رو ٧: ١٠)، كما كُتب؛ لكن كانت هناك كلمةٌ قد أهلكته وجعلته يعصي الله. وقد تَرك كلمة الله، وسَمِع كلمةَ الشِّرِّير، وخَضَع لها وأَكَل من الشَّجرة، فهلك.

فالَّذي كَلَّمَهُ بواسطة الحيَّة قد امتزج بالثَّمرة، وأَدْخَل إليه «الموت، الَّذي هو اهتمام الجسد» (رو ٨: ٦)، كما كُتب؛ وهكذا زُرع مِن قِبَل العدوِّ زوانُ الأهواء (مت ١٦: ٢٨) في النَّفس وفي الجسد.

كلمة الله تُحيي
وكلمة الشِّرِّير تُميت:

٣: ٥ فكما أنَّ خبز "الإفخارستيَّا" وهو المثال المُقابل لجسد المسيح، يتقدَّس بالكلمة، فيكون هو نفسه الحياة، وهو نفسه جسدَ الرَّبِّ، للَّذين يتناولون منه بإيمانٍ وتقوى، وهكذا حينما تتقدَّس به النَّفسُ والجسدُ، يصيران مسكنًا للرَّبِّ؛ كذلك أيضًا جسدُ آدم قَبِلَ الموتَ بواسطة كلمة العصيان.

فكما أنَّ الإنسان مات هناك، بواسطة كلمة الشِّرِّير؛ هكذا الآن أيضًا بواسطة كلمة الله، يستعيد الإنسانُ الحياةَ بتجديد ذهنِه.

إغواء حواء وسقوط الإنسان:

٣: ٦ في ذلك الزَّمان تكلَّم الشِّرِّير بواسطة الحيَّة مع المرأة. لأنَّه لم يجرؤ بالمِثل على الاقتراب من آدم، بل لمَّا أغوى الإناء الأضعف، أي المرأة، خدع آدم بواسطتها؛ وهكذا أُدْخِل الموتُ إليهما، بحسب حُكْم السَّيِّد.

فإنَّهما لو لم يطيعا العدوَّ، لَكان هو نفسه، الَّذي حاول أن يَخدع، مستوجبًا أنْ يُدان؛ أمَّا هما فكانا مزمعَين أنْ يتقدَّما إلى أمجادٍ أعظم.

آدم الثَّاني ومريم: تجديد الحياة بعد السُّقوط:

٣: ٧ هكذا أيضًا هنا، بواسطة كلمة آدم الثَّاني، حَبَلَتْ حوَّاء الثَّانية: مريم، وبواسطتها وُلِدَت الحياةُ والخلاص لجميع الَّذين يؤمنون باسمه.

فكانت الخطيَّة إذًا موجودة بالفعل، كما سبق أنْ قلنا، تلك الَّتي هي الشَّيطان، وحتَّى قبل معصية آدم –كما يمكن أيضًا أنْ تُفهم الكُتب المقدَّسة على نحوٍ أكثر سرِّيَّة – وبسبب «قساوة قلبه وعدم توبته» (رو ٢: ٥)، حُكِمَ عليه منذ ذلك الحين «أنْ يمضيَ إلى جهنَّم» (مر ٩: ٤٣).

إبقاء الشَّيطان لِيُسَاهِمَ في الخير على الرَّغم من إرادته الشِّرِّيرة:

ولكن بسبب أنَّ الإنسان قد خُدِعَ وأُخرج من الفِردوس، عاد الله واستدعى (الشَّيطان) من جديد، إذ هو جبلته الخاصَّة، وسَمح له أنْ يُدرِّب أيضًا البشر. فقد أبقاه ليكون فيما بعد كمثل سَوْطٍ أو عصا تأديب، لكي يتمَّ بواسطته، دون أن يَرْغب، تدبيرٌ عظيم، ويُسَاهِمَ – على الرَّغم من إرادته الشِّرِّيرة – في عمل الخير؛ حتَّى إنَّه هو نفسه، بسبب اختياره الشِّرِّير الَّذي لا مفرَّ منه، إذ يرغب دائمًا في أن يقود جميع البشر إلى الموت، يزدادَ خطيةً واستحقاقًا للدَّينونة بواسطة الغالبين، وأمَّا الأبرارُ فَيَقْتَنُون لأنفسهم مجدًا أعظم.

سماح الله للشَّيطان بتجربة البشر:

٣: ٨ فإنَّ إرادة الشِّرِّير هي أنْ يُهلك جميع البشر؛ ولذلك يحاول أنْ يُجرِّبَهم بوجوهٍ مختلفة وبطُرُقٍ كثيرة، كما أنَّ الله «يُرِيدُ أَنَّ جَمِيعَ النَّاسِ يَخْلُصُونَ» (١تي ٢: ٤)؛ ولذلك أيضًا، بطُرُقٍ

كثيرة وبوجوهٍ مختلفة، يُحسن إليهم في توزيع المواهب عليهم، بحسب إيمان كلٍّ واحد.

إذًا، فقد تُرك هذا (الشَّيطان) في الوسط، من بعد معصية آدم، لاختبار البشرية وتدريبها. فإنَّه، بعد ما خدعه، أَخَذ منه السُّلطان؛ وهكذا، بعد ما تسلَّط عليه، دُعِيَ "رئيسَ هذا الدَّهر".

انتقال سلطان الإنسان إلى الشَّيطان بسبب السُّقوط:

٣: ٩ فإنَّ الإنسان كان قد أُقيم منذ البدء رئيسًا لهذا الدَّهر وسيِّدًا على الأمور المنظورة، من قِبَل الله. فَلَا النَّار كانت تُؤذيه، ولا الماء يُغرقه، ولا الوحوش تَضرُّه، ولا السُّموم تُؤَثِّرُ عليه؛ لأنَّه كان غيرَ خاضعٍ للموت. لكنَّه لمَّا خُدِع، أُسْلِمَ للَّذي سلبه الرِّئاسة والسُّلطان، بسماح الله.

ولذلك فإنَّ السَّحرة والعرَّافين والمجوس يُتَمِّمُون بقوَّةٍ شيطانيَّة أمورًا عجيبة؛ ويسودون على السُّموم وعلى النَّار والمياه، كما كان يُظهِر يَنِّيس ويَمْبِرِيس، المقاومان لموسى، أو كما كان سِمعان يُقاوم الرَّسول بطرس. وهذه الأمور أيضًا قد سُمح للشِّرِّير أنْ يصنعها بواسطة الخاضعين له، لاختبار حرِّيَّة إرادة البشر.

الظُّلمة العقليَّة والمسيح نور العالم:

٣: ١٠ ولكن عندما يقول الكتاب: «كان ظلامٌ يُغطِّي الغمر» (تك ١: ٢)، فأيَّ ظلامٍ تَرى، يريد أنْ يُشير إليه؟

قد يقول أحدهم: رُبَّما إنَّ ظلَّ السَّماء، قَبْلَ أنْ تُخلق الشَّمس، كان يُحدِث ظلامًا.

لكن، كما سبق أنْ قلنا، فإنَّ جميع الأمور المنظورة هي أمثلة وتشبيهات وصور للأمور غير المنظورة.

فإنِّي أعرف ظلامًا خفيًّا، عقليًّا، عالميًّا، هو أعمق من ظلام الخليقة الظَّاهر هذا ومن ظلِّها؛ وأعرف شمسًا حقيقيَّةً – أي المسيح – من نورٍ لا يُوصَف، وأعمق من هذه الشَّمس، وهو «النُّور الذي يُضيء في هذه الظُّلمة، والظُّلمة لم تُدركه» (يو ١: ٥)؛ أي إنَّها لم تَرَهُ ولم تعرفْهُ، بسبب قوَّة نور اللَّاهوت غير الموصوفة وغير المنظورة.

فإنه لا يُعرَف ولا يُرى عقليًّا، إلَّا من خلال القدِّيسين وحدَهم الَّذين يريد هو أنْ يعرفوه، بقدر ما يستطيعون أنْ يقبلوا.

الشِّرِّير أداةٌ لتدبير الله لأجل مجد الأبرار:

٣: ١١ فكما سبق أنْ قيل، كان الشِّرِّير قد صار في التَّعدِّي مُسْبقًا، وكان قد طُرد مِن قِبَل الله، إذ إنَّه خليقة وصنعة كلمة الله الَّذي خلق الأشياء كلَّها. ولكنَّه باختيار إرادته الحرَّة، انتفخ وارتفع على رئاسة السَّيِّد، ثمَّ تحرَّك حسدًا ضدَّ الإنسان، وخَدَعَه، مُرتكبًا تعدِّيًا أعظم؛ وقد تحدَّدت دينونتُه وحُكِم عليه بالذِّهاب إلى الجحيم في زمانٍ معيَّنٍ.

لكنه تُرك، كما سبق أنْ قلنا، لأجل تدبيرٍ آخر، لكي يقتني للأبرار – بغير إرادته – مجدًا عظيمًا، فيصيروا أكثر كمالًا وقداسةً من خلال صبرهم الكثير.

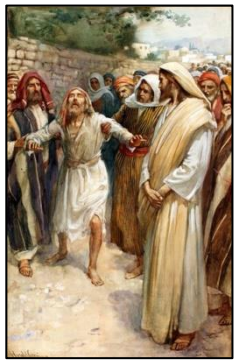
ازدياد شرِّ الشَّيطان واستحقاقه للدَّينونة:

٣: ١٢ أمَّا هو نفسه، فَلِكَوْنِه صار أكثر خطيَّةً وأكثر استحقاقًا للدَّينونة بسبب مكايدِه الشِّرِّيرة، فقد صار مستوجبًا لعقوبةٍ أعظم في جهنم، كما قِيل: «لكي تصير الخطيَّة خاطئةً جدًّا بالوصيَّة» (رو ٧: ١٣)؛ لكي يُغلب شرُّه بالأكثر، ويُظهَرَ على الملإ، أمام القدِّيسين والخلائق الرُّوحيَّة الملائكيَّة، بواسطة أعماله الشِّرِّيرة، هذه الَّتي أظهرها أوَّلًا في حوَّاء، إذ جعلها تعصي وصيَّة الله، وبواسطتها خدع آدم، بكائنٍ مُماثل له؛ لأنَّه لم يكن قادرًا على الاقتراب من آدم مكشوفًا، رُبَّما بسبب المجد الَّذي كان يُحيط به.

فلمَّا خدعه أيضًا بواسطة المرأة، جعله يُجرَّد من مجده، وهكذا وُجد عريانًا، ورأى قُبحه، الَّذي لم يكن يراه من قَبْل، إذ كان فكرُه يتمتَّع بالجمال السَّماويِّ.

فبعد المعصية، انحدرت أفكارُه إلى الأرض، وتضافر فكرُه البسيط والصَّالح مع الشَّرِّ بسبب الاهتمام الجسديِّ؛ لأنَّ الفردوس أُغلِق، ووُضع السَّيف المُلتهب، وصار الكاروبيم يمنع، لئلَّا يدخلَ آدمُ ويأكلَ من شجرة الحياة ويحيا إلى الأبد.





تعاليم آبائيَّة

تجلِّيَّات الرحمة الإلهيَّة

في فكر واختبار القدِّيس أنبا مقار

قراءة روحيَّة في مخطوط "فضائل أنبا مقار"

مقدِّمة:

الرحمة هي من أعمق ما يختبره الإنسان في علاقته بالله. فالله، في إعلان الكتاب المقدَّس، ليس إلهًا بعيدًا عن آلام الإنسان وضعفاته، بل هو الآب المُحبُّ الذي ينحني على الإنسان في ضعفه، ويُقيمه في سقوطه، ويفتح أمامه دائمًا باب الرجوع والتوبة. ولهذا احتلَّت الرحمة مكانةً بارزة في الحياة الروحيَّة والنُّسكيَّة في مصر، إذ لم تكن بالنسبة للآباء مجرد تعليمٍ نتأمَّله؛ بل حياة اختبروها في علاقتهم بالله وفي تعامُلهم مع الإنسان والخليقة.

ومن بين هؤلاء الآباء يبرز القدِّيس الأنبا مقار الكبير، الذي عُرف في التقليد القبطي بكونه أحد أعمدة الرهبنة المصريَّة، واشتهر بألقابٍ تكشف عن عُمق حياته الروحيَّة، مثل: "مصباح الرهبنة" و"اللَّابس الروح".

غير أن مخطوط "فضائل أنبا مقار"، يكشف لنا عن جانبٍ آخَر شديد العُمق في شخصيَّة هذا الأب، وهو اختباره لأحشاء رحمة الله. فالأنبا مقار لا يتحدَّث عن الرحمة باعتبارها مفهومًا لاهوتيًّا مجرَّدًا، وإنما يُقدِّمها لنا كخبرةٍ حيَّة.

ومن أجمل التعبيرات التي تتكرَّر في المخطوط، وصف القدِّيس للربِّ يسوع المسيح بأنه **"صاحب كنوز الرحمة الوفيرة"**. وهذا التعبير وحده يكشف جانبًا مهمًّا من رؤية الأنبا مقار للمسيح: المسيح عنده هو ينبوع الرحمة الذي لا ينضب، والملجأ الذي يلجأ إليه الإنسان حين تضيق به نفسه، والمُعين الذي لا يترك المُجاهد، والغافر الذي يستقبل التائب.

ومن خلال بعض أقوال ومواقف الأنبا مقار الواردة في المخطوط، نستطيع أن نرى كيف تحوَّلت الرحمة الإلهيَّة إلى منهج حياةٍ في خبرة هذا الأب القدِّيس!

١. المسيح "صاحب كنوز الرحمة الوفيرة":

من أكثر التعبيرات التي تلفت النظر في مخطوط "فضائل أنبا مقار"، وصف القدِّيس للمسيح بأنه **"صاحب كنوز الرحمة الوفيرة".**

فيقول في أحد أقواله:

❖ "أيها المعتني بالكلِّ، ربنا يسوع المسيح، **صاحب كنوز الرحمة الوفيرة"** (قول ١٤)[١].

وفي موضعٍ آخر يقول:

❖ "هكذا أيضًا ربنا يسوع المسيح، **صاحب كنوز الرحمة الوفيرة،** المُتحنِّن وحده مع أبيه الصالح والروح القدس" (قول ٣٨).

وهكذا يبدو أنَّ الرحمة ليست مجرَّد صفةٍ من صفات المسيح في فكر الأنبا مقار، وإنما هي جزءٌ أساسيٌّ من خبرته بشخص المسيح.

إنه المسيح الذي "يعتني بالكلِّ"، والمسيح "المُتحنِّن"، والمسيح الذي عنده **"كنوز الرحمة الوفيرة".**

وحتى الفضيلة الصغيرة لا يحتقرها المسيح. فيقول الأنبا مقار:

❖ "إنَّ قليلًا من الزيت يُبهج وجه الإنسان أمام مَلِك هذا العالم. وهكذا أيضًا فإنَّ القليل من الفضائل تُفرِّح النفس في حضرة ملك السمائيِّين والأرضيِّين، **صاحب كنوز الرحمة الوفيرة، ربنا يسوع المسيح"** (قول ٢٥).

إنها صورةٌ مُفرحة للإنسان الذي يشعر أنه يستطيع أن يأتي إلى الله بما لديه، حتى لو كان قليلًا، لأن الذي يُقابله ليس إلهًا يبحث عن أسباب الدينونة، بل **المسيح صاحب كنوز الرحمة.**

٢. الرحمة التي تسند الضعيف:

الحياة الروحيَّة، عند الأنبا مقار، ليست طريقًا بلا حروب. فالإنسان يجتاز صراعاتٍ كثيرة، ويُحارب أفكارًا وشهواتٍ وضعفات، وقد يصل أحيانًا إلى مرحلةٍ يشعر فيها أنَّ قلبه قد أُنهك ولم يَعُد قادرًا على المُقاومة، لكن هنا بالذات تظهر الرحمة الإلهيَّة.

فالله لا يترك الإنسان وحيدًا في معركته، ولا ينتظر منه أن ينتصر بقوَّته الذاتيَّة، بل يتدخَّل في اللحظة التي يصرخ فيها القلب إليه.

---

(١) هذا هو رقم القول في المخطوط، الذي يضمُّ ٨٣ قولًا.

وفي القول الخامس، يتحدَّث الأنبا مقار عن الإنسان الذي أرهقته الحروب، فيقول:

❖ "فإذا ضعف القلب بهذه الأمور وصار خائرًا من أتعاب الحروب، وإن طرح الإنسان عنه قساوة القلب، وصرخ إلى الله بتنهُّد نفسه متألِّمًا؛ فحينئذٍ يُرسل الله الصالح المُتحنِّن على خليقته قوَّةً مقدَّسة تعضد القلب، وتمنحه دموعًا وفرحًا ونشاطًا، حتى يصير أقوى من أعدائه، فلا يقوون عليه؛ إذ يخافون القوَّة الكائنة معه".

فالإنسان قد يصل إلى مرحلةٍ يشعر فيها أنه لم يَعُد قادرًا، لكن "التنهُّد" يصل إلى الله، والصرخة الصادقة لا تضيع، والدمعة التي تفيض من قلبٍ منكسر تصبح صلاة.

وحين يرى الله هذا القلب، يُرسل إليه "قوَّةً مقدَّسة".

وهنا نكتشف أنَّ الجهاد المسيحي لا يعني أن الإنسان يُحارب وحده، بل يُجاهد وهو متَّكئ على نعمة الله. فالنعمة لا تلغي الجهاد، والجهاد لا يستغني عن النعمة.

وقد يعود الإنسان إلى الضعف مرةً أخرى، لكن رحمة الله لا تتغيَّر. ولذلك يستطرد الأنبا مقار في بقية هذا القول، فيقول:

❖ "فإذا ضعف القلب جدًّا بسبب العدو، فعندئذٍ الله الصالح والمُتحنِّن على جبلته، يُرسل له أيضًا القوَّة المقدَّسة؛ فتضبط النفس والقلب والجسد وبقية الأعضاء تحت نِير الروح المُعزِّي".

إنها خبرة إنسانٍ يعرف أن قوَّته ليست في ذاته، بل في المسيح الذي يسنده.

٣. الرحمة تفتح باب الرجاء أمام الخاطئ:

من أجمل ما يُقدِّمه لنا الأنبا مقار في موضوع الرحمة، هو طريقته في التعامُل مع الإنسان الساقط. فالقدِّيس لا يستخف بالخطية، ولا يُبرِّرها؛ لكنه، في الوقت نفسه، لا يسمح للإنسان أن يتحوَّل سقوطه إلى يأس. وهنا تظهر روعة الفرق بين التعامُل مع الخطية، والتعامُل مع الخاطئ.

فالخطية تحتاج إلى توبة، أمَّا الخاطئ فيحتاج إلى أن يجد مَنْ يقوده إلى التوبة دون أن يسحقه باليأس.

وهذا ما نراه في موقف الأنبا مقار من أحد الإخوة الذي جاء إليه باكيًا بعد سقوطه في خطيةٍ

شديدة، طالبًا منه الصلاة. فلم يوبِّخه القدِّيس، ولم يُغلق أمامه باب الرجاء، وإنما قال له:

❖ "فتشدَّد، يا بُنيَّ، وتمسَّك بغير الزمني، غير المُبتدئ، الأبدي، الدائم الذي لا نهاية له، مُعين الذين ليس لهم رجاء إلَّا فيه وحده ... الصالح وحده، الحياة الكاملة، **صاحب كنوز المراحم الوفيرة، ربنا يسوع المسيح، إلهنا الحقيقي.** فليكن هذا لك مُعزِّيًا، ومُعينًا، وغافرًا، يا بُنيَّ" (قول ٧١).

كم هو عميقٌ تعبير "يا بُنيَّ"، فالراهب الساقط لم يفقد بنوَّته، ولم يتحوَّل في عين أبيه إلى مجرد "خاطئ". والأنبا مقار يوجِّه عينيه بعيدًا عن الخطية نحو المسيح: **"صاحب كنوز المراحم الوفيرة".** فالرجاء لا يقوم على قوَّة الإنسان، وإنما على أمانة الله ورحمته.

٤. الرحمة التي تمتدُّ إلى الخليقة كلِّها:

ولعلَّ من أجمل ما يُميِّز أقوال الأنبا مقار، أنَّ مفهوم الرحمة عنده لا يتوقَّف عند الإنسان، بل يمتدُّ إلى الخليقة كلِّها. فالإنسان الذي امتلأ قلبه من محبَّة الله، يصبح حسَّاسًا لآلام الخليقة، ويرى في كلِّ ما صنعته يد الله أثرًا لمحبَّة الخالق وعنايته.

ويروي الأنبا مقار في القول الرابع عشر، إنه كان في الوادي يجمع الخوص، فجاءت إليه إحدى "بنات آوى" وهي متألِّمة تبكي، حتى بلَّلت قدميه بدموعها، ثم أمسكت بثوبه وجذبته وراءها. فتبعها بقوَّة الربِّ يسوع المسيح، حتى وصل إلى مكان صغارها الثلاثة، فوجدهم مشوَّهين؛ وإذ امتلأ قلبه شفقةً على الأُمِّ وصغارها، صلَّى قائلًا:

❖ "أيها المُعتني بالكلِّ، ربنا يسوع المسيح، **صاحب كنوز الرحمة الوفيرة،** أشفق على الجبلة التي جبلتها".

ثم يقول:

❖ "مددتُ يدي ووضعتُ عليهم الصليب، علامة الخلاص، فشفاهم".

لكن الأهم بالنسبة للأنبا مقار، لم يكن المعجزة في حدِّ ذاتها، وإنما ما كشفته له عن قلب الله، إذ يقول:

❖ "أما أنا فكنتُ مُتعجِّبًا من صلاح الله، ومحبَّة البشر التي لربِّنا يسوع المسيح، ومن مراحمه، لأنه يهتمُّ حتى بالوحوش أيضًا".

وفي القول السادس والثلاثين، يتحدَّث الأنبا مقار عن الوحوش آكلة اللحوم التي تصرخ من أجل احتياجاتها، ثم يتوقَّف أمام هذه الحقيقة الروحيَّة:

❖ "فإذا كانت الوحوش آكلة اللحوم أيضًا لها إحساس، وتصرخ إلى فوق نحو صلاح ربِّنا يسوع المسيح، وهو يعولها جميعها؛ فكيف لا يعتني بنا نحن البشر الناطقين، **بأحشاء رحمته الوفيرة؟**".

الرحمة حتى تجاه الوحش المُصاب:

وفي القول السادس والسبعين، يروي الأنبا مقار موقفًا آخر مع تنِّين كان مصابًا بشظية في عينه. فامتلأ قلبه رحمةً نحوه، واتَّكل على قوَّة المسيح والصليب، وصلَّى قائلًا: "يا ربي يسوع المسيح الذي فَتَحَ عينَي المولود أعمى، أشفق على ضعف هذا الوحش واشفه".

ثم يروي أن الشظية سقطت من عين الوحش، وبعد ذلك أطلقه.

❖ ويختم القدِّيس قائلًا: "أمَّا أنا فكنتُ أُمجِّد ربنا يسوع المسيح من أجل مراحمه الكثيرة، فإنها تجعله يهتمُّ حتى بالوحوش أيضًا".

ومرةً أخرى، لا يتوقَّف الأنبا مقار عند العجيبة، بل عند الرحمة التي تكشف عنها.

إنه يرى في عناية الله بالحيوان، إعلانًا عن اتِّساع قلب الخالق.

والإنسان الذي يعيش في حضرة الله لا يصبح قاسيًا، بل تزداد حساسيَّته تجاه الألم أينما وجده.

٥. اعتبار عمل الرحمة هو شفيعٌ للإنسان أمام الله في اليوم الاخير:

لا يكتفي الأنبا مقار بالحديث عن الرحمة كاختبارٍ داخليٍّ، وإنما يُبرز أيضًا قيمتها الأبديَّة.

ففي القول السادس والعشرين، يسأله أحد الإخوة: "عرِّفني كيف أن عمل الرحمة قويٌّ؟".

فيُجيبه الأنبا مقار بتشبيهٍ جميل: أناسٌ نفاهم الملك إلى أرضٍ بعيدة، وكان أحدهم يُرسل الهدايا إلى الملك قبل أن يأتي وقت عودتهم، بينما لم يفعل الآخرون شيئًا. وعندما أرسل الملك في طلبهم للعودة، كان لمَنْ أرسل الهدايا "دالَّة" أعظم أمام الملك.

❖ ثم يقول الأنبا مقار: "هكذا يكون للرحمة أمام المسيح الملك العظيم، إذ تكون لها دالَّة عظيمة أمامه، وتُدافع عن كلِّ مَن يُكرِمها".

إنَّ الرحمة هنا ليست مجرَّد عملٍ اجتماعيٍّ، بل هي ثمرةٌ لحياة الإنسان مع الله.

(البقية صفحة ٢٤)



أقوال نسكيَّة

مفاعيل النعمة الإلهيَّة

للقدِّيس مار إسحق السرياني[1]

اقتراب العناية الإلهيَّة من الإنسان:

يجب أن تؤسِّس هذه العلامة في نفسك وتتأمَّل فيها: عندما تُدرك في نفسك أنَّ اهتمام الله بدأ يكشف ذاته لنفسك، حينئذ فلتفهم أنك قريبٌ من ميناء النقاوة. وعندما يبدأ الإنسان أن يُرفَع فوق الأهواء، فإنَّ تلك القوَّة المقدَّسة تلتصق في الحال بنفسه ولا تُفارقها نهارًا وليلًا، وتُظهِر لها العناية الإلهيَّة. وحتى أصغر تفاصيل كلِّ ما هو موجودٌ وكان موجودًا، مِمَّا يأتي إلى الإنسان في السرِّ وفي العلانية، فإنَّ تلك القوَّة التي تكون قد دخلت إلى النفس تُكشَف لها؛ بل وأيضًا تكشِف لها عن قوَّة الله الخالقة، وتُظهِر لها عنايته الإلهيَّة التي تلتصق بها بدون توقُّف، وتفتقد كلَّ شيء من هذه الخليقة.

وهي تُظهِر للنفس كيف أن العناية الإلهيَّة تُرافق الإنسان في كلِّ الأوقات، رغم عدم درايته وجهله بذلك، وهي تحفظه من الأعداء في كلِّ الأوقات، وتوجِّهه نحو ما هو لخلاصه وإلى هدوء نفسه وجسده ولربح الحياة الأبديَّة. وهذه القوَّة الإلهيَّة ذاتها، التي تعمل كلَّ ذلك، تُظهِر ذاتها للإنسان سرًّا باستعلانٍ عقليٍّ لطبيعته الروحيَّة، أي لعقله. وإذا اعتُبِرَ إنسانٌ مستحقًّا أن ينال هذه القوَّة في نفسه، فهو لا يعرف شيئًا سوى الرهبة والسكون، وحينئذ تتدفَّق دموعه كالنهر ويكفُّ مباشرةً عن كلِّ أعماله (الأخرى)!

التعجُّب من المعونة الإلهيَّة:

ومن الآن فصاعدًا، ستتفرَّس في كلِّ الأوقات في مشهد عناية الله المستمرة بعمل يديه. وعلى ذلك، سيكون عقلك مبتَلَعًا بالامتلاء بالرهبة، وستكون حواسك ساكنة. وأنت، أيها الإنسان البائس، سوف تطرح ذاتك على وجهك في الصلاة، ويكون لسانك عاجزًا عن الكلام، ويعجز قلبك عن تقديم الصلاة؛ لأنه بالتعجُّب من تلك المعونة الإلهيَّة، فحتى الصلاة

(1) The Ascetical Homilies of St. Isaac the Syrian, p. 390.

تصبح عاطلة. هذا هو التوقُّف الذي يكون متفوِّقًا على العمل، عندما يكون الإنسان في ارتياحٍ تامٍّ من حواسِّه وأفكاره، ويرقد – بصفةٍ مستمرة – على وجهه أمام الرب. وحتى عظامه، بسكونها، تُصعِد تمجيدًا لله في هذا التوقُّف كما يقول النبي: «جَمِيعُ عِظَامِي تَقُولُ: يَا رَبُّ مَنْ مِثْلُكَ» (مز ٣٥: ١٠)؟ وفي هذا الوقت، تجد أن شيطانَ الكبرياء مُقيَّدٌ أكثر من كلِّ الأهواء الأخرى، ومُلقًى تحت قدمَي نفسك. وبهذه العطية، كما يقولون، يُعتَبَر الإنسان مستحقًّا لحبِّ الله والتواضع الكامل.

السكون ثمرة العطية الإلهيَّة:

هذه العطية تُذاق من خلال السكون، والذين لديهم جهد وتيقُّظ يُثابرون في سكونٍ مطلق إلى أن يُدركوا ذلك. ولكن عندما يترك الإنسان السكون ويعيش في الارتخاء، تنسحب منه (هذه العطية). وعندما يرجع إلى السكون مرةً أخرى ويكون يَقِظًا في نفسه ويُتابع جهده المُعتاد بنشاط؛ حينئذ تصل هذه العطية مرةً أخرى إلى نفسه وتُظهِر للنفس قوَّتها. فبمجرد أن يصبح الإنسان كاملًا تمامًا، تتَّحد تلك القوَّة به، بداخله وبخارجه. وهو لن يتوقَّف – ولو لساعةٍ واحدة – عن التنهُّد والبكاء، بشرط ألَّا يُقلِع عن حالة جهده المُتعقِّلة.

وحتى الآن، يوجد أناسٌ قد اعتُبروا مستحقِّين لهذه العطية جزئيًّا. ولكن من هذا الجزء الذي حصلوا عليه، يُدركون ميزات ذاك الذي هو كمال هذه العطية. لأنه عندما يتذوَّق الإنسان كأسًا مليئة بالخمر من قارورةٍ كبيرة، يعلم بما يكون حال الباقي، حتى رغم أن آخرين يشربون منها جزئيًّا أو بالكامل.

السكون الكامل والتيقُّظ التَّام:

إنَّ الإنسان الذي يمتلك هذه العطية بالكامل، لن يكون مُكتشفًا (هذه العطية) بسهولة، بل نادرًا على الإطلاق. لأن هذه القوَّة إنما هي عطية التيقُّظ للسكون، ولأنه لا يوجد أحدٌ في جيلنا المُكتئب (أو المُثبَّط الهمَّة) قد مارس سكونًا كاملًا وتيقُّظًا تامًّا، فإننا نحن أيضًا مجرَّدون من عطاياه. إنَّ الإنسان الذي يمتلك تلك الدلالات في الكتابة بالمداد ولكنه بالعمل لعلَّه لم يجدها في خبرته؛ فهو يُشبه الإنسان الذي يحمل تحت ذراعه قيثارةً مزيَّنةً ومزوَّدةً بأوتارٍ قويَّة، ولكن أصابعه لا تعلم ذلك، حيث إنه غير مدرَّبٍ على كيفية العزف بها وإنتاج ألحانًا مختلفة لأجل مسرَّته الشخصيَّة. فهو إنما يمتلك قيثارة، ولكنه لا يمتلك فنَّها؛ لذلك فهو يحتاج إلى آخرين لكي يعزفوا أمامه، فتكون له مسرَّة.

عين المعرفة هي الخبرة الشخصيَّة:

لا تفرح عندما تزداد غِنًى في معرفة أمورٍ عديدة، بل افرح عندما يكون ما تعرفه هو مِلكٌ لك بعمله الفعلي. إنَّ ذلك الغِنَى بدون ما هو ملكٌ لك، سوف يتقلَّص تدريجيًّا، ويمكن أن يُنتج كبرياء لأنه يبقى بدون تدريب. ولكنك عندما تكون مجتهدًا في هذا التدريب بدون دراسة، فستكون بالتأكيد مُستنيرًا في المعرفة أيضًا. إنَّ عين المعرفة هي الخبرة، ورعايتها هي تعبٌ مستمرٌّ.

فلتكن لك تلك العلامة منيرةً لبلوغ نفسك إلى النقاوة الواضحة، وذلك عندما – بعد امتحانك الشامل لنفسك – تجد أنك ممتلئ بالرحمة على البشريَّة كلِّها، وأن قلبك يتوجَّع من قوَّة شفقتك على الناس وكأنه يحترق بنارٍ، وذلك بدون أن تُفرِّق بين الأشخاص. بذلك، عندما تتواجد في هذه الثقة باستمرار، يمكن رؤية صورة الآب السماوي فيك! فإنك ستكون بذلك قادرًا أن تُدرك حدود طريقة حياتك، ليس من نوع أعمالك المُميَّزة، بل من الاختلافات التي يجتازها إدراكك. إنَّ الجسد معتادٌ أن يُغمَر بالدموع عندما يُعاين الفكر أمورًا روحيَّة، لأنه حينئذٍ كأنَّ دموع الإنسان تنهمر بحريَّةٍ من عينيه وتُبلِّل خدَّيه تلقائيًّا كأنها من أعماقه.

قصة إنسان يستغرق في التأمُّل حتى في نومه:

إنني أعرف إنسانًا يستولي عليه تعجُّبٌ ممتلئٌ رهبة من الله حتى أثناء نومه، بمُعاينة شيء من مادة قراءاته المسائيَّة. وبينما تكون روحه مُتعجِّبة من التأمُّل في تلك الرؤية الإلهيَّة، فإذا به كأنه يُدرك أنه كان يُقيم مدةً طويلة في أفكار منامه ويُنقِّب في التعجُّب من تلك الرؤية. وحدث حقًّا، في وقتٍ متأخِّرٍ من الليل، أن استيقظ فجأةً من نومه، وكانت دموعه تتدفَّق بغزارة وتسقط حتى على صدره. وكان فمه ممتلئًا بالتمجيد وقلبه مستغرقًا في التأمُّل طويلًا في تلك الرؤية الإلهيَّة بعذوبةٍ لا تعرف الشِّبع. ومن كثرة دموعه التي ذُرِفَت بلا حدود من عينيه، ومن ذهول روحه التي بها أصبحت كلُّ أعضاء جسده مترنِّحةً، ومن قلبه الذي نبضت فيه عذوبةٌ، وهو حتى لم يكن قادرًا أن يُتمِّم طقس صلاته الليليَّة المعتادة، بل بكلِّ صعوبةٍ أمكنه أن ينطق بمزمورٍ عند الفجر؛ إذا به كان هكذا مغمورًا بالفيض من دموعه التي تدفَّقت لا إراديًّا من ينابيع عينيه، وبأمورٍ أخرى.

الأعمال الروحيَّة التي تحفظنا من الأفكار الشريرة:

إذن، فلنكن مجتهدين، يا إخوتي، ونتطلَّع (إلى الربِّ) قبل أن نذهب إلى النوم، ونتفكَّر في التمجيدات وترتيل مزاميرنا وقراءاتنا من الكتاب المقدَّس، حافظين أنفسنا من الأفكار الشريرة

ومن أيِّ فكرٍ بغيض، ولنزوِّد كنوزنا بكلِّ نوعٍ من الأمور الجميلة. وحينئذٍ يستولي علينا النوم ونحن ممتلئون من التفكُّر في الله، وتكون أرواحنا ملتهبةً برغبةٍ حارَّةٍ في الصالحات، لأن نعمة الله تُحيط بنا في نومنا وتسكب علينا عطاياها رغم سُباتنا. لأنها حقًّا تمتحننا، إن كان الجسد نقيًّا من كلِّ نوع من النجاسة، وإن كانت أفكار قلوبنا قد تنقَّت من الأمور البغيضة. فبسبب النعمة، لا يمكن لرئيس الظلمة أن يقترب منَّا أو يُحيط بنا، لأن سيف ورمح النعمة يُطوِّقاننا. أما إذا وجد (العدو) أننا كما يحبُّ هو – عندما تُفارقنا النعمة، وكأنها تشمئز منَّا وتُقصينا عنها كأننا جثث مجرَّدة من الحياة – حينئذٍ تقترب منَّا (الأرواح الشريرة) بكلِّ شرِّها، وهي تُزوِّدنا بكلِّ أنواع الأفكار الكريهة والدَّنسة حسب رغبة مشيئتها الرديئة.

ظلُّ الله قريبٌ منَّا:

عندما يستولي علينا شيءٌ من هذا النوع في نومنا، فينبغي أن نُدركه في الحال، ونستردَّ أنفسنا، ونُدرك أنَّ حَجْب الله لنوره عنَّا في تلك الليلة كان بعيدًا عنَّا. فكيف أنَّ الشياطين لم يبتلعونا؟ ذلك لأن هذا كان هو أمر الله وحده، ذاك الذي هو في يده روح كلِّ شيء مخلوق، والذي سمح لهم (للأعداء) أن يقتربوا منَّا، حتى نصبح متيقِّظين وننظر إلى أنفسنا. ولكنه يستحيل عليهم (الشياطين) أن يقتربوا عندما يكون ظِلُّ الله قريبًا منَّا.

****

(بقية المنشور صفحة ٢٠ – "تجلِّيَّات الرحمة الإلهيَّة")

خاتمة:

عندما نتأمَّل في أقوال الأنبا مقار عن الرحمة، نجد أنها تنتظم في صورةٍ واحدةٍ متكاملة.

فالمسيح هو **صاحب كنوز الرحمة الوفيرة**.

والمُجاهد يجد في رحمة المسيح قوَّةً تسنده.

والخاطئ يجد فيها بابًا مفتوحًا للتوبة.

والضعيف يجد فيها رجاءً.

والخليقة كلُّها تتمتَّع بعنايته.

والإنسان الذي يختبر هذه الرحمة، يصبح مدعوًّا لأن يحملها إلى الآخرين.

وهكذا تنتقل الرحمة من كونها صفةً نتأمَّلها في الله، إلى حياةٍ نعيشها نحن.

وهذا هو سرُّ عظمة خبرة الأنبا مقار: إنه لم يتحدَّث عن الرحمة من بعيد، وإنما عاشها.



من
التراث الكنسي

معرفة الله

كأسمى هدف وأعظم فرح للحياة

من خلال الصلاة[١]

(٢٦)

(٦) الصِّراع مع الله في الصَّلاة:

لا يجد آباء البريَّة صعوبةً في فهمهم أنَّ الصَّلاة هي عملٌ شاقٌّ:

[سأل الإخوة أنبا أغاثون: "بين جميع الأعمال الصَّالحة، أيُّ فضيلة هي التي تحتاج إلى جهادٍ؟". فأجابهم: "سامحوني، لا أظنُّ أنَّه يوجد جهادٌ أعظم مِن الصَّلاة لله، لأنَّه في أيِّ وقتٍ يريد الإنسان أنْ يُصلِّي، فإنَّ الأعداء، الشَّياطين، يريدون أنْ يمنعوه عن الصَّلاة، لأنَّهم يعرفون أنَّهم بمنع الإنسان عن الصَّلاة، فإنَّهم يُعيقونه عن رحلته الرُّوحيَّة. أيُّ أعمالٍ صالحة يُؤدِّيها الإنسان، ويستمرُّ فيها، فهو يحصل على راحةٍ؛ إلَّا الصَّلاة، فهي جهادٌ إلى النَّفَس الأخير"].

غالبًا ما يكون هناك جهادٌ مع الله في الصَّلاة مِن قبل أنْ نعرفه، مثلما صارع يعقوب مع الله في معركةٍ سريَّة، انتهت بهتاف يعقوب: «نَظَرْتُ اللهَ وَجْهًا لِوَجْهٍ» (تك ٣٢: ٣٠). وبعد هذا الاختبار بالجهاد مع الله، تغيَّر اسم "يعقوب" إلى "إسرائيل".

في بحثنا عن الله، يجب علينا ألَّا نتردَّد في أنْ نُصارع معه مثلما فعل يعقوب، فهذا في نفسه علامة لحبِّنا وعزم نيَّتنا. نحن إنَّما نجاهد لنعرفه مباشرةً، لأنَّنا نحبُّه ونتوق لننال الأكثر منه، ولذلك فنحن نتصارع مع شكوكنا. في جهادك معه، تحقَّق أنْ صلاتك في حقيقتها ليست أنك أنت الذي تبحث عنه؛ بل إنَّه هو الذي يبحث عنك. في الواقع، لن تكون أنتَ الذي تبحث عنه، ولن تكون مُقبِلًا إليه بشكوكك وآلامك إنْ لم يكن هو سابقًا يبحث عنك. هل يمكنك أنْ تُفكِّر في شخصٍ آخَر في الكتاب المقدَّس صارع مع الله غير يعقوب؟ اقرأ (مت ١٥: ٢٢ – ٢٨)، لترى صراع المرأة الكنعانيَّة مع الله، وأيضًا أيوب. اقرأ (مزمور ٣٩) لترى كيف كان المُرنِّم يُصارع مع الله في الصَّلاة، حيث انحدر إلى اكتشاف أنَّه لا شيء ونزيلٌ وفانٍ.

---

(١) بتصرُّف عن كتاب بعنوان:

Anthony M. Coniaris, *Knowing God, Life's Highest Purpose & Joy*.

يكتب القدِّيس بولس إلى أهل غلاطية ويقول: «وَأَمَّا الآنَ إِذْ عَرَفْتُمُ اللهَ، بَلْ بِالْحَرِيِّ عُرِفْتُمْ مِنَ اللهِ» (غل ٤: ٩). مِن قبل أنْ أعرفه، هو يعرفني ويُحِبُّني. انظر ماذا يقول الرَّبُّ لموسى: «لأَنَّكَ وَجَدْتَ نِعْمَةً فِي عَيْنَيَّ وَعَرَفْتُكَ بِاسْمِكَ» (خر ٣٣: ١٧)، «أَمَّا أَنَا فَإِنِّي الرَّاعِي الصَّالِحُ، وَأَعْرِفُ خَاصَّتِي وَخَاصَّتِي تَعْرِفُنِي ... وَأَنَا أَضَعُ نَفْسِي عَنِ الْخِرَافِ ... خِرَافِي تَسْمَعُ صَوْتِي، وَأَنَا أَعْرِفُهَا ... وَلَنْ تَهْلِكَ» (يو ١٠: ١٤ – ٢٨).

(٧) معرفة الله لنا تسبق معرفتنا له:

في بحثي لموضوع معرفة الله، يجب عليَّ أنْ أُدرك أنَّ الله يعرفني مِن قَبْل. يعرفني من قبل تأسيس العالم، ويظل يستمر يعرفني، واسْمي منقوشٌ على كفِّ يده. هو يحبُّني ويعرفني وعيناه باستمرار عليَّ.

كيف يمكن أنْ توجد أيَّةُ معرفة أعظم أو أكثر خطورة أو أكثر أهميَّة مِن أنْ تعرف الله، أو تكون معروفًا مِن الله. الله يُحِبُّنا محبَّةً شخصيَّةً ودائمةً وخالدةً، حتى إنَّه يريد أنْ نكون «شُرَكَاءَ الطَّبِيعَةِ الإِلهِيَّة» (٢بط ١: ٤)، وأنْ نكون دائمًا معه في السماء ناظرين ومُشاركين مجده. كيف يمكن لهذا الذي يعرفنا ويحبُّنا بمحبَّةٍ لا نهائيَّة، ألَّا يستجيب لطلبنا مِنه؟ يكتب القدِّيس يعقوب ويقول: «اِقْتَرِبُوا إِلَى اللهِ فَيَقْتَرِبَ إِلَيْكُمْ» (يع ٤: ٨). إنَّه يقترب إلينا، ولكنَّه ينتظر منَّا أنْ نخطو الخطوة الأولى لنفتح الباب كاستجابةٍ لقرعه.

الصَّلاة، إذن، هي أعظم وأقوى الطُّرُق التي يمكننا أنْ نستخدمها لنعرف الله، لأنَّ الذي يُصلِّي يعرف الله بالحقيقة، والذي يعرف الله، هو الذي يُصلِّي بالحقيقة.

ليتنا نتذكَّر دائمًا كلمات الأب بول إفدوكيموف Paul Evdokimov:

"ليس مِن الكافي أنْ نتلو صلوات، ولكن يجب أنْ يكون الإنسانُ صلاةً، صلاة متجسِّدة".

وهذا يحدث ويتمُّ – بالأخصِّ – عندما نتعلَّم أنْ نصلِّي صلاة يسوع.

(٨) مِن كتاب "سائح روسي":

يمكننا أنْ نرى أنَّ السَّائح في الكتاب المعروف بالعربية باسم: "سائح روسي على دروب الرَّبِّ"[٢]، قد أتى إلى معرفة الله مِن خلال صلاة يسوع، وهو يصف كيف أنَّ صلاة يسوع قد

(2) The Way of the Pilgrim.

وسَّعت مداركه جدًّا لمعرفة الله، فيقول:

"وفيما كنتُ أسير، كنتُ دائمًا أتلو صلاة يسوع، والتي هي بالنِّسبة لي أكثر حلاوة وقيمة عن أيِّ شيء آخَر في العالم. لم تكن لديَّ أيَّةُ اهتمامات، ولا شيء يشغلني، وكنتُ أتحاشى جاهدًا كي لا أنظر إلى أيِّ شيء زائل، وكنتُ أرغب باستمرار أنْ أتواجد في وحدة، وكان اعتيادي هو أنْ أعمل شيئًا واحدًا فقط، وهو أنْ أتلو صلاة يسوع باستمرار، وعندما كنتُ أتلوها كنتُ أشعر بسرورٍ عجيب، والله وحده هو الذي يعرف ماذا يحدث لي ... في مثل هذا الوقت، كنتُ أقرأ في كتابي المقدَّس، وكنتُ أشعر أنَّني كنتُ أبدأ أنْ أفهمه بأكثر وضوح عمَّا كان سابقًا. عندما بدأتُ أُصلِّي بقلبي، شعرتُ بأنَّ كلَّ ما يُحيطُ بي كان مُسرًّا ومُبْهِجًا للغاية: الأشجار، الحشائش، الطُّيور، الأرض، الهواء، النُّور؛ كلُّ الأشياء بدت وكأنَّها تقول لي إنَّها وُجِدَت مِن أجل الإنسان، ولتُبيِّن محبَّة الله للإنسان، وكنتُ أشعر أنَّها كلُّها تُصلِّي وتُسبِّح الله وتمجِّده. ومِن هنا بدأتُ أفهم ما تُسمِّيه الفيلوكاليا Philokalia: "معرفة كلمات الخليقة". ومِن ثمَّ، وجدتُ طريقًا يمكنني مِن خلاله أنْ أتكلَّم مع خليقة الله. كما عرفتُ أيضًا مِن خلال خبرتي الشخصيَّة ماذا يكون الفردوس، وكيف يُسْتَعلَن "ملكوت الله داخل قلوبنا!".

ويستفيض السَّائح ويقول:

"ولمدَّة شهر، مضيتُ ببطءٍ في طريقي، وشعرتُ في أعماقي كم توجد أمثلة حيَّة جيِّدة نتعلَّم منها. كنتُ دائمًا أقرأ في الفيلوكاليا، والأمثلة التي قرأتُ عنها بثَّت فيَّ الغيرة، والامتنان، والشُّكر، ومحبَّة الله. صلاة القلب، أبهجتني لدرجةٍ أشعرتني أنَّه لا يُفْتَرَض أنْ يوجد على الأرض مَن هو أسعد منِّي، حتى جعلتني أشكُّ أنَّه يمكن أنْ توجد مسرَّة في ملكوت السموات أفضل أو أعظم. لم أشعر بهذا فقط داخل روحي، ولكن كل ما هو في الخارج ظهر لي أنَّه مُبْهِجٌ، والكلُّ يجذبني إلى محبَّة الله وشكره. الكلُّ صار ينتسب لي؛ ووجدتُ في الكلِّ صورة اسم يسوع المسيح"[٣].

يشهد السَّائح أنَّه مِن خلال صلاة يسوع، استُعْلِنَت له الخليقة كلُّها كمعجزةٍ خالدة لله. يُعْرَف الله مِن خلال الصَّلاة المُتَّضعة، والنَّفس التي تحبُّ الله، لا يمكن أنْ تتوقَّف عن

(3) *The Way of a Pilgrim. And The Pilgrim Continues His Way.* Translated by Helen Bacovcin. Doubleday. NY. 1978.

الصَّلاة، ومِن خلال الصَّلاة تعرف وترى الله في كلِّ المخلوقات.

النَّصُّ الأطول لصلاة يسوع هو: "يا ربِّي يسوع المسيح ابن الله، ارحمني أنا الخاطئ". عندما أُصلِّي صلاة يسوع، فإنَّني أبدأ بالنَّصِّ الأطول، وغالبًا أختم بالأقصر؛ حتى إنَّ الاسم "يسوع" يُكْتَفَى أنْ يُنطَق به في الصَّلاة. المسيحيُّون الشَّرقيُّون يستخدمون الكلمات: "التأليه"، أو "الاتِّحاد بالله"، أو "التمسُّح (التشبُّه) بالمسيح Christification"، ليُعبِّروا عن التَّغيير الذي يحدث في هذا الذي يصلِّي هذه الصَّلاة. أمَّا المسيحيُّون الغربيُّون، فيستخدمون الكلمة: "التحوُّل Transformation". هذه الكلمات في صلاة يسوع، تُبيِّن كيف أنَّ الاستخدام اليومي لهذه الصَّلاة، تُحَوِّل وتُساعد الشَّخص ليصير – كما يقول القدِّيس بطرس – "شريكًا للطَّبيعة الإلهيَّة". فائدة استخدام هذه الصَّلاة هي مساعدة الشَّخص ليُدرك باستمرار حقيقة وجود المسيح في الحياة.

(٩) استخدام الأدوات المناسبة:

بكلِّ ما في الكلمة مِن الحقيقة العلميَّة، نقول إنَّ الأمور الروحيَّة يُكشَف عنها بأدواتٍ روحيَّة، وبطُرُقٍ روحيَّة. يقول القدِّيس بولس: «قَارِنِينَ الرُّوحِيَّاتِ بِالرُّوحِيَّاتِ» (١كو ٢: ١٣). عليكَ ألَّا تتوقَّع أنْ تعرف الله بأنْ تضعه في أنبوبة اختبار، وأنْ تُحلِّله. لأنْ تعرف المسيح، عليك أنْ تستخدم أدواتٍ روحيَّة: الطَّاعة، المحبَّة، الإيمان، الصَّلاة، السجود، العبادة، التوبة، التَّواضع، نقاء القلب، التَّسليم، الكتاب المقدَّس، الليتورجيَّا. ليت لا أحد يقول إنَّه مِن أجل أنْ نحصل على الحقِّ الإلهي في معرفة الله، يجب على الإنسان أنْ يحصل بنفسه على آلاتٍ تصلح في مجالاتٍ أُخرى مِثل: أنابيب اختبار، ميكروسكوبات، تليسكوبات، خرائط، ومعامل. إنَّ إلهنا، بناء على حقيقة أنَّه روحيٌّ وليس ماديًّا، وأيضًا غير محدود؛ لا يمكن أنْ تتناسب معرفته باستخدام أنبوبة اختبار صغيرة.

(١٠) ثلاثة طُرُق لمعرفة الحق:

عالِم الاجتماع في جامعة هارفارد Harvard بيتريم سوروكين Pitirim Sorokin أشار إلى أنَّ الحقيقة يُمكن أنْ تُعرَف مِن خلال ثلاث طُرُق:

(١) مِن خلال "عين الحواس"، والتي هي العِلم التَّجريبي.

(٢) مِن خلال "عين العقل"، التي تتكوَّن مِن المنطق والعقل والفكر.

(٣) وأيضًا مِن خلال "عين التأمُّل"، والتي هي جزءٌ مِن الطَّبيعة الرُّوحيَّة للإنسان، والتي يُعبَّر عنها مِن خلال الصَّلاة والعبادة.

"العِلْم ليس هو الطَّريق الوحيد فقط للمعرفة".
توجد طُرُقٌ أُخْرى للمعرفة. فالحقيقة العلْميَّة ليست هي الحقيقة وحدها.

الأدب اليوناني الكلاسيكي تعهَّد وأظهر وطوَّر "عين العقْل" مِن خلال الفلسفة والتَّفكير والمنطق، هذا من جهةٍ. أمَّا الكنيسة الأرثوذكسيَّة، مِن جهةٍ أُخرى، كان لها المساهمة الكبرى نحو إظهار: "عين التأمُّل"، مِن خلال تأكيدها على مُمارسة التأمُّل بواسطة صلاة يسوع وروحانيَّة الفيلوكاليا. الحقيقة، إذن – بحسب الدكتور سوروكين – يُمكن أنْ تُدرَك وأنْ تُفْهَم مِن خلال: "عين الحواس"، و"عين العقل"، و"عين التأمُّل". هذه – في الحقيقة – هي الثلاثة أعْيُن التي مِن خلالها نرى الحقيقة. عندما تتقابل الحقيقة مع الخالق، مِن خلال ما سمَّاه دكتور سوروكين "التأمُّل"، أي العبادة والصَّلاة؛ فإنَّ النتيجة تكون التَّمجيد، الاستنارة، والتأليه.

وهكذا، فمِن خلال الصَّلاة، لا نصل فقط إلى معرفة الله؛ ولكن أن نكون أيضًا «شُرَكَاءَ الطَّبِيعَةِ الإلهيَّة»، والتي عرَّفها فلاديمير لوسكي هكذا:

> "الاتِّحاد مع الله في قوَّاته، أو الاتِّحاد بالنِّعمة التي تجعلنا شركاء الطَّبيعة الإلهيَّة، بدون أنْ يكون جوهرنا بالتَّبعيَّة هو جوهر الله. في التَّأليه، نحن نكون بالنِّعمة كلَّ ما في الله بالطَّبيعة ... نحن نظل مخلوقات بينما نكون آلهة بالنِّعمة، مثلما ظَلَّ المسيح إلهًا عندما صار إنسانًا بالتجسُّد ..."

الاتِّحاد بالله لا يمكن أنْ يتمَّ أو يحدث خارج الصَّلاة، لأنَّ الصَّلاة هي علاقةٌ شخصيَّة مع الله. هذا الاتِّحاد لا بدَّ أنْ يتحقَّق في أشخاصٍ بشريِّين، ويجب أنْ يكون الاتِّحاد شخصيًّا، وعن وعي، وبالإرادة!

كلُّ الفضائل معًا تبلغ كمالها في الصَّلاة، بينما الفضائل مِن المُحتمل ألَّا تُدعَّم إنْ لم تكن الرُّوح تتحوَّل باستمرارٍ وبثباتٍ نحو الصَّلاة. وعلاوة على ذلك، فإنَّ أعظم الفضائل التي هي المحبَّة التي يتمُّ فيها الاتِّحاد السرِّي بالرب، هي نفسها ثمرة الصَّلاة، كما يقول مار إسحق St. Isaac the Syrian: [لأنَّه في الصَّلاة يتقابل الإنسان مع الله شخصيًّا، حيث يعرفه ويحبُّه].

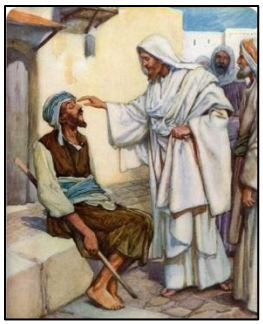
"المعرفة (gnosis) والمحبَّة متداخلتان تمامًا في النُّسْك الشَّرقي"[٤].

---

(4) Vladimir Lossky, *The Mystical Theology of the Eastern Church*. James Clarke and Co. Ltd. Cambridge and London. 1968.

أسرار
الحياة المقدَّسة
(١)

«فَجَمِيعُ الَّذِينَ لَمَسُوهُ نَالُوا الشِّفَاءَ»
(مت ١٤: ٣٦)



• «ثُمَّ إِنْ طَلبتَ مِنْ هُنَاكَ الرَّبَّ إِلهَكَ تَجِدْهُ إِنْ التَمَسْتَه بِكلِّ قَلْبِكَ وبِكُلِّ نَفْسِكَ» (تث ٤: ٢٩).

تمهيد:

يقول داود النبي والمُرنِّم: «الرَّبُّ قَرِيبٌ لِكُلِّ الَّذِينَ يَدعونَهُ، الذِينَ يَدعونَهُ بالحَقِّ» (مز ١٤٥: ١٨)، وإرميا النبيُّ يصيح قائلًا: «طَيِّبٌ هوَ الرَّبُّ لِلَّذِينَ يَترَجُّونَهُ، للنَّفْسِ التي تَطْلُبهُ» (مرا ٣: ٢٤)، وكذلك يكتب يعقوب الرسول بالروح: «اِقْتَرِبُوا إِلَى اللهِ فَيَقْتَرِبَ إِلَيكُمْ» (يع ٤: ٨). إذن، فمن الواضح أنَّ هناك دعوَةً من الروح لكلِّ إنسانٍ لكي يقترب ويَتقدَّم إلى الربِّ، حتى ينال غايته، ويُحقِّق رجاءه. كما أنَّ هناك أيضًا، رَدُّ فعلٍ إيجابي من الربِّ نفسه؛ إذ يُؤكِّد لنا السيِّد على حَتميَّة استجابته لكلِّ مَنْ يقصده ويطلبه، وأنَّه سيُبادر بالاقتراب أكثر لكلِّ مَن يدعوه ويطلبه ويصرخ إليه! ورُبَّما يسبق هو، فيذهب إليه ليَسمع أنِينَه ويُتَمِّم له مُراده؛ كما صنع مع بارتيماوس الأعمى، الذي كان يصرخ نحوه قائلًا: «يا يَسُوعَ ابْنَ دَاوَدَ ارْحَمْنِي» (مر ١٠: ٤٧)، فقد التَفَتَ يسوع نحوه، فأسرعت الجموع لتُحضره ليسوع، مُخاطبين الرجل قائلين له: «ثِقْ! قُمْ! هُوذَا يُنَادِيكَ» (مر ١٠: ٤٩)، ثمَّ شفاه الربُّ يسوع بعد ذلك.

والاقتراب من الربِّ، والتَّقدُّم إليه، والتلامُس معه، بُغية تحقيق غاية الإنسان واحتياجه؛ يتَطلَّب توافُر بعض الأمور الأساسيَّة، التي يمكنُنا إيجازها فيما يلي:

- الاشتياق والرَّغبة لرؤية الربِّ يسوع، ثمَّ السَّعي نحوه.
- وضوح الغاية والهدف، وسلامتهما.
- الإيمان الكامل والثِّقة في المسيح، لنَيْل هذه الغاية وهذا الرجاء.

يوجد كثيرون يشتاقون ويرغبون في الاقتراب من الربِّ يسوع، والسَّير معه والتَّمتُّع بعشرَته؛ ومن ثمَّ، تَحقيق كلِّ رجائهم وطموحاتهم من جهته – سواء الروحيَّة أو الماديَّة – وذلك بُغية سَدِّ

احتياجاتهم، وتحقيق أمانيهم وإشباعهم. وهذا الأمر تكرَّر مع كثيرين مِمَّن تَبِعوا يسوع، مثل التلاميذ الأطهار، ويهوذا الإسخريوطي، وأُم ابنَي زَبَدي، وغيرهم. وكثيرون منهم عاشوا مع الربِّ حياةً مُشتَرَكة، إبَّان حياته بالجسد على الأرض؛ فقد أكلوا وشَرِبوا معه، وكانوا قريبين جدًّا منه، ولمسوه وعايَنوه، ومع كلِّ ذلك، فإنَّ بعضهم لم يَنَلْ منه شيئًا مِمَّا كان يرجوه!

انظروا، ها هوذا يهوذا الإسخريوطي الذي أكلَ مع الربِّ خُبزَه، قد رفع على السيِّد عَقِبه (انظر: يو ١٣: ١٨)! وكذلك أُم ابنَي زَبدي، التي اقتربت منه طامحة في مجدٍ وكرامة لوَلدَيها في مملكة الربِّ التي تنتظرها، مُقابل تبعيَّتهم له. هذا فضلًا عمَّا حدث مع تلاميذ آخرين للربِّ يسوع؛ فقد تخلَّفوا عن السَّير معه، بعد ما استصعَبوا تَعليمه عن أَكل جسده وشُرب دَمه المُعطِيين الحياة للعالم، ورأوا مدى وُعُورَة الطريق الذي سوف يَسيرون فيه إنْ تَبِعوا يسوع. كما لا يُمكن أنْ ننسى الشاب الغَنى، الذي اقترب أوَّلًا بفرحٍ إلى الربِّ يسوع ليَتبَعه؛ ولكنَّه تَعثَّر وحَزِنَ وتراجع أخيرًا، بعد ما اصطدم بصخرة محبَّة المال والغِنَى، فغلبته محبَّتهما على قبول تكلفة الاقتراب من الربِّ يسوع، التي استلزَمت منه تَرْك كلِّ شيء من أجله، وحَمْل الصليب، قبل السَّير وراءه.

ورغم أنَّنا لا ننكر وجود احتياجات حقيقيَّة ومشروعة للإنسان من نحو الله، سواء بخصوص نَيْل بعض العطايا والبركات الخاصَّة؛ كالشِّفاء من الأمراض والغُفران، والصحة والنجاة والنجاح، وغيرها من نِعَم الله الكثيرة والمُتنوِّعة – مع أنَّ الربَّ يسوع قد أكَّد لنا تَكَفُّلَه بها: «لَكِنْ اطْلُبُوا أَوَّلًا مَلَكُوتَ اللهِ وبِرَّه، وهَذِهِ كُلُّهَا تُزَادُ لَكُم» (مت ٦: ٣٣) – إلاَّ أنَّ الأمر هنا مُتَعلِّقٌ بمقدار الإيمان الكائن في الإنسان المُتقدِّم للربِّ من جهة تحقيق هذه الاحتياجات، ومُتَعلِّقٌ أيضًا، بمقدار اشتياقه ومحبَّته ورجائه في الربِّ نفسه. هذا إلى جانب ضرورة مشروعيَّة وروحانيَّة وخَيريَّة وصلاح هذه الطلبات، ومدى حاجة الإنسان إليها. ويتَجلَّى هذا الأمر في بعض الأمثلة من الأحداث، مثل:

✝ **شفاء المرأة نازفة الدَّم:** فهذه المرأة امتلكت إيمانًا عظيمًا، وجازفت بالاقتراب من السيِّد، غيرُ عَابئة بمعرفة الناس بضعفِها. وكانت لها كلُّ الثقة أنَّها بمجرد لَمس هُدْب ثوب المسيح فسوف تنال الشِّفاء. فبسبب جرأة إيمانها وثقتها، وهذا الاشتياق والاتِّضاع، وهذا الإصرار والسَّعي؛ نالت الشِّفاء الذي تَرَجَّته، بينما لم يَنَلْ عشرات المُزاحمين والمُلامسين للسيِّد بالجسد، والمُلْتَفِّين حوله شيئًا (انظر: لو ٨: ٤٥ – ٤٧)! وهذا الأمر هو ما ذَكره الكتاب المقدَّس عن

أولئك الذين قالوا للربِّ: إنَّنا أكلنا وشَرِبنا قُدَّامك في شوارعنا. فأجابهم يسوع بقوله: اذهبوا لا أعرفكم، من أين أنتم؟ (انظر: لو ١٣: ٢٦،٢٧)، وذلك لعدم إيمانهم، وزَيف تَبَعيَّتهم له.

✝ **توما الرسول، وجراحات المسيح:** أراد توما الرسول أن يَلمس جراحات المسيح، لكي يُثبِّت ويَعضُد إيمانه بقيامة الربِّ، وكان بالحقِّ، تائقًا لذلك بشوَقٍ كبير، لا من أجل عدم إيمانه، بل لاشتياقه أن يجد شاهدًا ماديًّا ملموسًا يعضُد شهادته وكرازته للآخرين عن قيامة الربِّ، وهذا يَنسجم مع ما قاله التلاميذ فيما بعد: «... لنَا نَحْنُ الَّذِينَ أَكَلْنَا وشَرِبنَا مَعَه بَعْدَ قِيَامَتِهِ» (أع ١٠: ٤١). لذلك قَصَد الرب يسوع أن يُصحِّح لتوما الأساس الذي يَنبغي أن يَبني عليه إيمانه – بعد ما حَقَّقَ له مُراده، وأكَّدَ له قيامته، وثَبَّت إيمانه – فأوضَحَ له أنَّ الإيمان لا يَنبغي أن يقوم ويَثبُت على أساس اللَّمس والحَواس الجَسديَّة. فالشَّركة والتلامُس مع المسيح القائم من بين الأموات ومع جراحاته؛ هي شركةٌ حيَّةٌ وإيمانٌ حيٌّ بعمله الفدائي، وهذه الشَّركة ليست زمنيَّة، بل هي شركة دائمة لكلِّ مَنْ يؤمن إلى نهاية الدهور. ومع هذا، فقد صار لَمْسُ توما لجراحات المسيح أيضًا، شهادة اعترافٍ رسوليَّة لقيامة الربِّ لكلِّ الأجيال.

لَمْسُ المسيح، أم التَّلامُس معه؟

يقول القدِّيس يوحنا ذهبي الفم: [أنتم تشتاقون أن تَرَوْا ثيابه، أمَّا هو فيَهبكم ذاته، لا أنْ تَرَوْه فحسب؛ بل أنْ تلمسوه وتأكلوه وتَقبلوه في داخِلكم]. فكما سبق القول، كان هناك البعض مِمَّن تَرجَّوا أن يَلمسوا يسوع لينالوا الشفاء وغيره، مثل نازفة الدَم والأعمى وغيرهما، ولكن لم يَنَلْ الجميع ما أرادوا. فهناك مَن نالوا مُرادهم من أجل **إيمانهم الحقيقي** وثقتهم في الربِّ **واشتياقهم** إليه، وآخرون لم يَنتفعوا شيئًا من لَمْس الربِّ يسوع بالجسد، أو مِن مُعاشرتهم له، مثل يهوذا والشَّاب الغَني. وقد وَضَع لنا الربُّ يسوع المعيار الأمثل والقاعدة الذَّهبيَّة التي تُوضِّح مفهوم لَمْس المسيح والالتصاق به، أو الاقتراب منه وطلبه؛ وهو ما سبق وأعلنه الربُّ يسوع لتلميذه توما الرسول بقوله: «لأَنَّكَ رَأَيْتَنِي يا تُومَا آمَنْتَ. طُوبَى لِلَّذِينَ **آمَنُوا وَلَمْ يَرَوْا**» (يو ٢٠: ٢٩)، وكذلك قول بطرس الرسول بالروح: «الَّذِي وَإِن لَمْ تَرَوهُ تُحِبُّونَهُ. ذَلِكَ وَإِنْ كُنْتُم لا تَرَوْنَهُ الآنَ، لَكِنْ **تُؤمِنُونَ بِهِ**، فَتَبتَهِجُونَ بِفَرحٍ لا يُنطَقُ بِه وَمَجِيدٍ» (١بط ١: ٨)، وكما عبَّر عنه أيضًا القدِّيس يوحنا ذهبي الفم، في قوله السابق ذكره.

إذن، فالمقصود بالاقتراب من الربِّ، ليس هو اللَّمس الجسدي أو المادِّي، فهما لا يُحقِّقان شيئًا بدون الإيمان بشخص الربِّ نفسه وقُدرَته. فمريم المجدليَّة ومريم الأخرى لَمَسَتا قَدَمَي

الربِّ يسوع، وأمسَكَتا بهما ، بعد ما لاقاهما المُخلِّص في الطريق بعد قيامته من بين الأموات؛ ومع هذا، رأينا مريم المجدليَّة أيضًا، عائدةً بغير يقينٍ في هذه القيامة، لكي تبحث عن يسوع باكيةً وذارفةً الدموع، لكي تطلبه كجسدٍ ميتٍ قد سُرِق! ولم يُسعفها لَمسُها لهذا الجسد القائم من بين الأموات، أو يُشبِع نفسها أو يُداوي جراحها؛ وذلك بسبب ضعف إيمانها. لذلك منعها يسوع من لمس جسده مرةً أخرى، لأنَّ اللَّمس بدون إيمانٍ لن يُجدي أو ينفع الإنسان. فصار مفهوم لمس الربِّ والاقتراب منه، أكثر عُمقًا، وأعظم دلالةً واتِّساعًا وامتدادًا زمنيًّا، ليشمل كلَّ الأجيال الآتية أيضًا، ويفوق في معناه وقوَّته كلَّ مفهومٍ جسدي ومادي وزمني محدود، أو اختصاصٍ لأُناسٍ بعينهم؛ بل صار الاقتراب ولمس الربِّ هِبَةً وعطيَّةً عامة لكلِّ البشريَّة، لكلِّ مَنْ يؤمن. وهذه الهِبَة تتمثَّل في جسد الربِّ ودمه الأقدسين، الموهوبَيْن لنا على المذبح، ودعوته الدائمة لنا للتَّقدُّم والاشتراك فيهما، والاتِّحاد بهما، والاقتراب والالتصاق بهما؛ من أجل نَيْل الغفران والخلاص والحياة الأبديَّة مجَّانًا، وذلك لكلِّ مَن يتقدَّم إليهما بإيمانٍ وثقةٍ واشتياق.

التلامُس مع المسيح:

أعطانا الربُّ يسوع بعد قيامته وعند صعوده جسديًّا إلى السموات، وعدًا إلهيًّا بحضوره الدائم معنا كلَّ يوم وإلى انقضاء الدهر (انظر: مت ٢٨: ٢٠). وهذا الحضور الإلهي قائمٌ بالروح القدس الذي أرسله الربُّ للكنيسة، مُمَثَّلًا في الأسرار المقدَّسة العاملة في المُؤمنين حتى مجئ الربِّ ثانيةً، حيث تأتي الإفخارستيَّا لتُمثِّل لنا قمة الحضور الإلهي (جسد الربِّ ودَمه الأقدَسَيْن)، باعتبارهما جوهر الأسرار؛ بالتواجد الحيِّ لشخص الربِّ على المذبح، اللَّذين نستطيع – ليس فقط رؤيتهما ولمسهما – بل بالحري أكلهما والاتِّحاد الكامل بهما (أي بالربِّ نفسه)، فننال بهما الخلاص والحياة الأبديَّة. فالاقتراب من الربِّ ومُلامسته صارا مُتاحَيْن للجميع بلا عائق، وواهبَيْن لكلِّ مفاعيل الخلاص الموهوبة للبَشر، كما كانت بكلِّ زَخمها وقت وجود الربِّ يسوع بجسده على الأرض.

أخيرًا علينا أن نَستوعِب بعض الحقائق عن معنى تلامُسنا مع المسيح والاتِّحاد به، فيما يلي:

- ✝ التلامُس مع المسيح هو علاقةٌ شخصيَّةٌ وخاصَّة، يُدرِكها الإنسان عندما يَتقدَّم بانسحاقٍ وإخلاصٍ للتناول من الأسرار المقدَّسة، باستعدادٍ قلبي، وإكرامٍ لائقٍ بالله، واهب هذه النِّعَم الإلهيَّة.
- ✝ التلامُس مع المسيح هو عَطيَّةٌ وهِبَةٌ مجَّانيَّة يَمنحها الله نفسه، لكلِّ الذين يُحِبُّونه

ويُكرِمونه من كلِّ قلوبهم، ويواظبون ساهرين على طلب رحمته. كذلك هو هِبَة يُعطيها الربُّ لأصحاب القلوب المُستيقظة والمُنتظِرة سماع صوته وعمل مشيئته. فهو واقفٌ على الباب يقرع، وما علينا سوى النهوض. فلنُسرع لنَفتح له، ولا نُقسّي قلوبنا؛ حينئذٍ، سَيدخل ليتَعشَّى معنا ونحن معه.

✝ التلامُس مع المسيح أيضًا، لم يَعُد علاقةً ماديَّة أو حِسيَّة، بل صار قوَّةً وشِبعًا روحيًّا بالربِّ وأسراره وكلمته، كما صار التلامُس معه إحساسًا صادقًا بوجوده، وفرحًا وتسبيحًا لحضوره الإلهي فينا، وهذا ينعكس علينا بفيض الفرح والإيمان والبهجة التي تملأنا، كقول بطرس الرسول: «الَّذِي وَإِنْ لَمْ تَرَوْهُ تُحِبُّونَهُ. ذَلكَ وإِنْ كُنْتُم لا تَرَوْنَهُ الآنَ لَكِن تُؤمِنونَ بِه، فَتَبْتَهِجُونَ بفرحٍ لا يُنْطَقُ بِه ومَجِيدٍ» (١بط ١: ٨).

بهذا الإيمان، نقدِر أن نَستَعلِن حضور الربِّ والشَّركة معه – لا أنْ نلمسه فحسب – بل نَتَّحِد به، فننال منه، ليس الشفاء الجسدي فقط، بل وشفاء النَّفس والروح أيضًا. مُتذكِّرين أُمَّنا العذراء القدِّيسة مريم، التي آمنت بما قِيل لها من قِبَل الربِّ؛ فحملت في أحشائها ذاك الذي لا تَسَعهُ السموات والأرض. وصار الخالق ابنًا للبشريَّة بالجسد من خلالها، بسبب اتِّضاعها وإيمانها الذي لا يُبارَى. فصارت لنا باكورةً لاتِّحاده بجبلتنا، ومثالًا لإمكانيَّة لمسِه والاقتراب منه؛ بل والاتِّحاد به والثَّبات فيه، مثل الأغصان في الكَرمَة، بنِعمَة روحه القدُّوس.

****

دير القدِّيس أنبا مقار

بتصريح سابق من الأب متى المسكين بالإعلان عن مشروع معونة الأيتام والفقراء (مشروع الملاك ميخائيل)، حيث يعول هذا المشروع منذ عام ٢٠٠٠ أكثر من ألفين من العائلات المُعدمة، يمكن تقديم التقدمات في رقم الحساب الآتي:

00211300000153

دير القدِّيس أنبا مقار

بنك كريدي أجريكول مصر – فرع الميرغني

****

بحث تاريخي

التراث القبطي في مدينة الأقصر

(٢)

الأستاذة الدكتورة/ شيرين صادق الجندي
أستاذ الإرشاد السياحي والآثار والفنون القبطيَّة
بكلية الآداب – جامعة عين شمس

تكلَّمنا في المقال السابق (عدد سبتمبر ٢٠٢٦م، ص ٤٣) عن بعض أهمِّ المعالم التراثيَّة القبطيَّة في مدينة الأقصر الأثريَّة، وذكرنا: ١ – كنيسة معبد ميدامود شمال الأقصر، ٢ – دير الشايب في مدينة الأقصر الأثريَّة؛ ٣ – الآثار القبطية بمعابد الكرنك؛ ٤ – الآثار القبطيَّة في معبد الأقصر. ونستكمل في هذا العدد بقيَّة المعالِم الأثريَّة القبطية في مدينة الأقصر:

٥ – الآثار القبطيَّة في معبد مدينة هابو:

وعلى الضفة الغربية لنهر النيل في الأقصر، شيَّد الملك رمسيس الثالث (١١٨٦ – ١١٥٥ ق.م.) معبده المعروف باسم: "معبد مدينة هابو"، الذي يُعَدُّ واحدًا من أكبر وأهمِّ المعابد المصريَّة القديمة المُشيَّدة في البرِّ الغربي بطيبة. وقد اكتُشِفَت بداخله بقايا كنيسة أثريَّة قبطيَّة من القرن الخامس الميلادي بعد الصَّرح الثاني للمعبد. وبداخلها حائط يفصل صحنها عن الخورس المؤدِّي إلى الهياكل الشرقية. ويوجد حوض اللقَّان في منتصف الناحية الغربية من الصحن[١].

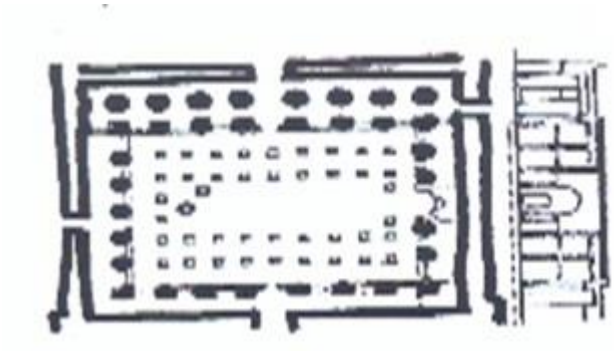
ويُعتَقَد أنه كانت هناك كنيسة أخرى بالقرب من الباب الجنوبي لسور المعبد. وقد عُثِرَ داخل أطلال هذه الكنيسة، المؤرَّخة من القرن السابع الميلادي، على ثلاثة أروقة. كما يُرْجِع البعض البقايا الأثريَّة لهاتين الكنيستين، إلى العصور الأولى التي شهدت تحويل كثيرٍ من المعابد الوثنيَّة في مصر إلى أديرة وكنائس قبطيَّة **(الشكل رقم ٥/أ – ب)**. وبصفةٍ عامة، تُعرف مدينة هابو في الأقصر بالاسم القبطي **Jeme**. وقد عُثِر فيها على كمياتٍ كبيرة من البرديات والشقافات الأثريَّة الهامة، التي احتوت كتاباتها على تفاصيل كثيرة عن المسيحيَّة

(١) الأنبا صموئيل، "دليل الكنائس والأديرة في مصر"، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٢٠٣.

والرهبنة القبطيَّة والحياة الاجتماعيَّة المُبكِّرة للأقباط.



أ



ب

(الشكل رقم ٥) أ. https://www.google.com/url?sa=t&source=web&rct=j&url=

ب. الآثار القبطيَّة في معبد مدينة هابو. نقلًا عن: الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٢٢.

٦ – الآثار القبطيَّة في وادي الملوك بالأقصر:



(الشكل رقم ٦) وادي الملوك. نقلًا عن: https://ar.wikipedia.org/wiki/%

وفي وادي الملوك، توجد بعض الرسومات لكلٍّ من القدِّيسين: الأنبا أنطونيوس الكبير وباخوميوس وبلامون وثيئودوروس وهورسيس، بالإضافة إلى القدِّيس أمونيوس أسقف إسنا، في مدخل مقبرة الملك رمسيس الرابع (تقريبًا ١١٥٥ – ١١٤٩ ق. م.) الموجودة في بداية هذا الوادي الصخري.

كما تظهر كثيرٌ من المخربشات والنقوش الأثريَّة اليونانيَّة والقبطيَّة واللاتينيَّة، والرسومات المسيحيَّة، في مقابر كلٍّ من الملك رمسيس الثالث، وكذلك الملك رمسيس السادس (١١٤٥ – ١١٣٧ ق.م.)[٢] **(الشكل رقم ٦)**.

كما تمَّ العثور على بقايا قلَّايات الرهبان ومساكن المسيحيِّين الأوائل، لا سيَّما في القرنين الرابع والخامس الميلاديَّين، حيث استخدموا هذه المقابر المصريَّة القديمة والمناطق الصخرية المرتفعة المُحيطة بها كأماكن للتعبُّد والصلاة، بعد أن قاموا بتغطية الرسومات الوثنيَّة فيها.

(٢) الأنبا صموئيل، "دليل الكنائس والأديرة في مصر"، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٢٠٢.

٧ – الدير البحري غرب الأقصر:



(الشكل رقم ٧) معبد الدير البحري. نقلًا عن: egymonuments.gov.eg

اكتشف أعضاء البعثة الأثريَّة البولنديَّة أطلال بعض الآثار القبطيَّة، وبالأخصِّ بعض القلَّايات القديمة في المستوى الثالث العلوي في معبد الدير البحري[٣]، الذي شُيِّد للملكة حتشبسوت (حوالى ١٥٠٥ – ١٤٥٨ ق.م.)، والتي حكمت مصر في عصر الأسرة الثامنة عشرة في الدولة الحديثة **(الشكل رقم ٧).**

ويُقصَد بالدير البحري "الدير الشمالي". كما عُثِر على بعض الرسومات الجداريَّة والكتابات القبطيَّة في بعض حجرات هذا المعبد المصري القديم الهام، مِمَّا يؤكِّد استخدامه للصلاة بواسطة بعض الرهبان الأقباط في عصورٍ مسيحيَّةٍ مُبكِّرة.

٨ – دير المُحارب غرب الأقصر:

شُيِّد هذا الدير القبطي للقدِّيس تادرس المُحارب خلف مدينة هابو على بعد كيلومترًا تقريبًا في الاتِّجاه الغربي **(الشكل رقم ٨/أ – ب).**

وبالدير كنيسة أثريَّة وبعض القلَّايات الحديثة. وتُعتَبَر الهياكل الثلاثة الجنوبية، هي الأجزاء الأقدم في هذه الكنيسة، بالإضافة إلى الجزء الغربي المواجه لهم، والذي يحتوي على حائط عرضي لمنطقة الخورس، وفي صحن الكنيسة عمودان دائريان. وترجع هذه الأجزاء المعماريَّة إلى القرن الخامس عشر الميلادي.

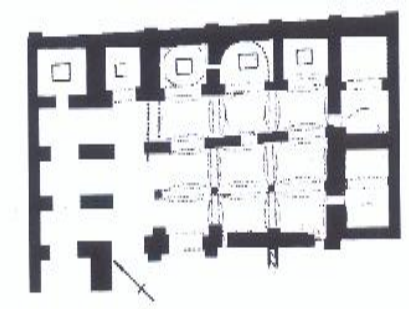
وقد تمَّت إضافة هيكلين شماليَّين. وباب الكنيسة في الجنوب الغربي هو الباب الأصلي[٤]. وفي كنيسة دير المُحارب بالأقصر أحجار من مباني مصريَّة قديمة شُيِّدت على البرِّ الغربي للنيل.

---

(٣) الأنبا صموئيل، "دليل الكنائس والأديرة في مصر"، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٢٠٣.

(4) S. Clarke, *Christian Antiquities in the Nile Valley*, Oxford, 1912, 116-118; P. Grossmann, Mittelalterliche Langhauskuppelkirchen, Glückstadt, 1982, 203-205;

الأنبا صموئيل، "دليل الكنائس والأديرة في مصر"، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٢٠٤.





أ ب

(الشكل رقم ٨/أ – ب) دير المُحارب.

نقلًا عن: الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٢٠٤.

٩ – دير المدينة غرب الأقصر:



(الشكل رقم ٩) دير المدينة. نقلًا عن: https://ar.wikipedia.org/wiki

بُنِيَ دير المدينة على بُعْد كيلومترًا في الناحية الشمالية من مدينة هابو **(الشكل رقم ٩)**. ويُعتَقَد أنه كان معبدًا بطليميًّا، أمر بتشييده الملك بطليموس الرابع (٢٢٢ – ٢٠٤ ق. م.).

وعُثِر بداخله على كنيسةٍ قبطيَّةٍ مُكرَّسة للقدِّيس الأنبا إيسيذوروس، طبقًا لِمَا ذكره الباحث الألماني ميناردوس، وهو ما تؤكِّده أيضًا الرسومات الحائطيَّة والنقوش الأثريَّة المُكتشفة بداخله[٥].

١٠ – دير الرومي:

سبقت الإشارة إلى هذا الدير الأثري القبطي الهام والمبني فوق الجبل غرب مدينة هابو، وبالقرب من وادي الملكات، في مقالتنا المنشورة عام ٢٠٢٣م[٦].

---

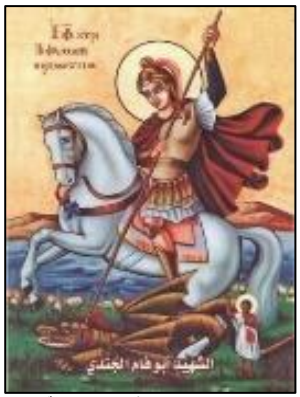
(5) M. Jullien, "Le Culte chrétien dans les temples de l'antique Égypte", *Études* 92, 1902, 237-53; E. Baraize, "Compte-rendu des travaux exécutés à Deir el-Médineh", *Annales du Service des antiquités de l'Égypte* 13, 1914, 19-42; B. Bruyère, "Rapport sur les fouilles de Deir el-Médineh (janvier-mars 1939)", *Fouilles de l'Institut français d'archéologie orientale* 20, Le Caire, 1948-1952.

الأنبا صموئيل، "دليل الكنائس والأديرة في مصر"، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٢٠٤.

(6) P. Grossmann, "Untersuchungen im Dair ar-Rumi bei Qurna in Oberägypten", Mitteilungen des deutschen archäologischen Instituts Abteilung Kairo 30, 1974, 25-30.

١١ – دير "أبو فام" غرب الأقصر:

بُنِيَ هذا الدير للقدِّيس أبي فام في الناحية الغربية من وادي الملكات على بُعْد حوالي ثمانية كيلومترات منه[٧] **(الشكل رقم ١٠).** ويرجع هذا الدير إلى القرن الرابع الميلادي، وبه طابقان وبعض الكتابات الأثريَّة القبطيَّة. وقد تمَّت به حفائر بواسطة جمعية الآثار القبطيَّة.



(الشكل رقم ١٠) أيقونة للقدِّيس "أبوفام"، غرب الأقصر. نقلًا عن: https://ttemo95.blogspot.com/2021/03/blog-post.html#google_vignette

١٢ – دير إبيفانيوس ودير كيرياكوس غرب الأقصر:

يوجد دير كيرياكوس بين المقبرة ٦٢ الخاصَّة ببنبامون، والمقبرة رقم ٦٧ الخاصَّة بهابوسنبت، وهما من مقابر النُّبلاء المُشيَّدة بالقرب من جبل القرنة[٨] **(الشكل رقم ١١).** ويرتفع دير كرياكوس عشرين مترًا تقريبًا على الطريق المؤدِّي إلى الدير البحري على بُعْد أربعين مترًا تقريبًا منه. وقد أُجريت الحفائر الأثريَّة التي اكتُشِفَ خلالها هذا الدير القبطي، بواسطة أعضاء البعثة الأثريَّة التي وصلت من متحف المتروبوليتان في نيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية إلى مصر.



(الشكل رقم ١١). دير القدّيس إبيفانيوس غرب الأقصر. نقلًا عن: https://www.facebook.com/photo

الخاتمة:

مِمَّا سبق، يتَّضح أنه بعد أن أصبحت المسيحيَّة هي الديانة الرسميَّة في مصر في نهاية النصف الثاني من القرن الرابع الميلادي، تمَّ تحويل كثير من المعابد المصريَّة القديمة والبطليميَّة والرومانيَّة إلى أديرة وكناس قبطيَّة، وهو ما يُفسِّر ظهور بعض الرسومات الجداريَّة، والكتابات والنقوش الأثريَّة، والأشكال الآدميَّة المختلفة لبعض القدِّيسين والشهداء، إلى جانب كثير من الرموز المسيحيَّة كالصلبان، في المواقع الأثريَّة المصريَّة

شيرين صادق الجندي، "دير الرومي القبطي"، مجلة مرقس، العدد (٦٤٠)، مطبوعات دير الأنبا مقار، وادي النطرون (يناير ٢٠٢٣)، ص ٣٩-٤٤.

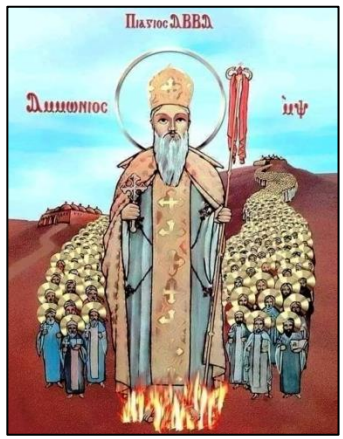
(٧) شيرين صادق الجندي، "أديرة قبطيَّة في مصر باسم القدِّيس أبي فام"، مجلة مرقس، العدد (٦٤٣)، مطبوعات دير الأنبا مقار، وادي النطرون (إبريل ٢٠٢٣)، ص ٤٤-٥٠.

(٨) الأنبا صموئيل، "دليل الكنائس والأديرة في مصر"، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ٢٠٥.

القديمة الموجودة حاليًّا في صعيد مصر، وخصوصًا على ضفَّتَي نهر النيل في مدينة الأقصر السياحيَّة، والتي تكتظُّ بأقدم وأكبر المعابد والمقابر المصريَّة القديمة، التي يحرص السائحون من مختلف الجنسيَّات على زيارتها باستمرار، باعتبارها من أكبر المتاحف الأثريَّة المفتوحة في العالم.

وهكذا يتنوَّع التراث المصري، وبالأخصِّ القبطي في مدينة الأقصر، ما بين أطلال الكنائس والهياكل، وبقايا القلَّايات والأعمدة والمعموديَّات والتصاوير الجداريَّة والنقوش الأثريَّة، وغيرها من التُّحف الفخاريَّة والبرديات والشقافات، وشواهد القبور القبطيَّة التي تضمَّنت زخارفها تفاصيل كثيرة عن تاريخ المسيحيَّة، وعن حياة النُّسَّاك والرهبان الأوائل والقدِّيسين والشهداء الذين تمسَّكوا بعقيدتهم بصمودٍ وشجاعة، حتى نالوا أكاليل الشهادة في العصور المسيحيَّة المُبكِّرة.

وأخيرًا، تتجلَّى كلُّ معالم هذا التراث القبطي في مختلف المواقع الأثريَّة القديمة في الأقصر، لتؤكِّد على التواجُد المسيحى المُبكِّر في البرَّيْن الشرقي والغربي لهذه المدينة. وتُعتبَر هذه المعالم الأثريَّة القبطيَّة جزءًا لا يتجزَّأ من تاريخ هذه المدينة التاريخيَّة والأثريَّة الهامة. كما أنها تُسهِم في جذب الزائرين من مختلف جنسيَّات العالم، للتعرُّف على حضارة مصر العظيمة في مختلف العصور التاريخيَّة.



القدِّيس الشهيد أنبا أمونيوس أسقف إسنا
وحوله جماعة من شهداء إسنا
وقد وُجِدَ رسمٌ له في وادي الملوك بالأقصر





رسائل خُربُر[١]

سي. إس. لويس [٢]

✞✞✞

كتاب "رسائل **خُربُر**"، المعروف بالإنجليزية باسم: **The Screwtape Letters**، هو كتابٌ أدبيٌّ مسيحيٌّ صَدَرَ عام ١٩٤٢م. يتكوَّن من ٣١ رسالة يكتبها شيطان مُتمرِّس يُدعى **"خُربُر"** إلى ابن أخيه الشيطان المُبتدئ **"علقم"**، ليُعلِّمه كيف يغوي إنسانًا عاديًّا ويقوده بعيدًا عن الله.

فكرة الكتاب:

يعرض الكاتب الأحداث مِن وجهة نظر الشياطين بدلًا مِن وجهة نظر الإنسان. لذلك يتحدَّث **"خُربُر"** عن الله باعتباره **"العدو"**، وعن الشيطان باعتباره "أب العالم السُّفلي". وهذه المُفارقة الساخرة تكشف للقارئ أساليب الشرِّ مِن خلال النصائح التي يُقدِّمها خُربُر لعلقم.

الشخص الذي يحاول "علقم" إفساده يُسمَّى غالبًا **"المريض"**، ولا يُركِّز الكتاب على اسمه أو على تفاصيل حياته، بقدر تركيزه على الصراع الداخلي الذي يمرُّ به: الشك، الإيمان، الصلاة، العلاقات، الطموح، الخوف، والاختيارات اليوميَّة.

أهم أساليب الإغواء:

ينصح خُربُر ابن أخيه بألَّا يعتمد فقط على الخطايا الكبيرة، بل على الانحرافات الصغيرة المُتكرِّرة التي تبدو عاديَّة، ومنها:

- تشتيت الإنسان أثناء الصلاة أو القراءة الروحيَّة.
- دفعه إلى القلق بشأن المستقبل أو الندم على الماضي.
- تحويل الاختلافات البسيطة إلى خصوماتٍ وكراهية.
- استغلال الغرور والمُقارنة بالآخرين.

---

(١) الكتاب صادر عن دار أوفير للطباعة والنشر، عمان ، الأردن، طبعة أولى: سنة ٢٠٠٧م. وهو ١٦٠ صفحة من القَطْع الصغير.

(٢) "سي إس لويس"، كاتب وباحث ومفكِّر لاهوتي بريطاني، وُلد عام ١٨٩٨م، وتوفِّي عام ١٩٦٣م. يُعدُّ من أبرز أُدباء ومفكِّري المسيحيَّة في القرن العشرين، اشتهر بأعماله الأدبيَّة الخياليَّة ودفاعه عن إيمانه. وله مؤلَّفات كثيرة مثل: "المسيحيَّة المُجرَّدة"، "سِجِلَّات نارنيا"، "أدهشني الفرح".

- جَعْل الإنسان يخلط بين الرغبات المؤقتة والسعادة الحقيقيَّة.
- دَفْعه إلى تأجيل التوبة والعمل الصالح باستمرار.
- إقناعه بأنَّ التديُّن هو مجرَّد مشاعر أو أفكار، لا أفعال يوميَّة.

الفكرة الأساسيَّة هنا، أنَّ الشرَّ لا يظهر دائمًا في صورةٍ واضحة ومُخيفة؛ ولكنه يتسلَّل عَبْر العادات، والتبريرات، والانشغال، والأنانيَّة.

تطوُّر القصة:

في البداية ينجح "علقم" جزئيًّا في إبعاد "**المريض**" عن الإيمان، خصوصًا مِن خلال التشويش والشَّكِّ والاهتمام بالأمور السطحيَّة. لكن الإنسان يعود إلى طريق الإيمان، ويبدأ في الصلاة والذهاب إلى الكنيسة وتكوين علاقاتٍ أفضل.

بعد ذلك يحاول "**خُربُر**" و"**علقم**" إفساد جوانب أخرى من حياة "المريض"، مثل:

- تحويل الإيمان إلى تعصُّبٍ أو غرور.
- إفساد علاقة الحبِّ بتحويلها إلى تملُّكٍ وأنانيَّة.
- إقناع الإنسان بأنَّ الالتزام الديني يمنحه تفوُّقًا أخلاقيًّا على الآخرين.
- دَفْعه إلى التركيز على أخطاء الناس ونسيان عيوبه.

ومع تقدُّم الرسائل، يوضِّح الكاتب أنَّ الإنسان قد يُخطئ كثيرًا، لكنه يستطيع العودة من خلال الوعي، والتوبة، والمحبة، والصلاة، والاختيار المسؤول.

ملخَّص الكتاب :

الفكرة الأساسيَّة أنَّ الكاتب يقلب المنظور: فهو بدلًا مِن أنْ يشرح لنا كيف ينبغي للإنسان أنْ يعيش، يجعلنا نرى كيف يُفكِّر الشيطان في إفساد الإنسان! ومن خلال ذلك، يكشف نقاط الضعف النفسيَّة والروحيَّة التي قد يستغلها الشرير.

من أبرز الأفكار: الشرُّ لا يحتاج دائمًا إلى خطايا كبيرة؛ أحيانًا يكفي أنْ ينشغل الإنسان بأمورٍ صغيرة حتى يبتعد تدريجيًّا عن الله.

التسويف وسيلة خطيرة، فالإنسان قد يقول: سأصلّي لاحقًا، سأتوب لاحقًا، سأُصلح علاقتي بهذا الشخص لاحقًا.

التَّشتُّت يمنع الإنسان من التفكير بعمق، ولذلك يحرص "**خُربُر**" على إبقاء الإنسان مُنشغلًا على الدوام بأمورٍ سطحيَّة.

الغرور والمُقارنة بالآخرين، يمكن أنْ يُحوِّلا حتى الأعمال الصالحة إلى مصدرٍ للكِبر والحسد.

المشاعر ليست دائمًا مقياسًا للحقيقة؛ فقد يشعر الإنسان بالفتور أو الشكِّ، وهذا لا يعني بالضرورة أنَّ إيمانه قد انتهى.

الصُّحبة والبيئة لهما تأثيرٌ كبير في الإنسان، ولذلك يحاول الشيطان إبعاده عن الأشخاص الذين يمكن أن يساعدوه روحيًّا.

في المقابل، فإنَّ التواضع، والصبر، والصلاة، والإيمان، ومراجعة النفس؛ تُقاوم هذه الوسائل.

الفكرة العميقة للكتاب:

أقوى ما في الكتاب، أنَّ الكاتب لا يُصوِّر الشرَّ على أنَّه شيءٌ مُخيف دائمًا، بل يُبيِّن أنَّه قد يظهر في صورة عاداتٍ عاديَّة جدًّا: الانشغال، الغضب، الغرور، الملل، حُب الظهور، تأجيل التوبة، أو الانشغال بأخطاء الآخرين.

وبالتالي، فالكتاب ليس مجرَّد كتاب عن الشياطين؛ بل هو في جوهره، دراسة ساخرة للنَّفْس البشريَّة، وكيف يمكن للإنسان أنْ يبتعد عن الله والخير دون أنْ يتنبَّه أو يشعر بذلك!

الخُلاصة في جملةٍ واحدة:

"رسائل خُربُر"، تُعلّمنا أنَّ الانحراف الروحي غالبًا لا يحدث بقفزةٍ واحدة، بل بسلسلةٍ من التنازُلات الصغيرة التي تبدو في البداية غير مهمَّة.

تلخيص سريع لبعض الرسائل

الرسالة الأولى: ينصح "خُربُر" ابن أخيه "علقم" ألَّا يدخل مع الإنسان في نقاشٍ منطقي؛ لأنَّ التفكير الجاد قد يقود الإنسان إلى الحقيقة. الأفضل أنْ يُشغله بالأمور اليوميَّة والانطباعات السطحيَّة.

الرسالة الثانية: يُطالبه أنْ يجعل نظر الإنسان على أعضاء الكنيسة ونقائصهم.

الرسالة الرابعة: ينصح بأنْ يُفكِّر الشخص في نفسه فقط، بدلًا مِن تركيزه على الله.

الرسالة السادسة: بدلًا مِن أنْ يعيش الإنسان في الحاضر، يدفعه للقلق بشأن المستقبل وما قد يحدث.

الرسالة السابعة: إنَّ أفضل حالة بالنسبة للشياطين، هي أنْ يرفض الناس وجودهم (أي وجود الشياطين) تمامًا، أو أن ينشغلوا بذواتهم بصورةٍ مَرَضيَّة، فكلاهما يُبعدان الإنسان عن الحقيقة المتَّزنة.

الرسالة الحادية عشرة: يحاول الشيطان استخدام الفُكاهة والسُّخرية لإفراغ المقدَّسات من معناها.

الرسالة الثانية عشرة: مِن أشهر أفكار الكتاب، أنَّ الطريق إلى الشرِّ ليس بالضرورة سقوطًا مُفاجئًا؛ بل هو سلسلة من التراكمات الصغيرة. فقد يكون انحدارًا تدريجيًّا هادئًا لا يشعر به الإنسان.

الرسالة الرابعة عشرة: تفريغ فضيلة التواضع الحقيقي إلى نوعٍ من الكبرياء: "أنا متواضع جدًّا"!

الرسالة الخامسة عشرة: الشيطان يريد أنْ يجعل الإنسان يعيش في الماضي بالندم، أو في المستقبل بالخوف والأماني، بدلًا من أنْ يعيش أمام الله في الحاضر.

الرسالة السادسة عشرة: يُشجِّع الشيطان مريضَه على الانتقال مِن كنيسةٍ إلى كنيسة، بحثًا عن الكنيسة المثاليَّة، بدلًا مِن أنْ يتعلَّم أنْ يَقبل ضعفات ونقائص إخوته.

الرسالة السابعة عشرة: ليس فقط يُحارب الشيطانُ الإنسانَ بالشَّراهة في الأكل وكمية الطعام، بل يصير الشخص أسيرًا لرغباته وشهواته.

الرسالة التاسعة عشرة: الشيطان يصعب عليه فَهْم محبَّة الله الباذلة للإنسان؛ لأنَّ عقليَّة الجحيم قائمةٌ على الأنانيَّة والاستغلال.

الرسالة الحادية والعشرون: يحاول الشيطان أنْ يجعل الإنسان غير مكتفٍ، يطمع أكثر في الاقتناء، يريد أنْ يمتلك كلَّ شيء، وأيضًا لا يشبع.

الرسالة الثانية والعشرون: الشيطان يريد أنْ يستخدم الحُبَّ لإبعاد الإنسان عن الله؛ لكن الله يستطيع أنْ يستخدم الحُبَّ ليقود الإنسان إليه.

الرسالة الثالثة والعشرون: الشيطان يدفع الإنسان لتتحوَّل المسيحيَّة مِن علاقةٍ شخصيَّةٍ بالمسيح، إلى مجرَّد أفكارٍ وشعاراتٍ واتِّجاهاتٍ اجتماعيَّة.

الرسالة الرابعة والعشرون: تتحوَّل المحبَّة المسيحيَّة بين الإخوة إلى غيرةٍ ومقارنةٍ وحسد.

الرسالة الخامسة والعشرون: يستغل الشيطان مَيلَ الإنسان إلى البحث الدائم عن الجديد، فيجعله يملُّ مِن الأشياء الثابتة والحقائق العميقة.

الرسالة السادسة والعشرون: تشويه المحبَّة، فيكتفي الشيطان أنْ يجعل الإنسان يحبُّ بالمشاعر وبالكلام واللِّسان بدلًا من المحبَّة الفعليَّة.

الرسالة الثامنة والعشرون: إذا كان الشخص الذي سيموت مستعدًّا روحيًّا، فهنا سيكون الشيطان في رُعبةٍ. وهذا سيكون كارثةً على الجحيم، لأن الموتَ سينقل الشخص إلى الله.

✞✞✞

أخيرًا، بالرغم مِن كلِّ ألاعيب وحروب الشيطان علينا، إلَّا أنَّ كلَّ خُططه تنهار أمام نعمة الله؛ وحتى الموت الذي يبدو للشيطان انتصارًا، يصبح للمؤمن انتقالًا إلى الحياة مع الله.

I Am the Light of the World

Ἐγώ εἰμι τὸ φῶς τοῦ κόσμου [1]
(Jn 8:12).

Enjoy your reading on the exposition of our Father Matta El-Meskeen to this title of Christ. Note: All quotations are taken from the ***Revised Standard Version,*** *if not otherwise mentioned.*

"Again Jesus spoke to them, saying, I am the light of the world; he who follows me will not walk in darkness, but will have the light of life" (John 8:12).

"I AM" Ἐγώ εἰμι: In expounding the Gospel of St John, we have often spoken of this title. It is the divine proclamation of Yahweh throughout the Old Testament: "Hearken to me, O Jacob, and Israel, whom I called! I am He, I am the first, and I am the last. My hand laid the foundation of the earth, and My right hand spread out the heavens" (Is 48:12, 13). Jesus Christ said the same in the book of Revelation with the words: "But He laid his right hand upon me, saying: 'Fear not, I am the first and the last, and the living one; I died, and behold I am alive for evermore, and I have the keys of Death and Hades" (Rev 1:17, 18).

Therefore, the declaration "I am" at the outset is an open proclamation meaning that Christ authoritatively and powerfully proclaims himself to be the Yahweh of the Old Testament.

"I AM THE LIGHT OF THE WORLD": Here, the word "light" is defined by the definite article, so that the light is absolutely and completely Christ's. This renders the meaning as: I am the complete light of the world. There exists no other light for the world. No one else other than Christ can be considered as its light.

Indeed, the whole verse, not only the phrase "the light of the world" but also its beginning "I am" is defined by the definite article. It is a proclamatory verse in which Christ announces himself as the Yahweh God of the New Testament. The definite article in "the light" points to the person of Christ and not to his nature. So, the light here is not thought of as a mere emanation but as a radiant person. So, the meaning is defined in this way: the light works through the person of Christ and not through the nature of God.

[1] From the book of Father Matthew the Poor, *Titles of Christ,* Orthodox Research Institute, Cambridge, 2008, ISBN: 978-1-933275-21-5, p. 149-154.

Christ does not give out light but offers himself: “In him was life, and the life was the light of men” (Jn 12:36).

Christ explained it in the rest of the verse by saying: “... he who follows me will not walk in darkness; but will have the light of life” (Jn 8:12). We perceive “the light of life” as we perceived “the bread of life” The bread is not bread nor is the light, but life in Christ is the bread and the light. The world does not need a light to illuminate what is in it but needs a completely new life based on the light of God. Which means Christ’s words “I am the light of the world” aims basically at changing the world to a completely new life. Therefore, Christ’s aim of being in the world is focused on faith in him personally so that the world is transformed into light through Christ: “While you have the light, believe in the light, that you may become sons of light” (Jn 12:36).

Faith in Christ, based on abiding in him, transforms the world and its sons to a world of light, which means the world of God. Christ offered himself to the world through three means: love, truth and the sacrifice of life till death:

For “having loved his own who were in the world, he loved them to the end” (Jn 13:1). Thus, he implanted his love in the Church, which he made his body, indeed his kingdom.

He established the truth by making known to the disciples all that was in the Father. He proclaimed the truth to the world and bore witness to it: “and for this I have come into the world, to bear witness to the truth” (Jn 18:37).

Then, he made a sacrifice of his life to the point of death, thus deepening the love and consolidating the truth for the world to be nourished by the love and drink in the truth.

Yet, Christ did not say that he would remain permanently in the world. Christ did not pledge himself to the world of man. He warned humanity that his existence in the world was for a certain time. For that reason, he laid great stress on following him and having faith in him: “The light is with you for a little longer. Walk while you have the light, lest the darkness overtake you; he who walks in the darkness does not know where he goes” (Jn 12:35).

When Christ uttered these words, the time available to him was actually very limited. So much so that after quoting his words, St. John highlights the depth of mystery in them by adding the comment: “When Jesus had said this, he departed and hid himself from them” (Jn 12:36). Yet, until today, Christ offers himself to whomever opens up his heart to him. But beware, the offer will not remain open! If anyone is slow to respond and then changes his mind and goes back to trying to discern the voice, he will not find it. When Christ begins to proclaim himself to humanity, as the light of the world or the light of mankind, his presence depends on man’s response. It is as if the world and everyone in it were responsible for the presence and permanence of Christ. We can accept the light, becoming his children or, rather, his followers. But if we do not accept the light, the words of the Scripture will be fulfilled: “he departed, and hid himself from them” (Jn 12:36). The call is thus defined; either to be followers of the light, or his enemy and live in darkness. In Christ’s words, “I am the light of the world” lays the promise to remain; and a permanent promise to the world that, according to the degree

of its faith in the light, it will be transformed into the light of life. As a result, love will survive and the truth be attained.

In taking a close look at history, we find that it has been recorded in a unique and ineffable way that the earth and its inhabitants have had several fruitful experiences in receiving, uniting with and adopting the light. There were whole epochs when almost all the world loved and knew the light, when the truth was revealed through the great Apostles, saints and bishops of theology who had attained the highest revelations and recorded their experiences and knowledge. These exist as a testimony to the world that it has gone through stages of terrific transformation. All of which have been counted as credit in the records which Christ started the day he said: "I am the light of the world."

Setbacks and failures, no matter how numerous or overwhelming, are not going to be counted in the records of change. For the world is still changing and advancing. Behind it there is a driving force which ensures its progress. He who said, "I am the light of the world" spoke advisedly. He knew the power of the light to overcome darkness. No matter how much territory death may have won both in time and space, the final victory of the resurrection is assured. I have already mentioned that Christ did not offer himself on the cross until he had made himself accountable for the whole world. Satan had roamed freely for a time. He had tyrannized humanity and sullied a few of its epochs with darkness and ignorance. Yet, the resurrection became known and was reckoned from the day Christ rose from the dead.

When Christ said: "I am the light of the world," he placed himself in a position of confrontation with the evils of the world and the violent upheavals caused by rebellion against God. These movements of apostasy have to run their course until the stocks which fueled them are burned up. These amount to faithlessness, treachery, lies and the distortion of truth. When God's truth is declared, the light is made manifest, and all humanity sees it. After which the works of the flesh which Satan exploited for his own purposes will fade away, as the works of light begin in the world of light.

LIGHT AND LOVE: St John the Apostle interchanges the meaning of light with love and of hatred with darkness. As acts of love do not agree with acts of hatred any more than light with darkness: "Yet I am writing you a new commandment, which is true in him and in you, because the darkness is passing away and the true light is already shining. He who says he is in the light and hates his brother is in the darkness still. He who loves his brother abides in the light, and in it there is no cause for stumbling. But he who hates his brother is in the darkness and walks in the darkness, and does not know where he is going, because the darkness has blinded his eyes" (1Jn 2:8-11). The darkness is the stretch of time without Christ; while both light and love exist wherever Christ is present.

Since love is the most sensitive measure of light, it became the standard by which to discern between light and darkness. The true light was originally alien to humanity, being found neither in human nature nor its characteristics. For this reason, God, in His grace, offered Himself to humanity, to share with Him the life of light. He, therefore, transferred us from darkness to His marvelous light. Out of love for us, He brought us

into the Kingdom of His Son. This reflects the nature of true love which, like the light, is a gift of God: “For God so loved the world that He gave His only Son, that whoever be lives in him should not perish but have eternal life” (Jn 3:16). It follows that he who walks in the ways of love will walk in light. If anyone says he is walking in light and hates his brother, he is immediately discovered to be a liar. Because he who walks in light lives in light, in other words, lives in Christ and Christ does not harbor hatred or animosity.

Therefore, he who lives in Christ, as Christ said, has “the light of life” which means he loves his brother. Love, light and life are mutually compatible: they are a trinity of synonyms. He who leads the life of one of them leads the life of the rest. Hatred, darkness and death are also synonyms. They make a stubborn trio. He who stumbles into one of them stumbles into them all.

Hence, Christ with his words “I am the light of the world” has called for, and at the same time guaranteed, both love and everlasting life. He has pledged himself to every human being in the world: anyone who follows him and has faith in him will find the promise of the love of God, and eternal life in him, fulfilled. Every human being inherits from the past darkness, animosity and death and these are what his life consists of. A person who is transformed in Jesus Christ is converted to the love, life and light of God. And it is by the conversion of individuals that the world itself is transformed.

Christ’s offer to the world of himself to be its source of light, life and love is not made without a price. God invested this gift with a value by the offering of his Son to suffer until death, bearing the hatred of his killers and the injustice of his accusers. The only motive that God had for suffering this tragedy in his Son was his true love of the world: “For God so loved the world that he gave his only Son ...” (John 3:16).

Christ’s words “I am the light of the world” were neither empty nor cheap. They were paid for in advance with the acceptance and joy with which he endured his suffering, shame and disgrace on the cross. “Looking to Jesus the pioneer and perfecter of our faith, who for the joy that was set before him endured the cross, despising the shame, and is seated at the right hand of the throne of God” (Heb 12:2). This means that now every human being in the world has the right to his share of life, in God’s light, with the gift of love. For whoever desires it and believes in him, God has paid the price in pain and death with his son’s blood on the cross.

Actually, this fearful cost was precisely calculated. Even though it is really high, in God’s eyes, it is worth it--so that you can triumph over darkness, death and animosity to live with him eternally in his light. “You were bought with a price. So glorify God in your body” (1Cor 6:20). “You know that you were ransomed from the futile ways inherited from your fathers, not with perishable things such as silver or gold, but with the precious blood of Christ, like that of a lamb without blemish or spot” (1Pet 1:18, 19).

✞✞✞

The Unity of the Church's Faith

The Church, having received this preaching and this faith, although scattered throughout the whole world, yet, as if occupying but one house, carefully preserves it. She also believes these points [of doctrine] just as if she had but one soul, and one and the same heart, and she proclaims them, and teaches them, and hands them down, with perfect harmony, as if she possessed only one mouth.

For, although the languages of the world are dissimilar, yet the import of the tradition is one and the same. For the Churches which have been planted in Germany do not believe or hand down anything different, nor do those in Spain, nor those in Gaul, nor those in the East, nor those in Egypt, nor those in Libya, nor those which have been established in the central regions of the world. But as the sun, that creature of God, is one and the same throughout the whole world, so also the preaching of the truth shineth everywhere, and enlightens all men that are willing to come to a knowledge of the truth.

Against Heresies I, 10, 2; ANF, I, p 331.

****

ἐκ τοῦ ἁγίου Εἰρηναίου

Τοῦτο τὸ κήρυγμα παρειληφυῖα, καὶ ταύτην τὴν πίστιν [...] ἡ Ἐκκλησία, καίπερ ἐν ὅλῳ τῷ κόσμῳ διεσπαρμένη, ἐπιμελῶς φυλάσσει, ὡς ἕνα οἶκον οἰκοῦσα· καὶ ὁμοίως πιστεύει τούτοις, ὡς μίαν ψυχὴν καὶ τὴν αὐτὴν ἔχουσα καρδίαν, καὶ συμφώνως ταῦτα κηρύσσει, καὶ διδάσκει, καὶ παραδίδωσιν, ὡς ἓν στόμα κεκτημένη.

Καὶ γὰρ αἱ κατὰ τὸν κόσμον διάλεκτοι ἀνόμοιαι, ἀλλ᾽ ἡ δύναμις τῆς παραδόσεως μία καὶ ἡ αὐτή. Καὶ οὔτε αἱ ἐν Γερμανίαις ἱδρυμέναι ἐκκλησίαι ἄλλως πεπιστεύκασιν, ἢ ἄλλως παραδιδόασιν, οὔτε ἐν ταῖς Ἰβηρίαις, οὔτε ἐν Κελτοῖς, οὔτε κατὰ τὰς ἀνατολὰς, οὔτε ἐν Αἰγύπτῳ, οὔτε ἐν Λιβύῃ, οὔτε αἱ κατὰ μέσα τοῦ κόσμου ἱδρυμέναι· ἀλλ᾽ ὥσπερ ὁ ἥλιος, τὸ κτίσμα τοῦ Θεοῦ, ἐν ὅλῳ τῷ κόσμῳ εἷς καὶ ὁ αὐτὸς, οὕτω καὶ τὸ κήρυγμα τῆς ἀληθείας πανταχῇ φαίνει, καὶ φωτίζει πάντας ἀνθρώπους τοὺς βουλομένους εἰς ἐπίγνωσιν ἀληθείας ἐλθεῖν.

SC 264, p. 158-161

St. Mark *Monthly Review*
Published by: The Monastery of St. Macarius the Great, Wadi El-Natrun.
ANNUAL SUBSCRIPTIONS (10 issues a year, July& August excluded, sent by Int. Courier):
U.S. $150.00
Subscriptions to be paid through our Website as mentioned below, or sent by a check to:
"St Macarius Printing House", P.O. Box 1574, Centreville, VA 20122, USA.
No materials may be reproduced in whole or in part without written permission from the publisher.
© 2026
by the Monastery of St Macarius the Great.
Library of Congress Catalogue Card Number: 80–960629. ISSN 2805-2382
VISIT THE WEBSITE OF THE MONASTERY: WWW.STMACARIUSMONASTERY.ORG

ST. MARK October 2026

Monthly Review



The glorified Christ seated on top of the world
Icon from the 12th century AD



بشارة الملاك جبرائيل للعذراء بميلاد الربِّ يسوع

«وَفِي الشَّهْرِ السَّادِسِ أُرْسِلَ جِبْرَائِيلُ الْمَلاَكُ مِنَ اللهِ إِلَى مَدِينَةٍ مِنَ الْجَلِيلِ اسْمُهَا نَاصِرَةُ، إِلَى عَذْرَاءَ مَخْطُوبَةٍ لِرَجُلٍ مِنْ بَيْتِ دَاوُدَ اسْمُهُ يُوسُفُ. وَاسْمُ الْعَذْرَاءِ مَرْيَمُ. فَدَخَلَ إِلَيْهَا الْمَلاَكُ وَقَالَ: "سَلاَمٌ لَكِ أَيَّتُهَا الْمُمْتَلِئَةُ نِعْمَةً! الرَّبُّ مَعَكِ. مُبَارَكَةٌ أَنْتِ فِي النِّسَاءِ"» (لو ١: ٢٦ – ٢٨).

مرقس

رسالة الفكر المسيحي للشباب والخُدَّام

السنة ٧٠ **نوفمبر ٢٠٢٦م.**

العدد ٦٧٨ **بابة / هاتور ١٧٤٣ش.**

المحتويات

الافتتاحية: كلمة قداسة البابا تواضروس الثاني:

احذر "اللّسان الكاذب" ١

مقال للأب متى المسكين:

وضوح الهدف وإنكار الذَّات..... ٥

من أقوال الآباء:

الفضائل والشرور الناشئة من الإرادة الحُرَّة (٢) .. ٩

تعاليم آبائيَّة:

الأسلوب المسيحي في الحياة (١) ١٦

بمناسبة موسم الميلاد المجيد:

رموز العهد القديم التي تُشير إلى والدة الإله (١) .. ٢٢

من التراث الكنسي:

معرفة الله (٢٧) ٢٨

أسرار الحياة المقدَّسة (٢):

"أَرِنا الآب وكَفَانا"..... ٣٢

بحث تاريخي:

أهم أديرة وكنائس السيِّدة العذراء الأثريَّة

بالوجه القبلي في مصر (١)..... ٣٨

تقديم كتاب: مستعدُّون للمُجاوبة..... ٤٣

مقال بالإنجليزية:

Living With Christ, Vol. 4, 84 ,85 ..... ٤٨

من تعليم آباء الكنيسة

للقدِّيس غريغوريوس النزينزي

السِّرُّ العظيم: آدم الجديد يُخلِّص آدم الأول

(ترجمة النص اليوناني الآبائي المنشور في باطن الغلاف الأخير)

✠

[ما هو السِّرُّ العظيم الصائر من أجلنا؟
شيءٌ جديدٌ أصاب الطبائع: لقد صار اللهُ إنسانًا!...
لقد قَبِل ابنُ الله أنْ يصير ويُدعى ابنًا للإنسان؛
لا بأن يتغيَّر عمَّا كان عليه – فإنَّه غير قابل للتَّغيير
بل باقتنائه ما لم يكن له – لأنَّه مُحبٌّ للبشر،
لكي يصير غيرُ المُحوَى محويًّا (مُدركًا)، حين يتكلَّم معنا،
بواسطة الجسد المتوسِّط بيننا وبينه، كمثل حجابٍ؛
لأنَّ طبيعتنا المولودة في الفساد
ما كانت تحتمل لاهوته المُجرَّد.
ولذلك امتزجت الأمور غير القابلة للامتزاج ...
امتزج الهوان بالَّذي أسمى من كلِّ كرامة،
والآلامُ بمَنْ هو غير مُستهدَف للألم،
والجسد المُعرَّض للفساد بالذي هو عديم الموت.
وبينما كان ذلك الماكر يظنُّ أنَّه لا يُقهَر في شرِّه،
وقد أغوانا برجاء الأُلوهة،
صار هو نفسه يُغوَى بأُحجية الجسد؛
حتى كما هجم على آدم، يتعدَّى أيضًا على الله.
وهكذا يُخلِّصُ آدمُ الجديدُ آدمَ القديمَ،
ويُنقَض الحُكْمُ الواقع على الجسد،
ويُمات الموتُ بالجسد].

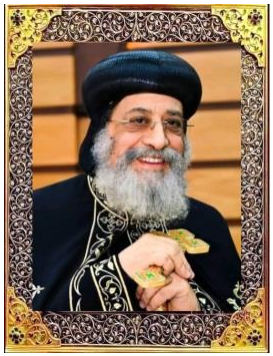
(عظة ٣٩: ١٣ عن الأنوار المقدَّسة)

مرقس: يصدرها دير القديس أنبا مقار – برية شيهيت

مكتب التوزيع والاشتراكات
القاهرة: ٢٨ شارع شبرا
تليفون: ٢٥٧٧٠٦١٤
٠١٢٨٢٧٥٢٣٢٤
٠١٠٢٣٨٢١٣٨١
الإسكندرية: ٨ شارع جرين - محرم بك
تليفون: ٠٣٤٩٥٢٧٤٠
تصفَّح مجلة مرقس في موقع الدير على الإنترنت:
www.stmacariusmonastery.org
عنوان البريد الإلكتروني:
stmarkcare@gmail.com

رئيس التحرير: الأب سرجيوس المقاري
تسديد الاشتراكات:
عن طريق خدمة أورانج كاش
وفودافون كاش
الخاصة بأرقام تليفون المجلة
وهي:
٠١٢٨٢٧٥٢٣٢٤
٠١٠٢٣٨٢١٣٨١
وتبدأ سنة الاشتراك
في يناير من كل عام
مطبعة دير القديس أنبا مقار

ثمن النسخة ٢٠ جنيهًا
الاشتراك السنوي: حرٌّ ... حدُّه الأدنى:
٢٠٠ جنيه: داخل مصر (تسليم باليد)
٣٥٠ جنيهًا: في حالة الدفع عن طريق المُحصَّل
٣٠٠ جنيه: في حالة الدفع عن طريق:
خدمة أورانج كاش وفودافون كاش
١٥٠ دولارًا أمريكيًّا: في البلاد الأخرى
عنوان المراسلات:
ص. ب ٣١ شبرا ـ القاهرة
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢١٧ / ٢٠٢٦
الترقيم الدولي: ISSN 2805-2382



احذر
«اللِّسان الكاذب»
(أ)
(أم ٢٦: ٢٨)
لصاحب القداسة
البابا تواضروس الثاني



الأصحاح الثالث من رسالة معلّمنا يعقوب الرسول هو من الأصحاحات المُتخصِّصة في موضوعاتٍ محدَّدة، مثل (١كو ١٣) هو أصحاح المحبَّة، كذلك (عب ١١) أصحاح الإيمان؛ أمَّا (يع ٣) فهو مُتخصِّص في اللِّسان والكلام.

الكلام من أكثر الأنشطة اليوميَّة في حياة الإنسان وله خمسة مظاهر:

✠ يتكلَّم. ✠ يستمع. ✠ يقرأ. ✠ يكتب. ✠ يُفكِّر.

اللِّسان عضوٌ صغير من أعضاء جسم الإنسان: «هكَذَا اللِّسَانُ أَيْضًا، هُوَ عُضْوٌ صَغِيرٌ» (يع ٣: ٥)، وبالرغم من ذلك هو المسؤول عن الكلام (مع الحنجرة، الفم، الشفتين)، كما أنه يُستَخدَم في تذوُّق الطعام والشراب؛ إلى جانب أنه يقوم بالتعبير عن أفكار العقل بالنُّطق والتكلُّم.

واللِّسان يحمل خطايا كثيرة طول حياة الإنسان، فأول خطايا يقع فيها الإنسان هي خطايا اللِّسان، خاصَّةً الأطفال الصغار، فالطفل يكذب لأنه خائف من العقاب.

أيضًا اللِّسان هو وسيلة اتِّصال بين الإنسان والله، فبه نُبارك الله، كما أنه هو أيضًا وسيلة بها ننطق بكلمات الشَّرِّ، إذ به نلعَن الناس كما قال يعقوب الرسول: «بِهِ نُبَارِكُ اللهَ الآبَ، وَبِهِ نَلْعَنُ النَّاسَ» (يع ٣: ٩).

لقد تعجَّب القدِّيس يعقوب الرسول من ذلك، فكيف أنَّ هذا اللِّسان الذي به نُبارِك الله ونقول: "قدوس الله"، هو نفس اللِّسان الذي يدين الآخرين ويحكم على الآخرين ويلعنهم أيضًا. فيتساءل في عجبٍ ويقول: هل يصلح أن يكون هناك ينبوع يُخرِج ماءً مالحًا وماءً عذبًا معًا؟! (يع ٣: ١١).

هناك أيضًا اللّسان الشاكر، واللسان النَّمَّام؛ واللّسان المُشجِّع، واللّسان الكاذب موضوع حديثنا:

الكذب:

الكذب هو: الخداع، سوء التبليغ، المُراوغة، تشويه الحقيقة، الادِّعاء والتزوير، اللَّف والدوران.

ويبدو أنَّ الكذب خطيةٌ صغيرة، وربما من أوائل خطايا الإنسان، وأكثرها انتشارًا، وأكثرها سهولة، وأمام الله هو سببٌ للهلاك الأبدي.

إنَّ تاريخ الكذب تاريخٌ طويل منذ بداية الخليقة. فهو العلامة الأولى في كلام الشيطان، فحينما كذب الشيطان على أبوينا آدم وحواء وقال لهما: «لَنْ تَمُوتَا!»، فهو صفة بارزة في الشيطان، ولذلك قال عنه السيِّد المسيح: «... كَذَّابٌ وَأَبُو الْكَذَّابِ» (يو ٨: ٤٤).

والشخص الكذوب يُلقي بالمسؤوليَّة على غيره لتبرير ما قد يقع فيه من مواقف مُحرِجة أو تقصير في المسؤوليَّة.

هناك شخصيَّات تتَّصف عن غيرها بخداع الآخرين، فتجد الكذب يبدو طبيعيًّا مع البعض.

والإنسان الكذَّاب لديه قدرة سريعة على التكيُّف مع مختلف المواقف دون التزام بالمُثُل والمبادئ والقِيَم. والإنسان الكذَّاب دائمًا يتلوَّن، دائمًا طريقته غير مُريحة ولا يُعتَمَد عليه. وبهذه الصورة يكون الكذب هو الخطية التي حذَّرنا منها الكتاب المقدَّس، حيث حذَّرنا من الأنبياء الكَذَبَة. فالكذب ليس عند الشيطان فقط، بل هناك مَنْ نطق في أفواههم مثل الأنبياء الكَذَبَة، ويظهر ذلك في قوله عن إغواء أخآب الملك ليُهلِكه: «وَأَكُونُ رُوحَ كَذِبٍ فِي أَفْوَاهِ جَمِيعِ أَنْبِيَائِهِ» (١مل ٢٢: ٢٢).

لقد حذَّرنا السيِّد المسيح بقوله: «إِنْ قَالَ لَكُمْ أَحَدٌ: هُوَ ذَا الْمَسِيحُ هُنَا أَوْ هُنَاكَ فَلَا تُصَدِّقُوا. لأَنَّهُ سَيَقُومُ مُسَحَاءُ كَذَبَةٌ وَأَنْبِيَاءُ كَذَبَةٌ وَيُعْطُونَ آيَاتٍ عَظِيمَةً وَعَجَائِبَ، حَتَّى يُضِلُّوا لَوْ أَمْكَنَ الْمُخْتَارِينَ أَيْضًا» (مت ٢٤: ٢٣ – ٢٤). وكما يتكلَّم الشيطان على أفواه الأنبياء الكَذَبَة، يتكلَّم في أفواه السَّحرَة والعرَّافين والمُنجِّمين ومُدَّعي معرفة الغيب.

ولذلك:

- الله يكره الكذب: لأن الله هو الحق (يو ١٤: ٦)، «وَأَنَّ كُلَّ كَذِبٍ لَيْسَ مِنَ الْحَقِّ» (١يو ٢: ٢١).

- يتكلَّم الربُّ على لسان إشعياء قائلًا: «أَنَا الرَّبُّ مُتَكَلِّمٌ بِالصِّدْقِ» (إش ٤٥: ١٩).
- قالوا للسيِّد المسيح: «يَا مُعَلِّمُ، نَعْلَمُ أَنَّكَ صَادِقٌ» (مت ٢٢: ١٦).
- ودُعِيَ الربُّ في سِفْر الرؤيا: «الشَّاهِدُ الأَمِينُ الصَّادِقُ» (رؤ ١٩: ١١).
- الله يكره الكذب، لذلك يقول الكتاب: «كَرَاهَةُ الرَّبِّ شَفَتَا كَذِبٍ، أَمَّا الْعَامِلُونَ بِالصِّدْقِ فَرِضَاهُ» (أم ١٢: ٢٢).

اللِّسان الكاذب خطيةٌ قد تطيح بالإنسان وتُبعده عن السماء. والشيء العجيب أنك عندما تقرأ في سِفْر الرؤيا في الأصحاح قبل الأخير، تجده يضع قائمة من ثمانية أنواع من الناس لن يدخلوا السماء، ويضع معهم خطايا ثقيلة، ومن هذه الخطايا الثقيلة: "خطية الكذب": «مَنْ يَغْلِبْ يَرِثْ كُلَّ شَيْءٍ، وَأَكُونُ لَهُ إِلهًا وَهُوَ يَكُونُ لِيَ ابْنًا. وَأَمَّا الْخَائِفُونَ وَغَيْرُ الْمُؤْمِنِينَ وَالرَّجِسُونَ وَالْقَاتِلُونَ وَالزُّنَاةُ وَالسَّحَرَةُ وَعَبَدَةُ الأَوْثَانِ وَجَمِيعُ الْكَذَبَةِ، فَنَصِيبُهُمْ فِي الْبُحَيْرَةِ الْمُتَّقِدَةِ بِنَارٍ وَكِبْرِيتٍ، الَّذِي هُوَ الْمَوْتُ الثَّانِي» (رؤ ٢١: ٧ – ٨). وهنا تظهر الخطورة الشديدة لهذه الخطية، أن صاحب خطية الكذب مصيره الهلاك.

مؤشِّرات الكذب:

لوحة العدَّادات في السيَّارة ما هي إلَّا مؤشِّرات تمدُّك بالمعلومات عن كمية الوقود في خزَّان السيَّارة، وعن السرعة التي تقود بها، وعن مستوى ضغط الزيت ... إلخ.

كذلك هناك مؤشِّرات تُسهِم في كشف الإنسان الكذَّاب منها:

١. التغيُّر في طبقة الصوت، ومعدَّل سرعة الكلام، والتَّمتمة والتَّلعثُم. إنَّ المُخادعين يغلب عليهم فترة صمت أطول بعد طرح الأسئلة عليهم لتحضير إجاباتهم الكاذبة.
٢. تعبيرات الوجه أو العينين أو الرأس أو الذِّراعين أو الرِّجلين، قد تُسهِم في كشف الإنسان الكذَّاب.
٣. قد يستخدم الكذَّاب الحلفان ليؤكِّد أنه صادق، مع العِلْم أنَّ الإنسان الصادق والنزيه لا يحتاج إلى مثل هذه الأمور، لأنه نموذج للقدوة والاستفادة.
٤. قد يستخدم الكذَّاب أشياء ذات دلالاتٍ دينية مثل: المسبحة، أو يُظهِر الكُتُب المقدَّسة، ويذكر بعض الاقتباسات الدينية من الكُتُب المقدَّسة.
٥. يؤكِّد لمُحدِّثهِ بعبارات الأخلاق والتربية مثل قوله:
   - "إنَّ تربيتي لا تسمح لي بذلك".

- "أنا لستُ من ذلك النوع من الناس".
- "أنا شخصٌ محترم، لا أفعل هذا".
- "أنا زوجٌ مُخْلِص/ زوجةٌ مُخلِصة".

مع أنَّ ذوي الأخلاق الجيِّدة ليسوا مُضطرين لأن يُخبروك باستقامتهم، فهم يعيشون في الاستقامة طوال الوقت.

٦. استخدام المُجاملة المُفرِطة، أي إنه يتصرَّف بأدبٍ شديد جدًّا (لكن هذا لا يعني أن الآداب العامة والسلوكيَّات المقبولة اجتماعيًّا، ستارٌ للخداع). وهذه نُلاحظها في الأطفال عندما تقترب أعياد ميلادهم أو الأعياد السنويَّة، ستندهش من طيبتهم وأدائهم للمطلوب منهم، حتى يمحوا من ذاكرة آبائهم سلوكيَّاتهم السيِّئة على مدار العام.

٧. قد يغضب الإنسان الكذَّاب ويثور ليُخفي كذبه، مثلما فعل بطرس عندما أنكر السيِّد المسيح.

يقول الكتاب: «فَابْتَدَأَ حِينَئِذٍ يَلْعَنُ وَيَحْلِفُ: "إِنِّي لَا أَعْرِفُ الرَّجُلَ!"» (مت ٢٦: ٧٤).

(يتبع)

البابا تواضروس الثاني

بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسيَّة

****

الاتِّحاد الإعجازي

للقدِّيس غريغوريوس النزينزي

[يا له من اتِّحادٍ من نوعٍ جديد! يا له من التحامٍ إعجازي! الكائن بذاته يشترك في الصيرورة (قد صار جسدًا)، غير المخلوق يجعل نفسه مخلوقًا، غير المُحوَى يصير محويًّا، وذلك بتوسُّط نفسٍ عاقلة تتوسَّط بين لاهوته وكثافة الجسد. الذي يُغني الجميع يجعل نفسه مفتقرًا. فقد افتقر بأَخْذ جسدي لكي أغتني أنا بلاهوته. الذي هو "الملء" قد أفرغ (أخلى) نفسه، أفرغ نفسه من مجده إلى حين لكي يجعلني أنا شريكًا في ملئه. فما أغنى صلاحه، وما أعظم هذا السر الذي صنعه لأجلي! كنتُ شريكًا في صورته، ولم أُحافظ على الصورة، والآن قد اشترك في جسدي، ليُجدِّد فيَّ هذه الصورة، بل ويجعل جسدي أيضًا خالدًا. فقد أعطاني شركةً معه أعجب جدًّا من الشركة الأولى: ففي القديم أشركني فيما هو أفضل مني (أي صورته ومثاله)؛ وأمَّا الآن فقد اشترك هو في أردأ ما فيَّ (ليُخلِّصني منه)، وهذا العمل الأخير يُظهِر صلاحه الإلهي بطريقةٍ أسمى جدًّا من العمل الأول لدى ذوي الفهم!] **(عظة ٤٥: ٩)**

****

مقال للأب متى المسكين

وضوح الهدف وإنكار الذَّات[1]



✣❁✣

• "ليس رحمة في الدينونة لمَنْ لم يعمل الرحمة"
(الخدمة الثالثة من صلاة نصف الليل).

المُشاركة الوجدانيَّة للآخرين:

❖ لقد عايشتُ – في رهبنتي – الإنسانَ في مُعاناته، وعملتُ في كلِّ الأعمال التي يقوم بها أيُّ عامل بجهدٍ أو بصعوبة: بيَّضتُ حوائط، عملتُ على سقَّالات، بَنَيتُ بالأحجار، حَملتُ قروانات، طليتُ بالطين، نظَّفتُ دورات مياه؛ هذا كلُّه كان عن الجانب الإنساني في حياتي. أمَّا عن الجانب الروحي في الإنجيل، فقد عايشتُ الربَّ في تجواله في المجامع، وفي المدن والقُرى، ومع معجزاته ومع التلاميذ وأعمالهم. فقد عشتُ في كلِّ حَدَث، ودخل إلى أعماقي، فصار للإنجيل عُمقٌ وصدًى داخلي وفي كياني. وبهذين الجانبين (المُشاركة الوجدانيَّة، والعُمق الروحي)، استطعتُ أن أكتب وأُترجم هذه الخبرات في كتاباتي. فكتاباتي ليست موهبةً ولا مقدرة؛ ولكنها ثمرةٌ لهذين الشِّقَّين: الشِّق الروحي، والشِّق الإنساني؛ أو بمعنى آخر: العُمق الإنساني والعُمق الروحي للإنجيل في حياتي.

❖ من الممكن لأيِّ إنسانٍ أن يكتب أفضل منِّي؛ ولكن ذلك لا يمكن أن يكون إلَّا حينما يلتقط حركة الروح وتنضج في باطنه (داخله)، وحينئذ سوف يوجد مَنْ يكتب أفضل منِّي.

فما كتبتُه يكشف عن جانبٍ وجدانيٍّ في الإنسان قد عايشتُه. لذلك يستحيل على الكاتب الذي يجلس فقط على المكتب أن يكتب نظيرها. كذلك نجد أنَّ قصة استشهاد القدِّيسَين الرسولَين بطرس وبولس، متمشِّية مع روح سِفْر الأعمال كتكمِلةٍ طبيعيَّةٍ له. والسرُّ – كما قلتُ – غير راجع لمعرفةٍ أو موهبة، ولكن لمُشاركة حقيقيَّة للإنسانيَّة في أتعابها وفي مُعاناتها، مع شِبَعٍ بالإنجيل العملي الذي دخل إلى أعماقي، فأعطاني أن أتكلَّم به بغزارةٍ وسهولةٍ وفاعليَّة.

هذا هو الإنجيل المُعاش والمُطبَّق على واقع الحياة بجانبيها: الإنساني والروحي.

---

(١) ملخَّص حديث لقدس أبينا الروحي القمص متى المسكين مع رهبان الدير، صباح يوم ١٩٧٩/٧/٩م.

سِرُّ التعثُّر والبُطء في النموِّ الروحي:

❖ إنَّ سرَّ تأخُّرنا وبُطء حدوث التغيير والنموِّ، إنما يرجع إلى انحراف الهدف (مهما كان طفيفًا أو غير ظاهر). فالهدف الواضح والمستقيم في حياة الراهب، وإنكاره لذاته؛ هما عاملان خطيران في حياتنا. وهدف الراهب الوحيد أن يصير لا شيء، أي أن يعيش راهبًا ويموت راهبًا، ولا يبتغي شيئًا، ولا يسعى لأن يكون شيئًا. فإذا اتَّضح الهدف وصار هكذا مستقيمًا، حينئذٍ يتكوَّن للإنسان منهجٌ وفكرٌ وطريقٌ واحدٌ واضحٌ ومُتجانس. فالذي يقوله اليوم يقوله بعد سنة بدون تغيير ولا تناقُض؛ وذلك لأن الهدف واحدٌ وواضحٌ أمامه. فنستطيع أن نلمح فيه تناسُقَ الكلام وحُسنَ تركيبه، ونجده يُمثِّل منهجًا نافعًا قابلًا للتطبيق وطريقًا واحدًا واضحًا. فعندما يكون الهدف هو أن تصير لا شيء، وأن تَظلَّ لا شيء؛ عندئذ ستجد الإنجيل قد انفتح أمامك عشرين ضعفًا أكثر ممَّا هو عليه الآن.

ولكن لكي يصير الراهب لا شيء، يلزم أن يُنكر ذاته كلَّ يوم ويُبغضها، حسب قول الربِّ: «إِنْ كَانَ أَحَدٌ يَأْتِي إِلَيَّ وَلَا يُبْغِضُ أَبَاهُ وَأُمَّهُ وَامْرَأَتَهُ وَأَوْلَادَهُ وَإِخْوَتَهُ وَأَخَوَاتِهِ، حَتَّى نَفْسَهُ أَيْضًا، فَلَا يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ لِي تِلْمِيذًا» (لو ١٤: ٢٦). وعليه أن يُحاسب نفسه ويواجهها المواجهة المُرَّة والدقيقة، ويُراجعها على كلِّ سقطةٍ وكلِّ عملٍ يُخالف الهدف الواحد والمستقيم الذي خرج من أجله، حتى يظلَّ هذا الهدف واضحًا أمام عينيه كلَّ حين.

فلا تُفوِّت للذَّات شيئًا مهما بدا صغيرًا، لئلَّا تعتاد عليه وعلى فعله، أو السلوك به. ولا شكَّ أن أكثر إنسان في العالم يحتاج إلى إنكار الذات، هو الراهب.

الهدف الواضح وإنكار الذَّات:

❖ وضوح الهدف وإنكار الذَّات هما اللَّذان سيفتحان لنا كلَّ أسرار الإنجيل، لنأخذ ونُعطي الآخرين – من فيض الروح – رسالة حياةٍ وإرشادٍ نافذين إلى القلوب بقوَّة الروح القدس. وكلُّ مَنْ فقدهما (وضوح الهدف وإنكار الذَّات)، ضاع المنهج الإنجيلي من حياته وتأثيره فيها، وفي كلماته وإرشاداته. فيكون الكلام حلوًا، ولكن داخله مرارة؛ والكتابة والإرشادات جميلة، ولكن بلا تأثير؛ والأقوال غزيرة، ولكن بدون فاعليَّة. فلا تقدر حينئذ أن تُقنِع ولا أن توصِّل كلمة الحياة الأبديَّة وقوَّتها لسامعيك.

حدِّد أولًا هدفك من كلِّ عملٍ تعمله، أي: الهدف من العمل، الهدف من الصلاة، الهدف من قراءة الإنجيل، ومن كلِّ خدمةٍ تؤدِّيها، حتى تتأكَّد من وحدة الهدف ووضوحه وصحَّته، قبل الشروع فيه.

حياة البذل والعطاء:

❖ حياة البذل والخدمة ضروريَّة جدًّا لنا: «مَغْبُوطٌ هُوَ الْعَطَاءُ أَكْثَرُ مِنَ الأَخْذِ» (أع ٢٠: ٣٥)، «أَعْطُوا تُعْطَوْا» (لو ٦: ٣٨). والبذل هو أن تُقدِم على عملٍ أكبر منك. وكلُّ تضحيةٍ أو بذلٍ أو حبٍّ قدَّمته في حياتي، نِلتُ مُقابله عشرات وعشرات المرَّات عزاءً وكرامةً. وآية حياتي التي أخذتُ منها الكثير جدًّا كانت: «وَإِنْ لَمْ تَكُونُوا أُمَنَاءَ فِي مَا هُوَ لِلْغَيْرِ، فَمَنْ يُعْطِيكُمْ مَا هُوَ لَكُمْ؟» (لو ١٦: ١٢). فنحن علينا أن نُعطي بسخاء ونبذل ونتعب من أجل الآخرين، فيُعطينا الله ما هو لنا.

وما من مرَّةٍ أنزل من قلَّايتي مُتعبًا ونفسي مُثقلة وأقول: "يا ربُّ الرحمة"، ثم يتقابل معي راهبٌ ويقول لي: "أنا تعبان"، وأبتدئ أن أُريحه رويدًا رويدًا، حتى أجد أنني – أنا نفسي – مَنْ نلتُ راحةً وسلامًا يفوقان كلَّ عقلٍ أو تصوُّر.

فبالهدف الواضح وإنكار الذات المستمر، مع حياة البذل، يتكوَّن الفكر السليم والمنهج المقدَّس، وتستحق أن تصير "أبًا"، بحسب الاسم الذي تُدعى به: (أبونا فلان). فأنتم بعد سنة أو سنتين كان يلزم أن تصيروا آباءً قادرين أن تُرشِدوا الآخرين، وتوجِّهوا وتُقنعوا الذين أمامكم بالحياة الأبديَّة. وقتها سيكون الإرشاد ليس من الذات، وإنما من وراء الذات، لأنها ستكون قد صُلِبَت أصلًا؛ فيكون حينئذ كلامكم بدافع الخير لمَنْ أمامكم، بلا أيَّة شائبة ترتدُّ إلى الذات.

علامة الأُبوَّة الحقيقيَّة:

❖ إنَّ علامة الأُبوَّة الحقيقيَّة هي: أن تتمنَّى الخير بصدقٍ للذي أمامك، بل وتتوق أن يصير أحسن منك. وأنتم تجدونني أحيانًا أنتهر، أو أُربِّت، أو أصيح في شخصٍ أمامي؛ فهذا يكون من أجل صالح هذا الشخص، وليس من أجل نفسي؛ ولكن ذلك وفق ما تستدعي حالة الشخص الذي أمامي وظروفه.

عندما يهتزُّ الهدف في حياتنا، أو تظهر أهدافٌ أخرى، ولو في خلفيَّة فكر الإنسان، مثل أن يكون قدِّيسًا أو صاحب معجزاتٍ أو كرامات، أو أن يصبح أسقفًا أو بطريركًا ... إلخ؛ وقتها لن تجد لمثل هذا الإنسان فكرًا واحدًا واضحًا، ولا منهجًا ولا طريقًا. فنجد أن كلامه يتناقض مع ما قاله سابقًا من سنةٍ إلى أخرى دون أن يشعر بذلك. وسبب هذا التغيير والتناقُض وعدم وضوح الفكر والمنهج، يرجع إلى وجود الذات. وحيث إنَّ هذه الذات متغيِّرة في كلِّ وقتٍ، لذلك فإنَّ الشخص يتكلَّم بحسب الحالة التي عليها الذات في هذا الوقت. ولأنَّ الهدف غير مستقيم، فالبناء كلُّه

يكون كذلك، والسبب أنَّ فهمه للإنجيل وكلامه وكتاباته كلَّها غير مستقيمة.

تأثير حالة الراهب الروحيَّة على المجمع:

❖ تسليم الحياة الروحيَّة الآبائيَّة ما أسهله وما أبسط اقتناؤه، والسرُّ يكمُن في الطاعة للأب وسؤاله وأَخْذ مشورته، والتدقيق في تنفيذ توجيهاته بكلِّ أمانةٍ وجدِّيَّة، حتى ولو لفترة خمسة أو ستة أشهر فقط، فيتعلَّم الراهب منه كيف يُصلِّي، وماذا يعمل في هذا الأمر أو ذاك ... إلخ، وبعدها يمكن لهذا الإنسان أن ينمو باستمرارٍ وبلا توقُّف. ويوجد بالدير مَنْ سمع توجيهاتي وعمل بها بأمانة، وهو الآن ينمو بثباتٍ وبسرعة. وهناك أيضًا مَنْ سمع نفس التوجيهات ولم يعمل بها، لذلك لا يوجد عنده نموٌّ ولا تقدُّمٌ رغم السنين الطويلة التي عاشها. وكثير من العلمانيين سمعوا كلامي، فتغيَّروا وتغيَّرت حياتهم. وأنتم رغم السنين العديدة، فإنَّ الكثير منكم لم يتغيَّر.

✝ إنْ ضَعفَ راهبٌ في المجمع، فإنه يُضعِف المجمع كلَّه.

✝ وخطيَّة راهب في المجمع، تُضعِف المجمع كلَّه.

✝ ونعمة راهب في المجمع، تُضرِم الروح في المجمع كلِّه.

الحياة بحسب الإنجيل:

❖ الراهب في هذا الدير يحبُّ الصلاة والاعتكاف في القلَّاية والوحدة، ولكن ما أن نطلبه في عملٍ في أيِّ مكان أو من أيِّ نوع، حتى تجده يَهبُّ ويستجيب لذلك ويُتمِّم عمله بكلِّ كفاءة. فالراهب ذو الهدف الواضح والمستقيم، تجده شجاعًا وقويًّا على الدوام، لأنه لا يشتهي شيئًا ولا يطلب شيئًا لنفسه.

الربُّ قد هيَّأ لنا في هذا الدير الظروف التي نعيشها حاليًّا، لكي يُسهِّل علينا تحقيق الهدف الواحد المستقيم، وهو أن نعيش رهبانيَّتنا بأمانةٍ؛ أي أن نعيش رهبانًا ونموت رهبانًا. فهذه المعجزة التي نحياها اليوم لا يُدركها أحدٌ غيرنا، لأنه ما كان من المُمكن أن توجد جماعة رهبانية تقدَّمت في الرهبنة، وهم مختارون بإفراز، وتُرِكوا يعيشون في صحراء داخل ديرٍ وهم منسيون من الجميع؛ لكي يعيشوا بالإنجيل ويوقِّعونه على مستوى الواقع الإنساني.

فنحن هنا نُعايش العامل والفلاح، ونُقدِّم الخبز والكساء والعلاج والمحبَّة، ولو كُنَّا قد دفعنا الملايين، وبكينا بالدموع من أجل أن ننال حريَّتنا هذه؛ ما كُنَّا قد حصلنا على ما نحن عليه الآن. فالله هو الذي يُدبِّر ويُخطِّط كلَّ شيء في حياتنا.



أقوال الآباء

الفضائل والشُّرور النَّاشئة من الإرادة الحُرَّة

العظة الثانية للقدِّيس أنبا مقار من المجموعة الأُولى[١]

(٢)

- **في العدد السَّابق (أكتوبر ٢٠٢٦، ص ٩) نُشر الجزء الأوَّل من هذه العظة، وقد شرح فيه أنبا مقار سقوط الإنسان، وخروجه من الفردوس وحراسة الشَّاروبيم لطريق شجرة الحياة. وفي الجزء التَّالي، يبدأ أنبا مقار بشرح كيف يحدث هذا روحيًّا داخل كلِّ نفس، ثم يُبيِّن قصد الله الصَّالح من ترك الشَّيطان يُجرِّب النَّاس.**

برقع الظُّلمة الذي يمنع النَّفس من الاقتراب من الله:

٣: ١٣ نحن نؤمن أنَّ هذا (أيْ خروج آدم من الفردوس وحراسة طريق شجرة الحياة) قد حدث هكذا كما قيل من جهة ما هو منظور؛ أمَّا من جهة ما هو خفيٌّ، فإنَّه يوجد في كلِّ نفس؛ فإنَّ برقع الظُّلمة[٢] أيْ لهيب الرُّوح العالميِّ يُحيط بالقلب من كلِّ جانب، ولا يَدَعُ الذِّهنَ يقترب من الله، بل يمنعه، لئلَّا تصلِّي النَّفس كما تريد، وتؤمنَ كما تريد، وتحبَّ الرَّبَّ كما تريد. وهذه الأمور إنَّما يعرفها بهذه الخبرة عينها الذين سلَّموا أنفسهم للرَّبِّ بالتَّمام،

---

(١) تمَّ ترجمة هذه العظة "**عن الفضائل والشُّرور النَّاشئة من الإرادة الحُرَّة، وعن شجرة الحياة وشجرة معرفة الخير والشَّرِّ**" عن الأصل اليونانيِّ المنشور في:

Makarios/ Symeon Reden und Briefe, Die Sammlung I Des Vaticanus Graecus 694 (B), Die griechischen christlichen Schriftsteller, Heinz Berthold, Sermones 2-29: vol. 1, Berlin 1973.

(٢) هذا التَّعبير "τὸ κάλυμμα τοῦ σκότους": "برقع الظُّلمة"، نجده في خطاب أنبا مقار الأخير لأولاده: "اكشفوا عن وجوهكم برقع الظُّلمة الَّذي يمنعكم عن أن تبصروا حلاوة محبَّة الإخوة"، وأيضًا في كتاب "فضائل أنبا مقار" (٦٦) حيث جاء بالقبطيَّة **ⲡⲓⲕⲁⲗⲩⲙⲙⲁ ⲛ̀ⲭⲁⲕⲓ**، بل والأكثر من هذا أنَّه في اللُّغة اليونانيَّة يُعتبر وَقْفًا على أنبا مقار دون غيره. فبالبحث في عظات أنبا مقار نجده قد ورد في عظات الثَّلاث مجموعات الأولى عشرين مرَّة، بينما لم يستعمله أيُّ كاتب آخر من الكُتَّاب الذين كتبوا باليونانيَّة، مسيحيِّين كانوا أم وثنيِّين.

ليواظبوا على الصَّلوات، مقيمين حربًا كاملةً ضدَّ المقاوم.

هزيمة الموتِ أمام مجد المسيح:

٣: ١٤ وأنا أحسبُ أنَّ العدوَّ حين رأى مجد آدم الأوَّل على وجه موسى، قد طُعِنَ، متوقِّعًا أن تُنزَع منه مملكته. ويمكن أنْ يُفهَم بهذا المعنى أيضًا قول الرَّسول: « قَدْ مَلَكَ الْمَوْتُ مِنْ آدَمَ إِلَى مُوسَى، وَذلِكَ عَلَى الَّذِينَ لَمْ يُخْطِئُوا» (رو ٥: ١٤). فبواسطة موسى نفسه، لمَّا طُعِنَ الموتُ بسبب مجد وجهه، انتُزعت مملكته بحسب الانتظار والتَّوقُّع؛ أمَّا بواسطة الرَّبِّ، فقد انتُزِعَت منه بالحقيقة.

فإنَّه لمَّا حرَّر المسيحُ الإنسانَ من الموت، وقام من بين الأموات، وصعد إلى السَّماوات، وجلس «عن يمين العظمة» (عب ١: ٣)، مملوءًا مجدًا، لم يكن ذلك في الوجه فقط، كما كان لموسى، بل في جسده كلِّه وفي كيانه كلِّه؛ وحينئذٍ «ابْتُلِعَ الْمَوْتُ إِلَى غَلَبَةٍ» (١كو ١٥: ٥٤).

فإنِّي أعتبر أنَّ وجه موسى الَّذي تمجَّد، كان رمزًا وتعبيرًا عن الوجه الَّذي جُبِل بيدَي الله، أيْ وجه آدم؛ فلمَّا رأى الموتُ ذلك الوجهَ، ولم يستطع أنْ يتفرَّس فيه، طُعِنَ، متوقِّعًا أن تُنقض مملكته وتُنتزع منه؛ الأمر الَّذي تمَّ بواسطة الرَّبِّ.

مجد الرُّوح وإبطال الموت في الإنسان الداخليِّ:

٣: ١٥ أمَّا ذلك المجد، فإنَّ المسيحيِّين الحقيقيِّين، منذ ذلك الحين، يحملونه في الإنسان الباطن، ويُبطَل الموت عنهم في داخلهم، أعني أهواء الهوان، لأنَّها لا تقوى على أن تعمل، بل تُبطَل تمامًا عن المسيحيِّين الكاملين، لأنَّ مجد الرُّوح يُشرق إشراقًا كاملًا في نفوسهم.

وهكذا، عند القيامة، سيُبطَل الموتُ نهائيًّا أيضًا عن أجسادهم نفسها، لأنَّها تكون قد تمجَّدت في النُّور؛ ذلك النُّور الَّذي تستحقُّ منذ الآن نفوس القدِّيسين أنْ تشترك فيه، بالإحساس وبكلِّ يقينٍ كاملٍ.

الشَّيطان ميدان اختبار وتدريب للإنسان:

٣: ١٦ فقد تُرِك إذًا إبليس وأُبقيَ بعد ذلك، كما سبق أنْ قيل، وهو ذلك الظَّلام العقليُّ والفكريُّ، الَّذي يرمز له الظَّلام الحاضر، ليكون موضعَ اختبار وتدريب للنَّاس؛ وفي ذلك الظَّلام الخفيِّ، تعجُّ قوى الشَّرِّ وسلاطينه ورئاساته الكثيرة.

فقد تُرك لتدريب الذين يحبُّون الله بالتَّمام، حتَّى إذا جاهدوا وغلبوا حِيَلَه ومكائده، واحتملوا كلَّ تجربة يُنزلها عليهم، يصيرون أكثرَ كمالًا ويقتنون لأنفسهم مجدًا أعظم، بعكس ما يريده الشِّرِّير.

أكاليل الغلبة ومجد المُجاهدين:

٣: ١٧ فكأنَّ الله يجلس للنَّظر، مع قوَّاته المقدَّسة وملائكته وكلِّ الكنيسة السَّماويَّة، متأمِّلًا المُجاهدين والغالبين. وتكون في السَّماوات تصفيقاتٌ ومدائحُ وأصواتٌ عظيمةٌ من أجل الغالب؛ وتُعطَى أكاليل سماويَّة وعطايا روحيَّة ومقامات عظيمة للَّذين يفلتون بإيمانهم وشجاعتهم من فخِّ إبليس؛ وانتصار هؤلاء يُحدِث لذاك عارًا عظيمًا.

فالمخلوقات العاقلة ما كان يليق بها أنْ تكون عاطلةً ببساطة كالأشجار، بل كان ينبغي أوَّلًا أنْ تُدرَّب وتُختبَر، ثمَّ تفوز بعد ذلك بعطايا النُّصرة.

حِيَلُ الشَّيطان وجهاد النَّفس ضدُّها:

٣: ١٨ فكما أنَّ الملك الَّذي على الأرض، إذَا أمر بأنْ يُقام له ميدانٌ ما للمشاهدة، وَلْيكن ميدانَ سباق خيل أو مسرحًا على سبيل المثال، يجلس هو نفسُه من فوقُ وينظر كيف تجري الملاكمة بين المُتنافسين، وكيف يصنع كلُّ متسابقٍ في مركبته إعداداتٍ وفنونًا معيَّنة لإسقاط الآخر وإعاقته، لكي يستطيع أنْ يغلبه؛ هكذا أيضًا يُعِدُّ الشِّرِّير نفسَه دائمًا لإسقاط الإنسان، وكلُّ فنِّه ومكره إنَّما هو لكي ينصبَ له فخًّا ويعوقه بواسطة شِباكٍ وفخاخٍ كثيرة ومتنوِّعة: إمَّا بواسطة ربحٍ ظاهري، أو غنًى، أو حكمةِ كلامِ العالم، أو مجدِ النَّاس، أو لذَّةِ الجسد، أو نوعٍ من الرِّئاسة، أو خسائر في أمور الحياة، أو آلام الجسد، أو سياط، أو أفكار شرِّيرة، أو أيَّة مخاوف أو ضيقات يُحرِّكها داخل النَّفس، لكي يتسبَّبَ في سقوط الإنسان بأيِّ طريقة.

وعلى النَّحو نفسه، يجب على النَّفس أيضًا أنْ تجاهد، إذ لها مثل هذه القوَّة من الله المُنسكبة عليها للمعونة، وأن تُواجِهَ حِيَلَه بالمقابل، لكي تستطيع، وهي تجاهد بكثرة اليقظة والصَّبر والإيمان، أنْ تفلتَ منه، وأنْ تفوزَ بالنَّصر عليه.

الشَّيطان عصا تأديب لتكميل القدِّيسين:

٣: ١٩ فرئيس هذا الدَّهر هو إذًا عصا تأديب، وسَوْطُ جلدات؛ حتَّى بواسطة تجارب وضيقات متنوِّعة، يصير جميع القدِّيسين كاملين، ويربحوا مجدًا عظيمًا وكرامةً جزيلةً؛ أمَّا

ذاك فيُعِدُّ لنفسه، بسبب نيَّتِه الشِّرِّيرة، عذابًا أعظم في جهنم.

فكما أنَّ العصا قد أُخذت من شجرةٍ حيَّةٍ، وأنَّ السَّوْطَ هو جلدٌ ميِّتٌ لحيوانٍ حيٍّ، وهما نافعان لبعض الخدمات، كتأديب الأطفال الصِّغار؛ هكذا أيضًا الشِّرِّير، بعدما قُطع من العلوِّ، من كورة الأحياء، ومات عن الاهتمام السَّماويِّ، وسَلَّم نفسَه بالتَّمام للاهتمام الجسدانيِّ، وصار يزحف على الأرض لأنَّه مخلوق، فهو يُتمِّمُ على الرَّغم عنه تدبيرًا عظيمًا بواسطة نفسِه، كما قيل في موضعٍ ما: إنَّ الشِّرِّير يساهم في الخير بنيَّةٍ ليست حسنة[٣].

التَّجارب طريق الاقتراب من الله:

٣: ٢٠ فإنَّ جميع الذين يحبُّون الله فعلًا وبالحقيقة، ويريدون بشوقٍ أنْ يسيروا وراءه بحسب الوصايا الإنجيليَّة، تصير لهم كلُّ تجربةٍ يُوقعها العدوُّ عليهم كما لو كانت مُعينًا لهم نحو الملكوت؛ لأنَّهم فيما هم يُجلَدون بواسطته ويتعرَّضون لإعاقته، يقتربون من الله على نحوٍ أشدَّ وأسرع، طالبين المعونة منه.

فليسوا إذًا يتعطَّلون بقدر ما يُعوِّقهم ذاك، بل إنَّهم بسبب نيَّتِهم المستقيمة والصَّالحة، يتكمَّلون بسرعةٍ أكبر، مقتربين من الله على نحوٍ أشدَّ، بقدر ما يُجلَدون أكثر من قِبَل الشِّرِّير.

تحوُّل كلُّ الأشياء إلى خيرٍ لمُحبِّي الله:

٣: ٢١ ولجميع النُّفوس التي لها نيَّة صالحة وحسنة، تتحوَّل حتَّى الأمور التي تبدو مُحزنة إلى خيرٍ، كما قِيل من قِبَل الرَّسول: «لِلَّذِينَ يُحِبُّونَ اللهَ، فإِنَّ كُلَّ الأَشْيَاءِ تعْمَلُ مَعًا لِلْخَيْرِ» (رو٨: ٢٨).

فإنَّ الغِنى والفَقْر، والمجد والهوان، والضِّيقة والرَّاحة، بسبب استقامة فكر نفوسهم، وبسبب أنَّهم يحبُّون الله من كلِّ قلوبهم، فجميعها تعمل معًا لخيرهم.

أمَّا الذين يريدون، في الظَّاهر فقط، أنْ يتبعوا الرَّبَّ وأن يُوجَدوا في الملكوت، ولا يُنكرون أنفسَهم بحسب الإنجيل، فإنَّهم بمجرَّد أنْ يتلقَّوْا سياطًا قليلة من قِبَل الشِّرِّير، أوْ أنْ يُمتحنوا في بعض التَّجارب القليلة، يرجعون للوقت إلى الوراء؛ لأنَّهم لا يُحارِبون الأهواء بشجاعة، بل يخافون الضِّيقات وتجارب الشَّيطان، فيرتدُّونَ، ثم يُقتادون معه مرَّةً أخرى، مغويِّين باللَّذَّات الجسديَّة وخداع العالم، بسبب أنَّهم لا يحبُّون الله من كلِّ قلوبهم.

---

(٣) قد ذُكرت هذه العبارة أيضًا في العظة ٢: ٧: ١ والعظة ٨: ٣: ٤ من المجموعة الأولى لعظات أنبا مقار.

التَّجارب تكشف محبَّة الله وثبات الإنسان:

٣: ٢٢ فلكي يظهر الذين يريدون أنْ ينالوا الحياة الأبديَّة، والذين يحتملون بجهادٍ عظيم كلَّ تجربةٍ وكلَّ ضيقة، لكي يقتنوا الحياة الأبديَّة؛ ولكي يُفتَضح أيضًا الذين يبدون أنَّهم يريدونها، لكنَّهم لا يحتملون الضِّيقات، ولا يرفضون لذَّات العالم بالتَّمام، بل يرجعون مرَّةً أخرى إلى الوراء، فيُظهِرون أنَّهم ليسوا محبِّين للحقِّ، ولم يُحبُّوا الله فوقَ كلِّ شيء؛ ولذلك أيضًا يصيرون مرفوضين من الملكوت.

فلهذا السَّبب، كما سبق أنْ قيل، أُبقيت هذه العصا، أيْ طعنة الشَّرِّ، كأنَّها أتُّونٌ من نار، لكي تصير بواسطتها الآنية التي تتزكَّى، حينما تُحرق بالنَّار، أكثر اختبارًا وأشدَّ ثباتًا؛ أمَّا الآنية التي لم تتزكَّى، فتظهر رخوةً وسهلةَ الانكسار، إذ لم تستطع أنْ تحتمل احتراق النَّار.

تجربة الفتية الثَّلاثة وانتصار الإيمان على الشَّرِّ:

٣: ٢٣ ولكي نُبيِّن، بصورةٍ أوضح، أنَّ هذه الأمور هي هكذا، فَلْنَذكرْ قليلًا من القصص من الكُتب الموحَى بها من الله.

مِن أين أمكن أنْ يصير مثل هذا المجد العظيم، والهتاف العظيم من أهل السَّماء والأرض، للَّذين كانوا مع حنانيا، وأنْ يُكرَز بالله ويُعلَن آنذاك للعالم أنَّه يوجد إلهٌ واحدٌ في السَّماوات، لولا أنَّ الله سمح بأن يُمتحَنوا، إذ سمح أيضًا بأنْ تُصنع تلك الصُّورة الذَّهبيَّة العظيمة بأمر الملك، وأنْ تجتمع جميعُ الأُمم بحسب الأمر الملكيِّ، للسُّجود لتلك الصُّورة؟

فالشِّرِّير – الَّذي كان يعمل في ذلك الوقت من خلال الملك نبوخذنصَّر – قد شرع في هذا الأمر، بينما أظهر الفتيةُ الشُّجعان بسالتهم من خلال إيمانهم واتِّكالهم على الرَّبِّ.

فلمَّا دَفعوا أنفسَهم (للموت) دفعًا من أجله، انقلبت الأمور بواسطة عجائبِ السَّيِّد، وعِوَضًا عن السُّجود للصُّورة صار الله هو المسجود له؛ وأمَّا المُعاند فقد ازداد خزيه، لأنَّ جميع مكايده وحِيَله قد بَطَلَتْ، وما كان يظنُّ أنَّه يسعى إلى إتمامه لهلاك البشر، انقلب هو بعينه ضدَّه.

ففي ذلك الوقت عُرف لدى البشريَّة كلِّها، بواسطة بسالة الفتية الثَّلاثة وإيمانهم الكامل، أنَّ هناك إلهًا في السَّماوات.

الثِّقة بالله في مواجهة التَّجارب:

٣: ٢٤ فإنَّ الجهاد نفسَه أيضًا يكون مختلفًا بالنِّسبة للَّذين سلَّموا أنفسَهم للرَّبِّ.

فهناك مَن يثقُ في قوَّة الله، بيقينٍ وإيمانٍ، أنَّه لا يقدر أن يُصيبه أيُّ ضرر من البشر، بسبب قوَّة الرُّوح التي تحميه؛ فيقول للمُعارضين له، وهو بارٌّ: "لا تقدرون أنْ تفعلوا بي شرًّا؛ لأنَّ لي مَن يدافعُ عنِّي. فلا النَّار تُفنيني، ولا السَّيف يقتلني، ولا الوحوش تنقضُّ عليَّ، ولا يصيبني أيُّ شرٍّ آخر؛ لأنَّ لي إلهًا أقوى وأشدَّ اقتدارًا منكم، وهو الَّذي سينقذني من جميع الشُّرور، لكي يظهر أنَّ لي في السَّماوات إلهًا حيًّا"[٤].

فبحسب إيمانه واتِّكاله، هكذا يعمل الله معه، كما تبيَّن من الأمور التي ذُكرت. ولمثل هذا الإنسان، ما أعظم تصفيقات المديح والهتافات الصَّادرة من السَّمائيِّين والأرضيِّين.

احتمال الاستشهاد رجاءً في المجد السَّماويِّ:

٣: ٢٥ وبالمثل، يُقتاد بارٌّ آخر إلى رئيسٍ، ويُجبَر على مخالفة (الإيمان)، فيُسلِّم نفسَه مستعدًّا للموت من أجل الله. وإنْ قطعوا يدَيْه، فلا يُبالي؛ وإنِ اقتلعوا عينَيْه، فلا يجزع؛ ويكون كأنَّه لم يُصَبْ بشيءٍ خطير، قائلًا: "لي إلهٌ سيُكافئني بالخيرات السَّماويَّة، وسيُعيدُني مرَّةً أخرى معافًى في المجد". وهكذا يحتمل باستعدادٍ استشهادَ الموت. فَلِمِثْلِ هذا، ما أعظم الهتافات والتَّصفيقات الصَّادرة من السَّمائيِّين والأرضيِّين.

فإنَّ الرَّسول يقول أيضًا عن الأبرار الذين يجاهدون بطُرُقٍ مختلفة: «الَّذِينَ قَهَرُوا مَمَالِكَ، صَنَعُوا بِرًّا، نَالُوا مَوَاعِيدَ، سَدُّوا أَفْوَاهَ أُسُودٍ، أَطْفَأُوا قُوَّةَ النَّارِ، نَجَوْا مِنْ حَدِّ السَّيْفِ، تَقَوَّوْا مِنْ ضَعْفٍ، صَارُوا أَشِدَّاءَ فِي الْحَرْبِ، هَزَمُوا جُيُوشَ غُرَبَاءَ، أَخَذَتْ نِسَاءٌ أَمْوَاتَهُنَّ بِقِيَامَةٍ» (عب ١١: ٣٣ – ٣٥).

ثُمَّ يستطرد بالضَّرورة بذِكْرِ أبرارٍ آخرين جاهدوا باحتمال الآلام، قائلًا: «وَآخَرُونَ عُذِّبُوا وَلَمْ يَقْبَلُوا النَّجَاةَ لِكَيْ يَنَالُوا قِيَامَةً أَفْضَلَ؛ وَآخَرُونَ تَجَرَّبُوا فِي هُزْءٍ وَجَلْدٍ، ثُمَّ فِي قُيُودٍ أَيْضًا وَحَبْسٍ؛ رُجِمُوا، نُشِرُوا، جُرِّبُوا، مَاتُوا قَتْلًا بِالسَّيْفِ، طَافُوا فِي جُلُودِ غَنَمٍ وَجُلُودِ مِعْزَى، مُعْتَازِينَ مَكْرُوبِينَ مُذَلِّينَ، تَائِهِينَ فِي بَرَارِيَّ وَجِبَالٍ وَمَغَايِرَ وَشُقُوقِ الأَرْضِ. وَهُمْ لَمْ يَكُنِ الْعَالَمُ مُسْتَحِقًّا لَهُمْ» (عب ١١: ٣٥ – ٣٨).

أرأيتَ كيف أنَّ جهاد الذين يحبُّون الله بالحقيقة وكفاحهم يَحْدُثَان بصورٍ مختلفة،

---

(٤) هذه الفقرة التي يذكرها أنبا مقار ليست اقتباسًا حرفيًّا من نصٍّ بذاته من الكتاب المقدَّس، ولكنَّها تجميع لبعض العبارات الكتابيَّة منها ما هو بالنَّصِّ والبعض بالمعنى، انظر: دا ٣: ١٦ – ٢٧، دا ٦: ١٦ – ٢٣؛ تك ٤٨: ١٦؛ أستير ١٠: ٣.

بالإيمان نفسه؟ لكي يتمجَّد الله من خلال هؤلاء، ولكي، بعد أنْ تتدرَّبَ الخليقة البشريَّة العاقلة، وهي صاحبة الإرادة الحُرَّة، وتُختبَر، تظهر منها الآنية الكريمة والآنية الحقيرة، ويُستدلُّ على كلٍّ منهما، على السَّواء، من خلال الاختيار الحُرّ.

سلطان الشَّيطان محدودٌ بسماح الله:

٣: ٢٦ لذلك سُمِحَ للشِّرِّير أن يكون كعصا للتَّأديب في وسط العالم. لكن لكونه عبدًا وخليقةً خاضعةً للسَّيِّد، فإنَّه لا يجرِّبُ بمقدار ما يريد، ولا يُنزل الضِّيقات بالبشر بمقدار ما يشاء، بل بمقدار ما يفسح له السَّماحُ السَّيِّديُّ بأنْ يختبر النَّفس.

فإنَّه يعرف، لكونه هو الله، مقدار ما تستطيع النَّفس أنْ تحتمل؛ ولذلك يسمح بمقدار ذلك فقط، كما يقول الرَّسول: «وَلَكِنَّ اللهَ أَمِينٌ، الَّذِي لَا يَدَعُكُمْ تُجَرَّبُونَ فَوْقَ مَا تَسْتَطِيعُونَ، بَلْ سَيَجْعَلُ مَعَ التَّجْرِبَةِ أَيْضًا الْمَنْفَذَ، لِتَسْتَطِيعُوا أَنْ تَحْتَمِلُوا» (١كو ١٠: ١٣).

وتصير التَّجارب للنَّفس التي تحبُّ الله، بسماح من السَّيِّد، إلى خزيِ العدوِّ وإدانتِه، وإلى نصرة الإنسان ومجده. وبالمقابل، تصير خزيًا وعارًا أبديًّا للَّذين لا يحتملون الضِّيقات بشجاعة، بل يرتدُّون إلى الوراء، فإنَّهم يُدانون مع الشِّرِّير في الجحيم.

وهكذا سيُدان الشَّيطان نفسُه أشدَّ إدانةٍ في الجحيم، مع الذين يطيعونه ولا يريدون بكلِّ قلوبهم أنْ يفعلوا مشيئة الله؛ بينما الأبرار، الذين جاهدوا وأخضعوا أهواء الشَّرِّ، يتمجَّدون بالأكثر، لأنَّهم احتملوا بشجاعةٍ جميع الضِّيقات الواقعة عليهم.

وهكذا يظهر عدلُ الله، إذ «يُجَازِي كُلَّ وَاحِدٍ حَسَبَ عَمَلِهِ» (رؤ ٢٢: ١٢)، كما هو مكتوبٌ، ويتثبَّت مُلك المُختارين بسبب جهادهم الكامل.





الأسلوب المسيحي في الحياة

للقدِّيسَيْن

غريغوريوس النيسي وأنبا مقار الكبير[1]

(١)

تقديم:

لقد عرَّف العالِم "جيجر Jaeger"، هذه المقالة (التي سننشرها باختصارٍ وبتصرُّف)، بأنها هي المصدر الشائع لموضوعَيْن وُجِدا في "Migne,s Patrology". أحدهما بهذا العنوان منسوبٌ للقدِّيس غريغوريوس النيسي (٣٣٥ – ٣٩٤م)، والآخر رسالة طويلة منسوبة للقدِّيس مكاريوس (أنبا مقار: ٣٠٠ – ٣٩٠م)، وقد اكتشف التقابُل بينهما. فالموضوع الأول الخاص بالقدِّيس غريغوريوس النيسي، هو مقتبَسٌ من القسم الأصلي والكبير من "رسالة القدِّيس مكاريوس"، وكان هو نسخة من الجزء الثاني من المقال الأصلي الذي كان قد انضمَّ مع ميمر للقدِّيس مكاريوس المصري. وكان قد اعتُقِدَ أنَّ موضوع المقال المنسوب للقدِّيس غريغوريوس النيسي هو مجرَّد نسخة من رسالة القدِّيس مكاريوس، ثم جاء Staats سنة ١٩٦٨م وصحَّح رأي جيجر.

وكان المقصود من تلك المقالة، أن تكون موجَّهةً لجماعةٍ كبيرةٍ من الرهبان الذين طلبوها، وهي نافعة أيضًا لأيِّ مؤمن بالمسيح يسوع ربنا. وهي باعتبارها جزءًا من "رسالة أنبا مقار"، كانت معروفةً على نطاقٍ واسعٍ وموقَّرةً في تقليد الرهبنة الشرقيَّة.

نصُّ المقالة

مقدِّمة:

إذا صرف أيُّ إنسان انتباهه لحظةً من جسده، خارجًا من العبوديَّة لأهوائه وتهاونه، ونظر إلى نفسه بفكرٍ مُخْلصٍ وجَدِّيٍّ؛ سوف يرى بوضوح كيف أن طبيعة نفسه تَستَعلِن حبَّ الله لنا

(1) The Fathers of the Church, Vol. 58, p. 125.

وقصده من خلقتنا. وبالتأمُّل بتلك الطريقة، سوف يكتشف باعثًا لإرادته نحو ما هو جميلٌ وما هو أفضل، باعتباره أساسيًّا وطبيعيًّا في الإنسان، وربط بطبيعته حُبًّا مُباركًا ومُجرَّدًا من الهوى لتلك الصورة الجليَّة والمُباركة، التي يكون فيها الإنسان هو الشبيه بها (تك ١: ٢٦ و٢٧). ولكن ثمة خدعة متَّصلة بما هو مرئيٌّ ومُتغيِّر، سببها انفعالٌ غير معقول ومسرَّةٌ ساخرةٌ، تخدع دائمًا وتغش النفس المُتهاونة وغير المصونة بسبب اللامبالاة، وتجرُّها إلى شرٍّ مُرعبٍ ناشئًا عن مسرَّات الحياة، وجالبًا الموت للذين يحبُّون هذا الشر. ولهذا السبب، فإنَّ معرفة الحق، هي الدواء المُنقذ لنفوسنا، وهي تُمنَح بنعمة مخلِّصنا كهبةٍ لأولئك الذين يقبلونها بشغف. وبتلك النعمة، تتبدَّد الخدعة التي تغشُّ الإنسان، ويُقضَى على الانشغال المُخزي بالجسد؛ وبنور الحقِّ تتَّخذ النفس، التي نالت المعرفة، طريقها إلى ما هو سماويٌّ وإلى خلاصها.

لقد نلتم تلك المعرفة والمحبَّة الإلهيَّتين باستحقاق، ووجَّهتموها بما يتفق مع الطبيعة الموهوبة للنفس. لقد تجمَّعتم بغيرةٍ مُتمِّمين معًا المفهوم الرسولي في تصرُّفاتكم. وقد طلبتم منَّا حديثًا كمرشدٍ وقائدٍ لرحلة حياتكم، والذي سوف يوجِّهكم إلى الطريق المستقيم، مُشيرًا بدقَّةٍ إلى ما يكون هو هدف تلك الحياة للذين يدخلونها وما هي «إِرَادَةُ اللهِ الصَّالِحَةُ الْمَرْضِيَّةُ الْكَامِلَةُ» (رو ١٢: ٢)، وأيُّ نوع من الطريق يؤدِّي إلى ذلك الهدف، وكيف أنه من المناسب للمسافرين على هذا الطريق أن يعاملوا بعضهم بعضًا، وكيف أنه من الضروري للذين في السلطة أن يوجِّهوا خورس الفلسفة (محبَّة الحكمة)، وأيَّة مُعاناة ينبغي أن يتحمَّلها المُزمعون أن يصعدوا إلى قمة الفضيلة، ويجعلوا نفوسهم جديرةً بنيل الروح.

وحيث إنكم، فضلًا عن ذلك، تطلبون منَّا ذلك الحديث، ليس شفويًّا بل مكتوبًا، حتى تتَّخذوه وتدَّخروه لأجل احتياجات الوقت الحاضر، كما من كنز الذاكرة؛ فسنحاول أن نُخاطب غيرتكم الحاليَّة حسب نعمة الروح القدس الممنوحة لنا. ونحن نعلم جيِّدًا أن قاعدة التوقير لديكم مركَّزةٌ على عقيدة الإيمان الصحيح الذي يتمسَّك بلاهوت الثالوث الأزلي المُبارك، وهي لا تتغيَّر قط بأيِّ حال. فإنَّ الثالوث واحدٌ في الجوهر وواحدٌ في المجد، ومعروفٌ بإرادته، ومعبودٌ تحت اسم الأقانيم الثلاثة.

النفس والجسد المُتَّجهان نحو الله:

إنه من الضروري للنفس والجسد المُزمعَيْن أن يتَّجها نحو الله بما يتفق مع ناموس التوقير، وينسبان لله خدمةً نقيةً؛ أن يتَّخذا، كمرشدٍ للحياة، الإيمان الموقَّر الذي أوضحَته أصوات

القدِّيسين في جميع كتاباتهم. وهكذا، فإنَّ النفس المُطيعة والقابلة للتعليم، تُكرِّس نفسها لأسلوبٍ من الفضيلة، محرِّرةً ذاتها من قيود هذه الحياة، من جهةٍ، وفاصلةً ذاتها من عبوديَّة المطالب التافهة والباطلة؛ ومن جهةٍ أخرى، تشغل ذاتها بالكلِّيَّة بالإيمان وبالحياة مع الله. لأنها ترى بوضوحٍ أنه حيث يوجد إيمانٌ وتوقيرٌ وحياةٌ بلا لوم، تكون قوَّة المسيح حاضرةً، ويكون هناك هروبٌ من كلِّ شرٍّ ومن الموت الذي يسلب منَّا الحياة. لأن الأمور المُخزية ليس فيها قوَّة كافية لتتنافس مع قوَّة المُعلِّم؛ بل إنَّ طبيعتها هي أن تتبع عصيان وصاياه.

ومع ذلك، فإنَّ الذين يقتربون من الروح القدس بقصدٍ لا غشَّ فيه، بإيمانٍ كاملٍ بدون عثرة لضمائرهم، فإنَّ قوَّة الروح القدس تنقِّيهم طبقًا للقائل: «إِنَّ إِنْجِيلَنَا لَمْ يَصِرْ لَكُمْ بِالْكَلَامِ فَقَطْ، بَلْ بِالْقُوَّةِ أَيْضًا، وَبِالرُّوحِ الْقُدُسِ، وَبِيَقِينٍ شَدِيدٍ، كَمَا تَعْرِفُونَ» (١تس ١: ٥)، وأيضًا: «لْتُحْفَظْ رُوحُكُمْ وَنَفْسُكُمْ وَجَسَدُكُمْ كَامِلَةً بِلَا لَوْمٍ عِنْدَ مَجِيءِ (أو في اسم) رَبِّنَا يَسُوعَ الْمَسِيحِ» (١تس ٥: ٢٣)، هذا الذي زوَّد المُستحقِّين بعربون الخلود بواسطة المعموديَّة، حتى إنَّ الوزنة المؤتَمَن عليها كلٌّ منهم – باستعمالهم لها – تُنتج ثروةً غير مرئيَّة. لأن المعموديَّة المقدَّسة، أيها الإخوة، إنما هي ضروريَّة، للأمور المُدرَكة لأذهان الذين ينالونها بمخافةٍ، لأن الروح القدس الغَني يتدفَّق دائمًا نحو الذين نالوا نعمةً، وممتلئون بذلك الذي جناه الرُّسل القدِّيسون كحصادٍ كاملٍ لكنائس المسيح.

فمن الضروري للنفس التي وُلدت مرةً ثانيةً بقوَّة الله، أن تتغذَّى بالروح القدس بالنسبة لسِنِّ إدراكها، وتتجدَّد بماء الفضيلة وفيض النعمة. تمامًا مثل طبيعة الطفل المولود حديثًا، فهو لا يستمر في العمر الغضِّ، بل عندما يتغذَّى بطعامٍ يتناسب مع قانون الطبيعة، يتَّخذ قياسه المناسب لِمَا يتغذَّى به. وهكذا، فمن المُلائم للنفس المولودة حديثًا التي تُجدِّد شركتها في الروح القدس إلى طبيعة جمالها السابق، بعد أن تكون قد أبادت المرض الذي حلَّ بها بسبب العصيان؛ فهي لا تبقى دائمًا مثل طفل، ساكنةً وغير متحرِّكةٍ كما في حالة ولادتها، بل تتغذَّى بطعامها الخاص بها، وبما يتناسب مع ما تتطلَّبه طبيعتها. كما أنها تبني نفسها بواسطة كلِّ فضيلةٍ وتعب، حتى تُحصِّن ذاتها بقوَّة الروح القدس بواسطة فضيلتها الخاصَّة بها، ضد اللِّص غير المرئي الذي يُهاجمها بمكائد عديدة.

ينبغي أن نبلغ إلى إنسانٍ كامل:

وعلى ذلك، فمن الضروري لنا أن نبلغ بأنفسنا إلى إنسانٍ كامل، كما قال لنا الرسول: «إِلَى

أَنْ نَنْتَهِي جَمِيعُنَا إِلَى وَحْدَانِيَّةِ الإِيْمَانِ وَمَعْرِفَةِ ابْنِ اللهِ. إِلَى إِنْسَانٍ كَامِلٍ. إِلَى قِيَاسِ قَامَةِ مِلْءِ الْمَسِيحِ. كَيْ لَا نَكُونَ فِيمَا بَعْدُ أَطْفَالًا مُضْطَرِبِينَ وَمَحْمُولِينَ بِكُلِّ رِيحِ تَعْلِيمٍ، بِحِيلَةِ النَّاسِ، بِمَكْرٍ إِلَى مَكِيدَةِ الضَّلَالِ. بَلْ صَادِقِينَ فِي الْمَحَبَّةِ (ونُمارس الحقَّ)، نَنْمُو فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَى ذَاكَ الَّذِي هُوَ الرَّأْسُ: الْمَسِيحُ» (أف ٤: ١٣ – ١٥). كما أنه قال أيضًا: «لَا تُشَاكِلُوا هذَا الدَّهْرَ، بَلْ تَغَيَّرُوا عَنْ شَكْلِكُمْ بِتَجْدِيدِ أَذْهَانِكُمْ، لِتَخْتَبِرُوا مَا هِيَ إِرَادَةُ اللهِ: الصَّالِحَةُ الْمَرْضِيَّةُ الْكَامِلَةُ» (رو ١٢: ٢). وهو يقصد بهذا أن إرادة الله الكاملة، هي أنَّ النفس تتغيَّر بتوقير، إذ تبلغ النفس إلى الازدهار الكامل لجمالها (الأصلي) بنعمة الروح القدس التي تُلازِم آلام الشخص الذي يخضع للتغيير. ولكن نمو الجسد ليس في أيدينا، لأن الطبيعة لا تقيس الحجم بحُكْم أو رضا الإنسان؛ بل بدوافعه الشخصيَّة وبحُكْم الضرورة. ولكن قياس النفس في تجديد ولادتها والجمال الذي تُزوِّده لها نعمة الروح القدس بغيرة، يتوقَّف على حُكْمنا.

فعندما يتصرَّف بارٌّ وتتفق معه نعمة الروح القدس، فإنهما يملآن النفس بحياةٍ مباركةٍ؛ ولكن عندما ينفصلان أحدهما عن الآخر، فإنهما لا يُزوِّدان النفس بأيِّ ربح. لأن نعمة الله لا تألف بطبيعتها النفوس التي تكون هاربةً من الخلاص. وقوَّة الفضيلة البشريَّة ليست كافية بذاتها لجعل النفوس التي لا تُشارك في النعمة، أن تصعد إلى جمال الحياة. لأن الكتاب يقول: «إِنْ لَمْ يَبْنِ الرَّبُّ الْبَيْتَ، فَبَاطِلًا يَتْعَبُ الْبَنَّاؤُونَ. إِنْ لَمْ يَحْفَظِ الرَّبُّ الْمَدِينَةَ، فَبَاطِلًا يَسْهَرُ الْحَارِسُ» (مز ١٢٧: ١)، وأيضًا: «لأَنَّهُ لَيْسَ بِسَيْفِهِمُ امْتَلَكُوا الأَرْضَ، وَلَا ذِرَاعُهُمْ خَلَّصَتْهُمْ، لكِنْ يَمِينُكَ وَذِرَاعُكَ وَنُورُ وَجْهِكَ» (مز ٤٤: ٣). وماذا يعني ذلك؟ يعني: إنَّ الربَّ يدخل من عُلاه في تحالف مع الفاعلين؛ وفي نفس الوقت، يعني أنه ليس من الضروري للذين يُقدِّرون الجهود البشريَّة أن يعتقدوا أن الإكليل كلَّه يستقرُّ على صراعاتهم، ولكن من الضروري لهم أن تنطبق آمالهم نحو هدفهم مع مشيئة الله.

من الضروري أن نعرف مشيئة الله:

فمن الضروري، إذن، أن نعرف ما هي مشيئة الله نحو ما ينبغي على المرء أن ينظر إليه بشغفٍ، إن كان يُجاهد نحو الحياة المُباركة، ويكون راغبًا في جعل حياته تتطابق معها! إنَّ مشيئة الله الكاملة، هي التي تتنقَّى بها النفس بالنعمة (انظر: رو١٢: ٢و٣) من كلِّ زيفٍ، وأن تسمو فوق مسرَّات الجسد، وتأتي إلى الله نقيَّة، مُتطلِّعةً وقادرةً أن ترى ذلك النور الواضح والذي لا يُعبَّر عنه. فإنَّ مثل أولئك الأشخاص يُباركهم الرب قائلًا: «طُوبَى لِلأَنْقِيَاءِ الْقَلْبِ، لأَنَّهُمْ يُعَايِنُونَ اللهَ»

(مت ٥: ٨). كما أنه يحثُّنا قائلًا: «فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ هُوَ كَامِلٌ» (مت ٥: ٤٨). والرسول يوصينا أن نركض نحو هذا الكمال بقوله: «لِكَيْ نُحْضِرَ كُلَّ إِنْسَانٍ كَامِلًا فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ، الأَمْرُ الَّذِي لأَجْلِهِ أَتْعَبُ أَيْضًا مُجَاهِدًا» (كو ١: ٢٨ و٢٩).

إنَّ الشخص النقي، في جميع تلك الأمور، يُقاد إلى جبل الرب، ذاك الشخص الذي لا يُنجِّس نفسه بالكلِّيَّة، بالقصد أو الفكر أو الأعمال، وبالإصرار على الشرور. أمَّا الذي إذ قَبِل الروح المُوجِّه، فهو بالأعمال والأفكار الصالحة، يُعيد تشكيل قلبه الذي كان قد حطَّمه الشر. والرسول القدِّيس يتكلَّم عن موضوع البتولية للذين اختاروا هذا النوع من الحياة، فيُحدِّد ما ينبغي أن تكون عليه الحياة، فيقول: «غَيْرُ الْمُتَزَوِّجَةِ تَهْتَمُّ فِي مَا لِلرَّبِّ لِتَكُونَ مُقَدَّسَةً جَسَدًا وَرُوحًا» (١كو ٧: ٣٤)، موصيًا إيَّاهن أن يكُنَّ نقيَّات بالنفس والجسد. وهو يوصيهن أن يهربن من كلِّ خطية بقدر المُستطاع، سواء الخطية الظاهرة أو المُستترة؛ أي إنه يوصيهن أن يكُنَّ حُرَّات من كلِّ التصرُّفات الخاطئة والخطايا المُرتَكَبة في الفكر، لأن هدف النفس التي تُكرِّم البتولية هو أن تكون ممتلئةً بالله وتصبح عروسًا للمسيح.

فمن الضروري لأيِّ شخص يرغب أن يكون متَّحدًا بإحكامٍ مع آخر، أن يتَّخذ طُرُق ذاك الآخر بالتشبُّه به. وعلى ذلك، فمن الضروري لِمَن يتطلَّع إلى أن تكون نفسه عروسًا للمسيح، أن يكون مثل المسيح في الجمال بواسطة الفضيلة بقدر الإمكان. لأن لا شيء يمكن أن يتَّحد بالنور إن لم يكن النور مُشعًّا عليه. والرسول يوحنا يقول: «كُلُّ مَنْ عِنْدَهُ هذَا الرَّجَاءُ بِهِ، يُطَهِّرُ نَفْسَهُ كَمَا هُوَ طَاهِرٌ» (١يو٣: ٣). والرسول بولس يقول: «كُونُوا مُتَمَثِّلِينَ بِي كَمَا أَنَا أَيْضًا بِالْمَسِيحِ» (١كو١١: ١). لأنه من الضروري للنفس المُزمعة أن تصعد إلى ما هو سماوي وتلتصق بالمسيح، أن تطرح من ذاتها كلَّ خطية قد ارتكبتها بأعمالٍ واضحةٍ.

فكيف، إذن، يمكن أن يقول الرب: «فَلْيُضِئْ نُورُكُمْ هكَذَا قُدَّامَ النَّاسِ، لِكَيْ يَرَوْا أَعْمَالَكُمُ الْحَسَنَةَ، وَيُمَجِّدُوا أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَوَاتِ» (مت ٥: ١٦)؟ هذا يعني أنه يوصي الشخص الذي يتبع وصايا الله أن يفعل كلَّ شيء مُتطلِّعًا إلى الله، وأن يكون مرضيًّا لدى الله وحده، بدون البحث عن أيِّ صيت بين الناس. وبوصيَّته لنا يحثُّنا أن نهرب من مدائح واستحسان الناس، من جهةٍ؛ ومن جهةٍ أخرى، أن نكون معروفين للجميع بسبب حياتنا وأعمالنا. لذلك فهو لا يقول: إنَّ الذين يَرَوْن تلك الأعمال ينبغي أن يُعجبوا من الشخص الذي يعملها؛ بل يقول: إنه ينبغي أن يُمجِّدوا أبانا الذي في السموات. إنه يوصينا أن ننسب المجد كلَّه ونوجِّه

كلَّ فعلٍ صالح لمشيئة ذاك الذي توجد لديه المُكافأة على الأعمال الفاضلة.

فلنطلب المجد من الله لا من الناس:

فالذي يتطلَّع إلى الكرامة هنا (في هذه الحياة)، فهو يُعدُّ بين غير المُخلِصين. لأنه الربَّ يقول: «كَيْفَ تَقْدِرُونَ أَنْ تُؤْمِنُوا وَأَنْتُمْ تَقْبَلُونَ مَجْدًا بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ؟ وَالْمَجْدُ الَّذِي مِنَ الإِلهِ الْوَاحِدِ لَسْتُمْ تَطْلُبُونَهُ؟» (يو ٥: ٤٤). كما يقول القدِّيس يوحنا عن الحقد: «كُلُّ مَنْ يُبْغِضُ أَخَاهُ فَهُوَ قَاتِلُ نَفْسٍ، وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ أَنَّ كُلَّ قَاتِلِ نَفْسٍ لَيْسَ لَهُ حَيَاةٌ أَبَدِيَّةٌ ثَابِتَةٌ فِيهِ» (١يو ٣: ١٥). فإنه يُحرَم من الحياة الأبديَّة ذاك الذي يُبغض أخاه، ويُعتَبَر كقاتل نفس. وبالحري فيوحنا الرسول يُسمِّي البُغض قتلًا. لأن الأشخاص الذين يمتنعون ويُحطِّمون حبَّهم للقريب، ويصبحون أعداءً بدلًا من أصدقاء؛ يُعتَبَرون بسهولةٍ قتلة، باعتبار أنَّ البُغض المُستتر للقريب، مثل حقد القتلة على الذين يُدبِّرون المكيدة ضدَّهم.

وحيث إنه لا يوجد فرقٌ بين الشرور المُختفية بداخلنا وتلك الواضحة والمرئيَّة، فإنَّ الرسول (بولس) يضمُّهما معًا في قوله: «وَكَمَا لَمْ يَسْتَحْسِنُوا أَنْ يُبْقُوا اللهَ فِي مَعْرِفَتِهِمْ، أَسْلَمَهُمُ اللهُ إِلَى ذِهْنٍ مَرْفُوضٍ لِيَفْعَلُوا مَا لَا يَلِيقُ. مَمْلُوئِينَ مِنْ كُلِّ إِثْمٍ وَزِنًا وَشَرٍّ وَطَمَعٍ وَخُبْثٍ، مَشْحُونِينَ حَسَدًا وَقَتْلًا وَخِصَامًا وَمَكْرًا وَسُوءًا، نَمَّامِينَ مُفْتَرِينَ، مُبْغِضِينَ للهِ، ثَالِبِينَ مُتَعَظِّمِينَ مُدَّعِينَ، مُبْتَدِعِينَ شُرُورًا، غَيْرَ طَائِعِينَ لِلْوَالِدَيْنِ، بِلَا فَهْمٍ وَلَا عَهْدٍ وَلَا حُنُوٍّ وَلَا رِضىً وَلَا رَحْمَةٍ. الَّذِينَ إِذْ عَرَفُوا حُكْمَ اللهِ أَنَّ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ مِثْلَ هذِهِ يَسْتَوْجِبُونَ الْمَوْتَ، لَا يَفْعَلُونَهَا فَقَطْ، بَلْ أَيْضًا يُسَرُّونَ بِالَّذِينَ يَعْمَلُونَ» (رو ١: ٢٨ – ٣٢)!

ولكن، ماذا يقصد الربُّ نفسه عندما يقول: «الْمُسْتَعْلِيَ عِنْدَ النَّاسِ هُوَ رِجْسٌ قُدَّامَ اللهِ» (لو ١٦: ١٥)، وأيضًا: «لأَنَّ كُلَّ مَنْ يَرْفَعُ نَفْسَهُ يَتَّضِعُ (أو يُذَلُّ)، وَمَنْ يَضَعُ نَفْسَهُ يَرْتَفِعُ» (لو ١٤: ١١)، وكما تقول الحكمة: «مَكْرَهَةُ الرَّبِّ كُلُّ مُتَشَامِخِ الْقَلْبِ» (أم ١٦: ٥)؟ يقصد الربُّ: إنَّ الإثم، ولا سيَّما الكبرياء، يصعب شفاؤه، وقويَّةٌ هي تلك الأمور التي تمتلكها أعماق نفوسنا، لدرجة أنه لا يمكن محوها وإزالتها بجهودٍ بشريةٍ، إن لم نأخذ قوَّة الروح القدس بواسطة الصلاة كمُعينٍ لنا. وبتلك الطريقة، نتغلَّب على الشرِّ الذي يُمثِّل الطاغية بداخلنا، كما يُعلِّمنا الروح القدس بصوت داود النبي قائلًا: «من الخطايا المُستترة أبرئني، ومن الكبائر أيضًا احفظ عبدك» (مز ١٩: ١٢و١٣حسب النَّصِّ).

(يتبع)

بمناسبة
موسم الميلاد المجيد



رموز العهد القديم التي تُشير إلى

والدة الإله[١]

(١)

تستخدم النصوص اللّيتورجيَّة لكنيستنا القبطيَّة عددًا كبيرًا من أسماء وصفات وتشبيهات روحيَّة لوالدة الإله. والكثير منها يُعتبَر إشاراتٍ وتلميحاتٍ لأشخاصٍ وموضوعاتٍ أو أحداثٍ في العهد القديم؛ والباقي منها، هي أسماء أو ألقاب مأخوذة من تقليد الكنيسة دون أن يكون لها أصلٌ في العهد القديم.

وقد أعطى المجمع المسكوني الثالث، الذي اجتمع في أفسس سنة ٤٣١م، للقدِّيسة مريم لقب "ثيئوطوكس"، أي "والدة الإله"، وهو أكثر ألقابها وقارًا ومهابةً. وقد ظهرت أهميَّة هذا اللَّقب بسبب الشكوك التي أثارها نسطوريوس بطريرك القسطنطينية في القرن الخامس بخصوص حقيقة تجسُّد ابن الله، ورفضه للقب "والدة الإله" الذي نسبته التَّقوى الشعبية إلى العذراء حتى قبل مجمع أفسس. وتوقير الكنيسة للعذراء، يرجع إلى ولادتها للربِّ يسوع – بحسب الجسد – بقوَّةٍ إلهيَّة لم يحدث مثلها في التاريخ؛ ولكن فحوى وأساليب هذا التوقير – بما في ذلك ألقابها اللّيتورجيَّة وأسماؤها وأيقوناتها – مليءٌ بالمضمون العقائدي المُختصِّ بسرِّ التجسُّد.

وقد احتفظ طقس الكنيسة اليونانيَّة بقراءاتٍ من العهد القديم، تُتلى على المؤمنين في أعياد العذراء مثل: سُلَّم يعقوب (تك ٢٨: ١٠ – ١٧)، ورؤيا حزقيال عن باب الهيكل (حز ٤٤: ١ – ٤)، والعُلَّيقة (خر ٣: ١ – ٨)، وخيمة الاجتماع (الأصحاح ٤٠ من سِفْر الخروج)، وهيكل سليمان ومجد الربِّ الذي حلَّ فيه، وتابوت العهد (١مل ٨: ١ – ٧، ٩ – ١١)،

---

(١) أعددنا هذا المقال بالاستعانة بمقال:

Paul Ladouceur, *Old Testament Prefiguration of the Mother of God*, St. Vladimir's Theological Quarterly, no. 1,2, 2006, p. 5.

وقُدْس الأقداس (١مل – الأصحاح السادس)، ومائدة خبز الوجوه (خر ٢٥: ٢٣ – ٣٠؛ ٣٥: ١٣)، وقسط المَنّ (خر ١٦: ٣٢،٣٣)، وحجاب الهيكل (خر ٢٦: ٣١ – ٣٣؛ ٢أي ٣: ١٤)، والبخور والرائحة العطريَّة (خر ٣٠: ٣٤ – ٣٨)، والمنارة والمصباح (خر ٢٥: ٣١؛ ٣٥: ١٤)، والمجمرة الذهبيَّة (خر ٣٠: ١؛ ٣٥: ١٥؛ ٤٠: ٥؛ ١مل ٧: ٤٨).

وتمدُّنا هذه القراءات بإشاراتٍ من العهد القديم تخصُّ والدة الإله. وعلى المُصلّين في قدَّاسات أعياد أمِّنا العذراء أن يربطوا بين تلك القراءات والعذراء، لكي يستفيدوا من معانيها الروحيَّة. وكما قال الأب متى المسكين، فقد "سقط من تقليد كنيستنا – للأسف الشديد – قراءات العهد القديم"[٢]. ولكنها استعاضت عن القراءات، بما جاء في التسبحة والثيئوطوكيات المليئة بالتشبيهات التي تُشير إلى العذراء من قراءات العهد القديم. ومن الأغراض الرئيسيَّة لهذا البحث هو تمكين المؤمن من أن يُدرك تلك الإشارات الكتابيَّة التي تُشير إلى العذراء في النصوص اللّيتورجيَّة بطريقةٍ أوضح.

وقد كان يُستَعمَل عددٌ كبير من تلك الإشارات في عيد دخول العذراء إلى الهيكل. وحيث إنَّ الربَّ يسوع كان يعظ في الهيكل الذي بناه هيرودس، فقد كان يربط بين العهدَيْن القديم والجديد في شخصه وفي تعاليمه. وينبغي أن نُلاحظ وجود ثلاث مميزات لأسماء وتشبيهات العذراء ذات الصلة بهيكل أورشليم، مثل:

أولًا: عدَّة أسماء مثل: هيكل، خيمة، قدس الأقداس؛ وهي تُشير إلى المكان الذي يسكن فيه الله. ففي العهد القديم، كان الله لأجل شعبه إسرائيل يسكن – بصفةٍ خاصَّة – في قُدْس الأقداس، الذي كان يدخل إليه رئيس الكهنة مرةً واحدةً في السنة. والأسماء التي تُنسَب إلى مكان سُكنى الله، تنطبق على والدة الإله وتُشير إلى أُمومتها للمسيح كلمة الله. إنها كوالدة الإله حملت في بطنها "الكلمة" الواحد من الثالوث الأقدس. فهو كلمة الله الذي سكن فيها كما سكن الله في الهيكل.

ففي ظِلِّ العهد الجديد، صارت أُمُّ النور مسكنًا حقيقيًّا لله العليِّ، وذلك حسب إيمان الكنيسة الذي دافعت عنه ضدَّ تعاليم نسطور، الذي اعتبَر العذراء أُمًّا للمسيح الإنسان فحسب، وليست "والدة الإله"؛ هذا الإيمان الذي أعلنته الكنيسة في مجمع أفسُس عام ٤٣١م، والذي يُشكِّل أساس توقير العذراء وقداستها.

---

(٢) عن كتاب: "التسبحة اليوميَّة ومزامير السواعي"، الطبعة الأولى، صفحة ١٩٧.

وامتدادًا لهذا التوازي بين حضرة الله في هيكل العهد القديم وبين حضرة المسيح في بطن العذراء بعد تبشيرها بالحَبَل به؛ فإنَّ ملابس خدمة الهيكل وأوانيه المقدَّسة تحتوي هي أيضًا على مقدَّسات مثل: مائدة خبز الوجوه، وقسط المَنِّ الذي يرمز إلى المسيح، والكأس التي ترمز إلى كأس الإفخارستيَّا. فيُمكننا أن نرى في كلٍّ ذلك، أنَّ المسيح هو "مضمون" تلك المقدَّسات؛ بينما والدة الإله تُعتَبَر أنها "الوعاء" الذي يحمل كلمة الله. وهنا نجد مرةً أخرى رمزًا للأُمومة الإلهيَّة للقدِّيسة مريم التي حملت المسيح في رَحِمها.

ثانيًا: الإشارات إلى والدة الإله كـ "مصباح" ومجمرة لها معنى مختلف. ففي كليهما نجد وعائين لشيء يشتعل: زيت المصباح وبخور المجمرة، ولكن دون أن تلتهم النار وتُحطِّم الوعاء، بل المصباح يُنير، والمجمرة تُعطي رائحة البخور الذكيَّة. وهكذا توجد صورة المسيح في النور وفي البخور الذي هو "رائحة ذكيَّة مرضيَّة لله". فالمصباح والمجمرة يُشيران إلى العذراء التي تحوي "نار" اللاهوت دون أن تحترق.

كما توجد شروحات لتلك الأيقونات التي تُصوِّر تشبيهات تُنسَب للعذراء في بعض النصوص اللّيتورجيَّة، مثل: سُلَّم يعقوب، والعُلَّيقة، وجزَّة جدعون (قض ٦: ٣٧ – ٤٠)، والملكة وبنت الملك والعروس والمحبوبة (مز ٤٤: ١٠ – ١٦ سبعينية؛ وسِفْر نشيد الأنشاد كله)، والعصا (من أصل يسَّى، من داود) (إش ١١: ١ – ١٠)، وباب السماء، وباب الملك، والباب الذي اجتازه وظلَّ مُغلقًا (حز ٤٣: ٢٧ – ٤٤: ٤)، وتابوت العهد (خر ٢٥: ١٠ – ١٦؛ ٣٧: ١ – ٩؛ مز ١٣١: ٨ سبعينية)، وفُلْك نوح (تك ٦: ١٣ – ٢٢)، والمركبة الشاروبيميَّة (٢مل ٢: ١١–١٣)، والسحابة المُنيرة التي كلَّم الله موسى منها (خر ١٩: ٩، ١٦ – ١٨)، وخدر سليمان (نش ٣: ٧، ٨)، والأتون الروحي (في قصة الثلاثة فتية) (دا ٣: ١٩ – ٣٠)، والحوت الذي احتوى يونان داخله (يونان – الأصحاح الثاني)، والفردوس الروحي (تك ٢: ٨)، وعصا هارون (عد – الأصحاح ١٧)، وقضيب البر (مز ٤٤: ٧ سبعينية)، وينبوع الحياة أو الينبوع من الصخرة أو الينبوع المختوم (خر ١٧: ١ – ٧؛ نش ٤: ١٢)، ولوحا العهد (تث – الأصحاح التاسع)، والعرش الناري أو الروحي (حز ١: ٤؛ خر ١٩: ١٨)، وشجرة الحياة (تك ٢: ٩)؛ وصهيون (شواهد عديدة)، والجبل المقدَّس (خر ٢٤؛ دا ٢: ٣٥).

وقد شرح الآباء القدِّيسون علاقة إشارات العهد القديم هذه بالعذراء، واهتمُّوا بكشف معانيها الرمزيَّة العميقة.

سُلَّم يعقوب:

رأى يعقوب أبو الآباء السُّلَّم السماوي «وَهُوَذَا مَلَائِكَةُ اللهِ صَاعِدَةٌ وَنَازِلَةٌ عَلَيْهَا، وَهُوَذَا الرَّبُّ وَاقِفٌ عَلَيْهَا، فَقَالَ: "أَنَا الرَّبُّ إِلهُ إِبْرَاهِيمَ أَبِيكَ وَإِلهُ إِسْحَاقَ. الأَرْضُ الَّتِي أَنْتَ مُضْطَجِعٌ عَلَيْهَا أُعْطِيهَا لَكَ وَلِنَسْلِكَ ... وَيَتَبَارَكُ فِيكَ وَفِي نَسْلِكَ جَمِيعُ قَبَائِلِ الأَرْضِ"» (تك ٢٨: ١٢ – ١٤). وبمُقارنة هذه الرؤيا بقول الربِّ يسوع: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: مِنَ الآنَ تَرَوْنَ السَّمَاءَ مَفْتُوحَةً، وَمَلَائِكَةَ اللهِ يَصْعَدُونَ وَيَنْزِلُونَ عَلَى ابْنِ الإِنْسَانِ» (يو ١: ٥١)؛ نجد أنَّ الربَّ يسوع يعكس هنا، في الحقيقة، التفسير المجازي النموذجي للسُّلَّم. ففي رؤيا يعقوب وجدنا أن الربَّ كان واقفًا على قمة السُّلَّم، في حين أنه في قول الربِّ يسوع نجد أنَّ الربَّ كان واقفًا أسفل السُّلَّم، وهو يصف صعود الملائكة ونزولها عليه، وهذا هو معنى التجسُّد: فإنَّ كلمة الله يضع نفسه لكي يسكن بيننا (يو ١: ١٤)!

ورغم أن كتابات الآباء لا تذكر أن سُلَّم يعقوب يشير إلى العذراء، إلَّا أنَّ تسابيح كنيستنا تذكر ذلك في عدَّة مواضع، وذلك بمعنى أنه بواسطة العذراء نزل الله إلى الأرض وتجسَّد. كما أنَّ بعض النصوص اللّيتورجيَّة تُشير إلى تشفُّع والدة الإله لأجل الكنيسة. فبواسطتها – وكأنها سُلَّم – يمكن للمؤمنين أن يتشفَّعوا بصلوات والدة الإله في صلواتهم نحو الله.

العُلَّيقة المُشتعلة:

العُلَّيقة المُشتعلة بالنار لها أهميَّة كبرى في التقليد الكنسي، لأنها تتعلَّق بإحدى الظهورات الإلهيَّة الرئيسيَّة في العهد القديم. وقد استرعى انتباه الشُّرَّاح حدثان في قصة العُلَّيقة: **الأول،** مَن هو الذي أعلن عن ذاته في نار العُلَّيقة؟ **والثاني،** هو الأمر الموجَّه إلى موسى بخلع نعلَيه.

فبخصوص **الأمر الأول،** تعرَّف شُرَّاح القرون الأولى على الصوت الذي سُمِعَ من العُلَّيقة بأنه كلمة الله أي ابن الله الوحيد. ويؤيِّد هذا الرأي كلام المسيح نفسه الذي طبَّق على نفسه التعبير: «أَهْيَهِ الَّذِي أَهْيَهْ» (أي "أنا هو الكائن" ⲁⲓⲙⲓ ⲡⲉⲛⲟⲩⲧⲉ) (خر ٣: ١٤)؛ حيث قال: «إِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا أَنِّي **أَنَا هُوَ** ⲁⲓⲙⲓ ⲡⲉⲛⲟⲩⲧⲉ تَمُوتُونَ فِي خَطَايَاكُمْ» (يو ٨: ٢٤)، وأيضًا: «مَتَى رَفَعْتُمُ ابْنَ الإِنْسَانِ، فَحِينَئِذٍ تَفْهَمُونَ أَنِّي **أَنَا هُوَ** ⲁⲓⲙⲓ ⲡⲉⲛⲟⲩⲧⲉ » (يو ٨: ٢٨)، وأيضًا: «قَبْلَ أَنْ يَكُونَ إِبْرَاهِيمُ **أَنَا كَائِنٌ** ⲁⲓⲙⲓ ⲡⲉⲛⲟⲩⲧⲉ» (يو ٨: ٥٨). وهكذا عرَّف الربُّ يسوع نفسه بأنه هو نفسه الذي كلَّم موسى النبي من العُلَّيقة.

أما بخصوص **الأمر الثاني،** فقد أَمَرَ الربُّ موسى أن يخلع نعلَيه «لأَنَّ الْمَوْضِعَ الَّذِي أَنْتَ وَاقِفٌ عَلَيْهِ أَرْضٌ مُقَدَّسَةٌ» (خر ٣: ٥). وقد رأى الآباء في ذلك ثمة حاجة إلى حياةٍ نُسكيَّة للاقتراب من الله. فالحذاء الذي هو جلد ميت، إذا قورن بالأقمصة الجلديَّة التي ألبس الربُّ آدم وحواء إيَّاها بعد السقوط (تك ٣: ٢١)، فإنَّ ذلك يدلُّنا على أن الأشياء الأرضيَّة ينبغي أن نضعها جانبًا لكي نقترب إلى الله. وهنا يقول **القدِّيس غريغوريوس النيسي:**

[الأقدام ذات الأحذية لا يمكنها أن تصعد إلى ذاك العُلو الذي يُرى فيه نور الحق، ولكن اللِّباس الجلدي الأرضي الميت الذي غُلِّفت به طبيعتنا في البدء عندما صرنا عُراة بسبب العصيان على المشيئة الإلهيَّة، ينبغي إزالته من قدمَي النفس. وعندما نفعل ذلك، فإنَّ معرفة الحق تكون هي النتيجة التي تُظهِر نفسها][٣].

وفي التَّقاليد اليهوديَّة والمسيحيَّة عمومًا، ترمز تعرية الأقدام للطهارة أمام الله الكُلِّي الطهارة. وفي طقس المعموديَّة، كان على الموعوظ أن يكون حافي القدمين لكي يرمز إلى عودته إلى النقاوة الأصليَّة. وقد رأى **القدِّيس غريغوريوس النيسي** أن العُلَّيقة المُشتعلة ترمز للعذراء، وبصفةٍ خاصَّة حبلها البتولي وبتوليتها الدائمة، فيقول:

[نتعلَّم من العُلَّيقة سرَّ العذراء: فإن نور اللاهوت، الذي بولادته أشرق منها إلى حياةٍ بشريَّة، لم يحرق العُلَّيقة المُشتعلة، كما أن زهرة بتوليتها لم تذبل بالولادة][٤].

والقديس يوحنا ذهبي الفم له شروحات عديدة في مقالاتٍ مختلفة عن العُلَّيقة. فهو يؤكِّد على عدم إحراق النار للشجرة، كما أنه يُقدِّم شرحين لرمزين كتابيَّين: **الأول:** النار في العُلَّيقة كانت هي [النار الرسوليَّة التي أعلنت في العُلَّيقة أصوات تبشير الرُّسُل بطريقةٍ رمزيَّة]؛ **والثاني:** قيامة المسيح، فيقول:

[كما أنَّ العُلَّيقة اشتعلت دون أن تحترق؛ هكذا أيضًا جسد المُخلِّص مات، ولكن «لَمْ يَكُنْ مُمْكِنًا أَنْ يُمْسَكَ مِنْهُ (من الموت)» (أع ٢: ٢٤)][٥].

كما أنَّ في قصة العُلَّيقة مغزًى آخر هو: **الدعوة والإرساليَّة.** فقد وجَّه الله الدعوة لموسى من العُلَّيقة للخدمة لكي يُحرِّر شعبه من عبوديَّة مصر، تمامًا كما أنَّ الله أرسل ابنه بواسطة العذراء

---

(٣) "حياة موسى" – ٢: ٢٢.

(٤) المرجع السابق – ٢: ٢١.

(5) *Homelies St Romain*, 2. 2.

لكي يُحرِّر البشرية كلَّها من عبوديَّة الشيطان والخطية؛ هكذا قال الربُّ لموسى النبي: «قَدْ رَأَيْتُ مَذَلَّةَ شَعْبِي الَّذِي فِي مِصْرَ وَسَمِعْتُ صُرَاخَهُمْ ... **فَنَزَلْتُ لأُنْقِذَهُمْ**» (خر ٣: ٧، ٨). أليست هذه صورة لتجسُّد الربِّ من والدة الإله لكي يُنقذنا ويُحررنا؟

وقد جدَّد الله بذلك العهد بينه وبين الآباء البطاركة الأوَّلين، ذلك العهد الذي ظلَّ مُعلَّقًا لعدَّة قرون. ويقول الكتاب: «فَسَمِعَ اللهُ أَنِينَهُمْ (أنين شعبه في مصر)، فَتَذَكَّرَ اللهُ مِيثَاقَهُ مَعَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ. وَنَظَرَ اللهُ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَعَلِمَ اللهُ» (خر ٢: ٢٤، ٢٥).

وفي التسبحة اليوميَّة، تُبرز الكنيسة رمز العُلَّيقة بكلِّ وضوح، فتقول في ثيئوطوكيَّة الثلاثاء: "أنتِ هي الشَّجرة التي رآها موسى متَّقدة بالنار ولم تحترق، أي ابن الله الذي أتى وحلَّ في بطنكِ ونار لاهوته لم تحرق جسدكِ".

وفي ثيئوطوكيَّة الأربعاء: "السلام للعُلَّيقة النفسانيَّة الطبيعيَّة التي لم تحرق نار لاهوته شيئًا منها".

وفي ثيئوطوكيَّة الخميس: "العُلَّيقة التي رآها موسى في البريَّة والنار مشتعلة فيها، هي مثال مريم العذراء غير الدَّنسة التي أتى وتجسَّد منها كلمة الآب، ونار لاهوته لم تحرق بطن العذراء، وأيضًا بعد ما ولدته بقيت عذراء"، "الواحد من الثالوث المساوي للآب في الجوهر، لمَّا نظر إلى ذُلّنا وعبوديَّتنا المُرَّة، طأطأ سموات السموات وأتى إلى بطن العذراء وصار إنسانًا مثلنا".

وفي لُبش الخميس: "تأمَّل العُلَّيقة والنار مُشتعلة فيها ولم تحترق أغصانها ولم يفسد ورقها، هي مثال لمريم العذراء غير الدَّنسة التي تجسَّد منها كلمة الآب".

وفي ثيئوطوكيَّة الجمعة: "ثمرة بطنكِ أتى وخلَّص المسكونة ونقض العداوة عنَّا وقرَّر لنا سلامه".

وفي المقال، التالي سنتكلَّم عن بقيَّة رموز العهد القديم التي تُشير إلى العذراء.

(يتبع)



من
التراث الكنسي



معرفة الله

كأسمى هدف وأعظم فرح للحياة

من خلال الليتورجيًّا[١]

(٢٧)

(١) العبادة والصلاة في الليتورجيًّا:

بالإضافة إلى الفضائل التي ذُكِرت مِن قبل، نأتي إلى معرفة الله مِن خلال الليتورجيًّا (القدَّاس الإلهي). فإذا أراد شخصٌ ما أنْ يعرف الله، فيجب عليه أنْ يذهب إلى حيث يوجد الله. أين يوجد الله؟ الله موجودٌ في الكتاب المقدَّس، موجودٌ في الصلاة، وهو موجودٌ أيضًا في القدَّاس الإلهي. مِن خلال الليتورجيًّا. نحن لا نعبد الله فقط، بل أيضًا نأتي إلى معرفة الله في المسيح، نختبر حضوره، إنَّه موجودٌ هناك!

إنَّ معرفة الله في الكنيسة الأرثوذكسيَّة، ليست أمرًا يكون مِن خلال العقل؛ بل يكون في المقام الأول مِن خلال العبادة والصلاة.

مهما كان مبنى الكنيسة بسيطًا، فإنَّنا عندما نُشارك في الليتورجيًّا، فإنَّ السيِّد المسيح يكون هناك بشكلٍ سِرِّيٍّ، ونكون في تلك اللحظة واقفين في حضرة الله. الليتورجيًّا هي: **"سماء على الأرض".** الليتورجيًّا التي نحتفل بها على الأرض، هي مُشاركةٌ سريَّةٌ في الليتورجيًّا السماويَّة التي تتمُّ باستمرار في السماء. نحن لا نسمع الإنجيل فقط في الليتورجيًّا، بل وأيضًا نرى، ونشمُّ، ونتذوَّق ونلمس الإنجيل. نحن لا نذهب إلى السماء فقط عندما نموت، بل نذهب أيضًا إلى السماء في كلِّ مرة نُشارك فيها في الليتورجيًّا. لماذا؟ لأنَّنا نتقابل ونتشارك في المسيح في كلِّ ليتورجيًّا، ونصبح: **"شركاء الطَّبيعة الإلهيَّة".**

كَتَب القدِّيس أثناسيوس St. Athanasius في القرن الرَّابع يقول:

[أيها الإخوة الأحبَّاء، إنَّها ليست وليمة زمنيَّة التي نأتي إليها، لكنها وليمةٌ أبديَّة، مائدةٌ سماويَّة. نحن لا نأتي إليها كما في ظلال، ولكن نقترب منها في الحقيقة].

---

(١) بتصرُّف عن كتاب بعنوان:

Anthony M. Coniaris, *Knowing God, Life's Highest Purpose & Joy*.

الليتورجيًّا هي المكان الذي يكون المسيح فيه، هو والكنيسة، مِثل: "العريس والعروس"، وهم يحتفلون بزفافهما ويُتمِّمونه مِن خلال سرِّ التناول المقدَّس. مَن يكون العريس؟ المسيح! ومَن تكون العروس؟ إنَّها أنت و أنا! عندما يدعونا الكاهن إلى أنْ: "نرفع قلوبنا"، فإنَّنا نرفعها كلَّ الطَّريق إلى السماء. نحن نُؤخَذ في الروح "إلى السماء". ماذا نرى في السماء؟ نحن نُدرك ونعرف أنَّ كلَّ مَنْ هُم حولنا يكونون الملائكة والقدِّيسين.

وهكذا، ففي كلِّ ليتورجيًّا، نحن نُرنِّم نفس التَّرنيمة التي يُرنِّمها الملائكة والقدِّيسون أمام عرش الله (رؤ ٤: ٨؛ إش ٦: ٣). تلك التَّسبحة المُميَّزة هي تسبحة الملائكة: "قدوس، قدوس، قدوس". نحن نصعد في الليتورجيًّا إلى السماء، ونُصاحب الملائكة والقدِّيسين في عشاء عُرْس الحَمَل. نحن حقًّا نكون هناك. هذه ليست مَثَلًا أو مجازًا أو استعارة، إنَّها الحقيقة التي علَّمها المسيح.

الباروسيًّا Parousia (المجيء الثاني)، هي الحضور الحقيقي للربِّ يسوع، ليس فقط في الماضي البعيد، ولا يكون مجيئه الثَّاني هذا في المستقبل. إنَّه مجيءٌ حيٌّ وحضور اليوم، ويحدث في كلِّ ليتورجيًّا. هذا هو المكان حيث نتقابل مع الربِّ يسوع. هذا هو المكان الذي يتحدَّث فيه معنا الرَّبُّ يسوع ككلمة الله، ويتَّحد بنفسه بنا كخبز الحياة.

في هذا السياق، يكتب القدِّيس يوحنا السُّلَّمي (الدَّرَجي) St. John Climacus (٥٧٩ – ٦٤٩م)، ويقول إنَّ الكلمة التي يتكلَّم بها اللاهوتي، تظلُّ جوفاء لو لم تكن مبنيَّة على اختبارٍ شخصيٍّ في العبادة:

> **[هل تتخيَّل أنَّ الكلمات البسيطة يمكنها بدقَّةٍ أو بحقٍّ أو بشكلٍ مناسب أنْ تصف حُبَّ الرَّب ... أو أنْ تُعطي طمأنينة للقلب؟ هل تتخيَّل أنَّ الأحاديث عن مِثل هذه الأمور، سوف يكون لها أيُّ معنى لشخصٍ لم يختبرها أبدًا؟ لو كنتَ تعتقد أو تُفكِّر هكذا، فهذا معناه أنَّك سوف تكون مثل الشخص الذي يحاول بالكلمات والأمثلة، أنْ ينقل ويوصِّل حلاوة العسل لأُناسٍ لم يذوقوه أبدًا. هو يتحدَّث بلا فائدة. في الواقع، سأقول: هو ببساطة مجرَّد ثرثار].**

لا يمكن أن توجد معرفة بدون اختبار العبادة. لهذا عندما يريد السَّائلون أنْ يُخبرهم الأشخاص الأرثوذكس شيئًا ما عمَّا يؤمنون به، فعلينا أنْ نقول لأيٍّ منهم: "إذا كنتَ تريد أنْ تعرف ما هو إيماننا المسيحي الأرثوذكسي، فتعالَ واعبد معنا". إيماننا المسيحي يرتكز على

الليتورجيًّا، ويُعبَّر عنه مِن خلال الليتورجيًّا. حقًّا، إنَّ العبادة والصلاة هما ما يسوقان ويدفعان مُحرِّك اللاهوت الأرثوذكسي. إنَّ الإفخارستيًّا تُظْهَر وتُعْلَن فيها الخدمة الخلاصيَّة بأكملها وتدبير العناية الإلهيَّة (فلاديمير لوسكي V. Lossky).

الدراسة والعبادة الاختباريَّة معًا، هما أساسيَّتان لو أنَّنا أردنا حقًّا أنْ نعرف الله. نحن بحاجةٍ إلى عقولنا، لكن هذا ليس كلَّ شيء. نحن في حاجةٍ أنْ نكون على علاقةٍ مع الله، وأنْ ننمو في معرفتنا له. ولأنَّنا عبارة عن جسد، وعقل، وقلب، وروح؛ فنحن بحاجةٍ إلى إشراك كياننا بالكامل في علاقتنا بالله، وليس فقط عقولنا.

(٢) الإنجيل في الليتورجيًّا:

وُجِدَ اتِّجاه لدى بعض المسيحيِّين الأرثوذكس لفصل الإنجيل عن الليتورجيًّا. وعلى حسب هذه المدرسة الفكريَّة، يكون الذين يتمسَّكون بالإنجيل طائفة أخرى، والذين يتمسَّكون بالليتورجيًّا يكونون أرثوذكس. لا شيء يمكن أنْ يكون أبعد عن هذا الادِّعاء. الإنجيل هو جزءٌ لا يتجزَّأ مِن الليتورجيًّا، والليتورجيًّا جزءٌ لا يتجزَّأ مِن الإنجيل. أظهرت الدراسات أنَّ الليتورجيًّا تحتوى على ٩٨ اقتباسًا مِن العهد القديم و١١٤ إشارة مِن العهد الجديد. الليتورجيًّا راسخةٌ بشدَّة ومُتأصِّلة بعمقٍ في الكتاب المقدَّس. ماذا تكون الليتورجيًّا إلَّا إعادة إحياء أحداث الكتاب المقدَّس؟ الليتورجيًّا تكشف أمامنا الكُتُب المقدَّسة. عقيدة الكفَّارة في الكنيسة الأرثوذكسيَّة هي عقيدة ليتورجيَّة، والغولغوثا (الصَّليب) تصبح حاضرةً في المعموديَّة والقربان المقدَّس. وعلى سبيل المثال، العبور خلال البحر الأحمر يصبح حقيقيًّا لنا اليوم، عندما نعبُر خلال الماء والمعموديَّة مِن الموت إلى الحياة، ومِن الظلام إلى النور، ومِن العبوديَّة إلى الحريَّة. الصعود يصبح صعودًا شخصيًّا إلى عرش الله في كلِّ ليتورجيًّا. المَنُّ الذي أمدَّ اللهُ به شعبَه في البريَّة يكتسب معنًى روحيًّا في كلِّ إفخارستيًّا. العشاء الأخير يصبح حقيقيًّا لنا في كلِّ ليتورجيًّا، ونكون هناك مع المسيح. وهكذا، فإنَّ الليتورجيًّا تصبح جسرًا، كما لو كانت تُحضِر أحداث الكتاب المقدَّس لنا اليوم، حتى نُشارك بشكلٍ شخصيٍّ فيما هو لأجل خلاصنا ولأجل اتِّحادنا مع الله (theosis).

الجزء الأوَّل كلُّه من القدَّاس يُسمَّى "قدَّاس الكلمة"، وهو يشمل قراءة مِن رسائل بولس الرَّسول، وقراءة مِن الرَّسائل الجامعة، وقراءة فصل مِن أعمال آبائنا الرُّسُل، ثمَّ قراءة الإنجيل، ثمَّ الشَّرح والتَّفسير في العظة. كان هذا كلُّه في الكنيسة الأولى مُخصَّصًا لوعظ الموعوظين catechumens ليُعدَّهم للمعموديَّة، وليبني إيمانهم. ويظلُّ قدَّاس الكلمة جزءًا أساسيًّا في القدَّاس.

كان – في الحقيقة – الجزء الأول مِن القدَّاس، والمعروف باسم "قدَّاس الكلمة"، يتصدَّر بالفعل الخدمة في المجامع، حيث يحتوي جزءًا مِن القراءات المقدَّسة، والصلوات، والعظة. الجزء الآخَر مِن العبادة العبريَّة، كان لا يُقام في المجمع، لكن في الهيكل. كان لا يمكن أنْ تُقدَّم الذبائح في إسرائيل قديمًا في المجامع، لكن فقط في الهيكل في أورشليم. أمَّا بعد ذبيحة ربِّنا على الصليب، فقد صارت ذبيحته الواحدة والوحيدة هي اللازمة لأجل خلاصنا. وهكذا صار قدَّاس المؤمنين (حيث ذبيحة المسيح غير الدمويَّة تكون موجودة) يسبقه قدَّاس الكلمة؛ وهكذا أصبح قدَّاس الكلمة وقدَّاس المؤمنين واحدًا.

وفقًا لآباء الكنيسة، توجد شَرِكتان في القدَّاس، حيث نشترك أولًا مع المسيح ككلمة الله (قدَّاس الكلمة)، ثمَّ مع المسيح كخبز الحياة (قدَّاس المؤمنين). وفي كلتا الشركتين نحن نُشارك المسيح: أوَّلًا نحن نأكل كلمة الله: «وُجِدَ كَلاَمُكَ فَأَكَلْتُهُ» (إر ١٥: ١٦)، ثم نكسر ونأكل خبز الحياة. وهكذا نرى أنَّ الإنجيل والليتورجيَّا مرتبطان معًا لا ينفصلان في خدمات الكنيسة الأرثوذكسيَّة. مِن خلال الليتورجيَّا، نجد أنَّ خدمات المجمع في القديم وخدمات الهيكل قد ضُمَّت معًا. ومِن خلال الليتورجيَّا، نجد أنَّ الربَّ يسوع يستمرُّ في إعلان كلمته الخلاصيَّة لنا، ويستمرُّ في تقديم ذاته لنا كخبز الحياة.

لذلك، كيف يمكننا أنْ نعرف الله؟ أين يمكننا أنْ نجد الله؟ نجده في الليتورجيَّا، حيث يكون هناك الله الآب، والابن، والروح القدس. نحن نأتي في الليتورجيَّا إلى المسيح ونتَّحد به. هناك نأتي، ليس فقط لنعبُد الله، لكن أيضًا لنعرف الله.

(يتبع)

****

دير القدِّيس أنبا مقار

بتصريح سابق من الأب متى المسكين بالإعلان عن مشروع معونة الأيتام والفقراء (مشروع الملاك ميخائيل)، حيث يعول هذا المشروع منذ عام ٢٠٠٠ أكثر من ألفين من العائلات المُعدمة، يمكن تقديم التقدمات في رقم الحساب الآتي:

00211300000153

دير القدِّيس أنبا مقار

بنك كريدي أجريكول مصر – فرع الميرغني

****

أسرار
الحياة المقدَّسة
(٢)

"أَرِنا الآب وكَفَانا"



● «بل أَخَذْتُم رُوحَ التَّبَنِّي الَّذِي بِهِ نَصْرُخُ: يا أَبَا الآبِ» (رو ٨: ١٥).

تمهيد:

سقط الإنسان الأوَّل (آدم)، وأُبعِد عن الفردوس الذي كان مُقيمًا فيه، مُتمتِّعًا بمَعيَّة الله وحضوره، ومُؤهَّلًا لسماع صوته والإحساس بالتواجُد في حضرته، بل والتحدُّث المُباشر مع الله ذاته! فقد حُرِم آدم من هذه النِّعَم بعد طرده من الفردوس، وانفصاله عن التواجُد مع الله، وغاب الله عن قلب آدم وعَيْنَيه، وتوقَّف الإحساس بنعمة هذه الحالة الحميميَّة، والإحساس الرائع والمُشبِع للنَّفس والروح، الذي كان يغمره باجتماعه مع الله.

وصار آدم الأوَّل، وبنوه من بعده، غُرباء عن التواصُل مع الله أو التقرُّب إليه. وكلَّما زادت أيام الغُربة والبُعد بين آدم وخالقه، كلَّما غَشَت غمامةُ الخطيَّة حياةَ الإنسان، لتُرسِّخ من كثافة السحابة الفاصلة ما بين الإنسان والله خالقه، لتصير صورة الله باهتةً ومُبهَمةً ومُشوَّشة داخل قلب الإنسان وعقله وضميره؛ وذلك بسبب تراكُم خطايا الإنسان، وبُعده عن الله، مصدر النور.

وتحوَّلت هذه الصورة إلى مُجرَّد اشتياقٍ داخليٍّ مكتوم، ورغبةٍ مكبوتة في قلب الإنسان وعقله، تئنُّ مُتطلِّعة إلى لحظة انفراجٍ وإشراقة، يستعيد فيها الإنسان نِعمَة رؤية إلهه الذي جَبَله، والاستضاءة بنور معرفته، والتمتُّع بإشراقة مجده عليه مرَّةً أخرى.

وهكذا، كلَّما ازدادت الهوَّة بين الإنسان وبين الله الآب الخالق، كلَّما ازداد الحنين والألم والاشتياق والأنين في قلب الإنسان، لكي تعود إليه أيام تواصُله مع الله، وقُربه من الآب السماوي، واستعادة مجد وفرح عشرته معه. وليس أَدَلُّ على صورة هذا الاشتياق والحَنين؛ سوى صرخة اللَّهفة التي أطلقها فيلبُّس الرسول للربِّ يسوع، حينما قال له: «يا سَيِّدُ أَرِنَا الآبَ وَكَفَانَا» (يو ١٤: ٨). فقد كانت اللَّهفة والتطلُّع إلى معرفة الآب، والاقتراب منه، أو حتى

الإحساس بمجرَّد حضرته، هو مُنتهى رجاء الإنسان، وغاية حياته.

معرفة الآب:

في إرهاصة نَبَويَّة لافته، يكتب أجور بن مُتَّقيَةِ مَسَّا في سِفْر الأمثال بالرُّوح، مُتسائلًا عن اسم الله الخالق قائلًا: «مَنْ صَعِدَ إلى الَسَمَاواتِ ونَزَلَ؟ مَنْ جَمَعَ الريِّحَ في حَفْنَتَيهِ؟ مَنْ صَرَّ الْمِياهَ في ثَوْبٍ؟ مَنْ ثَبَّتَ جَميعَ أَطْرافِ الأَرْضِ؟ **ما اسْمُهُ؟ وما اسْمُ ابْنِهِ إنْ عَرَفْتَ؟**» (أم ٣٠: ٤). وهي لَفْتَةٌ نبويَّةٌ رائعة، تُشير لاسم الله الآب، ولابنه الوحيد (الكلمة المُتجسِّد)؛ الذي هو واحدٌ مع الآب والرُّوح القدس في الجوهر الإلهي.

وفي ملء الزمان، أتى الربُّ يسوع (الابن المُتجسِّد) إلى الإنسان على الأرض، وخاطب الله الآب (أباه وسيِّد كلِّ أحدٍ) جهارًا: «أنَا أَظْهَرتُ اسمَكَ للنَّاسِ الذِينَ أَعطَيتَنِي مِنَ العَالَمِ ... أيُّها الآبُ البَارُّ، إنَّ العَالَمَ لَمْ يَعرِفَكَ، أمَّا أنا فَعَرَفْتُكَ، وهؤُلاءِ عَرَفوا أنَّكَ أَرْسَلْتَني. وعَرَّفْتَهُم اسمَكَ وسَأُعَرِّفهم ...» (يو ١٧: ٦، ٢٥، ٢٦).

فالربُّ يسوع، بتجسُّده، قد أظهر لنا "**نور الآب**"[1]؛ إذ قد صار، هو نفسه، استعلانَ الله للبشر بصورةٍ مرئيَّة؛ أي في طبيعتهم البشريَّة، وذلك بحسب تعبير بولس الرسول بالروح: «الذِي هُو (المَسِيحُ) صُورَةَ اللهِ غَيْرِ الْمَنْظُورِ» (كو ١: ١٥). فالآب الخالق العظيم، الذي هو روحٌ، بحسب طبيعته، ولم يَرَه أحدٌ قَطُّ، ولا يقدر أيضًا أنْ يراه أحد؛ قد أعلن عن ذاته للبشر في شخص ابنه يسوع المسيح (الكلمة المُتجسِّد والظاهر في طبيعتنا الإنسانيَّة)، وذلك بحسب شهادة الروح القدس على فم يوحنا الرسول: «اللهُ لَمْ يَرَهُ أَحَدٌ قَطُّ، الابنُ الوَحِيدُ الَّذِي هُوَ في حِضْنِ الآبِ هُوَ خَبَّرَ» (يو ١: ١٨)؛ وذلك من أجل أن يُعيد لنا وفي داخلنا صورة الآب السماوي، مصدر حياتنا، التي تشوَّهت بسبب سقوطنا وخطايانا.

"أَرِنا الآبَ وكَفَانا":

هذا ما طَلَبه فيلُبُّس الرسول من الربِّ يسوع، فأجابه السيِّد بقوله: «أنَا مَعكُم زَمانًا هَذِهِ مُدَّتُهُ ولَم تَعرِفْنِي يا فِيلُبُّس! **الذِي رَآنِي فَقَدْ رَأَى الآبَ ... صَدِّقُونِي أنِّي في الآبِ والآبُ فيَّ**» (يو ١٤: ٨، ١١).

فالربُّ يسوع كَشَفَ – بكلِّ وضوح – عن حقيقة وحدانيَّة الابن مع الآب، ومُساواتُهما في

(١) من صلوات الكاهن في القدَّاس الغريغوري قبل الثلاثة تقديسات.

الجوهر، إذ هو نفسه "الله الظاهر في الجسد". وقد تمَّت رؤيتنا لابن الله المُتجسِّد، أو شركتنا معه واتِّحادنا به، بالإيمان، عند تناولنا مِن جسده ودمه الأقدسين على المذبح. فهذه، في الحقيقة، صورةٌ مُصَغَّرة لاتِّحاد الابن بالآب؛ حيث نتَّحِد نحن – بواسطة الروح القدس – بالابن، وتصير لنا شركة بالروح مع الآب والابن، حسب قول يوحنا الرسول: «وأَمَّا شَرِكَتُنا نَحنُ فَهِي مَعَ الآبِ ومَعَ ابنِهِ يَسُوعَ المَسِيحِ» (١يو ١: ٣). وهذا الاتِّحاد هو غاية وشهوة الربِّ يسوع نفسه، أنْ نكون واحدًا فيه، كما أنَّه هو واحدٌ مع الآب (انظر: يو ١٧: ٢٢، ٢٣).

إذن، فاتِّحادنا بالمسيح في سِرِّ الإفخارستيَّا، عند تناولنا من الجسد والدَّم الأقدسين، وسُكناه فينا بالروح القدس، هما بالتمام استعلانٌ لسرِّ الثالوث القدوس فينا، وشركة حقيقيَّة لنا مع الآب (غير المنظور)، ومع الابن، بالروح القدس، كقول الربِّ يسوع في صلاته الوداعيَّة للآب: «أَنا فِيهِمْ وَأَنتَ فِيَّ ليكونوا مُكمَّلينَ إِلَى واحِدٍ» (يو ١٧: ٢٣). ومن البديهي أنْ نُدرك أنَّ اتِّحاد الآب مع الابن، وبُنوَّة الابن الوحيد للآب، والكائن في حِضن الآب كلَّ حين، تختلف عن اتِّحادنا – نحن البشر – بالآب والابن. فالبُنوَّة الأولى هي اتِّحادٌ جوهريٌّ وذاتيٌّ وفائقٌ للمعرفة بين أقانيم الثالوث القدوس في الجوهر الإلهي الواحد؛ بينما البُنوَّة الثانية، أي بُنوَّتنا نحن للآب، فهي عطيَّةٌ مجَّانيَّةٌ موهوبةٌ لنا بالنِّعمة، من قِبَل إيماننا بابن الله، الكلمة المُتجسِّد، الذي شاركنا طبيعتنا البشريَّة لكي يُعرِّفنا بالآب، ويصنع لنا خلاصًا بفدائه العظيم الذي أكمله لنا، ويرفع كلَّ مَنْ يُؤمن به وبخلاصه إلى مجد البُنوَّة واستحقاق البنين. وقد صرَّح الربُّ يسوع لنا أنَّه هو وحده الطريق والسبيل الوحيد لمعرفة الآب واستحقاق بَنَويَّتِهِ، بالشَّركة معه والاتِّحاد به في سرِّ الإفخارستيَّا، إذ يقول: «لَيسَ أَحدٌ يَأتِي إِلَى الآبِ إِلَّا بِي. لَو كُنْتُم قَدْ عَرَفتُمُوني لَعَرَفْتُم أَبِي أَيْضًا» (يو ١٤: ٦، ٧).

معنى البُنوَّة للآب:

أشار الكتاب المقدَّس في مواضع عديدة لتعبير "**أبناء الله**" أو البُنوَّة لله، فقد أُطلِق هذا التعبير على أبناء شيث، الأبرار والسائرين بمخافة الله؛ وذلك لتمييزهم عن بنات قايين ونَسله، اللاتي لُقِّبن بـ "**بنات الناس**"، واللاتي عِشنَ في انحلالٍ وانغماسٍ في الشَّرِّ والبُعد عن مخافة الله و عمل وصاياه، وكُنَّ مُتغرِّبات عن الحياة المُقدَّسة.

كذلك، فَقَد وَرَدَ تعبير "الابن" عن شعب إسرائيل، الذي دعاه الله «إِسْرَائِيلُ ابْنِي الْبِكْرُ» (خر ٤: ٢٢)، وأيضًا «مِنْ مِصْرَ دَعَوْتُ ابْنِي» (هو ١١: ١). فهذاالتعبير أطلقه الروح القدس

على إسرائيل، الذي كان يُمثِّل الصورة المُقدَّسة والمحبوبة من الله، التي اختارها لتكون بذرة الإيمان والقداسة للعالم كلّه. فكان إسرائيل هو العجينة المُقدَّسة المُزمع أنْ يأتي منها الخلاص للعالم كلّه؛ كما شهد الربُّ يسوع بذلك أمام المرأة السَّامريَّة، بقوله لها: «لأَنَّ الْخَلاَصَ هُو مِنَ الْيَهُودِ» (يو ٤: ٢٢). ولكن هذه البنوَّة الموهوبة بالنِّعمة مجَّانًا من الله لإسرائيل، قد أُهدِرت منهم؛ وذلك لرفضهم الابن الوحيد الحقيقي (يسوع المسيح)، الذي أتاهم إلى العالم؛ ومِن ثمَّ، فقد وهب الله خلاصه ونِعمة البُنوَّة للآب لكلِّ مَن يُومن بالابن، ويعترف بخلاصه الذي أكمَله للعالم.

وكما سبق القَوْل، فالبنوَّة الموهوبة للبشر، في القديم، كانت عطيَّةً مجَّانيَّة، يهبها الله – بروحه القدُّوس – لأُناسٍ مُعيَّنين، أو لشعبٍ مُختار؛ وذلك من أجل إتمام رسالةٍ مُقدَّسة أو عملٍ كرازيٍّ مُعيَّن. وكلُّ مَن أتَمَّ هذه الرسالة بإخلاصٍ، نال كرامةً ومجدًا وعربون فرحٍ وابتهاج بسبب اشتراكه في عمل الخلاص المُزمع أن يُكمِّله الآب بابنه الوحيد. أمَّا البُنوَّة التي بين الآب والابن، فهي شركة حُبٍّ وكينونةٍ ذاتيَّة وأزليَّة فائقة عن الإدراك، تجمع الآب والابن والروح القدس في جوهرٍ إلهيٍّ واحد، به نحيا ونتحرَّك ونُوجد.

فَهْم اليهود لمعنى البُنوَّة لله الآب:

من العجيب أنْ يكون اليهود، الذين كانوا مُدرِكين لمعنى تعبير **"ابن الله"**، هم أنفسهم مَنْ رفضوا قبول هذا الابن عند تجسُّده وظهوره بينهم في شخص الربِّ يسوع المسيح! وأنْ يُنكروا هذه الصِّفة عنه، بل ويتَّهموه بالتجديف؛ حينما نَطَقَ أمامهم بأنَّه "ابن المُبارك". فاليهود كانوا يُدركون ويفهمون معنى اسم **"الله الآب"**، وبسبب تقديسهم لهذا الاسم، ما كانوا يجرؤون على النُطق به مباشرة (يهوة)؛ بل استعاضوا عن نُطق هذا الاسم بلقب **"المُبارك"**. فنرى رئيس الكهنة الواقف قبالة الربِّ يسوع في المُحاكمة يسأله عن علاقته بالله الآب بقوله: **"أَأَنْتَ ابنُ الْمُبَارَكِ"**؛ وحينما أكَّدَ له الربُّ يسوع ذلك، وصادق على هذا القَوْل، انزعج رئيس الكهنة ومزَّق ثيابه، وهتف قائلًا: "قد جدَّف، ما حاجتنا بعد إلى شهود" (انظر: مر ١٤: ٦١ – ٦٣)؛ ذلك لأنَّه أعلن أمام الجميع أنَّه "ابنُ المُبارك"، أي "ابنُ اللهِ"، كاشفين بذلك عن فَهمِهم أنَّ **"ابن الله"** تعني **"الله نفسه"**؛ كما وَرَدَ أيضًا عن هذا المعنى، ما كُتِبَ بالروح على فم يوحنا البشير: «فَمِنْ أَجْلِ هَذَا كَانَ الْيَهُودُ يَطْلُبُونَ أَكْثَرَ أَنْ يَقْتُلُوهُ، لأَنَّهُ لَمْ يَنقُضَ السَّبْتَ فَقَطْ، بَلْ قَالَ أَيْضًا إِنَّ اللهَ أَبُوهُ، مُعَادِلًا نَفْسَهُ بِاللهِ» (يو ٥: ١٨).

إذن، فاليهود كانوا يُدركون مُساواة تعبير "ابن الله" بـ "الله"[٢]، وهو ما أكَّده وشهد به الربُّ يسوع عن نفسه، عندما قال: «أَنَا والآبُ واحِدٌ» (يو ١٠: ٣٠). ولكنهم – بسبب قساوة قلوبهم وكبريائهم – صَعُبَ عليهم قبول الابن الوحيد عندما تجسَّد، وظهر في صورة النَّاس، في شخص يسوع المُخلِّص المُتَّضِع؛ فرفضوه وفقدوا امتيازهم كشعب الله المُختار، والابن البِكر من بين كلِّ بني البشر.

كذلك أيضًا، فإنَّ بُنوَّة الابن للآب وأزليَّته كانتا معروفتَين منذ القديم عند شعب إسرائيل، ومُثبَّتتَين في أسفار النبوَّات عندهم؛ حيث يقول داود النبي في سِفْر المزامير: «أَنْتَ ابْنِي، أَنَا الْيَومَ وَلَدْتُكَ» (مز ٢: ٧)، وأيضًا يقول في موضعٍ آخر: «قَالَ الرَّبُّ لِرَبِّي: اجلِسْ عَنْ يَميني ...» (مز ١١٠: ١)؛ وغيرها من الآيات والنبوَّات، التي تشهد بأصالة الإيمان بمُساواة الابن للآب في الجوهر الواحد، وإدراك اليهود وفهمهم لمعنى وجوهر هذه النُّبوَّات.

بركات البُنوَّة لله الآب:

يشهد القدِّيس يوحنا الرسول قائلًا: «الآنَ نَحنُ أَوْلادُ اللهِ» (١يو ٣: ٢)، فقد صِرنا بالإيمان بابن الله وخلاصه الذي صنعه لنا، وباشتراكنا معه والاصطباغ بمياه المعموديَّة المُقدَّسة، مُتشبِّهين بموته وقائمين معه بقيامته. ثمَّ باتِّحادنا بالابن، بشركتنا في التناول من جسده ودمه الأقدسين، فقد تكرَّسنا، بسبب كلِّ هذا، كأبناءٍ لله العَلي، وصِرنا خليقةً جديدة، ووُلِدنا بالروح أولادًا لله. وبدَم المسيح وقوَّة قيامته والإيمان بخلاصه؛ تكرَّس لنا طريقٌ للحياة الأبديَّة، من قِبَل معرفتنا بالآب السماوي، منبع الحياة: «وهَذِهِ هِيَ الحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ: أَنْ يَعرِفُوكَ أَنْتَ الإله الحَقِيقِيَّ وحْدَكَ، ويَسُوعَ المَسِيحَ الَّذِي أَرْسَلْتَهُ» (يو ١٧: ٣). وبهذه النِّعمة (نِعمَة البُنوَّة للآب في المسيح ابن الله)، وُهِبنا رجاء الحياة الأبديَّة، وصِرنا شركاء في حياة الله!

بُنوَّتنا للآب، صَيَّرتنا مُؤهَّلين، بنعمة ومعونة الروح القدس، أن نُدعى بالروح أبناءً لله الحيِّ، وندعوه قائلين: «يا أَبَا الآبِ». وكما يقول بطرس الرسول بالروح: إنَّنا نصير "شُركاء الطبيعة الإلهيَّة"؛ حيث يتصَّور المسيح فينا بالروح القدس، ونعكس نحن نور الله المُنطَبع فينا على العالم، فيتمجَّد اسم الله القدُّوس أمام الخليقة كلِّها.

---

(٢) يظهر هذا التعبير الإيماني في قانون الإيمان المسيحي، بالقول: "مساوٍ للآب في الجوهر" .

بُنوَّتنا للآب أيضًا، أعطتنا نصيب البنين واستحقاقاتهم في ميراث السماء الذي لا يزول. فبولس الرسول يقول: «فَإِنْ كُنَّا أَوْلاَدًا فإِنَّنَا ورَثَةٌ أَيْضًا، ورَثَةُ اللهِ ووَارِثُونَ مَعَ المَسِيحِ» (رو٨: ١٧). وميراث البنين هو ميراثٌ غير مُضْمَحِل، مملوء مجدًا وكرامة، مُكلَّلٌ بالتواجُد في مَعيَّة الله الخالق، والاشتراك مع صفوف السمائيِّين في تسبيح اسمه القدُّوس والفرح بحضرته الإلهيَّة غير الموصوفة.

أخيرًا نقول: إنَّه كما أنَّ المسيح (ابن الله) قد عَرَّفنا اسم "الله الآب"، وتمَّمَ لنا إرادة الآب السماوي في خلاصنا، بتجسُّد ابنه الوحيد وموته وقيامته وصعوده من أجلنا؛ كذلك الآب أيضًا، قد شَهِدَ لابنه (الربِّ يسوع، الكلمة المُتجسِّد) قائلًا: «هَذَا هُو ابْنِي الحَبِيبِ الَّذِي بِهِ سُرِرْتُ» (مت ٣: ١٧). وقد وهبنا الابن روحه القدُّوس، المُنبثِق من الآب، لكي يسكن داخلنا، ويشهد لنا بأنَّنا أبناء الله الحيِّ، من قِبَلِ الإيمان به، لنقدر أنْ نرفع قلوبنا ناطقين في كلِّ حين: «**يا أَبَا الآبِ**».

****

غاية تجسُّد ابن الله

للقدِّيس إيرينيئوس

[الذين يُنكرون عمانوئيل المولود من العذراء،
يحرمون أنفسهم من عطيَّته التي هي الحياة الأبديَّة،
لأنهم بِعدم قبولهم الكلمة أصل عدم الفساد،
يبقون في الجسد الميِّت، ويكونون مديونين للموت
بسبب عدم قبولهم ترياق الحياة ...
فإنه لهذه الغاية قد صار الكلمة إنسانًا،
وصار ابن الله ابنًا للإنسان لكي يتَّحد الإنسان بالكلمة،
فينال التَّبنِّي ويصير ابنًا لله.
فإننا لم نكن نستطيع بوسيلةٍ أخرى
أن نحصل على عدم الفساد والخلود،
إلَّا باتِّحادنا بالذي هو عدم الفساد والخلود.
وكيف كان يمكن أن نتَّحد بالذي هو عدم الفساد والخلود؟
لو لم يكن هو نفسه أولًا قد صار على حالنا،
حتى يُبتلع الفاسد من عدم الفساد،
ويُبتلع المائت من عدم الموت، فننال التَّبنِّي![

(ضد الهرطقات ٣:١٩:١)

****

بحث تاريخي

أهم أديرة وكنائس السيِّدة العذراء الأثريَّة بالوجه القبلي في مصر

(١)

الأستاذة الدكتورة/ شيرين صادق الجندي
أستاذ الإرشاد السياحي والآثار والفنون القبطيَّة
بكلية الآداب – جامعة عين شمس

نظرًا لمكانة السيِّدة العذراء مريم **(الشكل رقم ١)** في نفوس المصريين، كُرِّست لها كثيرٌ من الأديرة والكنائس في مصر على مرِّ العصور. ومن أهمِّ هذه المباني الأثريَّة المُشيَّدة في صعيد مصر، نُشير إلى ما يلي:



(الشكل رقم ١) أيقونة للسيِّدة العذراء مريم في كنيسة العذراء الدمشيريَّة بمنطقة مصر القديمة.

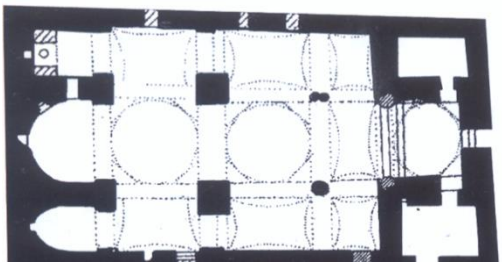
١ – دير العذراء – الحمَّام:

وَرَدَ ذِكْر دير العذراء مريم باللاهون في مؤلَّفي كلٍّ من أبي المكارم في القرن الثاني عشر الميلادي والنابلسي في القرن الخامس عشر الميلادي. ويُعتَبَر هذا الدير من أهمِّ الأديرة القبطيَّة الأثريَّة في مدينة الفيوم **(الشكل رقم ٢)**. وتمَّ بناؤه في شمال غرب منطقة اللاهون الأثريَّة على مقربة من قرية الحمَّام. ويُعرف هذا الدير أيضًا باسم "دير النحل"[(١)]. وعلى الرغم من كونه مكرَّسًا في

(1) N. Abbott, "the Monasteries of the Fayyum", *Studies in Ancient Oriental Civilization* 16, Chicago, 1937, 57, nº150; R.G. Coquin, "Dayr al - Adhra' ", *CoptEnc*., vol.3, 1991, 714b-715a; الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"* ، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٣٣؛ شيرين صادق الجندي؛ "أهم الأديرة والكنائس الأثريَّة بالفيوم (١)"، *مجلة مرقس*، العدد (٦١٩)، مطبوعات دير الأنبا مقار، وادى النطرون (ديسمبر ٢٠٢٠)، ص ١٠ – ١٣؛ "(٢)"، العدد (٦٢٠)، (يناير ٢٠٢١)، ص ١٢ – ١٥.

الأساس للسيِّدة العذراء مريم، إلَّا أنَّه يُنسب كذلك لمؤسِّسه أبًا إسحق تلميذ القدِّيس أنطونيوس الكبير في القرن الرابع الميلادي. وكان أبًا إسحق من قرية تُسمَّى "أبويط" مركز الواسطى بمحافظة بني سويف. كما يعتقد البعض، أنَّ هذا الدير سبق استخدامه كمخزنٍ لغيره من الأديرة المُجاورة في فتراتٍ تاريخيَّةٍ سابقة. وفي القرن التاسع عشر الميلادي، قام أمين ميخائيل البتانوني بتجديد عمارة دير العذراء مريم بالحمَّام بعد أن أوقف عليه خمسة أفدنة.

وتُعتبَر كنيسة الدير، هي الجزء الأثري المُتبقِّي من الدير الأصلي إلى جانب أسواره الخارجيَّة. وتخطيط الكنيسة المعماري مستطيل الشكل. وتعلو صحنها قُبَّتان مُتشابهتان كما هو الحال في دير العزب، والذي يُعدُّ أكبر الأديرة القبطيَّة العامرة في محافظة الفيوم. وفي هذه الكنيسة الهامة، توجد بعض الأيقونات والمخطوطات النادرة. ومؤخَّرًا، عُثِرَ على بعض البقايا الأثريَّة من الكنيسة القديمة لدير العذراء بالحمَّام.





(الشكل رقم ٢) منظر خارجي لدير العذراء مريم بالفيوم. نقلًا عن:
https://www.google.com/url?sa=t&source=web&rct
والتخطيط المعماري لكنيسة الدير، نقلًا عن: الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٣٣.

٢ – دير العذراء ببياض:

وَرَدَ ذِكْر هذا الدير القديم في مؤلَّف المؤرِّخ المملوكي تقي الدين المقريزي في القرن الخامس عشر الميلادي، وأيضًا في مخطوطة قبطيَّة محفوظة حاليًّا في المتحف القبطي بالقاهرة. ويوجد هذا الدير القبطي على ضفة النيل في بياض العرب بمحافظة بني سويف شمال الكوبري الجديد بما يقرب من حوالي ٢ كم **(الشكل رقم ٣)**. وقد تمَّ بناؤه في القرن الخامس عشر تقريبًا.



(الشكل رقم ٣) دير العذراء ببياض العرب.
تصوير عزت سمير، نقلًا عن:
www.google.com/search?client=firefox-b-d&q=

وكنيسة الدير هي كنيسة حديثة تمَّ بناؤها في ستينيات القرن العشرين، في نفس موقع الكنيسة القديمة وبنفس مساحتها تقريبًا[٢]، وربما تهدَّمت الكنيسة الأثريَّة بسبب فيضان النيل. كما يُعتَقَد أن البابا كيرلس الخامس البطريرك القبطي رقم ١١٢ (١٨٧٤ – ١٩٢٧م)، قد تمَّ تعميده في إحدى الكنائس القديمة في هذا الدير. وحول مبنى الكنيسة الحديثة من الخارج، توجد بعض العناصر المعماريَّة المُكتشفة حديثًا، لا سيَّما بقايا الأعمدة الجرانيتية. وحاليًّا، توجد في دير العذراء ببياض العرب مبانٍ للخلوة وبعض المباني الخدميَّة. كما تُعقَد فيه بعض الأنشطة الدينيَّة كالمؤتمرات الروحانيَّة؛ لذا توجد به حاليًّا ثماني قاعات للاجتماعات، ومكتبة ومعرض للمشغولات اليدويَّة في دير العذراء ببياض العرب.

٣ – كنيسة العذراء ببني سويف:

في القرن التاسع عشر الميلادي، شُيِّدت كنيسة العذراء في درب العبيد خلف مطرانية محافظة بني سويف **(الشكل رقم ٤)**[٣]. وتتكوَّن هذه الكنيسة ذات التخطيط مربع الشكل من ثلاثة هياكل تُغطِّيها قباب، ويتقدَّمها ثلاثة أحجبة خشبية مُطعَّمة بالعاج. وفي صحن الكنيسة، يوجد عمودان ترتكز عليهما ست قباب. والجدارن الداخلية لكنيسة العذراء مريم، تُزيِّنها بعض الأيقونات الهامة التي تتنوَّع موضوعاتها وعناصرها الزخرفيَّة.

٤ – كنيسة العذراء بالفشن:

اكتُشِفَت هذه الكنيسة أسفل كوم مرتفع في غرب الفشن، الواقعة على بعد ما يقرب من ثلاثين كيلومترًا في جنوب محافظة بني سويف **(الشكل رقم ٥)**[٤]. وتُعتبَر الحوائط الجنوبيَّة والشماليَّة والغربيَّة بمثابة الأجزاء المتبقية حاليًّا من عمارة الكنيسة القديمة. كما أنَّ هياكل الكنيسة الحاليَّة للعذراء مريم بالفشن كلها حديثة.

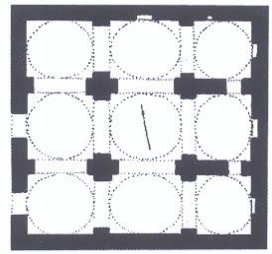
---

(2) S. Clarke, *Christian Antiquities in the Nile Valley*, London, 1912; 206, nº6; G. Viaud, *after the Notes of Jacob Muyser. Les pèlerinages coptes en Égypte*, Cairo, 1979, 44; G. Wilkinson, *Modern Egypt and Thebes: A Description of Egypt*, 2 vols., London, 1843, vol.2, 19, repr. Wiesbaden 1981; W. Van Rengen & G. Wagner, "Une dédicace à Valerins Titiniarus, fils du préfet des vigiles Valerius Titanianus", *Chronique d'Égypte* 59/118, 1984, 348-353; R.G. Coquin & Maurice Martin S. J, "Dayr al-Adhra' ", *CoptEnc*., vol.3, 1991, 714a-714b;

الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"* ، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٢٦.

(٣) الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"* ، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٢٨.

(٤) الأنبا صموئيل، "دليل الكنائس والأديرة في مصر"، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٣٧.



(الشكل رقم ٤) التخطيط المعماري لكنيسة العذراء ببني سويف. نقلًا عن: الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٢٨.



(الشكل رقم ٥) خورس كنيسة العذراء مريم بالفشن. نقلًا عن: https://www.google.com/url?sa=t&s

٥ – كنيسة العذراء بملوي:

بُنِيَت كنيسة العذراء في الحي القديم في ملوي في محافظة المنيا، بالقرب من محطة القطار في نفس مكان الكنيسة الأثريَّة الأصليَّة، ووفقًا لنفس تخطيطها المعماري **(الشكل رقم ٦)**. وفي هذه الكنيسة، ثلاثة أحجبة خشبيَّة مُطعَّمة بالعاج، ويعلوها كلها صفوف من الأيقونات الحديثة والتى تُزخرفها موضوعات دينية مختلفة[٥]. كما عُثِرَ على حامل أيقونات أثري من الكنيسة الأقدم، وهو محفوظ حاليًّا في الكنيسة الحديثة.

٦ – كنيسة العذراء بدلجا بدير مواس:

أشار كلٌّ من أبي المكارم في القرن الثاني عشر الميلادي وأيضًا المقريزي في القرن الخامس عشر الميلادي، إلى كنيسة العذراء مريم الأثريَّة في دلجا التي شُيِّدت في القرن الرابع الميلادي. كما ذَكَرَ هذان المؤرِّخان وجود أربع وعشرين كنيسة قبطيَّة أُخرى في هذه القرية. وقد كان الأنبا أبرام، والذي أصبح فيما بعد أسقف الفيوم، دائم التردُّد على كنيسة العذراء مريم بدلجا بدير مواس. وتوجد هذه الكنيسة في منتصف بلدة دلجا بالقرب من السوق في الناحية الغربيَّة من دير مواس في محافظة المنيا[٦]. وأرضية الكنيسة منخفضة عن مستوى الأراضي المُجاورة بما يقرب من حوالي ثلاثة أمتار. وأعلى مدخل الكنيسة، يوجد نحت يُزيِّنه صليب داخل إكليل نباتي ويكتنفه شكل لغزالٍ من كلِّ جانب. ويُعتَبَر ظهور أشكال الطيور أو الحيوانات المُتقابلة أو المُتدابرة التي تفصل بينها شجرة الحياة أو أي عنصر زخرفي نباتي آخر، من أهمِّ تأثيرات الفنون السَّاسانية التي انتشرت في زخرفة كثير من التُّحف الأثريَّة

(٥) الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٥٢.
(٦) الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٥٧.

القبطيَّة والإسلاميَّة بعد الفتح العربي لمصر في منتصف القرن السابع الميلادي. وعُثِرَ بداخل كنيسة العذراء بدلجا بدير مواس على عدَّة أعمدة وتيجان أثريَّة، إلى جانب حامل أيقونات خشبي قديم حشواته مُطعَّمة بالعاج وكذلك بعض المخطوطات والأيقونات النَّفيسة.

وفى الكنيسة الحاليَّة **(الشكل رقم ٧)**، توجد ثلاثة هياكل مُكرَّسة للعذراء مريم ورئيس الملائكة ميخائيل والقدِّيس تكلا هيمانوت الحبشي. ويُعتَبَر الأنبا ديمتريوس الثاني البطريرك القبطي رقم ١١١ (١٨٦٢ – ١٨٧١م) من أهمِّ وأكثر الشخصيات التي ارتبط اسمها بكنيسة العذراء بدلجا في محافظة المنيا، قبل أن ينتقل إلى دير القدِّيس أنبا مقار، وقبل جلوسه على الكرسي البابوي. وقد شارك قداسته في حضور حفل افتتاح قناة السويس في عهد الخديوي توفيق. كما ارتبط اسم الأنبا أبرام أسقف الفيوم والجيزة أيضًا، بكنيسة العذراء مريم بدلجا بدير مواس.



(الشكل رقم ٦) الخورس والأحجبة الخشبيَّة في كنيسة العذراء بملوي.

نقلًا عن: https://www.facebook.com/p/%D



(الشكل رقم ٧) كنيسة العذراء بدلجا بدير مواس.

نقلًا عن: https://www.youm7.com/story/

(يتبع)







مستعدُّون للمُجاوبة
كيف تُقدِّم إيمانك بعقلٍ ودقَّة؟[١]

وليم لين كريغ[٢]

✠✠✠

يندرج هذا الكتاب تحت ما يُسمَّى: "علم الدفاعيَّات"، وهو فرعٌ من العلوم اللاهوتيَّة المسيحيَّة، والذي يهتمُّ بالتحدِّيات التي يواجهها الإيمان المسيحي، وكيف يمكن أنْ نُدافع عن الأسئلة المطروحة أمامه، والتي يُثيرها مُفكِّرون غير مسيحيِّين، ويحسبونها عائقًا أمام قبول الحقِّ المسيحي.

هناك، للأسف، سوء فهم لهذا المُصطلح، فكلمة "دفاعيَّات" بالإنجليزية Apologetics، تُشبه كلمة "يعتذر" بالإنجليزية Apologise[٣]. ولكن علم الدفاعيَّات، لا يُقصَد منه أنْ نُقدِّم اعتذارًا للآخرين عن إيماننا؛ ولكن مهمَّته أنْ نُقدِّم الحُجَّة على صحة هذا الإيمان وصدقه.

والكتاب المقدَّس يوصينا أنْ تكون حُجَّتنا جاهزة، وأنْ «نكون مُسْتَعِدِّينَ دَائِمًا لِمُجَاوَبَةِ كُلِّ مَنْ يَسْأَلُكُمْ عَنْ سَبَبِ الرَّجَاءِ الَّذِي فِيكُمْ، بِوَدَاعَةٍ وَخَوْفٍ (واحترام)» (انظر: ١بط ٣: ١٥). ونحن عندما نُقدِّم الحُجج المُبرهِنة على صحة إيماننا المسيحي، فليس القصد هنا الاختصام والتورُّط في مهاتراتٍ بشأن إيماننا مع غير المسيحيِّين، إذ إنَّ مُحصِّلة ذلك ليست سوى إغضاب الناس وتنفيرهم بعيدًا عنَّا. وكُلَّما كانت الحُجج التي نُقدِّمها في دفاعنا عن الإيمان قويَّة، صار الشخص أكثر هدوءًا وتصديقًا، وأقل ميلًا لاتِّخاذ مواقف دفاعيَّة.

هل الدفاعيَّات متوافقة مع الكتاب المقدَّس؟

يظنُّ البعض أنَّ الدفاعيَّات ليست أمرًا بحسب الكتاب المقدَّس، ويجب أنْ نكتفي بتقديم الإنجيل، تاركين الروح القدس يقوم بعمله! ولكننا نرى الربَّ يسوع والرُّسل قد قدَّموا لنا نموذجًا يؤكِّد قيمة الدفاعيَّات. فالربُّ يسوع استخدم المعجزات والنبوَّات التي تمَّمها ليُبرهن على صحة ما يقوله (انظر مثلًا: لو ٢٤: ٢٥ – ٢٧). كذلك الرُّسل الذين استخدموا النبوَّات التي تحقَّقت

---

(١) صَدَرَ هذا الكتاب عن دار أوفير للطباعة والنشر سنة ٢٠١٧م، ويقع في ٣٣٢ صفحة من القَطْع الكبير.

(٢) الكاتب هو أستاذ فلسفة في كلية لاهوت، وهو أحد أكثر المُدافعين عن المسيحيَّة في عصرنا الحاضر.

(٣) تُشتَقُّ كلمة "Apologetics" الإنجليزية من الكلمة اليونانيَّة "Apologia" التي تعني "الدفاع"، بالمعنى الذي نستخدمه اليوم في المحاكم. فهي مُرافعة منطقيَّة تُقدَّم للدفاع عن قضيَّةٍ معيَّنة.

ومعجزات المسيح – ولا سيَّما قيامته – ليُبرهنوا على أنَّه المسيَّا المُنتَظَر. أمَّا في حواراتهم مع غير اليهود، فقد برهنوا على وجود الله بأعماله في الطبيعة. والرسول بولس يُدلِّل في رسالة رومية الأصحاح الأول، على أنَّ الطبيعة وحدها كافية لأنْ يعرف البشر بأنَّ الله موجود. ولا يعني هذا أنَّهم لم يتَّكلوا على الروح القدس ليأتي بالناس إلى الله؛ بل وثقوا بالروح القدس، واتَّكلوا عليه ليستخدم حُجَجَهم وبراهينَهم في الإتيان بالناس إلى الله.

ما أهميَّة الدفاعيَّات؟

للدفاعيَّات فوائد هائلة في حياة المؤمنين بالمسيح، إذ إنَّها تُساعدهم في المعرفة بإيمانهم، ولماذا هم مؤمنون ومُتمسِّكون به! للأسف، فإنَّ إيمان كثير من المسيحيِّين قائمٌ على العواطف والوراثة؛ ولكن هذه الأمور لا تقدر أنْ تحملهم إلَّا إلى مسافةٍ محدودة، وعند نقطةٍ ما، تقف ولا تقدر أنْ تقود إلى ما هو أعمق. كذلك فإنَّ دراسة الدفاعيَّات ستجعل الشخص يشتبك مع أكثر أسئلة الحياة عُمقًا، بما في ذلك الأسئلة المُتعلِّقة بوجود الله وطبيعته، وأصل الكون، ومصدر القِيَم الأخلاقيَّة، ومُعضلة الألم والمُعاناة ... إلخ. وكلَّما داوم المؤمن على الاجتهاد في التفكير في هذه الأسئلة العميقة، تغيَّرت شخصيَّته تغيُّرًا ملحوظًا، وجعلت منه شخصًا أنضَج وأكثرَ تأمُّلًا وتبصُّرًا، ويستطيع أنْ يُحلِّل ما يطرحه الآخرون من أفكار.

وصحيح أنَّ الحُجج الدفاعيَّة والفكريَّة قد تبدو غير كافية لتجذب غير المؤمنين للمسيح؛ ولكن هناك تأثيرًا تراكميًّا قد لا نُلاحظه الآن، ولكنه مثل البذرة التي تُزرع، ثم تُروى مرةً بعد الأخرى. ونحن بالصبر نزرعُ على رجاء أنْ تنمو البذرة بمرور الزمن، وتأتي بأثمارٍ لا يمكن حصرها.

وبعدُ، عزيزي القارئ، هذا الكتاب لا يمكن تلخيصه في بضع صفحات، فهو يُقدِّم حُججًا فلسفيَّة وعقليَّة وكونيَّة وأخلاقيَّة دامغة، تُثبت فيما لا يدع مجالًا للشكِّ أنَّ تصميم كوننا المُعقَّد هذا، لا يمكن إلَّا أنْ يكون مخلوقًا ومضبوطًا ضبطًا دقيقًا على نحوٍ مُذهل، من مُصمِّمٍ ذكي خلق كوننا من العدم.

قصة:

ومع كلِّ البراهين التي يطرحها هذا الكتاب عن أدلَّة وجود الله، يتبقَّى إثباتٌ أقوي وأعمق وأكثر عملية عن كلِّ ما سبق، ألَا وهو العلاقة الشخصيَّة مع الرب. ففي أحد الفصول التي يُناقش فيها الكاتب مشكلة الألم، يذكر هذه القصة التي حدثت لأحد أصدقائه ويُدعى "توم"، الذي اعتاد زيارة النُّزلاء في دور الرعاية في محاولةٍ منه أنْ يجلب بعض البهجة والمحبَّة إلى حياتهم. وفي أحد الأيام التقى بسيِّدة لم يقدر أنْ ينساها قط، يقول "توم":

بينما اقتربتُ من نهاية المدخل، رأيتُ سيِّدة مُسنَّة جالسة على كرسيٍّ مُتحرِّك، وكان وجهُها هو الرعب المُطلق. وأخبرني تحديقُها الفارغ وبؤبؤ عينيها الأبيض بأنَّها عمياء. وأخبرني جهاز السَّمع التعويضي فوق أحد أذنَيها بأنَّها تقريبًا صمَّاء. وكان جزءٌ من وجهها يلتهمه السرطان. وكانت هناك قُرحة مُشوَّهة تُغطِّي جزءًا مِن أحد خدَّيها حتى إنَّ ركن فمها صار الآن في الأسفل. ونتيجة لذلك كان لُعابُها يسيلُ باستمرارٍ ... عَلِمتُ أيضًا لاحقًا أنَّ هذه السيِّدة في التاسعة والثمانين من العمر، وأنَّها كانت طريحة الفراش وعمياء وتقريبًا صمَّاء ووحيدة، على مدى خمس وعشرين سنة تقريبًا.

لا أعلمُ لماذا تحدَّثتُ إليها؛ إذ بَدَت أقلَّ احتمالًا للاستجابة عن أغلب الناس الذين رأيتُهم، لكنِّي وضعتُ وردةً في يدها وقلتُ: "إليكِ هذه الوردة! كلُّ عام وأنتِ طيبة بمناسبة عيد الأُم". رفعت السيِّدة الوردة إلى وجهها وحاولت استنشاقها، ثم تحدَّثت، وكانت كلماتها صادرة من ذهنٍ صافٍ، وقالت: "أشكرك، إنَّها جميلة، ولكن هل يمكن أن أُعطيها لشخصٍ آخر؟ فلا أستطيع رؤيتها لأني عمياء". قلتُ: "بالتأكيد". ودفعتها في كرسيِّها، والتقينا بأحد المرضى، فأوقفتُ الكرسي، ثم أمسكت السيِّدة الوردة وقدَّمتها لهذا المريض قائلة: "إليك هذه الوردة، إنها مِن يسوع".

أصبح "توم" وتلك السيِّدة صديقين على مدى الأعوام التالية، وبدأ "توم" يُدرك أنَّه لم يكن يُساعدها، لكنَّها هي مَنْ تُساعده. وأخذ يُدوِّن تعليقات عمَّا تقوله. وبعد أسبوع، زارها وسألها: "فيما تُفكِّرين بينما تجلسين هنا طوال اليوم؟". فأجابت: "**أُفكِّر في يسوعي**". وسألتُها: "ما الذي تُفكِّرينه في يسوع؟". فأجابت ببطء: "أُفكِّر كم كان صالحًا من نحوي. كان صالحًا لحياتي إلى أبعد حدٍّ. أنا من ذلك النوع من الناس الرَّاضين في أغلب الأحوال ... قد يظنُّ بعض الناس أنِّي غير مواكبة للعصر، لكنَّني لا أُبالي؛ إذ أُفضِّل أن يكون عندي يسوع، فهو كلُّ العالم عندي". ثم بدأت تُنشد ترنيمةً قديمة:

يسوع هو كلُّ العالم عندي ... حياتي وفرحي وأيضًا كلُّ سعدي
هو قوَّتي في كلِّ الأيام ... ومن دونهِ أسقُط ولا قيام
حين أكونُ حزينًا أذهبُ إليه ... فهو مصدر بهجتي أتَّكلُ عليه
في حزني هو من يُسعدني ... وهو صديقي مَنْ بيدهِ يُمسكُني

هذا ليس خيالًا، فالذي أمامنا أمرٌ لا يُصدَّق، فكيف أمكنها أنْ تعيش بألمها هذا على مدى السنوات؟

الإجابة هي: إنَّ لديها شيئًا ليس لدى الكثير منَّا، لديها الله. فلو كانت مشكلة الألم هي أعظم اعتراض على وجود الله، فهنا نجد أنَّ الله هو الحلُّ الوحيد لمشكلة الألم. فإذا كان الله غير موجود، فنحن محبوسون دون رجاء في عالمٍ حافلٍ بألمٍ دون هدف. فالله هو الحلُّ النهائي لمشكلة الألم؛ لأنَّه يعتقنا مِن الألم، ويأخذنا إلى فرحٍ أبديٍّ، وإلى رِفقةٍ مع شخصه الكريم.

Living with Christ

Articles of Comfort and Blessings
Offered to the Reader

Enjoy your reading on the exposition of our Father Matta El-Meskeen to the verses of the Scripture! Note: All quotations are taken from the ***New King James Version,*** *if not otherwise mentioned.*

Volume Four

Chapter 84

"And we are in Him who is true, in His Son Jesus Christ" (1 John 5:20).

AFTER saying that the Father "sent His Son to give us understanding to know the truth", Saint John adds as a consequence that we are in the truth in His Son Jesus Christ. What really catches our attention is that God could have given us "understanding to know the truth" without sacrificing His Son, as a propitiation for our sins. However, the Father wanted to uproot the cause of spiritual blindness which destroyed man's discernment and made him revolt against the truth and align all his faculties with falsehood, deception, and lies.

In order then to free man from this spiritual blindness which made him defy the truth and lean toward evil, lies and vain works, God offered an unparalleled, divine work which is counted as undoubtedly the strongest work of God: by offering His Son to be crucified and become a propitiation, He secretly searched to defeat the proponent of falsehood, lies, and evil in general. He triumphed over him,[1] breaking his traps, shattering his snares, and annihilating all his craftiness which he acquired from causing man to fall into his traps, snares, and trickery.

God sent His Son to the world to uproot evil and the evil one, and to annihilate the first and strongest adversary to the truth, that is against God. For only through this work could God guarantee that man would not return to his vomit to enjoy evil and deceit. Here hides the real work of God: "For God so loved the world that He gave His only begotten Son, that whoever believes

[1] Colossians 2:15.

in Him should not perish but have everlasting life."[2]

To eradicate the devil's role which he had usurped for himself is God's absolute right. For this usurpation is the only negative act in the creation of man which the devil performed to provoke God to anger by corrupting His creation. This is clearly seen in the act of seizing Satan, for it is said that Christ triumphed over him and his powers on the cross.[3] The word "triumph" implies capturing after a pursuit and bringing down the enemy after a chase. What a long pursuit it was as it lingered since the devil left Christ after His holy forty day fast, as it is said, "he departed from Him until an opportune time"!![4] This is the opportune time in which came the end of that mighty one who had been fleeing from the face of God.

So came the downfall of that cunning one, who outwitted our fathers and ancestors all these sad centuries which man went through on earth while being a prey to this enemy who knows no mercy.

Therefore, rejoice, O heavens[5] and O earth after the curse, for you no longer will be called cursed, but "Glory to God in the highest, and on earth peace, goodwill toward men."[6]

January 10, 2006

---

[2] John 3:16.
[3] See Colossians 2:15.
[4] Luke 4:13.
[5] Cf. Revelation 12:12.
[6] Luke 2:14.

Chapter 85
"And this is the testimony: that God has given us eternal life, and this life is in His Son" (1 John 5:11).

THE FIRST DAY when God told Adam "You shall surely die,"[1] was the darkest and bleakest in man's life. This, God had said, as a temporary treatment to the fall of Adam and Eve in the sin of disobedience to God, and their eating from the forbidden tree, after which man was immediately blinded and stopped seeing God. It is known that God was the source of life and truth in the garden, so when life disappeared by the absence of God from the life of man, the knowledge of truth was withheld. For truth is God, and God is truth.

---

[1] Genesis 2:17.

Then, God had compassion on man, and desired that Adam and Eve return to the truth and life. For truth and life are the same divine nature existing in God and by God, for truth and life are qualities of God, belonging to the Father and the Son. Here is fulfilled the saying, "For God so loved the world that He gave His only begotten Son, that whoever believes in Him should not perish but have everlasting life."[2]

The meaning of offering the Son is His death. Yet, because God cannot die according to his divine nature, the Son assumed human flesh through the incarnation, thereby making it possible for him to undergo death. Thus, the Son died on the cross in the flesh, and His divinity remained alive in it. Here, it became possible for man, through his faith in the Son's death in the flesh, to partake in the death of the Son by faith. Moreover, toward the end of His earthly life, Christ prayed on and sanctified the bread and wine establishing the mystery through which those who partake of them are themselves sanctified. Thus, a wonderful opportunity for man became available by the consecration of the bread and wine, that whoever believes and eats and drinks of them becomes united to them, that is in Christ: "He who eats My flesh and drinks My blood abides in Me, and I in him," and he will have "eternal life," "for My flesh is food indeed, and My blood is drink indeed."[3]

Thus, the body and blood of the Son became an official entrance to eternal life. In the above-mentioned verse, God Himself testifies that He gave us eternal life in His Son. The apostle Paul, knowing that with full certainty, said that it is no longer he who lives, but Christ lives in him.[4] Thus, God's words, that He gave eternal life in His Son were practically fulfilled.

Nevertheless, it is known that eternal life, which the Father gave us in His Son, was given by the Son after His death on the cross, on which He triumphed over Satan.[5] For it is an everlasting life free from any power the enemy has over us. That is to say that through Christ, who was crucified for us, we attained the life of victory over death, and consequently over sin, and thus victory over the devil who is the source of sin and the reason for man's death since the beginning. Therefore, in Christ lie our life and victory over sin and death, as well as our reconciliation with God, the things which made us, not only attain eternal life, but also the eternal inheritance of the Son that is kept for us in heaven.

January 10, 2006

---

[2] John 3:16.
[3] John 6:54–56.
[4] See Galatians 2:20.
[5] See Colossians 2:15.

The Great Mystery: the New Adam Saves the First Adam

What is the great Mystery that concerns us? An innovation is made upon nature, and God is made Man. [...] The Son of God deigns to become and to be called Son of Man; not changing what He was (for It is unchangeable); but assuming what He was not (for He is full of love to man), that the Incomprehensible might be comprehended, conversing with us through the mediation of the Flesh as through a veil; since it was not possible for that nature which is subject to birth and decay to endure His unveiled Godhead. Therefore the unmingled things are mingled: [...]dishonor with Him who is higher than all honor; He who is impassible with Suffering, and the Immortal with the corruptible. For since that Deceiver thought that he was unconquerable in his malice, after he had cheated us with the hope of becoming gods, he was himself cheated by God's assumption of our nature; so that in attacking Adam as he thought, he should really meet with God, and thus the new Adam should save the old, and the condemnation of the flesh should be abolished, death being slain by flesh.

Oration 39, 13; NPNF 2, 7, pp 356-357.

****

ἐκ τοῦ Ἁγίου Γρηγορίου τοῦ Θεολόγου

Τί τὸ μέγα περὶ ἡμᾶς μυστήριον; Καινοτομοῦνται φύσεις, καὶ Θεὸς ἄνθρωπος γίνεται· [...] καὶ ὁ Υἱὸς τοῦ Θεοῦ δέχεται καὶ υἱὸς ἀνθρώπου γενέσθαι τε καὶ κληθῆναι· οὐχ ὃ ἦν μεταβαλὼν (ἄτρεπτον γὰρ), ἀλλ᾽ ὃ οὐκ ἦν προσλαβὼν (φιλάνθρωπος γὰρ), ἵνα χωρηθῇ ὁ ἀχώρητος, διὰ μέσης σαρκὸς, ὁμιλήσας ἡμῖν, ὡς παραπετάσματος· ἐπειδὴ καθαρὰν αὐτοῦ τὴν θεότητα φέρειν, οὐ τῆς ἐν γενέσει καὶ φθορᾷ φύσεως. Διὰ τοῦτο τὰ ἄμικτα μίγνυται· [...] ἀτιμίᾳ τῷ καὶ τιμῆς ἁπάσης ὑψηλοτέρῳ, καὶ πάθει τὸ ἀπαθὲς, καὶ τῷ φθαρτῷ τὸ ἀθάνατον. Ἐπειδὴ γὰρ ᾤετο ἀήττητος εἶναι τῆς κακίας ὁ σοφιστὴς, θεότητος ἐλπίδι δελεάσας ἡμᾶς, σαρκὸς προβλήματι δελεάζεται· ἵν᾽ ὡς τῷ Ἀδὰμ προσβαλὼν, τῷ Θεῷ περιπέσῃ, καὶ οὕτως ὁ νέος Ἀδὰμ τὸν παλαιὸν ἀνασώσηται, καὶ λυθῇ τὸ κατάκριμα τῆς σαρκὸς, σαρκὶ τοῦ θανάτου θανατωθέντος.

SC 358, p 176-178.

St. Mark *Monthly Review*
Published by: The Monastery of St. Macarius the Great, Wadi El-Natrun.
ANNUAL SUBSCRIPTIONS (10 issues a year, July& August excluded, sent by Int. Courier):
U.S. $150.00
Subscriptions to be paid through our Website as mentioned below, or sent by a check to:
"St Macarius Printing House", P.O. Box 1574, Centreville, VA 20122, USA.
No materials may be reproduced in whole or in part without written permission from the publisher.
© 2026
by the Monastery of St Macarius the Great.
Library of Congress Catalogue Card Number: 80–960629. ISSN 2805-2382
VISIT THE WEBSITE OF THE MONASTERY: WWW.STMACARIUSMONASTERY.ORG

ST. MARK November 2026

Monthly Review



The Annunciation of the Archangel to Zechariah the Priest

"Do not be afraid, Zechariah, for your prayer has been heard. Your wife Elizabeth will bear you a son, and you will name him John. You will have joy and gladness, and many will rejoice at his birth, for he will be great in the sight of the Lord. He must never drink wine or strong drink; even before his birth he will be filled with the Holy Spirit. He will turn many of the people of Israel to the Lord their God. With the spirit and power of Elijah he will go before him, and turn the heart of parents to their children, and the disobedient to the wisdom of the righteous,to make ready a people prepared for the Lord" (Luke 1:13-17 NRSV).



سرُّ التَجسُّد والعُلَّيقة المُشتعلة نارًا

[أيقونة بيزنطيَّة بريشة الفنان ميشيل داماسكينوس (١٥٧٦ – ١٥٨٤م)
من كاتدرائية القدِّيس ميناس ببلدة إيراكليون بجزيرة كريت]

والأيقونة تُصوِّر العذراء مريم والطفل يسوع داخل العُلَّيقة المُشتعلة نارًا، وموسى النبي يخلع نعلَيه ساجدًا أمام الطفل يسوع.

مرقس

رسالة الفكر المسيحي للشباب والخُدَّام

السنة ٧٠ **ديسمبر ٢٠٢٦م.**

العدد ٦٧٩ **هاتور / كيهك ١٧٤٣ش.**

المحتويات

الافتتاحية: كلمة قداسة البابا تواضروس الثاني:

احذر "اللّسان الكاذب" (ب)..... ١

مقال للأب متى المسكين:

القيمة المُذَّخرة في التسبيح ذي الصِّبغة اللاهوتيَّة ٥

من أقوال الآباء:

تجسُّد ابن الله وتأنُّسه..... ١٠

ذكرى الصِّدِّيق تدوم إلى الأبد:

صحوة ما بين عامين للأب مينا المقاري..... ١٤

بمناسبة موسم الميلاد المجيد:

رموز العهد القديم التي تُشير إلى والدة الإله (٢) .. ١٦

من التراث الكنسي: معرفة الله (٢٨) ٢٢

أسرار الحياة المقدَّسة (٣):

"قريبٌ على الأبواب"..... ٢٩

بحث تاريخي:

أهم أديرة وكنائس السيِّدة العذراء الأثريَّة

بالوجه القبلي في مصر (٢)..... ٣٤

تقديم كتاب: سرُّ المسيح فينا..... ٤٠

الفهرس العام لمقالات المجلة عام ٢٠٢٦م..... ٤٣

مقال بالإنجليزية:

Living With Christ, Vol. 4, 86 ,87 ..... ٤٨

من تعليم آباء الكنيسة

للقدِّيس غريغوريوس النزينزي

ميلاد المسيح، فرح السَّماء والأرض

(ترجمة النص اليوناني الآبائي المنشور في باطن الغلاف الأخير)

✠

[المسيح يُولَد، فمجِّدوه!
المسيح يأتي من السَّماوات، فاستقبلوه!
المسيح يأتي إلى الأرض، فارتفعوا نحوه!
رنِّموا للربِّ، يا كلَّ الأرض! ...
لتفرح السَّماوات، ولتبتهج الأرض،
من أجل السَّماويِّ، الَّذي صار أرضيًّا...
وأنا أيضًا سأهتف بقوَّة هذا اليوم:
غير الجسديِّ يتجسَّد،
والكلمة يأخذ كثافةَ الجسد،
وغير المنظور يصير مرئيًّا،
وغير الملموس يُجَسُّ،
وغير الزَّمنيِّ يبتدئ،
وابن الله يصير ابن الإنسان؛
يسوع المسيح، أمس واليوم،
هو هو وإلى الآباد].

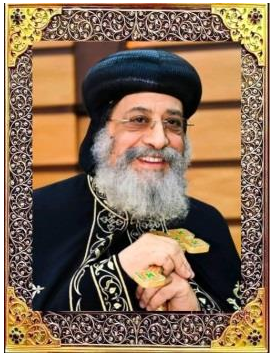
(عظة عن ميلاد المسيح: ٣٨: ١، ٢)

مرقس: يصدرها دير القديس أنبا مقار – برية شيهيت

مكتب التوزيع والاشتراكات
القاهرة: ٢٨ شارع شبرا
تليفون: ٢٥٧٧٠٦١٤
٠١٢٨٢٧٥٢٣٢٤
٠١٠٢٣٨٢١٣٨١
الإسكندرية: ٨ شارع جرين - محرم بك
تليفون: ٠٣٤٩٥٢٧٤٠
تصفَّح مجلة مرقس في موقع الدير على الإنترنت:
www.stmacariusmonastery.org
عنوان البريد الإلكتروني:
stmarkcare@gmail.com

رئيس التحرير: الأب سرجيوس المقاري
تسديد الاشتراكات:
عن طريق خدمة أورانج كاش
وفودافون كاش
الخاصة بأرقام تليفون المجلة
وهي:
٠١٢٨٢٧٥٢٣٢٤
٠١٠٢٣٨٢١٣٨١
وتبدأ سنة الاشتراك
في يناير من كل عام
مطبعة دير القديس أنبا مقار

ثمن النسخة ٢٠ جنيهًا
الاشتراك السنوي: حرٌّ ... حدُّه الأدنى:
٢٠٠ جنيه: داخل مصر (تسليم باليد)
٣٥٠ جنيهًا: في حالة الدفع عن طريق المُحصِّل
٣٠٠ جنيه: في حالة الدفع عن طريق:
خدمة أورانج كاش وفودافون كاش
١٥٠ دولارًا أمريكيًّا: في البلاد الأخرى
عنوان المراسلات:
ص. ب ٣١ شبرا - القاهرة
رقم الإيداع بدار الكتب المصرية: ٢١٧ / ٢٠٢٦
الترقيم الدولي: ISSN 2805-2382



احذر «اللِّسان الكاذب» (ب)

(أم ٢٦: ٢٨)

لصاحب القداسة
البابا تواضروس الثاني

الافتتاحية

وصايا قصيرة جدًّا

أسباب الكذب:

١. سَعْي الإنسان لمصلحةٍ شخصيَّة أو الحصول على مكافأةٍ بطريقةٍ غير مشروعة:

مثال:

(أ) إبراهيم وسارة:

ذهب إبراهيم وزوجته سارة إلى مصر هربًا من الجوع، فقال لامرأته: **«قُولِي إِنَّكِ أُخْتِي، لِيَكُونَ لِي خَيْرٌ بِسَبَبِكِ وَتَحْيَا نَفْسِي مِنْ أَجْلِكِ»** (تك ١٢: ١٣).

ففي الحقيقة، كانت سارة أُختًا غير شقيقة لإبراهيم، ولذلك جاز له أن يتزوَّجها – في ذلك الوقت – فلا يصحُّ أن يقول لفرعون إنها أُخته، لأنها زوجته الآن؛ لكنه قال ذلك ليكون له خير بسببها، لأنه لو قال إنها زوجته لقتلوه ليأخذوها منه لجمالها.

وبسببها صار له غنم وبقر وحمير وعبيد وإماء وأُتُن وجِمَال، أمام ذلك أَخَذَ فرعون سارة إلى بيته؛ لكن الرب كشف له الحقيقة. فاستدعى فرعون إبراهيم ووبَّخه على ذلك، لكن إبراهيم لم يَعدِل عن سلوكه رغم توبيخ فرعون له؛ وكرَّر نفس الأمر مع أبيمالك ملك جرار (تك ٢٠).

وهنا ظهر الربُّ لأبيمالك في حُلمٍ وكشف له الأمر، فردَّ سارة إلى زوجها. فلا بُدَّ من اكتشاف الحقيقة مهما طال الوقت: **«فَلَيْسَ مَكْتُومٌ لَنْ يُسْتَعْلَنَ، وَلَا خَفِيٌّ لَنْ يُعْرَفَ»** (لو ١٢: ٢).

(ب) يعقوب أبو الآباء:

أرادت رفقة أن يحصل يعقوب على البركة بدلًا من عيسو بجهدٍ بشري، يتمثَّل في الكذب

والخِداع. فأمرته أن يذهب ويُحضِر أطعمة يحبُّها أبوه إسحق، وأخذت ثياب عيسو وألبستها ليعقوب؛ ولأن عيسو كان أشْعَر، فألبست يَدَي وعُنُق يعقوب جلود جَدْي المِعْزَى (تك ٢٧). وفعلًا حصل يعقوب على البَرَكة بالكَذِب والخِداع.

٢. رغبة في الانتقام، بسبب الكراهية أو الحسد:

مثال:

هامان الشرير:

لقد لاحَظَ هامان أنَّ مردخاي هو الوحيد الذي لم يسجد له، فاغتاظ جدًّا، ففكَّر في الانتقام منه وإهلاكه، ليس هو فقط، بل وكل شعبه. فاستخدم الكذب والخِدَاع وذهب للملك أحشْويرُوش ليقول له: إنه موجود شعب ما مُشتَّت ومتفرِّق بين جميع الشعوب، لهم سُنَن وقوانين وشرائع مختلفة عن باقي الشعوب الخاضعة للمملكة، ويرفضون الخضوع لقوانين الملك، فهم عُصاة، فليأمر الملك بإبادة هذا الشعب. ثم قدَّم إغراءً للملك، بأنه سيحصل على ممتلكاتهم وغنائمهم ويُقدِّمها للملك. فوافق الملك، ولم يتحقَّق الملك من أيِّ كلام قاله هامان. ولكن بالصوم والصلاة، استطاعت أستير أن تُنقذ شعبها (أس ٣)، وكانت النتيجة أنَّ هامان كُشِفَ كذبه وصُلِبَ على الصليب الذي أعدَّه لمردخاي.

٣. الخوف من العقاب:

أحيانًا الإنسان يكذب خوفًا من العقاب، وغالبًا ما تكون من الصِّغار، مثلما قال قايين لله بعد ما قتل أخاه هابيل. فقد سأله الرب: **«"أَيْنَ هَابِيلُ أَخُوكَ؟" فَقَالَ: "لَا أَعْلَمُ! أَحَارِسٌ أَنَا لأَخِي؟"»** (تك ٤: ٩). ولكن دم أخيه ظلَّ صارخًا وما زال يصرخ.

٤. الخجل من مستواه، فيتجمَّل الإنسان:

والتَّجمُّل هو نوعٌ من تبرير الكذب.

٥. يكذب بحثًا عن الشُّهرة والنجوميَّة:

فنجد مَنْ يؤلِّف قصةً أو خبرًا كاذبًا وينشره في المواقع المشبوهة، ولا يُدرك أن كلمةً واحدة في هذا الخبر قد تكون أَحَدَّ من الرصاص.

مثال:

أشهر كذبة في التاريخ هي كذبة حنانيَّا وسَفِّيرة، فقد كذب حنانيا على الرُّسُل عندما ادَّعى

أنه قدَّم كلَّ ثمن الحقل. فوبَّخه بطرس، لأنه كذب على الروح القدس، فسقط ومات في الحال؛ كما حدث لامرأته سَفِّيرة، التي جاءت بعد ثلاث ساعات، وإذ لم تكن تدري بما قد جرى، كرَّرت كذب زوجها، فوقع لها نفس المصير الذي تنبَّأ به بطرس (أع ٥).

نتائج الكذب:

١. يفقد الكذَّاب تقدير واحترام الناس له وثقتهم به وبكلامه. فاكتشاف الكذب يجعل الإنسان في موقفٍ لا يُحسَد عليه، فعندما جاء عيسو لينال البركة من أبيه، قال له إسحق: **«قَدْ جَاءَ أَخُوكَ بِمَكْرٍ وَأَخَذَ بَرَكَتَكَ»** (تك ٢٧: ٣٥). وهذا جعل يعقوب في موقف المُلام والمُذنِب أمام إسحق أبيه.

٢. الخصام والقطيعة: خاصة بين المُقرَّبين جدًّا مثل الأبوين، الأبناء، الأشقَّاء، الأصدقاء المُقرَّبين. قد يُسبِّب الكذب والخِداع قدرًا هائلًا من الألم، ويخلق جرحًا يصعب شفاؤه. مثلما حدث بين يعقوب وعيسو: **«فَحَقَدَ عِيسُو عَلَى يَعْقُوبَ مِنْ أَجْلِ الْبَرَكَةِ الَّتِي بَارَكَهُ بِهَا أَبُوهُ. وَقَالَ عِيسُو فِي قَلْبِهِ: "قَرُبَتْ أَيَّامُ مَنَاحَةِ أَبِي، فَأَقْتُلُ يَعْقُوبَ أَخِي"»** (تك ٢٧: ٤١)، واستمرَّت القطيعة بينهما عشرين سنة. فاحترس لكي تكون الحياة واضحةً بدون كذب، فوضوح الحياة بلا كذب فيه نوع من الشجاعة.

٣. يطرد خوف الله من قلب الإنسان: يقول أنبا أنطونيوس: "إيَّاك والكذب فهو يطرد خوف الله من الإنسان". هناك إنسانٌ يكون واضحًا في مُعاملاته، واضحًا في كلِّ شيء، حتى عندما يُخطئ يعترف بخطئه، وهذا الاعتراف هو وسيلة علاج طيِّبة. لكن الإنسان الذي يُخفي أخطاءه بكذبة، وهذه الكذبة تأتي بأُخرى؛ فيصير الإنسان عائشًا في عددٍ لا ينتهي من الأكاذيب، وتصير حياته بلا طعم وبلا معنى، وبالتالي لا يصير في قلبه مخافة الله: **«رَأْسُ الْحِكْمَةِ مَخَافَةُ الرَّبِّ»** (مز ١١١: ١٠).

٤. يؤدِّي إلى الهلاك الأبدي:

- «تُهْلِكُ الْمُتَكَلِّمِينَ بِالْكَذِبِ ...» (مز ٥: ٦).
- «وَجَمِيعُ الْكَذَبَةِ، فَنَصِيبُهُمْ فِي الْبُحَيْرَةِ الْمُتَّقِدَةِ بِنَارٍ وَكِبْرِيتٍ، الَّذِي هُوَ الْمَوْتُ الثَّانِي» (رؤ ٢١: ٨).
- «وَلَنْ يَدْخُلَهَا – السماء – شَيْءٌ دَنِسٌ وَلَا مَا يَصْنَعُ رَجِسًا وَكَذِبًا» (رؤ ٢١: ٢٧).

علاج الكذب:

١ – كُنْ صريحًا في حياتك مع الله، اطلب من الله في صلواتك أن يُعطيك الانتصار على هذه الخطية، قُلْ له: "علِّمني، يا رب، أن أقول الصِّدق دائمًا". السيِّد المسيح كان دائمًا في بدء كلامه يقول: «الْحَقَّ الْحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ ...».

٢ – اعترف، وقدِّم توبةً عن كلِّ موقف كذبتَ فيه، قَدِّم عهدًا ووعدًا بينك وبين مسيحك أنَّ هذه الخطية تبتعد عنها.

٣ – اطلب من الله أن يُعطيك حكمةً، لتتكلَّم بالصِّدق مُتَّكِلًا على الله، فهناك إجابات مفتوحة لا تحمل كذبًا.

مثال:

إنَّ ما زرعه يعقوب مع أخيه عيسو قد حصده مع خاله لابان. فقد خدعه خاله وأعطاه ليئة بدلًا من راحيل بعد خدمة سبع سنين، واستغفله لابان ليخدمه سبع سنين أخرى، وحاول أن يُغيِّر أُجرته لكي يُضيِّع عليه حقوقه، لولا أنَّ الله هو الذي دافع عنه؛ ثم خدعه أولاده حينما أوهموه بأنَّ وحشًا افترس يوسف.

الكذب يجعل الإنسان يخسر كلَّ شيء: **«لِيَكُنْ كَلَامُكُمْ: نَعَمْ نَعَمْ، لَا لَا. وَمَا زَادَ عَلَى ذلِكَ فَهُوَ مِنَ الشِّرِّيرِ»** (مت ٥: ٣٧).

البابا تواضروس الثاني
بابا الإسكندرية وبطريرك الكرازة المرقسيَّة

****

دير القدِّيس أنبا مقار

بتصريح سابق من الأب متى المسكين بالإعلان عن مشروع معونة الأيتام والفقراء (مشروع الملاك ميخائيل)، حيث يعول هذا المشروع منذ عام ٢٠٠٠ أكثر من ألفين من العائلات المُعدمة، يمكن تقديم التقدمات في رقم الحساب الآتي:

00211300000153

دير القدِّيس أنبا مقار

بنك كريدي أجريكول مصر – فرع الميرغني

****

مقال للأب متى المسكين



القيمة المُذَّخرة في التسبيح ذي الصِّبغة اللَّاهوتيَّة[١]

التسابيح في الكنيسة تطوَّرت عن عهدها الأول، فقد اغتنت وفاضت بأعاجيب الميلاد البتولي والصليب والقيامة وأسرار حياة المسيح ومعجزاته، وانكشاف أسرار التدبير الإلهي والثالوث القدوس ومجيء الروح القدس. هذه لمَّا دخلت اللحن رفعت درجته الروحيَّة رفعًا شديدًا، رفعته فوق ذاته، أي فوق التعبير اللَّفظي، بل وفوق المعقول.

فقد صار اللحن في الكنيسة بمثابة جناح تطير عليه الروح لتعبُر فوق كلِّ الخليقة، فتطلُّ على أسرار الخلود.

أسرار المسيح كلُّها يمسكها اللحن، ويتشبَّث بها التسبيح تشبُّثًا سرِّيًّا يفوق كلَّ قوَّةٍ بشريَّة، ومن تلاوتها تتشبَّع روح الإنسان بتوسُّط الروح القدس. فالذي يمتلئ وجدانه باللَّحن، يمتلئ بالسرِّ الذي يقوله.

فلحن الميلاد مثلًا[٢]، حينما ينسكب في نفس السامع، ينسكب معه سرُّ الميلاد وقوَّته؛ وذلك بشرط أن يُقدَّم اللحن بأقصى إمكانيات الحبِّ والإخلاص والعبادة. في هذا المعنى تمامًا عاش الآباء الأُوَّل، وهذه هي إحدى الشهادات:

[وحينما يغتذي الإنسان وينمو باستمرار في هذه المراعي (أي المزامير بالنسبة للنفس العطشانة الجائعة لله)، يأخذ لنفسه أفكار المزامير ويُسبِّح بها مُرنِّمًا من عمق أعماق قلبه، ليست كأنها من تركيب مؤلِّفها، ولكن كأنها من نُطقه هو وصلاته الخاصَّة. **ويعتبرها موجَّهةً إلى نفسه مُلتفتًا إلى كلماتها، لا باعتبارها كأنها تحقَّقت في زمانها مع النبي الذي قالها، ولكن باعتبارها أنها تتحقَّق وتتم يوميًّا فيما يخصُّه هو ...** لأنه هكذا تصبح الأسفار المقدَّسة مفتوحةً أمامنا بوضوحٍ أكثر **وكأنما شراييننا**

(١) من كتاب: "التسبحة اليوميَّة ومزامير السواعي"، للأب متى المسكين، الطبعة الخامسة: سنة ٢٠١٦م، ص ٧٥ - ٨١.
(٢) لحن مطلعه: "Πιχνιιιcι" "الميلاد البتولي والطلقات الروحانيَّة".

ونُخاعها مُنفتحتان علينا، وذلك حينما تصبح خبراتنا متوقِّفة على معانيها، تترقَّبها وتنتظرها. ومعاني الكلمات تتكشَّف لنا، لا كمجرَّد عرض بالفهم، ولكن بالبرهان العملي.

لأنه حينما يكون لنا نفس الفكر الذي ينطوي عليه المزمور، ثم ننشده – كما كُتِب – إنما بالخبرة العمليَّة؛ نصير مثل الذي كتبه، فنتوقَّع حدوث معناه، لا مجرَّد أن نتبعه بالذهن.

وإذ نحصل على قوَّة الكلمات دون أن ننشغل بفحص معناها كثيرًا، نذكر ما حدث لنا وما يحدث لنا عندما نُسبِّح بها، فنتفكَّر فيما قد جلبه علينا إهمالنا، وما فُزنا به بسبب نشاطنا، وما منحته لنا العناية الإلهيَّة، وما حُرمنا منه بسبب دفع الشيطان لنا، وما ضيَّعه النسيان، وما جلبته الضعفات البشريَّة، وما خُدعنا فيه بسبب جهل الفكر.

هذه المشاعر كلها نجدها مشروحة في المزامير، حتى إننا نرى فيها كلَّ ما يحدث لنا كأنه في مرآةٍ، فنُدركها بالأكثر كما من معلِّم. فلا تعود الكلمات التي ننطقها مسموعة فقط بل ومنظورة أيضًا، ليست كواقعة في حدود الفكر وحسب، بل مزروعة في صميم الأشياء. فنتأثَّر من أعماق قلوبنا، ولا نعود نقف عند المعنى المكتوب بالقراءة، وإنما نبلغ إلى ترقُّب حدوثها في صميم خبرتنا.

وهكذا يبلغ عقلنا إلى الصلاة عديمة الفساد ... التي يبلغها الإنسان، لا اعتمادًا على تصوُّر الأشياء، ولا بالكلام ولا بالنُّطق؛ وإنما باحتفاظ غرض العقل متَّقدًا بحرارة، مع فرغة القلب من كافة المشاعر الأرضيَّة في نشاط الروح، دون اعتماد على الحواس أو شيء منظور، ساكبًا نفسه بتنهُّداتٍ وأنينٍ لا يُنطَق بهما] (حوار كاسيان مع الأب إسحق).

وبهذا تأخذ العبادة داخل الكنيسة، على مدى السنة المسيحيَّة، قوَّتها واعتبارها، لا كتذكارٍ تاريخي مُرتَّب لحوادث الإنجيل كما جاءت، وإنما كانفتاحٍ حقيقيٍّ على الثالوث الأقدس والمسيح وكلِّ التدبير الإلهي: بأسرار الميلاد، والعماد، والصَّلْب، والقيامة، ويوم الخمسين. كلُّ ذلك بتوسُّط اللحن والتسبيح وبقية الليتورجيَّا التي تحمل روح الإنسان وتمتدُّ به إلى عمق هذه الأسرار.

وهكذا يتلاقى في الكنيسة الترتيب التاريخي مع التدبير الإلهي. ويتقابل الترابي مع السماوي،

والإنسان الميت ينظر ويستنشق الحياة.

كلُّ ذلك بواسطة يسوع المسيح: «الرَّبُّ الْكَائِنُ وَالَّذِي كَانَ وَالَّذِي يَأْتِي، الْقَادِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ ... وَالْحَيُّ. وَكُنْتُ مَيْتًا، وَهَا أَنَا حَيٌّ إِلَى أَبَدِ الآبِدِينَ!» (رؤ ١: ٨ و١٨). هذا هو يسوع المسيح روح الحياة وروح النبوَّة والتسبيح، الذي جمع في نفسه الزمان والخلود وكلَّ ما في السماء وما على الأرض.

والمسيحي إذ يرى كلَّ أعمال الله وتدبيره منذ الأزل وإلى الأبد معمولة ومُعلَنة بيسوع المسيح، لذلك تصبح كلُّ مراحل حياة المسيح وأعماله بمثابة ظهور واستعلان حقيقيَّين لفكر الله ومشيئته، وبالتالي يصبح التعييد لها بالتسبيح واللحن ذا صبغةٍ لاهوتيَّة وذا قداسةٍ معًا. هذا التعييد لا يستمدُّ سببه من التاريخ، وإنما من حياة المسيح «الْكَائِنُ وَالَّذِي يَأْتِي».

فالمسيح حقًّا أعلن نفسه للعالَم كلِّه مرَّةً واحدة بالميلاد والعماد والصَّلْب والقيامة وإرسال الروح القدس، ولكنه لا يزال في الكنيسة من وراء الخدمة اليوميَّة، يُعلِن هذه الأسرار الإلهيَّة عينها لكلِّ نفسٍ إعلانًا خاصًّا لها، يوصِّلها إلى حياةٍ حقيقيَّةٍ معه.

فالمناسبات الكنسيَّة التي نُعيِّد فيها لأعمال المسيح إذا اكتفت بوضعها التاريخي كذكرى، فلا توصِّل إلى شيء، وحتى قيمتها التعليميَّة تكون ميِّتة، وتكون التسابيح والألحان حينئذ نوعًا من التسلية للتفريج عن المؤمنين؛ ولكن حقيقة الكنيسة ليست كذلك، فهي سماء وهيكل الله وجسد المسيح وبيت الصلاة.

والتسبيح والألحان يحتويان على شيء أعظم من التسبيح والألحان: يحتويان على أسرار المسيح، وقوَّة حياته وأعماله التي هي مشيئة الله الأزليَّة التي يُسمِّيها القدِّيس يوحنا ذهبي الفم في الليتورجيَّا التي له:

[أسرار المسيح الإلهيَّة المقدَّسة الرهيبة التي بلا عيب، غير المائتة السمائيَّة، مُعطية الحياة].

وفيها يقول القدِّيس أثناسيوس الرسولي:

[إنَّ التسبيح بالمزامير دواءٌ لشفاء النفس][٣].

(3) Bisa: Shenoute's disciple, *On Ascetic Treatise*, British Museum, Or. 6007.

وفيها أيضًا يقول القدِّيس باسليوس:

[وماذا يكون للإنسان على الأرض أفضل وأسعد من أن يقتدي بالملائكة وهي تُسبِّح في خوارسها، فيبتدئ النهار بالصلاة ويُقدِّم الكرامة والمجد للخالق بالألحان والترانيم][٤].

لذلك، فالعبادة داخل الكنيسة بالتسبيح واللحن وبقية الليتورجيًّا، تُقاس قداستها ليس بمقدار اهتمامها بالمناسبات والتدقيق في تتميمها وحسب، وإنما بمقدار تقديسها لهذه المناسبات! لأن الشعور بقداسة المناسبة ورهبتها الإلهيَّة هو فقط الذي يُعتبَر برهانًا واستجابةً حقيقيَّةً لحضور الله فيها!

والكنيسة في حقيقتها لا تُعيِّد للمُناسبة، وإنما تُعيِّد لحضور الله في هذه المُناسبة.

لهذا، فكلُّ مَنْ يشترك في العبادة داخل الكنيسة بالتسبيح أو الصلاة، ينبغي أن يعتبر نفسه مكانًا لحلول الله وإعلان مشيئته. فالروح حينما يحلُّ في الكنيسة لا يحلُّ على "المنجليَّة"، وإنما يحلُّ في الإنسان الواقف على "المنجليَّة"، وفي كلِّ إنسانٍ مستعدٍّ لحضوره: «سَأَسْكُنُ فِيهِمْ وَأَسِيرُ بَيْنَهُمْ» (٢كو ٦: ١٦).

[ورجل الصلاة عليه أن يترقَّب باستمرار حضور الله من كافة الأبواب ومنافذ وحواس النفس] (القدِّيس مقاريوس، عظة ٣٣).

[امنحني قوَّةً يا الله أن أُقدِّم لك باختياري مصابيحي الثلاثة متَّقدة: روحي ونفسي وجسدي!!!

روحي للآب، ونفسي للابن، وجسدي للروح القدس؛

أيها الآب قدِّس روحي! أيها الابن قدِّس نفسي! أيها الروح القدس قدِّس جسدي المُلوَّث بالخطية] (من خدمة الصباح في قدَّاس للمارونيِّين).

أمَّا والإنسان دائمًا عاجزٌ عن أن يُقدِّم هذه التقدمة كاملة، فقد أصبح مفروضًا عليه أن يحفظ الاتِّضاع، وبالأكثر أن تكون عبادته وتسبيحه ولحنه وكلُّ خدمته بروح التوبة والمسكنة.

ولكن بسبب محبَّة الله للخُطاة، يكتسب الإنسان ثقةً في عبادته لا تُحَدُّ!

(4) *Letter* II, Basil to Greg., NPNF, 2nd Series, Vol. VIII, pp. 110, 111.

أليست هي حقيقة واحدة يُسبِّح لها الجميع؟ والحقيقة أنَّ الذين يُسبِّحون في الكنيسة هم في الواقع يعملون عمل الملائكة الذي هو من صميم اختصاصهم! لذلك فالخورس حينما ينطق بالتسبيح للمسيح في الكنيسة في وحدة الروح والمحبَّة، هذا يكون أعظم شهادة للتحوُّل الذي تمَّ في طبيعة الإنسان.

[ليتنا نحن الذين بالسرِّ نمثِّل الشاروبيم، ونُسبِّح تسبحة الثلاثة تقديسات للثالوث المُحيي، ننبذ عنَّا كلَّ الاهتمامات الأرضيَّة، حتى نستقبل ملك المجد، الذي تخدمه خفيًّا كل الدرجات الملائكيَّة ... هللويا هللويا هللويا] (قدَّاس القدِّيس يوحنا ذهبي الفم).

ولقد عرف هذا داود النبي، أعظم مَنْ سبَّح لله، لذلك يقول عن اختبار: «أمام الملائكة أُرتِّل لكَ» (مز ١٣٧: ١ حسب الأجبية).

فانظروا عظمة التسبيح وبأيَّة رهبة ينبغي أن نخدم اللحن أمام الله!!

[وإذا جلستَ، يا أسقف، ودخل واحدٌ في شكلٍ حسن ... فاستمرَّ أنت، يا أسقف، تتكلَّم بكلام الله أو تسمع المُرتِّل والقارئ، ولا تدع عنك ذلك لأجل مُراءاة ذلك الإنسان لكي تدعوه إلى أول المجلس؛ بل كُنْ ثابتًا في هدوء، ولا تقطع كلامك، ولا تدع عنك سماع كلام الفصل أو الأبصلموديَّة] (دسقولية: الباب العاشر).

****

ميلاد خبز الحياة

للقدِّيس كيرلس الكبير

[«وَأَضْجَعَتْهُ فِي الْمِذْوَدِ ...»: لقد وجد (اللهُ) الإنسانَ قد انحطَّ إلى مستوى البهيمة، فلذلك وَضَعَ نفسه في مذودٍ على هيئة طعام، لكي ما نتحوَّل من السيرة البهيميَّة ونرتقي إلى الذهن اللائق بالبشر. ونحن الذين كانت نفوسنا بهيميَّة نتقدَّم إلى المذود، أي إلى مائدته الخاصَّة، فلا نجد فيه فيما بعد علفًا، بل خبزًا من السماء، أي جسد الحياة!

«لِنَذْهَبِ الآنَ إِلَى بَيْتِ لَحْمٍ»: حيث إنَّ بيت لحم تُفسَّر أنها "بيت الخبز". فإلى أين كان الرعاة مُزمعين أن ينطلقوا بعد أن سمعوا بشارة السلام؟ إلَّا إلى البيت الروحي الذي للخبز السماوي، أعني الكنيسة التي فيها يُقدَّم كلَّ يومٍ بالسرِّ الخبز النازل من السماء الواهب حياة للعالم!]

(تفسير إنجيل لوقا ٢: ٧ و١٥)

****



تجسُّد ابن الله وتأنُّسه

للقدِّيس كيرلس الأورشليمي

(٣١٥ – ٣٨٧م)

العظة الثانية عشرة للمُستنيرين

(المُهيَّئين للمعموديَّة)[١]

- **قراءة من إشعياء، تبدأ بقوله: «ثمَّ عاد الرَّبُّ ليُكلِّم آحاز قائلًا: اطلب لنفسك آيةً»، إلى قوله: «ها العذراء تحبل وتلد ابنًا، ويدعون اسمه عمَّانوئيل» (إش ٧: ١٠، ١١، ١٤)، وما إلى ذلك.**

التجسُّد الحقيقيُّ للكلمة الإلهيِّ:

١ – يا رفقاء الطَّهارة وتلاميذ العفَّة، فلنُسبِّح الله المولود من عذراء، بشفاهٍ مملوءةٍ طهارة. يا مَن استحققتم أن تتناولوا جسد الخروف العقليِّ، فلنتناول «رأسه مع أكارعه» (خر ١٢: ٩)؛ حيث يُفهَم الرَّأس بأنَّه لاهوته، والأكارع تُؤخَذ بأنَّها ناسوته. يا سامعي الأناجيل المقدَّسة، فلنُصدِّقْ يوحنَّا اللاهوتيَّ؛ الَّذي بعد ما قال: «فِي الْبَدْءِ كَانَ الْكَلِمَةُ، وَالْكَلِمَةُ كَانَ عِنْدَ اللهِ، وَكَانَ الْكَلِمَةُ اللهَ» (يو ١: ١)، استطرد قائلًا: «وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا» (يو ١: ١٤).

فليس من الصَّواب أن نسجد لمجرَّد إنسانٍ، ولا من التَّقوى أنْ نقول إنَّه إلهٌ فقط بمعزلٍ عن الطَّبيعة البشريَّة. لأنَّه لو كان المسيح إلهًا، كما هو بالفعل، ولم يتَّخذ بشريَّتنا، نكون نحن غرباء عن الخلاص.

---

(١) العظة الثَّانية عشرة للقدِّيس كيرلُّس الأورشليميِّ (٣١٥ – ٣٨٧م)، هي إحدى عظاته الثَّمانية عشرة للموعوظين المُستنيرين المُرشَّحين للمعموديَّة، وقد أُلقيت في كنيسة القبر المقدَّس؛ وتُرجمت الفقرات ١ – ٨؛ عن النَّصِّ اليونانيِّ المنشور في:

Cyrilli Hierosolymorum, Catecheses ad illuminandos 1-18, BEΠ 39, pp. 137-152; PG 33, 725-770; (CPG 3585). See also: NPNF 2, 7, pp. 72-74.

فليُسجَد له كإله، وليُؤمَن أيضًا بأنَّه تأنَّس. فليس من النَّافع أنْ نقول إنَّه إنسانٌ من دون اللَّاهوت، ولا من خلاصٍ دون أن نعترف ببشريَّته مع لاهوته.

فلنعترف بمجيء الملك والطَّبيب؛ فإنَّ يسوع الملك، إذ كان مُزمعًا أن يشفي، تمنطق بمنشفةٍ أي بالطَّبيعة البشريَّة وشفى المريض. إنَّ مُعلِّم الأطفال الكامل صار طفلًا مع الأطفال، لكي يُعلِّم الجُهَّال الحكمة. والخبز السَّماويُّ نزل إلى الأرض لكي يُقيتَ الجياع.

تحقيق نبوَّة إشعياء عن "عمَّانوئيل" المولود من عذراء:

٢ – أمَّا أبناء اليهود، فقد رفضوا الَّذي أتى، وصاروا ينتظرون باطلًا آخر يأتي، لقد رفضوا المسيحَ الحقيقيَّ، بينما ينتظرون كضالِّين ذاك المُضلَّ. وهكذا يتبيَّن أنَّ المُخلِّص كان مُحقًّا في قوله: «أَنَا قَدْ أَتَيْتُ بِاسْمِ أَبِي وَلَسْتُمْ تَقْبَلُونَنِي. إِنْ أَتَى آخَرُ بِاسْمِ نَفْسِهِ فَذلِكَ تَقْبَلُونَهُ» (يو ٥: ٥٣).

ومن الحسن أيضًا أن نوجِّه سؤالًا لليهود: أَصادقٌ هو النَّبيُّ إشعياء، الَّذي يقول إنَّ عمَّانوئيل سيُولَد من عذراء، أم كاذب؟ فإنْ كانوا يتَّهمونه بأنَّه كاذب، فلا عجب في ذلك؛ لأنَّهم من عادتهم ليس أن يتَّهموا الأنبياء بالكذب فحسب، بل أن يرجموهم أيضًا.

أمَّا إذَا كان النَّبيُّ صادقًا، فأظهِروا لنا عمَّانوئيل. وهل ذاك الَّذي سيأتي، والَّذي تنتظرونه أنتم، سيُولَد من عذراء أم لا؟ فإن كان لا يُولَد من عذراء، فإنَّكم تتَّهمون النَّبيَّ بالكذب. أمَّا إذا كنتم تنتظرون هذا (الميلاد البتوليَّ) من العتيد أن يأتي، فلماذا ترفضون ما قد حدث بالفعل؟

حقيقة تجسُّد الكلمة من العذراء ودحض الهرطقات:

٣ – فليضلَّ اليهود حسبما يشاؤون، أمَّا كنيسة الله فلتتمجَّد. فإنَّنا نَقْبل الإله الكلمة الَّذي تأنَّس حقًّا، لا بمشيئة رجل وامرأة، كما يقول الهراطقة، بل إنَّه تأنَّس من عذراء والرُّوح القدس، بحسب الإنجيل، لا بالخيال، بل بالحقيقة.

ولكي تعرف أنَّه تأنَّس حقًّا من عذراء، انتبه الآن في وقت التَّعليم، وسوف تنال البراهين. فإنَّ ضلال الهراطقة متعدِّد الأشكال: فبعضهم قالوا إنَّه لم يُولَد قطُّ من عذراء؛ وآخرون قالوا إنَّه وُلِد، ولكن ليس من عذراء، بل من امرأةٍ تعيش مع رجل؛ ويقول آخرون إنَّ المسيح ليس إلهًا قد تأنَّس، بل إنَّه إنسانٌ ما قد تألَّه. فقد تجرَّأوا على القول بأنَّه ليس الكلمة السَّابق الوجود الَّذي تأنَّس، بل إنَّ إنسانًا ما، قد ارتقى وهكذا تُوِّج (باللَّاهوت).

أزليَّة الكلمة واتِّخاذه الجسد من أجلنا:

٤ – أمَّا أنت، فتذكَّر ما قيل أمس عن اللَّاهوت، وآمن بأنَّ ذاك نفسه، ابن الله الوحيد، هو الَّذي وُلِد أيضًا من عذراء. وصدِّق يوحنَّا الإنجيليَّ، حين يقول: «وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ فِينَا» (يو ١: ١٤). فالكلمة أزليٌّ، وهو مولود من الآب قبل كلِّ الدُّهور؛ أمَّا الجسد، فقد اتَّخذه حديثًا من أجلنا.

لكنَّ كثيرين يعترضون ويقولون: فما السَّبب العظيم بهذا القدر الَّذي يجعل الله ينزل إلى الطَّبيعة البشريَّة؟ وهل يمكن قط لطبيعة الله أن تُخالط البشر؟ وهل يمكن أن تلد عذراء من دون رجل؟ فبما أنَّ الاعتراضات كثيرة، والصِّراع متنوِّع الأوجه، هلُمَّ نحلُّ كلَّ مسألةٍ، بنعمة المسيح وبصلوات الحضور.

سبب التَّجسُّد وكرامة الإنسان المخلوق على صورة الله:

٥ – فلنبحث أوَّلًا في السَّبب الَّذي من أجله نزل يسوع. ولا تُصغِ إلى استنتاجاتي الخاصَّة؛ فمن الممكن أن يحتال عليك آخر بما يُماثلها. لكن إنْ لم تُعطَ لك شهادة الأنبياء بشأن كلِّ أمر، لا تصدِّق ما يُقال. وإن لم تتعلَّم من الكُتُب الإلهيَّة أيضًا ما يتعلَّق بالعذراء، والمكان، والزمان، وطريقة الولادة، "فلا تقبل شهادةً من إنسان" (انظر: يو ٥: ٣٤). فمن الجائز أنْ يرتاب أحدٌ في تعليم مَن يُعلِّم في الوقت الحاضر، أمَّا إذا تنبَّأ أحدٌ منذ ألف سنة ويزيد، فمَنْ ذا الَّذي يرتاب فيما يقول، إنْ كان عاقلًا؟

فإذا كنتَ الآن تبحث عن سبب مجيء المسيح، فارجع إلى أوَّل الأسفار المقدَّسة. في ستَّة أيَّام خلق الله العالم. لكنَّ العالم إنَّما وُجد من أجل الإنسان؛ فالشَّمس، الَّتي تشعُّ بأشدِّ الأشعَّة سطوعًا، إنَّما وُجدت لكي تُضيء للإنسان. وكذلك أُعدَّت جميع الحيوانات لكي تخدمنا، والأعشاب والأشجار خُلقت من أجل انتفاعنا. إنَّ جميع المخلوقات «حسنة» (تك ١: ٢٥)، لكن ليس شيء منها على صورة الله إلَّا الإنسان وحدَه.

لقد خُلقت الشَّمس بأمرٍ فحسب، أمَّا الإنسان فقد جُبِل بأيدٍ إلهيَّة: «لنصنع الإنسان على صورتنا كشبهنا» (تك ١: ٢٦ س). إنَّ صورةً خشبيَّةً لملكٍ أرضيٍّ تُكرَّم؛ فكم بالحريِّ صورة الله العاقلة!

لكن هذا الَّذي كان أعظم المخلوقات، وكان يبتهج في الفردوس، قد أخرجه الحسد

الشيطانيُّ. وكان العدوُّ يفرح بسقوط ذاك الَّذي حسده. فهل كنتَ تريد أن يظلَّ العدوُّ فَرِحًا؟

ولمَّا لم يجرؤ هذا العدوُّ على الاقتراب من الرَّجل بسبب قوَّته، اقترب من المرأة، بوصفها الأضعف، وهي لا تزال عذراء. فإنَّ آدم لم يعرف حوَّاء امرأته إلَّا بعد السُّقوط من الفردوس.

فساد الطَّبيعة البشريَّة وعجز النَّاموس والأنبياء عن شفائها:

٦- وصار قايين وهابيل ثاني مَنْ تعاقبوا في نسل البشر، وكان قايين أوَّل قاتلٍ للإنسان. وبعد ذلك، انهمر الطُّوفان بسبب شرِّ البشر الكثير. ونزلت نارٌ من السَّماء على أهل سدوم بسبب تعدِّيَّاتهم.

ثمَّ اختار الله إسرائيل بعد زمانٍ طويل. لكنَّ هذا الشَّعب أيضًا انحرف، وأُصيب الجنس المُختار بالجراح. فبينما كان موسى واقفًا أمام الله على الجبل، كان الشَّعب يسجد لعجلٍ (ذهبيٍّ) بدلًا من الله. وفي زمن موسى واضع النَّاموس، الَّذي قال: «لا تزنِ»، تجرَّأ رجلٌ ودخل إلى المخدع (القدس) لارتكاب الفجور (عد ٢٥: ٦ – ٨).

وأُرسل الأنبياء بعد موسى لكي يُعالِجوا إسرائيل. لكنَّهم، بينما كانوا يداوون، كانوا يبكون لأنَّهم لم يستطيعوا التَّغلُّب على الدَّاء، حتَّى إنَّ بعضهم قال: «ويلٌ لي، لأنَّه قد فني التَّقيُّ من الأرض، ولا يبقى مستقيمٌ بين النَّاس» (مي ٧: ٢ س). وأيضًا: «الجميع زاغوا، فسدوا معًا؛ ليس مَن يعمل صلاحًا، ليس ولا واحد» (مز ١٣: ٣ س).

وأيضًا: «لعنةٌ وسرقةٌ وزنىً وقتلٌ قد فاضت على الأرض» (هو ٤: ٢ س). وذبحوا بنيهم وبناتهم للشَّياطين (مز ١٠٥: ٣٧ س). وكانوا يُنجِّمون، ويمارسون السِّحر، والعرافة (٢أي ٣٣: ٦). وأيضًا: «رَبَطُوا ثِيَابَهُمْ بِحِبَالٍ، وَكَانُوا يَصْنَعُونَ سَتَائِرَ بِجَانِبِ الْمَذْبَحِ» (عا ٢: ٨ س).

عِظَم جرح الطَّبيعة البشريَّة والحاجة إلى المخلِّص:

٧- عظيمٌ إذًا هو جُرح الطَّبيعة البشريَّة: «مِنَ الْقَدَمَيْنِ إِلَى الرَّأْسِ ... لا يُوجَدُ لَها مَرْهَمٌ لِيُوضَعَ وَلاَ زَيْتٌ وَلاَ ضِمَادَاتٌ» (إش ١: ٦ س).

ثمَّ إنَّ الأنبياء، وهم ينتحبون ويئنُّون، كانوا يقولون: «مَن سيُعطي الخلاص من صهيون؟» (مز ١٣: ٧ س)، وقالوا أيضًا: «فَلْتَكُنْ يَدُكَ عَلَى رَجُلِ يَمِينِكَ، وَعَلَى ابْنِ الْإِنْسَانِ الَّذِي شَدَّدْتَهُ لِنَفْسِكَ؛ فَلَا نَرْتَدَّ عَنْكَ أَبَدًا» (مز ٧٩: ١٨، ١٩ س). **(البقية صفحة ٢١)**

ذكرى الصِّدِّيق
تدوم إلى الأبد



صحوة ما بين عامين
للأب مينا المقاري

تحلُّ في الثالث عشر من شهر ديسمبر الحالي (٢٠٢٦م) الذكرى السنويَّة الأولى لنياحة الشيخ المُبارك الأب مينا المقاري، شيخ شيوخ برِّيَّة القدِّيس مكاريوس. هذا الذي كان راهبًا بالحقيقة، وامتدادًا لجيل آباء الرهبنة الأُوَّل[١]. وقد ترك لنا هذا الأب ثروةً لا تُقدَّر مِن الكتابات النُّسكيَّة والآبائيَّة والترجمات المختلفة. وهذا التأمُّل وجدناه وسط أوراقه.

❖ كثيرًا ما نجلس معًا طويلًا لنستعرض أحوالنا، ولا يتَّسع لنا الوقت في النهاية لأنْ نُفكِّر في الحلِّ العملي، أو نُقرِّر الخطوات التي ينبغي أنْ نتَّخذها، لنستعيد نشاطنا الأول وغيرتنا وإخلاصنا للدعوة التي دعانا إليها الربُّ يسوع، لكي نتبعه بكلِّ قلوبنا.

يقول القدِّيس باباي[٢]: [لا تترك عنك منفعةً قليلةً حاضرة، على رجاء أنْ تحصل على منفعةٍ أعظم منها ما زالت بعيدةً عنك، لئلَّا بعد أنْ تفقد ما بين يديك الآن، لا يتسنَّى لك أنْ تمسك بما هو أعظم منه، فتُحرَم من هذا وذاك؛ وتكون مثل ذلك الرجل الغبي الذي بينما كان يعبُر النهر حاملًا طفله على ذراعيه، رأى سمكةً تسبح في الماء، فترك الطفل لكي يمسك بالسمكة! وكانت النتيجة أن ضيَّع الطفل في النهر، ولم يمسك السمكة!].

فعندما نجلس مع أنفسنا، ونستعرض اشتياقاتنا وطموحاتنا الروحيَّة، فإنَّ الربَّ يسوع يقول لنا: «كُنْ أَمِينًا فِي الْقَلِيلِ فَأُقِيمُكَ عَلَى الْكَثِيرِ» (انظر: مت ٢٥: ٢١). فإنْ أظهرنا أمانتنا في القليل المُتاح لنا اليوم، فإنَّ الله لن يتأخَّر حتى يُعطينا ما نشتاق إليه في الغد. أمَّا إذا تعلَّقنا اليوم بما لا يمكن تحقيقه سوى في الغد، فسوف نبقى غير أُمناء في القليل حسب وصية الربِّ، وبالتالي لن نصير مؤهَّلين للكثير الذي نرجوه. فالنصيحة الذهبيَّة التي يُقدِّمها لنا الإنجيل، هي أنْ نكون أمناء في تكميل ما هو مطلوبٌ منا اليوم على قدر إمكاننا.

إنَّ اشتياقاتنا تتحوَّل إلى حُلمٍ غير قابل للتحقيق، طالما نحن لسنا أُمناء في القليل الذي يُتاح لنا

---

(١) أصدر الدير كتابًا وافيًا عن حياته وجهاده، اسمه: "العملاق الروحي، الراهب القمص مينا المقاري".

(٢) القدِّيس باباي هو أحد آباء الكنيسة السريانيَّة، عاش تقريبًا بين عامَي ٥٥١ و٦٢٨م. وقد أحبَّ أبونا مينا كتابات هؤلاء الآباء، وترجم كثيرًا منها.

يومًا بعد يوم. فأمانتنا في يومنا الحاضر تجعل يسوع، رب الزمن، يُؤهِّلنا لمجد الأبديَّة، ويأتمننا على نعيم الحياة مع الله : «اُدْخُلْ إِلَى فَرَحِ سَيِّدِكَ» (مت ٢٥: ٢١ و٢٣).

فالحياة مع المسيح ليست حُلمًا، ولكنها واقعٌ يتحقَّق كلَّ يوم، بل في كلِّ لحظةٍ على قدر أمانتنا وإخلاصنا في التَّشبُّه به والاتِّحاد معه كلَّ يوم وكلَّ لحظة.

إنَّ أفكارنا تحكي عن سفينةٍ وسط الأمواج، وعن بحرٍ هائج لا يمكن لإنسانٍ أن يسبح فيه؛ أمَّا إيماننا فيحكي لنا عن أمرٍ يفوق التصوُّر : لقد صار بإمكان بطرس أن يمشي على الماء! فإنْ نحن تمسَّكنا بأفكارنا وتشبَّثنا بالجِدَال والمُعارضة، فسوف نغرق حتمًا. ولكن إن تثبَّتت نظرتنا على الربِّ يسوع، قائد مسيرتنا، فسوف نرى مجد الله، سوف نمشي على الماء، ونسير في وادي ظِلِّ الموت، ولا نخاف شرًّا.

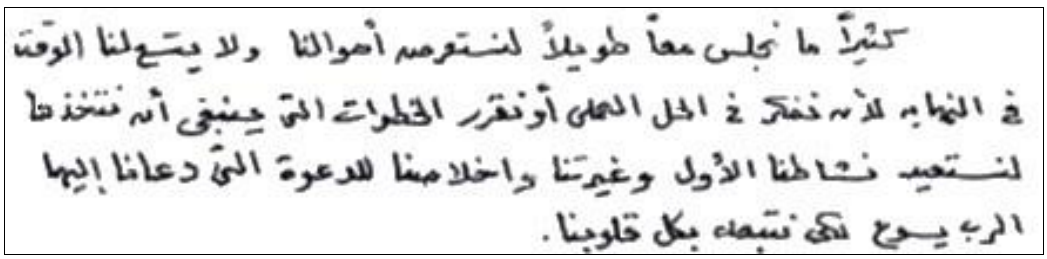
إنَّ أخطر شيء هو إحساسي بذاتي بدلًا مِن إحساسي بالمسيح الذي فيَّ.

إنَّ الانشغال بالذات، يجعلنا نُركِّز على ما سوف نربحه لأنفسنا مِن حياتنا مع الله: «هَا نَحْنُ قَدْ تَرَكْنَا كُلَّ شَيْءٍ ... فَمَاذَا يَكُونُ لَنَا؟» (مت ١٩: ٢٧). أمَّا الاهتمام فيما للرَّبِّ، فيجعلنا نشتاق كلَّ حين أنْ نُفرِّح قلب الله بنا، فنُسعدُه بتوبتنا، ووجودنا الدائم أمامه.

فالنموُّ الروحي لا يُقاس بمقدار ما نحصل عليه مِن تعزيات، بل بمقدار ما نتألَّم به من أجل الله. كما أنَّه ليس بالفضائل التي نُتقنها، بل بإنكار الذات، وتذكار الله الدائم.

ونحن، إذا كنَّا نسعى لتمجيد أنفسنا وتنعيمها مِن خلال أعمالنا، فلن يكون بمقدورنا أنْ نؤمن بما يريد الله أنْ يعمله معنا؛ وبالتالي لن نسمح لله أنْ يتمجَّد فينا. إنَّه يريدنا أنْ نمشي على الماء، وأنْ نكون أنوارًا تُضيء وسط الظلام، وشهودًا أُمناء لمحبَّته الفائقة نحو جميع الناس، لا فرق بين خاطئ وبار، لأنَّه يريد أنَّ الكلَّ يخلصون ويأتون بالترنُّم وعلى رؤوسهم فرح أبدي (إش ٥١: ١١).

• فقرة من هذا التأمُّل بخط يد الأب مينا المقاري:


كثيراً ما نجلس معاً طويلاً لنستعرض أعمالنا ولا يتسع لنا الوقت
في النهاية للأسف نفكر في الخل العملي أو نقرر الخطوات التي ينبغي أن نتخذها
لنستعيد نشاطنا الأول وغيرتنا وإخلاصنا للدعوة التي دعانا إليها
الرب يسوع لكي نتبعه بكل قلوبنا.



رموز العهد القديم التي تُشير إلى

والدة الإله[١]

(٢)

بمناسبة
موسم الميلاد المجيد

لقد شرح الآباء القدِّيسون علاقة إشارات العهد القديم بالعذراء، واهتمُّوا بكشف معانيها الرمزيَّة العميقة. وقد تكلَّمنا في العدد السابق (نوفمبر ٢٠٢٦، ص ٢٢) عن: سُلَّم يعقوب، والعُلَّيقة المُشتعلة. ونستكمل في هذا العدد سرد بقية الإشارات التي وردت في العهد القديم، والتي تُشير وترمز إلى والدة الإله.

الطَّلُّ (أي النَّدى) على الجزَّة:

يرى الآباء أن جزَّة جدعون ترمز لوالدة الإله، وأن النَّدى الذي ملأها يرمز لحلول الربِّ المتجسِّد فيها. أمَّا عن قصة الجزَّة، فهي كالآتي: «وَقَالَ جِدْعُونَ للهِ: "إِنْ كُنْتَ تُخَلِّصُ بِيَدِي إِسْرَائِيلَ كَمَا تَكَلَّمْتَ، فَهَا إِنِّي وَاضِعٌ جَزَّةَ الصُّوفِ فِي الْبَيْدَرِ، فَإِنْ كَانَ طَلٌّ عَلَى الْجَزَّةِ وَحْدَهَا، وَجَفَافٌ عَلَى الأَرْضِ كُلِّهَا، عَلِمْتُ أَنَّكَ تُخَلِّصُ بِيَدِي إِسْرَائِيلَ كَمَا تَكَلَّمْتَ". وَكَانَ كَذلِكَ. فَبَكَّرَ فِي الْغَدِ وَضَغَطَ الْجَزَّةَ وَعَصَرَ طَلًّا مِنَ الْجَزَّةِ، مِلْءَ قَصْعَةٍ مَاءً. فَقَالَ جِدْعُونُ للهِ: "لَا يَحْمَ غَضَبُكَ عَلَيَّ فَأَتَكَلَّمَ هذِهِ الْمَرَّةَ فَقَطْ. أَمْتَحِنُ هذِهِ الْمَرَّةَ فَقَطْ بِالْجَزَّةِ. فَلْيَكُنْ جَفَافٌ فِي الْجَزَّةِ وَحْدَهَا وَعَلَى كُلِّ الأَرْضِ لِيَكُنْ طَلٌّ". فَفَعَلَ اللهُ كَذلِكَ فِي تِلْكَ اللَّيْلَةِ. فَكَانَ جَفَافٌ فِي الْجَزَّةِ وَحْدَهَا وَعَلَى الأَرْضِ كُلِّهَا كَانَ طَلٌّ» (قض ٦: ٣٦ – ٤٠).

وتُناجي الكنيسة اليونانيَّة العذراء قائلةً: "أنتِ وحدك أيتها الغيمة التي بلا عيب، من بطنكِ قدَّمتِ للمسيح حَمَل الله طبيعتَنا لتكون هي جزَّته ... فلنُعظِّم السَّحابة المُنيرة التي نزل فيها سيِّد الكلِّ كنَدًى من السماء على الجزَّة، ولأجلنا اتَّخذ جسدًا وصار إنسانًا".

---

(١) أعددنا هذا المقال بالاستعانة بمقال:

Paul Ladouceur, *Old Testament Prefiguration of the Mother of God*, St. Vladimir's Theological Quarterly, no. 1,2, 2006, p. 5.

ويُرتل المزمور ٧٢ الذي لسليمان قائلًا: «وَيَنْزِلُ مِثْلَ الْمَطَرِ عَلَى الْجَزَّةِ، وَمِثْلَ الْقَطَرَاتِ الذَّارِفَةِ عَلَى الْأَرْضِ» (مز ٧١: ٦ س)، ويُقال هذا المزمور في الكنيسة القبطيَّة في باكر الأحد الثاني من شهر كيهك. والقدِّيس يوحنا ذهبي الفم يُفسِّر "الطَّل على الجزَّة"، بأنه رمز التجسُّد، إذ يقول:

[داود النبي يُشير إلى حضرة الربِّ المتجسِّد في تلك الآية (السابقة)، لأنه بلطفٍ وبلا ضجيجٍ دخل في رَحِم العذراء][٢].

وبحسب التفسير الرمزي الذي يُشير إلى والدة الإله، فإنَّ الجزَّة لم تَعُد هي شعب إسرائيل، بل هي العذراء التي حلَّ عليها الروح القدس – النَّدى أو المطر – والتي تجسَّد منها المسيح مثل الطَّلِّ على الجزَّة، ومثل المطر الذي يروي الأرض.

أمَّا بخصوص العلامتَين اللَّتين طلبهما جدعون من الله كدليلٍ على نصرة شعبه وعلاقتهما بوالدة الإله، فلعلَّنا نرى نوعًا من التماسُك أو الاندماج لهذين الامتحانين: **فالامتحان الأول،** يوحي بأنَّ الروح القدس يحلُّ بلطفٍ على العذراء مثل النَّدى أو المطر على الجزَّة، وذلك عند بشارة الملاك لها، وهكذا يصير المسيح ابنًا للقدِّيسة مريم. **والامتحان الثاني،** قد يوحي بأنَّ المسيح، بفعل الروح القدس في يوم الخمسين، سيصير سهل المنال لجميع الشعوب، ولكن دون أن ينأى بنفسه عن العذراء التي كانت حاضرةً في يوم الخمسين!

الملكة:

مزمور ٤٥ هو من أروع المزامير، فهو يستدعي جلال وجمال الملك وملكته بأسلوبٍ شعريٍّ ومجازيٍّ (استعاري). فهو يمكن أن يُسمَّى "قصيدة زفاف ملكيَّة"، لأنه يُصوِّر احتفالًا بهيجًا لزيجةٍ ملكيَّة. وكثيرًا ما يُستعمل هذا المزمور في الصلوات الطقسيَّة لتكريم والدة الإله، كما تُستعمل ما فيه من صفاتٍ كألقابٍ للعذراء، مثل: "الملكة"، و"ابنة الملك"، و"مدينة إلهنا"، و"الحمامة"، و"الجَبَل المقدَّس". وأفضل مثال لذلك، هو لحن الأوتار العشرة الذي يُقال في صوم العذراء وفي عيدها. وهذا هو نصُّه:

[هذه العذراء نالت اليوم كرامةً، هذه العروس نالت اليوم مجدًا، هذه المُلتحفة بأطرافٍ موشَّاةٍ بالذهب، مزيَّنة بأنواعٍ كثيرة.

داود حرَّك الوتر الأول من قيثارته صارخًا قائلًا: "قامت الملكة عن يمينك أيها الملك".

(٢) "شرح إنجيل متَّى"، عظة ٢٦: ٣٩.

وحرَّك الوتر الثاني من قيثارته صارخًا قائلًا: "اسمعي يا ابنتي وانظري وأميلي أُذُنكِ وانسي شعبكِ وبيت أبيكِ".

وحرَّك الوتر الثالث من قيثارته صارخًا قائلًا: "كلُّ مجد ابنة الملك من داخل مشتملةً بأطرافٍ موشَّاةٍ بالذهب".

وحرَّك الوتر الرابع من قيثارته صارخًا قائلًا: "يدخُلْنَ إلى الملك عذارى خلفها".

وحرَّك الوتر الخامس من قيثارته صارخًا قائلًا: "عظيمٌ هو الربُّ ومُسبَّحٌ جدًّا في مدينة إلهنا على جبله المقدَّس".

وحرَّك الوتر السادس من قيثارته صارخًا قائلًا: "أجنحة حمامة مُغشَّاة بفضةٍ ومنكباها بصُفرة الذهب".

وحرَّك الوتر السابع من قيثارته صارخًا قائلًا: "جبل الله الجبل الدَّسِم، الجبل المُجبَّن، الجبل الدَّسِم".

وحرَّك الوتر الثامن من قيثارته صارخًا قائلًا: "أساساته في الجبال المقدَّسة. أحبَّ الربُّ أبوابَ صهيون".

وحرَّك الوتر التاسع من قيثارته صارخًا قائلًا: "تكلَّموا من أجلكِ بأعمالٍ كريمة يا مدينة الله".

وحرَّك الوتر العاشر من قيثارته صارخًا قائلًا: "الربُّ اختار صهيون ورضيها مسكنًا له"... اشفعي فينا يا سيِّدتنا ...][٣].

والشروحات الآبائيَّة كثيرًا ما تربط بين الملك والملكة في هذا المزمور، وبين المُحِبِّ والمحبوبة في سِفْر النشيد. فمثلًا يُشير أوريجانوس إلى هذا المزمور في شرحه لسِفْر النشيد الذي يرى أنه قصيدة زفاف وضعها سليمان الحكيم بأسلوبٍ درامي، حيث جعل الشخصيات الرئيسيَّة هي: "العروس والعريس"، و"بنات أورشليم"، و"الحرس الطائف في المدينة". ويُشير أوريجانوس إلى الملك في مزمور ٤٥، بأنه هو المسيح العريس، وبأنَّ الملكة هي الكنيسة العروس.

(٣) كتاب: "خدمة الشماس" – ألحان صوم العذراء وعيدها.

كما يربط أوريجانوس ما جاء في سِفْر النَّشيد عن العروس بما جاء في مزمور ٤٥، بقوله:

[إنها اقتيدت إلى خدر الملك: «أَدْخَلَنِي الْمَلِكُ إِلَى حِجَالِهِ» (نش ١: ٤)، وقد صارت ملكة: «جُعِلَتِ الْمَلِكَةُ عَنْ يَمِينِكَ بِذَهَبِ أُوفِيرٍ (أو بحسب السبعينيَّة: "موشَّى بالذهب، مزيَّنة بأنواعٍ كثيرة")» (مز ٤٤: ٩ – حسب السبعينيَّة). أمَّا عن العذارى اللائي تبعنها، فقد قيل: «يدخلن إلى الملك عذارى في إثرها ... يبلغن بفرحٍ وابتهاجٍ، يدخلن إلى هيكل الملك» (مز ٤٤: ١٤، ١٥ – حسب السبعينيَّة)][٤].

والقدِّيس ميثوديوس في شرحه لهذا المزمور يقول:

[الملكة في هذا المزمور هي التي – إذ نالت الأسبقيَّة على كثيرين – أخذت مكانها عن يمين الله، وهي التي اكتست بثوبٍ موشَّى بذهب الفضيلة، والتي اشتهى الملك حُسنها، وهي ذلك الجسد المُبارك غير الدنس الذي جاء به الكلمة الإلهي (المُتحد به) إلى السماء وجعله عن يمين الآب، وهو مزيَّنٌ بثوبٍ ذهبي، أي بمطالب الخلود الذي سمَّاه المزمور مَجازيًّا: "أطراف موشَّاة بالذهب". هنا نجد ثوبًا مُطرَّزًا بمهارةٍ ومنسوجًا بكلِّ أنواع الأعمال الفاضلة مثل: العِفَّة، والفطنة، والإيمان، والمحبَّة، والصَّبر، وجميع السَّجايا الصَّالحة الأخرى؛ وهذه كلُّها تكسو الإنسان بثوبٍ من ذهب][٥].

وتُشير الملكة أيضًا إلى النفس البشريَّة، فينبغي علينا دائمًا عندما نتأمَّل في شخصيَّة العذراء وعندما نطوِّبها بالتسابيح، أن نُطبِّق فضائلها على نفوسنا لنقتدي بها، بل يجب أن نَعتَبِر أنَّ روح كلٍّ منَّا هي عذراء مخصَّصة للربِّ الذي حلَّ فيها على مثال العذراء. فقد قال أوريجانوس أيضًا:

[إننا نجد الجمال الحقيقي في المخلِّص، وأيضًا بجُوده ورحمته امتدَّ هذا الجمال إلى النفوس: «تقلَّد سيفك على فخذك أيها القوي بجلالك وجمالك» (مز ٤٤: ٣ – سبعينيَّة). فلنتعلَّم من داود النَّبي أن هذا الجمال يمتدُّ إلى النفس البشريَّة: «اسمعي يا ابنتي وانظري وأميلي أُذنكِ وانسي شعبكِ وبيتَ أبيكِ، فإنَّ الملك (أي العريس) قد اشتهى حُسنكِ (عدد ١٠، ١١)»][٦].

ويُقال هذا المزمور قبل إنجيل قدَّاس الأحد الثاني من شهر كيهك.

---

(4) Origen, *Comm. Cant.*, 243.

(5) Methodius of Olympus, *Symposium*, 8: ACW 27, 103-104.

(6) *Hom. Ezech.* 13,2.

والقدِّيس غريغوريوس النيسي يربط أيضًا بين سِفْر النشيد ومزمور ٤٤ (حسب السبعينيَّة). فعندما يتكلَّم عن جمال العروس المحبوبة في سِفْر النشيد، يستحضر جمال أورشليم السماويَّة "مدينة الملك"، فيقول:

[يبدو الجلال الإلهي مثل جمال أورشليم السماويَّة الحُرَّة وأُم كلِّ حرٍّ. وقد سمَّاها الرب يسوع نفسه: «مَدِينَةَ الْمَلِكِ الْعَظِيمِ» (مت ٥: ٣٥). وهي تحوي في داخلها غير المُحْوَى، لأن الله يسكن فيها ويُزيِّنها بحضرته، فتحصل أورشليم السماويَّة على جماله، جمال مدينة الملك العظيم! والمزمور يقول عن هذا الجمال: «بجلالك وجمالك ... انجح واملك من أجل الحقِّ والدِّعة (الوداعة) والعدل (البر)» (مز ٤٤: ٣، ٤ – سبعينية). وهكذا، فإنَّ الجمال الإلهي قد اتَّصف بالحقِّ والبرِّ والوداعة، وبالتالي فإنَّ النَّفس التي تجمَّلت بمثل هذه الزينات، تصير بهيَّةً مثل أورشليم التي تزيَّنت بجمال الملك][٧].

والقدِّيس باسيليوس يَعتَبِر أن الآية التي تُخاطب العريس قائلةً: «باركك الله إلى الدهر» (مز ٤٤: ٢)، تُشير إلى بشريَّة المسيح ابن الله المُتجسِّد من العذراء، والذي «كَانَ يَتَقَدَّمُ فِي الْحِكْمَةِ وَالْقَامَةِ وَالنِّعْمَةِ» (لو ٢: ٥٢)، كما أنه يَعتَبِر الملكة ابنة الملك المذكورة في الآيات: «اسمعي يا ابنتي وانظري وأميلي أُذنكِ ... كلُّ مجد ابنة الملك من داخل ... يدخلن إلى هيكل الملك» (مز ٤٤: ١٠ – ١٥)، أنها تُشير إلى الكنيسة، وأيضًا إلى نفس المؤمن التي تتشبَّه بالعذراء، ويربط ذلك بمحبوبة سِفْر النشيد. كما أنه يَعتَبِر "الثياب الموشَّاة بالذهب" أنها هي تعاليم الكنيسة، فيقول:

[هكذا تقف الملكة، العروس المتَّحدة بالعريس الكلمة الإلهي، التي لا تملك الخطية عليها بعد، بل إنها تُشارك في ملكوت المسيح؛ إنها عن يمين المُخلِّص، بثيابٍ موشَّاة بالذهب، أي التعاليم العديدة المنسوجة بالمعرفة الروحيَّة][٨].

ورغم أن آباء القرون الأولى لم يُشيروا إلى الملكة في مزمور ٤٤ بأنها هي العذراء، إلَّا أنَّ الكنيسة اليونانيَّة تعتبرها هكذا في ألحان عيد دخول العذراء إلى الهيكل لتكريس حياتها للربِّ، فتقول:

[أيتها العذارى حاملات المصابيح ابتهجن اليوم وابدأن في التَّلحين، أيتها الأُمهات رافِقْنَهُنَّ في التَّماجيد للملكة والأُم عند دخولها إلى هيكل المسيح الملك].

---

(7) Canticles, 15.

(٨) شرح القدِّيس باسيليوس للمزمور ٤٤: ١٣ و١٤.

وأيضًا:

[قد رآكِ الأنبياء برؤيتهم الإلهيَّة من على بُعدٍ وأخبروا عنكِ مُسْبقًا أنكِ أنتِ آنية وعصا (هارون)، ولوح العهد الذي كتبه الله، والفُلْك، والمائدة، والمنارة الذهبيَّة، والسُّلَّم، والقصر (بيت الملك)، والجبل المقدَّس، ومحفَّة سليمان، والخيمة المقدَّسة، والقنطرة (أو الكوبري) التي تقود من الأرض إلى السَّماء. إننا نرى هذه الصور الرمزيَّة مُحقَّقةً تمامًا فيكِ أيتها العذراء الطَّاهرة، ونُعلِن أُمومتكِ الإلهيَّة][٩].

ومن أجمل أرباع التَّسبحة السنويَّة ما جاء في لُبش يوم الاثنين: "يا جميع العذارى (أي جميع النفوس) أحببن الطَّهارة لكي تصرنَ بنات القدِّيسة مريم"!

(يتبع)

(9) *The Service Books of the Byzantine Church*, June Menaion, 2d ed.



****

(بقية المنشور صفحة ١٣ – "تجسُّد ابن الله وتأنُّسه")

وكان نبيٌّ آخر يتضرَّع قائلًا: «يا رَبُّ، طَأْطِئْ سَمَاوَاتِكَ وَانْزِلْ» (مز ١٤٣: ٥ س).

إنَّ جراح الطَّبيعة البشريَّة تتجاوز قدرتنا على مداواتها. «فقد قتلوا أنبياءك، وهدموا مذابحك» (١مل ١٩: ١٠). لقد صار الشَّرُّ إلينا غير قابلٍ للإصلاح؛ وهو يحتاج إلى أنْ تُصلحه أنت.

الرَّبُّ يستجيب لتوسُّل الأنبياء:

٨ – فسمع الرَّبُّ توسُّل الأنبياء، ولم يتغاضَ الآب عن جنسنا الهالك، بل أرسل ابنه ربَّنا كطبيبٍ من السَّماء، حتَّى قال أحد الأنبياء: «وبغتةً يأتي الرَّبُّ الَّذي تطلبونه»، وإلى أين يأتي؟ «إلى هيكله!» (مل ٣: ١). **(يتبع)**



من
التراث الكنسي

معرفة الله

كأسمى هدف وأعظم فرح للحياة

من خلال الليتورجيًّا[١]

(٢٨)

(٣) ما هي الليتورجيًّا (القدَّاس الإلهي)؟

دعونا نُفكِّر في ما هي الليتورجيًّا؟

كتب الأب شميمان Fr. Schmemann يقول:

"بادئ ذي بدء، الليتورجيًّا هي تجمُّع لأولئك الذين يتقابلون مع المسيح القائم، ويدخلون معه إلى ملكوته".

أضاف نيكولاي جوجول Nicolai Gogol يقول:

"الليتورجيًّا هي تكرارٌ أبديٌّ لعمل الحُبِّ العظيم لنا".

الحدث المحوري للّيتورجيًّا هو النزول، الظُّهور، والحضور الإلهي للمسيح القائم، وعلى الإنسان أنْ يتذكَّر باستمرار هذا الظُّهور. وعلى سبيل المثال، في وقتٍ ما في الليتورجيًّا يقول الكاهن: "الربُّ مع جميعكم"، ويُجيب الشَّعب بعد أنْ يتبادلوا قُبلة السَّلام: "ومع روحك أيضًا".

كتب بول إفدوكيموف Paul Evdokimov يقول:

"أثناء الليتورجيًّا، ومِن خلال قوَّتها الإلهيَّة، نحن نبلغ إلى تلك النقطة حيث الأبديَّة، نعبُر الزمن، ونصبح مُعاصرين حقيقيِّين مع الأحداث التي نُحيي ذِكرْاها. "وبعبارةٍ أخرى، نحن نكون هناك لنُشارك في تلك الأحداث التي هي العشاء الأخير، الغولغوثا (الصَّلب)، القيامة، البنطيقستي ... إلخ"".

الليتورجيًّا هي عشاء العُرْس الماسيَّاني، حيث العريس السماوي "يسوع" يقترن بالعروس النقيَّة، الناس المُختارين، الذين هُم "أنت وأنا". إنَّه تحقيق علاقة الحُبِّ بين الربِّ يسوع وبيننا.

---

(١) بتصرُّف عن كتاب بعنوان:

Anthony M. Coniaris, *Knowing God, Life's Highest Purpose & Joy*.

الليتورجيًّا هي المكان، حيث يمكن للمرء أنْ: "يطرح عنه جانبًا كلَّ الاهتمامات العالميَّة". "الليتورجيًّا هي المكان، حيث تصبح أعمال المسيح الخلاصيَّة حاضرةً إلينا اليوم، حتى نتمكَّن مِن المُشاركة فيها". المسيح يصبح مُعاصرنا، المسيح: "هو هو أمسًا واليوم وإلى الأبد".

أنْ تُشارك في الليتورجيًّا، هو أنْ تختبِر ملكوت الله. هذا هو ما تُعبِّر عنه الثلاثة تقديسات، التي هي ترنيمة السيرافيم الذين يُمجِّدون أبديًّا الثالوث القدُّوس أمام العرش السماوي.

يكتب القدِّيس يوحنا ذهبي الفم قائلًا:

[يصبح الإنسان وكأنَّه قد انتقل إلى السماء نفسها، يقف الإنسان بالقرب مِن عرش المجد، وهو يطير مع السيرافيم، يُسبِّح الترنيمة الأكثر قداسة] .

يقول جان دانييلو Jean Danielou:

"نحن لا نعود نكون بعد على الأرض، لكن ... في السماء. وقد استُعيد الإنسان بالمعموديَّة إلى الخلقة الملائكيَّة التي سقط عنها بالخطيَّة. هذا المُعمَّد الجديد يمكنه مرَّةً أُخرى أنْ يجعل صوته يتَّحد مع أصوات الملائكة، كما يمكنه أنْ ينضمَّ إلى العبادة الرَّسمية للخليقة، والتي يكون فيها الملائكة حاضرين؛ وفي قلب هذه العبادة، يكون عمل المسيح الكهنوتي في آلامه وقيامته".

يضيف الأب ألكيفيادس كاليفاس Fr Alkiviadis Calivas ويقول:

"الليتورجيًّا الإلهيَّة تحتفي بتدفُّق الحياة الأبديَّة إلى وجودنا الفاني، وإلى ذلك الوجود الجسدي، وتلغي موتنا ... الحياة المستقبليَّة تكون مغمورةً في الحياة الحاضرة ومُمتزجة بها، حتى تنتقل بشريَّتنا الساقطة إلى البشريَّة المُمجَّدة التي لآدم الجديد، المسيح ... كلُّ ليتورجيَّة إلهيَّة هي استمرارٌ لسرِّ البنطيقستي. إنه تجديدٌ وتأكيدٌ لمجيء الروح القدس الحاضر دائمًا في الكنيسة" (المجلة اللاهوتيَّة الأرثوذكسيَّة، ١٩٨٤م).

The Greek Orthodox Theological Review, Winter, 1984.

صلاة الابتهال لاستدعاء الروح القدس، ليُحوِّل الخبز والخمر إلى جسد المسيح ودمه، تكون كنتيجةٍ لمُشاركتنا لحضور المسيح خلال الليتورجيًّا المقدَّسة. وهكذا عُرفت الليتورجيًّا كَسِرِّ حضور المسيح الخلاصي الدائم بيننا.

(٤) الليتورجيًّا كسماء على الأرض:

يُخبرنا علماء الليتورجيًّا غير الأرثوذكس، أنَّ الكنيسة الأرثوذكسيَّة حفظت الروح الليتورجيَّة للكنيسة الأولى، وتستمرُّ للعيش بها وتستمدُّ الحياة مِن مصدرها وينبوعها.

ولأنَّ الأرثوذكس ينظرون إلى الكنيسة "كسماء على الأرض"، صارت وجهة النظر التي يؤكِّدها الآباء اليونانيون، أنَّ الليتورجيًّا أصبحت أيقونة للّيتورجيَّة السماويَّة التي وُصِفَت في الرسالة إلى العبرانيين وفي رؤيا يوحنا اللاهوتي.

وبحسب كلمات الأب روبرت تافت Fr. Robert Taft، فهو يقول:

"يرى الغربيُّون أنَّ الليتورجيًّا وسيلةٌ لإعداد المسيحي المُناضل "ليُجاهد الجهاد الحَسَن"... بينما ينظر الشرقيُّون إليها أنَّها مُشاركة المجتمع الليتورجي المُتجلّي في فصح الله، المُشاركة في الانتصار الأبدي للفصح الإلهي الإنساني مِن الموت إلى الحياة".

نحن نحتاج أنْ نتذكَّر أنَّ أعضاء الوفد الروسي في القرن العاشر قد اعتنقوا المسيحيَّة، ليس بالحجج اللاهوتيَّة أو العقائد؛ بل بروعة الليتورجيًّا داخل كاتدرائية آجيًّا صوفيًّا. لقد وجدوا في الليتورجيًّا أنَّ المسيح يأتي إليهم: مِن خلال الكلمة، من خلال الصورة، من خلال الأسرار المقدَّسة.

(٥) الليتورجيًّا كظهورٍ إلهيٍّ:

الليتورجيًّا هي ظهورٌ إلهيٌّ، فهي تجلٍّ لله أو ظهورٌ له.

يصف البروفيسور بيتر بوتينيف كيف يُبجَّل ويُحتَرَم كتاب الإنجيل مِن الأرثوذكس، فيقول:

"كتاب الإنجيل الذي يوضع دائمًا على مائدة المذبح، هو نفسه أيقونة المسيح. أحيانًا يُغلَّف في معادن ثمينة ومجوهرات، ودائمًا يحمل صُورًا لصلب المسيح وقيامته، لأنَّ الكلمات الموجودة بداخله هي أيقونةٌ نصِّيَّةٌ للمسيح. هذا الكتاب هو محور المواكب الليتورجيَّة المهيبة؛ خصوصًا أثناء خدمة صلاة السَّحَر (باكر) يوم الأحد، ويُحْضَر إلى الخارج للتبجيل والاحترام مِن الناس. هذا يعني أنَّنا نُقبِّله كما نفعل مع الأيقونات والأشياء المحبوبة الأخرى. يقف كلُّ شخص أثناء قراءة الإنجيل، ويخلع الأساقفة والرهبان والخُدَّام الآخرون أغطية رؤوسهم. وليس من المستغرب في بعض الكنائس، أنْ ترى الناس ينحنون أو يركعون أحيانًا، وأحيانًا يدمعون أو يبكون

أثناء قراءة الكتاب المقدَّس"[٢].

كَتَب الأب روبرت تافت Fr. Robert Taft يقول:

"الغرض مِن إعلان خلاص الله، هو جَعْل الإنسان قادرًا على الحياة مع الله، والليتورجيًّا هي الأساس المُميَّز لهذه المُقابلة. إنها مكان الظهور الإلهي، حيث يدخل الإنسان إلى الحياة الإلهيَّة بالمُشاركة في سرِّ الفداء".

نحن نؤكِّد في الكنيسة الأرثوذكسيَّة أنَّ عقيدة الكفَّارة هي عقيدة ليتورجيَّة. ما فعله مخلِّصنا لنا في الغولغوثا وفي القبر، لم يُترك في الماضي البعيد؛ بل هو حاضرٌ مرَّة أخرى في الليتورجيًّا (الإفخارستيًّا) والأسرار. ونحن هناك لنُشارك في هذه الأحداث المقدَّسة.

في الجزء الأول من الليتورجيًّا، ليتورجيَّة الكلمة، يأتي إلينا المسيح كـ "لوغوس Logos"، "كلمة الله". في الجزء الثاني مِن الليتورجيًّا، ليتورجيَّة المؤمنين، يأتي إلينا كـ "حَمَل الله Lamb of God" الذي يرفع خطايا العالم. هو يأتي إلينا في كلِّ ليتورجيًّا معًا: ككلمة الله وكحَمَل الله، مُتكلِّمًا إلينا وموحِّدًا نفسه بنا.

(٦) فلنتذكَّر كلَّ ما حدث لأجل خلاصنا:

الليتورجيًّا هي البنطيقستي (حلول الرُّوح القدس)، كما أنَّها أيضًا البصخة. صلاة الاستدعاء epiclesis هي دعوة invocation الرُّوح القدس لأن يأتي ويحلَّ علينا أولًا، ثم ليحلَّ بعد ذلك على الخبز والخمر ليُحوِّلهما إلى جسد مخلِّصنا ودمه. هذه هي لحظة حلول الروح القدس في كلِّ ليتورجيًّا.

إليكم كلمات صلاة استدعاء الروح القدس:

"نسألك أيُّها الرَّبُّ إلهنا، نحن عبيدك الخطاة غير المستحقِّين، نسجد لك بمسرَّة صلاحك، ليحلَّ روحك القدُّوس علينا، وعلى هذه القرابين الموضوعة، ويُطهِّرها وينقلها ويُظْهِرها قُدْسًا لقدِّيسيك".

الليتورجيًّا تتضمَّن أكثر مِن البصخة والخمسين، إنَّها استدعاء لتذكُّر وإعادة إحياء كلِّ الأحداث المقدَّسة في تاريخ خلاصنا مرَّةً أُخرى.

---

(2) Peter Bouteneff. *Sweeter Than Honey. Orthodox Thinking on Dogma and Truth*. SVS Press. Crestwood, NY. 2006.

وكما تقول صلاة الليتورجيًّا:

"ففيما نحن أيضًا نصنع ذِكْر آلامه المقدَّسة، وقيامته مِن بين الأموات، وصعوده إلى السموات، وجلوسه عن يمينك أيُّها الآب، وظهوره الثاني الآتي مِن السموات المخوف المملوء مجدًا؛ نُقرِّب لك قرابينك...".

في الليتورجيًّا، نحن نصير **«شُرَكَاءَ الطَّبِيعَةِ الإلهيَّة»** (٢بط ١: ٤)، باشتراكنا في جسد الربِّ يسوع ودمه، كما نختبر أيضًا تذوُّق الملكوت، حين أُعلِن مِن خلال التجسُّد في بيت لحم، واستُعلِن عند حلول الرُّوح القدس يوم الخمسين.

(٧) لقاءٌ شخصيٌّ مع المسيح الحيِّ:

الليتورجيًّا الإلهيَّة ليست مجرَّد دراما مقدَّسة، أو مجرَّد وصفٍ تمثيليٍّ لأحداث الماضي، أو تصوُّر رمزي لحياة الرَّبِّ يسوع. إنَّها أكثر مِن أيِّ شيءٍ آخر، إنَّها مقابلةٌ شخصيَّة مع المسيح القائم الحي. إنَّها المكان حيث يُقابل المسيحيُّون المسيحَ في كمال عمله الفدائي، المكان حيث المسيح حاضر؛ أو الأفضل مِن ذلك، يمكن القول إنَّه يجعل نفسه حاضرًا. هذه المُقابلة الشخصيَّة مع المسيح تتمُّ مِن خلال الروح القدس في الليتورجيًّا، وهذه يُعبَّر عنها – بشكلٍ جميلٍ – في الصلوات الخاصَّة قبل التناول، حيث يدخل الشخص في حوارٍ شخصيٍّ جميل مع المُعلِّم، مُعبِّرًا عن عدم الاستحقاق، والتوبة، وأيضًا الفرح بالاتِّحاد القادم.

وفي صلاة كتبها القدِّيس يوحنا ذهبي الفم St John Chrysostome، يقول:

[أنا أومن، يا رب، وأعترف، أنَّك أنت حقًّا المسيح ابن الله الحي، الذي أتى إلى العالم ليُخلِّص الخطاة، الذين أوَّلهم أنا. وأومن أيضًا أنَّ هذا هو جسدك الطاهر، وهذا هو حقًّا دمك الكريم. فأطلب، إذن، إليك أنْ ترحمني وتتجاوز عمَّا زللتُ به، عَمْدًا أو سهوًا، بالقول أو بالفعل، عن معرفةٍ أو عن جهل. وأهِّلني لأن أتناول بلا دينونةٍ مِن أسرارك الطاهرة، لغفران خطاياي وللحياة الأبديَّة، آمين ...].

هذه الصلاة تدلُّ على مُقابلةٍ شخصيَّةٍ حقيقيَّةٍ تحدث بين المُتناول والمسيح القائم في كلِّ قدَّاس.

صلاة القدِّيس سمعان الشيخ تُرتَّل في كلِّ خدمة مساء، كما تُصلَّى مِن الآباء الكهنة في نهاية كلِّ قدَّاس. وهذه تعمل على طمأنتنا بأنَّه في كلِّ قدَّاس، نرى الرَّبَّ يسوع المُخلِّص

بأعين أرواحنا، كما رآه سمعان بعينيه الجسديَّتَين. نحن نتحدَّث إليه، وهو يتحدَّث إلينا. نحن لا نستقبله بين أيدينا كما فعل سمعان، بل داخل أرواحنا خلال سرِّ الإفخارستيَّا، ونُغادر الكنيسة ونحن مملوؤون بسلامه وفرحه.

«الآنَ تُطْلِقُ عَبْدَكَ يَا سَيِّدُ حَسَبَ قَوْلِكَ بِسَلاَمٍ، لأَنَّ عَيْنَيَّ قَدْ أَبْصَرَتَا خَلاَصَكَ، الَّذِي أَعْدَدْتَهُ قُدَّامَ وَجْهِ جَمِيعِ الشُّعُوبِ. نُورَ إِعْلاَنٍ لِلأُمَمِ، وَمَجْدًا لِشَعْبِكَ إِسْرَائِيلَ» (لو ٢: ٢٩ – ٣٢).

(٨) الاتِّصال بالله:

الحقيقة هي أنَّ بعض الناس ربَّما يعرفون عن الرَّبِّ يسوع؛ لكنَّ، الواقع، هو أنَّ العديد منهم لا يعرفه شخصيًّا. لماذا؟ لأنَّ حياتهم ليست "متَّصلة به"، ولكن إلى أنْ يتَّصلوا بالربِّ يسوع، لا يمكنهم أنْ يتوقَّعوا أنْ يعرفوه حقًّا أو يختبروا قوَّته وحضوره في حياتهم.

كلُّ واحدٍ منَّا هو على صورة الله، ويكون مثل المصباح الذي يحتاج أنْ يبقى متَّصلًا بالرَّبِّ يسوع ليُضيء، كما يلزم أنْ يظلَّ الغصن متَّصلًا بالشجرة. ما يحدث مِن خلال المعموديَّة، والتوبة، وسرِّ التَّناول، هو أنَّه تحدث المعجزة العظيمة نتيجة لذلك، ألَا وهي: الاتِّحاد مع المسيح؛ حيث حياته، وقوَّته، ونعمته، تتدفَّق في حياتنا، ويأتي المسيح ليسكن فينا، والحياة الأبديَّة تتدفق في عروقنا، ونكون مُتشبِّعين بحياة الله فينا. هنا نأتي لنعرفه شخصيًّا وكيانيًّا مِن الداخل؛ ومِن ثمَّ، تستمرُّ الإضاءة، وصورة الله فينا تسطع بكلِّ بهائها، مُمجِّدة الله.

لذلك، فإنَّه مِن خلال الليتورجيَّا، لا نعرف الله فقط، بل أيضًا نتَّحد به، لنصبح واحدًا معه في سرِّ التناول (اقرأ يوحنا ٦: كله). مِن المُثير للاهتمام أنَّه في الطريق إلى عمواس بعد قيامة الربِّ، كان التلميذان اللَّذان قابلاه يمشيان ويتحدَّثان معه كما مع غريب، ولم يتعرَّفا على هذا الغريب أنَّه هو الرَّبُّ يسوع، إلَّا عند لحظة كَسْر الخبز، أي الإفخارستيَّا (لو ٢٤ :١٣ – ٣٥).

يؤكِّد الأب جون كريسَّافجيس John Chryssavgis على أهميَّة الليتورجيَّا في مساعدتنا على معرفة الرَّبِّ والاتِّحاد به مِن خلال الإفخارستيَّا، فيقول:

"وهكذا في الروحانيَّة الأرثوذكسيَّة، السِّرُّ الأسمى هو القدَّاس الإلهي، الذي يتضمَّن الاحتفال والحضور ذاته، ووجود السماء بالتأكيد على الأرض. وهكذا يُقدِّم التَّقليد الأرثوذكسي الشرقي إطارًا روحيًّا وفكريًّا راسخًا لتأكيدٍ متوازن على

قداسة هذا العالم"[٣].

وقد علَّق الأب نيقولاس كاباسيلاس Nicholas Cabasilas (تنيَّح عام ١٣٩١م) قائلًا: "هذا هو السرُّ النهائي والقاطع الذي لا يمكن تجاوزه، ولا يمكن إضافة أيِّ شيءٍ آخَر عليه".

لماذا ذلك؟ لأنَّ الليتورجيًا، في الواقع، هي لقاءٌ جماعيٌّ، لكن أيضًا هي مُقابلة شخصيَّة مع المسيح الحي القائم مِن بين الأموات.

وهكذا يكتب أليكسي ف. نيستروك Alexei V. Nesteruk ويقول:

"لكي يفهم الإنسان أحداث وحياة المسيح، عليه أنْ يُشارك فيهما، أي أنْ يحيا مع المسيح وفي المسيح ليتورجيًّا"[٤].

وبحسب كلمات د. نيكوس نيسيوتيس Dr. Nikos Nissiotis:

"ومهما يبدو هذا الأمر مُعْثِرًا وغير مقبول: «أنْ نأكل جسده» (يو ٦: ٥١ –٥٢)، ولكنَّه هو الطريق الوحيد لنعرفه، ولنتحوَّل هذه المعرفة إلى حياةٍ فيه، أي أنْ نتصرَّف كشبهه"[٥].

يقول الأب بول إفدوكيموف Paul Evdokimov:

"فوق كلِّ شيء، فإنَّ (القدَّاس) يجعلنا كائناتٍ لاهوتيَّة. ويصير كلُّ شخص إنسانًا فائقًا ليتورجيًّا، "الخليقة الجديدة"؛ تلك التي تقول مع المزمور: «أُغَنِّي لِلرَّبِّ فِي حَيَاتِي». مثل هذا الشخص يصير إفخارستيًّا حيَّة".



(3) John Chryssavgis, *Beyond the Shattered Image*. Light and Life Publ. Co Minneapolis, MN. 2007.

(4) A.V. Nesteruk, *Light From the East.* Fortress Press. Minneapolis, M N. 2007.

(5) N.A. Nissiotis, *Interpreting Orthodoxy to Western Church Traditions*. Light and Life Publ. Minneapolis, MN. 1980.

أسرار
الحياة المقدَّسة
(٣)



"قريبٌ على الأبواب"

(مت ٢٤: ٣٣)

● **«"نَعَمْ! أَنَا آتِي سَرِيعًا". آمِينَ. تَعَالَ أَيُّهَا الرَّبُّ يَسُوعُ» (رؤ ٢٢: ٢٠).**

تمهيد:

يختتم القدِّيس يوحنا الرسول سِفْر رؤياه السَّماويَّة بهذه العبارة: «آمِينَ. تَعَالَ أَيُّهَا الرَّبُّ يَسُوعُ» (رؤ ٢٢: ٢٠). وهذه العبارة المكتوبة بالروح القدس، يبثُّها الرسول الكريم لتُعبِّر عن عِظَم اللَّهفة والرجاء والاشتياق، التي يحملها القدِّيس يوحنا البشير من جهة انتظاره لموعد مجيء الربِّ الثاني، ولقائه المُزمع أنْ يتمَّ أخيرًا. فهو يشتاق أنْ يأتي هذا اليوم عاجلًا، وينتظره بكلِّ ثقة الإيمان، وذلك من أجل سرعة لقائه بحبيب نفسه وربِّه ومُخلِّصه، والتَّمتُّع بعشرته والحياة الدائمة معه.

فالدَّافع الحقيقي للقدِّيس يوحنا مِن أجل هذا التَّرقُّب، ينبع من الثِّقة الكاملة في حتميَّة مجيء هذا اليوم، ومن الرجاء الحيِّ الذي يملأ قلب الرسول من نحو قُدومه، هذا من جهةٍ. ومن جهةٍ أخرى، ينبع من اشتياقه لحلول هذا اليوم لكي يمتلئ قلبه، بالفرح غير المُعبَّر عنه، ذلك اليوم الذي ينتظره، ليلتقي فيه الربَّ الذي أحَبَّه. وإنْ كان هذا الأمر لم يتحقَّق بعد؛ لكنَّه ينتظره ويتوقَّعه دائمًا بالصَّبر والاستعداد.

أسئلةٌ مُحيِّرة، وإجاباتٌ واضحة:

تقدَّم تلاميذ الربِّ يسوع إليه، وهو جالسٌ معهم على جبل الزيتون، وسألوه عن موعد مجيئه الثاني قائلين: «قُلْ لَنا مَتَى يَكُونُ هَذَا؟ وما هي عَلامَةُ مَجيئكَ وانقِضاءِ الدَّهرِ؟» (مت ٢٤: ٣). وعند صعود الربِّ يسوع إلى السماء، كرَّر التلاميذ السؤال لسيِّدهم؛ حيث سألوه قائلين: «... "يارَبُّ، هَل في هذا الوَقتِ تَرُدُّ المُلْكَ لإِسْرائيلَ؟". فَقَالَ لَهم: "لَيسَ لَكُم أنْ تَعرِفوا الأَزْمِنَةَ والأَوْقاتِ التي جَعلها الآبُ في سُلطانِهِ"» (أع ١: ٦، ٧). ولعَلَّ هذا السؤال يتماشى مع سؤال الفرِّيسيِّين، ذات مرَّةٍ، للربِّ يسوع أيضًا: «**مَتى يَأتي مَلكُوتُ اللهِ**» (لو ١٧: ٢٠).

ورغم مشروعيَّة هذه الأسئلة عند أصحابها، فمن اليَسير علينا أنْ نُلاحظ أمرًا هامًّا يجمع هذه التساؤلات؛ وذلك حينما نُدقِّق في معرفة الغرض من طرحها، وعَلامَ تدلُّ؟ فالتلاميذ عندما

سألوا الربَّ يسوع، قُبيل صعوده إلى السَّموات، عن رَدِّ المُلك لإسرائيل؛ فقد كشفوا عمَّا يدور في نفوسهم من ارتباطٍ باطنيٍّ بطموحاتٍ واشتياقاتٍ زمنيَّة وعاطفيَّة وقوميَّة لصورة هذا الملكوت، الذي فيه يعود شعب إسرائيل لسابق مجده وقوَّته. وفيه يعود تسلُّطهم على باقي الشعوب، بقوَّة وسلطان المسيَّا الآتي في مجيئه الثاني؛ لكي يُحيي مملكة داود الأرضيَّة الآتية باسم الربِّ، ويُقيم خيمته السَّاقطة مرَّةً أخرى، ويَردَّ لها المُلك والعَظَمة والسلطان.

وبنفس النَّظرة والتحليل، نُدرِك أنَّ سؤال الفرِّيسيِّين للربِّ يسوع عن **"موعد مجيء ملكوت الله"**، كان بنفس الدافع والفَهْم الذهني عندهم لمعنى هذا الملكوت، من حيث ارتباطه بحُلم عودة مجد إسرائيل الأرضي، وارتفاعهم فوق الأُمم وخلاصهم، وربَّما كان يَنمُّ عن أحلامٍ تُراودهم عن تحقُّق ما يُعرَف بـ **"المُلك الألفي"** على الأرض، وهو أبعد ما يكون عن غاية الربِّ لهم، أو عن معنى وغاية مجيء الربِّ الحقيقي مرَّةً أخرى.

إذن، فالسؤال عن مجيء الربِّ الثاني كان سؤالًا خادعًا، ولم يُعبِّر بدقَّةٍ عن الرَّغبة في معرفة الزمن الحقيقي لهذا المجيء، بل كان مُرتبطًا برجاءٍ أرضيٍّ محدود، ويسعى لمعرفة وإضافة علاماتٍ وقرائن وأحداثٍ تَعضُدَه، ويبحث عن إجاباتٍ تُشبع هذا الشَّغف الأرضي، في تحقيق هذه الطموحات الأرضيَّة على أرض الواقع.

لذلك، كانت إجابات الربِّ يسوع واضحةً وقاطعةً، من بدء إجابته على هذه التساؤلات بالتأكيد على ضرورة **مجيء هذا اليوم بَغتةً وبمُفاجأة**؛ ثمَّ أتْبع بعد ذلك، بأنْ أعطى بعض الإشارات والعلامات للفاهمين والفاحصين الكُتُب، بدون تحديدٍ قاطعٍ ومُحدَّد للأزمنة، حتى يُدرك أصحاب الإفراز والفَهم الروحي مَغزَى هذه العلامات، فيستعدُّون لمُقابلتها بتعقُّلٍ وتوبةٍ صادقة، ويتلاقون مع هذا اليوم بفرحٍ واشتياق. لذلك، أطلق الربُّ يسوع بعض العبارات الواضحة لسائليه مثل: «**لا يَأْتِي مَلَكُوتُ اللهِ بِمُرَاقَبَةٍ**» (لو ١٧: ٢٠)، ولتلاميذه: «أَمَّا ذلكَ الْيَوْمُ وَتِلكَ السَّاعَةُ **فَلا يَعْلَمُ بِهِمَا أَحَدٌ**، وَلا مَلائِكَةُ السَّمَاوَاتِ، **إِلَّا أَبِي وَحْدَهُ**» (مت ٢٤: ٣٦).

وأيضًا قوله: «**لَيْسَ لَكُمْ أَنْ تَعْرِفُوا الأَزْمِنَةَ وَالأَوْقَاتَ** الَّتِي جَعَلَهَا الآبُ فِي سُلْطَانِهِ» (أع ١: ٦، ٧).

وقبل أن يُعطي السيِّد ردوده المُباشرة للسَّائلين عن موعد مجيئه الثاني وانقضاء الدهر، أعطاهم أيضًا، في أحاديثه وحواراته السابقة معهم، الكثير من الأمثلة والتَّشبيهات المُتعدِّدة التي تُشير لحدوث هذا المجيء بغتةً وبدون إنذار؛ إذ شبَّهه **بالمخاض للحُبلى، وبالسَّارق** الذي يأتي

في ساعةٍ غير معروفة من الليل، وأنَّ هذا اليوم سوف **يأتي بَغتَةً كما البَرْق** ولا يُمكن توقُّعه وفي ساعةٍ لا يظنُّها الناس. كذلك فإنَّ يوم مجيء الربِّ سيأتي، ربَّما، **في أعمق ساعات نوم الإنسان واسترخائه ولَهوِه**، مثلما حدث مع الناس في الطوفان أيام نوح، وهو ما أشار له السيِّد بقوله: «**وَصَلُّوا لِكَيْ لا يَكُونَ هَرَبُكُمْ فِي شِتَاءٍ**» (مر ١٣: ١٨).

هل معرفة يوم مجيء الربِّ هي التي تُنجِّي، أم الاستعداد له؟

أكَّد الربُّ يسوع في كلِّ أحاديثه وأمثلته وأقواله، على حقائق حتميَّة وهامَّة لا مَفرَّ من حدوثها، لا بدَّ لنا من معرفتها قبل المجيء الثاني للربِّ، حيث سنقف جميعًا أمام وجه الربِّ الديَّان العادل، كما يُعبِّر داود النبي بالروح عن هذا، فيقول: «أينَ أذهَبُ مِنْ روحِكَ؟ ومِنْ وجْهِكَ أينَ أهرُبُ؟» (مز١٣٩: ٧)

لذلك، قدَّم الربُّ يسوع لسامعيه أمثلة الغَني ولعازر، والعذاري الحكيمات، ومَثَل الامرأتين اللَّتين تطحنان على الرَّحى، وغيرها من الأمثلة؛ وكلُّها بغرض الإشارة لحدوث هذا المجيء الثاني بغتةً، وضرورة أَخْذ العِبَر والاستعداد لاستقبال هذا اليوم بفرحٍ، وذلك بالسَّهر والصلاة والاستعداد بالتَّوبة والأعمال الصالحة (زيت النِّعمة)، لنكون مُؤهَّلين لاستقبال العريس السماوي.

ومن أهمِّ الحقائق التي أراد الربُّ يسوع إظهارها لنا والتأكيد على أهميَّتها ما يلي:

١. **إنَّ هذا اليوم وهذه الساعة لا يعلم أحدٌ بهما**، لأنَّها من اختصاص الآب وحده؛ كما ذُكر في إنجيل القدِّيس متَّى البشير (انظر مت ٢٤: ٣٦)، وأيضًا قول الربِّ عن عدم معرفة هذه الساعة ولا للابن أيضًا (ابن الانسان، وهو في تدبير تجسُّده)، إلَّا للآب، على لسان مرقس البشير في (مر٣: ٣٢).

٢. **إنَّ هذا اليوم يأتي بَغتةً**: فهذا اليوم يظهر **كما البَرق في السماء**، خارجًا من المشارق ليظهر في المغارب؛ هكذا أيضًا، يكون مجيء ابن الإنسان (انظر مت ٢٤: ٢٧). وكمثل **السَّارق** الذي يأتي في ساعةٍ غير معروفة من الليل؛ هكذا يكون **مجيء الربِّ** (انظر مت ٢٤: ٤٣).

٣. **هذا اليوم قريبٌ على الأبواب (لكلِّ إنسان)**: فمجيء الربِّ الثاني يقف على أعتاب حياة كلِّ إنسانٍ خلال أيام غُربته على الأرض. ولعلَّ قوْل الربِّ يسوع عن عدم انقضاء هذا الجيل من دون تحقُّق أو وقوع أقواله عن أحداث الزمان الأخير ومجيئه الثاني، التي ذكرها لتلاميذه؛ يعود إلى أنَّ هذه الأقوال تنصرف أيضًا – ليس فقط على تحقُّق

العلامات الزمنيَّة والأحداث التاريخيَّة والمرئيَّة لهذه الأحداث، والتي تحقَّقت جُزئيًّا أيام خراب أورشليم عام ٧٠ ميلاديَّة – بل هي تَنطَبقُ أيضًا، وبصورةٍ أعمق وأَشْمَل، على عُمر الإنسان وحياته على الأرض؛ إذ إنَّ انتهاء عُمر الإنسان نفسه يُمثِّل ساعة مقابلته للربِّ، أي كأنَّ مجيء الربِّ قد وافاه حينها، وصار واقفًا بالفعل أمام كرسيِّ الله الديَّان العادل بالفعل. إذن، **فالعِبرَة هي بالاستعداد وليس بالمعرفة!**

٤. **لا بدَّ أوَّلًا، من انتشار الإنجيل والكرازة به في جميع الأُمم قبل مجيء الربِّ الثاني**(انظر: مر ١٣). وهناك **بعض العلامات والظواهر الكَوْنيَّة، والاضطرابات والأحداث الاجتماعيَّة والسياسيَّة المُزعجة التي لا بدَّ مِنْ حدوثها**، وهي تسبق مجيء الربِّ الثاني، ويُدركها الفاهمون والمُترقِّبون بشوقٍ واشتياقٍ سرعة مجيء الربِّ. وإن كانت هذه العلامات تبدو مُتشابهة في بعض ملامحها ومظاهرها الخارجيَّة، عَبرَ أجيال البَشَر؛ إلَّا إنَّها تتعاظم تدريجيًّا في أعين الأجيال والخائفين الله، فتدفعهم بالأكثر، إلى التَّعقُّل والاهتمام والاستعداد الحَسَن لمُلاقاة هذا اليوم الرهيب بوجوهٍ لامعةٍ فَرِحة، مُشتاقة لسرعة اللِّقاء مع الربِّ، كتعبير يوحنا الرسول: «آمِين. تَعَالَ أَيُّهَا الرَّبُّ يَسُوعُ» (رؤ ٢٢: ٢٠)، وهتاف بولس الرسول: «لِيَ اشْتِهَاءٌ أَنْ أَنْطَلِقَ وَأَكُونَ مَعَ الْمَسِيحِ، ذَاكَ أَفْضَلُ جِدًّا» (في ١: ٢٣).

٥. الأهميَّة القُصوَى **للسَّهر والصلاة والاستعداد الكامل والدائم، لأنَّ فيها تتمثَّل الإجابة الشَّافية والحلُّ العملي** لنا، لمُقابلة هذا الحدث واليوم العظيم، يوم المجيء الثاني للربِّ يسوع. **فالإيمان والثقة** هما الجسر الذي نعبُر من خلاله فوق كلِّ سيناريوهات الأحداث المملوءة اضطرابًا وضيقاتٍ وآلام، لكي نهرب عليه ونَعبُر إلى شاطيء النَّجاة، ونلتقي بالربِّ يسوع. كما أنَّ الرجاء الحيَّ لنا في الحياة الآتية مع الله، تُمثِّل بداية طريق عبورنا من عالم الآلام، وهو الذي يُضرم فينا جذوة الاشتياقات المُقدَّسة التي تدفعنا للاستعداد لمُلاقاة هذا اليوم، يوم اللِّقاء مع الربِّ. فوصيَّة الربِّ الذَّهبيَّة بخصوص هذا اليوم، هي حتميَّة السَّهر والتَّوبة والاستعداد القلبي بالحياة المُقدسة، **لأنَّه في ساعةٍ لا نعرفها يأتي الربُّ** ليُعطي كلَّ واحدٍ حسب أعماله (انظر مت ٢٤: ٤٢، ٤٤).

خُلاصة الأمر: إنَّ الحقيقة الأكيدة الواجب معرفتها عن موعد المجيء الثاني، أنَّه سيأتي بَغتةً في حياة كلِّ إنسان؛ لذلك تعاظمت جدًّا أهميَّة السَّهر والاستعداد له، وصارا هما الأمر الأخطر والأجْدَر بالاهتمام بالنسبة لنا. وانتفت أهميَّة وقيمة مُحاولة معرفة زمان حدوث هذا المجئ

الثاني، بل صار علينا توجيه بوصلة جهادنا وسعينا نحو التَّأهُّب والاستعداد لهذا اليوم باشتياقٍ ورجاء؛ حسب قول الروح القدس على فم القدِّيس متَّى البشير: «والمُسْتَعِدَّاتُ دَخَلنَ مَعَهُ إِلَى العُرْسِ، وأُغْلِقَ الْبَابُ» (مت ٢٥: ١٠)، وأيضًا قول المزمور: «الَّذِينَ يَزْرَعُونَ بالْدُّمُوعِ يَحْصُدُونَ بالابتِهَاجِ» (مز ١٢٦: ٥).

ختام:

نحن الآن، في الأزمنة الأخيرة، وكلُّ الدلائل تُشير إلى قُرب موعد مجيء الربِّ؛ وذلك بحسب ما نراه من تراكُم العلامات والأحداث المُحيطة بنا. وجميع هذه الأمور تدعونا وتُحفِّزنا للاستعداد والتَّأهُّب للرحيل المُفاجئ لكلِّ واحدٍ مِنَّا؛ كقول الربِّ يسوع: «مَتَى رَأَيْتُمْ هَذَا كُلَّهُ **فَاعْلَمُوا أَنَّه قَرِيبٌ عَلَى الأَبْوَابِ**» (مت ٢٤: ٣٣). لأنَّ مُلاقاة هذا اليوم ستكون مُفاجئة لكلِّ إنسان، وسوف تحدث له بَغتةً، وتصير له حقيقة واقعة يوم استدعائه، بِغضِّ النَّظر عن كلِّ معرفته وتوقُّعاته وحساباته النظريَّة؛ وعندها سوف يُستَعلَن قدَّامنا قيمة الوَعد الإلهي: «والْمُسْتعِدَّاتُ دَخَلْنَ مَعَهُ إِلَى الْعُرْسِ» (مت ٢٥: ١٠).

والآن، هوذا الصَّوت صارخٌ لنا في بريَّة هذا العالم، لكي نُعِدَّ لأنفسنا طريقًا يقودنا للقاء الربِّ في مجيئه الثاني؛ بالصلاة والسَّهر، وبالتوبة والأعمال الصالحة والصَّبر، وكذلك بالاشتياق والرجاء الصادق والدائم، طالبين ومُترجِّين سرعة مجيء يوم الربِّ. مُنصتين لكلمات الروح القدس لنا: «انظُروا! اسهَروا وصَلُّوا» (مر ١٣: ٣٣ - ٣٧)، وأيضًا: «فَاسْهَرُوا إِذًا لِأَنَّكُم لا تَعْرِفُونَ الْيَومَ ولا السَّاعَةَ الَّتِي يَأتِي فِيهَا ابْنُ الإِنْسَانِ» (مت ٢٥: ١٣)، وأيضًا: «ولَكِنْ الَّذِي يَصْبِرُ إِلَى الْمُنْتَهَى فَهَذَا يَخْلُصُ» (مر ١٣: ١٣)، وكذلك تحذير الربِّ، كما ذكره القدِّيس مرقس البشير لنا، من البرودة الروحيَّة والغفلة والاسترخاء، حسب قوله بالروح: «وصلُّوا لكَيْ لا يكونَ هَرَبُكُم في شِتاءٍ» (مر ١٣: ١٨).

انتظر الربَّ، يا أخي، تشدَّد وانتظر الربَّ، تشجَّع وجاهد واسْهر وتَيقَّظ، مثل: الرُّعاة السَّاهرين على رعاية قطعانهم، والعبيد السَّاهرين المُنتظرين مجيء سيِّدهم؛ والعذارى الحكيمات اللاتي أَصلَحن مصابيحهن، وملأنَ آنية قلوبهن وعقولهن وأجسادهن بزيت النِّعمة والطهارة والقداسة والبهجة والسِّيرة المقدَّسة، لكي يستقبلن عريسهن الحقيقي؛ فتنضم هذه الحكيمات إلى السَّاجدين الحقيقيِّين لله بالروح والحقِّ، والسَّاهرين على حراسة قلوبهم وأجسادهم من هجمات السَّارق الشرير، لئلَّا يتسلَّل إلى حياتهم، ويُفسِد ثمار كرومهم.

بحث تاريخي

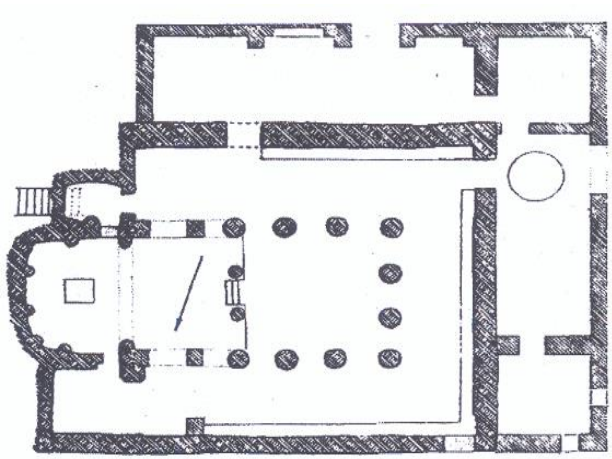
أهم أديرة وكنائس السيِّدة العذراء الأثريَّة بالوجه القبلي في مصر

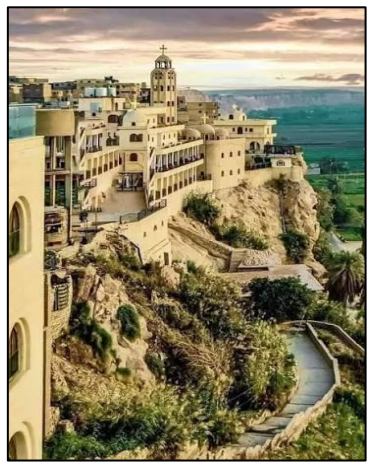
(٢)

الأستاذة الدكتورة/ شيرين صادق الجندي
أستاذ الإرشاد السياحي والآثار والفنون القبطيَّة
بكلية الآداب – جامعة عين شمس

٧ – دير العذراء جبل الطير:

يُعَدُّ دير جبل الطير واحدًا من أهمِّ وأقدم الأديرة القبطيَّة الأثريَّة في مصر[١] **(الشكل رقم ٨)**، والذي يُشار إليه دائمًا عند الحديث عن مجيء العائلة المقدَّسة إلى أرض مصر طبقًا للتقليد القبطي الأرثوذكسي. ونظرًا لأهميَّة هذا الدير التاريخيَّة والمعماريَّة والفنيَّة، كتب عنه كثيرٌ من المؤرِّخين، وبالأخصِّ الشابشتي في القرن العاشر الميلادي، وأبو المكارم في القرن الثاني عشر الميلادي، والمقريزي في القرن الخامس عشر الميلادي.





(الشكل رقم ٨) منظر خارجي لدير العذراء جبل الطير. نقلًا عن: =www.google.com/url?sa=t&source=web&rct=j&url والتخطيط المعماري لكنيسة العذراء بدير جبل الطير، نقلًا عن: الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، "القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٤٤.

(1) P. Grossman, "Dayr al-Adhra' ", *CoptEnc*., vol.3, 1991, 715a-715b;
الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٤٤.

كما أشار إليه كذلك كثيرٌ من الرحَّالة وعُلماء الآثار والباحثين المُحدثين والمُعاصرين. وذُكِر دير العذراء مريم جبل الطير أيضًا في ميامر العائلة المقدَّسة. لذا يتردَّد عليه الزائرون طوال العام، وبالأخصِّ أثناء الاحتفال بعيد دخول العائلة المقدَّسة أرض مصر، وكذلك أثناء الاحتفالات السنويَّة لأعياد السيِّدة مريم العذراء للتَّشفُّع بها ولنيل بركتها. وسبقت لنا الإشارة بالتفصيل إلى هذا الدير الهام في مقالتنا المنشورة عام ٢٠٢٥م[٢].

ويُطِلُّ هذا الدير المُشيَّد في غرب قرية جبل الدير شرق سمالوط في محافظة أسيوط على بُعْد حوالي كيلومترين جنوبًا، على معدِّية بني خالد على نهر النيل؛ لذا تُحيط به كثيرٌ من المساحات الخضراء الشاسعة والمناظر الطبيعيَّة الجميلة على ضفَّتَي النهر.

وكنيسة الدير الأثريَّة هي كنيسة صخرية. ويُعتَقَد أنها كانت في الأصل جزءًا من إحدى المقابر المصريَّة القديمة أو الرومانيَّة، ثم تحوَّلت فيما بعد إلى كنيسةٍ قبطيَّة، كما حدث في كثيرٍ من المواقع الأثريَّة المصريَّة القديمة، لا سيَّما بعد أن أصبحت الديانة المسيحيَّة هي الديانة الرسميَّة في مصر.

وتتكوَّن هذه الكنيسة من صالةٍ مُستعرَضة في الغرب يليها ثلاثة أروقة، أكثرها اتِّساعًا الرواق الأوسط. ويكتنفه الرواقان الشمالي والجنوبي. ويفصلهما عنه صفَّان من الدعامات. وبخلاف ما هو مُتعارَف عليه، توجد معموديَّة الكنيسة داخل إحدى هذه الدعامات، وهي استثناء فريد من نوعه لوضع المعموديَّات في سائر الكنائس القبطيَّة في مصر. وبجوار الجدران الداخلية للكنيسة، توجد مصاطب ليجلس عليها الشيوخ. ويرتفع مستوى خورس الكنيسة عن صحنها بعدَّة درجات. ويلي الخورس الثلاثة هياكل الشرقيَّة.

وفي الهيكل الصخري الأوسط توجد بعض الحنيات. وأمام مدخل الكنيسة الغربي، يوجد حوض لقَّان دائري الشكل، تُزخرِف أحجاره أشكال آدميَّة للسيِّد المسيح والرُّسُل، بالإضافة إلى بعض الزخارف النباتيَّة كالكرمة وبعض الرموز المسيحيَّة الأُخرى كالأسماك، وكلُّها من رموز السيِّد المسيح. وأثناء أعمال التطوير في هذه الكنيسة، تمَّ استبدال سقفها القديم بسقفٍ آخر مسلَّح. كما تمَّت تعليتها بطابقٍ آخر في أوائل القرن العشرين.

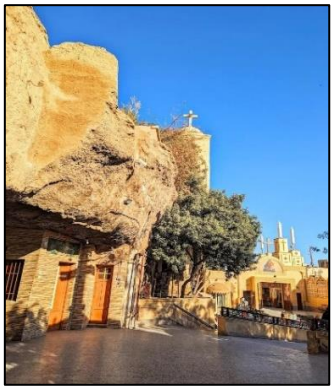
(2) Sherin Sadek El Gendi, "Le Monastère de Gabal al-Tair: Histoire, Architecture et Art*", Journal of the General Union of Arab Archaeologist (JGUAA2)* 10/1, (January 2025), 159-173.

٨ – كنيسة العذراء ببني عدي:

توجد حاليًّا كنيسة العذراء في قرية بني عدي الجنوبية الواقعة على بُعْد عشرة كيلومترات في الناحية الغربية من منفلوط في محافظة أسيوط[٣]. ومن المُرجَّح أن هذه الكنيسة ترجع إلى القرن الثامن عشر الميلادي – التاسع عشر الميلادي. وتخطيطها المعماري يتكوَّن من اثنتي عشرة قبَّة. وتتميَّز قباب الكنيسة بوجود فتحات دائريَّة كثيرة للتهوية وللإضاءة. كما أن بداخل الكنيسة ثلاثة أروقة، وخورس خُصِّص للسيِّدات، وله باب خاص يؤدِّي إلى خارج الكنيسة. وعلى غرار كثير من الأديرة والكنائس القبطيَّة، تُزيِّن الأيقونات الجدران الداخليَّة لكنيسة العذراء ببني عدي، والتي يتطلَّب وضعها الراهن سرعة ترميمها.

٩ – دير العذراء بدرنكة:

يُعتَبَر دير درنكة أو أدرنكة من أهمِّ وأقدم الأديرة الصخريَّة المُعلَّقة في مدينة أسيوط في صعيد مصر[٤]، حيث يرتفع مستوى أرضيَّته حوالي مائة متر عن مستوى سطح الأراضي الزراعية المُحيطة به **(الشكل رقم ٩).**



(الشكل رقم ٩) دير العذراء بدرنكة في أسيوط. نقلًا عن: https://www.facebook.com/photo?fbid=

ويحتوي هذا الدير الأثري على عدَّة كنائس أقدمها كنيسة المغارة التي ترجع إلى القرن الأول الميلادي. كما توجد خمسة أدوار حديثة البناء بها مبانٍ دينية وخدمية، بالإضافة إلى مضيفة الدير.

وعلى مدار العام، يتردَّد الأقباط على زيارة هذا الدير الهام والمُحبَّب إلى قلوبهم باستمرار، لنيل بركة العذراء وللتَّشفُّع بها وللاحتفال بأعيادها المختلفة، إلى جانب أعياد قبطيَّة أخرى، مثل: عيد دخول العائلة المقدَّسة أرض مصر، حيث تتنوَّع مظاهر الاحتفال بكلِّ عيد من هذه الأعياد، والتي يحرص الزائرون بمختلف فئاتهم العُمريَّة على المُشاركة فيها.

---

(٣) الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٦٤؛ شيرين صادق الجندى، "أديرة وكنائس *منفلوط الأثريَّة* (١)"، *مجلة مرقس*، العدد (٦٦٦)، مطبوعات دير الأنبا مقار، وادى النطرون (سبتمبر ٢٠٢٥)، ص ٤٢ – ٤٥؛ (٢)، العدد (٦٦٧)، (أكتوبر ٢٠٢٥)، ص ٤٢ – ٤٦.

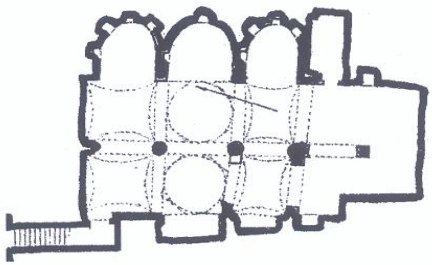
(٤) الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٧٠ – ١٧١.

١٠ – كنيسة العذراء بالبلينا:

شُيِّدت كنيسة العذراء مريم في الحي القديم بالبلينا في محافظة سوهاج **(الشكل رقم ١٠)**[٥]. ومثلها مثل كثير من الكنائس القبطيَّة الأثريَّة الأخرى، ينخفض مستوى أرضيَّتها عن مستوى أرضيَّة الشارع بحوالي ثلاثة أمتار. ويوجد سُلَّم يؤدِّي إلى مدخل الكنيسة في الناحية الشماليَّة الغربيَّة منها. وبداخلها ثلاثة هياكل شرقيَّة وحجرة جنوبيَّة وصحن في منتصفه عمودان ودعامتان. وعُثِر في هذه الكنيسة على مجموعةٍ نادرة من المخطوطات القبطيَّة وعددٍ كبير من الأيقونات القديمة.

ويعتَقِد البعض أنَّ البابا بنيامين الأول البطريرك القبطي رقم ٣٨ (٦٢٣ – ٦٦٢م) قد اختبأ في كنيسة العذراء بالبلينا بعد هروبه من الملكانيِّين. وتوجد كنيسة أخرى مجاورة أحدث، وهي من القرن التاسع عشر الميلادي. وبداخلها حامل أيقونات خشبي كبير من قطعةٍ واحدة ومُطعَّم بالعاج، قوام زخرفته الأطباق النجميَّة.





(الشكل رقم ١٠) كنيسة العذراء مريم بالبلينا من الداخل. نقلًا عن: https://www.google.com/url?sa=t&source=web&rct=j&url والتخطيط المعماري لنفس الكنيسة، نقلًا عن: الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٨٩ – ١٩٠.

١١ – دير العذراء بالحواويش بأخميم:

يوجد هذا الدير القبطي على بُعْد ما يقرب من أربعة كيلومترات شرق قرية الحواويش التي تبعد حاليًّا اثني عشر كيلومترًا عن الجنوب الشرقي لمدينة أخميم في شرق مدينة سوهاج **(الشكل رقم ١١)**، وقد سبق وأن أشرنا إليه في مقالتنا المنشورة سنة ٢٠٢٣م[٦].

---

(٥) الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٨٩ – ١٩٠.

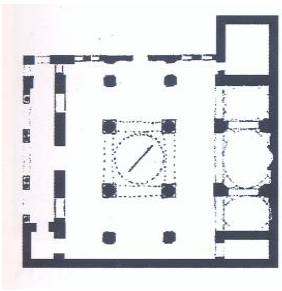
(٦) الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٨٤– ١٨٥؛ شيرين صادق الجندي، "أديرة وكنائس أخميم الأثريَّة (١)"، مجلة مرقس، العدد (٦٤٤)، مطبوعات دير القدِّيس أنبا مقار، بوادي النطرون (مايو ٢٠٢٣)، ص ٣٩–٤٢؛ "(٢)"، العدد (٦٤٦)، (سبتمبر ٢٠٢٣)، ص ٤٦ – ٥٠؛ "(٣)"، العدد (٦٤٧)، (أكتوبر ٢٠٢٣)، ص ٣٨ – ٤٢.



(الشكل رقم ١١) منظر من الداخل لكنيسة دير العذراء بالحواويش بأخميم. نقلًا عن:
https://www.coptstoday.com/Christian-Themes/Detail.php

١٢ – كنيسة السيِّدة العذراء مريم في المنشأة بمدينة سوهاج[٧]:

شُيِّدت كنيسة العذراء على بُعْد ١٦ كم تقريبًا في الناحية الجنوبيَّة من مدينة سوهاج في ذات موقع الكنيسة الأصليَّة القديمة **(الشكل رقم ١٢).** ومبنى الكنيسة الحاليَّة به ثلاثة هياكل شرقيَّة، بالإضافة إلى حجرتَين جانبيَّتَين، مِمَّا يجعلها تتشابه مع كنائس مدينة أخميم الأثريَّة. وفي منتصف صحن الكنيسة، توجد أربعة أعمدة دائرية يعلوها كلها قبَّة خشبيَّة كبيرة تُغطِّي الصَّحن.





(الشكل رقم ١٢) كنيسة العذراء بالمنشأة في سوهاج من الداخل. نقلًا عن:
https://www.facebook.com/church.stmary.Sohag
التخطيط المعماري لكنيسة العذراء مريم لذات الكنيسة، نقلًا عن: الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٨٩.

الخاتمة:

مِمَّا سبق، تتعدَّد الأديرة والكنائس الأثريَّة القبطيَّة التي شُيِّدت للسيِّدة مريم العذراء في صعيد

(٧) الأنبا صموئيل، *"دليل الكنائس والأديرة في مصر"*، القاهرة، ٢٠٠٢، ص ١٨٩.

مصر منذ أقدم العصور المسيحيَّة. كما تتنوَّع أساليبها المعماريَّة والفنيَّة، وتختلف مساحاتها والمباني المُكوِّنة لها. وقد اكتُشِف في داخل كثير من هذه المباني الأثريَّة العديد من التُّحف الفنيَّة النادرة كالمخطوطات والأيقونات، والتُّحف الخشبية التي تُزيِّنها موضوعات وعناصر زخرفيَّة من العهدَيْن القديم والجديد؛ بالإضافة إلى بعض الزخارف النباتيَّة والهندسيَّة، وأيضًا الرموز المسيحيَّة كالكرمة والصلبان، وكلها من رموز السيِّد المسيح، إلى جانب بقايا بعض الكتابات اليونانيَّة والقبطيَّة والعربيَّة.

وحديثًا، بُنِيَت أديرة وكنائس كثيرة للسيِّدة العذراء مريم، ربما كمبانٍ مُستقلَّة أو مُلحقة بالكاتدرائيات والإبراشيات الجديدة في مختلف محافظات الوجه القبلي في مصر. وفي كلِّ هذه المنشآت القبطيَّة، تُقام الاحتفالات السنويَّة بأعياد السيِّدة العذراء مريم في مواعيد ثابتة ومحدَّدة، ويحرص الكثير من الزائرين على حضورها والمُشاركة فيها والاستمتاع بها.

****

قد حوَّل ميلادنا إلى نفسه

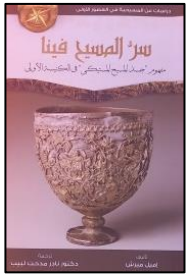
للقدِّيس أثناسيوس الرسولي

[لمَّا وُلِدَ جسده من والدة الإله مريم قيل عنه إنه هو الذي وُلِدَ،
مع أنه هو المانح الآخرين الميلاد ليوجدوا.
وكان ذلك لكي يحوِّل إلى نفسه ميلادنا، فلا نمضي فيما بعد إلى التراب كمجرَّد ترابيين،
بل كمتَّحدين بالكلمة الذي من السماء، نؤخذ إلى السماء بواسطته.
وعلى نفس النَّهج، قد حوَّل إلى نفسه بقية انفعالات الجسد أيضًا،
ولم يكن ذلك جزافًا، بل لكي لا نبقى فيما بعد كمجرَّدِ بشرٍ،
بل كأخصَّاء الكلمة نشترك في حياته الأبديَّة.
فإننا لا نموت فيما بعد كما يحقُّ لميلادنا الأول في آدم،
بل لأن ميلادنا مع سائر ضعفاتنا الجسديَّة قد تحوَّلت جميعًا للكلمة،
فإننا ننهض من التراب، وتبطل عنَّا لعنة الخطية،
بسبب ذاك الذي فينا، الذي صار لعنةً لأجلنا.
لأنه كما أننا لكوننا جميعًا من التراب نموت في آدم؛
هكذا حينما نولد من جديد من فوق من الماء والروح،
فإننا ننال الحياة في المسيح؛
ليس بعد بجسدٍ ترابي، بل بجسدٍ تطبَّع بطباع الكلمة،
بسبب كلمة الله الذي صار جسدًا من أجلنا].

(ضد الأريوسيين ٣: ٣٣)

****





سرُّ المسيح فينا

مفهوم "جسد المسيح المستيكي" في الكنيسة الأولى[١]

✠✠✠

يُشير عنوان هذا الكتاب: "سرُّ المسيح فينا"، إلى السرِّ الذي هو قصد الله ومسرَّته قبل تأسيس العالم، وهو أنَّ المؤمنين صاروا في وحدةٍ حقيقيَّةٍ مع المسيح وفي المسيح، وحدة واقعيَّة وكيانيَّة. فالمسيح فينا ونحن فيه بشكلٍ واقعيٍّ حقيقيٍّ. كذلك نحن واحدٌ فيه بشكلٍ واقعيٍّ وحقيقيٍّ، كما هو واحدٌ مع الآب.

والاتِّحاد المستيكي في المسيح يتمُّ على مرحلتين:

(أ) **التجسُّد:** حيث صار لنا وجودٌ مستيكيٌّ في المسيح "كطبيعة" (وليس كأشخاص) بسبب وحدتنا معه حسب الجسد. وهذا ما يُسمِّيه القدِّيس كيرلس الكبير: "القرابة العامة مع المسيح".

(ب) **اتِّحادنا الشخصي مع المسيح وفيه**: وذلك من خلال الروح القدس والإفخارستيَّا، فنكوِّن معه وحدةً كيانيَّة، وجسدًا واحدًا مستيكيًّا مع المسيح (الرأس)، ومن خلاله مع الثالوث القدوس؛ كما نُكوِّن وحدةً كيانيَّة فيه بعضنا مع البعض. وهذا ما يُسمِّيه القدِّيس كيرلس: "القرابة الخاصَّة مع المسيح".

أي إنَّه في التجسُّد اتَّحد الكلمة مع جسده الخاص، وبسبب وحدة هذا الجسد مع طبيعتنا البشريَّة، وحيث إنَّ المسيح هو آدم الثاني؛ فقد أصبح لنا وجودٌ كيانيٌّ في المسيح. ووجودنا الكياني في المسيح هو حقيقة مستيكيَّة **(أي سرِّيَّة وباطنيَّة ومُستَترة).**

فنحن لم نكن في المسيح كأشخاصٍ، ولكن كنَّا فيه كطبيعةٍ، لأنَّه واحدٌ معنا من جهة ناسوته، أي إنَّه يشترك معنا في نفس الطبيعة. وهذا يُشبه ما نقوله: إنَّنا كُنَّا في آدم عندما أخطأ وطُرد من الفردوس. فنحن كُنَّا مُتواجدين في آدم، ليس بأشخاصنا، ولكن بطبيعتنا.

---

(١) الناشر: مركز باناريون للتراث الآبائي، طبعة أولى: أكتوبر ٢٠٢٥م. عدد الصفحات: ٦٩٤ صفحة من القَطْع الصغير. تأليف: إميل مرش، أستاذ علم اللاهوت، كلّية سيِّدة السلام في بلجيكا. ترجمة عن الإنجليزية: د. نادر مدحت لبيب. المراجعة: د. عماد موريس إسكندر، د. وجدي رزق غالي، د. جوزيف موريس فلتس.

وبنفس هذا المعنى يُقال إننا كُنَّا في المسيح في كلِّ أفعاله الخلاصيَّة، ليس كأشخاصٍ ولكن كطبيعة؛ إذ كان ينبغي أنَّ كلَّ الأفعال الخلاصيَّة (الشفاء والارتقاء) التي أتمَّها الربُّ في ناسوته لحسابنا، تنتقل إلى طبيعتنا البشريَّة (في عموميتها)، لتكون مُمكنة ومُتاحة لكلِّ مَن ينتمي إلى هذه الطبيعة. فما حدث في ناسوت المسيح، يظلُّ هو "الأصل" أو "الأساس" لكلِّ ما يريد أنْ يهبنا إيَّاه. ولكن انتقال ما حدث للطبيعة البشريَّة في عموميتها، هو كما يقول القدِّيس كيرلس: "حتى يُمكِّن الإنسان مِن أنْ يشترك مع طبيعة الله، ويتشارك فيها".

وحين يتَّحد المؤمنون (كأشخاصٍ) بالمسيح من خلال الروح القدس والإفخارستيَّا، ينالون شركة فيما أنجزه الربُّ في ناسوته من أجلنا. ويصيرون في وحدةٍ مع الآب في المسيح بالروح القدس، ومن خلال وحدتهم مع الله يصيرون في وحدةٍ بعضهم مع البعض.

إذن، الوحدة الأولى (في التجسُّد) هي الأساس والأصل لوحدة المؤمنين مع المسيح، أي إننا من خلال "الأسرار" ننال شركةً فيما تمَّ في التجسُّد.

ويُلاحَظ أنَّ مُصطلح "جسد المسيح المِستيكي" لم يُستخدم في الكنيسة الأولى، ولكن المفهوم كان حاضرًا بقوَّة، وإن كان بصورةٍ غير مباشرة. وكان يُكتَفَى بمصطلح "جسد المسيح" الوارد في العهد الجديد.

إنَّ **"سرَّ المسيح فينا"** (كو ١: ٢٧)، معناه: إنَّنا أصبحنا جزءًا لا يتجزَّأ مِن المسيح، فنحن نلبس المسيح، ونحن مُنغمسون فيه، والمسيح فينا، ونحن فيه.

إنَّ هذا "السِّرَّ" هو معجزة الوحدة، فإنَّ الله قد رفع الوحدة الطبيعية الموجودة بين البشر إلى كمالٍ يفوق الطبيعة. وبالتالي، صار البشر واحدًا، ولكنَّهم واحدٌ في المسيح.

هذه الوحدة تؤثِّر في وجودنا مِن كلِّ الجوانب: فهي توحِّدنا بأنفسنا، وتوحِّدنا بعضنا ببعض، وتُوحِّد كلًّا منَّا بالله، مِن خلال وحدتنا جميعًا بالمسيح. وبالتالي، فهي بنوعٍ من التضاعُف – إن جاز التعبير – تُأقلم نفسها مع كثرتنا، وتشملنا جميعًا، وتُدخِلنا في وحدتها الخاصَّة.

أوَّلًا، يوحِّدنا هذا السِّرُّ بالمسيح: هذا هو الأساس لكلِّ شيء؛ فهو الرأس، ونحن الأعضاء؛ هو الكرمة، ونحن الأغصان؛ هو الحياة ومصدرها، ونحن نحيا بهذه الحياة؛ وهو الوحدة، ونحن الكثيرين واحدٌ فيه. وكلُّ شيء مشترك بينه وإيَّانا. فالامتيازات التي له تمتدُّ إلينا وننالها عن طريق الشركة. كذلك برُّه وقداسته تنساب داخلنا وتصبح خاصَّةً بنا، لأنَّه صار إنسانًا مثلنا. ولهذا صرنا قدِّيسين وأبرارًا أمام الله، وهذا فقط بسببه وفيه. إنَّ ميلاده هو

ميلادنا، وحياته هي حياتنا، وموته وقيامته هما موتنا وقيامتنا؛ ذلك لأنَّه صار منَّا. وهذه الأحداث تمتدُّ إلينا في الزمن بشكلٍ سرِّيٍّ، عن طريق أسرار الكنيسة وبالنعمة.

ثانيًا، يوحِّدنا هذا السِّرُّ بالله: هذا الاتِّحاد نناله فقط في المسيح. وبما أنَّ المسيح هو الله الظاهر في الجسد، ولأننا فيه، فإنَّنا فيه أصبحنا مُقدَّسين. كذلك بما أنَّه هو ابن الله، ونحن فيه، فإنَّنا فيه نكون أبناءً للآب بالتَّبنِّي. وبما أنَّه قد نال الروح القدس (في بشريَّته) ونحن فيه، فإنَّنا فيه ننال الروح القدس.

ثالثًا، يُوحِّد السِّرُّ كلَّ البشر بعضهم ببعض: فبما أنَّ البشر – في نظر الله – لهم حياة فقط بسبب اتِّحادهم بالواحد؛ بالتالي فإنَّ كلَّ البشر لهم حياة مشتركة، بسبب شركتهم جميعًا في المصدر نفسه، وفي الحياة الواحدة نفسها. وكلُّ شخصٍ يصبح كاملًا بكلِّ الآخرين مِن جهة ما هو داخلي جدًّا في نفسه، أي في المسيح الذي منه ينال الحياة.

وأخيرًا، فإنَّ هذا السِّرَّ يوحِّد كلَّ إنسانٍ مع ذاته: وفي الوقت نفسه يفرض هذا السرُّ التزامًا للإنسان بالسِّموِّ فوق ذاته، فهو يؤسِّس شريعةً أخلاقيَّةً جديدة، أكثر نقاءً، وفائقة للطبيعة. وهو يدعو إلى القداسة والعفَّة المسيحيَّتين، وقبل كلِّ شيء إلى المحبَّة المسيحيَّة. ففي المسيح يجب أنْ نحيا لأجل الله، ولأجل الإخوة، لأنَّنا نعيش معهم في المسيح.

إذن، فهذا السِّرُّ هو معجزة الصلاح من جانب الله، في حين أنَّه مِن جانبنا هو معجزة التغيير والحياة والقداسة. نحن مهما تكلَّمنا، فلن ننجح في التعبير وعن استيفاء هذا السِّرِّ.

صورة غلاف الكتاب:

صورة غلاف الكتاب هي لكأس أنطاكية العظمى، والمحفوظة الآن بمتحف المتروبوليتان. وتؤرَّخ ما بين ٦٠ – ٧٠م. وهي مطليَّة بالفضة، وقد عُثر بداخلها على كأسٍ أخرى من معدنٍ غير ثمين، ولا يوجد عليها أيُّ نقوش، مِمَّا جعل العلماء يضعون احتمالًا أنَّ هذه الكأس البسيطة هي نفسها التي استُخدِمَت في عشاء الربِّ. والكأس الخارجية الفضية تُزيِّنها طيور، ويُرى صور الرُّسُل جلوسًا إلى جانبهم ١٢ عنقودًا من العنب وزخارف أخرى، بالإضافة إلى صورتين للسيِّد المسيح: أحدهما تُمثِّله صغيرًا، إذ كان يُباحث الكهنة في الهيكل؛ والأخرى بعد القيامة، وفوق رأسه حمامة هي رمز الروح القدس، ونجم هو رمز الميلاد. وفي يمينه طبق عليه سبعة (أو خمسة) أرغفة وسمكتان، وتحت قدميه حَمَلٌ رافعٌ رأسَه شاخصًا إليه، وبجانب الحَمَل نسرٌ كبير وسلَّة بها خبز[٢].

(٢) الأب متى المسكين، "الإفخارستيَّا عشاء الرب"، دير القدِّيس أنبا مقار، الطبعة الثانية: ٢٠٠٠م، ص ٦.

الفهرس العام لمقالات المجلة عام ٢٠٢٦م



صَدَرَت المجلة في ١٠ أعداد عن الشهور من يناير – ديسمبر ٢٠٢٦م
ما عدا شهرَي يوليو وأغسطس ٢٠٢٦م، وهما العطلة السنويَّة للمجلة
(الرقم الأول يُشير إلى الشهر، والثاني إلى الصفحة)

الافتتاحية: كلمة قداسة البابا تواضروس الثاني:

٢/١ «تمسَّكوا بالحَسَن» (أ)
١/٢ «تمسَّكوا بالحَسَن» (ب)
١/٣ "امتنعوا عن كلِّ شِبْه شرٍّ" (أ)
٢/٤ «متنعوا عن كلِّ شِبْه شرٍّ» (ب)
١/٥ قام ... وصعد ... وأيضًا يأتي
١/٦ احذر "العيون المُتعالية" (أ)
١/٩ معالم طريق القداسة
١/١٠ احذر "العيون المُتعالية" (ب)
١/١١ احذر "اللّسان الكاذب" (أ)
١/١٢ احذر "اللّسان الكاذب" (ب)

أخبار الكنيسة:

٦/٥ زيارة قداسة البابا تواضروس الثاني لتركيا.
٦/٩ تدشين كنيسة التسعة والأربعين شهيدًا شيوخ شيهيت بيد قداسة البابا تواضروس الثاني

مقال للأب متى المسكين:

٨/١ البشارة المُفرحة
٨/٢ الصوم والمحبَّة
٥/٣ توجيهات عن الصوم الأربعيني المقدَّس
٧/٤ الإيمان بيسوع المسيح ينقلنا من الموت إلى الحياة
١٤/٥ القيامة والخلود
٦/٦ تبكيت الروح القدس
١٤/٩ الاستشهاد والموت الإرادي
٥/١٠ الروح القدس والشهادة للمسيح
٥/١١ وضوح الهدف وإنكار الذات
٥/١٢ القيمة المذَّخرة في التسبيح ذي الصِّبغة اللاهوتيَّة

بمناسبة الذكرى العشرين لنياحة الأب متى المسكين:

١٠/٦ دراسات ورسائل علميَّة قُدِّمت عن تعاليم الأب متى المسكين
١٩/٦ مقارنة بين شرح إنجيل القدِّيس يوحنا لكلٍّ من القدِّيس كيرلس الكبير والأب متى المسكين ...
٢٦/٦ أعمال الأب متى المسكين ومنهجه الأدبي
٣٠/٦ الحياة الأخلاقيَّة وارتباطها بالحياة الروحيَّة في فكر الأب متى المسكين
٣٤/٦ الأب متى المسكين راهبٌ من زماننا

انتقال راهب فاضل:

١٣/٢ العملاق الروحي الراهب القمص مينا المقاري
٨/٣ شُعلة من الأمانة والجهاد الراهب باخوم المقاري

عظة آبائيَّة:

١٢/١ تجسُّد كلمة الله

من أقوال الآباء:

١٥/١ في عيد الأنوار "الإبيفانيا"
٢١/٢ الصَّوم الطَّاهر أساسٌ لكلِّ فضيلة
١١/٣ الصَّوم سلاحٌ عظيمٌ ضدَّ مكائد إبليس
١٧/٤ سرُّ عدم الموت، وعربون الحياة
١٦/٩ عمل الروح القدس في الكنيسة
٩/١٠ الفضائل والشرور الناشئة من الإرادة الحُرَّة (١)
٩/١١ الفضائل والشرور الناشئة من الإرادة الحُرَّة (٢)
١٠/١٢ تجسُّد ابن الله وتأنُّسه

تعاليم آبائيَّة:

٢١/٦ تجلِّيَات الرحمة الإلهيَّة
١٦/١١ الأسلوب المسيحي في الحياة

أقوال نسكيَّة:

٢١/١٠ مفاعيل النعمة الإلهيَّة

من دروس التاريخ الكنسي:

٢٤/٩ القدِّيس إيرينيئوس "صانع السلام"

بمناسبة شهر كيهك المُبارك:

٢٠/١ فوائد قراءات شهر كيهك المبارك (٢)

بمناسبة موسم الميلاد المجيد:

٢٢/١١ رموز العهد القديم التي تُشير إلى والدة الإله (١)
١٦/١٢ رموز العهد القديم التي تُشير إلى والدة الإله (٢)

بمناسبة عيد الظهور الإلهي:

٣٥/١ معموديَّة ربنا يسوع

بمناسبة الصوم المقدَّس:

٢٦/٢ الصوم الكبير المقدَّس
١٩/٣ الصلاة الربَّانيَّة

بمناسبة أحد السامريَّة:

٢٩/٣ "لكي لا أعْطَشَ"

بمناسبة تذكار الصليب المقدَّس:

٣/٣٤ الصَّليب شجرة الحياة

بمناسبة أحد الشعانين:

٤/١٣ «مُبارَكٌ الآتي باسمِ الرَّبِّ»

بمناسبة الجمعة العظيمة:

٤/٢٤ المسيح فصحنا ذُبِحَ من أجلنا

بمناسبة عيد القيامة المجيد:

٥/١٨ قيامة المسيح والسعادة الحقيقيَّة

بمناسبة عيد الصعود المجيد:

٥/٣٥ صعود ربّنا يسوع المسيح

٥/٤٤ "أصعدتَ باكورتي إلى السماء"

بمناسبة عيد العنصرة:

٦/٣٧ ماذا حدث يوم الخمسين؟

تأمُّلات في سرِّ التجسُّد الإلهي:

١/٣١ المسيح شجرة الحياة في عالم الإنسان

ادخل إلى العمق:

١/٢٥ (٥٨) التجسُّد الإلهي

٢/٣٣ (٥٩) التَّوبة شجرة الرُّوح المُثمرة

٣/٣٨ (٦٠) "لتكن مشيئتُكَ"

٤/٣٨ (٦١) الجراحات الشافية

٥/٣٠ (٦٢) بالحقيقة قد قام

٦/٤٩ (٦٣) القيامة وحلول الروح القدس

تأمُّلات في فضائل العذراء مريم:

٩/٣٦ العذراء مريم فخر جنسنا

أسرار الحياة المقدَّسة:

١٠/٣٠ (١) «فجميع الذين لمسوه نالوا الشفاء»

١١/٣٢ (٢) «أَرِنا الآب وكفانا»

١٢/٢٩ (٣) "قريبٌ على الأبواب"

من التراث الكنسي:

١/٣٨ الغطاس وتبريك المياه

٢/٣٩ أحد التجربة على الجبل

٣/٢٢ أحد الابن الضال

٤/٣٠ الغفران الثمين

٥/٢٣ ما هو عيد القيامة؟

٦/٤٣ "نؤمن بالروح القدس"

٩/٣١ معرفة الله: من خلال الصلاة (٢٥)

١٠/٢٥ معرفة الله: من خلال الصلاة (٢٦)

١١/٢٨ معرفة الله: من خلال الليتورجيًا (٢٧)

١٢/٢٢ معرفة الله: من خلال الليتورجيًا (٢٨)

ذكرى الصِّدِّيق تدوم إلى الأبد:

٤/٤٣ لمحات من الكنيسة الأولى (١) للدكتور جميل نجيب

٥/٤٧ لمحات من الكنيسة الأولى (٢)

٩/٤٠ لمحات من الكنيسة الأولى (٣)

١٢/١٤ صحوة ما بين عامين للأب مينا المقاري

بحث تاريخي:

١/٤٢ أهم أديرة وكنائس القدِّيس مار جرجس القبطيَّة الأثريَّة (٣)

٢/٤٦ أهم أديرة وكنائس القدِّيس مار جرجس القبطيَّة الأثريَّة (٤)

٣/٤٤ أهم أديرة وكنائس القدِّيس يحنس القصير في مصر (١)

٤/٤٦ أهم أديرة وكنائس القدِّيس يحنس القصير في مصر (٢)

٥/٤٩ أهم أديرة وكنائس القدِّيسة دميانة في مصر (١)

٦/٥٣ أهم أديرة وكنائس القدِّيسة دميانة في مصر (١)

٩/٤٣ التراث القبطي في مدينة الأقصر (١)

١٠/٣٥ التراث القبطي في مدينة الأقصر (٢)

١١/٣٨ أهم أديرة وكنائس السيِّدة العذراء الأثريَّة بالوجه القبلي في مصر (١)

١٢/٣٤ أهم أديرة وكنائس السيِّدة العذراء الأثريَّة بالوجه القبلي في مصر (٢)

تقديم كتاب:

١/٤٦ (٣٩) الأدلَّة على وجود الله وظهوره (٢)

٣/٤٨ (٤٠) الأدلَّة على وجود الله وظهوره (٣)

٤/٥١ (٤١) الأدلَّة على وجود الله وظهوره (٤)

٥/٥٣ (٤٢) نصوص قديمة – أناشيد سليمان

٦/٥٦ (٤٣) تجديد الفكر اللاهوتي الفلسفي بين القدِّيس توما الأكويني والأب متى المسكين

٩/٤٨ (٤٤) جوني إريكسون

١٠/٤١ (٤٥) رسائل خُربُر

١١/٤٣ (٤٦) مستعدُّون للمُجاوبة

١٢/٤٠ (٤٧) سرُّ المسيح فينا

مقال بالإنجليزية: للأب متى المسكين

١/٥٢ Living With Christ, Vol. 4, 71-73

٢/٥٦ Living With Christ, Vol. 4, 74-75

٣/٥٦ Living With Christ, Vol. 4, 76,77

٤/٥٦ Living With Christ, Vol. 4, 78,79

٥/٦٠ Living With Christ, Vol. 4, 80,81

٦/٦٤ Christ Has Risen, He Has Truly Risen

٩/٥٢ Living With Christ, Vol. 4, 82,83

١٠/٤٨ I Am The Light of the World

١١/٤٨ Living With Christ, Vol. 4, 84,85

١٢/٤٨ Living With Christ, Vol. 4, 86,87

من تعليم آباء الكنيسة مُترجم عن اليونانية:

غلاف ١ تجسُّد المسيح رفعنا إلى نعمةٍ أعظم مِمَّا كان لآدم قبل المعصية

غلاف ٢ اشتياقات الروح

تُميت ناموس الجسد

غلاف ٣ حيث تكون المعونة، يُعطي الربُّ قوَّته

غلاف ٤ «أرأيتم مَنْ تُحبُّه نفسي؟»

غلاف ٥ تكريم طبيعتنا البشريَّة في المسيح

غلاف ٦ الرُّوح القدس يُشعِل أعماق النفس

غلاف ٩ الشَّركة في آلامه وصليبه

غلاف ١٠ وحدة إيمان الكنيسة

وتطابُق التَّقليد الرسولي

غلاف ١١ السِّرُّ العظيم:

آدم الجديد يُخلِّص آدم الأول

غلاف ١٢ ميلاد المسيح، فرح السَّماء والأرض

صـور الغلاف:

وجه ١ العذراء والدة الإله
وأم ينبوع الحياة
ظهر ١ معموديَّة المسيح في نهر الأردن
وجه ٢ عيد دخول المسيح الهيكل
وهو ابن أربعين يومًا
ظهر ٢ الـ ٤٩ شهيدًا شيوخ شيهيت
وجه ٣ شفاء المولود أعمى
ظهر ٣ تكثير الأرغفة
وجه ٤ أيقونة القيامة
المسيح قاهر الجحيم
ظهر ٤ دخول المسيح أورشليم
وجه ٥ حلول الروح القدس يوم الخمسين
ظهر ٥ القدّيس مرقس الإنجيلي
وجه ٦ تذكار دخول المسيح أرض مصر
ظهر ٦ أيقونة الكنيسة السمائيَّة
وجه ٩ القدّيس يوحنا المعمدان
ظهر ٩ شهداء في ساحة الاستشهاد
وجه ١٠ المسيح على عرش مجده
في مجيئه الثاني
ظهر ١٠ المسيح المُمجَّد
جالسًا على قمة الكرة الأرضيَّة
وجه ١١ بشارة الملاك جبرائيل للعذراء
بميلاد الربِّ يسوع
ظهر ١١ بشارة رئيس الملائكة جبرائيل
لزكريا الكاهن
وجه ١٢ سرُّ التجسُّد
والعُلَّيقة المُشتعلة نارًا
ظهر ١٢ أيقونة تُبيِّن موسى النبي
في مواجهة العُلَّيقة المُشتعلة

****

قبول المسيح
الروح القدس من أجلنا

للقدّيس كيرلس الكبير

[لمَّا صار كلمة الله إنسانًا،
اقتبل الروح القدس من الآب كواحدٍ منَّا،
ليس كمَنْ يقبل شيئًا لذاته،
إذ إنه هو نفسه الذي يُوزِّع الروح؛
بل لكي بقبوله الروح كإنسانٍ يحفظه لطبيعتنا،
ويجعل النعمة التي فارقتنا تتأصَّل من جديد فينا ...
إذن، فهو قَبِلَ الروح لحسابنا نحن بواسطة نفسه،
لكي يستعيد لطبيعتنا ذلك الخير الأصلي،
ولذلك أيضًا قيل عنه إنه افتقر لأجلنا.
فمع كونه غنيًّا كإلهٍ ولا يعوزه شيء من الخيرات،
جعل نفسه إنسانًا مفتقِرًا لكلِّ شيء ...
فكما أنه مع كونه الحياة بطبعه قد مات بالجسد لأجلنا،
لكي يغلب الموت عنَّا ويُقيم طبيعتنا كلَّها معه
– لأننا جميعًا كنَّا فيه لكونه قد صار إنسانًا –
هكذا أيضًا هو يقبل الروح لأجلنا لكي يُقدِّس به طبيعتنا كلَّها.
لأنه لم يأتِ لكونه محتاجًا شيئاً لنفسه،
بل قد جاء ليصير لنا جميعًا
بابًا وبدايةً وطريقًا للخيرات السمائيَّة!]

(شرح إنجيل يوحنا ١: ٣٢)

****

Living with Christ

Articles of Comfort and Blessings
Offered to the Reader

Enjoy your reading on the exposition of our Father Matta El-Meskeen to the verses of the Scripture! Note: All quotations are taken from the ***New King James Version,*** *if not otherwise mentioned.*

Volume Four

Chapter 86
"Whoever believes that Jesus is the Christ is born of God" (1 John 5:1).

IT IS CRUCIAL for the reader to recognize who Christ is here, as Saint John is targeting a higher reality. He is referring to Christ as being the Messiah of the Old Testament, the utterance of whose name was fearsome, for He is the person of God Himself[1]. In other words, the apostle John is truly saying that "he who believes that Jesus—who was born in Bethlehem and who was called Jesus of Nazareth—is the Christ, believes that He is God Himself." This is the absolute truth. Then whoever believes in Jesus, that He is God, believes in the divine power of the cross, the death, the resurrection, and the sitting of the Son at the right hand of the Father in glory. This is the epitome of the New Testament.

Since the Father and the Son are one,[2] the Son is God and His incarnation did not diminish anything from His divinity. Whoever believes that Jesus is the Christ, believes by that very fact that He is God. However, this witness, namely this faith, reveals that its believer is not an ordinary person, but is one who possesses truth and lives in it. No one possesses truth except God and he who is born of God. For God is truth, and he who is born of God is truth. This reveals to us the greatness of the incarnation, which, through faith and life in it, makes everyone who believes and lives by it to be born of God. As children of God, we live in Christ and Christ lives in us. As Christ says, speaking with the Father, "I in them, and You in Me; that they may be made perfect in one."[3] Thus, Christ here makes us united with God, not only children.

[1] Cf. Malachi 3:1; Zechariah 12:10.
[2] John 10:30.
[3] John 17:23.

This is faith in Christ that made us children of God and united with God. It is a lofty height that overwhelms the devout soul, for while being on earth it makes us citizens of heaven, rather seated with Christ on the right hand of the Father[4]. All of this is through faith, without which we are worthless.

Christ, and faith in Him, raised us from the level of slavery to that of sons, and from sons to heirs of the kingdom of God in Christ, living with the Father and the Son in His eternal kingdom. For the above verse, "Whoever believes that Jesus is the Christ," is the key to the sublime mystery of Christianity.

The verse's declaration, that we are born of God, has behind it an immense wealth of mysteries, which puts us above mere humanity. For our partaking of Christ's nature, with Whom we have been united in faith, love and joy, is hidden behind the fact that we are born of God. This saying moves the feelings of the devout soul, for being born of God means that we have become partakers of God's nature, and were raised from the bottom of the earth, sin, and death, becoming heavenly beings in and through Christ for God.

Whoever contemplates this saying is overcome with amazement, for the words come from a saintly and beloved apostle, who is renowned for his high theological mastery so that he was named John the Divine! For we are reading from the saintliest of saints, whose heart and tongue were filled with God's pearls, great in worth, knowledge, and love. This is why we consider the theology of John as one that is given as drink to every heart open for the mysteries of God.

January 10, 2006

[4] Cf. Ephesians 2:5–6.

Chapter 87
"And this is the victory that has overcome the world – our faith" (1 John 5:4).

CHRIST has overcome the world for us, and through His victory, we too share in His triumph over the world. Now, He calls us to overcome the world with our faith. The Lord says that by faith we can do anything.[1] When the Lord cursed the fig tree and it dried up on the second day, His disciples noticed it, so when they were amazed, he told them that everything is possible with faith,[2] so that even if we say to the mountain 'Be removed and be cast into the sea' it will be done for us. One of Egypt's rulers took advantage of what the Lord said, so he coerced the leader of the Copts to do that with the Muqattam Mountain, which used to border the Nile. So, the Patriarch requested a grace period, and he prayed and trusted that God would answer.

[1] See Mark 9:23.
[2] See Mark 11:20-24.

He then went out with the ruler and stood beside the mountain, and all the people started crying out, "Kyrie Eleison," meaning Lord have mercy. Then the Patriarch struck the mountain with his staff saying, "Move, O blessed one." Thus, the Muqattam Mountain moved, with the Patriarch standing behind it with his staff, together with the ruler and all the people. It was a magnificent scene, with a fearful awe, because the mountain was emitting smoke with thick dust around it, which terrified the ruler and all the people. The mountain moved and they walked behind it in a great assembly until it settled in its current location, as the terrified ruler said, "Enough, enough." This incident was recorded in the history of Egypt and does have an annual commemoration.

Truly Christ promised His children that, whatever they ask, He will answer. Here, in turn, St. John the apostle asks us to overcome the world with our faith. The matter requires moral courage, and a confident personality, so that it achieves what it desires. It is told that a teacher wanted to explain to the students in class what faith is, so he held up his beautiful watch with its hanging pendant and asked the students, "Who wants to take this watch?" The students were dumb founded and became speechless and amazed. Then, one of the students raised his hand and said, "I do, Sir." So, the teacher told him, "Come and take it." So he went boldly, stretched out his hand and took it, then returned to his seat. Then, the students cried out, "Really, Sir?" He said to them, "Yes, really, because he trusted and believed." Thus says the Lord, "whatever things you ask when you pray, believe that you receive them, and you will have them"[3]. A tiny lesson but a great work!

This is how the church received the faith throughout the ages, for she prays for the sick and behold they are healed,[4] and that is through the anointing with oil and the sign of the cross on the forehead and hands. In the Bible we have the story of the Canaanite woman from Lebanon, through whose village Christ and the disciples passed, when she came out running after Christ, saying, "O Son of David, O Son of David," and Christ left her running after Him and crying out. And so, the disciples told Him to respond to this woman because she disturbed them. Christ spoke to her saying, "What are you seeking?" She answered that "my daughter is sick, for the devil has bound her, and she is cast down, screaming all day." Jesus then answered, "It is not good to take the children's bread and throw it to the little dogs."[5] In spite of this harsh answer, the woman did not want to stop, but kept on crying out, "Lord, Lord, yet even the little dogs eat the crumbs which fall from the children." Jesus then answered and said to her, "O woman, great is your faith,"[6] the likes of which I have not seen, not even in all of Israel. Go your way, your daughter is healed. This is a sample of faith that Christ faced and admired.

January 11, 2006

---

[3] Mark 11:24.
[4] See Mark 16:18.
[5] Mark 7:27.
[6] Matthew 15:28.

The Birth of Christ, the Joy of Heaven and Earth

Christ is born, glorify Him. Christ from heaven, go out to meet Him. Christ on earth; be exalted. Sing unto the Lord all the whole earth; [...] Let the heavens rejoice, and let the earth be glad, for Him Who is of heaven and then became of earth. [...] I too will proclaim the power of this Day. The Immaterial one takes flesh, the Word is made coarse, the invisible one is seen, the impalpable one is touched, the timeless one makes a beginning, the Son of God becomes the Son of Man, Jesus Christ the Same yesterday, and today, and forever.

Oration 38, *On Epiphany* 1-2

****

ἐκ τοῦ ἁγίου Γρηγορίου τοῦ Θεολόγου

Χριστὸς γεννᾶται, δοξάσατε· Χριστὸς ἐξ οὐρανῶν, ἀπαντή-σατε· Χριστὸς ἐπὶ γῆς, ὑψώθητε. Ἄσατε τῷ Κυρίῳ, πᾶσα ἡ γῆ· [...] Εὐφραινέσθωσαν οἱ οὐρανοὶ, καὶ ἀγαλλιάσθω ἡ γῆ, διὰ τὸν ἐπουράνιον, εἶτα ἐπίγειον. [...] Κἀγὼ βοήσομαι τῆς ἡμέρας τὴν δύναμιν· Ὁ ἄσαρκος σαρκοῦται, ὁ Λόγος παχύνεται, ὁ ἀόρατος ὁρᾶται, ὁ ἀναφὴς ψηλαφᾶται, ὁ ἄχρονος ἄρχεται, ὁ Υἱὸς τοῦ Θεοῦ Υἱὸς ἀνθρώπου γίνεται, Ἰησοῦς Χριστὸς, χθὲς καὶ σήμερον, ὁ αὐτὸς καὶ εἰς τοὺς αἰῶνας.

PG, 36, 312-313.

St. Mark *Monthly Review*
Published by: The Monastery of St. Macarius the Great, Wadi El-Natrun.
ANNUAL SUBSCRIPTIONS (10 issues a year, July& August excluded, sent by Int. Courier):
U.S. $150.00
Subscriptions to be paid through our Website as mentioned below, or sent by a check to:
"St Macarius Printing House", P.O. Box 1574, Centreville, VA 20122, USA.
No materials may be reproduced in whole or in part without written permission from the publisher.
© 2026
by the Monastery of St Macarius the Great.
Library of Congress Catalogue Card Number: 80–960629. ISSN 2805-2382
VISIT THE WEBSITE OF THE MONASTERY: WWW.STMACARIUSMONASTERY.ORG

ST. MARK December 2026

Monthly Review



An icon depicting Moses in front of the Burning Bush.
(Byzantine icon from Mount Sinai.)
Early 13th century.